كتاب الأغانى

لأبى الفرج الأصفهانى

الجزء التاسع عشر

تحقيق

عبد الكريم إبراهيم العزباوى

إشراف

محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

دار التأليف والنشر

١٣٩١م - ١٩٧٢م

المكتبة العربية
تصدرها
الهيئة المصرية العامة للكتاب
دار التأليف والنشر
بالاشتراك مع
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
وزارة الثقافة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بيـــان

حقّق هـذا الجزء على ما يقابله من النُّسَخ المخطوطة والمطبوعة المعتمدة لهـذه الطبعة ؛ وقد تقدم وصفها وذكر رموزها فى مقدمة الجزء الأول .

وقد قام بتحقيقه الأستاذ عبد الكريم إبراهيم العزباوى وقمت بمراجعتـه ، وأضيف إلى ما حققه الأستاذ عبد الكريم ؛ تراجم سلم الخاسر ، وأبى صدقة ، وفضل الشاعرة بتحقيق الأستاذ على النجدى ، وهو أمر اقتضاه التنسيق بين الأجزاء .

ويتضمن هذا الجزء من التراجم التى سقطت من طبعة بولاق ؛ تراجم أبى محجن الثقفىّ ، وزهير بن جناب الكلبىّ ، وسلم الخاسر ، وأبى صدقة ، وفضل الشاعرة ؛ مما عثر عليه فى مخطوطات مكتبة ميونيخ بألمانيا ، وفيض الله بتركيا ؛ وهذه التراجم جاء بها المستشرق برنو فى الملحق الذى ذيّل به طبعة بولاق ؛ كما جاءت فى طبعة الساسى فى الجزء المسمى بالحادى والعشرين .

وقد وضعت هذه التراجم فى مواضعها طبقا لترتيب ورودها فى هذه المخطوطات .

وقد تضمن أيضا ترجمة كاملة لمسلم بن الوليد ؛ وهـذه الترجمة لم ترد أصلا فى طبعتى بولاق والساسى ، ولا فى ملحق برنو ؛ وقد عثر عليها فى مخطوطات ميونيخ وفيض الله أيضاً .

كما أضيف إلى ترجمتى محمد بن وهب ، وأشعب بعض الأخبار ؛ وقد أشير إلى مصدر هـذه الزيادات فى الحواشى ؛ وذلك تطبيقا لمنهج اللجنة من إضافة جميع ما يوجد من التراجم والأخبار والأشعار مما سقط من طبعتى بولاق والساسى ، وعثر عليه فى المخطوطات المعتمدة فى التحقيق .

والله الموفق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أبي محجن ونسبه[١]

نسبه

أبو مِحْجَن عبدُ الله[٢] بنُ حبيب بنِ عَمْرو بنِ عُمَيْر بنِ عَوْف بنِ عُقْدة بن عَنَزة بن عَوْف بن قَسِيّ وهو ثَقِيف، وقد مضى نسبه في عِدّة مواضع.

وأبو مِحْجَن من المُخَضْرَمين الذين أدركُوا الجاهلية والإسلام، وهو شاعر فارس شُجاع معدود في أُولي البَأْسِ والنَّجْدَة، وكان من المُعاقِرين للخَمر المَحْدُودين في شُرْبها.

أخبرني عليّ بنُ سُلَيمان الأخفش قال: حدّثنا محمدُ بنُ الحَسَن الأحوَل، عن ابنِ الأعرابيّ، عن المُفَضَّل قال:

نفاه عمر بجزيرة حضوضى مع ابن جهراء ففر منه

لَمَّا كَثُرَ شُربُ أبي مِحْجَن الخَمر، وأقامَ عُمَر بنُ الخطّاب رَضِي الله عنه عليه الحَدّ مِراراً وهو لا يَنْتَهي، نَفاه إلى جزيرة في البَحْر يقال لها حَضَوْضَى[٣]، وبعث معه حَرَسِيّاً[٤] يُقال له ابنُ جَهْراء، فهَرب منه على ساحل البَحْر، ولحق بسَعْد ابن أبي وقّاص، وقال في ذلك يَذْكُر هَرَبه من ابنِ جَهْراء:

الحَمْدُ لله نَجّاني وخَلَّصَني ... من ابن جَهْراء والبُوصِيُّ[٥] قد حُبِسَا

من يَجْشَمِ البَحْرَ والبُوصِيُّ مَرْكَبُه ... إلى حَضَوْضَى فبِئْسَ المَرْكَبُ التَمَسا

---

(١) هذه الترجمة جاءت بالجزء الحادي والعشرين وموضعها هنا كما جاءت في ف وغيرها من النسخ المخطوطة الموثوق بها.

(٢) في المؤتلف والمختلف للآمدي ط الحلبي /١٣٢: حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة ابن غيرة الثقفي.

(٣) قال الحازمي: حضوضى: جزيرة في البحر، وفي معجم ياقوت: حضوضى: جبل في الغرب، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها.

(٤) الحرسي: واحد حرس السلطان.

(٥) البوصي: ضرب من السفن (فارسي معرب).

أبلغْ لَديْك أبا حَفْص مُغَلْغَلةً ... عبدَ الإله إذا ما غارَ أو جَلَسا

أَنّى أَكُرُّ على الأُولى إذا فَزِعوا ... يوماً وأَحبِس تحت الرّايةِ الفَرَسا

أغشَى الهِياجَ وتَغشانى مُضاعَفةٌ ... من الحَديد إذا ما بعضُهم خَنَسا[1]

هذه روايةُ ابنِ الأعرابىّ عن المفَضّل، قال ابنُ الأعرابىّ: وحدّثنى ابنُ دأب بسبب نَفْى عُمَر إيّاه، فذكر أنّ أبا مِحْجَن هَوِىَ امرأةً من الأنصار يقال لها شَمُوس، فحاول النَّظر إليها بكلّ حِيلة، فلم يَقْدِر عليها، فآجَر نفسَه من عامل يعمل فى حائط[2] إلى جانب منزلها، فأشرف من كُوّة[3] فى البُسْتان، فرآها فأنشأ يَقولُ:

أحب الشموس الأنصارية فشكاه زوجها لعمر

ولقد نظرتُ إلى الشّموسِ ودُونها ... حَرَجٌ من الرّحمن غيرُ قليلِ

قد كنتُ أحسَبُنى كأغْنَى واحدٍ ... وَرَد المدينةَ عن زراعةِ فُولِ

رجع إلى حديث فراره من ابن جهراء

فاستَعْدَى زوجُها عليه عُمَرَ بنَ الخَطّاب، فنفاه إلى حَضَوْضَى، وبعَث معه رجلاً يقال له ابنُ جَهْراء قد كان أبو بكر رضى الله عنه يَسْتعين به، قال له عُمَر: لا تدَع أبا مِحْجَن يُخرِج معه سَيْفا، فعَمد أبو مِحْجَن إلى سيفه فجعل نصلَه فى غِرارة وجعل جَفْنه فى غِرارة أُخرى، فيهما دَقيق له.

فلما انتهى به إلى السّاحل وقَرُب البُوصىّ اشترى أبو مِحْجن شاةً وقال لابن جهْراء: هلمّ نتغدّ ووثب إلى الغِرارة كأنّه يُخرج منها دقيقاً فأَخذ السيفَ، فلما رآه ابنُ جهراء والسيفُ فى يده خرج يعدو حتى ركب بَعيرَه راجعًا إلى عُمَر، فأخبره الخبر.

(1) خنس: تأخر وتخلف.
(2) الحائط: البستان.
(3) الكوة: الخرق.

قاتل العجم يوم أرماث بعد أن أطلقته امرأة سعد ابن أبي وقاص

وأقبل أبو مِحْجن إلى سَعْد بن أبي وَقّاص وهو يُقاتل العَجَم يوم القادسيَّة ، وبلغ عُمرَ خبرُه ، فكتب إلى سعد بِحَبْسه ، فحَبَسَه ، فلما كان يوم أرْماث[1] ؛ والتحم القِتالُ سأل أبو مِحْجَن امرأةَ سَعْد أن تُعطيَه فرس سعد وتحُلَّ قيده ليُقاتِل المشركين ، فإن استُشْهِد فلا تَبِعة عليه ، وإن سَلِم عاد حتى يَضع رِجلَه في القيْد ، فأَعطته الفرسَ ، وخلَّت سبيله ، وعاهدها على الوفاء ، فقاتل فأبلى بَلاءً حَسنًا إلى الليل ، ثم عاد إلى مَحبِسه .

حدّثني بهذا الحديث عمِّي عن الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن إبراهيم بن حَكيم ، عن عاصم بنِ عُروَة :

أنّ عُمر بن الخَطّاب رضي الله عنه غرّب رجلا من ثَقيف وهو أبو مِحجن ، وكان يُدمِن الخمر وأمرَ ابن جَهْراء النَّصريَّ ورجلاً آخر أن يحملاه في البَحْر ، وذكر الخَبر مثل الذي قبله ، وزاد فيه : وقال أبو مِحْجَن أيضًا :

صــوت

صاحِبا سَــوْءٍ تَحبَّهما صاحَباني يوم أرتَحِــلُ
ويَقولان : ارتَحِــل مَعنا فأُنادي[2] : إنني ثَمِــلُ
إنّني باكرتُ مُــترعةً مُزَّةً راوُوقها خَضِــلُ[3]

---

(١) ف : يوم «قس الناطف» ، وفي معجم البلدان ١-٢١١ : أرماث كأنه جمع رمث : اسم نبت بالبادية ، كان أول يوم من أيام القادسية يسمونه يوم أرماث ، وذلك في أيام عمر بن الخطاب وإمارة سعد بن أبي وقاص ، قال ياقوت : ولا أدرى أهو موضع أم أرادوا النبت المذكور .

قال عمرو بن شأس الأسدي :

عشية أرماث ونحن نذودهم ذياد العوافي عن مشاربها هكلا

وفيه ٤ - ٩٧ : قس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين في سنة ١٣ هـ في خلافة عمر بن الخطاب ، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو ، ويعرف هذا اليوم بيوم الجسر .

(٢) ف : ما ، مج ، س : «وأقول» .

(٣) الراووق : الباطية أو الكأس ، والخضل : المبتلّ الندى .

الغنـــــاء فى البيتين الأخيرين لنَشْو خفيف رمل وأوله :

* ويقُولان اصْطبِـح مَعَنـــا *

قال الأصبهانىّ : وهذه القصة كانت لأبى مِحْجَن فى يوم من أيام حَرْب القادسية يُقال له : يوم أرْماث ، وكانت أيّامُها المَشهُورة يومَ أغْواث ويوم أرْماث ويوم الكتائب وخَبرُها يطُول جِـدًّا ؛ وليس فى كلّها كان لأبى مِحْجَن خَبَرٌ ، وإنمـا ذكرنا هاهنا خَبرَه ، فذَكرنا منها ما كان اتّصاله بخبر أبى مِحْجَن .

حدثّنا بذلكَ محمدُ بنُ جَرِير الطّبرىّ قال : كَتَب إلىّ السّرىُّ بنُ يَحْيى ؛ يذكر عن شُعيب ، عن سَيف ، عن محمد بن طَلحة وزيادٍ وابن مخراق ، عن رجل من طيئٍ قال :

لمّا كانَ يومُ الكتائب اقتَتَل المسلمون والفُرس مُنْذ أصبحُوا إلى أن انتصف النّهار ، فلما غابَت(١) الشّمس تزاحف النّاسُ فاقتتلوا حتى انتصف الليلُ ؛ وهذه اللّيلة التى كان فى صَبيحتها يوم أرْماث ، وقد كان المسلمون يوم أغْواث أشرفوا على الظفَر وقَتَلوا عامّة أعلام الفُرْس ، وجالت خَيلُهم فى القَلْب ، فلولا أنّ رَجْلهم(٢) ثَبتُوا حتى كرّت الخيْلُ لكان رئيسُهم قد أُخِذ ؛ لأنه كان ينزل عن فَرسِه ؛ ويجْلِس على سريره ، ويأمُر النّاسَ بالقتال ؛ قالوا : فلمّا انتصَف اللّيلُ تحاجز النّاس ، وبات المسلمون يَنتمون منذ لدن أمْسَوْا .

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده : إن تَمّ النّاسُ على الانتماء فلا تُوقظنى فإنهم أقوياء على عدُوّهم ؛ وإن سَكتوا وسَكت العدو فلا تُنبّهنى فإنهم على السواء ؛ وإن سمعتَ العدُوّ ينتمون وهؤلاء سُكوتٌ فأنبهنى فإن انتماء العَدُوّ من السّوء .

(١) ف : « فلما قامت الشمس » .

(٢) الرجل : جمع الراجل وهو الماشى على رجليه .

قالوا : ولما اشتدّ القتال في تلك الليلة ، وكان أبو مِحْجَن قد حبسه سعد بكتاب عُمر ، وقيّده فهو في القصر ، صعد أبو محجن إلى سَعْد يَسْتَعْفِيه ويَستقيله ، فزَبَره[1] وردَّه ، فنزل فأتى سَلْمى بنتَ أبي حَفْصة فقال : يا بنت آلِ أبي حَفْصة ، هل لكِ إلى خيْر ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تُخلِّين عنّي وتُعيرِينَني البَلْقاء ، فلِلّه عليّ إن سلّمني الله أن أرجِعَ إلى حضرتك حتى تضعِي رِجلَيَّ في قَيْدي . فقالت : وما أنا وذاكَ ؟ فرجَع يَرْسُف في قُيوده ويقول :

كَفَى حزَنا أن تَرْدِيَ[2] الخيْلُ بالقَنَا ... وأُترَكَ مَشْدُودًا عليَّ وِثاقِيَا
إذا قُمتُ عَنَّاني الحديدُ وغُلِّقَت ... مَصاريعُ من دُونِي تُصِمُّ المُنادِيا
وقد كُنتُ ذا مالٍ كَثيرٍ وإخْوةٍ ... فقد تركوني واحدًا لا أخَالِيَا
وقد شَفَّ جِسْمِي أنّنِي كلَّ شَارِقٍ ... أُعالِج كَبْلًا مُصْمَتًا قد بَرانِيَا[3]
فلِلّه دَرِّي يومَ أُترَكُ مُوثَقًا ... وتَذْهَلُ عنّي أُسْرَتي ورِجالِيَا
حَبِيسًا عن الحَرْب العَوانِ وقد بدت ... وإعمالُ غَيْرِي يوم ذاكَ العَوالِيَا
ولِلّه عَهْدٌ لا أخِيسُ بعَهْدِه ... لئن فُرِجَت ألّا أزُورَ الحَوانِيَا[4]

فقالت له سَلْمى : إني قد استَخَرْتُ الله ورضِيتُ بعَهْدك ، فأطلقَتْه وقالت : أمّا الفرس فلا أُعيرها ، ورجَعَت إلى بيتها ، فاقتادها أبو مِحْجَن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندَق ، فركبها ثم دَبَّ عليها ، حتى إذا كان بحِيال المَيْمَنَة ، وأضاء النّهار ، وتصافّ النّاس ، كَبَّر ، ثم حَمَل على مَيْسَرة القَوْم فلَعِب برُمحه وسِلاحه

(١) زبره عن كذا : منعه ونهاه .

(٢) في ما ، مج ، المختار : وترتدى . وردى الفرس : رجم الأرض بحوافره في سيره وعدوه .

(٣) الشارق : الشمس حين تشرق ، والكبل : القيد .

(٤) لا أخيس بالعهد : لا أنقضه . والحوانى : الحانات .

بين الصَّفَّين ، ثم رجَعَ من خلف المسلمين إلى القَلْب فبَدَر[1] أمامَ الناس ، فحمل على القَوْم فلعب بين الصَّفَّين بِرُمحه وسلاحه ، وكان يقصفُ الناسَ لَيْلَتئذ قصفا مُنكَرا ؛ فعجب الناسُ منه وهم لا يعرِفُونه ولم يرَوْه بالأمس ، فقال بعضُ القوم : هذا من أوائل أصحاب هِشام بن عُتبة أو هشامٌ بِنفسه . وقال قوم : إن كان الخِضر يَشْهد الُحروبَ فهو صاحبُ البَلْقاء . وقال آخرون : لَولا أنّ الملائكة لا تُباشر القِتال ظاهِرًا لقُلنا هذا ملاكٌ بيننا ؛ وجعل سَعد يقول — وهو مشرف ينظر إليه — :الطَّعنُ طَعنُ أبى مِحْجن ، والضَّبرُ ضَبرُ البَلْقاء[2] . ولولا مَحْبس أبى مِحْجن لقُلتُ : هذا أبو محجن وهذه البَلْقاء ، فلم يزل يُقاتِل حتى انتصف الليل ، فتحاجَز أهلُ العسكَرين وأقبَل أبو مِحْجن حتى دَخَل القصر ، ووضع عن نفسه ودَابّته ، وأعاد رِجْلَيه فى القَيد ، وأنشأ يقول :

لقد عَلِمتْ ثقيفٌ غيرَ فخــر ... بأنّا نحن أكرمُهم سُيوفَا
وأكثرُهم دُروعًا سابغاتٍ ... وأصبرُهم إذا كرهوا الوُقوفَا
وأنّا رِفدُهم فى كلّ يــوم ... فإن جحدوا فَسلْ بهمُ عَرِيفَا[3]
وليلةَ قادِسٍ لم يَشْعُروا بى ... ولم أكْرَهْ بمخرجىَ الزُّحوفَا
فإن أحبَسْ فقد عرفوا بلائى ... وإن أُطلَقْ أُجرِّعْهم حُتوفَا[4]

فقالت له سَلْمى : يا أبا مِحْجن ؛ فى أىّ شىء حَبَسك هذا الرّجل؟ فقال : أمَا والله ما حبَسنى بحرامٍ أكلتُه ولا شَرِبتُه ، ولكنى كنتُ صاحبَ شراب فى الجاهلية وأنا

(١) فى تاريخ الطبرى ٣–٥٤٨ ط المعارف : « فتقدم أمام الناس » ، أى تقدم .
(٢) الضبر : جمع القوائم والوثب .
(٣) فى تاريخ الطبرى ٣–٥٤٩ ط المعارف :
وأنا وفدهم فى كل يوم ... فإن عميوا فسل بهم عريفا
(٤) فى تاريخ الطبرى ٣ – ٥٤٩ ط المعارف :
فإن أحبس فذلكم بلائى ... وإن أترك أذيقهم الحتوفا

امرؤٌ شاعر يدبُّ الشعر على لسانى فينفثُه[1] أحيانا ، فحبَسَنى لأنى قلتُ :

إذا متُّ فادفِنِّى إلى أصل كَرْمةٍ   تُروِّى عِظامِى بعد موْتِى عُروقُها
ولا تَدْفِنَنِّى فى الفَــلاة فإننى   أخافُ إذا ماَمِتّ ألاّ أذوقُها[2]
لِيُروَى بخمر الحُصِّ[3] لَحمِى فإنَّنى   أسيرٌ لهـا من بعـد ماقد أسُوقُها

سعد بن أبى وقاص يعلم خبر إطلاقه وصدق قتاله فيفرج عنه

قال : وكانت سَلْمى قد رأت فى المسلمين جوْلةً ، وسَعد بنُ أبى وَقّاص فى القَصر لِعلّةٍ كانت به ، لم يقدِر معها على حُضورِ الحَرْب ، وكانت قبلَه عند المُثَنَّى بنِ حارثة الشَّيبانِىّ ؛ فلما قُتِل خَلَف عليها سَعْد ، فلما رأت شِدَّةَ البَأس صاحت : وامُثَنّياه ولا مُثنّى لى اليوم ، فلَطَمها سَعد ، فقالت : أفٍّ لك ، أجُبْنًا وغَيْرَة ؟ وكانت مُغاضِبة لِسَعد عشيّةَ أرْماثٍ وليلة الهَدْأة وليلةَ السّواد ، حتى إذا أصبحتْ أتته وصالحتْه ، وأخبرته خَبرَ أبى مِحْجن ، فدَعا به وأطْلَقه وقال : اذْهَب فلَسْتُ مُؤاخذَك بشىء تقولُه حتى تَفعَله ، قال : لاجَرَمَ ، واللهِ إنى لا أجيبُ لِسانِى إلى صِفَةِ قَبيح أبداً .

أخبرنى أحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجوهَرِىُّ ، وحبيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبِىّ قالا : حدّثنا عُمَر بنُ شَبّة قال : حدّثنا محمد بنُ حاتم قال : حدّثنا محمد بنُ حازم قال : حدّثنا عَمْرُو بنُ المهاجِر ، عن إبراهيم بنِ محمد بن سعد ، عن أبيه ، وأخبرَنى علىُّ بنُ سليمان الأخْفَش قال : حدّثنا محمد بنُ الحسن بنِ دينار مَوْلَى بنى هاشم ، عن ابنِ الأعرابىّ عن المفضّل ، وروايتُه أتمّ ، قالوا :

كان أبو مِحْجن الثَّقَفِىّ فيمن خرَجَ مع سعد بن أبى وَقّاص لحَرْب الأعاجم ؛

(١) فى تاريخ الطبرى ٤–١٢٤ ط الحسينية : «يبعثه على شفتىّ أحيانا فيساه لذلك ثنائى ، ولذلك حبسنى».
(٢) أذوقها مرفوعة باعتبار «أن» مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن أو ضمير متكلم محذوف وجملة أذوقها خبر ، وانظر «خزانة الأدب» ٣ – ٥٥٠ ط بولاق .
(٣) الحص «بالضم» فى اللغة الورس ، وهو موضع بنواحى حمص ينسب إليه الخمر ، وأورد ياقوت فى ٢–٧٤ ، الأبيات الثلاثة ، وجاء البيت الأخير برواية :

ويروى بخمر الحص لحمى فإننى   أسير لها من بعد ما قد أسوقها

وهذه روايته أيضا فى تاريخ الطبرى ٣–٥٤٩ ط المعارف .

خرج مع سعد ابن أبى وقاص لحرب الأعاجم

فكان سعدٌ يُؤتَى به شارباً فيتهدّدُه فيقول له : لستُ تاركَها إلا لله عزّ وجلّ ؛ فأمّا لِقَولِك فلا . قالوا : فأُتِيَ به يوم القادسيَّة وقد شَرِب الخمرَ ؛ فأَمر به إلى القَيْد ، وكانت بِسَعْد جراحة فلم يَخرُج يومئذ إلى النَّاس ؛ فاستعمل على الخَيْل خالدَ بنَ عُرْفُطَة ، فلما التَقَى الناسُ قال أبو مِحْجَن :

كفى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنَا ... وأُتْرَكَ مَشْدُوداً علىّ وثاقِيَا

وذَكَر الأبيات وسائِرَ خَبَره مثل ماذكره محمد بنُ جرير ، وزاد فيه : فجاءت زَبْراء امرأةُ سَعد — هكذا قال : والصَّحيح أنها سَلْمى — فأخبرت سعداً بخَبَره ؛ فقال سعد : أمَا واللهِ لاأضرب اليَوْم رَجُلاً أبْلَى اللهُ المُسْلمَين على يده ماأبلاهم ، فخَلَّى سبيلَه ؛ فقال أبو مِحْجَن : قد كنتُ أشرَبُها إذ كان الحدُّ يُقام علىّ وأُطَهَّر منها ، فأما إذ بَهْرَجْتَنى[1] فلا واللهِ لاأشرَبُها أبدا . وقال ابنُ الأعرابىّ فى خبره : وقال أبو مِحْجَن فى ذلك :

يقسم على ألا يشرب الخمر بعد أن عفا عنه سعد

إن كانت الخمرُ قد عزّت وقد مُنِعَتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقد أباكِرُها صِرفاً وأمزُجُها ... رِيًّا وأطرب أحيـاناً وأمْتَزِجُ
وقد تَقومُ على رأسى مُنَعَّمـةٌ ... خَوْدٌ إذا رَفَعت فى صَوتها غُنُجُ[2]
تُرَفِّعُ الصّوتَ أحيـاناً وتَخفِضُه ... كما يَطِنُّ ذُبابُ الرَّوضَةِ الهَزِجُ

يرد على امرأة ظنت أنه فر من المعركة

أخبرنى الجوْهَرِىُّ والمُهَلَّبِىّ قالا : حدّثنا عُمَرُ بنُ شَبَّة قال :

لَمّا انصرَف أبو مِحْجَن لِيَعُودَ إلى محبسه رَأتْه امرأة فظنَّتْه مُنْهزما ؛ فأنشأت تُعيِّره بِفراره :

(١) بهرجتنى : أهدرتنى بإسقاط الحد عنى (اللسان) .
(٢) الخود : المرأة الشابة . والغنج : الدلال . وفى س ، ف : « فيها إذا رفعت فى صوتها غنج » .

مَنْ فارسٌ كَرِه الطِّعان يُعيرُنى رُمْحًا إذا نزلوا بِمَرْج الصُّفَّرِ

فقال لها أبو محجن :

إن الكِرامَ على الجِيـــاد مَبِيتُهم فَدَعِى الرِّماحَ لأَهْلِها وتَعطَّرِى

يرثى أبا عبيد بن مسعود بعد أن قتله فيل الأعداء

وذكر السَّرِىّ ، عن شُعَيْب ، عن سيف فى خبَره ، ووافَقَتْه رواية ابنِ الأعرابى عن المُفَضَّل :

أنّ الناس لمّا التَقَوْا مع العجم يوم قَسِّ النَّاطِف ، كان مع الأعْجام فِيلٌ يَكُرُّ عليهم ؛ فلا تَقوم له الخَيْلُ ؛ فقال أبو عُبَيْد بنُ مَسْعود : هل له مَقْتَل ؟ فقيل له : نَعَمْ ؛ خُرْطُومه إلا أنّه لا يُفلِت منه مَنْ ضَرَبه ؛ قال : فأَنا أَهَب نَفسِى لِله ، وكَمَن له حتى إذا أقْبَل وَثَبَ إليه فضَرَب خُرْطُومه بالسَّيْف ؛ فرَمى به ، ثم شَدّ عليه الفيلُ فقَتله ، ثم اسْتَدار فطَحَن الأعاجِمَ وانْهزَمُوا ، فقال أبو مِحْجَن الثَّقفىّ يرثى أبا عُبَيْد :

أَنّى تَسَدَّتْ(١) نحوَنا أمُّ يوسُفٍ ومِنْ دُونِ مَسْرَاها فَيَافٍ مَجاهِلُ

إلى فِتيةٍ بالطَّفِّ نِيلَتْ(٢) سَرَاتُهم وغُـــودِر أفراسٌ لهم ورَوَاحِلُ

وأَضْحَى أبو جَـــبْرٍ خلاءً بيُوتُه وقد كان يَغْشاها الضِّعافُ الأرامِلُ

وأَضْحى بَنُو عمرو لدَى الجِسْر منهمُ إلى جانب الأبْيَات جُودٌ ونائِلُ

وما لُمْتُ نفسِى فيهمُ غَـــيْرَ أنّها لهـــا أجَلٌ لم يأْتِها وهو عاجِلُ

وما رِمتُ حتى خَرّقُوا بسِـلاحهم إهابى وجادَت بالدِّماء الأباجِـل(٣)

(١) تسدت نحونا : جازت .

(٢) ف : « وحلت سراتهم » .

(٣) رمت : فارقت وبرحت . والإهاب : الجلد . والأباجل : جمع أبجل وهو عرق غليظ فى الرجل أو فى اليد بإزاء الأكحل .

وحتى رأيتُ مُهْرَتى مُزْوَئِرَّةً مِنَ النَّبْلِ[1] يَدْمَى نَحْرُها والشَّواكِلُ
وما رُحْتُ حتى كنتُ آخرَ رائحٍ[2] وصُرِّع حولى الصَّالِحُون الأماثِلُ
مَرَرْتُ على الأنصارِ وَسْطَ رِحالِهم فقلتُ : ألا هَلْ منكم اليوم قافِلُ ؟
وقرَّبْتُ رَوَّاحًا وكُوراً ونُمرقًا وغُودِرَ فى أُلَّيس[3] بكرٌ ووائِلُ
ألَا لَعَن اللهُ الذين يَسُرُّهم رَدَاىَ وما يَدْرُون ما اللهُ فاعِلُ

يقسم فى شعر له بأنه لا يشرب الخمر أبدا

قال الأخفش فى روايته ، عن الأحْول ، عن ابن الأعرابىّ ، عن المفضَّل : قال أبو مِحْجَن فى تَرْكه الخَمر :

رأيتُ الخَمرَ صالحةً وفيها مناقبُ تُهلِكُ الرَّجُلَ الحَليما
فلا واللهِ أَشربُها حَياتى ولا أَسقى بها أبداً نَديما

معاوية وابن أبى محجن

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا محمدُ بن سَعْد الكُرانىُّ قال : حدّثنا العُمرىُّ ، عن لَقيط ، عن الهيْثم بن عَدِىّ . وأخبرَنى محمد بن الحَسن بن دُرَيْد قال : حدثنا عبدُ الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عَمِّه ، وأخبرنى إبراهيمُ بن أيوب عن ابن قُتَيبة قالوا :

دخَل ابنُ أبى مِحْجَن على معاوية ، فقال له : أَليسَ أبوكَ الذى يقول :

إذا مِتُّ فادفِنِّى إلى أصل كَرْمَةٍ[4] تُرَوِّى عِظامى بعد مَوتى عُروقُها
ولا تَدْفِنَنِّى بالفَلاة فإنّنى أخافُ إذا ماَمتّ ألاَّ أذوقُها

(١) كذا فى معجم البلدان . ومزوئرة : معرضة ومنحرفة . والشواكل جمع شاكلة وهى الخاصرة . وفى س : «لدى الفيل» بدل «من النبل» . وفى ف : «أرى الفيل» .
(٢) ف : «أول رائح» .
(٣) أليس : الموضع الذى كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس فى أول أرض العراق من ناحية البادية . وفى ف ، ما ، مج : «وغودر فى الأبيات» .
(٤) فى الشعر والشعراء ، وخزانة الأدب : «إلى جنب كرمة» .

فقال ابنُ أبى مِحْجَن : لو شئتَ لذكرتُ ماهو أحسَن من هذا من شعره ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تَسألِى الناسَ عن مالى وكَثْرَتِهِ   وسائِلى الناسَ ما فِعْلى وماخُلُقى[1]
أُعطِى السِّنانَ غداةَ الرَّوْعِ حِصَّته   وعامِلَ الرُّمح أرويه من العَلَقِ[2]
وأطعن الطعنةَ النَّجلاءَ عن عُرُضٍ   وأحفظُ السرَّ فيه ضَرْبةُ العُنقِ
عَفٌّ المَطالب عمّا لستُ نائلَه   وإن ظُلمتُ شديدُ الحِقْدِ والحَنَقِ
وقد أجودُ وما مالى بذِى فَنَعٍ   وقد أَكُرُّ وراء المُحجَرِ البَرِقِ[3]
والقومُ أعلم أنى من سَراتِهِمُ   إذا سَما بَصَرُ الرِّعديدة الشَّفِقِ[4]
قد يُعسِر المرء حينا وهو ذُو كَرَمٍ   وقد يَثوبُ[5] سَوامُ العاجزِ الحَمِقِ
سيَكثُر المالُ يَوماً بعد قِلَّته   ويكتسى العُودُ بعد اليُبس بالوَرَقِ

فقال معاوية : لئن كنا أسأنا لك القول لنُحْسِننّ لك الصَّفَد[6] ، ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدت النِّساء فلتلِد مثلك !

عمر بن الخطاب يحده وجماعة من أصحابه فى شربهم الخمر

أخبرنى الحَسن بنُ علىّ وعيسَى بن الحُسين الورّاق قالا : حدثنا ابن مَهْرويه ، قال : حدّثنى صالح بن عبدالرّحمن الهاشمىّ ، عن العُمرِىّ عن العتبىّ قال : أُتِىَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه بجماعة فيهم أبو مِحْجن الثقفىّ وقد شربوا الخَمْر ، فقال : أشربتم الخَمْر بعد أن حرّمَها الله ورسوله ، فقالوا : ما حرّمها الله ولا رسوله ؛ إنّ الله تعالى يقول :

---

(١) فى الشعر والشعراء :

لا تسألِ الناس : ما مالى وكثرته .'. وسائل القوم : ما حزمى وما خلقى

(٢) عامل الرمح : ما يلى السنان ، والعلق : الدم .

(٣) فى ما ، ف : «وقد أكر وراء المحجر الفرق». والفنع : الكثرة ، والمحجر : المغطى المستور . والبرق : الدهش المتحير حتى لا يطرف .

(٤) فى الشعر والشعراء — ٣٨٨ ط الحلبى والخزانة ٣—٥٥٥ : «إذا تطيش يد الرعديدة الفرق» . والرعديدة : الجبان يرعد عند القتال .

(٥) يثوب : يجتمع . وفى شرح شواهد المغنى — ٣٨ : «وقد يثوب الغنى للعاجز الحمق» .

(٦) الصفد : العطاء .

﴿ ليسَ عَلَى الذينَ آمنُوا وعَمِلوا الصّالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتّقَوْا وآمنوا وعَمِلوا الصالحات﴾[1] ؛ فقال عمر لأصحابه : ما تروْنَ فيهم ؟ فاختلفوا فيهم فبعث إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام فشاوَره ؛ فقال علىّ : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يَستحِلّوا المَيْتة والدّم ولحم الخِنزير ؛ فسكتوا ، فقال عمر لعلىّ : ما ترى فيهم ؟ قال : أرَى إن كانوا شرِبُوها مُستحلّين لها أن يُقتلوا ، وإن كانوا شرِبُوها وهم يُؤمنون أنها حَرامٌ أن يُحَدُّوا ، فسألهم ؛ فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام ، ولكنا قدّرنا أن لنا نجاةً فيما قُلناه ، فجعل يحدُّهم رَجلاً رجلاً ، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبى مِحْجن ؛ فلما جلده أنشأ يقول :

ألم ترَ أنّ الدهرَ يعثُر بالفتى ... ولا يستطيع المَرء صرفَ المَقادرِ
صَبرتُ[2] فلم أجزَع ولم أكُ كائعاً ... لحادثِ دَهْرٍ فى الحُكومة جائرِ
وإنى لذُو صبرٍ وقد مات إخوتى ... ولست عن الصهباء يَوماً بصابرِ
رَماها أميرُ المُؤمنين بحتْفِها ... فخُلاّنُها يبكون حول المَعاصرِ

فلما سمع عمر قوله :

* ولستُ عن الصّهْباء يوماً بصابرِ *

قال : قد أبدَيتَ ما فى نفسك ولأزيدنّك عقوبةً لإصرارك على شُرْب الخَمر ؛ فقال له علىّ عليه السلام : ما ذلك لك ، وما يجوزُ أن تُعاقب رجلا قال لأفعلنّ وهو لم يفعل ، وقد قال الله فى الشعراء : ﴿وأنّهُمْ يقولون مالا يَفعلُون﴾[3] فقال عمر : قد استثنى اللهُ منهم قوماً فقال : ﴿ إلا الذين آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ ﴾[4]. فقال علىّ عليه السلام : أفهؤلاء عندكَ منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشرَبُ العبدُ الخَمرَ حين يشربُها وهو مُؤمنٌ » .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٣ .
(٢) فى ف ، ما : «ضربت» بدل «صبرت» . والكائع : الجبان الهياب .
(٣) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٦ . (٤) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

قبره فى أذربيجان نبتت عليه كرمة

أخبرنا محمد بنُ خَلف بن المَرْزُبان قال : حدّثنا أحمدُ بنُ الهَيْثَمِ بن فِراس قال : حدّثنا العُمَرِىّ ، عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال :

أخبرنى مَنْ مرّ بقبر أبى مِحْجَن الثقفىّ فى نَواحى أذْرَبيجان — أو قال فى نواحى جُرْجان — فرأيتُ قبرَه وقد نَبَتت عليه ثلاثة أُصول كَرْم قد طالت وأثمرت وهى مَعْرُوشة ، وعلى قبره مكتوب : هذا قبر أبى مِحْجَن الثقفىّ ، فوقَفتُ طويلاً أتعَجّب مما اتّفَق له حتى صار كأُمنيّة بَلَغها حيث يقول :

إذا مِتُّ فادْفِنِّى إلى أصلِ كَرْمةٍ ‏ ‏ ‏ تُرَوِّى عِظامى بعــد مَوْتى عُروقُها

صـوت

ألا ياقَـومى لا أرى النَّجْـمَ طالعاً ولا الشّمسَ إلاّ حاجِبِى بيَمِـينِى
مُعزِّيَـتِى خَلْف القفـــــا بعمُودِها فجُلُّ نـكيرى أن أقولَ ذَرِينى
أمـينٌ على أسرارِهنّ وقـد أرَى أ كونُ على الأسرار غيرَ أمـينِ
فلَلموتُ خـيرٌ من حِداجٍ مُوَطَّأٍ مع الظُّعْنِ لا يأتى المحلَّ لحينِ

عَرُوضه من الطّويل ؛ والمُعزِّية : امرَأةٌ تـكون مع الشّيخ الخَرِف تـكْلَؤُه .
وقوله :

أمـــــينٌ على أسرارِهنّ . . .

أى أنّ النّساء صِرْن يتحدّثن بين يَدَىّ بأسرارِ هنّ ، ويَفعلن ما كُنّ قبل ذلك يَرْهبنَنِى فيه ؛ لأنى لا أضُرُّهن . والحِداج والحِدْج : مركب من مَراكب النِّساء .

الشِّعر لزُهَير بنِ جَناب الـكلبىّ ، والغناء لأهل مكة ، ولحنه من خَفيفِ الثّقيل الأول بالوُسْطى عن الهِشامىّ وحَبَش ، وفيه لِحُنين ثانى ثقيل بالوُسْطى .

أخبار زهير بن جناب ونسبه[١]

نسبه

زُهَيرُ بنُ جَنَاب بنِ هُبَل بنِ عبد الله بنِ كِنانة بنِ بكر بنِ عَوْف بن عُذْرة أبن زَيْد اللاتّ بن رُفَيْدَة بنِ ثَوْر بنِ كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلب[٢] بن حُلْوان بنِ عِمْران بن الحَاف بن قُضَاعة .

شاعِرٌ جاهليٌّ ، وهو أحد المُعمَّرِين ، وكان سَيِّدَ بنى كَلْب وقائدَهم فى حروبهم ؛ وكان شُجاعًا مُظفَّراً مَيْمُونَ النَّقِيبة فى غَزواته ، وهو أحَدُ مَنْ مَلّ عمرَه فشَرِب الخَمْر صِرْفًا حتى قَتَلته .

ولم يُوجد شاعرٌ فى الجَاهِليَّة والإسلام وَلَد من الشّعراء أكثر ممَّنْ وَلَدَ زُهَيرٌ ، وسأذكر أسماءهم وشيئاً من شِعرهم بعقِب ذِكْر خَبرِه إن شاء اللهُ تعالى .

سبب غزوه غطفان

قال ابنُ الأعْرَابىّ : كان سَبَبُ غَزْوَة زُهَير بنِ جَناب غَطَفَانَ أنّ بَنِي بَغِيض حين خرجوا من تِهامةَ ساروا بأجْمعهم ، فتعرّضت لهم صُدَاء وهى قبيلة من مَذْحِج ؛ فقاتلوهم وبَنُو بَغيض سائرون بأهْليهم ونِسائهم وأموالهم ، فقاتلوا عن حَرِيمهم فظَهرُوا على صُداء فأوْجَعُوا فيهم وَنَكأُوا[٣] ؛ وعزّت بَنُو بَغيض بذلك وأثْرت وأصابت غَنائمَ ؛ فلمّا رَأوْا ذلك قالوا : أما وَالله لنتّخِذَنّ حَرماً مِثلَ حرَمِ مكةَ لا يُقتَل صَيدُه ، ولا يُعضَد شَجرُه ، ولا يُهاج عائذُه[٤] ، فوَلِيتْ ذلك بَنُو مُرّة بن عوف .

ثمّ كان القائمَ على أمر الحَرَم وبناء حائطه رِياحُ بنُ ظالم ، ففعلوا ذلك وهم

(١) جاءت هذه الترجمة فى الجزء الحادى والعشرين ، وموضعها هنا وفقا لما جاء فى ف وغيرها من المخطوطات الموثوقة .

(٢) ف : «وبرة بن ثعلبة» .

(٣) ما : «ونكوا» . ونكأ العدوّ : جرحه وقتله .

(٤) لايهاج عائذه : لا يفزع من يلجأ إليه ويعتصم به .

على ماء لهم يُقال له بُسٌّ(١) . وبلغ فِعلُهم وما أجمعوا عليه زُهيرَ بنَ جَناب وهو يومئذٍ سيِّدُ بني كَلْب ؛ فقال : والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حيٌّ ، ولا أُخلِّي غطَفانَ تتخذ حَرَماً أبداً .

فنادى فى قَوْمه فاجتمعوا إليه فقام فيهم ، فذكر حالَ غَطَفان وما بلغه عنها ؛ وأنّ أكرمَ مأثُرة يعتقـدُها هو وقَوْمه أن يمنعوهم من ذلك ويحولوا بينهم وبينه ، فأجابوه ، واستمدّ بنى القَيْن من جُشَم(٢) فأَبَوْا أن يَغزُوا معه ، فسار فى قَوْمه حتى غزَا غطَفانَ ؛ فقاتلهم فظَفِر بهم زُهَيْر وأصاب حاجتَه فيهم ، وأخـذ فارساً منهم أسيراً فى حَرَمهم الذى بَنوْه ، فقال لبعض أصحابه : اضرب رقبَته ، فقال : إنّه بَسْلٌ(٣) ، فقال زهير : وأبيك ما بَسْلٌ علىّ بحـرام .

قتل فارسهم الأسير وردّ نساءهم وقال شعرا فى ذلك

ثم قام إليـه فضَرب عُنقَه وعَطَّلَ ذلك الحرَم ؛ ثم مَنَّ على غطفَان وَرَدّ النِّساء واستاق الأموالَ ؛ وقال زُهَيرٌ فى ذلك :

ولم تَصْـبر لَنا غطفَانُ لَمّا ... تلاقَيْنا وأُحرِزَت النِّسـاء
فَلوْلا الفَضْـلُ منّا مارجَعتم ... إلى عـذراء شيمَتُها الحَياء
وكم غادرتُمُ بطَلاً كَمِيًّا(٤) ... لدى الهَيْجاء كان له غَناء
فدُونكم دُيوناً فاطلُبُوهـا ... وأوْتاراً ودُونـكم اللِّقاء
فإنّا حيثُ لا نَخفَى عليـكم ... لُيوثٌ حين يحتَضِرُ اللِّواء(٥)
فَخَلّى بعدَها غطفَانُ بُسًّا ... وما غَطفَانُ والأَرض الفَضَاء !

(١) فى معجم ياقوت ١ — ٦٢٢ ، بسّ : «ماء لغطفان» .
(٢) استمد بنى القين من جشم : طلب منهم المدد .
(٣) بسل : حرام .
(٤) فى ف : «وكم غادرت من بطل كمى» .
(٥) يحتضر : يحضر . وفى مختار الأغانى : «حين يحتصر اللواء» أى حين يسقط .

قد أضحى لحَىّ بنى جَنابٍ ... فضاء الأرضِ والماء الرَّواء(١)
ويصدُق طعنُنَا فى كلّ يوم ... وعِنْد الطّعن يُختَبَر اللِّقاء
نَفينَا نخْوَةَ الأعداء عنّا ... بأرْماحٍ أسِنّتُها ظِماء
ولولا صبرُنا يوم التقيْنا ... لَقِينَا مِثلَ ما لقِيتْ صُدَاء
غَداةَ تعرّضوا لِبنى بغيضٍ ... وصِدْقُ الطّعْن للنّوْكَى(٢) شِفاء
وقد هربَتْ حِذارَ الموتِ قَيْنٌ ... على آثارِ مَنْ ذَهَب العَفاء
وقد كُنّا رَجوْنا أن يُمِدّوا ... فأخْلَفَنا من أُخوتِنا الرَّجاء
وألهَى القَينَ عن نَصر الموالى ... حِلابُ النِّيبِ والمرعى الضَّرَاء(٣)

طعنه ابن زيّابة وظن أنه مات فحمل إلى قومه وعوفى

وقال أبو عَمرو الشَّيبانى : كان أبرهة حين طَلَع نجداً أتاه زُهيرُ بنُ جناب ، فأكرمه أبرهة وفضَّله على مَنْ أتاه من العرب ، ثم أمَّره على ابنى وائل : تغلب وبكر ، فوليَهم حتى(٤) أصابتهم سَنَةٌ شَديدة ، فاشتدّ عليهم ما يَطلبُ منهم زُهير ، فأقام بهم زُهَير فى الجَدْب ، ومنعهم من النُّجْعة حتى يُؤدُّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك . فلما رأى ذلك ابنُ زَيّابة — أحدُ بنى تَيْم الله بن ثعلبة ، وكان رجُلاً فاتِكاً — بَيّت زُهيراً(٥) وكان نائماً فى قُبّة له من أَدَم ، فدَخل فألْفَى زُهَيْرا نائماً ، وكان رجلا عَظِيمَ البَطن ، فاعتَمَد التَّيمِىُّ بالسَّيف على بَطن زُهَيْر حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين الصِّفاق ، وَسلِمت أعفاجُ بطنه(٦) ، وظَنّ التَّيمِىُّ أنّه

(١) الماء الرواء : العذب أو الكثير .
(٢) النوكى جمع أنوك ، وهو الأحمق أو العاجز الجاهل .
(٣) فى مج : «وألهى القين عن محض الموالى» و فى ف : « جلاب النبت» بدل « حلاب النيب » .
والضراء : الشجر الملتف .
(٤) فى ف : « حين أصابتهم » .
(٥) بيت فلانا : أوقع به ليلا دون أن يعلم .
(٦) الصفاق : الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر . والأعفاج : جمع عفج ، وهى معى الإنسان .

قد قتله ، وعلم زُهَير أنه قد سَلِم ، فتخوَّف أن يتحرّك فيُجهز عليه ، فسَكَت. وانصرَفَ ابنُ زَيَّابة إلى قومه ، فقال لهم : قد ـ والله ـ قتلتُ زُهَيرًا و كَفَيْتُكموه ، فسرَّهم ذلك . ولمَّا عَلِم زُهير أنه لم يُقْدِم عليه إلا عن ملأٍ من قَوْمه بكر وتَغلِب — وإنما مع زُهير نَفَر من قومه بمنزلة الشُّرَط — أمَرَ زُهير قومَه فغيَّبوه بين عمودين فى ثيابٍ ثم أتَوُا القومَ فقالوا لهم : إنكم قد فَعلتم بصاحبِنا مافعلتم ، فأْذَنوا لنا فى دَفنه ، ففعلوا . فحملوا زُهَيراً ملْفُوفاً فى عَمُودين والثِّياب عليه ، حتى إذا بَعُدُوا عن القوم أخرجُوه فلفُّوه فى ثيابه ، ثم حفروا حَفِيرَةً وَعَمَّقوا ، ودَفنوا فيها العَمُودَين ، ثم ساروا ومَعَهم زُهَير ، فلمّا بلغ زُهَير أرضَ قَومهِ جمع لِبكْر و تَغْلب الْجمُوع ، وبلغَهم أنَّ زُهَيرا حىٌّ ، فقال ابنُ زَيَّابة :

شعر ابن زيابة فى نبو سيفه عنه

طَعْنةً ما طَعَنتُ فى غَبَش(١) اللَّيـ ... ـل زُهَيرا وقد توافَى الُخصومُ
حين تَجْبِى له المواسِمَ بَكرٌ ... أينَ بَكْر ، وأيْنَ منها الُحلومُ !
خانَنِى السيفُ إذ طَعَنتُ زُهَيْرًا ... وهو سيفٌ مُضلَّل مَشْئُومُ(٢)

غزا بكرا وتغلب وشعره فى ذلك

قال : وجمع زُهَير بَنِى كَلْب ومَن تجمَّع له من شُذَّاذِ العَرَب والقَبائل(٣) ، ومَنْ أطاعه من أَهْل اليمن ، فغزَا بكرا و تَغلِب ابنَىْ وائل ، وهم على ماء يُقالُ له الُحبَىّ(٤) ، وقد كانوا نَذِرُوا(٥) به ، فقاتَلهم قِتالاً شَدِيداً ، ثم انْهزَمت بَكْر وأسْلَمَتْ بنى تَغْلب ، فقاتلت شيئاً من قتال ثم انْهزَمت ، وأُسِرَ كُلَيْب ومُهَلْهِل

(١) فى المختار : « فى غلس الصبح » . وفى الشعر والشعراء –٣٣٩ ط الحلبى : «غبس الليل» ، وكلها بمعنى الظلمة .

(٢) فى الشعر والشعراء — ٣٣٩ : « خاننى الرمح ... وهو رمح ... »

(٣) ف ، المختار : « من شذاذ القبائل » .

(٤) فى ما : « الجبىّ » وفى المختار : « الحنىّ » وكلاهما «تصحيف» ، وحبَىّ : موضع بتهامة .

(٥) نذِروا به : علموا به فحذروه واستعدوا له .

ابنا رَبيعَة ، واستِيقَت الأموالُ ، وقَتَلت كلْبٌ فى تَغلب قَتْلَى كثيرة ، وأسروا جَماعة من فُرْسانِهم ووُجوههم ، وقال زُهَيْر بنُ جناب فى ذلك :

تَبًّا لِتَغْلبَ أنْ تُساقَ نِساؤُهم   سَوْقَ الإماء إلى المواسِم عُطَّلا[١]
لحقتْ أوائلُ خيلِنا سَرَعانَهم[٢]   حتى أسَرْنَ على الُحبَيّ مُهَلْهِلا
إنَّا — مُهَلْهِلُ — ما تَطِيشُ رِماحُنا   أيام تَنْقُفُ[٣] فى يديْك الحَنْظَلا
وَلَّت حُماتُك هاربين من الوَغَى   وَبَقِيتَ فى حَلَق الحديد مُكَبَّلا
فلئن قُهِرْتَ لقد أسرتُك عَنْوةً   ولئن قُتِلْتَ لقد تَكُون مُؤَمَّلا[٤]

وقال أيضاً يُعيِّر بَنِى تَغْلِب بهذه الوقعة فى قَصيدة أوّلها :

حىِّ داراً تَغَيَّرت بالجَنابِ   أقْفَرَتْ من كواعبٍ أتْرابِ

يقولُ فيها :

أينَ أينَ الفِرارُ من حذَر المَوْ   ت وإذ يَتَّقُون بالأسلابِ !
إذْ أسرنَا مُهَلْهِلًا وأخَاهُ   وابنَ عَمْرٍو فى القِدِّ وابنَ شهابِ
وسَبَيْنَا من تَغْلبٍ كلَّ بَيْضا   ءَ رَقُودِ الضُّحَى بَرُودِ الرُّضابِ
يَوْمَ يدعُو مُهَلْهِلٌ يالَبَكْرٍ   ها أهَذِى حفيظَةُ الأحسابِ[٥] !
وَيْحَكم وَيْحَكم أُبِيح حِماكُم   يابنى تغلبٍ أمَا من ضِرابِ !
وهُمُ هاربُون فى كلِّ فجٍّ   كشَرِيدِ النَّعام فوقَ الرَّوابِى

(١) ف ، ما : «إذ تساق» . وعطل : بدون حلى .
(٢) سرعان الخيل : أوائلها .
(٣) ف ، المختار : «ينبت فى يديك» . وتنقف الحنظل : تشقه .
(٤) س ، ف : «مرملا» ، والمرمل : الملطخ بالدم .
(٥) فى المختار : «ويحكم فى حفيظة الأحساب» . وفى ف : «أين حامى حفيظة الأحساب» .

واستدارت رَحَى المَنَايَا عليهم ... بِلُيوثٍ من عامرٍ وجَنَابِ
طَحَنَتْهم أرحاؤُها[١] بطَحونٍ ... ذاتِ ظُفْرٍ حديدَةِ الأنيابِ
فهُمُ بَيْنَ هاربٍ ليس يأْلو ... وقَتِيلٍ مُعَفَّرٍ فى التُّرابِ
فضَـلَ العِـزُّ عِزُّنا حين نَسْمُو ... مِثْلَ فَضْلِ السَّماء فَوْقَ السَّحابِ

أخبرنى محمد بنُ الحَسَن بن دُرَيد، قال: حدّثنا عمِّى، عن ابن الـكَلْبىّ، عن أبيه قال:

وفد مع أخيه حارثة على أحد ملوك غسان

وَفَدَ زُهَير بن جَنَاب وأَخُوه حارِثة على بَعْض ملوك غَسَّان، فلما دَخَلا عليه[٢] حدّثاه وأنْشَداه، فأعجِب بهما ونادَمَهما، فقال يَوْماً لهما: إن أُمِّى عليلةٌ شديدَةُ العِلّة، وقد أعيانى دَوَاؤُها، فهل تعْرِفان لها دَوَاء؟ فقال حارِثةُ: كُمَيْرَة حارَّة — وكانت فيه لُوثَة — فقال الملك: أىّ شىء قُلْت؟ فقال له زُهَير: كُمَيْئَة حارّة تُطعِمُها، فوَثَب الملك — وقد فهم الأولى والآخِرَةَ — يُرِيهما أنه يأْمُر بإصلاح الـكَمْأة لها، وحلُم عن مَقَالة حارثة. وقال حارثة لزُهير: يا زُهير اقْلِبْ ما شِئْت ينقَلِب، فأرسلها مَثَلًا.

أخبرنى عمِّى قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال: حَدّثنى أحمدُ بن الغَيْث الباهلىّ عن أبيه قال:

ذهب عقله آخر عمره فكان يخرج فيرده أحد ولده

كان من حديث زُهيرِ بنِ جَناب الـكلبىّ أنه كان قد بلغ عُمراً طويلا حتى ذهب عقلُه، وكان يَخْرُج تائِهاً لا يَدْرى أين يَذْهب، فتلحَقُه المرأةُ من أهله والصَّبِىّ، فتردّه وتقول له: إنى أخاف عليك الذِّئب أن يأكلك، فأين تَذْهب؟ فذَهب يوماً من أيّامه، ولحقته ابنةٌ له فردّته، فرجع معها وهو يَهْدِج كأنه رَأْلٌ[٣]، وراحَت عليهم سماءٌ فى الصيف

(١) فى المختار: «رحاؤها»، والطحون: الحرب.
(٢) ف: «دخلا إليه».
(٣) الرأل: ولد النعام.

فعلتهم منها بَغْشَةٌ[١] ثم أردَفَها غَيْث ، فنظر وسمع له الشَّيخُ زَجَلا مُنْكراً . فقال : ما هذا يا بُنَيَّة ؟ فقالت:عارضٌ هائلٌ إن أصابَنا دُونَ أهلِنا هلَكنا ، فقال : انعَتيه لى ، فقالت : أراه مُنبَطحاً مُسْلَنْطِحًا[٢]، قدضاق ذَرْعاً وركب رَدْعًا[٣]، ذا هَيْدَبٍ[٤] يطير، وهَماهِمٍ[٥]وزَفير ، يَنْهض نَهْضَ الطير الكسير ، عليه مِثْل شَبارِيق[٦] السَّاج ، فى ظُلْمَةِ اللَّيْل الدّاج ، يتضاحك مِثْل شُعَل النيران ، تَهرب منهُ الطير، وتُوائِل[٧]منه الحَشَرةُ . قال : أىْ بُنَيّة ، وائِلِى منه إلى عِصْرٍ[٨] قبل أن لا عَيْنَ ولا أثَر .

أخبرنى محمدُ بنُ القاسم الأنبارىّ قال : حدّثنى أبى قال : حدّثنى أحمدُ بنُ عبيد، عن ابن الكلبىّ ، عن أبيه ، عن مَشْيخة من الكلبيّين قالوا :

كان يدعى الكاهن لصحة رأيه

عاش زُهَيْر بنُ جَناب بنِ هُبَل بنِ عَبدِ الله خَمْسين ومِائَتى سنة أُوقع فيها مِائَتى وَقْعة فى العرب ، ولم تَجْتَمِع قُضَاعةُ إلا عليه وعلى حُنٍّ بنِ زَيْد العُذْرىّ ، ولم يكُن فى اليَمَن أشْجَع ولا أخْطَب ولا أوجَه عند المُلُوك من زُهَيْر . وكان يُدْعَى الكاهن ، لِصِحَّة رَأْيه .

قال هِشام : ذَكَر حَمّاد الرّاوِية أنّ زُهَيْرًا عاش أرْبعمِائة وخَمْسين سنة ، قال :

---

(١) البَغْشَة : المطرة الضعيفة .

(٢) ف : «أراه مسطحا مسلنطحا متبطحا» . والمسلنطح : الواقع على وجهه .

(٣) ركب ردعا : سقط وكأنه وقع على عنقه .

(٤) الهيدب : السحاب الدانى .

(٥) الهاهم : جمع همهمة ، وهى ترديد الزفير .

(٦) الشباريق : القطع .

(٧) توائل منه : تطلب النجاة .

(٨) عِصْر – بكسر أوله وسكون ثانيه – ورواه بعضهم بالتحريك ، والأول أشهر وأكثر : هو كل ما يتحصن به .

عمّر حتى ملّ عمره، وشعره فى ذلك

وقال الشَّرقىُّ بنُ القُطَامىّ : عَاشَ زُهَيْر أربعَمائة سنة ، فرأته ابنَةٌ له فقالت لابْنِ ابنها : خُذْ بيدِ جَدّك ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : فُلَانُ بن فُلانِ بنِ فُلانة ، فأنشأ يقول :

أبَنِىَّ إنْ أهلِكْ فقد … أورثْتكُمْ مَجْداً بَنِيَّهْ
وتركْتُكُم أبناءَ سا … داتٍ زِنادُكم وَرِيَّهْ(١)
ولِكُلُّ ما نالَ الفتَى … قد نِلْتُهُ إلا التَّحِيَّهْ(٢)
والموتُ خيرٌ لِلفتَى … فَلْيَهْلِكَنْ وبه بَقِيَّهْ
مِن أنْ يُرَى الشَّيْخَ البَجا … لَ وَقَدْ تَهادَى بالعَشِيَّهْ(٣)
ولقد شَهِدتُ النَّارَ للأَسْ … لافِ تُوقَدُ فى طَمِيَّهْ(٤)
ولقد رَحَلْتُ البازِلَ الـ … كَوْماءَ ليس لها وَلِيَّهْ(٥)
وخَطَبتُ خُطْبَةَ ماجِدٍ(٦) … غيرِ الضَّعيف ولا العَيِيَّهْ
ولقد غَدوتُ بمُشرِفِ الـ … قُطْرين لم يَغمِزْ شَظِيَّهْ(٧)
فأصبتُ من بَقَرِ الجِنا … بِ ضُحًى ومن حُمُرِ القَفِيَّهْ(٨)

---

(١) فى أمالى المرتضى ١ : ٢٤٠ : « وتركتكم أرباب سادات » . زنادكم ورية : كنى بذلك عن بلوغ مأربهم.

(٢) التحية : الملك أو البقاء .

(٣) البجال : الذى يبجله قومه . وفى الشعر والشعراء : « من أن يُرى الشيخ الكبير » .

(٤) فى معجم ياقوت: طمية : جبل فى طريق مكة ، وروى البيت فيه :

ولقد شهدت النار بالأنفار توقد فى طميّهْ

(٥) البازل : الناقة انشق نابها بدخولها فى السنة التاسعة ، والكوماء : الضخمة السنام . والولية: كل ما ولى ظهر البعير من كساء أو غيره .

(٦) فى أمالى المرتضى : « وخطبت خطبة حازم » .

(٧) مشرف القطرين : مرتفع الجانبين . وغمزت الدابة : مالت من رجلها أى ظلعت ، والشظية : عظم الساق .

(٨) القفية : الناحية .

قال ابنُ الكلبيّ : وقال زُهَيرْ في كِبَرِه أيضاً :

ألا يالقَوْمِي لا أرى النَّجمَ طالِعاً ولا الشَّمسَ إلا حاجِبِي بيَمِيني
مُعَزِّبتِي عند القَفا بعَمودِها فأَقْصَى نَكِيرِى أن أقول ذَرِينِى (١)
أَمِينٌ على أسرارهنّ وقد أرَى (٢) أكُونُ على الأسرارِ غيرَ أمينِ
فلَلْموتُ خَيرٌ من حِداجٍ مُوَطَّإٍ على الظُّعْنِ لا يأتى المَحلَّ لِحينِ

قال : وقال زُهَير أيضاً في كِبره :

إن تُنْسِنِى الأيامُ إلا جلالةً أمُتْ حين لا تأسَى علىَّ العوائدُ
فيَأذَى بِيَ الأدنى ويَشْمَتَ بى العِدَا ويأمنَ كَيْدِى الكاشِحُون الأباعدُ

قال : وقال زُهَير أيضاً :

لقد عُمِّرتُ حتى لا أُبالِى أحَتْفِي فى صَباحِى أم مَسائى
وحُقَّ لمن أتتْ مِائتان عاماً عليه أنْ يَمَلَّ من الثَّوَاءِ
شَهِدتُ المُوقِدينَ على خَزَازَى وبالسُّلَّانِ جَمْعاً ذا زُهاءِ (٣)
ونادمتُ المُلوكَ مِنَ آلِ عَمْرٍو وبعدَهُمُ بنى ماءِ السماءِ

خالفه ابن أخيه عبد الله بن عليم فشرب الخمر حتى مات

قال ابنُ الكلبيّ : وكان زُهَير إذا قال : ألاَ إن الحيَّ ظاعن ، ظَعَنت قُضاعة ؛ وإذا قال : ألاَ إن الحيَّ مُقِيم ، نَزَلوا وأقاموا . فلمّا أن أسَنّ نصبَ ابنَ أخيه عبد الله ابنَ عُلَيم للرِّياسة فى كَلْب ، وطَمِع أن يكون كعَمِّه وتَجتَمِع قُضاعةُ كلُّها عليه، فقال

(١) المعزِّبة : امرأة الرجل ، والقفا : موضع .
(٢) فى أمالى المرتضى : «وأمينا على سر النساء وربما» .
(٣) فى معجم البلدان : خزازى : جبل . وفى ف : حوازى (تحريف) ، والسلان : الأودية . وكانت عندهما وقائع . وقوم ذو زهاء : ذو عدد كثير . وفى المعمرين — ٢٧ : «شهدت المحصأين على خزاز» .

زُهَيْر يوماً : ألاَ إنَّ الحىَّ ظاعن ، فقال عَبْدُ الله : ألاَ إنَّ الحىَّ مُقِيم ، فقال زُهَير : ألا إنَّ الحىَّ مُقيم ، فقال عبد الله : ألاَ إنَّ الحىَّ ظاعن ، فقال زُهير : مَنْ هذا المُخالف علىَّ منذ اليَوْم ؟ فقالوا : ابنُ أخيك عبدُ الله بنُ عُلَيم ، فقال : أعدى الناسِ للمرء ابنُ أخيه إلّا أنَّهُ لا يدَعُ قاتِلَ عَمِّه أو يقتُلَه . ثم أنشأ يقول :

وكَيْفَ بِمَنْ لا أستَطِيعُ فِراقَه ... ومَنْ هوإنْ لم تجْمَعِ الدّارُ آلِفُ !
أميرُ شِقاقٍ إنْ أُقِم لا يُقِم مَعِي ... ويَرْحَلْ، وإنْ أرحَلْ يقِم ويخالِفُ(١)

ثم شَرِب الخمرَ صِرْفاً حَتَّى مات .

قال : ومِمّن شَرِب الخمْرَ صرْفاً حتى ماتَ عَمْرو بنُ كُلْثُوم التغْلبِىّ ، وأبو بَراء عامِرُ بن مالك مُلاعِبُ الأسِنّة .

قال هِشام (٢) : عاشَ هُبَلَ بنُ عبد الله جَدُّ زُهَـيْر بن جَناب سِتَّمائة سنة وسَبْعِين ، وهو القائل :

يارُبَّ يَومٍ قد غَنِى فيه هُبَـلْ ... له نَوالٌ ودُرُورٌ وجَـــذَلْ(٣)
* كأنَّه فى العِزِّ عَوْفٌ أو حَجَلْ *

قال : عَوْف وحَجَل : قَبِيلَتان من كَلْب .

كان نازلا مع الجلاح بن عوف فأنذرته أخته فخالفه الجلاح فرحل هو وقال شعرا

وقال أبو عَمْرو الشَّيْبانى : كان الُجلاحُ بن عَوْف السَّحْمىُّ قد وَطَّأ لزُهَـيْر بن جَناب وأنزله معـه ، فلم يزل فى جَناحِه حتى كَثُر مالُه وولَدُه ، وكانت أُختُ زُهَـيْر مُتزَوَّجة فى بنى القَيْن بن جَسْر ، فجاء رَسولُها إلى زُهَـيْر ومعه بُرْد فيه صِرارُ رَمْل وشَوكةُ قَتاد ،

(١) ف : « أمين شقاء .... » .
(٢) ف : « هاشم » .
(٣) الدرور : الكثرة . والجذل : الفرح . وفى ف : « ودروه » ، وهو التلألؤ .

فقال زهير لأصحابه : أتتكمُ شَوكةٌ شَديدة ، وعددٌ كَثِير فاحتَمِلوا ، فقال له الُجلاحُ : أنحتَمِلُ لقَوْلِ امرأة ! واللهِ لا نفعَل ، فقال زُهَير :

أمَّا الجُلاحُ فإنَّنى فارقْتُـــه … لا عن قِلًى ولقد نَشِطٌ بنا النَّوَى
فَلَئِن ظَعَنْتَ لأُصبِحَنَّ مُخيِّماً[1] … ولَئِنْ أقمتَ لأظعَنَنَّ على هَوَى

قال : فأقام الجُلاح ، وظَعَن زُهَير ، وصَبَّحهم الجيش فقَتَل عامَّة قوم الجُلاح وذَهَبوا بماله .

قال : واسم الجُلاح عامرُ بنُ عَوْف بنِ بَكْر بنِ عَوْف بنِ عامر بنِ عَوْف ابنِ عُذْرَة .

اجتمع مع عشيرته فقصده الجيش فهزمهم وقتل رئيساً منهم

ومَضى زُهَـيْر لوَجْهه حتى اجْتَمَع مع عَشِيرته من بنى جَنَاب ، وبَلَغ الجيشَ خَبرُه فقَصَدوه ، فحارَبهم وثَبَت لهم فهزمهم وقَتَل رَئيساً منهم ، فانصَرفُوا عنه خائبين ، فقال زُهَـيْر :

أمِن آلِ سَلمى ذا الخيالُ المُؤَرِّقُ … وقد يَمِقُ[2] الطيفَ الغَريبُ المُشوَّقُ
وأنَّى اهْتَدَت سَلمَى لِوَجْهِ محلِّنا … وما دونَها من مَهْمَه الأرض يَخفِقُ
فلم تَرَ إلا هاجعاً عند حُرَّةٍ … على ظهرها كُورٌ عَتيقٌ ونُمْرُقُ[3]
ولـمَّا رَأتْنى والطَّلِيحَ تَبَسَّمَتْ … كما انهلَّ أعلَى عارضٍ يتألَّقُ
فحُيِّيتِ عنَّا زَوِّدينا تحيَّـةً … لعلَّ بها العانِى من الكَبْل يُطْلَقُ
فردَّت سَلاماً ثم وَلَّت بحاجَةٍ … ونحن لعَمْرِى يابنَةَ الخَيْرِ أشْوَقُ[4]

---

(١) مخيما : مقيما .
(٢) يمق : يحب .
(٣) الكور : الرحل . والنمرق : الوسادة الصغيرة .
(٤) فى د : « ... ثم ولت لحاجة ... » .

فياطِيبَ ما رَيّا[1] ويا حُسْنَ مَنْظَرٍ ... لَهَوْتُ به لو أنَّ رُؤْياكِ تَصْدُقُ
ويومَ أُثالَى قد عرفتُ رُسومَها ... فعُجْنا إليها والدُّموعُ تَرَقْرَقُ
وكادت تُبِينُ القَولَ لَمّا سألتُها ... وتُخْبِرُنى لو كانت الدارُ تَنطقُ
فيادارَ سَلْمَى هِجْتِ للعين عَــبْرةً ... فماءُ الهوى يرفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ[2]

وقال زهير فى هذه القصيدة يَذْكُر خِلافَ الجُلاح عليه :

أيا قَوْمَنا إن تَقْبَلُوا الحقَّ فانتَهوا ... وإلا فأنيابٌ من الحرب تَحْرُقُ[3]
فجاءوا إلى رَجْراجَةٍ مُكْفَهِرَّةٍ ... يكاد المديرُ نحوَها الطَّرْفَ يَصْعَقُ[4]
سُيوفٌ وأرماحٌ بأيدى أعزَّةٍ ... ومَوْضُونةٌ مِمَّا أفاد مُحَرِّقُ[5]
فما بَرِحُوا حتى تَرَكْنا رئيسَهم ... وقد مار فيه المَضْرَحِيُّ المُذَلَّقُ[6]
وكائنْ ترَى من ماجِدٍ وابْنِ مَاجِدٍ ... له طَعْنةٌ نجلاءُ للوَجْه يَشْهَقُ

وقال زُهَيْر فى ذلك أيضاً :

سائِلْ أُمَيْمَةَ عنِّى هل وَفَيْتُ لها ... أم هل مَنَعْتُ من المَخْزاة جيرانَا
لا يَمْنَع الضَّيفَ إلا ماجِدٌ بطَلٌ ... إنَّ الكريمَ كريمٌ أينَما كانَا[7]
لَمّا أَبَى جِيرَتِى إلا مُصَمِّمَةً ... تَكْسُو الوُجوهَ من المَخْزاة ألوانَا

---

(١) فى ف : « فياطيب مثوانا » .
(٢) فى ف : « يتدفق » . وجاء فى ف : «وقال مؤلف هذا الكتاب : أخذ ذو الرمة هذا البيت كله فقال :
أداراً بحزوى هجت للعين عبرة ... فماء الهوى يرفض أو يترقرق
(٣) تحرُق : تحتك شدة وغيظا فيسمع لها صوت .
(٤) كتيبة رجراجة : تموج من كثرتها . وفى ف : «يكاد المُرَنِّى» بدل «يكاد المدير» .
(٥) الموضونة : الدرع المنسوجة أو المقاربة النسج .
(٦) المضرحى : النسر ، والمُذَلَّق : المحدد الطرف . وفى ر : « وقد حار فيه المضرحىّ » .
(٧) ف : « حيثما كانا » .

مِلْنا عليهم بوِرْد لا كِفاء له يَفْلِقْن بالبِيضِ تحت النَّقْع أبْدَانَا
إذا ارجَحَنُّوا علَوْنا هامَهم قُدُماً كأنّما نَختَلِى بالهامِ خُطْبانَا[1]
كم من كريم هوَى للوَجْه مُنعفِراً قد اكْتَسَى ثوبُه فى النَّقْع ألوانَا
ومِنْ عَميدٍ تَناهَى بعد عثْرته تَبدُو ندَامتُه للقَوْم خَزيانَا

كل أولاده شعراء وهذه نماذج من شعرهم

وأمّا الشعراء من ولد زهير :

فنهم مَصادُ بنُ أسعد بنِ جُنادة بنِ صَهْبان بنِ امرِئ القَيْس بنِ زُهَيْر بنِ جَناب ، وهو القائلُ :

تمنَّيْتَ أن تَلقَى لِقاحَ ابنِ مُحْرِزٍ وقبلك شامتها العُيونُ النّواظرُ
مُمَنَّحةً فى الأقربين مُناخَةً وللضّيف فيها والصَّديق مَعاقِرُ[2]
فهلّا بَنِى عَيْناء عاينتَ جَمْعَهمْ بحالة[3] إذ سُدَّت عليك المَصادرُ

— ومنهم حُرَيْثُ بنُ عامر بنِ الحارث بن امرئ القَيْس بن زُهَيْر بن جناب ، وهو القائل :

أرى قَوْمى بنى قَطَنٍ أرادُوا بألاّ يتركوا بِيَدىَّ مالاَ
فإن لم أجزِهم غَيظًا بغَيْظٍ وأُورِدْهُم على عَجَلٍ شِلالاَ[4]
فَلَيْتَ التَّغْلَبِيّـة لم تَلِدْنى ولا أغْنَتْ بما ولدت قِبالا[5]

— ومنهم الحَزَنبَل بنُ سَلامة بنِ زُهَيْر بن أسْعد بن صَهْبان بنِ امرِئ القَيْس ابن زُهَيْر بن جَناب ، وهو القائل :

(١) ارجحنوا : مالوا ووقعوا . تختلى : تقطع . الخطبان : نبت ، أو الخضر من ورق السمر .
(٢) س : «ممنحة فى الأمر بين مباحة» وفى ف : «ممنحة فى الأقربين مباحة» .
(٣) حالة : موضع . وفى ، ر : «بحالك» . (٤) شلالا : متفرقين .
(٥) ف : «ولا غنيت» . وقبالا ، أى بما يقبل .

عَبِثَت بمُنْخَرِق القَمِيص كأنّه وَضَحُ الهِلال على الخُمُور مُعذَّلِ
ياسَلْمَ وَيحكِ والخليل مُعاتبٌ أزْمَعْتِ أن تَصِلِى سِواى وتبْخَلِى
لمَّا رأيتِ بعــــارِضَىَّ ولِمّتى غيرَ المَشِيب على الشباب المُبْدَلِ [١]
صَرَمْتِ حَبْل فتًى يهَشُّ إلى النّدى لو تَطْلُبين نداه لم يَتَعلَّلِ
إنا لَنَصْبر عند مُعتَرَك الوغَى ونَبُذُّ مكرُمَةَ الكريم المُفْضِلِ [٢]

— ومنهم غُرَيرُ بن أبى جابر بن زُهَيْر بن جناب ، وهو القائل :

أبلِغ أبَا عَمْرٍو وأنْــ تَ علىَّ ذُو النِّعَم الجَزِيلَهْ
أنَّا مَنَعْنَا أنْ تَذِلَّ بلادُكُمْ وَبنو جَدِيلَهْ
وطرقتُهم لَيــلًا أُخَــ بِّرهم بهم ومعِى وَصِيلَهْ [٣]
فصدَقْتُهم خَــبَرِى فَطَا رُوا فى بِلادِهِم الطَّوِيلَهْ

— ومنهم عرفجةُ بنُ جُنادَة بن أُبىّ بن النُّعمان [٤] بن زُهَير بن جَناب ، وهو القائل:

عفا أَبرقُ العَزَّاف من أمّ جابرٍ فمُنْعَرَجُ الوادى عفا فَحَفِيرُ
فرَوْضُ ثُوَيْرٍ عن يمين رَوِيَّةٍ كأن لَمْ تَرَبَّعْه أوانِسُ حُورُ [٥]
رِقاقُ الثَّنَايا والوُجوه ، كأنها ظِباءُ الفلا [٦] فى لَحْظِهن فتُورُ

— ومنهم المُسَيَّب بنُ رِفْل [٧] بنِ حارِثة بنِ جَناب بنِ قَيْس بنِ آمرئ القَيْسِ ابنِ أبى جابر بنِ زُهَير بنِ جَناب ، وهو القائل :

(١) س ، ر ، : «غير الشباب على المشيب المبدل» .
(٢) ف : «الأفضل» . (٣) وصيلة : رفقة أو سيف .
(٤) س ، ف : « بن أبى النعمان » .
(٥) أبرق العزاف ، وثوير ، وروية : مياه فى بلاد العرب . وحفير : موضع بين مكة والمدينة .
(٦) ف : « ظباء الملا » .
(٧) ف : « المسيب بن زفر » وجاء فى المعمرين — ٢٩ ط ليدن : « المسيب بن الرفل الزهيرى من ولد زهير بن جناب » .

قَتَلْنا يَزِيدَ بن المُهَلَّب بعد ما   تَمَنَّيتُمُ أن يَغلِبَ الحَقَّ باطِلُهْ
وما كان منكم فى العِراقِ مُنافِقٌ   عن الدِّين إلا من قُضاعة قاتِلُه
تَجلَّله قَحْلٌ بأَبْيضَ صارِمٍ   حُسامٍ جَلَا عن شفرَتَيْهِ صَياقِلُهْ[1]

يَعْنِى بالقَحْل ابنَ عَيَّاش بن شَمِر بن أَبِى شَرَاحِيل بنِ غُرَيْر بن أبى جابر بنِ زُهَيْر ابن جَناب ، وهو الذى قَتل يَزِيد بن المُهَلَّب .

ومن بنى زُهَيْر شُعَراء كثير ، ذَكرتُ منهم الفُحول دُونَ غَيْرِهم .

(١) ف ، س : « تجلله فحل » .

صـوت

تَدَّعى الشوقَ إن نَأَتْ وتَجَنَّى إذا دَنَتْ
مرَّنى لو صَبَرتُ عَنـ ـها فتُجزَى بما جَنَتْ
إنَّ سَلْمَى لو اتَّقَتْ رَبَّها فِيَّ أَنْجَزَتْ
زَرَعت فى الحَشَا الهوَى وسَقَتْه حتى نبَتْ[(١)]

الشِّعر لمُسْلِم بنِ الوَليد ، والغِناء لعَريب خَفِيف ثَقِيل . وقيل : إنه لأبى العبيس ابن حَمْدون . وذكر الهشامىّ أنّ لإسحاق فى : إنّ سَلْمَى . . . وما بعده لَحْناً من الثَّقيل الأول بالبِنْصَر .

(١) الأبيات فى شرح الديوان ـــ ٣٠٨ ط دار المعارف . وبعد البيت الأول :
واعدتنا وأخلفت فأساءت وأحسنت

نسب مسلم بن الوليد وأخباره(١)

نسبه

كان يلقب صريع الغوانى

وهو مُسلِم بنُ الوَليد ، أبوه الوَليد مَولَى الأنصار ثم مَولَى أَبى أُمامة أسعَد بن زُرَارة الخَزْرَجىّ . يُلَقَّب صريعَ الغَوانى ، شاعر مُتقدم من شُعَراء الدَّولة العَبَّاسيّة ، مَنْشؤه ومولده الكوفَة . وهو — فيما زعموا — أَوَّل من قال الشِّعر المعروف بالبَديع ، هو لَقَّب هذا الجِنسَ البَديعَ واللَّطيفَ(٢) . وتَبِعَه فيه جماعة ، وأَشْهَرُهم فيه أَبُو تَمَّام الطائىّ فإنه جعل شِعرَه كُلَّه مَذْهباً واحداً فيه . ومُسْلِم كان مُتَفَنِّناً مُتصَرِّفا فى شعره .

أَخبرنى علىُّ بنُ سُلَيمانِ الأخفش قال : قال أَبو العَبَّاس محمد بنُ يَزِيد :

كان مُسلِم شاعراً حَسَن النَّمط ، جَيِّد القَوْل فى الشراب(٣) ، وكثيرٌ من الرُّواة يَقْرِنه بأَبِى نُوَاس فِى هذا المعنى . وهو أَوّلُ مَنْ عقد هذه المعانى الظَّرِيفة واستخرجها .

اتهم بأنه أول من أفسد الشعر

حَدَّثنا أحمَدُ بنُ عُبَيْد الله بنِ عَمّار قال : حَدَّثنا محمدُ بنُ القاسِمِ بنِ مَهْرُويه قال : سَمِعتُ أَبى يقول : أولُ من أفْسد الشِّعر مُسلِمُ بنُ الوَليدِ ، جاء بهذا الذى سَمَّاه النَّاس البَدِيع ، ثم جاء الطائىّ بعده فتَفَنَّن فيه(٤) .

أَخبَرَنى إبراهيمُ بنُ أَيُّوب عن عبدِ اللهِ بنِ مُسْلِم الدِّينَوَرِىّ قال :

كان منقطعا إلى يزيد بن يزيد

كان مُسْلِمُ بنُ الوَلِيد وأَخُوه سُلَيمان مُنْقَطِعَين إلى يَزِيد بن مَزْيَد ومحمد بن مَنْصُور ابن زِياد ، ثم الفَضْل بنِ سَهْلٍ بعد ذلك . وَقَلَّدَ الفَضْلُ مُسْلِماً المَظالِمَ بجُرْجان فمات بها .

---

(١) سقطت هذه الترجمة من طبعة بولاق ، وموضعها هنا كما جاءت فى نسخة ف وغيرها من النسخ الخطية الموثوقة .

(٢) فى ى : « فجنس البديع ، وتبعه ... » . وفى مج : «وهو لقب الجنس البديع وتبعه ... »

(٣) فى ى ، مج : « جيد الغزل فى الشراب » .

(٤) فى ما : «فجن فيه فتحير الناس » . وفى ف : «ثم جاء الطائى بعده فتحير الناس فيه » .

أخبرنى علىُّ بنُ سُليمان قال : حدّثنا محمدُ بنُ يَزيد قال :

كان السببُ فى قَوْلِ مُسْلِم :

تَدّعِي الشوقَ إن نأَتْ وتَجنَّى إذا دَنَتْ

غازل جارية منزلها فى مهب الشمال من منزله ، ولم يكن يهواها

أنّهُ عَلِقَ جاريةً ذاتَ ذِكْرٍ وَشَرَف[1] ، وكان مَنزِلُها فى مَهَبِّ الشَّمَال من مَنْزِله ، وفى ذلك يقول :

صوت

أُحِبُّ الرِّيحَ ماهَبَّتْ شَمالا وأَحسُدُها إذا هبّتْ جَنُوبا
أَهابُكِ أن أبوحَ بذاتِ نَفْسى وأفرَقُ إنْ سَأَلْتُكِ أن أخيبا
وأهجُر صاحِبى حُبَّ التَّجَنِّى عليه إذا تَجَنَّيْتِ الذُّنوبا[2]
كأنّى حين أُغضِى عن سِوا كمْ أخافُ لكم على عَيْنِى رَقِيبا

غَنَّى عبدالله بنُ العَبّاس الرّبيعى فى هذه الأبيات هزجًا بالبِنْصر عن الهِشامىّ .

كان يحب جاريته محبة شديدة

قال : وكانت له جارِيةٌ يُرْسِلها إليها ويَبُثُّها سِرَّه ، وتعودُ إليه بأَخبارها ورسائِلِها ؛ فطال ذلك بينهما ؛ حتى أَحبَّتها الجارِيةُ التى عَلِقها مُسْلِم ومالت إليها ، وكلتاهما فى نهايةِ الحُسْن والكمال .

وكان مُسلم يُحِبُّ جاريتَه هذه مَحَبَّة شديدة ، ولم يكن يَهْوَى تلك ، إنما كان يُرِيد الغَزَل والمُجُون والمُراسلة ، وأن يَشيع له حَدِيثٌ[3] بِهواها ، وكان يَرَى ذلك من

(١) فى ما : «ذات خطر وشرف» .
(٢) فى الديوان – ٢٧٤ ط المعارف : «وإن تجنبت» .
(٣) فى ى : «وأن يسمع له حديث ...» الخ .

المَلاحة والظَّرف والأدب ، فلما رأى مَودَّة تلك لجاريته هَجَر جاريَته مُظْهِراً لذلك ، وقطعها عن الذَّهاب إلى تلك ، وذلك قولُه :

وأهْجُر صاحِبِى حُبَّ التَّجنِّى عليه إذا تجنَّيْت الذُّنُوبا

وراسَلَها مع غيرِ جاريتِه الأولى ، وذلك قوله :

تَدَّعى الشوقَ إنْ نأتْ وتجنَّى إذا دنتْ
واعدتنا وأخلفتْ ثم ساءتْ فأحسنتْ[(1)]
سرَّنى لو صبرتُ عنها فتُجْزَى بما جنتْ
[(2)]إنَّ سَلْمَى لو اتَّقت ربَّها فىَّ أنجزَتْ
زرعت فى الحشا الهوى وسقتْهُ حتى نَبَتْ[(2)]

أخبرنى الحُسَيْن بنُ يَحْيَى ومحمدُ بنُ يَزِيد قالا : حدَّثنا حَمَّادُ بنُ إسحاق عن أبيه قال :

لقى أبا نواس فعاب كل منهما شعر الآخر فتشاغبا وتسابّا

لقى مُسلِم بنُ الوَليد أبا نُواس فقال له : ما أعرِف لك بَيْتًا إلا فيه سَقَطٌ ، قال : فما تَحْفَظ من ذلك ؟ قال : قُلْ أنت ما شِئْتَ حتى أُريك سَقَطَه فيه ، فأنْشَدَه :

ذكرالصَّبوحَ سُحَيرةً[(3)] فارتاحا وأمَلَّه دِيكُ الصَّباح صِيَاحَا

فقال له مُسلم : فلِمَ أمَلَّه وهو الذى أذكَره وبه ارتَاح ؟ فقَال أبُو نُواس : فأنشِدْنى شَيْئًا مِن شعرِك ليس فيه خَلل ، فأنشدَه مُسلم :

---

(١) فى ما ، والديوان — ٣٠٨ والمختار : «فأساءت وأحسنت» .
(٢ — ٢) التكملة من مى والديوان — ٣٠٨ .
(٣) فى ما ، ف : «بسحرة» .

عاصَى الشَّبابَ فراح غير مُفَنَّد[1] وأقام بين عزيمة وتَجَلُّدِ

فقال له أبُو نواس : قد جَعلتَه رائحا مقيما فى حال واحدة وبيت واحد . فتشاغَبا وتسَابَّا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى .

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال: قال لى محمد بنُ عبد الله بن مُسْلم : حَدَّثنى أبى قال :

ذِكْر أمام المأمون وعرضت أبيات من شعره أعجبته

اجتمع أصحابُ المأمون عنده يَوْمًا ، فأفاضوا فى ذكر الشّعر والشّعراء ، فقال له بعضُهم : أين أنت يا أميرَ المؤمنين عن مُسلِم بنِ الوليد ؟ قال : حَيث يقولُ ماذا ؟ قال : حيثُ يقول وقد رثَى رجلاً :

أرادوا ليُخْفوا قبرَه عن عَدُوِّه فَطِيبُ تُرابِ القبر دلّ عَلَى القَبْرِ

وحيث مَدَحَ رَجُلا بالشّجاعة فقال :

يَجودُ بالنّفس إذْ ضَنَّ[2] الجَوادُ بها والجُودُ بالنَّفْس أقْصَى غايةِ الجُودِ

وهجا رَجُلا بقُبْح الوجه والأخْلاقِ فقال :

قَبُحَتْ مناظِرُه فحين خَبرتُه حَسُنَتْ مناظِرُه لِقُبْحِ المَخْبَرِ

وتَغازَل فقال :

هَوًى يَجِدُ وحَبِيبٌ يَلعَبُ أنْتَ لَقًى بينهما مُعَذَّبُ

فقال المأمونُ : هذا أشعَرُ مَنْ خُضْتُم اليوم فى ذِكْرِه .

أخبرنى محمدُ بنُ عِمْران الصَّيْرفىّ والحَسَن بنُ علىّ الخَفَّاف قالا : حدّثنا الحسَن ابن عُلَيْل العَنَزِىّ قال : حَدَّثنى قَعْنَب بنُ المُحْرِز ، وابنُ النَّطَّاح ، عن القَحْذَمِىّ قال:

(١) فى ى ، مج : «ذكر الصبوح فراح غير مفند» . والتفنيد : اللوم . والبيت فى الديوان — ٢٣٠ من قصيدة طويلة .

(٢) فى ى ، والعقد ، وديوان المعانى : «إن ضن الجواد» . وفى الديوان — ١٦٤ : «إذ أنت الضنين بها» . وفى تاريخ بغداد : «إذ ضن البخيل بها» .

الرشيد ينبه يزيد ابن مزيد إلى ماقاله فيه مسلم من مدح

قال يَزِيدُ بنُ مَزْيد : أرسلَ إلىَّ الرَّشيدُ يوما فى وقت لا يُرسَل فيه إلى مِثْلِى فأتيتُه لابسًا سِلاحِى ، مُستَعِدًّا لأمر إن أرادَه ، فلما رآنى ضَحِكَ إلىَّ ثم قال : يا يَزِيد خَبِّرنى مَنِ الّذِى يقولُ فيك :

تَراهُ فى الأمْنِ فى دِرْعٍ مُضاعَفَةٍ لا يأمَنُ الدَّهرَ أن يُدْعَى على عَجَلِ[1]
صَافِى العِيانِ طَمُوحُ العَيْنِ هِمَّتُه فَكُّ العُناةِ وأَسْرُ الفاتِكِ الخَطِلِ
لِلّه من هاشِمٍ فى أرضِـه جَبَلٌ وأنتَ وابنُك رُكْنا[2] ذلك الجَبَلِ

فقلت : لا أعرِفُه يا أميرَ المُؤمنين . قال : سَوْءَةً لك من سَيّدِ قومٍ يُمدَح بمِثْل هذا الشِّعر ولا تَعرِف قائلَه ، وقد بَلَغ أميرَ المُؤمنين فرَواه وَوصَل قائلَه ، وهو مُسْلِمُ ابنُ الوَليدِ . فانصرفتُ فدَعوتُ به ووصلتُه ووَلَّيتُه .

أخبرَنى محمدُ بن عِمْران الصَّيْرَفىّ ، والحَسَنُ بن عَلِىّ الخَفَّاف قالا : حدَّثَنا الحَسَن ابن عُلَيْل العَنَزِىّ قال: حدَّثنى أبوعبدِ الله أحمَدُ بنُ محمد بن سُلَيمان الحَنَفىّ ذوالهِدْمَيْن قال : حدَّثنى أبى قال:

دخل يَزِيدُ بنُ مَزْيد على الرَّشِيد فقال له : يا يَزِيد ، مَنِ الذى يَقُولُ فيك :

لايَعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومفرِقَه ولا يُمسِّح عَيْنَيه من الكُحُلِ
قد عَوَّدَ الطَّيرَ عاداتٍ وَثِقْن بها فهُنَّ يَتْبَعْنه[3] فى كُلّ مُرْتَحَلِ

فقال : لا أعرِف قائلَه يا أَمِيرَ المُؤمِنين . فقال له هارُون : أَيُقال فيك مِثلُ هـذا

(١) فى الشعر والشعراء ٢ : ٨١١ ، والأغانى ٥ : ٤١ : «أن يأتى على عجل» . وفى شرح سقط الزند ٦٨ : «أن يؤتى على عجل» .

(٢) فى المختار من شعر بشار – ٣٠ : «وأنت وابناك ركنا ذلك الجبل» .

(٣) فى مى : «فهن يصحبنه» .

يزيد بن مزيد يسمع مدحه فيه ويأمر له بجائزة

الشِّعر ولا تَعرِف قائلَه! فخرَج من عنده خَجلاً ، فلما صار إلى مَنزله دعا حاجبَه فقال له : مَنْ بالبابِ منَ الشُّعَراء ؟ قال : مسلم بن الوليد ، فقال : وكيف حَجبتَه عنِّى فلم تُعْلِمْنى بمكانه ؟ قال : أخبرتُه أنّكَ مُضِيقٌ(١) ، وأنّه ليس فى يدَيْك شىء تعطيه إياه ، وسألتُه الإمساكَ والمُقامَ أياماً إلى أن تَتَّسع . قال : فأنْكَر ذلك عليه وقال : أدخِلْه إلىَّ . فأدخله إليه ، فأنشدَه قوله :

أجْررتُ حبلَ خَلِيعٍ فى الصِّبا غَزِلِ ... وشَمَّرتْ هِمَمُ العُذَّالِ فى عَذَلِى(٢)
رَدَّ البُكاءُ على العَيْنِ الطَّمُوحِ هَوًى ... مُفرَّقٌ بين تَوْدِيعٍ ومُرْتَحَلِ(٣)
أمَا كَفَى البَيْنَ أن أُرمَى بأَسْهُمِهِ ... حتى رَمانِى بلَحْظِ الأَعيُنِ النُّجُلِ!
مماجَنَتلى ــ وإن كانتمُنًى صَدَقَتْ ــ ... صَبابَةً خُلَسُ التَّسلِيمِ بالمُقَلِ(٤)

فقال له : قد أمرْنا لك بخَمْسين ألفَ دِرْهم ، فاقبِضْها واعذِر . فخرج الحاجبُ فقال لمُسْلم : قد أمرنى أن أرهن ضَيْعَة من ضِياعِهِ على مِائَة ألف دِرْهم ، خَمْسُون ألْفاً لك وخَمْسُونَ ألْفاً لنفقته . وأعطاه إيَّاها ، وكتب صاحِبُ الخَبَر بذلك إلى الرَّشيد ، فأمر لِيَزيد بمِائَتى ألف دِرهم وقال : اقضِ الخَمْسين الألف التى أخذها الشَّاعر وزِدْه مثلَها . وخُذ مائةَ ألفٍ لِنفَقَتك . فافتكَّ ضَيْعَتَه ، وأعطَى مُسلما خَمْسين ألفا أُخرى .

أخبرنى الحَسَن بنُ علىّ الخفَّاف قال : حدّثنا محمّد بنُ القاسمُ بن مهْرُويه قال : حدّثنى علىُّ بنُ عُبَيد الكُوفىّ ، وعلىُّ بنُ الحَسَن كلاهما قال : أخبرَنى عَلِىُّ بنُ عَمْرو قال :

(١) فى أضاق الرجل فهو مضيق : ضاق عليه معاشه .
(٢) فى الديوان ــ ١ : «فى العذل» .
(٣) فى المختار : «ومحتمل» . وفى الديوان ط المعارف : «هاج البكاء ... ومحتمل» .
(٤) فى الديوان ــ ٣ : «مما جنى لى» .

يزوره صديق من الكوفة فيبيع خفيه ليقدم له طعاما

حدّثنى مُسْلمُ بنُ الوليد المَعْروف بصَرِيع الغَوانى قال : كنتُ يوماً جالساً فى دكان خَيَّاط بإزاء مَنْزِلى ، إذْ رأيتُ طارقًا ببابِى ، فَقُمتُ إليه فإذا هو صَدِيق لى من أهْلِ الكُوفَة قد قَدِمَ من قُمَّ ، فسُرِرْتُ به ، وكأنَّ إنسانًا لَطَمَ وجْهِى ، لأنَّه لم يكُنْ عِنْدِى دِرْهم واحد أُنفقهُ عليه . فقُمتُ فسلَّمتُ عليه ، وأدخلتُه مَنْزِلى ، وأخذتُ خُفَّيْن كانا لى أتَجَمَّل بهما ، فدفَعْتُهُما إلى جارِيتى ، وكتبتُ معهما رُقْعَة إلى بعض مَعارفى فى السُّوق ، أسألُه أن يَبيع الخُفَّين ويَشْتَرِىَ لى لَحْمًا وخُبْزاً بشَىْءٍ سَمَّيْتُه . فمَضَت الجارِيةُ وعادَت إلىَّ وقد اشترى لها ما قد حَدَّدْتُه له ، وقد باع الخُفَّين[1] بتِسْعَةِ دراهم ، فكأنَّها إنما جاءت بخُفَّين جَدِيدَين . فقعَدْت أنا وضَيْفِى نَطبُخ ، وسألتُ جاراً لى أن يَسْقِيَنا قارُورَةَ نَبِيذ ، فوجَّه بها إلىَّ ، وأمرتُ الجارِيَةَ بأن تُغلق باب الدَّار مخافَةَ طارق يجىء فيَشْرَكُنا فيما نحن فيه ، لِيَبْقَى لى وله ما نأكُله إلى أن يَنْصرِف . فإنّا لجَالِسَان نَطبُخ حتى طرق البَابَ طَارِقٌ ، فقلت لِجارِيَتى : انظُرِى مَنْ هذا . فنَظَرت من شِقِّ البَابِ فإذا رَجُل عليه سَوادٌ وشاشِيَّة ومِنْطَقَة ومعه شاكِرِىٌّ ، فخَبَّرَتْنى بِمَوضعه فأنكرْتُ أمرَه[2] ، ثم رَجَعت إلى نفسِى فقلت : لَسْتُ بصاحب دَعارَة ، ولا للسُّلطان عَلَىَّ سَبِيل . فَفَتَحْتُ الباب وخرجتُ إليه ، فنزل عن دَابَّتِهِ وقال : أأنتَ مُسْلِم بنُ الوَليد؟

يصل إليه رسول يزيد بن مزيد ويدفع إليه عشرة آلاف درهم

قلت : نعَم . فقال : كيفَ لى بِمَعْرِفَتِكَ ؟ قلت : الذى دَلَّكَ على مَنْزِلى يُصَحِّحُ لك مَعْرِفتى . فقال لغُلامه : امضِ إلى الخَيَّاط فسَلْه عنه . فمَضَى فسأَلَه عَنِّى فقال : نعَم هو مُسلِم بنُ الوليد . فأخرج إلىَّ كِتاباً من خُفِّه ، وقال : هذا كتاب الأمِير يَزِيدَ بن مَزْيد إلىَّ ، يأمُرُنى ألَّا أَفُضَّه إلا عند لِقائك ، فإذا فيه : إذا لَقِيتَ مُسلِمَ بن الوَليد فَادْفَعْ إليه

(١) فى ف والمختار : «الخف» .

(٢) فى ما : «أمرى» . والشاشية : العمامة . والمنطقة : الحزام ينتطق به . والشاكرى : الأجير .

هذه العَشْرَةَ آلاف دِرْهم ، التى أنفذتُها تكون له فى منزله ، وادفع ثلاثةَ آلاف دِرْهم نَفَقةً ليَتَحَمَّلَ بها إلينا . فأخذتُ الثلاثةَ والعشْرة ودَخلْتُ إلى منزِلى والرَّجُل معى ، فأكلنا ذلك الطعام، وازدَدْتُ فيه وفى الشَّراب ، واشتريْتُ فاكِهَة ، واتَّسعْتُ ووهبتُ لِضَيْفِى من الدَّراهِمِ ما يُهدِى به هَدِيَّةً لعِيالِه . وأخذتُ فى الجهاز ، ثم مازلتُ معه حتى صِرْنا إلى الرَّقَّة إلى باب يَزِيد ، فدَخَل الرّجلُ وإذا هو أحَدُ حُجَّابه ، فوجَدَه فى الحَمّام ، فخرج إلىَّ فجَلَس معى قَلِيلا ، ثم خُبِّر الحاجِبُ بأنَّه قد خَرَج من الحَمّام ، فأدخَلنى إليه ، وإذا هو على كُرْسِىّ جالس ، وعلى رَأْسِه وَصِيفة بِيَدِها غِلافُ مِرْآة ، وبِيَدِه هو مِرْآة ، ومُشْط يُسرِّح لِحْيَتَه ، فقال لى : يامُسلِم ، ما الذى بَطَّأَ بك عَنّا ؟ فقلت : أيُّها الأمير ، قِلَّةُ ذاتِ اليَدِ . قال : فأَنْشِدْنى . فأنشَدْتُه قَصِيدَتى التى مَدَحْتُه فيها :

> يذهب إلى مزيد وينشده قصيدة فى مدحه

أَجْرَرْتُ حَبلَ خَلِيعٍ فى الصِّبَا غزِلِ وشَمَّرتْ هِمَمُ العُذّالِ فى عَذَلِى

فلما صِرتُ إلى قولى :

لايعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومفرِقَه ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْه من الكُحُلِ(١)

وَضَع المِرآة فى غِلافِها ، وقال للجارِية : انصرِفى ، فقد حرّم علينا مُسلِم الطِّيبَ . فلما فرغْتُ من القصيدة قال لى : يامُسْلِم ، أتَدْرِى ماالَّذى حَدَانِى إلى أن وَجّهتُ إليك ؟ فقلتُ : لا واللهِ ما أدْرِى . قال : كنتُ عند الرَّشيد منذُ لَيالٍ أغْمِزُ(٢) رِجْلَيه ، إذ قال لى : يا يزيد ، من القائل فيك :

> يقص عليه سبب دعوته له

(١) فى الأغانى ٥ / ٤٤ ، وابن خلكان : ٢ / ٢٨٤ : « كفيه ومفرقه » . وجاء فى شرح الديوان – ١٣ : « لا يعبق الطيب خديه ومفرقه أى لا يلصق بهما . ولا يمسح عينيه من الكحل أى لا يتكحل ... يطعن بذلك على بنى عمه الذين كانوا أقبلوا إلى أبيهم ليلا متعطرين ، وأقبل هو إليه فى السلاح » .

(٢) الغمز : الكبس باليد والجس .

سَلَّ الخليفةُ سَيفاً من بَنى مَطَرٍ يَمضِي فيَخْتَرِمُ الأَجسادَ والهاما[1]
كالدَّهرِ لا يَنْثَنِي عمّا[2] يَهُمّ به قد أوسَعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما

فقلت : لا والله ما أدْرِي . فقال لى الرّشِيد : ياسُبْحان الله ! أنتَ مُقِيم على أعرابيّتك ، يُقال فيك مِثلُ هذا الشِّعْر ولا تَدرِى مَنْ قائلُه ! فسألت عن قائله ، فأُخبِرتُ أنّك أنتَ هو ، فقُم حتى أُدخِلَكَ على أميرِ المُؤْمنين .

يدخل على الرشيد ويمدحه فيأمر له بجائزة

ثم قام فدَخَل على الرّشيد ، فما عَلِمتُ حتى خرَج علىّ الإذن فأُذِن لى ، فدَخَلْتُ على الرّشيد ، فأنشدتُه مالى فيه من الشِّعر ، فأمر لى بمائَتى ألف دِرْهم ، فلما انْصرَفْتُ إلى يَزيد أمر لى بمائةٍ وتِسْعِين ألفاً ، وقال : لايَجُوز لى أن أُعْطِيَك مِثلَ ما أعْطاك أميرُ المُؤْمنين . وأقطعَنى إقطاعات تبلُغ غَلّتُها مائتى ألف دِرْهم .

يهجو يزيد فيدعوه الرشيد ويحذره

قال مُسلِم : ثم أفضَتْ بى الأُمورُ بعد ذلك إلى أن أغْضَبَنى فهجَوْتُه ، فشَكانى إلى الرّشيد ، فدَعانى وقال: أتَبِيعُنى عِرضَ يزيد ؟ فقلت: نَعَم يا أميرَ المؤمنين. فقال لى: بِكَم ؟ فقلتُ : برغيف خبز . فغَضِب حتى خِفْتُه على نَفسِى ، وقال : قد كُنتُ على أن أشْتَرِيَه منك بمالٍ جَسِيم ، ولَسْتُ أفعَل ولا كَرامةَ ، فقد علِمتُ إحسانَه إليك، وأنا نَفِيٌّ من أبى ، وواللهِ ثُمّ واللهِ لئن بَلَغَنِى أنّكَ هَجَوْتَه لأنزِعَنّ لِسانَكَ من بَيْن فَكَّيْكَ . فأمسَكتُ عنه بعد ذلك ، وما ذكرتُه بخَيْرٍ ولا شرّ .

أخبرنى الحَسَنُ بن على قال : حدّثنا محمدُ بن القاسِم بن مَهْرُويه قال : حدّثنى محمد ابنُ عَبدِ الله اليَعقُوبىّ قال :

(١) فى الديوان — ٦٣ : «فيخترق الأجساد» . وفى ديوان المعانى : « فيخترق الأحشاء » .
(٢) فى الديوان — ٦٣ : «لا ينثنى عمن يهم به» .

البيدق يصله بيزيد ابن مزيد ويسمعه شعره فيأمر له بجائزة

حدّثنى البَيْدَق(١) الرّاويَة — وكان من أهل نَصِيبين — قال : دَخلْتُ دارَ يَزِيدَ ابنِ مَزْيد يومًا وفيها الخَلْق، وإذا فتًى شابٌّ جالِس فى أفْناء النَّاس، ولم يَكُنْ يَزِيد عرفه بَعْدُ ، وإذا هومُسْلِم بنُ الوَلِيد ، فقال لى : مالى نَفسِى أن أقولَ شِعْراً أبداً ، فقلتُ : ولِمَ ؟ قال : لأنّى قد مَدحْتُ هذا الرّجل بشِعْر ما مُدِح بمِثْلِه قطّ ، ولَسْت أجِد مَنْ يُوَصِّله ، فقلتُ له : أنشِدْنى بعضَه ، فأنشَدَنى منه :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهَجٍ ... كأنّه أجَلٌ يَسْعَى إلى أمَلِ
يَقرِى السُّيوفَ نُفوسَ النَّاكثِين به ... وَيَجْعَل الرُّوسَ تِيجانَ القنَا الذُّبُلِ
لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدّيْه ومَفْرِقَه ... ولا يُمَسّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ
إذا انتَضَى سيفَه كانت مسالكُه ... مسالكَ المَوْت فى الأجسام والقُلَلِ(٢)
وإن خَلَتْ بحَدِيث النَّفْس فِكْرَتُه ... عاش الرّجاء ومات الخَوْفُ من وَجَلِ(٣)
كاللّيث إن هِجْتَه فالمَوْتُ راحَتُه ... لا يَسْتَرِيحُ إلى الأيّام والدُّوَلِ
لِلّه من هاشمٍ فى أرضِه جَبَلٌ ... وَأنتَ وابنُك رُكْنا ذَلك الجَبَلِ
صدّقتَ ظَنِّى وصدّقتَ الظُّنونَ به ... وَحطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرّحْل عن جملى(٤)

قال : فأخذتُ منها بَيْتَيْنِ ، ثم قلت له : أنشِدْنى أيضا مالكَ فيه ، فأنشدَنى قَصِيدةً أخرى ابتِداؤُها :

---

(١) فى مى : «البزق» .

(٢) فى الديوان — ١٤ : «فى الأبدان والقلل» .

(٣) فى الديوان —٢٤ : «حيى الرجاء» وفى المستجاد — ١٠١ : « ... بحديث النفس نظرته» . وجاء فى الشرح : « إذا خلت بحديث النفس فكرته فإنه يفكر فى بذل العطايا للناس فيموت خوفهم للفقر عند ذلك » .

(٤) فى ف : « وحل جودك » ، والمثبت من ما ، مج ، والديوان — ٢٣ ، وجاء فى الشرح : «صدّقت به ظنى وظن من علم إقبالى إليك ، وأغنيتنى عن السفر فلا أحتاج إلى أن أسافر بعدها أبدا » .

طيفَ الخيال حَمِدْنَا منكَ إلمامَا ... داوَيْتَ سُقْما وقد هيّجْتَ أسقامَا

يقول فيها :

كالدّهْر لا يَنْثَنِي عمّا يَهُمّ به ... قد أوسعَ النّاس إنعامًا وإرغامَا

قال : فأنشدْتُ هذه الأبياتَ يَزِيدَ بنَ مَزْيد ، فأمر له بخَمْسِمِائة دِرْهم . ثم ذكرتُه بالرّقّة فقلت له : هذا الشّاعر الذى قد مَدَحَك فأحسَن ، تقْتَصر به على خَمْسِمِائة دِرْهم ! فبَعَث إليه بخَمسمائة دِرْهم أُخْرى ، قال : فقال لى مُسلِم : جاءتْنى وقد رَهَنْتُ طَيْلَسانِى على رُءُوس الإخوان[1] ، فوقعت مِنّى أحسَنَ مَوْقع .

أخبرَنى محمد بنُ عِمْران قال : حدّثنَا العَنَزِىّ عن محمد بنِ بَدْر العِجْلِىّ عن إبراهيمَ بنِ سالم عن أبى فِرْعَوْنَ مَوْلَى يَزِيد بنِ مَزْيد قال :

تضمخ يزيد بالطيب ثم غسله لئلا يكذب قول مسلم

رَكِبَ يَزِيدُ يومًا إلى الرّشيد فتغَلّف بغَالِية[2] ، ثم لم يلبَثْ أنْ عاد فدعا بطَسْتٍ فغَسَل الغَالِيَة ، وقال : كرهتُ أن أُكذّب قولَ مُسلِم بنِ الوليد :

لا يَعبَق الطِّيبُ خَدّيْهِ ومَفرِقَه ... ولا يُمَسِّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ

أخبرَنى جَعْفَر بنُ قُدامَة قال : حدّثَنى عبدُ الله بنُ أَبى سَعْد قال : حدّثَنى أبُو تَوْبة قال :

يشير على يزيد ابن مزيد بإحراق كتاب وصله

كان مُسلِم بنُ الوَليد جالِساً بَيْنَ يَدَى يَزِيد بنِ مزْيد فأتاه كِتابٌ فيه مُهِمّ له ، فقرأه سِرًّا ووضَعَه ، ثم أعادَ قِراءته ووضَعَه ، ثم أراد القِيامَ ، فقال له مُسلِم بن الوليد :

الحَزْم تَحْرِيقُه إن كنت ذا حَذَرٍ[3] ... وإنَّما الحَزْم سُوء الظَّنِّ بالنّاسِ

لقــــد أتاك وقد أدّى أمانتَه ... فاجعل صِيانَتَه فى بَطْنِ أرماسِ

(١) ف : « على رءوس لإخوانى » .

(٢) تغلف بغالية : تطيب بالطيب .

(٣) فى الديوان – ٣٢٤ وعيون الأخبار « تخريقه » .

قال : فضَحِك يَزِيد وقال : صَدَقْتَ لعَمْرِى . وخَرّق الكتاب ، وأمر بإحراقه .

حدّثنى عَمّى وجَحْظَة قالا : حدّثنا عَلِىُّ بنُ الحُسَين بن عبدِ الأعلى قال : حدّثنى أبو مُحَلِّم ، وحَدّثنى عَمّى قال : حدّثنى عبدُ الله بن أبى سَعْد قال : حدّثنى أبو تَوْبة ، قال :

انقطع إلى محمد ابن يزيد بعد موت أبيه ثم هجره

كان مُسلِم بن الوَليد صَدِيقاً ليَزِيدَ بنِ مَزْيد ومَدّاحاً له ، فلما مات انْقَطعَ إلى ابنه محمدِ بنِ يَزِيد ، ومَدَحه كما مَدَح أباه ، فلم يَصْنَع إليه خيراً ، ولم يُرضِه ما فعله به ، فهجَره وانقطَع عنه ، فكتَب إليه يَستَحفِيه[1] ويَلومُه على انقطاعه عنه ، ويُذَكِّره حُقوقَ أبيه عليه ، فكتَب إليه مُسْلِم :

لَبِستُ عَزاءً عن لِقَاء محمدٍ وأَعرضتُ عنه مُنْصِفا ووَدُودَا
وقُلتُ لنَفْسٍ قادَها الشّوقُ نحوه فَعوّضَها حُبُّ اللقاء صُدودَا
هَبِيه امرأً قد كان أَصْفاكِ وُدَّه فمات وإلّا فاحسُبِيه يَزِيدَا
لعَمْرِى لقد وَلَّى فلم أَلقَ بعده وَفاءً لِذِى عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا

أخبرنى محمدُ بنُ القاسِم الأنبارِىّ قال : حدّثنى أَبى قال : حدّثنى أحمدُ بنُ محمد ابن أبى سَعْد قال :

مات يزيد ببرذعة فرثاه مسلم

أُهدِيَتْ إلى يَزِيدَ بنِ مَزْيد جارِيَةٌ وهو يأكل ، فلما رُفِع الطّعام من بَيْن يديه وَطِئَها فلم يَنْزِل عنها ، إلا مَيّتاً ، وهو بِبَرْذَعة[2] ، فدُفِن فى مَقابِرِ بَرْذَعة ، وكان مُسْلم معه فى صَحابته فقال يَرْثيه :

---

(١) استحفاه : استخبره . وفى ى ، ما : «يستجفيه» .

(٢) برذعة : بلد فى أقصى أذربيجان .

قَبرٌ ببَرْذَعة استَسَرَّ ضريحُه خَطَرًا تقاصَرُ دُونَه الأخْطارُ
أبقَى الزَّمانُ على رَبيعَةَ بعده حُزْنًا كعُمر الدّهر لَيْس يُعارُ
سلكت بك العُربُ السَّبيلَ إلى العُلَا حتى إذا بَلَغوا المَدَى بك حارُوا

ويُرْوى :

* حتى إذا سَبق الرَّدَى بك حاروا[1] *

— هكذا أنشده الأخفش —

نُفِضَتْ بك الأحلاس نَفْضَ إقامةٍ واسترجَعَت رُوَّادَها الأمصارُ
فاذهَبْ كما ذَهبتْ غَوادِى مُزْنَةٍ أثنى عليها السَّهلُ والأوْعارُ

نَسختُ من كِتاب جَدِّى يَحيى بنِ محمد بنِ ثَوابَة : حَدَّثنى الحَسَنُ بنُ سَعِيد عن أبيه قال :

قصة راويته الذى أرسله إلى داود ابن يزيد المهلبى

كان دَاودُ بنُ يَزِيد بنِ حاتِم المُهَلَّبىّ يَجْلِس للشُّعَراء فى السَّنة مَجْلِساً واحداً فيَقْصِدونه لذلِك اليَوْم ويُنْشِدُونه ، فوَجَّه إليه مُسلِم بنُ الوَليد راوِيَته بشِعْره الذى يقول فيه :

جعلتَه حيث تَرتابُ الرّياح به وتحسُدُ الطَّيرَ فيه أَضْبُعُ البِيدِ[2]

فقَدِم عليه يوم جُلُوسه للشُّعَراء ، ولَحِقه بعَقِبِ خُروجِهم عنه ، فتَقدَّم إلى الحاجب وحَسَر لِثامَه عن وَجْهه ثم قال له : استأذِن لى على الأمِير . قال : ومَنْ أَنت ؟ قال : شاعر . قال : قد انْصَرَم وقتُك ، وانْصَرَف الشُّعراء ، وهو على القِيام . فقال له : وَيْحك

(١) فى ى ، مج : « حتّى إذا بلغوا المداخل جاروا » . وفى ف : « حتّى إذا بلغوا المدى بك جاروا » .
(٢) فى ى ، مج : « أسبع » بدل « أضبع » .

قد وَفَدْتُ على الأمير بشِعْر ما قالت العَربُ مثلَه . قال : وكان مع الحاجب أدَب يَفْهَم به ما يَسْمَع ، فقال : هاتِ حتى أَسْمَع ، فإن كان الأمرُ كما ذَكَرتَ أوصلتُك إليه . فأنشدَه بَعضَ القَصيدة ، فسمع شَيْئاً يَقصُرُ الوَصفُ عنه ، فدَخَل على داود فقال له : قد قَدِم على الأمير شاعر بشِعْر ما قِيل فيه مِثلُه ، فقال : أَدخِل قائلَه . فأدخَله ، فلما مَثَل بين يديه سَلَّم وقال : قَدِمتُ على الأمير — أعزّه الله — بمَدْح يسمعه فيعلم به تَقدُّمى على غَيْرى مِمَّن امتدَحه . فقال : هاتِ . فلما افْتَتَح القَصيدة وقال :

لا تَدْعُ بى الشَّوق إِنّى غَيرُ مَعْمودِ نَهَى النُّهَى عن هوَى البِيضِ الرَّعادِيدِ[1]

استوَى جالِساً وأَطْرق ، حتى أَتى الرَّجلُ على آخر الشِّعر ، ثم رَفَع رأسه إليه ثم قال : أَهذا شِعْرك ؟ قال : نعَم أعزَّ اللهُ الأمير ، قال : فى كَمْ قُلتَه يافتى ؟ قال : فى أربعة أَشْهر ، أبقاكَ الله . قال : لو قُلتَه فى ثمانية أَشْهُر لكُنتَ مُحسِناً ، وقد اتَّهَمْتُك لجَوْدة شِعْرك وخُمول ذِكرك ، فإن كُنتَ قائلَ هذا الشِّعر فقد أنظَرتُك أربعةَ أَشْهُر فى مِثْلِه ، وأمرتُ بالإجْراء عليك ، فإن جِئتَنا بمِثْل هذا الشِّعر وَهبتُ لك مِائةَ ألفِ دِرْهم وإلا حَرَمْتك . فقال : أو الإقالة ، أعزَّ اللهُ الأمير . قال : أَقَلْتُك . قال : الشِّعرُ لمُسْلِم ابن الوَليد ، وأنا راوِيتُه والوافِدُ عليك بشِعْره . فقال : [2]أَنَا ابنُ حاتم[2] ، إنَّك لمَّا افْتَتَحتَ شِعرَه فقُلت :

* لا تَدْعُ بى الشَّوْقَ إِنِّى غَيْرُ مَعْمودِ *

سَمِعتُ كلامَ مُسْلِم يُنادِينى فأَجَبْت نِداءه واستَويْتُ جالسًا . ثم قال : يا غُلام ، أعطِه عَشْرَةَ آلافِ دِرْهم ، واحمِل السَّاعةَ إلى مُسلِم مِائةَ ألْف دِرْهم .

---

(١) فى الديوان – ١٥١ : «نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد» .

(٢ – ٢) التكملة من ما ، ساقطة من ى ، مج .

أَخبَرَنى الحُسَيْن بنُ القَاسِمِ الكَوْكَبِىّ قال : حدَّثَنا عبدُ الله بنُ أَبى سَعْد قال : حَدَّثنى مَسعودُ بنُ عيسى العَبْدِىّ قال : أخبَرَنى مُوسَى بنُ عَبْدِ الله التَّمِيمِىّ قال :

أنشد الفضل بن سهل شعرا فولاه البريد بجرجان

دَخَل مُسلم بنُ الوَليد الأنصارىّ على الفَضْل بن سَهْل لِيُنْشِدَه شِعْراً ، فقال له : أيُّها الكَهْل ، إنِّى أُجِلُّك عن الشِّعر ، فسَلْ حاجَتَك ، قال : بل تَستَتِمّ اليَدَ عندى بأن تَسْمَع ، فأَنْشَدَه :

دُموعُها من حِذارِ البَيْن تَنْسَكِبُ ... وقَلبُها مُغرَمٌ من حَرّها يَجِبُ
جِدّ الرَّحِيلُ به عنها ففارقَها ... لِبَيْنِهِ اللَّهوُ واللَّذَّاتُ والطَّربُ
يَهْوَى المَسِيرَ إلى مَرْوٍ ويَحزُنُه ... فِراقُها فهو ذو نَفْسَيْن يرتَقِبُ

فقال له الفَضْل : إنى لأُجِلُّك عن الشعر ، قال : فأَغْنِنى بما أَحْبَبتَ من عَمَلك ؛ فوَلّاه البَريدَ بجُرْجان .

قال بيتا من الشعر أخذ معناه من التوراة

أخبرنى الحَسَنُ بنُ عَلِىّ قال : حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال : حدّثنى الحُسَين بن أَبى السَّرِىّ . وأخبَرنى بهذه الأخبار محمد بنُ خَلَف بن المَرْزُبان ، قال : حدّثنى إبراهيمُ بن محمد الوَرّاق ، عن الحُسَيْن بن أبى السَّرِىّ قال : قيل لمُسلِم بنِ الوَليد : أىُّ شِعْرك أَحبُّ إليك ؟ قال : إن فى شِعْرى لبَيْتاً أَخذتُ معناه من التَّوراة ، وهو قَوْلى :

دَلّت على عَيْبِها الدُّنْيا وصَدَّقَها ... ما استَرْجَع الدّهرُ ممّا كان أَعْطانى

قذف فى البحر بدفتر فيه شعره فقل شعره

قال الحُسين : وحدّثنى جماعة من أَهْل جُرْجان أَنّ راوِيةَ مُسلِم جاء إليه بعد أن تَابَ لِيَعرِض عليه شِعرَه ، فتَغافَلَه مُسْلِم ، ثم أَخَذَ منه الدَّفتر الذى فى يده ، فقذَف به فى البَحْر ، فلهذا قَلّ شِعْرُه ، فلَيْس فى أَيْدى النّاس منه إلا ما كان بالعراق ، وما كان فى أيدى المَمْدُوحِين من مَدائحهم .

كان يكره لقب صريع الغوانى

قال الحُسَين : وحدّثنى الحُسين بنُ دِعْبل قال : قال أَبِى لِمُسْلِم : ما مَعْنى قولك :

* لا تَدْعُ بِى الشَّوقَ إنّى غيرُ مَعْمُود *

قال : لا تَدْعُنى صَرِيعَ الغَوانى فلستُ كذلك ؛ وكان يُلقَّبَ هذا اللقَبَ وكان له كارهاً .

عتب عليه عيسى ابن داود ثم رضى عنه

أخبرنى محمدُ بنُ خَلَف بنِ المرْزُبان قال : حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه قال :

عَتَب عِيسَى بنُ داود[1] على مُسلِم بن الوليد فهَجَره ، وكان إليه مُحسناً ، فكتب إليه مسلم :

شَكرتُك للنُّعمى فلمّا رمَيْتَنى
بِصدِّكَ تأديباً شكرتُك فى الهَجْرِ
فعِندىَ للتّأديب شُكرٌ وللنّدى
وإن شِئْتَ كان العَفْوُ أدْعى[2] إلى الشُّكرِ
إذا ما اتّقاكَ[3] المستليمُ بعُذْرِه
فَعفوكَ خَيْرٌ من مَلامٍ على عُذْرِ

قال : فرَضى عنه وعادَ له إلى حاله .

أخبرنى الحَسَن بن علىّ قال : حدّثنى ابن مهْرويه قال : حدّثنى محمدُ بنُ الأشعث قال : حدّثنى دِعْبِل بنُ عَلىّ قال :

كان بخيلا

كان مُسلِمِ بنُ الوَليد من أبخَلِ الناس ، فرأيْتُه يومًا وقد استقْبل الرِّضا عن غُلام له بعد مَوْجِدَة ، فقال له : قد رَضِيتُ عنك وأمرتُ لك بدِرْهم .

(١) كذا فى ى ، مج . وفى ف : «عيسى برد أبيرود» . وفى ما : «عيسى بن يزدأبيرود» .
(٢) فى ما والديوان – ٣١٩ : «أدنى» ، والمثبت من ف ، ى ، مج .
(٣) فى ما : والديوان – ٣١٩ : «إذا ما التقاك» .

أخبرنى الحسَنُ بنُ علىّ قال : حدّثنى ابنُ مَهْرُويه قال : حدّثنى محمدُ بنُ عمرو بن سعيد قال :

يذمه دعبل عند الفضل بن سهل فيهجوه

خرج دِعْبِل إلى خُراسانَ لَمّا بلَغَه حُظْوةُ مُسْلِم بنِ الولِيد عند الفَضْل بن سَهْل . فصار إلى مَرْو ، وكَتَب إلى الفَضْل بنِ سَهْل :

لا تَعْبَأَنْ بِابْنِ الوَلِيد فإنه   يرميك بعد ثَلاثَةٍ بمَلالِ
إنَّ المَلُولَ وإن تَقادَم عَهدُه   كانت مَودّتُه كَفَىْءِ ظِلالِ

قال : فدَفَع الفَضْل إلى مُسلِم الرُّقْعَةَ وقال له : انظر يا أبَا الوليد إلى رُقْعَةِ دِعْبِل فيك ، فلمّا قرأها قال له : هل عَرفت لَقَبَ دِعْبِل وهو غُلام أمرد وهو يُفْسَق به ؟ قال: لا ، قال : كان يُلَقّب بمَيّاس ، ثم كَتَب إليه :

مَيّاسُ قل لى : أينَ أنْتَ من الورَى   لا أنتَ مَعلومٌ[1] ولا مجهولُ !
أمّا الهِجاءُ فدَقَّ عِرضك دونَه   والمَدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جليلُ
فاذهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرضك إنّه   عِرضٌ عزَزْتَ به وأنتَ ذَلِيلُ

أخبرنى محمدُ بن الُحسَين الكِنْدىّ الكُوفِىّ مُؤَدّبى قال : حدّثنى أزهرُ بنُ محمد قال :

ماجرى بينه وبين دعبل بسبب جارية

حدّثنى الُحسَين بنُ دِعْبِل قال : سمِعتُ أبى يقول : بَيْنا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مرّتْ بى جارية لم أر أحسنَ منها وَجْها ولا قَدًّا تتَثَنّى فى مَشيِها وتَنظُر فى أعطافِها ، فقلت مُتعرِّضا لها :

دُموعُ عينى بهـا انبِساطٌ   ونَومُ عينى به انقِبـاضُ

---

(١) فى ف ، مى ، مج : معقول .

فأجابَتْنِى بسُرعة فقالت :

وذا قليـــلٌ لمَن دَهَتْه بلَحْظِها الأعيُنُ المِراضُ

فأدهَشَتْنى وعَجِبْت منها فقلت :

فهل لِمَوْلَاى عَطفُ قَلْبٍ ولِلَّذى فى الحَشَا انقِراضُ

فأجابَتْنى غير مُتَوقِّفة فقالت :

إن كُنتَ تهوى الوِدادَ منا فالوُدُّ فى دِينِنا قِراضُ

قال : فما دَخَل أُذُنى كلامٌ قطّ أحلى من كَلامِها ، ولا رأيتُ أنضرَ وَجْهًا منها ، فعدَلْتُ بها عن ذَلِك الشعر[1] وقلت :

أتُرى الزّمانُ يَسرُّنا بتَلاقٍ ويَضُمُّ مُشتَاقًا إلى مُشْتاقِ

فأجابَتْنى بسُرعة فقالت :

ما لِلزَّمانِ وللتَّحَكُّم بيننا أنتَ الزّمان فسُرَّنا بتَلاقِ

قال : فمَضَيْت أمامها أؤُمّ بها دَارَ مُسلِمِ بنِ الوليد وهى تَتْبَعُنى ، فصِرتُ إلى مَنْزِله ، فصادَفْتُه على عُسْرة ، فدَفَع إلىّ مِنْدِيلا وقال: اذهَب فبِعْه ،وخُذْ لنا ما نَحتاجُ إليه وعُدْ؛ فمَضَيْت مُسرِعًا . فلما رجَعْتُ وَجَدْتُ مُسلِما قد خَلَا بها فى سِرْداب ، فلما أحَسَّ بى وثَب إلىّ وقال : عرّفَكَ اللهُ يا أبا عَلِىّ جَمِيلَ ما فعَلْت ، ولَقَّاكَ ثَوابَه ، وجعَله أحسنَ حَسَنَةٍ لك ، فغاظَنِى قولُه وطَنْزُه[2] ، وجَعلتُ أفكِّرُ أىَّ شىء أعمَل به ، فقال : بحياتى يا أبَا عَلِىّ أخبِرنى مَنِ الذى يَقول :

بِتُّ فى دِرْعِها وبات رَفِيقِى جُنُبَ القَلْبِ طاهرَ الأَطْرافِ

(١) فى ما : « الوجه ».

(٢) طنزه : سخريته وتهكمه .

فقلت :

مَنْ لَهُ فى حِرِ أُمِّه ألفُ قَرْنٍ قد أنافَتْ على عُلُوٍّ منافِ !

وجعلت أشتُمه وأثِب[1] عليه ، فقال لى : يا أَحْمَق ، مَنْزِلى دخلتَ ، ومَنْدِيلِى بِعتَ ، ودَراهِمِى أنفَقْتَ ، على مَنْ تَحرَّد أنت ؟ وأىّ شَىْءٍ سَبَبُ حَرَدِك يا قوَّادُ ؟ فقلت له : مهما كَذَبتَ علىَّ فيه من شَىْءٍ فما كَذَبتَ فى الحُمْقِ والقِيادَة .

هجاؤه ثلاثة كانوا يصلونه

أخبرنى الحَسَن بنُ علىّ قال : حدّثنى ابنُ مَهْرُويَه والعَنَزِىُّ ، عن محمد بن عبدِ الله العَبْدِىّ قال :

هَجَا مُسلِمُ بنُ الوَليد سَعِيدَ بنَ سَلْم ويَزيدَ بن مَزْيد وخُزَيْمة بنَ خازِم فقال :

دُيونُك لا يُقضَى الزَّمانَ غَرِيمُها وبخلُك بُخلُ الباهِلِىِّ سَعِيدِ

سَعِيدُ بنُ سَلْمٍ أبخلُ[2] النَّاسِ كُلِّهم وما قَومُه من بُخْلِه بِبَعِيدِ

يَزِيدُ له فَضْلٌ ولكنَّ مَزْيَداً تَدارَكَ فينا بُخلُه بيَزِيد[3]

خُزَيمةُ لا عَيبٌ له[4] غيرَ أنه لمطبخه قُفْلٌ وبابُ حَدِيدِ

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخُزاعىّ قال : حدّثنا عِيسَى بنُ إسماعيل تِينَةَ قال : حدّثنا الأصمَعِىُّ قال :

هجاؤه سعيد ابن سلم

قال لى سَعِيدُ بنُ سَلم : قَدِمَت علىَّ امرأةٌ من باهِلَة من اليَمامة ، فمدحَتْنِى بأبْيات ، ما تَمَّ سُرُورى بها حتى نَغَّصَنِيها مُسلِمُ بنُ الوَليد بهجاء بَلَغَنى أنّه هَجانى به ، فقلت : ما الأبياتُ التى مُدِحْتَ بها ؟ فأنشدنى :

(١) ف : « وأبث عليه » .
(٢) فى الديوان : ٢٧١ : « سعيد بن سلم ألأم الناس كلهم » .
(٣) فى الديوان : ٢٧١ : « تدارك أقصى مجده بيزيد » .
(٤) فى الديوان : ٢٧١ : « خزيمة لا بأس به غير أنه » .

قُتَيْبَةُ قَيْسٍ ساد قَيْساً وسَلْمِها فلما تَوَلَّى ساد قَيْسا سَعِيدُها
وسَيِّدُ قَيْس سَيِّدُ النّاسِ كلِّهم وإن مات من رَغْمٍ وذُلٍّ حَسودُها
هُمُ رفعوا كَفَّيْك بالمَجْد والعُلا ومَنْ يرفَعُ الأبناءَ إلا جُدودُها
إذا مدّ للعليا سَعِيدٌ يَمِينَه ثنت كَفَّه عنها أكُفًّا تُرِيدُها

قال الأصمَعِىّ : فقلتُ له : فبأىّ شَىْء نَقَّصها عليك مُسلِم ؟ فضَحِك وقال : كلَّفْتَنِى شَطَطا ، ثم أنشد :

وأحببتُ من حُبِّها[1] الباخِلِينَ حتى وَمِقْتُ ابنَ سَلْمٍ سَعِيدَا
إذا سِيلَ عُرفًا كسا وَجهَه ثِياباً من النَّقْع صُفْرًا وسُودَا[2]
يَغار[3] على المَالِ فِعْلَ الجوا د وتأبى خلائقُه أن يَجُودَا

أخبرنى عمّى ، قال حدّثنا الكُرَانىُّ قال : حدّثنى النَّوْشَجانىُّ الخليلُ بنُ أَسَد قال : حدّثنى علىُّ بنُ عَمْرو قال :

يهجو بعض الكتاب لأنه لم يعجبه شعره

وَقَف بعضُ الكُتّاب على مُسلِم بنِ الوَليد وهو يُنشِد شِعْراً له فى مَحْفِل ، فأطال ثم انصرف ، وقال لرَجُل كان مَعَه : ما أدْرِى أىَّ شىء أعجَب الخَليفةَ والخاصّةَ من شِعْر هذا ؟ فوالله ماسَمِعْتُ منه طائلا، فقال مُسلِم : رُدُّوا علىَّ الرّجل ، فرُدَّ إليه ، فأقْبَل عليه ثم قال:

أمَّا الهِجاء فدَقَّ عِرضُك دونه والمَدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جليلُ
فاذْهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرْضِك إنه عِرضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذَليلُ

(١) وفى ما : «من أجلها» .
(٢) فى الديوان : ٢٧٠ : «ثيابا من اللؤم حمرا وسودا» .
(٣) فى ف : «أغار» . وفى الديوان : ٢٧٠ : «يغير» .

أخبرَنى محمد بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان قال : حدّثنى إبراهيمُ بنُ محمد الوَرّاقُ قال : حدّثنى الحُسَيْن بنُ أبى السَّرِىّ قال :

كان أستاذاً لدعبل ثم تخاصما ولم يلتقيا

كان مُسلِم بنُ الوَليد أُستاذَ دِعْبِل وعنه أَخَذ ، ومن بَحْره استَقَى . وحدّثنى دِعْبل أنّه كان لايزال يَقول الشِّعر فيعرضُه على مُسْلِم ، فيقول له : إيّاكَ أن يكون أوّلُ مايَظْهر لك ساقِطًا فتُعرَف به ، ثم لو قلت كُلَّ شَىْء جَيّداً كان الأوّل أَشْهَرَ عنك ، وكُنتَ أبداً لا تَزال تُعيَّر به ، حَتَّى قُلْتُ :

* أينَ الشَّبابُ وأيّةً سَلَكا *

فلما سَمِع هذه قال لى : أظهِرِ الآن شِعرَكَ كيف شِئْت .

قال الحُسَين : وحَدّثنى أبو تَمّام الطّائىّ قال :

مازال دِعْبل مُتَعَصِّبا لمُسْلم ، مائِلاً إليه ، مُعتَرِفًا بأُستاذِيَّته حتى وَرَد عليه جُرْجانَ ، فجَفاه مُسلِم ، وهَجَره دِعْبِل ، فكتب إليه :

أبا مَخْلَدٍ كُنّا عَقِيدَىْ مَوَدّة هَوانا وقَلْبانا جَميعًا مَعًامعا
أحوطُك بالغَيْب الذى أنتَ حائِطى وأجزَعُ إشفاقًا بأَنْ تَتَوجّعَا[1]
فصَيَّرتَنى بعد انتِكاثِك[2] مُتْهِما لنفسى عليها أرهَبُ الخلْق أجْمَعا
غَشَشْتَ الهوى حتى تَداعَتْ أُصولُه بنا وابتَذَلْتَ الوَصلَ حتى تَقطَّعا
وأنزلتَ من بين الجَوانحِ والحَشا ذَخِيرةَ وُدٍّ طال ما قد تمنَّعَا
فلا تَلْحَيَنِّى ليس لى فيك مَطْمَع تَخرّقتَ حتى لم أجِد لك مَرْقَعا
فَهبْك يَمِينى استأكَلَتْ فقَطَعتُها وَجَشَّمتُ قلبى صَبرَه فَتَشَجَّعا[3]

(١) المختار : « من ان يتوجعا » وفى ف : « أحوطك بالغيب الذى لست حائطى » .
(٢) المختار : « بعد انتهابك » .
(٣) المختار : « صبوةً فتجشما » بدل « صبره فتشجعا » .

قال : ثم تهاجَرا بعد ذلك ، فما الْتقَيا حتى ماتا .

محمد بن أبى أمية يمزح معه

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا أحمدُ بن أبى طاهر قال : أخبرنى أحمدُ بن أبى أميّة قال : لقى أخى محمدُ بنُ أبى أميّة مُسلِمَ بنَ الوليدِ وهو يتمَشّى(١) ، وروانه مع بعض أصحابه(٢) ، فسلَّم عليه ، ثم قال له : قد حضرنى شىء . قال : هاته ، قال : على أنه مزاحٌ ولا تغضب ، قال : هاتِه ولو كان شتْمًا ، فأنشدتُه :

من رأى فيما خَلا رَجُلًا تيهُهُ أربَى على جِدَتِهْ
يتمشّى راجِلًا وله شاكِرِىّ فى قلنسِيتِه

لقى محمد بن أبى أمية بعد موت برذونه فرد عليه مزاحه

فسكت عنه مُسلِم ولم يُجبه ، وضحِك ابنُ أبى أميّة وافترقا .

قال : وكان لمحمد بِرْذَوْن يركبُه فنفق ، فلقيه مُسلِم وهو راجل ، فقال : ما فعل بِرْذَوْنُك ؟ قال : نفَق ، قال : فنُجازيك إذاً على ما أسلفتَناه ، ثم أنشده :

قل لابن مَىٍّ لا تكُن جازِعاً لن يَرْجع البِرْذَوْنُ باللَّيْتِ(٣)
طامنَ أحشاءَك فِقدانُه(٤) وكُنْتَ فيه عالِىَ الصَّوتِ
وكُنتَ لا تنزِل عن ظهْرِه ولو من الحُشِّ(٥) إلى البَيْتِ
ما مات من سُقْم ولكنَّه(٦) ماتَ من الشَّوقِ إلى المَوْتِ

أبو تمام يحفظ شعره وشعر أبى نواس

أخبرنى الحَسَنُ بنُ علىّ قال : حدّثنى ابنُ مَهْرُويه قال : حدّثنى أحمدُ بنُ سَعيد الخَرِيرىّ أنّ أبا تمّام حلَف ألا يُصلِّىَ حتى يحفظ شِعْرَ مُسلِم وأبى نُواس ، فمكث

(١) فى ما : « يمشى » .
(٢) فى مى : « وطويلته مع بعض أصحابه » .
(٣) فى الديوان : ٢٨٢ : « ليس على البرذون من فوت » . والبرذون : ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء .
(٤) فى الديوان : ٢٨٢ : « طأطأ من تيهك فقدانه » .
(٥) الحش : البستان .
(٦) فى الديوان : ٢٨٢ : « ما مات من حتف ولكنه » .

شَهْرَين كذلك حتى حفِظ شِعرَهما. قال: ودخلتُ عليه فرأيتُ شِعرَهما بين يَدَيْه، فقلت له: ما هذا؟ فقال: اللّاتُ والعُزَّى وأنا أعبدُهما مِنْ دُون الله.

اجتمع مع أبي نواس فتناشدا شعرهما

أخبرَنى الحَسَنُ بنُ عَلِيّ قال: حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدَّثَنى سَمْعانُ بنُ عبدالصّمد قال: حدَّثَنى دِعْبِل بنُ علىّ قال:

كان أبو نُواس يسألُنى أن أجمَع بينه وبين مُسلِم بن الوليد؛ وكان مُسلِم يسألُنى أن أجمَع بينه وبين أبى نُواس، وكان أبو نُواس إذا حَضَر تخلَّف مُسْلِم، وإذا حَضَر مُسلِم تخلَّف أبُو نُواس، إلى أن اجْتَمعا، فأنشده أبو نُواس:

أجارةَ بَيْتَيْنا أبُوكِ غَيُورُ ... ومَيْسُور ما يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ

وأنشدَه مُسلِم:

لِلّه من هاشِمٍ فى أرْضِه جَبَلٌ ... وأنتَ وابنُك رُكْنا ذَلكَ الجَبَلِ

فقلت لأبى نُواس: كيفَ رأيتَ مُسْلِما؟ فقال: هو أشْعَر النّاس بَعدِى. وسألت مُسلِما وقلت: كيفَ رأيتَ أبَا نُواس؟ فقال: هو أشعَرُ الناس وأنا بَعْده.

أمر له ذو الرياستين بمال عظيم بعد أن أنشده شعرا شكا فيه حاله

أخبرنى الحَسَنُ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدَّثنى إبراهيمُ بنُ عبد الخالق الأنْصارىّ من ولَدِ النُّعمان بنِ بَشِير قال: حدثنى مسلم بن الوليد قال:

وَجَّه إلىَّ ذُوالرِّياستَيْن، فحُمِلتُ إليه، فقال: أنشِدْنى قولك:

بالغَمْرِ من زَيْنبَ أطْلالُ ... مرَّتْ بها بعدك أحوالُ

فأنشدْتُه إيّاها حتّى انتهيتُ إلى قولِى:

وقائلٍ ليست له هِمّةٌ ... كلاّ ولكن لَيس لى مالُ

وهِمّـةُ المُقْـتِرِ أُمْنِيَّـةٌ ... هَمٌّ مع الدّهر(١) وأشغال

(١) الديوان: ١٢١ «عون على الدهر».

لا جِدَةٌ أُنهِضُ عَزْمى بها(١) والناسُ سُؤّالٌ وبُخّالُ
فاقعُدْ مع الدّهرِ إلى دَوْلَةٍ ترفعُ فيها حالَكَ الحالُ(٢)

قال : فلمّا أنشدتُه هذا البيت قال : هذه واللهِ الدّولةُ التى تَرْفَعُ حالَكَ(٣) . وأمر لى بمالٍ عَظِيمٍ وقَلّدنى — أو قال قَبّلَنى — جَوْزَ جُرْجان(٤) .

هجا معن بن زائدة ويزيد بن مزيد فهدده الرشيد

حدّثنى جَحْظَة قال : حدّثنى مَيْمُونُ بنُ هارون قال :

كان مُسلِمُ بنُ الوليد قد انحرف عن مَعْنِ بنِ زائدةَ بعدمَدْحه إياه ، لِشىءٍ أوحَشَه منه ، فسأله يَزِيدُ بنُ مَزْيد أن يَهَبه له ، فوعَده ولم يفعل ، فتركه يَزِيد خوفاً منه ، فهجاه هِجاءً كَثِيراً ، حتى حَلَف له الرشيد إن عاوَدَ هِجاءه قَطَع لِسانَه ، فمِن ذلك قولُه فيه :

يامَعْنُ إنّك لم تَزَل فى خَزْيَةٍ حتى لَفَفتَ أباكَ فى الأكفانِ
فاشكُر بَلاءَ المَوْتِ عِنْدَكَ إنّه أودى بلُؤْمِ الحىّ من شيبْانِ

قال : وهَجَا أيضاً يَزِيدَ بنَ مَزْيدَ بعد مَدْحِه إياه فقال :

أيزيدُ يامَغْرورُ ألأمَ مَنْ مَشَى تَرْجُو الفَلاحَ وأنتَ نُطْفَةُ(٥)مَزْيَدِ
إن كُنتَ تُنكِرُ مَنْطِقى فاصرُخ به يَوْمَ العَرُوبة(٦) عند بابِ المَسْجِدِ
فى مَنْ يَزِيدُ فإن أصبتَ بِمَزْيدٍ فَلْسا فهاكَ على مُخاطرةٍ يَدِى

(١) فى الديوان : ١٥٠ : « لاجدة تنهض فى عزمها » .
(٢) فى الديوان : ١٥٠ : « فاصبر مع الدهر « ... تحمل فيها ... »
(٣) فى ى ، مج : « التى ترفع حالك الحال » . وفى المختار : « هذه الدولة التى يرفع فيها حالك » .
(٤) ما : « حوز » . ولعلها جوز حانان أو جوزجان ، وهما واحد . اسم لكورة واسعة من كور بلخ بخراسان . وقبّله : بجعله يلتزم العمل .
(٥) فى ف : « خلفة » .
(٦) يوم العروبة : يوم الجمعة ، وهو من أسمائها القديمة .

هكذا روى جَحْظَة فى هذا الخَبَر ، والشِّعران جميعاً فى يَزِيدَ بنِ مَزْيَد ، فالأوّل منهما أوّله :

* أيَزِيدُ إنّكَ لم تَزَل فى خَزْيَةٍ *

وهكذا هو فى شعر مُسلِم . ولم يَلْق مُسلِم مَعْنَ بنَ زائِدَة ، ولا له فيه مَدْح ولا هِجاء .

رثاؤه يزيد ابن مزيد

أخبرنى عَمِّى قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد قال : حدّثنا محمدُ بنُ عبد الله ابن جُشَم قال :

كان يَزِيدُ بنُ مَزْيد قد سأل مُسلِمَ بنَ الوليد عما يَكفيه ويَكفِى عيالَه ، فأخبره فجعَله جِرايةً له ، ثم قال : لَيْس هذا مما تُحاسَبُ به بَدَلًا من جائزةٍ أو ثَوابِ مَديح . فكان يَبْعَث به إليه فى كُلّ سنة ، فلمّا مات يَزيد رثاه مُسلِم فقال :

أحقًّا أنّه أودَى يَزِيدُ تَبَيّنْ أيُّها النَّاعِي المُشِيدُ !
أتَدْرِى من نَعَيْتَ وكيف دارَت به شَفَتاكَ دار بها الصَّعِيدُ[1]
أحامِي المَجْدِ والإسلامِ أودَى فما لِلأَرْض وَيحك لا تَمِيدُ !
تأمَّلْ هل تَرَى الإسلامَ مالت دعائِمُه وهل شابَ الوليدُ
وهل شِيمَت سُيوفُ بَنِى نِزار وهل وُضِعَت عن الخَيْل اللُّبودُ
وهل تَسقِى البِلادَ عُشارُ[2] مُزْنٍ بدِرَّتِها وهل يَخضَرّ عُودُ
أما هُدّت لِمَصْرعِه نِزارٌ بلى وتقوَّض المَجْدُ المَشِيدُ
وحلَّ ضَرِيحَه إذ حلَّ فيه طَرِيفُ المَجْد والحَسَبُ التَّلِيدُ

(١) فى الديوان : ١٤٧ : تأمل من نعيت وكيف فاهت به شفتاك كان بها الصعيد

(٢) فى ما ، والوفيات : ثقال مزن . وعشار معدول عن عشرة عشرة ، يقال : جاءوا عشار أى جاءوا عشرة عشرة .

أما واللهِ ما تنفكُّ عَيْنِى عليك بدَمْعِها أبداً تَجودُ
وإن تَجْمُدْ دُموعُ لَئيمِ قومٍ فليس لدَمْعِ ذى حَسَبٍ جُمودُ
أبعْدَ يَزيدَ تَخْتَزِنُ البواكِى دُموعاً أو تُصَانُ لها خُدُودُ
لَتبْكِكَ قُبَّةُ الإسلام لَمَّا وَهَتْ أطنابُها ووَهَى العَمُودُ
ويبكِكَ شاعِرٌ لم يُبْقِ دَهْرٌ له نَشَبًا وقد كَسَدَ القَصِيدُ
فإن يَهْلِكْ يزيدُ فكُلُّ حَىٍّ فَرِيسٌ للمَنِيَّةِ أو طَرِيدُ

هكذا فى الخبر، والقصيدة للتَّيمىّ.

مدح الفضل ابن سهل

أخبرنى محمدُ بنُ يَحْيى الصُّولىّ قال: حدَّثنا الهِشامىُّ قال: حدَّثنى عبدُ الله بنُ عَمْرو قال: حدَّثنى مُوسَى بنُ عبد الله التَّميمىّ قال: دخل مُسلِمُ بنُ الوليد على الفَضْل ابنِ سَهْل، فأنشدَه قولَه فيه:

لو نَطَقَ الناسُ أو أنْبَوْا بعلمِهمُ ونَبَّهتْ عن مَعالِى دَهْرِكَ الكُتُبُ[1]
لم يَبْلُغوا منك أدْنى ما تَمُتُّ به إذا تفاخرت الأملاكُ وانْتَسَبُوا

فأمر له عن كُلّ بيت من هذه القصيدة بألفِ دِرْهم.

ثم قُتِلَ الفَضْل فقال يَرْثيه:

رثاؤه الفضل ابن سهل

ذَهَلْتُ فلم أنْقَع غَليلاً بعَبْرةٍ وأكبرتُ أن ألقى بيَوْمك ناعياً
فلمَّا بَدَا لى أنّه لاعِجُ الأسَى وأنْ ليْسَ إلا الدَّمعُ للحُزْنِ شافياً
أقمتُ لك الأنواحَ تَرتدُّ بينها مآتِمُ تندبن[2] النَّدَى والمَعاليا
وما كان مَنْعَى الفَضْل مَنْعاةَ واحدٍ[3] ولكنّ مَنْعَى الفَضْل كان مَناعيا

(١) فى الديوان: ٣٠٤ ... «أو أثنوا بعلمهم». وفى المختار: «ونبأت عن معالى دهرك».
(٢) ف: «تبدين الندى والمعاليا».
(٣) وفى ف والديوان: ٣٤٦: «منعى وحادة». وفى ما والمختار: «ومنعى وجادة».

أَللبأسِ أم لِلجُود أم لِمُقاوِمٍ من المُلكِ يَزْحَمْن الجبالَ الرَّواسيَا !
عَفَتْ بَعدَكَ الأيّام لا بل تبدَّلت وكُنّ كأعْيادٍ فعُدْن مَباكيَا
فلم أرَ إلاَّ قَبْلَ يوْمِك ضاحِكاً ولم أرَ إلا بَعْد يوْمِك باكيَا

أخبرنى الحُسَين بنُ القاسم الكَوْكَبىُّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ عجلان قال: حدثنا يَعقوبُ بنُ السِّكّيت، قال: أخبرنى محمد بن المُهَنَّأ، قال:

عابه العباس ابن الأحنف فى مجلس فهجاه

كان العَبّاسُ بنُ الأحنَف مع إخوان له على شَراب، فذكروا مُسلِمَ بنَ الوليد، فقال بعضُهم: صَرِيعُ الغَوانى، فقال العَبّاس: ذاكَ يَنْبَغى أن يُسَمَّى صَرِيعَ الغِيلان لا صَرِيع الغَوانى. وبَلَغ ذلك مُسلِما فقال يَهْجُوه:

بَنُو حَنِيفةَ لا يَرْضَى الدّعىُّ بهم فاتْرُكْ حَنيفةَ واطلُب غيرَها نَسَبَا
فاذْهَبْ فأنت طَليقُ الحِلْم[1] مُرتَهَنٌ بسَوْرة الجَهْلِ ما لم أَمْلِك الغضَبَا
اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضَى بنِسْبَتِهم إنى أرَى لَك خَلْقاً يُشبهُ العَرَبا
مُنِّيتَ مِنّى وقد جَدّ الجِرَاءُ[2] بنا بغَايةٍ منعَتْك الفَوْتَ والطَّلَبَا

ينصرف عن هجاء خزيمة بن خازم ويتمسك بهجاء سعيد بن مسلم

أخبرنى محمد بنُ يَزِيد قال: حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قلتُ لمُسلِم بنِ الوَليد: ويْحَكَ! أما استحْيَيْتَ من النّاس حين تَهْجو خُزَيْمةَ بنَ خازم، ولا استحْيَيْتَ منا ونحن إخوانُك، وقد علمتَ أنّا نتَوَلّاه وهو مَنْ تَعرف فَضْلا وجُوداً؟ فضَحِك، وقال لى: يا أبا إسحاق، لِغَيْرك الجَهْل، أما تَعلَم أنّ الهِجاء آخِذٌ بِضَبُع الشّاعر وأجدَى عليه من المَديح المُضرِع؟ وما ظَلَمتُ مع ذلك منهم أحداً،

(١) فى الديوان: ٢٥٩: «فاقعد فأنت طليق العفو مرتهن».
(٢) فى الديوان: ٢٥٩: «وقد هاج الرهان». والجراء: الفتوة.

وما مَضَى فلا سَبِيلَ إلى رَدّه ، ولكن قد وَهبتُ لك عِرْضَ خُزَيْمة بعد هذا . قال: ثم أنشدَنى قولَه فى سَعِيد بن سَلْم :

دُيونُك لا يُقْضَى الزّمانَ غَرِيمُها ... وبُخْلُك بُخْلُ البَاهِلِيّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بنُ سَلْم أبخَلُ الناس كُلِّهم ... وما قَومُه من بُخله بِبَعيدِ

فقلتُ له : وسَعِيدُ بنُ سَلْم صَديقى أيضاً ، فهَبْه لى ، فقال : إن أقبلْتَ على ما يَعْنيك ، وإلا رَجعْتُ فيما وهبتُ لك من خُزَيْمة ، فأمسَكْتُ عنه راضياً بالكَفاف .

مدح محمد بن يزيد بن مزيد ثم انصرف عنه

أخبرنى حبيبُ بنُ نَصْر المُهَلّبىّ قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد، قال : حدثنى عبدُ الله بنُ محمد بنِ مُوسَى بنِ عُمَر بنِ حَمْزة بن بَزِيع قال : حدّثنى عبدُ الله بنُ الحسَن اللهبىّ قال :

كان مُسلِم بنُ الوَليد مَدّاحا لِيَزِيدَ بنِ مَزْيد ، وكان يُؤْثِرُه ويُقدّمه ويُجزِل صِلتَه ، فلما ماتَ وفَد على ابنِه محمد ، فمدَحه وعزّاه عن أبيه ، وأقام ببابه أيّاما فلم يَرَ منه ما يُحِبّ ، فانصرف عنه وقال فيه :

لَبِستُ عَزاءً عن لِقاء محمدٍ ... وأعرضتُ عنه مُنْصِفًا وَوَدُودَا
وقلتُ لِنفْس قادَها الشّوقُ نحوَه ... فَعوَّضها منه اللّقاء صُدُودَا[1]
هَبِيهِ امرأً قد كان أصفاكِ وُدَّه ... وماتَ وإلا فاحسُبِيه يَزِيدَا
لعَمْرِى لقد وَلَّى فلم أَلْقَ بعدَه ... وفاءً لذى عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا

أخبرنى حَبيبُ بنُ نَصْر قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد قال : حدّثنى أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بنِ دَاوُدَ قال :

(١) فى الديوان : ٣١٠ : « فعوضها حب اللقاء صدودا » .

مدح الفضل بن يحيى فأجزل له العطاء ووهبه جارية أعجبته بعد ان قال فيها شعرا

دَخَل مُسلِم بنُ الوَليد يوما على الفَضْل بن يَحْيى ، وقد كان أتاه خَبَرُ مَسيرِه ، فجلس للشُّعراء فمدَحُوه وأثابَهم ، ونَظَر فى حَوائجِ النَّاس فقَضَاها ، وتفرّق النّاسُ عنه ، وجلس للشّرب ، ومُسْلِم غَيْرُ حاضِرٍ لذلك ، وإنَّما بلَغه حين انْقضَى المجْلِس ، فجَاءَه فأُدخِل إليه فاستأْذن فى الإنشاد ، فأَذِن له ، فأنْشَده قولَه فيه :

أتَتْكَ المَطايَا تَهْتَدِى بمَطِيَّة ... علَيها فَتًى كالنَّصْل مُؤْنِسُه النَّصْلُ

يَقولُ فيها :

وَرَدتُ[1] رِواقَ الفَضْل آملُ فَضلَه ... فحَطَّ الثَّناءَ الجَزْلَ نائِلُه الجَزْلُ
فتًى تَرْتَعِي الآمالُ مُزْنَةَ جُودِه[2] ... إذا كان مَرْعاها الأَمانىُّ والمَطْلُ
تساقطُ يُمناه النَّدى وشِمالُه الـ ... ـرَّدَى وعُيونُ القَوْل مَنطِقُه الفَصْلُ
ألحّ على الأيام يَفرِى خُطوبَها ... على مَنْهجٍ ألْفى أباه به قَبْلُ
أنافَ به العلياءَ يَحْيى وخَالِدٌ ... فلَيس له مِثْلٌ ولا لَهُما مِثْلُ
فُروعٌ أصابت مَغْرِسًا مُتَمكِّناً ... وأصْلاً فطابت حيث وجّهها الأَصلُ[3]
بكفِّ أبى العبّاس يُستَمطَر الغِنَى ... وتُستَنْزَل النُّعمى ويُسْتَرعَف النَّصلُ

قال : فطَرِب الفَضْل طَرَبًا شَدِيدا ، وأمر بأن تُعَدَّ الأبياتُ ، فعُدَّت فكانت ثمانِين بَيْتا فأمر له بثَمانِين ألف درهم ، وقال : لولا أنَّها أكثر ما وُصِل به الشُّعراء لزِدْتُك ، ولكنّه شأوٌ لا يُمْكِنُنِي أن أتجاوَزه — يعنى أنَّ الرشيدَ رَسَمَه لِمَرْوان بن أبى

(١) فى الديوان : ٢٦٣ « وردن رواق الفضل فضل ابن جعفر » .
(٢) فى ما : « فضله » . وفى المختار : « الأماني والبُطل » .
(٣) فى ما : « فطالت » . وفى الديوان : ٢٦٤ :

فروع تلقتها المغارس فاعتلى ... بها عاطفا أعناقها قصده الأصل

حَفْصةِ — وأمره بالجُلوس معه والمُقام عنده لمُنادمَته ، فأقام عنده ، وشَرب معه ، وكانت على رَأْس الفَضل وَصِيفة تَسْقيه كأنها لُؤْلُؤَة ، فلَمَح الفَضْلُ مُسلِماً ينظر إليها ، فقال : قد — وحَياتى يا أَبَا الوَليد — أعجَبَتْك ، قُل فيها أبياتاً حتى أَهَبَها لك ، فقال :

إن كُنتِ تَسْقِين غيرَ الرَّاح فاسقِينِى ... كأْسا أَلذَّ بها من فِيكِ تَشْفِينى
عَيْناكِ راحِى ، ورَيْحانى حَديثُك لى ، ... ولَونُ خَدَّيْك لَونُ الوَرْد يَكْفِينى
إذا نَهانِىَ عن شُرْب الطِّلاَ حَرَجٌ ... فخَمْرُ عَيْنَيْكِ يُغنِينِى ويَجْزِينِى
لولاَ علاماتُ شيبٍ لو أَتَت وَعَظت ... لقد صَحوتُ ولٰكِن سوف تَأْتِينى
أُرضِى الشَّبابَ فإن أَهلِكْ فعن قَدَر ... وإن بَقِيتُ فإن الشَّيبَ يُشقِينى[1]

فقال له : خُذْها بُورِكَ لك فيها . وأمر بتَوجِيهها مع بَعْض خدمها إليه .

ماتت زوجته فجزع عليها وتنسك

أخبرنى حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلّبِىّ قال : حدّثَنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد قال : حدّثنى أحمدُ بنُ إبراهيم قال :

كانت لمُسلِم بن الوليد زوجَةٌ من أهله ، كانت تَكفِيه أمرَه وتَسُرُّه فيما تَلِيه له[2] منه ، فماتَت فجَزِع عليها جزَعاً شديداً ، وتَنَسَّك مُدَّة طويلة ، وعزَم على مُلازَمة ذلك ، فأَقسَم عليه بعضُ إخوانه ذاتَ يوم أن يَزُوره ففعَل ، فأَكَلوا وقدَّموا الشَّرابَ ، فامتنع منه مُسلِم وأَباه ، وأنشأ يقول :

بُكاءٌ وكأسٌ ، كيف يَتَّفِقان ؟[3] ... سَبيلاهُما فى القَلْب مُختَلِفانِ
دَعانِى وإفراطَ البُكاء فإنَّنى ... أَرَى اليومَ فيه غيرَ ما تَرَيانِ
غَدَتْ والثَّرى أَولَى بها من وَلِيِّها ... إلى منزلٍ ناءٍ لَعَينكَ دَانِ

---

(١) فى الديوان : ٣٤٤ : .... « فإن الشيب يسلينى » .
(٢) المختار : « وتستره عن الناس بمالها » .
(٣) المختار : « يجتمعان » .

فلا حُزْن حتى تَذرِفَ العَينُ ماءَها وتعترِفَ الأَحشـاءُ للخَفَقان
وكَيفَ بِدفْعِ اليأسِ للوَجْدِ بعدَها وسَهْمَا هُما[1] فى القلب يَعتَلِجان!

هاجاه ابن قنبر فأمسك عنه بعد أن بسط لسانه فيه

أخبرنى حَبيبُ بنُ نَصْر قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال: حدثنى عَلِيُّ ابنُ الصبّاح قال: حدثنى مالكُ بنُ إبراهيم قال:

كان مُسلِم بنُ الوليد يُهاجِي الحَكَمَ بنَ قَنبر المَازِنىّ، فغَلَب عليه ابنُ قَنبر مدةً وأخرسه، ثم أثاب مُسلِم بعد أن انخزَل وأُفحِم، فهتَك ابنَ قَنبر حتى كَفّ عن مُناقضَتِه، فكان يَهرُب منه، فإذا لَقِيه مُسلِم قبَض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيه فيُمْسِك عن إجابته؛ ثم جاءه ابنُ قَنبر إلى منزله واعتذَر إليه مما سَلَف، وتحمّل عليه بأهلِه وسَأله الإمساكَ، فوَعَده بذلك، فقال فيه:

حَلُمَ ابنُ قَنبرَ حين أَقْصَر جهلُه هل كان يَحلُم شاعِرٌ عن شاعرِ؟
ما أنتَ بالحَكَمِ الذى سُمِّيتَه غالتْك حِلْمَك هَفوةٌ من قاهرِ
لولا اعتِذارُك لارتَمى بك زاخِرٌ مَرِحُ العُباب يَفوتُ طرف النّاظِرِ
لا تُرتِعَنْ لَحمِى لِسانَك بعدَها إنّى أخاف عليك شَفْرةَ جازِرِ
واستَغْنِمِ العَفوَ الذى أُوتيتَه لا تأمنَنَّ عُقوبةً من قادرِ

مسلم وابن قنبر يتهاجيان فى مسجد الرصافة

أخبرَنى الحَسَن بنُ عَلِيّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القَاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنى محمد بنُ عبد الله أبو بكر العَبْدىّ قال:

رأيتُ مسلمَ بنَ الوليد وابنَ قَنبر فى مسجد الرُّصافة فى يوم جُمُعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجَيان، فبدأ مسلم فقال:

أنا النّار فى أحجارها مُستكِنّةٌ فإن كنتَ ممن يقدحُ النّارَ فاقدحِ

---

(1) فى ف، ما: «وهمّاهما».

فأجابه ابنُ قَنبر فقال :

قد كنتَ تَهوِى وما قوسى بمُوَتَّرة فكيف ظنُّك بى والقوسُ فى الوَتَرِ

قال : فوثب إليه مسلم وتواخزا[1] وتواثبا ، وحَجَز الناسُ بينهما فتفرَّقا .

لامه رجل من الانصار على انخزاله أمام ابن قنبر فعاد إلى هجائه

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنى محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال : حدثنى علىّ ابن عُبيد الكوفىّ قال : حدثنى علىُّ بن عمروس الأنصارىّ قال :

جاء رجلٌ من الأنصار ثم من الخَزْرَج إلى مُسلم بنِ الوليد فقال له : وَيْلك ما لَنا ولَك، قد فضحتَنا وأخزيتَنا ، تعرَّضتَ لابن قَنْبر فهاجيتَه ، حتى إذا أمكنتَه من أعراضنا انخزلتَ عنه وأرعَيْتَه لُحومَنا ، فلا أنت سكتَّ ووَسِعك ماوَسِع غيرك ، ولا أنت لمَّا انتصرتَ انتصفتَ . فقال له مسلم : فما أصنع ؟ فأنا أصبر عليه ، فإن كفَّ وإلا تحمَّلتُ عليه بإخوانه ، فإن كَفَّ وإلا وَكلتُه إلى بَغْيه ، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل ، فإن أقام على ما هو عليه سألتُه أن يسهر له ليلةً يدعو اللهَ عليه فيها فإنها تُهلِكه ، فقال له الأنصارىّ : سَخِنَتْ عينُك ! أَوَ بهذا تَنتصِفُ ممن هجاك ؟ ثم قال له :

قد لاذ من خوفِ ابنِ قَنبر مُسلمٌ بدُعاء والدِه مع الأسحارِ

ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكى ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ

ثَكِلَتْك أُمُّك قد هتكتَ حريمَنا وفضَحت أُسرتَنا بنى النجارِ

عمَّمتَ خَزْرَجَنا ومعشَر أوْسِنا خِزياً جَنيتَ به على الأنصارِ

فعليكَ من مولًى وناصرِ أُسرةٍ وعشيرةٍ غضَبُ الإله البارى

قال : فكاد مسلم أن يموت غمًّا وبُكاء وقال له : أنت شرٌّ علىّ من ابنِ قَنبر . ثم أثاب وَحَمِىَ ، فهتك ابنَ قَنبر ومزَّقه حتى تركه ، وتحمّل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة .

(١) تواخزا : طعن كل منهم صاحبه طعنة غير نافذة .

رجع الحديث عما وقع بينه وبين ابن قنبر

ونَسختُ هذا الخبرَ من كتاب جدّى يحيى بنِ محمد بن ثوابَة بخطه، قال:

حدثنى الحسن بن سعيد قال: حدثنى منصورُ بنُ جُمهُور قال:

لما هجا ابنُ قَنبر مسلمَ بنَ الوليد أمسك عنه مسلم بعد أن أشلَى[1] عليه لسانَه قال: فجاءه عمٌّ له فقال له: يا هذا الرجل، إنك عند الناس فوق ابنِ قَنبر فى عَمود الشعر، وقد بَعث[2] عليك لسانَه ثم أمسكتَ عنه، فإما أن قارَعْتَه أو سالَمْتَه. فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجَّد فيه، وله بين ذلك دَعَوات يدعو بهنّ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دَعَواته، فإنا نَكْفاه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال:

غلب ابنُ قَنبر واللئيمُ مُغلَّبُ   لما اتَّقيتَ هِجاءه بدُعاء

ما زال يقذف بالهِجاء ولذعه   حتى اتقوه بدَعوة الآباء!

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابنُ قَنبر يبلغ منى هذا كلَّه، فأمسِكْ لسانك عنى، وتعرَّف خبره بعد هذا. قال: فبعث —والله— عليه من لسان مسلم ما أسكته. هكذا جاء فى الأخبار.

وقد حدثنى بخبر مناقضته ابنَ قَنبر جماعةٌ ذكروا قصائدَهما جميعاً، فوجدت فى الشعر الفضلَ لابنِ قَنبر عليه، لأن له عدةَ قصائد لا نقائضَ لها، يذكر فيها تعريدَه[3] عن الجواب، وقصائدَ يذكر فيها أنّ مسلماً فَخَر على قريش وعلى النبى صلى الله عليه وسلم ورماه بأشياء تُبيح دمَه، فكفّ مسلم عن مناقضته خوفاً منها، وجَحَد أشياء كان قالها فيه.

فمن أخبرنى بذلك هاشمُ بنُ محمد الخزاعىّ قال:

حدثنى عبدالله بن عمرو بن أبى سعد قال: حدثنى محمدُ بنُ عبدِالله بنُ الوليد مولى الأنصار، وكان عالما بشعر مسلم بنِ الوليد وأخباره، قال:

(١) أشلى لسانه: أطلقه.   (٢) فى ى: «بعثت».

(٣) تعريده: هربه.

سبب المهاجاة بينه وبين ابن قنبر

كان سببُ المهاجاة بين مسلم بنِ الوليد والحكمَ بنِ قَنْبر أنّ الطِّرِمّاح بنَ حَكِيم قد كان هجا بنى تَميم بقصيدته التى يقول فيها :

لا عزّ نصرُ امرئٍ أضحَى له فرسٌ على تميم يريد النصرَ من أحدِ
إذا دعا بشعارِ الأزْدِ نفّرهم كما يُنفِّرُ صوتُ الليث بالنَّقَدِ
لو حانَ وِردُ تميم ثم قيل لهم : حَوضُ الرسولِ عليه الأزدُ لم تَرِدِ
أو أنزلَ الله وحيًا أن يعذّبها إن لم تَعُد لقتال الأزد ، لم تعُدِ

وهى قصيدة طويلة ، وكان الفرزدق أجاب الطِّرِمّاح عنها ، ثم إن ابنَ قَنْبر المازنىّ قال بعد خبر طويل يرد على الطِّرِمّاح :

يا عاوياً هاج لَيْثًا بالعُواء له شَثْنَ البراثن وَرْدَ اللون ذا لِبَدِ (١)
أىّ الموارد هابت جَمَّ غَمْرته بنو تميم على حال فلم تَرِدِ
ألم تَرِدْ يوم قَنْدابيل مُعلمَةً بالخيل تَضْبِر نحو الأزْد كالأُسُدِ (٢)
بفتيةٍ لم تنازعْهَا فتطبعَها (٣) بلؤمها طَيِّئ ثديًا ولم تلِدِ
خاضت إلى الأزد بحراً ذا غوارب من سُمْرٍ طوالٍ وبحراً من قَنًا قِصَدِ (٤)
فأوردَتْها منَاياها بِمُرْهَفَةٍ مُلسِ المضارب لم تُفْلَلْ ولم تَكَدِ

وهى قصيدةٌ طويلةٌ . وقد كان الطِّرِمّاح قال أيضًا :

تميمٌ بطُرْقِ اللؤمِ أهدى منَ القطَا ولو سلَكتْ طُرْقَ المكارم ضَلَّتِ
أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أرى عظامَ المخازى عن تميم تَجَلَّتِ

(١) فى ى : « ذا اللبد » .

(٢) قندابيل : مدينة بالسند . وفى ف : « قتل أبيك » بدل « قندابيل » وضبرت الفرس : جمعت قوائمها ووثبت .

(٣) فى ما ، مهذب الأغانى : « فتطبعها » .

(٤) القصد : القطع جمع قصدة .

وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها ، فقال ابن قَنْبر[1] ينقُضها :

لَعمرُك ما ضلَّتْ تميمٌ ولا جَرَتْ على إثر أشياخ عن المَجْد ضَلَّتِ
ولا جَبُنت بل أقدَمت يوم كسَّرت لها الأزدُ أغمادَ السُّيوفِ وسَلَّتِ
بغائط قَنْدابيلَ والموتُ خائضٌ عليها بآجالٍ لها قد أظلَّت[2]
فما برِحت تُسقَى كُؤوسَ حِمامِها إذا نَهِلتْ كرُّوا عليها فعَلَّتِ
إلى أن أبادَتْهم تميمٌ وأكذبت أمانِيَّ للشيطان عنها اضمحلّتِ
وحانَ فِراقٌ منهمُ كُلَّ خَدْلة مُفارِقةٍ بعلاً به قد تَملَّتِ

وهى أيضاً طويلة قال : فبَلَغ مُسلمَ بنَ الوليد هِجاءُ ابن قَنْبر للأَزْد وطيّئ وردُّه على الطِّرِمّاح بعد موته ، فغضب من ذلك ، وقال : ما المعنى فى مناقضة رجُل مَيِّت وإثارة الشَّرّ بذِكْر القبائل ، لا سِيّما وقد أجابَه الفرزدقُ عن قوله ؟ فأبَى ابنُ قنبر إلا تمادِياً فى مُناقضته ، فقال مسلم قَصيدتَه التى أولها :

آياتُ أطلالٍ برامةَ دُرَّسِ هِجْنَ الصَّبابةَ إذ ذكَرْتُ[3] مُعرَّسى
أوحَتْ إلى دِرَرِ الدُّموع فأسْبَلَت واستَفْهَمْتها غيرَ أنْ لَمْ تَنبسِ

يقول فيها يصف الخمر :

صفراءُ من حَلَب الكروم كسوتُها بيضاءَ من حَلَب الغُيُوم البُجَّسِ[4]
طارت[5] ولاوَذَها الحَبابُ فحاكَها فكأنّ حِلْيَتَها جَنِيُّ النرجِسِ

(١) فى ما : « وقال الفرزدق يجيبه » .
(٢) فى ف : « ... والموت جائل * عليها بآجال لهم قد أظلت » .
(٣) فى ما : « والهوى بمعرّسى » . وفى الديوان : ١٣٠ « واستثرن معرّسى » .
(٤) فى الديوان : ١٣١ « من صوب الغيوم البُجَّس » .
(٥) فى الديوان ١٣٢ : « مزجت » . وفى هى : « طارت ولاذ بها الحباب فحاطها » .

ويقولُ فيها يَصِفُ السُّيوفَ :

وتُفارِقُ الأغمادَ تبدُو تارةً ... حُمْراً وتَخفَى تارة فى الأرؤُسِ
حَربٌ يكون وَقودُها أبناءها ... لَقِحَتْ على عُقْرٍ ولمّا تُنفَسِ
من هاربٍ ركِبَ النَّجاء ومُقعَصٍ ... جَثَمت منيَّتُه على المُتنفِّسِ
غصَبتْه أطرافُ الأسِنَّة نفسَه ... فثوى فَرِيسةَ وُلَّغٍ أو نُهَّسِ
إن كنتِ نازلةَ اليفاعِ فنكِّبى ... دار الرِّباب وخَزْرَجى أو أوسِى
وتجنَّبى الجَعْراءَ[1] إنَّ سُيوفَهم ... حُدُثٌ وإن قناتَهم لم تَضْرَسِ
هل طَيِّءُ الأجبال شاكرةٌ امرىءٍ ... ذادَ القوافىَ عن حِماها مِردسِ[2]
أحيِى ـ أبا نفر ـ عِظامَ حُفَيْرة ... دَرَسَتْ وباقى غَرْسِها لم يَدرُسِ
كافأتُ نِعمتَها بضِعفِ بلائها ... ثم انفردْتُ بمنصِبٍ لم يَدْنَسِ[3]
وإذا افتخرتُ عددتُ سَعىَ مآثرٍ ... قَصَرتْ على الإغضاءِ طَرْفَ الأشْوسِ
رَفَعت بنُو النجّار حِلْفى فيهمُ[4] ... ثم انفردتُ فأفسَحُوا عن مجلِسى
فاعقِلْ لسانَك عن شتائمِ قومِنا[5] ... لا يعلقنَّك خادرٌ من مأنَسِ
أخلقْتَ فَخْرَكَ[6] من أبيك وجئتَنى ... بأبٍ جَديدٍ بعد طُول تَلَمُّسِ
أخذَتْ عليه المحكَماتُ طريقَها ... فغدا يُهاجِى أعظُماً فى مَرْمَسِ[7]

(١) فى ى . مج : «الحمراء» . وفى الديوان : ١٣٦ : «الخفراء» .
(٢) فى الديوان : ١٣٧ : « الأقعس » بدل «مردس » . والمردس : الآلة التى تسوى وتكسر .
(٣) فى ما ، : « لم ينجس » .
(٤) فى الديوان : ١٣٦ « بيتى فيهم » « ثم انتميت » .
(٥) فى الديوان : ١٣٩ : «عرضنا » .
(٦) فى الديوان : ١٣٩ : « أخلقت فخرك » : وفى ف ، ما : « نجرك » .
(٧) فى ما : «مدرس» . وفى الديوان : ١٤٠ : « فغدا يناقض أعظما فى أرمس » .

قال : فلم يُجبْه ابنُ قَنْبر عن هذه بشيء ، ثم التقيا فتعاتَبا ، واعتذر كل واحدٍ منهما إلى صاحِبه ، فقال مُسلم يهجوه :

حَلُمَ ابنُ قنْبرَ حين قصَّر شِعرُه ... هل كان يَحلُم شاعرٌ عن شاعِرِ

وقد مَضت هذه الأبيات مُتقدّماً . قال : ومكث ابنُ قنْبر حيناً لا يُجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكَفافِ ، ثم هجا مُسلم قُريشا وفخر بالأنصار فقال :

يهجو قريشا ويفخر بالأنصار

قل لِمَن تاه إذ بِنا عزَّ جَهْلاً ... ليس بالتِّيه يفخَر الأحرارُ

فتناهَوْا وأقصِرُوا فلقد جا ... رَت عن القَصْد فيكمُ الأنصارُ[1]

أيُّكم حاطَ ذا جِوارٍ بعزٍّ ... قبل أنْ تحتويه مِنّا الدّارُ

أو رَجا أن يفوتَ قوما بِوِتْرٍ ... لم تَزلْ تَمتطيهمُ الأوتارُ

لم يَكُن ذاك فيكمُ فدَعوا الفخْـ ... ـرَ بما لايَسوغُ فيه افتِخارُ

ونِزاراً ففاخِرُوا تَفضُلوهم ... ودَعُوا مَنْ له عبيداً نِزارُ

فَبِنا عَزّ منكمُ الذُّلُّ والدّ ... هْرُ عليكم بِريبةٍ كرّارُ

حاذِرُوا دولةَ الزّمان عليكمْ ... إنّه بين أهله أطْوارُ

فتَرَدُّوا ونحن للحالة الأُو ... لى وللأَوْحد[2] الأذلّ الصَّغارُ

فاخرتْنا لمّا بَسَطنا لها الفخـ ... ـرَ قريشٌ وفخرُها مُستَعارُ

ذكرتْ عِزّها وما كان فيها ... قَبْل أن يَستجيرَنا مُستَجارُ

إنّما كان عِزُّها فى جبال ... تَرتَقيها كما ترقّى الوبارُ[3]

(١) فى الديوان : ٣١٥ : « الأبصار » بدل « الأنصار » .

(٢) فى ف : و« للأدحر » .

(٣) فى ف : « إنما كان غيرها » والوبارُ : جمع وبر ؛ وهو حيوان من ذوات الحافر فى حجم الأرنب .

أيُّها الفاخِرُون بالعزّ ، والعِـــزُّ لقَومٍ سِـواهُمُ والفخارُ
أخبِرونا مَنِ الأعزُّ أألمَنْـ ـصورُ حتى اعتلَى أم الأنصارُ ؟
فَلَنَا العِزُّ قبل عِزّ قُرَيشٍ وقُرَيشٌ تِلكَ الدُّهور تِجارُ

ابن قنبر يجيبه

قال : فانْبرى له ابنُ قُنْبرٍ يُجيبه فقال :

ألا ٱمثُلْ أميرَ المؤمنين بمُسلمٍ وأفلِق به الأحشاءَ من كل مُجرمِ
ولا ترجِعَنْ عن قَتْله باستِتابةٍ فما هو عن شَتْم النَّبى بمُحرِمِ[1]
ولا عن مُساواةٍ له ولقَوْمه قُرَيشٍ بأصداءٍ لِعادٍ وجُرْهُمِ
ويفخَر بالأنصار جَهْلاً على الذى بنُصرته فازوا بحظٍّ ومَغْنَمِ
وسُمُّوا به الأنصارَ لا عزَّ قائلٌ أرادَ قُرَيشاً بالمَقال المُذمَّمِ
ومنهم رَسولُ اللهِ أزكى مَنِ انتمَى إلى نَسبٍ زاكٍ ومجْدٍ مُقدَّمِ
وما كانَت الأنصار قبل اعتْصامِها بنَصْر قُريشٍ فى المحلِّ المُعظَّمِ
ولا بالألى يعلون أقدارَ قومِهم صُداءٍ وخَولانٍ ولَخمٍ وسلْهَمِ
ولـكنّهم بالله عاذُوا ونَصرِهم قريشاً ومن يَستعْصِمِ الله يُعصَمِ
فعَزُّوا وقد كانوا وفِطْيَوْنُ[2] فيهم من الذلّ فى بابٍ من العِزّ مُبْهَمِ
يسومهم الفِطْيَوْن مالا يُسامُه كريمٌ ومن لايُنكر الظُّلْم يُظلَمِ
وإنّ قُرَيشاً بالمـآثر فُضِّلَتْ على الخلق طرًّا من فَصِيحٍ وأعْجَمِ
فما بالُ هذا العِلْج ضلَّ ضلالُه يمُدُّ إليهم كفَّ أجذَمَ أعْثَمِ[3]
يُسامى قُرَيشاً مُسلمٌ وهُمُ هُمُ بِمولَى يَمانِىٍّ وبيتٍ مُهدَّمِ

(١) فى ف : «بمحجم» .
(٢) الفطيون : ملك تملك بيثرب . وقال ابن الكلبى : الفطيون اسمه عامر بن عامر بن ثعلبة (الاشتقاق لابن دريد) .
(٣) الأعثم ، من عثم الكف وهو يبس مفصل الرسغ حتى يعوج .

إذا قام فيه غيرهم لم يكن له مقامٌ به من لؤم مَبْنًى ومَدْعَمِ
جَعاسيسُ(١) أشباهُ القُرود ولو أنّهم يُباعون ما ابتِيعوا جميعًا بِدرْهمِ
وما مُسلمٌ من هؤلاء ولا أُلى ولكنّه من نسْل عِلْجٍ مُلَكّمِ
تولّى زمانًا غيرهم ثُمّتَ ادّعى إليهم فلم يَكرُم ولم يتَكرّمِ(٢)
فإن يَكُ منهم فالنّضير ولِفُّهُم(٣) مواليه لا مَنْ يدّعى بالتّزعُّمِ
وإن تدعُه الأنصارُ مولًى أسمْهُم بقافيةٍ تَسْتكرِه الجِلْدَ بالدّمِ
عِقابًا لهم فى إفكهم وادّعائهم لأقلفَ منقوش الذراع مُوَشّمِ
فلا تدّعوه وانتفوا(٤) منه تسْلَموا بِنَفْيِكُمُوه من مَقامٍ ومأثمِ
وإلا فغضّوا الطّرْفَ وانتظروا الرّدى إذا اختلفت فيكم صوارِدُ أسهُمِي
ولم تجدوا منها مِجَنًّا يُجِنُّكم إذا طلعت من كُلّ فجٍ ومَعْلَمِ
وأنتم بنو أذناب من أنتُمُ له ولستم بأبناء السّنام المقدّمِ
ولا بنى الرأسِ الرفيع محلُّه فيسمو بكم مَولًى مُسامٍ وينتمِى
فكيفَ رضيتم أن يُسامَى نبيّكم ببيتكمُ الرّثِّ القصيرِ المهدّمِ
سأحطِم من سامى النبيّ تطاوُلًا عليه وأَكوِى مُنتماه بِميسَمِ
أيُعدلُ بيتٌ يثربىٌّ بكعبةٍ(٥) ثوتها قُريشٌ فى المكان المُحرّمِ

(١) الجعاسيس : جمع جعسوس ، وهو القصير . وفى ى : « جعاميس » والجعموس : الرجيع . يقال : رمى بجعاميس بطنه .
(٢) فى ما : « ولما يكرم » .
(٣) فى ى ، مج : « ولفه » .
(٤) فى ى ، مج : «وابعدوا» .
(٥) فى ف ، ى ، مج : « أتعدل بيتا يثربيا بكعبة » .

قُريش خِيارُ الله واللهُ خصَّهم بذلك فاقْعَسْ أيُّها العِلجُ وارْغَمِ
ومَنْ يَدّعى منه الولاء مُؤخَّرٌ إذا قيل للجارِى إلى المجد أقدِمِ

قال : وكان مُسلم قال هذه القَصيدة فى قُريش وَكَتمها ، فوقَعت إلى ابن قَنْبر ، وأجابه عنها ، واستَعلى عليه وهَتكه ، وأغرى به السُّلطانَ ، فلم يكن عند مُسلم فى هذا جَواب أكثر من الانتِفاء منها ، ونسبتها إلى ابن قَنْبر ، والادّعاء عليه أنَّه ألصقَها به ونَسَبها إليه ، ليُعرِّضه للسُّلطان ، وخافه فقال يَنْتفى من هذه القصيدة ويهجُو تميما :

قصيدته فى هجاء تميم

دعوتَ أميرَ المُؤمنين ولم تَكُن هُناك ، ولكن مَنْ يَخَفْ يتَجشَّمِ
وإنّكَ إذ تَدْعُو الخليفةَ ناصِراً لكالمُتَرقِّى فى السماء بسُلَّمِ
كذاكَ الصَّدَى تَدْعوه من حيثُ لا تَرى وإن تَتَوهَّمْهُ تَمُتْ فى التوهُّمِ
هجوتَ قُريشاً عامدًا ونحلْتَنى رُويدَك يَظهرْ ما تقول فيُعلَمِ
إذا كان مِثلى فى قَبيلى فإنَّه على ابنَىْ لُؤىٍّ قُصْرَةً غير مُتْهِمِ
سيكشِفُك التَّعدِيلُ عمَّا قَرفْتنِى به فتأخَّرْ عارِفًا أو تَقدَّمِ(١)
فإنَّ قُريشًا لا تُغَيِّر وُدَّها(٢) ولا يُستَمالُ عهدُها بالتَّزعُّمِ
مضى سَلَفٌ منهم وصلَّى بِعقْبِهِم لنا سلف فى الأوَّل المُتقدِّمِ
جَرَوْا فَجرينا سابِقينَ بسبْقِهم كما اتَّبعتْ كفٌّ نواشِرَ مِعْصَمِ
وإنَّ الذى يَسْعى ليقطَع بيننا كمُلتمِسِ اليربُوعِ فى جُحر أرْقَمِ
أضلَّكَ قَدْعُ الآبِدات طريقَها فأصبحتَ من عَميائها فى تَهَيُّمِ (٣)

(١) قرفتنى : اتهمتنى . والتعديل : تزكية الشهود .
(٢) فى ما والديوان ٣٣٩ : «لا يغادرُ ودَّها» .
(٣) فى الديوان : ٣٣٩ «أضلك قرع الآبدات...» والقدع : المجاوزة . وتهيمه الهوى تهيما : حمله على الهيام .

وخانتك عند الجرى — لمّا ابتعثتها — تميمٌ فحاولتَ العُلا بالتقحُّمِ
فأصبحتَ ترمينى بسهمى وتتّقى يدِى بيدِى ، أُصليتَ نارك فاضْرَمِ

ابن قنبر يهجوه

قال : ثم هجاه ابنُ قنبر بقصيدة أوّلها :

قُل لعبدِ النَّضير مُسلمِ الوغـــدِ الدّنىّ اللئيم شيْخ(١) النِّصابِ
اخسَ يا كلبُ إذ نبحتَ فإنّى لستُ ممن يجيبُ نبْحَ الـكلابِ
أفأرضَى ومنْصبِى مَنْصبُ العِزّ وبيتى فى ذِرْوة الأحسابِ
أن أحطّ الرّفيعَ من سَمْك بيْتِى بمُهاجاة أوشَبِ الأوشَـابِ
مَنْ إذا سِيل : مَن أبُوه ؟ بَدا منـــه حياءٌ يَحميه رجْع(٢) الجوابِ
وإذا قيل حين يُقبِلُ : من أنـــتَ ومَنْ تعتزيه فى الأنْساب ؟
قلتَ : هاجِى ابنِ قَنْبرٍ ، فتسربلـــتَ بذِكرى فخراً لدَى النُّسّاب

ابن قنبر يتابع هجاءه

وهى قصيدة طويلة ، فلم يُجبه مُسلم عنها بشىء ، فقال فيه ابنُ قنْبر أيضاً :

لستُ أنفيك إنْ سِوايَ نَفا كا عن أبيك الذى له مُنتماكَا
ولماذا أنفِيك يا بنَ وليدٍ من أبٍ إن ذكرتَه أخزاكَا
ولو انّى طلبتُ ألأمَ منه لم أجِده إن لم تكن أنتَ ذاكا
لو سِواه أباك كان جَعَلنا ه إن(٣) الناسُ طاوعونا أباكا
حاكَ دهراً بغَيرِ حِذقٍ(٤) لبُرْدٍ وتحوكُ الأشعار أنتَ كذاكا

(١) فى ى : « سنخ » . والسّنخ : الأصل .
(٢) فى ى : « ردّ الجواب » .
(٣) فى ما : « إذا الناس » .
(٤) وفى ف : « حاك دهرا بغير جدّ لبُرد » .

وهى طويلة ، فلم يُجبه مسلم عنها بشىء ، فقال ابنُ قَنبَ أيضا يهجوه:

نَفر العبدُ عبدُ قِنٍّ (١) اليهودِ بضعيفٍ من نفره مَردودِ
فاخر الغُرَّ من قريش بإخوا ن خنازير [من] يثربٍ والقُرودِ
يتولَّى بنى النَّضير ويدعُو بهمُ الفخْرَ من مكان بَعيدِ
وبَنِى الأوسِ والخزارج أهْل الذُّ لّ فى سالف الزَّمان التَّليدِ
إذ رَضُوا بافتضاض (٢) فِطْيَوْن منهم كلّ بِكْرٍ رِيًّا الرَّوادفِ رُودِ
وبنو عمِّها شُهود لمَا يَفْـ عل فِطْيَوْن قُبِّحوا من شُهودِ
خَلْفَ باب الفِطْيَوْن والبَعْل منهم (٣) لا بذى غَيرةٍ ولا بنجيدِ
فإذا ما قضى اليهودىّ منها نَحْبه (٤) قنَّعوا بخِزْىٍ جديدِ

قال: فلما أفحش فى هذه القصيدة وفى عدّة قصائد قالها ، ومُسلم لا يُجيبه ، مشى إليه قوم من مَشْيخة الأنصار ، واستعانوا بمشيخة من قُرّاء تميم وذوى العلم والفَضْل منهم ، فمشوا معهم إليه فقالوا له : ألا تستحِى من أن تَهجُو من لا يُجيبك ؟ أنتَ بدأتَ الرَّجل فأجابك ، ثم عُدت فكفّ ، وتجاوزْت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التى كان رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذُبّ عنها ويصونها ، لغير حال أحلَّت لك ذلك منهم ، فما زالوا يَعِظونه ويقُولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمُسلِم ، فانقطعت .

(١) فى ف : «فخر العبد ، علج قن اليهود» . وفى ى : «فخر العلج ، علج قن اليهود» .
(٢) افتض الجارية : أزال بكارتها .
(٣) البعل : المرأة . وفى ما ، ى : «والفحل فيهم» .
(٤) فى ما : «وطرا» .

صوت

ثلاثةٌ تُشرق الدُّنيا ببَهْجتهم شمسُ الضحى وأبُو إسحاق والقمرُ
يحكِى أفاعيلَه(١) فى كلّ نائبةٍ الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ

الشّعر لمحمد بن وُهَيب ، والغناء لعلّويه ثقيل أول بالوُسطى ، وفيه لإبراهيم بن المهدىّ ثَقِيل أول آخر عن الهِشامىّ .

(١) فى ى : « فضائله » .

١٤١/١٧

أخبار محمد بن وهيب[١]

من شعراء الدولة العباسية

محمد بنُ وُهَيْب الحِمْيَرىّ صَلِيبَة شاعر من أهلِ بغداد من شُعراء الدولة العباسية، وأصلُه من البصرة[٢]، وله أشعار كثيرة يَذكُرها فيها ويتشوَّقُها، ويصف إيطانَه إياها ومنشأه بها.

مدح الحسن ابن رجاء ثم المأمون فأكرمه

[٣]وكان يَسْتَمْنِحُ الناسَ بشعْره، ويتكسَّب بالمديح، ثم توسَّل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبى الضَّحاك ومدَحه، فأوصَله إليه وسَمِع شعره فأُعجِب به واقتطعه إليه، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسْنَى جائزته، ثم لم يزل مُنْقطعاً إليه حتى مات. وكان يتشيَّع، وله مَراثٍ فى أهل البيت.

منزلته

وهو متوسط من شعراء طبقته، وفى شعره أشياء نادرة فاضلة، وأشياء متكلفة[٣].

أخبرنا محمد بن خلف وَكِيع قال: زعم أبو مُحلِّم، وأخبرنى عمِّى، عن علىّ بن الحُسَين ابن عبد الأعلى، عن أبى مُحلِّم قال:

المعتصم يسمع مديحه ويجيزه دون غيره

١٤٢/١٧

اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم محمدُ بنُ عبد الملك الزَّيات أنّ أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يُحسِن أن يقول مثلَ قولِ النمرىّ فى الرشيد:

خَلِيفَةَ اللهِ إن الجُودَ أودِيَةٌ ... أحلَّك اللهُ منها حيث تجتمعُ
مَنْ لم يكن بأمين الله مُعتصِماً ... فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ
إن أخلف القطرُ لم تُخلِف مخايلُه[٤] ... أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتَّسِعُ

(١) موضع هذه الترجمة هنا كما جاءت فى ف والمخطوطات الموثوقة بعد ترجمة مسلم بن الوليد، وجاءت فى طبعة بولاق بعد ترجمة عبد الله بن العباس الربيعى.
(٢) فى المختار: «من شعراء البصرة».
(٣-٣) التكملة من ف.
(٤) المخايل من السحب: المنذرة بالمطر. ويقال: ظهرت فى فلان مخايل النجابة: دلائلها ومظنتها.

فلْيدخُل وإلا فلْينصرف ، فقام محمدُ بن وُهَيب فقال : فينا من يقول مثله ، قال : وأىّ شيء قُلت ؟ فقال :

ثلاثةٌ تُشرِق الدنيــا ببهجتهم شمسُ الضُّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ
تحكى(١) أفاعيلَه فى كل نائبةٍ الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ

فأمر بإدْخاله وأحسن جائزَته.

رجع الحديث عن صلته بالحسن بن رجاء

أخبرنى عمِّى قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد قال : حدثنى محمد بن محمد بن مروان ابن موسى قال : حدثنى محمد بن وُهَيْب الشاعر قال :

لمـا تولَّى الحسنُ بن رجاء بن أبى الضَّحاك الجبلَ قلتُ فيه شِعراً وأنشدتُه أصحابنا دِعْبِلَ بنَ علىّ وأباسعد المخزومىّ وأبا تمام الطائىّ ، فاستحْسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمرى من الأشعار التى تُلَقى بها الملوكُ ، فخرجتُ إلى الجبل فلما صِرْتُ إلى هَمَذان أخبره الحاجبُ بمكانى فأذن لى فأنشدتُه الشعرَ فاستحسن منه قولى :

أجارَتَنـا إنّ التعفُّفَ بالياسِ وصَبْراً على استِدْرار دُنيا بإبْساسِ(٢)
حَرِيَّان ألاّ يقذِفا بمَــذلةٍ كريماً وألاّ يُحوِجاه إلى الناسِ
أجارتنا إنّ القِداحَ كواذِبٌ وأكثرُ أسباب النَّجاح مع الياسِ

فأمر حاجبَه بإضافتى فأقمتُ بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحُمْلان أو خِلعة أوجائزة حتى انصرم الصَّيفُ فقال لى : يا محمد إن الشتاء عندنا عِلْج(٣) فأعِدَّ يوما للوداع . فقلت : خدمة الأمير أحبُّ إلىّ ، فلما كاد الشتاء أن يشتدّ قال لى : هذا أوانُ(٤) الوداع ، فأنشدنى الثلاثةَ الأبيات فقد فهمت الشعر كله ، فلما أنشدته :

(١) انظر ص : ٧٣ .
(٢) الإبساس : التصويت للناقة بلطف لتسكن وتدرّ .
(٣) فى ى : «صعب» . والعلج : الشديد .
(٤) مى : « يوم الوداع » .

أجارتَنا إن القِداح كواذِبٌ وأكثرُ أسباب النَّجاح مع الياسِ

قال: صدقت ، ثم قال : عُدُّوا أبيات القصيدة فأعطُوه لكل بيت ألفَ درهم ، فعُدّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً ، فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم ، وكان فيما أنشدته فى مقامى واستحْسنه قولى :

صوت

دِماءُ المُحبِّين لا تُعقَلُ(١) أما فى الهوى حَكَمٌ يعدِلُ !
تعبَّدنى حَوَرُ الغانيات ودانَ الشبابُ له الأَخطَلُ(٢)
ونظرةِ عينٍ تعلَّلتُها غِراراً كما ينظر الأَحولُ
مُقَسَّمةٍ بين وجه الحبيبِ وطرف الرقيبِ متى يغفَلُ

(٣)فى هذه الأبيات هَزَج طنبورىّ سمعته من جحظة فذكر أنه يُراه للمسدودِ ولم يُحقّق صانعه .

قال الأصبهانىّ : وهذه الأبيات له فى المطَّلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ .

قال محمدُ بنُ وُهَيب: وأُهدِى إلى الحسن بن رجاء غلامٌ فأُعجِب به فكتبتُ إليه :

ليهنك الزائرُ الجديدُ جرى به الطائرُ السعيدُ
جاء مشوقٌ إلى مشوقٍ فذا وَدُودٌ وذا وَدودُ
يَومُ نَعيمٍ ويومُ لهوٍ خُصِصْتَ فيه بما تريدُ
إلفٌ مشوقٌ أتاه إلفٌ فمستفادٌ ومُستفيدُ(٣)

---

(١) لا تعقل : لا تدفع ديتها .

(٢) الأخطل : السريع الخفيف أو الأحمق .

(٣-٣) التكملة من ف ، ى .

حدّثنى أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار بهذا الحديث، عن يعقوبَ بن إسرائيل قَرْقارة، عن محمد بن محمد بن مروان[1] بن موسى، عن محمد بن وُهَيْب، فذكر مثل الذى قبله وزاد فيه، فلم يزل يَستعيدُنى :

١٤٣/١٧

أجارتنا إن القِداح كواذبٌ ... وأكثر أسباب النّجاح مع الياسِ

وأنا أعيده عليه، فانصرفت من عنده بأكثر مما كنت أؤمل.

دخل على أبى دلف فأعظمه لإعجابه بشعره

حدثنى علىُّ بن صالح بن الهيثم الأنبارىّ الكاتب قال : حدثنى أبو هِفّان قال : حدّثنى خالى قال :

كنت عند أبى دُلَف القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمدُ بنُ وهيب الشاعرُ فأعظمه جدًّا، فلما انصرف قال له أخوه مَعْقِل : يا أخى، قد فعلتَ بهذا ما لم يستحقّه، ما هو فى بيت من الشّرف، ولا فى كمال من الأدب، ولا بموضع من السلطان، فقال : بلى يا أخى، إنه لحقيق بذلك. أو لا يستحِقه وهو القائل :

صوت

يَدُلُّ على أنى عاشقٌ ... من الدمع مُسْتَشْهَدٌ ناطِقُ
ولى مالكٌ أنا عبدٌ له ... مُقِرٌّ بأنى له وامقُ
إذا ما سموتُ إلى وَصله ... تعرّض لى دونه عائقُ
وحاربنى فيه ريبُ الزّمان ... كأنّ الزّمان له عاشِقُ

فى هذه الأبيات رمل طُنبُورِىّ أظنُّه لجَحْظة.

حدّثنى عمّى قال : حدثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال : حدثنى محمد بن عبد الله ابن مالك قال :

---

(١) ف : «محمد بن محمد بن هارون».

هنأ المطلب بن عبدالله بعد عودته من الحج فوصله بصلة كبيرة

لما قَدِمَ المطَّلب بنُ عبدالله بن مالك من الحج لَقِيه محمدُ بنُ وُهَيْب مستقبِلاً مع من تلقّاه، ودخل إليه مهنئاً بالسّلامة بعد استقراره، وعاد إليه فى الثالثة(١) فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها، يقول فيها:

وما زلتُ أسترعِى(٢) لك الله غائبا وأُظهِرُ إشفاقاً عليك وأَكتمُ
وأعلم أنَّ الجودَ ماغِبتَ غائبٌ وأنَّ النَّدى فى حيث كُنتَ مُخَيِّمُ(٣)
إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً وحُمَّ لقاءٌ بالسُّعود ومَقْدَمُ
وظلَّ يُناجينى بمدْحِك خاطرٌ(٤) وليلِىَ ممدودُ الرّواقين أدهمُ
وقال: طواه الحجُّ فاخشعْ لفقده ولا عيشَ حتى يستهِلَّ المحرَّم
سيفخَر ماضمّ الحطيمُ وزمزمٌ بمُطَّلبٍ لو أنه يتكلَّمُ
وما خُلِقَتْ إلا من الجود كَفُّه على أنها والبأس خِدْنانِ توأَمُ
أعدْتَ إلى أكناف مكة بهْجةً خُزاعِيَّةً كانت تُجِلّ وتُعظِمُ
ليالى سُمَّارِ الَحجون إلى الصَّفا خُزاعة إذ خلَّت لها البيتَ جُرهُمُ
ولو نطقت بَطحاؤُها وحَجونُها وخِيفُ مِنًى والمأزِمان(٥) و زمزمُ
إذاً لدعَتْ(٦) أجزاءُ جسمك كلها تَنافسُ فى أقسامه لو تُحكَّمُ
ولو رُدَّ مخلوقٌ إلى بدء خلقه إذاً كنت جسما بينهن تُقَسَّمُ

---

(١) ب: «فى الثانيه».
(٢) ب: «أستدعى» وأسترعى لك الله: أطلب منه أن يرعاك.
(٣) ب: «فى حيث أنت مخيم».
(٤) ب: «خاطرى».
(٥) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام ومكة.
(٦) ف: «إذا لادعت ... تنافس فى أحكامها».

سَما بك منها كل خيْفٍ فأبطحٍ   نَما بكَ(١) منـه الجوهرُ المتقدِّمُ

وحنَّ إليـك الركنُ حتى كأنَّه   وقد جئتَه خِلٌّ عليـك مُسَلِّمُ

قال : فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة منطُرَف ما قدم به وحمله ، والله أعلم.

مدح الحسن بن سهل فأطربه ولم يقصد غيره إلى أن مات

١٤٤ أخبرنى جعفرُ بنُ قدامة قال: حدثنىالحسنُ بنُ الحسن بن رجاء عنأبيه وأهله قالوا:

١٧ كان محمدُ بن وُهَيب الحميرىّ لمّا قدم المأمونُ منخُراسان مُضاعا مُطَّرَحًا ، إنما يتصدى للعامة وأوساط الـكُتّاب(٢) والقوّادِ بالمديح ويسترفدُهم فيحظى باليسير ، فلماهدأت الأمور واستقرّت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصّته وذوِى مودّته ومَنْ يقرب من أُنسه ، فتوسل إليـه محمد بن وهيب بأبى حتى أوصله مع الشعراء ، فلما انتهى إليه القول استأذن فى الإنشاد فأذن له ، فأنشده قصيدته التى أولها :

ودائعُ أسرارٍ طَوتْها السرائرُ   وباحت بمكتوماتِهنّ النّواظرُ

مَلَـكْتُ بها(٣) طىّ الضمير وتحته   شبَا لوعةٍ عضب الغِرارين باترُ

فأعجم عنها ناطقٌ وهو مُعرِبٌ   وأعرَبتِ العُجمُ الجفونُ العواطِرُ(٤)

ألم تغذُنى السّرّاء فى رَيِّق الهوى(٥)   غريراً بما تَجْنِى علىّ الدّوائرُ

تُسالمنى الأيّامُ فى عُنفوانِه   ويكلَؤُنى طرْفٌ من الدهر ناظِرُ

حتى انتهى إلى قوله :

(١) ف : « نصابك منه » .

(٢) مى : « وأوساط الناس منالكتاب » .

(٣) ف «تمكن فى طى الضمير» . وفى المختار : « ملكن إلى طى الضمير » .

(٤) فى ب : «وأعجبت العجم» وفى مى ، مد : « الجفون الفواتر » . وفى ف : « الجفون النواظر» .

(٥) ب : «ألم تقذنى السراء فى رتق الهوى» .

إلى الحسَن البانى العُلا يَممَّتْ بنا[١] عَوالِى المُنَى حيثُ الحَيا المتظاهرُ
إلى الأملِ المبسُوطِ والأجلِ الذى بأعدائه تـكبُو الجدودُ العواثرُ
ومن أنبعت عينَ المكارمِ كفُّه يقوم مقام القَطْر والروضُ داثرُ
تعصَّب تاجَ الملكِ فى عُنفوانِهِ وأطَّت به عصْرَ الشَّباب المنابرُ[٢]
تُعَظِّمُهُ[٣] الأوهامُ قبل عِيانه ويصدُرعنه الطَّرفُ والطَّرفُ حاسِرُ
به تُجتَدَى النُّعمَى وتُستدرَكُ المُنى وتُستكمَلُ الحُسنى وتُرعَى الأواصرُ
أصات بنا داعِى نوالِك مؤذِنًا بجودك إلا أنه لا يُحاوِرُ[٤]
قسمتَ صُروفَ الدهر بأسًا ونائلًا فَمالُك موتورٌ وسيفُك واترُ
ولمّا رأى اللهُ الخلافةَ قد وَهَتْ دعائمُها واللهُ بالأمر خابرُ
بَنَى بك أركانًا عليك مُحيطةً فأنت لها دون الحوادثِ ساترُ[٥]
وأرعنَ فيه للسوابغ جُنَّةٌ وسقفَ سماء أنشأته الحوافرُ[٦]

يعنى أنَّ على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها .

لها فَلَكٌ فيه الأسِنَّةُ أنجمٌ ونقعُ المنايا مُستطِيرٌ وثائرُ
أجزْتَ قضاءَ الموتِ فى مُهَجِ العِدا ضُحًى فاستباحتْها المنايا الغوادِرُ

---

(١) ف : « ... المعالى سمت بنا » .

(٢) وأطت المنابر : صوتت . وفى ف . «وأطت به غض الشباب المآثر » .

(٣) ب : « تعطفه » .

(٤) ب : «أهاب بنا .... بدونك إلا أنه لا يجاور » .

(٥) فى المختار : جاء عجز البيت التالى مكان هذا العجز .

(٦) جيش أرعن : له فضول يشبه رعن الجبل . ويقال : لقوهم بأرعن أى بجيش مضطرب لكثرته . والسوابغ جمع سابغة ، وهى الدرع الواسعة . الجنة : السترة . الحوافر جمع حافر ، وهو من الدابة بمنزلة القدم للإنسان .

لكَ اللَّحظاتُ الكالئاتُ قواصِداً ... بنُعمَى وبالبَأساء وَهْى شَوَازِر(١)
ولم لم تكن إلا بنفسِك فاخرًا ... لما انتسبتْ إلاّ إليك المفاخرُ

قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سَرِيره إلى الأرض وقال : أحسنتَ والله وأجملت ، ولو لم تقُل قط ولا تقولُ فى باقى دَهْرِك غير هذا لَمَا احتجتَ إلى القوْل ، وأمر له بخمسةِ آلاف دينار فأُحضِرت واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل فى جَنْبَتِه (٢) أيامَ ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ماتصدَّى لغيره .

تردد على على بن هشام فحجبه فهجاه هجاء موجعا

حدَّثنى أحمدُ بنُ جعفر جَحْظَة قال : حدثنى ميمونُ بنُ هارون قال :

١٤٥ / ١٧ كان محمد بن وُهَيْب الحِمْيرىّ الشاعر قد مدح علىَّ بنَ هِشام وتردّد إليه وإلى بابه دَفَعات ، فحجبه ولقيه يوماً ، فعرض له فى طريقه وسلَّم عليه ، فلم يرفع إليه طرفه ، وكان فيه تيهٌ شديد ، فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها ، فلما وصلت إليه خرَّقها وقال : أىَّ شىء يريد هذا الثقيل السيِّئُ الأدب ؟ فقيل له ذلك فانصرف مُغضَباً وقال : والله ما أردتُ ماله وإنما أردتُ التوسُّلَ بجاهه وسيُغنِى الله جل وعز عنه ، أما والله ليذُمَّنَّ مغبَّةَ فِعله . وقال يهجوه :

أزْرت بجُودِ علىٍّ خيفة العَدَم(٣) ... فصدَّ مُنهزِمًا عن شأوِ ذِى الهِمَمِ
لو كانَ منْ فارسٍ فى بَيْت مَكرُمةٍ ... أو كان من وَلَد الأملاك فى العَجَمِ
أو كان أولَه أهلُ البِطاح أو الرَّ ... كبُ المُلَبُّونَ إهلالا إلى الحَرَمِ
أيامَ تُتَّخذ الأصنامُ آلهــةً ... فلا تَرَى عاكِفاً إلا على صَنَمِ
لشجَّعَتْه على فعل المُلوكِ لهم ... طَبائِعٌ لم تَرُعْها خِيفَةُ العَدَمِ

(١) فى ب : « وبالبأساء فيه شواذر » . والشوازر من شزره وشزر إليه : نظر إليه بمؤخر عينه ، وأكثر ما يكون فى حال الإعراض أو الغضب .

(٢) جنبته : ناحيته .

(٣) ف : « أزرت عليه بجود خيفة العدم » .

لم تندَ كفَّاك[١] من بَذْلِ النَّوال كما لم يندَ سيفُك مُذْ قُلِّدتَه بدَمِ
كُنْتَ امرأً رفعتْه فِتْنَةٌ فعلا أيامَهـــا غادِراً بالعَهْدِ والذِّمَمِ
حتى إذا انكشفَت عنّا عمايَتُها[٢] ورُتِّبَ النَّاسُ بالأحساب والقِدَمِ
مات التَّخلّقُ وارتدَّتك مُرتَجِعاً طبيعةٌ نَذْلَةُ الأخلاقِ والشِّيَمِ
كذاكَ مَنْ كان لا رأسًا ولا ذَنبًا كَزُّ[٣] اليَدَيْن حَديثَ العَهْدِ بالنِّعمِ
هَيهاتَ ليس بحمَّالِ الدِّيات ولا مُعطِي الجزيلِ ولا المَرهُوبِ ذِي النِّقَمِ

قال: فحدَّثنى بعضُ بنى هاشمٍ أنّ هذه الأبيات لمَّا بلغت عليَّ بنَ هِشام ندم على ما كان منه، وجزِع لها وقال: لعن الله اللَّجاج فإنه شرُّ خُلُقٍ تخلَّقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال: الله يعلم أنى لا أدخلُ على الخليفة وعليَّ السيفُ إلا وأنا مُستَحٍ منه، أذكر قول ابنِ وُهَيب فىّ:

لم تَندَ كَفَّاك من بَذْلِ النَّوال كما لم يَنْدَ سَيفُك مذ قُلِّدتَه بِدَمِ

حدثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال: حدثنى ميمونُ[٤] بن هارون قال: مَنْ سمع ابنَ الأعرابىّ يقول:

أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمدِ بنِ وُهَيب:

لم تَندَ كَفَّاك من بَذْل النوال كما لم يندَ سيفُك مذ قُلِّدتَه بِدَمِ

أخبرنى محمدُ بنُ خلف بن المرزُبان قال: حدثنى محمدُ بنُ مرزوق البَصْرِىُّ قال:

(١) فى المختار: «لم تند كفك».
(٢) فى المختار، مى، ب: «غيابتها».
(٣) فى معاهد التنصيص ١: ٢٢٤: «كد اليدين».
(٤) ف: «محمد بن هارون».

تعرض لأعرابية فأجابته جوابا مسكتا

حدثني محمد بن وُهَيب قال : جلستُ بالبَصرة إلى عطّار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطّار خَلُوقًا فقلت له : تجدُها اشترته لابنتها وما ابنتُها إلا خُنْفُساءُ ، فالتفتت إليّ مُتَضاحكة ، ثم قالت : لا والله ، لكن مهاةٌ جيداء[1] ، إن قامت فقَنَاةٌ ، وإن قعدت فحصاة ، وإن مشت فقطاةٌ ، أسفلُها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كَفَتياتِكم اللواتي تسمِّنونهن بالفَتُوت[2] ، ثم انصرفت وهي تقول :

إن الفَتُوتَ للفَتاةِ مَضْرطَه ... يَكرُبها في البَطْنِ حتى تَثلِطَه[3]

١٤٦ / ١٧

فلا أعلمُني ذكرتُها إلا أضحكني ذِكرُها .

حدثني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدثنا أبو هِفَّان قال :

تردد على مجلس يزيد بن هارون ثم تركه

كان محمدُ بنُ وُهَيب يتردد إلى مجلس يزيد بن هارون ، فلزمه عدّة مجالس يُملي فيها كلها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، لا يذكر شيئًا من فضائل عليّ عليه السلام ، فقال فيه ابنُ وُهَيب :

آتِي يزيدَ بنَ هارونٍ أُدالِجُه[4] ... في كل يَوْمٍ وَمَالِي وابن هارونِ
فلَيتَ لي بيَزيدٍ حين أشهَدُه ... راحًا وقَصْفًا ونَدْمانا يُسَلِّيني
أَغدُو إلى عُصْبة صَمَّت مسامِعُهم ... عن الهُدَى بين زِنديق ومأفُونِ
لا يذكُرون عَلِيًّا في مَشاهِدِهم ... ولا بَنِيه بَني البِيضِ الميامِينِ

(١) ب : «لا والله ولكن مهاة خبنداة» .

(٢) فت الشيء : دقه وكسره فهو مفتوت وفتيت وفتوت .

(٣) ب : «يكربها بالليل» — ويكربها : يشق عليها .

(٤) أصل المداجة : السير في آخر الليل ، ومنه قول البحتري :

ومن سحر به دالجت فيها ... تغنم قينة وهبوب ساق

والمقصود هنا أسهر معه وقتا طويلا من الليل .

اللهُ[1] يعـلَمُ أنى لا أُحِبُّهمُ كما همُ بيقينٍ لا يُحِبُّونِى

لو يستطيعون عن ذكرى[2] أبا حَسَنٍ وفضلِه قَطَّعُونى بالسَّكاكينِ

ولستُ أترُكُ تفضيلى له أبدًا حتى المَماتِ على رَغْمِ اللاعنين[3]

مذهبه من شعره — أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنى إسحاق بن محمد الكوفىّ ، قال : حدثنى محمد بن القاسم بن يوسف . وأخبرنى به الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن القاسم قال : حدثنى إسحاق ، عن محمد بن القاسم بن يوسف قال :

كان محمد بن وُهَيب يأتى أبِى فقال له أبِى يومًا : إنك تأتينا وقد عرفتَ مذاهِبنا فنحبُّ أن تعرِّفنا مذهبَك فنوافقَك أو نخالفَك ، فقال له : فى غدٍ أبيِّن لك أمرى ومذهبى. فلما كان من غدٍ كتب إليه :

أيُّها السائلُ قد بيَّنْـتُ إن كنتَ ذكيَّا

أحمدُ اللهَ كثيرًا بأياديه عليَّا

شاهدًا[4] أن لا إله غيره ما دمتُ حيًّا

وعلى أحمدَ بالصِّدْقِ رسولاً ونبيَّا

ومنحتُ الوُدَّ قُرْباهُ ووَاليتُ الوَصِيَّا

وأتانِى خبرٌ مُطَّرَحٌ لم يكُ شيَّا

أنَّ على غير اجْتِماعٍ عَقَدُوا الأمرَ بَدِيَّا

فوقَفْتُ القومَ تَيْمًا وعَدِيًّا وأُمَيَّا

غيرَ شتّامٍ ولكنّى تولَّيتُ عليّا

---

(١) ى ، مد ، ف : «إنى لأعلم» . (٢) ى ، ف : «فى ذكرى» .

(٣) ف : «على رغم المعادين» . (٤) ف : «شاهد» بدل «شاهدا» .

حدثنى جَحْظَةُ قال : حدثنى علىُّ بن يحيى المُنَجِّم قال : اعتزازه بشعره

بلغ محمدَ بنَ وُهَيب أنّ دِعْبل بنَ علىّ قال : أنا ابنُ قَولى[1] :

لا تَعْجَبِى يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فبَكَى

وأنّ أبا تمام قال : أنا ابنُ قولى[1] :

نَقِّل فؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ من الهَوَى مَا الُحبُّ إلا للحَبِيبِ الأوّلِ

فقال محمدُ بنُ وُهَيب : وأنا ابنُ قولى[1] :

مالِمَن تَمَّت محاسِنُه أن يُعادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا

لكَ أن تُبدِيَ لنا حَسَنًا ولنا أن نُعمِلَ الحَدَقَا ١٤٧/١٧

قال أبو الفرج الأصبهانىّ[2] : وهذا من جَيِّد شعره ونادره ، وأول هذه الأبيات قولُه :

نَم فقد وَكَّلتَ بى الأَرَقا لاهيًا تُغرِى بِمَنْ عَشِقَا[3]

إنَّما أبقيتَ من جَسَدى شَبَحًا غيرَ الذى خُلِقا

كنتُ كالنُّقصان فى قَمَرٍ ماحِقًا[4] منه الذى اتّسقا

وَفَتًى ناداكَ من كَثَبٍ أُسْعِرَت أحشاؤُه حُرَقَا[5]

غَرِقَت فى الدَّمع مُقلتُه فدعا إنسانُها الغَرَقَا

إنّما عاقَبتَ ناظِرَه أن أعاد اللَّحظَ[6] مُسْتَرِقا

ما لِمَن تَمت محاسِنُه أن يُعادِىَ طَرْفَ من رَمَقا

---

(١) فى ب : « قال أين قولى » .

(٢) ف : « قال مؤلف هذا الكتاب »

(٣) ف : « لا هيا بعداً لمن عشقا » .

(٤) ب : « ما خفى منه » .

(٥) ف : « .... من كرب ملأت أحشاءه حرقا »

(٦) ب : « إذ أعاد الطرف » .

لك أن تُبدِى لنا حُسناً ولنا أن نُعمِل الحَدَقا
قدَحَت كفَّاكَ زَندَ هوًى فى سَوادِ القلبِ فاحْتَرقَا

وصف غلمان أحمد ابن هشام فوهبه غلاما فمدحه

حدثنى عمِّى قال : حدثنى أبو عبد الله الهِشامىّ عن أبيه قال :

دخل محمد بن وُهَيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلمانًا رُوقَةً مُرداً وخدَمًا بِيضًا فُرَّها(١) فى نهاية الحسن والكمال والنظافة ، فدهش لما رأى وبقى مُتَبلِّدًا لاينطق حرفًا ، فضحك أحمد منه وقال له : مالك ؟ ويحك ! تكلَّم بما تريد ، فقال :

قد كانت الأصنامُ وَهْى قديمةٌ كُسِرَت وجدَّعهُنَّ إبراهيمُ
ولَدَيْك أصنامٌ سَلِمْن من الأذى وصَفَت لهُنّ غضارةٌ(٢) ونعيمُ
وبِنا إلى صَنَمٍ نَلُوذ بِرُكْنِه فقرٌ وأنت إذا هُزِزْتَ كريمُ

فقال له : اختر من شئت ، فاختار واحداً منهم ، فأعطاه إياه ، فقال يمدحه :

فَضَلَتْ مَكارِمُه على الأقوامِ وعَلا فَحازَ(٣) مكارِمَ الأيّامِ
وعلَتْه أُبّهَةُ الجلالِ كأنَّه قَمَرٌ بدا لك من خِلال غَمامِ
إنَّ الأميرَ على البَرِيَّة كُلِّها بعد الخليفة أحمدُ بنُ هشامِ

الحسن بن سهل يصله بالمأمون فيمدحه

وأخبرنى جعفرُ بنُ قُدامَة فى خبره الذى ذكرتُه آنِفًا عنه ، عن الحسن بن الحسن ابن رجاء عن أبيه قال :

لمَّا قدم المأمونُ ، لقيَه أبو محمد الحسن بنُ سَهل ، فدخلا جميعًا ، فعارضَهما ابنُ وُهَيب وقال :

(١) الروقة : الجميل جدا من الغلمان والجوارى — المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع . وفره فراهة : جمل وحسن أو حذق ومهر فهو فاره جمعه فُرَّه .
(٢) ف : « نضارة » . والغضارة : النعمة وطيب العيش .
(٣) ف ، ب ، المختار : « فخار » .

اليومَ جُدِّدَت النَّعماءُ والمِنَنُ   فالحمد لله حلَّ العُقدةَ الزَّمنُ
اليومَ أَظهرتِ الدُّنيا محاسِنَها   لِلنَّاس لما الْتَقى المأمونُ والحَسَنُ

قال: فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال: هذا رجل من حِمْيَر، شاعرمطبوع، اتصل بي متوسلا إلى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نُظرائه، فأمر المأمونُ بإيصاله مع الشعراء، فلما وقف بين يديه، وأذِن له في الإنشاد، أنشده قولَه:

طَلَلان طال عليهما الأَمَدُ   دَثَرا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ
لَبِسَا البِلَى فكأنَّما وَجَدا   بعد الأحِبَّة مثلَ ما أَجِدُ
١٤٨ / ١٧
حُيِّيتُما طَلَلين، حالهُما   بعد الأحِبَّة غَيرُ ما عَهِدُوا
إمّا طَوَاكِ[(١)] سُلُوُّ غانيةٍ   فهَواكِ لا مَلَلٌ ولا فَنَدُ
إن كُنتِ صادِقةَ الهوَى فرِدِي   في الحُبِّ مَنْهَلَيَ[(٢)] الذي أَرِدُ
أَدَمِي هَرقْتِ وأَنتِ آمنةٌ   أَم ليس لي عَقْلٌ ولا قَوَدُ؟[(٣)]
إن كنتِ فُتِّ وخانني سَبَبٌ   فلربَّما يُخْطِي[(٤)] مُجتهِدُ

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون:

يا خَيْرَ مُنتسِبٍ لمَكْرُمةٍ   في المجد حيث تَبَحْبَحَ[(٥)] العدَدُ
في كل أُنمُلةٍ لراحَتِه   نَوْءٌ يَسُحُّ وعارِضٍ حَشِدُ[(٦)]

(١) في ف: «إن ماطلوك».
(٢) في مد: «منهلنا». وفي المختار ومعاهد التنصيص: «منهله».
(٣) لا عقل ولا قود أي لا دية ولا قصاص.
(٤) مد، ف: «فلربما لم يحظ مجتهد».
(٥) في ب، المختار: «حيث ينتج العدد».
(٦) النوء: المطر. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. وحشد: لا ينقطع ماؤه.

وإذا القَنَا رَعَفَت أسِنَّتُه عَلَقًا وصُمُّ كُعوبِها قِصَدُ[(١)]
فكأنَّ ضوءَ جَبِينه قَمَرٌ وكأنّه فى صَولةٍ أَسَدُ
وكأنّه رُوحٌ تُدَبِّرنا حَرَكاتُه وكأنّنا جَسَدُ

المأمون يستشير فيه الحسن بن سهل ثم يلحقه بجوائز مروان بن أبى حفصة

فاستحسنها المأمونُ وقال لأبى محمد : احتكم له ، فقال : أمير المؤمنين أولى بالحكم ، ولكن إن أذِن لى فى المسألة سألتُ له ، فأما الحُكم فلا ، فقال : سَلْ ، فقال: يُلحقه بجوائز مروان بن أبى حفصة ، فقال : ذلك والله أردتُ ، وأمر بأن تُعدّ أبياتُ قصيدتِه ويُعطَى لكل بيت ألف درهم ، فعُدّت فكانت خمسين ، فأُعطِى خمسين ألف درهم .

من مدائحه للمأمون

قال الأصبهانىّ : وله فى المأمون والحسن بنِ سهل خاصة مدائحُ شريفة نادرة ، من عيونها قولُه فى المأمون فى قصيدة أولُها :

العُذرُ إن أنصفتَ مُتّضِحُ وشَهِيدُ حُبِّك[(٢)] أدمعٌ سُفُحُ
فضَحَت ضَميرَك عن وَدائِعِه إنّ الجفونَ نَواطِقٌ فُصُح[(٣)]
وإذا تكلّمت العيونُ[(٤)] على إعجامِها فالسِّر مُفتَضِحُ
رُبما أبيتُ مُعانِقِى قَمَرٌ للحُسْن فيه مَخايلٌ تَضِحُ[(٥)]
نَشَر الجمالُ على محاسِنه بِدَعًا وأَذْهَب هَمَّه الفَرحُ
يَختالُ فى حُلَلِ الشّباب به مَرَحٌ ودَاؤُك أنه مَرِحُ
ما زال يُلثِمُنى مراشِفَه ويَعُلُّنى الإبريقُ والقَدَحُ

---

(١) العلق : القطعة من العلق للدم . والرمح الأصم : الصلب المتين . والقصد : جمع قصدة ؛ وهى القطعة مما يكسر .
(٢) ف : «وشهود حبك» . (٣) ى ، مد ، ب : «فضح» .
(٤) التجريد : «وإذا تكلمت الجفون» .
(٥) ى ، مد : «ربما أبيت .... مخايل فصح» . وفى ب : «مخايل نصح» . وتضح : تبين وتظهر .

حتى استردَّ اللّيلُ خِلْعَتَه ونَشَا خِلالَ سَوادِهِ وَضَحُ
وَبدَا الصَّباحُ كأن غُرَّتَه وَجهُ الخليفةِ حين يُمتَدَحُ

يقول فيها:

نَشَرت بك الدُّنيا محاسِنَها وتَزيَّنت بصفاتِكَ المِدَحُ
وكأنَّ ما قد غابَ عنك له بإزاء طرفك عارِضًا شبحُ[(١)]
وإذا سَلِمتَ فكلُّ حادِثَةٍ جَلَلٌ فلا بُؤسٌ ولا تَرَحُ

١٤٩ / ١٧ أخبرنى هاشمُ بن محمد الخزاعىّ قال: حدثنى أهلُنا:

مدح المطلب بن عبد الله فوصله وأقام عنده مدة

أنّ محمد بنَ وُهَيْب قصد المُطَّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعىّ — عمّ أبى — وقد وَلِىَ الموصِل وكان له صديقا حفِيًّا، وكان كثيرَ الرِّفد له والثَّواب على مدائحه، فأنشدَه قولَه فيه:

صوت

دِماءُ المُحبِّين لا تُعقَلُ أما فى الهَوَى حاكِمٌ[(٢)] يَعدِلُ
تَعبَّدنى حَوَرُ الغانِياتِ ودَانَ الشَّبابُ له الأَخطَلُ[(٣)]
ونَظرةِ عينٍ تَلافيْتُها غِراراً كما يَنظُرُ الأَحولُ
مُقسَّمةٍ بين وَجْهِ الحبيبِ وطَرْفِ الرَّقيب متى يَغفُلُ
أذمُّ على غُربَاتِ[(٤)] النَّوى إليك السُّلوَّ ولا أذهَلُ
وقالوا عَزاؤُك بعد الفِراق إذا حُمَّ مكروهُه أجمَلُ

(١) ف: «بإزاء طرفك عارض سنح». (٢) ب: «حكم يعدل».
(٣) ب: «الأخضل». والأخطل: الخفيف السريع أو الأحمق.
(٤) الغربات جمع غربة، وهى البعد.

أَقِيدِى دَمًا سفَكَتْه العُيونُ ... بإِيماضِ كحلاء لاتُكْحَلُ
فكُلُّ سِهامِك لى مُقصِدٌ[(١)] ... وكُلُّ مواقِعِها مَقْتَلُ
سلامٌ على المنزل المُسْتَحِيلِ ... وإن ضَنَّ بالمَنْطِق المنزِلُ
وعَضْب[(٢)] الضَّريبة يَلقَى الخُطوب ... بجِدّ عن الدّهر لا يَنْكُلُ
تَغَلْغَل شَرْقًا إلى مَغرِبٍ ... فلمّا تبدّت له الموصِلُ
ثَوَى حيث لا يُستمال الأريب ... ولا يُؤْلف اللَّقِن الحُوّلُ
لَدى مَلِكٍ قابلتْه السُّعودُ ... وجانَبَه الأنجُم الأُفَّلُ
لأَيّامه سَطَواتُ الزَّمان ... وإنعامُه حينَ لا مَوْئِلُ
سما مَالِكٌ بك للباهِرات ... وأوْحَدَك المَرْبأُ الأطولُ
وليس بَعِيدًا بأن تَحْتذِى[(٣)] ... مذاهِبَ آسادِها الأَشْبُلُ

قال : فوصله وأحسن جائزَته وأقام عنده مدة ، ثم استأذنه فى الانصراف فلم يأذن له ، وزاد فى ضيافته[(٤)] وجِراياته وجدّد له صلة ، فأقام عنده بُرهة أُخرى ، ثم دخل عليه فأنشده :

أَلَا هل إلى ظِلّ العَقِيق وأَهلِه[(٥)] ... إلى قَصْر أَوس فالحَزِير مَعادُ ؟
وهل لى بأَكنافِ المُصلّى فسفحِه ... إلى السُّور مَغْدًى ناعمٌ ومُرادُ ؟
فلم تُنسِنى نَهرَ الأُبُلّةِ نِيَّةٌ ... ولا عرَصاتِ المَرْبدَيْن بِعادُ[(٦)]

---

(١) مقصد : مصيب قاتل . (٢) ب : «وغض الضريبة» .

(٣) مد : «وليس بديعا بأن تحتذى» . وفى ى : «وليس عجيبا بأن تحتذى» . وفى ف : «وليس بديعا بأن تقتفى» .

(٤) ف ، ى : «فى إقامته» .

(٥) ب : «ألا هل إلى فىْ العقيق وظلّه» .

(٦) ف : «ولايتهادى بالمربن بعاد» .

هنالك لا تَبْنى الكواعِبُ خيمةً … ولا تَتَهادى كَلْثَمٌ وسُعادُ
أَجِدِّى(١) لا أَلقَى النَّوَى مُطْمَئِنَّةً … ولا يَزْدَهِينى مَضْجعٌ ومِهادُ

فقال له : أبيتَ إلا الوطنَ والنِّزاعَ إليه ! ثم أمر له بعشرة آلاف درهم ، وأوقرَ له زَوْرقا من طُرَف الموْصِل وأَذِن له .

المأمون يتمثل من شعره

(٢) حدثنى محمد بن يحيى الصُّولى قال : حدثنى أبو عبد الله الماقُطانىّ عن علىّ بن الحُسين ابن عبد الأعلى ، عن سعيد بن وهيب قال :

كان المأمونُ كثيراً ما يتمثَّل إذا كربَهُ الأمرُ :

ألا رُبَّما ضاقَ الفضاءُ بأهلِهِ … وأَمكَن من بَيْن الأسِنَّة مَخرَجُ

قصيدته فى ابن عباد وزير المأمون حين أبعده

قال الأصبهانىّ : وهذا الشعر لمحمد بن وُهَيب يقوله فى ابن عَبّاد وزيرِ المأمون ، وكان له صديقاً ، فلما وَلِىَ الوزارةَ اطَّرحه لانقطاعه إلى الحسنِ بنِ سهْل فقال فيه قصيدة أوّلها :

تَكلَّمَ بالوحى البَنانُ المُخَضَّبُ … ولله شكوى مُعجِمٍ كيف يُعرِبُ؟
أَإِيماء أطراف البنانِ وَوَجهُها … أبانا له كيف الضَّميرُ المُغيَّبُ ؟
وقد كان حُسنُ الظَّنِّ أَنجبَ مَرَّةً … فأَحمدَ عُقْبى أمرِه المُتعقِّبُ
فلما تدبَّرت الظُّنون(٣) مُراقِبًا … تقَلَّبَ حالَيْها إذا هى تَكذِبُ
بدأْتَ بإحسانٍ فلما شكرتُه … تنكَّرتَ لى حتى كأنِّى مُذنبُ
وَكلُّ فتًى يلقى الخطوبَ بعزمه … له مذهبٌ عمَّن له عنه مذهبُ

---

(١) ف : « أجدك لاتلاقى النوى » .

(٢) من أول هنا حتى آخر الترجمة ساقط من ب ثابت فى ف ، مى ، م .

(٣) ف : « الأمور » .

وهل يصرع الحُبُّ الكريمَ وقلبُه عَلِيمٌ بما يأْتى وَما يتجَنَّبُ
تأَنَّيْتُ حتى أوضح العِلْمُ أننى مع الدهر يوما مُصعِدٌ وَمُصوِّبُ
وأَلحقتُ أعجازَ الأمور صُدورَها وَقَوَّمها غَمزُ القِداح المُقَلِّبُ
وأيقنتُ أن اليأسَ للعِرض صائنٌ وأن سوف أُغضِى للقذى حين أرغبُ
أغادرتَنى بين الظُّنون مُمَيِّزاً شوا كِلَ أمر بينهن مجرِّبُ
يُقرِّبنى مَنْ كُنت أُصفِيك دونه بُودِّى وتنأَى بى فلا أتقرَّبُ
فللّه حظِّى منك كيف أضاعَهَ سُلُوُّك عنِّى وَالأمورُ تَقَلَّبُ
أبعدكَ أستَسْقِى بوارِقَ مُزنَةٍ وَإن جاد هَطّالٌ من المُزْن هَيْدَبُ[(١)]
إذا مارأيتُ البرقَ أغضَيْت دونَه وَقلت إذا مالاح : ذَا البرقُ خُلَّبُ
وإن سَنَحت لى فُرصَةٌ لم أُسامِها وَأعرضتُ عنها خوف ما أترقَّبُ
تأَدَّبتُ عن حُسْن الرّجاء فلن أرَى أعودُ له إن الزّمان[(٢)] مؤدِّبُ

وقال له أيضاً :

هل الهَمُّ إلا كُربةٌ تتفرَّج لها مُعقِبٌ تُحدَى إليه وَتُزْعَجُ[(٣)]
وَما الدّهر إلا عائدٌ مِثْلُ سالِفٍ وما العَيْش إلا جُدّةٌ ثم تَنْهَجُ[(٤)]
وَكيف أشِيمُ البرقَ وَالبَرْقُ خُلَّبٌ وَيُطْمِعُنِى رَيْعانُه المُتَبَلِّجُ[(٥)]

---

(١) الهيدب : السحاب المتدلى الذى يدنو من الأرض ويرى كأنه خيوط عند انصبابه .

(٢) ى ، م : «الرجاء» .

(٣) ى : «هل الدهر» بدل : «هل الهم» .

(٤) المختار : «وما الدهر إلا غابر» . الجُدَّة : الطريقة . وتنهج : تبلى .

(٥) المختار : «ومطمعى إنمامه المتبلج» . والمتبلج : المنير .

وَكيف أُدِيم الصبرَ لا بِي ضَراعَةٌ   ولا الرِّزقُ مَحْظورٌ وَلا أنا مُحرَجُ ؟
ألا رُبَّما كان التَّصَبُّرُ ذِلَّةً   وَأَدْنَى إلى الحال التى هى أَسْمَجُ
وَهل يَحمِلِ الهَمَّ الفَتَى وَهْو ضامنٌ   سُرى الليل رَحَّالُ العَشيّات مُدلِجُ
وَلاصبرَ ما أعدى على الدَّهر مطلبٌ   وَأمكن إدلاجٌ وَأصحر منهجُ (١)
ألا رُبّما ضاق الفضاءُ بأَهلِهِ   وَأمكن من بيْن الأسِنّة مَخْرجُ
وَقد يُركَبُ الخطبُ الذى هو قاتِلٌ   إذا لم يَكُن إلا عليْه مُعرَّجُ

مدح الأفشين فأجازه المعتصم

حدثنى بعضُ أصحابنا عن أحمد بن أبى كامل قال :

كان محمدُ بنُ وُهَيب تيّاها شديد الذّهاب بنفسه ، فلمّا قدم الأَفشِين — وقد قتَل بابك — مدحَه بقصيدته التى أوَّلها :

طُلولٌ ومَغانِيها   تُناجِيها وَتبْكِيها

يقول فيها :

بَعثْتَ الخيلَ ، وَالخيرُ   عَقِيدٌ فى نوَاصِيها

وهى من جَيّد شعره ، فأنشدَناها ثم قال : مالها عيبٌ سوى أنها لا أُختَ لها .

قال : وأمر المعتصم للشعراء الذين مَدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرِقَتُها على يد ابن أبى دُوَاد ، فأعطى منها محمدَ بنَ وُهَيب ثلاثين ألفًا ، وأعطى أبا تمّام عشرة آلاف درهم . قال ابنُ أبى كامل : فقُلْت لعلىّ بن يحيى المُنجِّم : ألاتعجب من هذا الحظّ ؟ يُعطَى أبو تمام عشرة آلاف وابنُ وُهَيب ثلاثين ألفًا ، و بينهما كما بيْن السماء والأرض .

---

(١) البيت من نسختى ى ، م . وجاء مكان هذا البيت فى المختار :
أبى لى إغضاء الجفون على القذى   يقينىَ ألا عسر إلا سيفرج
وأصحر : اتسع .

فقال : لذلك عِلّة لاتعرفها ؛ كان ابنُ وُهَيب مُؤدّبَ الفتحِ بنِ خاقان ، فلذلك وَصَل إلى هذه الحال .

يذكر الدنيا ويصف حاله وهو عليل

أخبرنى محمدُ بنُ يحْيى الصُّولىّ قال : حدثنى أبو زَكْوان قال :

حدثنى مَنْ دخل إلى محمد بن وُهَيب يعودُه وهو عليل قال : فسألتُه عن خبره فتَشَكّى مابه ثم قال :

نُفوسُ المَنايا بالنُّفوس تَشعَّبُ ... وكُلٌّ له من مَذْهَب الَموت مَذْهَبُ
نُراعُ لذِكر الموت ساعةَ ذِكْرِه ... وتَعترضِ الدُّنيا فَنلهُو ونلعَبُ
وآجالُنـا فى كلّ يوْم وليلةٍ ... إلينا على غِرّاتِنا تتقرّبُ
أأيقنَ أنّ الشيبَ يَنعَى حياته ... مُدِرٌّ لأَخْلافِ الخَطيئةِ مُذنِبُ
يَقِينٌ كأنّ الشّكّ أغلبُ أمرِه ... عليه وعِرفانٌ إلى الجهل يُنْسَبُ
وقد ذَمّتِ الدُّنيا إلىّ نَعيمَها ... وخاطَبَنى إعجامُها وهو مُعْرِبُ
ولكنّنِى منها خُلِقتُ لغيرْها ... وما كنتُ منه فهو عندى[1] مُحبَّبُ

ابن أبى فنن وأبو يوسف الكندى يطعنان عليه فيرد عليهما من ينصفه

أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدثنا ابنُ مَهْرُويه قال : حدثنى أحمد بن أبى كامل قال :

كنّا فى مَجلسٍ ومعنا أبو يوسف الكِندىّ وأحمد بن أبى فَنَن ، فتذاكرنا شعرَ محمدَ بنَ وُهَيب فطعَن عليه ابنُ أبى فَنَنٍ وقال : هومتكلِّف حَسودٌ ، إذا أنشد شعراً لنفسه قَرّظَه ووصفه فى نِصْف يوم وشكا أنّه مَظلوم مَنحوس الحظّ وأنّه لا تُقَصّر به عن مراتب القُدمَاء حالٌ ، فإذا أُنشِدَ شعرُ غيره حَسده ، وإن كان على نَبيذ عَرْبد عليه ، وإن كان صاحِيًا عاداه واعتَقد فيه كلّ مكروه . فقُلت له : كلا كا لى صديق ، وما أمتنِـع من

(١) المختار : «فهو شىء محبب» .

وَصْفِكما جميعًا بالتقدُّم وحسن الشعر ، فأخبرنى عمّا أسألُك عنه إخبارَ مُنصِف ، أَوَ يُعَدّ مُتكلِّفًا مَنْ يقول :

أبَى لِيَ إغضاءَ الجُفونِ على القَذَى يَقينِيَ أن لا عُسْرَ إلاّ مُفرَّجُ
ألا رُبَّما ضاق الفَضاءُ بأهلِهِ وأمكَن مِن بَيْن الأسِنَّة مَخرَجُ ؟

أَوَ يُعَدّ متكلِّفًا مَنْ يقول :

رأَتْ وَضَحًا مِن مَفْرِق الرأسِ راعها شَرِيحين مُبْيَضٌّ به وبَهِيمُ ؟

فأمسك ابنُ أبى فنَن، واندفع الكِنْدىّ فقال: كان ابنُ وُهَيْب ثَنَوِيًّا . فقلتُ له : مِن أين عَلِمتَ ذاك ؟ أكلَّمك على مَذهب الثَّنَوِيّة قطّ ؟ قال : لا ، ولكنى استدلَلْت من شعره على مذهبه ، فقُلتُ : حيث يقول ماذا ؟ فقال : حَيْث يقول :

* طَلَلانِ طال عليهما الأَمَدُ *

وحيث يقول :

* تفتَرُّ عن سِمْطَيْنِ من ذهب *

إلى غير ذلك مما يَستعمِلُه فى شعره مِن ذكر الاثنين .

فشغَلَنى واللهِ الضّحكُ عن جوابه . وقلت له: يا أبا يوسف ، مِثلُك لا ينبغى أن يتكلّم فيما لم ينفُذ فيه عِلمُه .

يستنجز محمد بن عبد الملك الزيات حاجته

أخبرنى أحمد بنُ عُبَيد الله بن عَمّار قال : حدّثنى أحمدُ بن سُليمان بن أبى شيخ عن أبيه قال :

سأل محمدُ بنُ وُهَيب محمدَ بنَ عبد الملك الزَّيّات حاجةً فأبطأ فيها ، فوقف عليه ثم قال له :

طُبِعَ الكَرِيمُ على وَفائِهْ وعَلَى التَّفضُّل فى إخائِهْ
تُغنِى عِنايَتُه الصَّدِيقَ عن التَّعرُّض لاقْتِضائِهْ
حَسْبُ الكَرِيمِ حَياؤُه[1] فَكِلِ الكَرِيمَ إلى حَيائِهْ[1]

فقال له: حَسْبُك فقد بلَغْتَ إلى ما أحبَبْتَ[2]، والحاجَةُ تسبِقُك إلى مَنزلك.
ووَفَى له بذلك.

(١) فى التجريد: «... حياؤه .... حيائه ...» بدل: «حياؤه .. حيائه ...»
(٢) ف: «فقد حثثت فأبلغت». وفى التجريد: «قد حننت فأبلغت».

صــوت

وددْتُ على ما كان من سَرَف الهَوَى ... وغَيِّ الأمانى أنّ ماشئْتُ يُفعَلُ

فترجِعَ أيّام تَقَضَّــــــت ولَذَّةٌ ... تولَّت، وهل يُثْنَى مِن الدّهر[1] أوّل!

الشعر لمُزاحم العُقَيليّ والغِناء لقاسة بن ناصح، خفيف رمل بالبنصر عن الهشامِيّ.

قال الهِشاميّ: وفيه لأحمد بن يَحيَى المكّيّ رمل.

(١) ب، س: «من العيش».

١٥٠ / ١٧

أخبار مزاحم ونسبه

نسبه

هو مُزاحِم بنُ عَمْرو(١) بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم بن خُوَيْلِد بن عَوْف ابن عامِر بن عُقَيْل بنِ كَعْب بنِ ربيعة بنِ عامر بنِ صعْصَعَة بن مُعاوية بن بَكْر ابن هَوازِن.

وقيل: مُزاحِم بنُ عَمْرو بن مُرَّة بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم، وهذا القول عندى أقرب إلى الصواب.

بدوىٌّ شاعر فصيح إسلامىّ، صاحب قصيد ورجز، كان فى زمن جرير والفرزدق. وكان جرير يصفه ويقرِّظُه ويقدِّمه.

بيتان له تمنى جرير أنهما له

أخبرنى محمد بنُ خلف بنِ المَرْزُبان قال: حدثنى الفضلُ بنُ محمد اليزيدىُّ عن إسحاق الموْصِلِىّ قال:

قال لى عُمارة بنُ عُقَيل: كان جريرُ يقول: ما مِنْ بيتين كنتُ أُحِبّ أن أكون سُبقتُ إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقَيْلىّ:

وَدِدْتُ على ما كان من سَرَف الهوَى ... وغَىِّ الأمانى أنَّ ما شئتُ يُفعَلُ
فترجِع أيَّامٌ مَضَيْن وَلَذَّةٌ ... تَوَلَّت وهل يُثْنَى من العَيْش أوّلُ!

قال المفضّل: قال إسحاق: سَرَفُ الهوى: خطؤه، ومثله قولُ جرير:

أعطوْا هُنَيْدَةَ(٢) تحدُوها ثمانِيَةً ... مافى عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

---

(١) ى، ف: «مزاحم بن الحارث بن مصرف»، وفى الخزانة ٣: ٤٥: «مزاحم بن الحارث: شاعر إسلامى من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة».

(٢) هنيدة: مائة من الابل.

أراد أنهم يحفظون(١) مواضعَ الصنائع، لا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسُّط فى الجود .

إسحاق يعجب بشعره

قال إسحاق : وواعدَنى زيادٌ الأعرابىّ موضعًا من المسجد ، فطلبته فيه فلم أجده، فقلت له بعد ذلك : طلبتُك لموعدك(٢) فلم أجدك . فقال : أين طلبتَنى ؟ فقلت : فى موضع كذا وكذا ، فقال : هنالك والله سَرِفْتُك ،أى أخطأتُك .

أخبرنى محمدُ بنُ مزيد بن أبى الأزهر قال :

أنشدنى حماد عن أبيه لمزاحم العُقَيلىّ قال — وكان يستجيدُها ويستحسنُها :

لِصَفْراء فى قَلْبِى من الُحبِّ شُعبَة ... حِمًى لم تُبِحْه الغانياتُ صَمِيمُ(٣)
بها حلَّ بَيتُ الُحبِّ ثم ابتَنَى بها ... فبانَت بُيوتُ الحَىِّ وهو مُقِيمُ
بَكَت دارُهم من نَأْيِهم فتهلَّلَت ... دموعى فأىَّ الجازِعين أَلُومُ!
أَمُسْتَعْبِراً يبكِى من الُحزْن والجَوَى ... أمَ آخَرَ يَبْكى شَجْوه فيَهِيمُ ؟
تَضَمَّنه من حُبِّ صَفْراء بعد ما ... سلا هَيَضات الحب فهو كَلِيمُ(٤)
ومن يَتَهيَّض(٥) حبُّهن فُؤادَه ... يَمُتْ أو يَعِش ما عاشَ وهو سَقِيمُ
كَحَرَّان صادٍ ذِيدَ عن بَرْد مَشْرَبٍ ... وعن بَلَلاتِ الرِّيق(٦) فهْو يَحُومُ

منعه عمه من زواجه بابنته لفقره

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدثنا أبو سعيد السُّكَّرىّ قال : أخبرنا محمد بن حَبِيب عن ابن أبى الدُّنيا العُقَيلىّ - قال ابن حبيب : وهو صاحب الكسائىّ وأصحابِنا - قال: كان مزاحم العقيلىّ خطب ابنة عم له دِنْيَةً(٧) فمنعه أهلُها لإملاقه وقلة ماله ، وانتظروا

(١) ف : «لا يخطئون» بدل «يحفظون» . وفى ب : «أراد أنهم لا يخطئون مواضع الصنائع إلا أنه...»
(٢) ى : «لموضعك» .
(٣) ب : «سموم» . وفى ى ، مد : «جموم» . وفى ب : « لم تبحه الغانيات سموم »
(٤) ب : « فهو كظيم » والهيضات جمع هيضة ، وهى معاودة الهم و الحزن .
(٥) تهيضه الغرام : عاوده مرة بعد أخرى .
(٦) ى : « نهلات الريق» .
(٧) ابنة عم له دنية أى ، لاصقة النسب .

١٥١ / ١٧ بها رجلا مُوسراً فى قومها كان يذكرها ولم يحقق، وهو يومئذ غائب . فبلغ ذلك مُزاحما من فعلِهم، فقال لعمِّه : ياعمِّ، أتقطَع رَحِمِى وتختار علىّ غيرى لفضل أباعِرَ تحوزُها وطفيفٍ من الحظ تحظى به ! وقد علمت أنى أقرب إليك من خاطبها الذى تريده ، وأفصح منه لسانًا ، وأجودُ كفًّا ، وأمنع جانباً ، وأغنى عن العشيرة ! فقال له : لا عليك فإنها إليك صائرة ، وإنما أُعَلِّل أمَّها بهذا ، ثم يكون أمرها لك ، فوثِق به. وأقاموا مدة ، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب ، وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه[١] أمرها ، فرغب فيها ، فأنكحوه إياها ، فبلغ ذلك مزاحما فأنشأ يقول :

تزوجت ابنة عمه فى غيابه فقال فيها شعرا

نَزلتُ بمُفْضَى سيلِ حَرْسَيْنِ والضُّحى ... يَسِيلُ بأطراف المخارم آلُها[٢]
بمسقيَّةِ الأجفان أنفَد دَمعَها ... مُقاربةُ الأُلَّاف ثُمَّ زِيالُها[٣]
فلما نَهاها اليأسُ أن تُونِس الحِمَى ... حِمَى البِئرِ جَلَّى عَبْرَةَ العَيْنِ جالُها[٤]
أياليلَ إن تَشْحَط بك الدارُ غُربةً ... سوانا ويُعْيِى النفسَ فيك احتيالُها
فكَمْ ثم كَمْ من عَبْرة قد رَدَدتُها ... سَريعٍ على جَيْب القَميصِ انهِلالُها[٥]
خليلىَّ هل من حِيلَة تَعْلَمانِها ... يُقرِّب من ليلى إلينا احتيالُها
فإنَّ بأعْلى الأخشبَيْن أراكةً ... عدَتنىَ عنها الحرْب دانٍ ظِلالُها
وفى فَرْعها لو تُستطاع جَناتُها ... جنًى يجتنِيه المُجتَنِى لو يَنالُها
هنِيئًا لليْلَى مُهْجَةٌ ظَفِرت بها ... وتَزْوِيجُ لَيْلَى حين حان ارتِحالُها

---

(١) ب : «فذكروا» .

(٢) حرس : من مياه بنى عقيل بنجد . والمخارم : الطرق فى الغليظ من الأرض . وفى مى ، مد ، ف : «نظرت» بدل «نزلت» وفى ب : «يسير بأيام المخارم» .

(٣) ف : «مفارقة الألاف» .

(٤) مى ، ف : «حمى البين جلى عبرة البين جالها» .

(٥) ف : «انهمالها» .

فقد حَبَسُوها مَحْبِسَ البُدْنِ وابتَغَى ... بها الرِّبحَ أقوامٌ تَساخَفَ مالُها[(١)]

فإنّ مع الرَّكْبِ الذين تحمَّلُوا ... غمامةَ صَيْفٍ زعزعَتْها شمالُهـــا

وقال محمد بنُ حَبيب فى خَبره ، قال ابنُ الأعرابىّ :

سجنه ثم هربه

وقع بين مُزاحم العُقَيْلى وبين رجل من بَنى جعْدةَ لِحَاءٌ فى ماء فتَشاتما وتَضاربا بعصِيِّهما ، فشجَّه مُزاحم شجَّةً أمَّتْه[(٢)] ، فاستعدَت بنوجَعْدة على مُزاحم فحُبِس حبسا طويلا ، ثم هَرَب من السِّجن ، فمكَث فى قومه مدة ، وعُزِل ذلك الوالى وولى غيره ، فسأله ابنُ عمّ لمزاحم يقال له مُغلِّس أن يكتب أمانا لمزاحم ، فكتبه له ، وجاء مُغلّس والأمان معه ، فنفَر مُزاحم منه وظنَّها حِيلةً من السُّلطان ، فهرَب وقال فى ذلك :

أتانى بقِرطاس الأميرِ مُغَلِّسٌ ... فأفزعَ قِرطاسُ الأمير فُؤَادِيَا

فقلتُ له : لا مَرْحبًا بك مرسَلا ... إلىّ ولا لى من أميرك داعِيَا[(٣)]

أليستْ جِبالُ القَهْرِ قُعْسًا مكانَها ... وعَرْوَى وأجبالَ الوَحَافِ كما هِيا ؟[(٤)]

أخاف ذُنُوبى أن تُعَدَّ ببابِه ... وما قد أزَلَّ الكاشِحُون أماميَا

ولا أستريم عُقْبَةَ الأمرِ بعدما ... تورَّط فى بهماء كَعْبى وساقيا[(٥)]

هوى امرأة من قومه وتزوجت غيره

أخبرنى محمد بن مَزْيد ، وأحمد بن جعفر جحظة قالا : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أبيه قال :

كان مُزاحمٌ العُقَيلىّ يهوَى امرأةً من قومه يقال لها مَيَّة ، فتزوَّجت رجلا كان أقربَ إليها من مزاحم ، فمر عليها بعد أن دَخَل بها زوجُها ، فوقفَ عليها ثم قال : ١٥٢ / ١٧

(١) تساخف مالها : رق حالها .

(٢) أمته : أصابت أم دماغه .

(٣) ف ، مى : «ولا لبّى أميرك» .

(٤) قُعسا جمع أقعَس أى ثابتة . وفى مد : «تمى مكانها» .

(٥) مد ، ف : «ولا أستديم ... تورّط بى وهنابكعبى وساقيا» .

أيا شفَتَىْ مَىٍّ أما من شَرِيعةٍ … من الموت إلا أنتما تُورِدانِيَا !

ويا شفَتَىْ مَىٍّ أمالِى إليكما … سبيلٌ وهذا الموت قد حلَّ دانيَا !

ويا شفَتَىْ مَىٍّ أما تبـذُلان لى … بشىء وإن أعطَيت أهلى ومالِيا !

فقالت : أعزِزْ علىّ يا بن عمّ بأن تسأل مالا سَبيل إليه ، وهذا أمر قد حِيل دونه ، فَاَلْهَ عنه . فانصرف .

جرير يتمنى أن يكون له بعض شعر مزاحم

أخبرنى علىُّ بنُ سُلَيمان الأخفشُ قال : حدّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحوىّ قال : حدّثنى عُمارة بن عُقَيل قال : قال لى أبى : قال عبد الملك بنُ مروان لجرير : يا أبا حَزْرة ، هل تُحب أن يكون لك بشىء من شِعْرك شىءٌ من شِعْر غيرِك ؟ قال : لا ، ما أُحِب ذلك ، إلا أنَّ غُلاماً يَنْزل الرَّوضاتِ من بلاد بنى عُقَيل يقال له مُزاحِم العُقَيلىّ ، يقول حَسناً من الشعر[1] لا يقدر أحد أن يقول مثلَه ، كنت أُحِبّ أن يكون لى بعضُ شِعْره مُقايَضة ببعض شِعرى .

هوى امرأة من قومه يقال لها ليلى وتزوجت غيره

أخبرنى محمدُ بنُ الحسنِ بن دُريد قال : حدّثنى عمِّى ، عن العبَّاس بن هشام عن أبيه قال :

كان مُزاحم العُقَيلىّ يَهوَى امرأةً من قَوْمه يقال لها ليلى ، فغَاب غَيْبة عن بلاده ، ثم عاد وقد زُوِّجت ، فقال فى ذلك :

أتانِى بظَهْرِ الغَيْب أن قد تَزَوَّجَت … فظلَّت بِىَ الأرضُ الفضاء تَدُورُ

وزايَلَنى لُبِّى وقد كان حاضِراً … وكاد جَنانِى عند ذاك يَطِيرُ

فقلت وقد أيقنتُ أن ليس بينَنا … تَلاقٍ وعَيْنى بالدموع[1] تمورُ

---

(١) ى ، مد : «وحشيّاً من الشعر» .

(٢) ى : «وعيْنى بالدماء» .

أيا سُرعةَ الأخبارِ حين تزوَّجتْ فهل يأتينِّى بالطَّلاق بَشيرُ
ولستُ بمُحْصٍ حُبَّ ليلى لسائلٍ من النَّاس إلا أن أقول كَثيرُ

صوت

لها فى سَوادِ القَلْب تِسعةُ أَسهُمٍ وللناس طُرًّا من هَوَاىَ عَشيرُ[1]

قال ابن الكلبىّ : ومن الناس من يزعُم أنّ ليْلَى هذه التى يَهْواها مُزاحم العُقيلىّ هى التى كان يَهْواها المجنون، وأنهما اجتمعا هو ومُزاحم فى حُبّها .

هوى امرأة أخرى من قشير وتزوجت غيره

قال الأصبهانىّ : وقد أخبرنى بشرح هذا الخبر الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا عبد الله ابن أبى سعد عن علىّ بنِ الصَّباح عن ابن الكلبىّ قال :

كان مُزاحمُ بن مُرّة العُقَيلى يهوى امرأة[2] من قُشَير يقال لها ليلى بنت مُوازِر، ويتحدّث إليها مدة حتى شاع أمْرُهما، وتحدّثت جوارِى الحىّ به، فنهاه أهلُها عنها، وكانوا مُتجاوِرين، وشَكَوْه إلى الأشياخ من قومِه فنَهَوْه واشتدُّوا عليه، فكان يتفلّت إليها فى أوقات الغفَلات، فيتحدّثان ويتَشاكَيان، ثم انتجَعَت بنو قُشَير فى ربيع لهم ناحيةً غير تلك قد نضَّرها غَيثٌ وأخصبها، فبَعُد عليه خبرُها واشتاقها، فكان يسأل عنها كلّ وارد، ويُرسِل إليها بالسلام مع كل صادِر، حتى ورد عليه يوما راكب من قومِها، فسأله عنها فأخبره أنها خُطِبت فزُوِّجت، فوجَم طويلا ثم أجهش باكِيًا وقال :

أتانى بظَهْر الغَيب أن قد تزَوَّجت فظلّت بى الأرضُ الفَضاء تَدُورُ
وذكر الأبيات الماضيةَ .

(١) عشير، أى جزء من العشرة .
(٢) ف : «جارية من قشير» .

١٥٣/١٧

وقد أنشدنى هذه القصيدة لُزاحم ابنُ أبى الأزهر، عن حمّاد، عن أبيه، فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها:

وتُنشَر نفسى بعد مَوْتى بذِكْرِها مِراراً فموتٌ مرّةً ونُشورُ
عَجَجْتُ لربى عَجَّةً[1] ما مَلَكْتُها وربّى بذِى الشَّوْق الحزين بَصيرُ
ليرحم ما أَلقَى ويعلمَ أننى له بالذى يُسدِى إلىَّ شَكورُ
لئن كان يُهدى بردُ أنيابها العُلَا لأحْوجَ مِنّى إنّنى لفقيرُ

حدثنى عَمّى قال: حدّثنى أبو أيوب المَدِينىّ قال: قال أبُو عدنان:

الفرزدق وجرير وذو الرمة يفضلونه على أنفسهم

أخبرنا تميمُ بنُ رافع قال: حُدِّثت أنّ الفرزْدقَ دخل على عبد الملك بن مَروان -أو بعضِ بنيه- فقال له: يافرزْدق، أتعرف أحداً أشعرَ منك؟ قال: لا، إلا غُلامًا من بنى عُقَيل، يركبُ أعجازَ الإبل ويَنْعت الفَلواتِ فيُجيد، ثم جاءه جرير فسأله عن مِثل ماسأل عنه الفرزْدق فأجابه بجوابه، فلم يلبَث أن جاءه ذو الرُّمّة فقال له: أَنت أشعرُ النّاس؟ قال: لا، ولكن غلام من بنى عُقَيل يقال له مُزاحم يسكن الرّوضات، يقول وَحْشِيًّا من الشعر لايُقدرُ على مثله، فقال: فأنشدنى بعض ماتحفظ من ذلك، فأنشده قولَه:

خليلَىَّ عُوجا بِي على الدار نَسْألِ مَتَى عهدُها بالظّاعِن المُتَرحِّلِ[2]
فعُجتُ وعاجوا فوق بَيْداء موّرتْ[3] بها الريح جولان التراب المُنَخَّلِ

حتى أتى على آخرها ثم قال: ما أعرف أحداً يقول قولا يواصل هذا.

(١) عج الرجل: صاح ورفع صوته و فى ف: حجيجت لربى حجة.
(٢) فى الخزانة ٣: ٤٥: «بالظاعن المتحمل».
(٣) ى، مد: «صفقت»، وموّرتْ: أثارت.

صوت

أُكذِّب طَرْفى عنكِ فى كُلِّ ماأرى   وأُسمِع أُذْنِى منك ما ليس تَسْمَعُ
فلا كَبِدى تَبلَى ولا لكِ رَحمةٌ   ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مَطْمَعُ
لقِيتُ أموراً فيك لم ألقَ مِثْلَها   وأعظمُ منها فيك ما أتوقعُ
فلا تسألينى فى هواكِ زِيادةً   فأيسرُه يُجْزِى وأدناه يُقنِعُ

الشعر لبكر بن النَّطّاح ، والغِناء لحسين بن مِحْرز ثقيل أول بالوُسطى عن الهشامىّ .

أخبار بكر بن النطاح ونسبه

اسمه ونسبه

بكر بنُ النطَّاح الحنفىّ[1] . يُكنى أبا وائل ، هكذا أخبرنا وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب ، وذكر غيره أنه عِجْلىٌّ من بنى سَعْد بن عِجْل، واحتجَّ مَنْ ذكر أنه عِجْلىّ بقوله :

فإن يكُ جَدَّ القومِ فِهرُ بن مالِكٍ   فجدِّىَ عِجْلٌ قَرْمُ بَكْرِ بن وَائِلِ

وأنكر ذلك مَنْ زعم أنه حَنَفِىٌّ وقال : بل قال :

* فجدِّى لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْرِ بنِ وائلِ *

وعِجْل بنُ لُجيم وحنيفة بن لُجيم أخوان .

وكان بكر بن النطَّاح صُعلوكا يُصيب الطَّريق ، ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو دُلَف من الُجند ، وجعل له رِزقاً سُلطانيًّا ، وكان شُجاعاً بطلا فارساً شاعراً حسن الشِّعر والتصرُّف فيه ، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام .

قصته مع أبى دلف

فأخبرنى الحسنُ بنُ علىّ[2] قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال : حدَّثنى ١٥٤/١٧
أبى ، قال :

قال بكر بنُ النَّطَّاح الحنفىّ قصيدتَه التى يقول فيها :

هنيئًا لإخوانى ببَغدادَ عِيدُهم   وعِيدِى بُحلوانٍ قِراعُ الكتائبِ

وأنشدها أبا دُلَف فقال له : إنك لتكثر الوصفَ لنفسك بالشَّجاعة ، وما رأيتُ لذلك عندك أثراً قطّ ، ولا فيك ، فقال له : أيُّها الأمير وأىّ غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعْزل ؟ فقال : أعطوه فرساً وسيفاً وتُرسًا ودرعًا ورمحًا ، فأعطوْه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرسَ وخرج على وجهه ، فلقيه مالٌ لأبى دُلف يُحمَل من بعض ضياعه ، فأخذه

(١) فى تاريخ بغداد ٧ : ٩٠ : بكر بن النطاح بن أبى حمار الحنفى .
(٢) ف : « علىّ بن الحسين » .

وخرج جماعةٌ من غلمانه فمانعُوه عنه، فجرحهم جميعًا وقَطعَهم وانهزموا. وسار بالمال، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخًا، فلما اتصل خبرُه بأبى دُلف قال: نحن جَنَينا على أنفسنا، وقد كُنَّا أغنياء عن إهاجة أبى وائل، ثم كتب إليه بالأمان، وسوَّغه المالَ، وكتب إليه: صِرْ إلينا فلا ذنبَ لك، لأنا نحن كنّا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا؛ فرجَع ولم يزل معه يمتدحه، حتى مات.

قصته مع الرشيد ويزيد بن مزيد

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال: حدثنى محمدُ بنُ موسى قال: حدثنى الحسنُ بنُ إسماعيل عن ابن الخَفْصِىّ قال: قال يزيدُ بنُ مَزْيد:

وجَّه إلىَّ الرشيدُ فى وقت يرتاب فيه البرىء، فلمَّا مَثُلت بين يديه قال: يا يزيدُ، مَنِ الذى يقول:

ومن يفْتَقِرْ مِنَّا يَعِشْ بحُسامِه ... ومَن يَفتَقِرِ مِن سائر النَّاسِ يَسْأَلِ

فقلت له: والذى شرَّفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه، قال: فمن الذى يقول:

وإن يَكُ جَدُّ القَوْم فِهْرَ بن مَالك ... فجَدِّى لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْرِ بن وائلِ

قلت: لا والذى أكرمك وشرَّفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه، قال: والذى كرّمنى وشرَّفنى إنك لتعرفه، أتظن يا يزيد أنى إذا أوطأتُك بساطى وشرَّفتُك بصنيعتى أنى أحتملك على هذا؟ أو تظن أنى لا أُراعى أُمورك وأتقصّاها، وتحسب أنه يخفى علىّ شىء منها؟ والله إن عُيونى لعليك فى خلواتك ومشاهدك، هذا جِلْفٌ من أجْلاف ربيعة عدا طورَه وألحق قُريشًا بربيعة فأْتنى به. فانصرفتُ وسألتُ عن قائل الشعر، فقيل لى: هو بكر بن النطاح، وكان أحد أصحابى، فدعوتُه وأعلمتُه ما كان من الرشيد، فأمرتُ له بألفى درهم، وأسقطتُ اسمه من الديوان، وأمرتُه ألا يظهر ما دام الرشيدُ حيًّا، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر، فألحقتُ اسمَه وزِدتُ فى عطائه[1].

(١) ى، مد، ف: «وزدت فى انزاله».

شعره فى جاريه تدعى رامشنة

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال : حدثنى محمد بن حمزة العلوىّ قال : حدثنى أبو غسّان دَماذ قال :

حضرتُ بكرَ بنَ النطّاح الحنفىّ فى منزل بعض الحنفيّين ، وكانت للحنفىّ جاريةٌ يقال لها رامِشْنة ، فقال فيها بكر بن النطاح :

حيَّتْك بالرّامِشْن رامِشْنَةٌ ... أحسنُ من رامِشْنَة الآسِ
جارِيةٌ لم يُقْتَسَم بُضْعُها ... ولم تَبِت[1] فى بَيْت نَخّاسِ
أفسدت إنسانًا عَلَى أهلِه ... يا مُفْسِدَ النّاسِ على النّاسِ

١٥٥/١٧

وقال فيها :

أُكذِّب طَرْفى عنكِ والطَّرْف صادِقٌ ... وأُسمِـعُ أُذْنِى منكِ ماليْس تَسْمَعُ
ولم أسكُن الأرضَ التى تَسْكُنِينها ... لكى لا يقولوا صابرٌ ليس يَجْزَعُ
فلا كَبِدى تَبْلَى ولا لَكِ رَحْمَةٌ ... ولا عَنْكِ إقصارٌ ولا فيكِ مطْمَعُ
لَقِيتُ أموراً فيكِ لم ألقَ مثلَها ... وأعظَمُ منهـا منكِ ما أتوقَّعُ
فلا تَسْأَلِينى فى هَوَاكِ زِيادة ... فأيْسَرُه يُجْزِى وأَدْناه يُقْنِـعُ

المأمون يعجب بشعره وينقد سلوكه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، عن علىّ بن الصَّبّاح — وأظنه مُرسلا وأن بينه وبينه ابنَ أبى سَعْد أو غيره ، لأنه لم يَسْمع من علىّ بن الصَّبّاح — قال : حدثنى أبو الحسين الراوية ، قال لى المأمون :

أنشِدْنى أشجعَ بيت وأعفَّه وأكرمَه من شِعْر المحدثين ، فأنشدته :

ومن يَفْتَقِر منّا يَعِشْ بحُسَامه ... ومن يَفْتَقِرْ من سائرِ النّاسِ يَسْألِ
وإنّا لنَلْهُو بالسُّيوف كما لَهَت ... عَروسٌ بعِقدٍ أوسِخاب[2] قَرَنْفُلِ

(١) ف ، ى ، مد : «تقم» . بدل «تبت» .
(٢) سخاب قرنفل : عقد قرنفل .

فقال : ويحك ! مَنْ يقول هذا ؟ فقلتُ : بكْرُ بنُ النطّاح ، فقال : أحسن والله ، ولكنه قد كَذَب فى قوله ، فما بالُه يسألُ أبا دُلَف ويمتدحُه وينتجِعُه ! هلّا أكل خُبزَه بسَيْفه كما قال !

مدح أبا دلف فأعطاه جائزة

أخبرنى الحسَن بن علىّ قال : حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال : حدّثنى أبو الحسن الكَشْكَرِىُّ(١) قال :

بَلَغنى أن أبا دُلَف لحِق أكراداً قَطَعوا الطّريق فى عمله ، وقد أردَف منهم فارسٌ رفيقاً له خَلْفه ، فطَعَنهما جميعاً فأنفذهما ، فتحدّث الناسُ بأنه نظَم(٢) بطعنة واحدة فارسَيْن على فرس ، فلما قَدِم من وجهه دخَل إليه بكْرُ بن النطّاح فأنشده :

صوت

قالوا : ويَنْظِم فارسَيْن بطَعْنَةٍ ... يوم اللّقاء ولا يَراهُ جَليلَا
لا تَعْجَبوا فلَوَ أنّ طُولَ قَناتِه ... ميلٌ إذاً نَظَم الفوارسَ ميلَا(٣)

قال : فأمر له أبو دُلَف بعشرة آلاف درهم ، فقال بَكْرٌ فيه :

له راحةٌ لو أَن مِعْشار جُودِها ... على البرّ كان البَرُّ أندى من البَحْرِ
ولو أنّ خَلْقَ الله فى جِسْم فارِس ... وبارزَه كان الخلِيُّ من العُمْرِ
أبا دُلَف بُورِكْتَ فى كل بَلْدةٍ ... كما بُورِكَتْ فى شهرْها لَيلةُ القَدْرِ

عشق غلاما نصرانيا وقال فيه شعرا

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبيْدالله بنِ عَمّار ، وعيسى بنُ الحسين قالا : حدّثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل قال : حدّثنى أبو زائدة ، قال :

(١) ف «العسكرى» وفى مد : «الكسكوبى» . والكسكرى نسبة إلى كسكر : كورة واسعة بالقرب من البصرة.
(٢) ف : «أنه أنفذ بطعنة واحدة» .
(٣) فى فوات الوفيات ١ : ٧٩ : «لاتعجبن لو كان مد قناته ميلا .... ».

كان بكرُ بن النَّطّاح الحنفىّ يتعشّق غُلاماً نصرانيًّا ويُجَنّ به ، وفيه يقول :

يامَنْ إذا دَرَس الإنجيلَ كان له قَلْبُ التَّقِىِّ عن القُرآن مُنْصَرِفا
إنّى رأيتُـــك فى نومى تُعانِقُـنِى كما تُعانِقُ لامُ الـكاتِب الألِفا

رده أبو دلف فغضب عليه وانصرف عنه

١٥٦ / ١٧ أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال : حدّثنى الحسن بن عبد الرحمن الرَّبعىّ[١] قال :

كان بكْرُ بنُ النَّطّاح يأتى أبا دُلَف فى كل سَنة ، فيقول له : إلى جَنْب أرضى أرضٌ تُباع وليس يحضُرنى ثمنُها ، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويُعطيه ألفًا لنفقته[٢] ، فجاءه فى بعض السنين فقال له مِثْل ذلك ، فقال له أبو دُلَف : ما تَفْنَى هذه الأرَضُون التى إلى جانب ضَيْعتك[٣] ! فغَضِب وانصرف عنه ، وقال :

يانفسُ لا تجزَعى من التلَفِ فإن فى الله أعظمَ الخلَفِ
إن تَقْنَعى باليَسِيرِ تَغْتَبِطى ويُغْنِكِ الله عن أبى دُلَفِ

رده قرّة بن محرز فغضب عليه وانصرف عنه كذلك

قال: وكان بَكْر بنُ النَّطّاح يأتى قُرّة بنَ مُحرِز الحنفىّ بكرْمان فيعطيه عشرة آلاف درهم ، ويُجرِى عليه فى كل شهر يقيم عنده ألفَ درهم ، فاجتاز به قُرّة يوماً وهو ملازم فى السّوق وغُرماؤه يُطالبونه بدَين ، فقال له : ويحك ! أما يكْفيك ما أعطيك حتى تستدين وتُلازَمَ فى السّوق ! فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول :

ألا ياقُرّ لا تكُ سامِريًّا[٤] فتتْرِكَ مَنْ يَزُورك فى جِهادِ
أتعجب أنْ رأيتَ علىَّ دَيْنًا وقد أودَى الطّرِيفُ مع التِّلادِ
ملأْتُ يَدِى منَ الدُّنيا مِراراً فما طَمِعَ العَوَاذِلُ فى اقْتِصادى
ولا وَجَبت علىَّ زَكاةُ مالٍ وهل تَجِبُ الزّكاةُ على جَوَادِ !

(١) ف ، ب : « الحسن بن عبد الله بن الربعى » . (٢) ف ، ى : «لنفقتها» .
(٣) ى ، مد : « أرضك » .
(٤) سامرى ، منسوب إلى السامرىّ ، من قوم موسى الذى جعل من الذهب عجلا يعبد .

مدح أبا دلف ببيتين فأعطاه جائزة

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيَد بن أبى الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: كنت يوماً عند علىّ بن هشام، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عُقَيل، فحدّثه أنّ بَكْر بنَ النطّاح دخل إلى أبى دلف وأنا عنده، فقال لى أبو دلف: يا أبا محمد أنشدنى مديحًا فاخراً تَستطرِفه، فبدَر إليه بَكْرٌ وقال: أنا أُنشدك أيها الأميرُ بَيْتين قلتُهما فيك فى طريقى هذا إليك وأحكِّمك، فقال: هاتِ، فإن شَهِد لك أبو محمد رَضِينا، فأنشده:

إذا كانَ الشِّتاء فأنت شَمْسٌ وإن حَضَرالمَصيفُ(1) فأنتَ ظِلُّ
وما تَدْرِى إذا أَعْطَيْتَ مالاً أتُكثِرُ فى سَماحِك أم تُقِلُّ

فقلت له: أَحسنَ واللهِ ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذ رضيتَ فأعطوه عشرة آلاف درهم، فحُمِلتْ إليه، وانصرفت إلى منزلى، فإذا أنا بعشرين ألفًا قد سبقت إلىّ، وجّه بها أبو دلف، قال: فقال عُمارة لعلىّ بن هشام: فقد قلت أنا فى قريب من هذه القصّة:

ولاعيبَ فيهم غيرَ أنّ أكفَّهم لأموالهم مِثْلُ السِّنين الحَواطِم
وأنهمُ لا يُورِثُون بَنِيهمُ ـ وإن وَرِثوا خَيْرًا ـ كُنوزَ الدَّراهِمِ

رثى معقل بن عيسى

أخبرنى عمّى قال: حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى أبو تَوْبة قال: كان مَعْقِل بن عيسى صديقًا لبكر بن النطّاح، وكان بكر فاتِكا صُعلوكا، فكان لا يزال قد أَحدَث حادثة فى عمل أبى دلف، أو جنى جِناية، فيَهُمّ به فيقوم دونه معقل حتى يتخلّصَه، فمات مَعقِلٌ فقال بكر بن النطاح يرثيه بقوله:

(1) فوات الوفيات ١: ٧٩ : «وإن كان المصيف ...»
(2) حطمه: كسره، والسنون الحواطم: المهلكة.

وحدَّث عنه بعضُ من قال إنّه رَأتْ عَينُه فيما تَرَى عَينُ حالِمِ[1]
كأنَّ الذى يَبْـكى على قَبْرِ مَعْقِلٍ[2] ولم يرَه يَبكى على قَـبْرِ حاتِمِ
ولا قَبرِ كَعْبٍ إذ يَجودُ بنَفْسِهِ ولا قَبْرِ حِلْفِ الجُودِ قَيْسِ بنِ عاصِمِ
فأيقنتُ أنَّ اللهَ فضَّل مَعْقِلا على كل مَذْكُورٍ بفَضْلِ المَكارِمِ

١٥٧ / ١٧

هجاء عباد ابن المزرق لبخله

أُخبرنى عمّى قال : حدّثنا الكُرانىّ قال : حدّثنى العُمَرِىّ قال :

كان بكرُ بن النطّاح الحنفىّ أبو وائل بخيلا ، فدخل عليه عبّاد بن المُزرَّق يومًا ، فقدّم إليه خُبْزاً يابساً قليلا بلا أُدْم ، ورفعه من بين يديه قبل أَن يشبع ، فقال عبّادٌ يهجوه :

مَنْ يَشْـتَرِى مِنِى أبا وائِلٍ بكرَ بنَ نَطّاح بفَلْسَيْنِ ؟
كأنما الآكِلُ من خُـبزِهِ يأكلُهُ من شَحمَةِ العَـيْنِ

قال : وكان عَبّاد هذا هَجّاء ماجونًا ، وهو القائل :

أنا المُزرِّقِ أعراضَ اللّئام كما كان المُزرِّق أعراضَ اللّئام أبى

مدح مالك بن طوق ثم هجاؤه

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا أبو هِفّان قال :

كان بكرُ بن النطّاح قصد مالك بنَ طَوْقٍ فمدحه ، فلم يرض ثوابَه ، فخرج من عنده وقال يَهْجوه :

فليتَ جَـــدَا مَالكٍ كُلَّه وما يُرتجى منه من مَطْلَبِ
أُصِبْتُ بأَضْعاف أضعافِهِ ولم أنتجِعْه ولم أرغَبِ
أسأْتُ اخْتِيارِىَ منك الثَّوابَ[3] لى الذّنبُ جَهْلا ولم تُذنِبِ

---

(١) ف ، المختار :
وحدثنى عن بعض من قال إنه رأت عينه فيما ترى عين نائم
(٢) المختار : « كأن الندى يبكى على قبر معقل » .
(٣) ب : « أسأت اختيارى فنلت النوى » .

وكتبَها فى رقعة وبعث بها إليه ، فلما قرأها وَجّه جماعة من أَصحابه فى طلبه ، وقال لهم : الويْلُ لكم إن فاتكم بَكْر بنُ النَّطَّاح . ولابد أَن تَنْكفِئوا على أَثره[1] ولو صار إلى الجبل ، فلَحِقوه فردُّوه إليه ، فلما دخل دارَه ونظر إليه قام فتلقاه وقال: يا أَخى ، عَجِلْتَ علينا وما كُنَّا نقتصر بك على ماسلف وإنما بعَثْنا إليك بنفقة ، وعوّلنا بك على ما يتلوها ، واعتذر كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه ، ثم أَعطاه حتى أَرضاه ، فقال بَكْرُ ابن النَّطَّاح يمدحه :

اعتذر إليه وأعطاه فمدحه

أقولُ لمُرتادٍ ندى غيرِ مالِكٍ ... كفى بَذْلَ هذا الخلقِ بعضُ عِداتهِ
فَتًى جادبالأموال فى كُلّ جانبٍ ... وأَنْهَبَها[2] فى عَوْده وبَدَاتِهِ
فلو خَذَلتْ أمواله بذْلَ[3] كَفِّه ... لقاسَم مَنْ يرجُوه شَطْرَ حَياتِهِ
ولو لم يجد فى العُمْر قِسمة مالِه[4] ... وجاز له الإعطاء من حَسناتِهِ
لجادَ بها من غَيْر كُفْر برَبّه ... وشارَكَهم فى صَوْمه وصَلاتِهِ

فوَصَله صِلة ثانية لهذه الأبيات ، وانصرف عنه راضياً .

هكذا ذكر أَبو هِفّان فى خبره وأحسَبه غلطا ، لأن أَكثر مدائح بَكْر بن النَّطَّاح فى مالك بن علىّ الُخزاعِىّ — وكان يتولّى طريقَ خُراسان — وصار إليه بكر بن النَّطاح بعد وفاة أَبى دُلَف ومدحه ، فأحسن تَقَبُّلَه وجعله فى جُنده ، وأَسنَى له الرّزق ، فكان معه ، إلى أَن قَتَله الشُّراة بحُلْوان ، فرثاه بكْرٌ بعدّة قصائد هى من غُرر شعره وعيونه .

(١) مى : «ولا بد أن تبلغوا فى أثره» .
(٢) فوات الوفيات ١/٧٩ : «وأوهبها» .
(٣) فوات الوفيات : «جود كفه» .
(٤) فوات الوفيات : «قسمة باذل» .

كان مع مالك الخزاعى يوم أن قتل فرثاه

١٥٨ / ١٧

فحدَّثنى عمِّى قال : حدثنى أحمدُ بنُ أبى طاهر ، عن أبى وائلةَ السَّدُوسىِّ قال :

عاثت الشُّراةُ بالجبل عَيْثاً شديدا ، وقتلوا الرجال والنساء والصِّبيان ، فخرج إليهم مالكُ بنُ علىٍّ الخُزاعِىّ وقد وردُوا حُلوان ، فقاتلهم قِتالًا شديداً فهزمهم عنها ، ومازال يَتْبعُهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها : حُدَّان(١) ، فقاتلوه عندها قِتالاً شديدا ، وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم ، وأصابت مالكاً ضربةٌ على رأسه أثبتته(٢) ، وعلِمَ أنه ميِّت ، فأمر بردِّه إلى حُلوان ، فما بلغها حتى مات ، فدفن على باب حلوان ، وبُنِيت لقبره قُبَّةٌ على قارعة الطريق ، وكان معه بكر بنُ النَّطَّاح يومئذ ، فأبلى بَلاء حسنا ، وقال بَكْر يرثيه :

ياعينُ جُودِى بالدّموع السّجامْ ... على الأمير اليمنىّ الهُمامْ
على فَتَى الدّنيـــا وصِنديدِها ... وفارسِ الدّين وسَيفِ الإمامْ
لا تَدْخَرِى الدمعَ على هالك ... أيْتَمَ إذ أودى جَميعُ الأنامْ
طاب ثرَى حُلوان إذ ضُمِّنت ... عِظامَه ، سَقْياً لها من عِظامْ
أغلقَتِ الخَـــيراتُ أبوابَها ... وامتنَعت بعدَك يا بنَ الـكِرامْ
وأصبحَتْ خَيلُك بعد الوَجَا ... والغَزوتَشكُومنك طُولَ الجَمامْ
ارحَلْ بنا نَقرُبْ إلى مالكٍ ... كيما نُحيِّى قبرَه بالسّلامْ
كان لأهل الأرض فى كَفِّه ... غِنًى عن البحر وصَوْبِ الغَمامْ
وكان فى الصُّبح كشمس الضُّحى ... وكـان فى الليل كبَدْرِ الظّلامْ(٣)
وسائلٍ يعجَب من موتِه ... وقد رآه وهو صَعْبُ المَرامْ

(١) حُدَّان — بالضم — إحدى محالّ البصرة القديمة . وفى ف : « حيداد » .
(٢) أثبتته : جعلته ثابتا فى مكانه لا يفارقه .
(٣) فى المختار : « وكان بالليل كبدر التمام » .

قُلتُ له عَهدِى به مُعلِمًا   يضربهم عند ارتفاع القَتامْ
والحربُ مَنْ طاولها[1] لم يَكَد   يُفلِت من وَقعِ صقيلٍ حُسامْ
لم ينظُرِ الدَّهرُ لنـا إذ عدا   على ربيعِ النَّاس فى كل عامْ
لن يَستَقِيلوا أبداً فقـــدَه   ماهَيَّج الشَّجوَ دُعاء الحَمامْ

قال: وقال أيضا يرثيه:

أىُّ امرئٍ خَضَبَ الخوارجُ ثوبَه[2]   بدمٍ عَشيَّة راح من حُلْوانِ
ياحُفْرةً ضَمَّتْ محاسِنَ مالكٍ   ما فيكِ من كَرَمٍ ومن إحسانِ
لَهْفِى على البَطَلِ المُعرِّض خَدَّه   وجبينَه لأَســـنة الفُرسانِ
خَرَقَ الكَتِيبة مُعلِمًا متَكنِّبًا[2]   والمُرهفاتُ عليـه كالنّيرانِ
ذهبت بَشاشَــةُ كلِّ شىء بعده   فالأرضُ مُوحِشة بلا عُمرانِ
هدَم الشُّراةُ غَداة مَصْرع مالكٍ   شرف العُلا ومكارمَ البُنيانِ
قَتَلوا فتى العرب الذى كانت به   تَقْوى على اللَّزبات[3] فى الأزمانِ
حرموا مَعَدًّا ماليه وأوقَعُوا   عصبيَّةً فى قَلب كُلِّ يمانى
تَرَكُوه فى رَهَج العَجاج كأنه[4]   أَسَــدٌ يَصول بساعِدٍ وبَنانِ
هَوتِ الجُدودُ عن السُّعود لفقده   وتمسَّكتْ بالنَّحْس والدَّبَرانِ
لايَبْعَدَنَّ أخُو خُزاعة إذ ثَوَى   مستَشْهِداً فى طاعة الرَّحمنِ ١٥٩ / ١٧

(١) ى: «حاولها».
(٢) ف: «تربه».
(٣) ف، المختار: «الأزمات». واللزبات جمع: لَزْبة، وهى الشدة أو القحط.
(٤) المختار: «تركوه فى رهج الغبار كأنه» والرهج: الغبار أوما أثير منه. والعجاج: الغبار.

عَزَّ الفُواةُ به وذَلَّت أُمةٌ مَحْبُوَّةٌ بحقائق الإيمانِ
وبكاه مُصحَفُهُ وصدْرُ قَناتِه[١] والمُسلِمون ودَوْلَةُ السُّلطانِ
وغدت تُعقَّر خَيلُه وتقُسِّمت أدراعُه وسَوابِغُ الأبدانِ
أفتحمَد الدُّنيا وقد ذَهبتْ بمَنْ كان المُجيرَ لنا من الحَدَثانِ!

تشوقه بغداد وهو بالجبل

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخزاعىّ قال: أنشدَنى أبو غسّان دَماذ لبكْر بن النطّاح يتشوّق بغدادَ وهو بالجبل يومئذ :

نَسيمُ المُدامِ وبَرْدُ السَّحرْ هما هيَّجا الشَّوقَ حتى ظَهَرْ
تقول : اجتَنِب دارَنا بالنَّهار وزُرْنا إذا غاب ضوءُ القمَرْ
فإنّ لنا حَرَساً إن رأوْكَ نَدِمْتَ وأُعطُوا عليك الظَّفَرْ
وكم صَنَعَ اللهُ من مرَّةٍ عليهم وقد أُمِرُوا بالحَذَرْ
سَقى اللهُ بغدادَ من بلدةٍ وساكنَ بَغْداد صَوْبَ المَطَرْ
ونُبِّئْتُ أنّ جَوارِى القُصُو رِ صَيَّرن ذِكرى حديثَ السَّمَرْ
ألا رُبَّ سائلةٍ بالعرا قِ عنّى وأُخرى تُطيل الذِّكَرْ[٢]
تقول : عَهِدْنا أبا وائلٍ كظَبْى الفَلاة المَليح الحوَرْ
ليالىَ كنتُ أزور القِيانَ كأنّ ثِيابِى بَهارُ الشَّجَرْ[٣]

حدَّثنى جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثنى ميمون بنُ هارون قال :

هوى جارية من القيان وقال فيها شعرا

كان بكْر بنُ النَّطّاح يَهوَى جارية من جَوارِى القيان وتَهْواه ، وكانت لبعض الهاشميِّين ، يقال لها دُرّة ، وهو يذكُرها فى شعره كثيراً ، وكان يَجتمع معها فى منزل

(١) مد ، ب : «وصدر حسامه» . (٢) ف ، مى : «التذكر» .
(٣) البهار : نبت طيب الرائحة .

رجُل من الُجند من أصحاب أبى دُلَف يقال له : الفرْز ، فسَعى به إلى مولاها ، وأعلمه أنه قد أفسدَها وواطأها على أن تَهرُب معه إلى الجبل ، فمنعه من لقائها وحَجَبه عنها ، إلى أن خرج إلى الكَرَج مع أبى دُلَف ، فقال بكر بن النَّطَّاح فى ذلك :

أهلُ دَارٍ بين الرُّصافة والجِسْـــرِ أطالوا غَيْظى بطُول الصُّدودِ
عذَّبونى ببُعْدهم وابتَلَوا قَلْـــبِى بحُزْنين[1] : طارِفٍ وتَليدِ
ما تَهُبُّ الشَّمال إلا تنَفَّســـت وقال الفُؤادُ للعَيْن : جُودى
قلَّ عنهم صَبْرى ولم يرحَمُونى فتحيَّرت كالطَّريد الشَّريدِ
وكلتْنِي الأيامُ فيكِ إلى نفســـى فأعيَيْتُ وانتهى مَجْهودى

وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوريّ :

العَينُ تُبْدِى الحُبَّ والبُغضا وتُظهِر الإبرامَ والنَّقْضـا
دُرَّةُ ما أنصفْتِنِى فى الهوى ولا رَحِمْتِ الجسَدَ المُنْضَى[2]
مرَّت بنا فى قُرطُق[3] أَخْضَرٍ يعشَق منها بَعضُها بَعْضًا
غَضْبَى ولا واللهِ يا أهلَهـا لا أشرَبُ البارِدَ أو تَرْضَى
كيف أطاعَتْكم بهجْرِى وقد جَعلْتُ خَدِّىَ لهـا أرْضا ! ١٦٠/١٧

وقال فيها أيضا وفيه رمل طنبورى :

صدَّتْ فأمسىَ لِقاؤُها حُلما[4] واستبدل الطرفُ بالدُّموع دَمَا
وسلَّطت حُبَّها على كَبِدى فأبدَلْتنى بصِحَّــةٍ سَقَمَا

---

(١) ب : « بحبين » .
(٢) المنضى : المهزول .
(٣) القرطق : قباء ذو طاق واحد «معرب» .
(٤) مى : « حرما » ، وفى ب : « حما » .

وصِرْتُ فرداً أبكى لفُرقتها وأقرعُ السِّنَّ بعدها نَدَما
شَقَّ عليها قولُ الوُشاة لها : أصبحتِ فى أمرِ ذا الفتَى عَلَمَا
لولا شَقائى وما بُليتُ به من هَجْرِها ما استَتَرْتُ ما اكتُتِما[1]
كم حاجةٍ فى الكتاب بُحتُ بها أبكيتُ منها القِرطاسَ والقَلَما

وقال فيها أيضا ، وفيه رمل لأبى الحَسَن أحمد بن جعفر جَحْظة :

بَعُدتِ عنى فتغيَّرتِ لى وليس عندى لكِ تغْييرُ
لِجَدِّى مارَثَّ من وَصْلنا وكلّ ذَنْبٍ لك مَغفورُ
أُطَيِّب النفسَ بكتمان ما سارت به من غدْرِك العِيرُ
وَعدُكِ يا سَيِّدتى غرَّنى منك ومَن يَعْشَقُ مَغرورُ
يحزُنُنى عِلمِى بنفسى إذا قال خَليلى أنتَ مَهْجورُ
ياليت مَن زَيَّنَ هذا لها جارت لنا فيه المَقادِيرُ
ساقِى النَّدامى سَقِّها صاحِبى[2] فإننى وَيْحك مَعْذور
أأشرَبُ الخمر على هجْرِها إنى إذاً بالهَجْر مسرور !

وفيها يقول وقد خرج مع أبى دُلَف إلى أصبهان :

ياظبيةَ السِّيب التى أحببتُها ومَنحتُها لُطفِى ولِينَ جَناحِى
عَيناىَ باكِيتانِ بعدَكِ للّذى أَوْدَعْتِ قلبى مِن نُدوبِ جِراحِ
سَقْياً لأحمدَ من أخٍ ولِقاسمٍ فَقَدا غُدوِّى لاهِيًا ورَواحِى

---

(١) ب : « لولا سقاى ما بليت به من هجرها لاستترت فاكتتما »

(٢) ب : « ساق المدام أسقها صاحبى » .

وتَرَدُّدِى من بَيت فرزٍ آمِنًا　　من قُربِ كُلِّ مُخالِفٍ ومُلاحِى
أيامَ تَغبِطُنى الملوكُ ولا أرى　　أحداً له كتدلُّلى ومَراحِى
تَصِفُ القِيانُ إذاخلونَ مُجانَتى　　ويَصِفْنَ للشَّربِ الكرام سَماحِى

وبما يُغنَّى فيه من شعر بَكرِ بن النَّطّاح فى هذه الجارية قوله :

صــوت

هل يُبتَلى أحدٌ بمِثْلِ بلِيَّتى　　أم ليس لى فى العالَمين ضَرِيبُ؟
قالت عَنانُ وأبصرتْنِى شاحبًا :　　يا بَكرُ مالكَ قد علاكَ شُحوبُ ؟
فأجبتُها : يا أختُ لم يلقَ الذى　　لاقيتُ إلا المُبْتَلَى أيُّوبُ
قد كنتُ أسمع بالهوى فأظُنُّه　　شيئًا يلَذُّ لأهله ويَطِيبُ
حتى ابتُلِيتُ بحُلْوِه وبمُرِّه　　فالحلو منه للقلوب مُذيبُ
والمُرّ يَعجِز مَنْطِقى عن وَصْفِه　　للمرّ وصفٌ ياعَنان عَجِيبُ
فأنا الشَّقِىّ بحُلْوِه وبمُرّه　　وأنا المُعَنَّى الهائمُ المكروبُ　　١٦١/١٧
يادُرَّ حالَفَكِ الجمالُ فمالَه　　فى وَجْه إنسانٍ سواكِ نَصِيبُ
كلُّ الوجوه تَشابَهت وَبهرْتَها　　حُسْنًا فوَجهُك فى الوُجوه غريبُ
والشمس يغرُبُ فى الحجاب ضِياؤها　　عنّا ويُشرق وَجهك المَحْجوبُ

ومما يُغنَّى فيه من شعْرِه فيها أيضًا :

غَضِب الحبيبُ علىَّ فى حُبِّى له　　نَفْسى الفِداء لمُذْنبٍ غَضْبانِ
مالِى بما ذكر الرّسولُ يدانِ بل　　إن تَمّ رأيُكَ ذَا خَلَعْت عِنانى

يا مَنْ يَتُوقُ إلى حَبِيب مُذنِبٍ طاوعْته تَجزاك بالعِصْيانِ
هلّا انتحرتَ فكنتَ أولَ هالكٍ إن لم يَكُن لك بالصُّدود يَدانِ
كنّا وكُنْتُم كالبَنان وَكَفِّها فالكفُّ مفردَةٌ بغَيْر بَنانِ
خُلِق السُّرورَ لَمعْشر خُلِقوا له وخُلِقْتُ للعَبرات والأحزانِ

صـوت

ليتَ شِعْرِى أأَوّلُ الهَرْجِ هذا أم زَمانٌ من فِتْنَةٍ غير هَرْجِ(١)
إن يَعِشْ مُصعَبٌ فنحن بخَيْرٍ قد أتانا من عَيْشِنا ما نُرَجِّى(٢)
مِلكٌ يُطْعِمِ الطَّعام ويَسْقِى لبنَ البُخْت فى عِساس الخَلَنْجِ(٣)
جَلَب الخَيْل من تِهامةَ حتّى بلغَت خيلُه(٤) قصور زَرَنْج
حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذِى الأ كتاف يُوجِفن(٥) بين قُفٍّ ومَرْجِ

عروضه من الخفيف . الشعر لعُبيد الله بن قيس الرُّقيّات ، والغناء ليُونُس الكاتب ماخورى بالبنصر ، وفيه لمالك ثانى ثقيل بالخنصر فى مَجْرى البنصر عن إسحاق .

---

(١) الهرج : الفتنة والاختلاط .
(٢) فى الديوان : ١٨٠ ط بيروت : .... « فإنا بخير ... قد أتانا من عيشه ... »
(٣) فى الديوان : ١٨٠ : « ملك يبرم الأمور ولا ... يشرك فى رأيه الضعيف المزَجّى »
والبخت : الإبل الخراسانية ، وعساس جمع عس ، وهو القدح الكبير ، والخلنج : شجر تصنع من خشبه القصاع .
(٤) فى الديوان : « ١٨٠ : وردت خيله » وزرنج : مدينة بسجستان .
(٥) فى الديوان : ١٨٠ : «يرجعن» . وذو الأكتاف : سابور بن هرمز قاتل العرب ونزع أكتاف من قتلهم .

مقتل مصعب بن الزبير

خروج لمحاربة عبد الملك بن مروان

وهذا الشعر يقوله عُبَيْد الله بن قَيْس لمُصعَب بن الزّبير لما حَشَدَ للخروج عن الكُوفة لمُحاربة عبد الملك بن مَرْوان .

وكان السبب فى ذلك ، فيما أجاز لنا الحَرَمِىّ بن أبى العلاء روايته عنه ، عن الزُّبير ابن بَكار ، عن المدائنى قال :

استشارة عبد الملك ابن مروان فى المسير إلى العراق

لما كانت سنة اثنتين وسبعين ، استشار عبدُ الملك بن مروان عبدَ الرحمن بنَ الحكم فى المسير إلى العراق ومُناجزة مُصْعَب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد واليتَ بين عامين تغزو فيهما وقد خَسِرت خيلُك ورجالُك، وعامُك هذا عامٌ حاردٌ فأرح نفسك ورَجلَك[1] ثم ترى رأيك . فقال : إنى أبادر ثلاثة أشياء، وهى أنّ الشام أرضٌ بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندى ، وأشرافُ أهل العراق قد كاتبونى يدعوننى إلى أنفسهم ، وثلاثةٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا ونفِدت أعمارُهم ، وأنا أُبادِر بهم الموتَ أُحبّ أن يحضُروا معى .

ثم دعا يَحيَى بن الحكم — وكان يقول : مَن أراد أمراً فليُشاور يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه . فقال : ما ترى فى المسير إلى العراق؟ قال: أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مُصعباً بالعراق ، فلعن الله العراق ! فضحك عبدُ الملك .

١٦٢/١٧

ودعا عبدَ الله بن خالد بن أسيد فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد غزوتَ مرة فنصرك اللهُ ، ثم غزوتَ ثانية فزادكِ الله بها عِزًّا ، فأقم عامَك هذا .

فقال لمحمد بن مروان : ما ترى ؟ قال : أرجو أن ينصُرَك الله أقمتَ أم غزوتَ ، فشمّر فإن الله ناصرك . فأمر الناسَ فاستعدوا للسير ، فلما أجمع عليه قالت عاتكةُ بنتُ يزيد بن مُعاوية زوجته : يا أمير المؤمنين وجِّه الجُنودَ وأقم ، فليس الرأىُ أن يُباشر

(١) ف : « فأرح نفسك وجسدك » .

الخليفةُ الحرب بنفسه ، فقال : لو وجَّهتُ أهلَ الشام كُلّهم فعلِم مُصعَب أنّى لستُ معهم لهلك الجيشُ كله ، ثم تمثل :

ومُسْتَخبِرٍ عنّا يُرِيد بنا الرَّدَى ومُستَخبراتٍ والعُيونُ سواكِبُ

ثم قدّم محمدَ بن مَرْوان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبِشْرَ بن مروان ، ونادى مُناديه : إن أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيّد الناس محمد بن مروان . وبلغ مُصعبَ ابن الزبير مسيرُ عبد الملك ، فأراد الخُروجَ فأبى عليه أهلُ البصرة وقالوا : عدوُّنا مُطِلٌّ علينا — يعنون الخوارج — فأرسل إليهم بالمهلّب وهو بالموْصل ، وكان عامله عليها ، فولّاه قتالَ الخوارج ، وخرج مُصعب فقال بعض الشعراء :

أكُلَّ عام لك باجُمَيْرا تَغزُو بنا ولا تُفِيد خَيْرا[1]

القتال بينه وبين عبد الملك

قال : وكان مُصعب كثيراً ما يخرُج إلى باجُميرا يريد الشام ثم يرجع ، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأَخنونيّة[2] ونزل مُصعب بمَسْكِن إلى جنب أوانا[3] وخنْدَق خَنْدقاً ثم تحول ونزل ديرا لجاثَليق وهو بمسكن ، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ — ويقال فرسخان — فقدّم عبد الملك محمدا وبشرا أخويه وكلٌّ واحدٍ منهما على جيش والأميرُ محمد ، وقدّم مُصعبٌ إبراهيمَ بنَ الأشتر ، ثم كتب عبد الملك إلى أشرافِ أهلِ الكوفة والبصرة يدعُوهم إلى نفسه ويمنيهم ، فأجابوه وشرطُوا عليه شروطاً ، وسألوه ولاياتٍ ، وسأله ولايةَ أصبهان أربعون رجلا منهم ، فقال عبد الملك لمن حضره : ويحكم ! ما أصبهان هذه ! تعجُّبا ممن يطلبها[4] ، وكتب إلى إبراهيمَ بن الأشتر : لك ولايةُ ماسقى الفراتُ إن تبعتنى ، فجاء إبراهيمُ بالكتاب إلى مصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ، ولم يَخْصُصنى بهذا دون غيرى من نظرائى ، ثم قال : فأطعنى فيهم ، قال : أصنع ماذا ؟ قال : تدعوهم

(١) باجميرا : موضع فى أرض الموصل . ذكره ياقوت فى ١ : ٤٥٤ ، وأورد البيت وعزاه لأبى جهم الكنانى .
(٢) فى معجم البلدان : الأخنونية : موضع من أعمال بغداد .
(٣) فى معجم البلدان : أوانا : بليدة كثيرة البساتين والشجر نزهة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .
(٤) ف : « تعجبا من كثرة من يطلبها » .

فتضرب أعناقَهم . قال : أَقتُلهم على ظن ظننته ! قال : فأوقِرْهم حديداً وابعثْ بهم إلى أرض المدائن(١) حتى تَنقضىَ الحرب ، قال : إذاً تفسد قلوبُ عشائرهم ، ويقول الناس : عبث مصعب بأصحابه . قال : فإن لم تفعل فلا تمدّنى بهم فإنهم كالمومسة تريد كل يوم خليلا ، وهم يريدون كل يوم أميراً .

أرسل عبد الملك إلى مُصعَب رجلا يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى فى الخلافة ، فأبى مُصعَب ، فقدّم عبد الملك أخاه محمدا ثم قال : اللهم انصر محمدا ـ ثلاثا ـ ثم قال : اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة . قال : وقدّم مُصعَب إبراهيمَ بن الأشْتر ، فالتقت المقدمتان وبين عسكر مُصعَب وعسكر ابن الأشتر فرسخ ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد ، فتناوشوا ، فقُتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس ، وقُتِل صاحب لواء بشر وكان ١٦٣/١٧ يقال له أُسَيد ، فأرسل محمد إلى عبد الملك أنّ بشرا قد ضيّع لواءه . فصرف(٢) عبدُ الملك الأمر كله إلى محمد ، وكفّ الناسُ وتواقفوا ، وجعل أَصحابُ ابن الأشتر يهمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه ، فأرسل عبدُ الملك إلى محمد: ناجِزْهم ، فأبى ، فأوفد(٣) إليه رسولا آخر وشتمه ، فأمر محمد رجلا فقال له : قف خلفى فى ناس من أصحابك فلا تَدَعَنّ أحدا يأتينى من قِبَل عبد الملك ، وكان قد دبّر تدبيرا سديدا فى تأخير المناجزة إلى وقت رآه ، فكره أن يُفسِد عبد الملك تدبيره عليه ، فوجّه إليه عبدُ الملك عبدَ الله بن خالد بن أسيد ، فلما رَأَوْه أرسلوا إلى محمد بن مَرْوان : هذا عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : رُدُّوه بأشد مما رددتم مَنْ جاء قبله ، فلما قرب المساء أمر محمدُ بنُ مَرْوان أصحابه بالحرب ، وقال : حرِّكوهم قليلا ، فتهايج الناس ، ووجه مُصعَب عتّابَ(٤) بنَ ورقاء الرِّياحىّ يُعَجِّز إبراهيم ، فقال له : قد قلت له : لا تُمِدَّنِى بأحد من أهل العراق فلم يقبل ، واقْتتَلوا ، وأرسل

(١) الطبرى ٧ : ١٨٥ : ط الحسينية : « أبيض كسرى » وفى ف : « أبيض المدائن » .
(٢) ف : « فصيّر عبد الملك الأمر كله إلى محمد » .
(٣) ف : « فرد عليه رسولا آخر » .
(٤) ف : « ووجه مصعب إبراهيم بن عتاب بن ورقاء » .

إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه ـ بحضرة الرسول ليرى خلافَ أهل العراق عليه فى رأيه ـ ألا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهلُ الشام عنكم ، فقالوا : ولِمَ لا ننصرف؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعبا . وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قُتل ، فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلا فقال : انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر ، قال : لا أعرف موضع عسكرهم ، فقال له إبراهيم بن عدىّ الكنانىّ : انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك ، فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب ، ثم رجع إلى محمد فقال : رأيتهم منكسرين . وأصبح مصعب فدنا منه ، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا ، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان ، فدنا إلى مصعب ثم ناداه : فداك أبى وأمى ، إن القوم خاذِلوك ولك الأمان ، فأبى قبولَ ذلك ، فدعا محمدُ ابن مروان ابنَه عيسى بن مصعب ، فقال له أبوه : انظر ما يريد محمد ، فدنا منه فقال له : إنى لكم ناصح ؛ إن القوم خاذِلوكم ولك ولأبيك الأمان ، وناشَدَه . فرجع إلى أبيه فأخبره ، فقال : إنى أظن القوم سيَفون ، فإن أحببت أن تأتيَهم فأْتِهم ، فقال : والله لا تتحدث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك ، قال : فتقدم حتى أحتسبك ، فتقدم وتقدم ناس معه فقُتل وقُتلوا ، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقى فى سبعة . وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى ، فشد عليه مصعب فقتله ، ثم شد على الناس فانفرَجوا ، ثم رجع فقعد على مِرفقة ديباج ، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيَفرِجون عنه ، ثم يرجع فيقعد على المرفقة ، حتى فعل ذلك مراراً ، وأتاه عبيد الله بن زياد ابن ظَبْيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال له : اعزُب يا كلب ، وشد عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيدالله فعصّب رأسه ، وجاء ابن أبى فَرْوة كاتبُ مصعب فقال له : جُعلتُ فداك، قد تركك القوم وعندى خيل مضمَّرة فاركبها وانج بنفسك ، فدفع فى صدره وقال: ليس أخوك بالعبد . ورجع ابن ظَبْيان إلى مصعب ، فحمل عليه ، وزرق[1] مقتل مصعب

(١) زرقه : رماه بالمزراق . وفى ف : « وزرق ابن زائدة بن قدامة مصعبا » .

١٦٤/١٧

زائدة بن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار ! فصرعه ، وقال عبيد الله لغلام له[1] : احتزّ رأسه ،فنزل فاحتز رأسه ، فحمله إلى عبد الملك ، فيقال : إنه لما وضعه بين يديه سجد. قال ابن ظَبيان : فهممت والله أن أقتله فأكون أفتكَ العرب ، قتلتُ ملكين من قريش فى يوم واحد ، ثم وجدت نفسى تنازعنى إلى الحياة فأمسكت .

قال : وقال يزيد بن الرِّقاع العامِلىّ أخو عدىّ بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام :

نحن قتلْنا ابنَ الحوارِىِّ مُصعَباً أخَا أسـد والمَذْحِجِىَّ اليمانيا

يعنِى ابنَ الأشتر ، قال :

ومرَّت عُقاب الموت منا بمُسلِم فأهْوَت له ظُفراً[2] فأصبَح ثاوِيا

قال الزبير : ويروى هذا الشعر للبَعِيث اليَشكُرِىّ ، ومسلم الذى عناه هو مسلم بن عمرو الباهلىّ .

حدثنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنا محمد بن الحكم ، عن عَوانةَ قال :

مقتل مسلم بن عمرو الباهلى

كان مسلم بن عمرو الباهلىّ على ميسرة إبراهيم بن الأشتر ، فطُعن وسقط فارتُثَّ ،[3] فلما قُتل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمانَ من عبد الملك ، فأرسل إليه : ما تصنع بالأمان وأنت بالموت ؟ قال : ليسلَمَ لى مالى ويأمن ولدى . قال : فحمل على سرير فأُدخل على عبد الملك بن مروان ، فقال عبد الملك لأهل الشام : هـذا أكفر الناس لمعروف ، ويحك أكفرتَ معروفَ يزيد بن معاوية عندك ؟ فقال له خالد : تُؤمِّنه يا أمير المؤمنين ، فأمَّنه ، ثم حُمل فلم يبرح الصَّحْنَ حتى مات ، فقال الشاعر :

نحنُ قتَلْنا ابنَ الحوارِىّ مُصعبًا أخا أسَـدٍ والمذحِجىّ اليمانيا

(١) م : «لغلام له ديلمى» .
(٢) ب ، مد : «فأهوت له طير» وفى الطبرى ٧ : ١٨٧ ط الحسينية : «فأهوت له نابا» .
(٣) ارتث : حمل من المعركة جريحا وفيه رمق .

حدثنا محمد بن العباس قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ قال :

قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : بماذا تحتجّ عنـد الله عز وجل من قتلك لمصعب ؟ قال : إن تُرِكتُ أحتجّ رجوتُ أن أكون أخطب من صَعْصَعَة بن صُوحان .

وقال مصعب الزبيريّ فى خبره : قال الماجشون :

مصعب وسكينة بنت الحسين

فلما كان يوم قَتْل مصعب دخل إلى سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه ، ولبس غِلالة[1] وتوشح بثوب ، وأخذ سيفه ، فعلمت سُكينة أنه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه : واحُزناه[2] عليك يامصعب ، فالتفت إليها وقد كانت تخفى ما فى قلبها منه ، فقال : أَوَكُلّ هذا لى فى قلبك ! فقالت : إى والله ، وما كنت أخفى أكثر ، فقال : لو كنت أعلم أن هذا كله لى عندك لكانت لى ولك حال ، ثم خرج ولم يرجع .

قال مصعب : وحدثنى مصعب بن عثمان : أن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سُكينة أعطى أخاها علىّ بن الحسين عليهم السلام ـ وهو كان حملها إليه ـ أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدثنى معاوية بن بكر الباهلىّ قال :

قالت سُكينة : دخلتُ على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة . قال : وكانت قد ولدت منه بنتاً ، فقال لها سميها زَبْراء ، فقالت : بل أسميها باسم بعض أمهاتى ، فسمتها الرَّباب .

قال : فحدثنى محمد بن سلام ، عن شعيب بن صخر ، عن أمه سُعْدة بنت عبد الله بن سالم قالت :

لقيتُ سُكينةَ بنت الحسين بين مكة ومِنًى فقالت : قفى يابنتَ عبدِ الله ، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هى قد أثقَلَتْها باللؤلؤ . فقالت : والله ما ألبستُها إياه إلا لتفضحه ، قال : فلما

١٦٥ / ١٧

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا .

(٢) ف : « واحرباه عليك يا مصعب » .

قُتل مصعب وَلِىَ أمرَ ماله عروةُ بن الزبير ، فزوّج[١] ابنَه عثمانَ بن عروة ابنةَ أخيه من سكينة وهى صغيرة فماتت قبل أن تبلغ ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار .

قال : ولما دخلت سُكَينةُ الكوفةَ بعد قتل مصعب خطبها عبدُ الملك فقالت : والله لا يتزوجنى بعده قاتله أبداً . وتزوجت عبدَ الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حِزام ، ودخلتْ بينها وبينه رَمْلَةُ بنت الزبير أخت مصعب حتى تزوجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك ، فولدت منه ابناً فسمته عثمان — وهو الذى يُلقَّب بقرين — ورُبَيحة ابنى عبد الله بن عثمان ؛ فتزوج رُبَيْحَةَ العباسُ بن الوليد بن عبد الملك .

عبيد الله بن قيس الرقيات يرثى مصعبا

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثى مصعبا :

صوت

إن الرَّزِيَّةَ يوم مَسْــكِنَ[٢] والمُصيبَةَ والفَجِيعَهْ
يابْنَ الحوارىّ الذى لم يَعْـدُه يومُ الوقيعَهْ
غَدَرتْ به مُضَرُ العِرا ق وأمكَنَتْ منه رَبيعَهْ[٣]
تَاللهِ[٤] لو كانت له بالدَّيْر يومَ الدير شِيعَهْ
لوجَدْتُموه حــين يُدْ لج لا يُعَرِّس[٥] بالمَضِيعَهْ

غنّاه يونس الكاتب من كتابه ، ولَحْنه خفيف رمل بالوُسْطى ، وفيه لموسى

(١) ب : « فزوج ابنه عثمان بن عروة منها بعشرة آلاف دينار » .
(٢) مسكن « بكسر الكاف » : موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق به قبر مصعب . « معجم البلدان »
(٣) فى معجم البلدان بعد هذا البيت :
وأصبت وترك يا ربيــع وكنت سامعة مطيعه
(٤) فى معجم البلدان : يالهف لو كانت لها ... وجاء بعده :
أو لم يخونوا عهــده أهل العراق بنو اللكيعه
(٥) عرّس المسافر : نزل آخر الليل للراحة .

شَهواتٍ خفيف رمل بالبِنْصر عن حَبَش ، وقيل : بل هو هذا اللحن ، وغلِط مَن نسبه إلى موسى .

وقال عدىّ بن الرِّقاع العاملىّ يذكُر مقتلَه :

لعَمْرِى لقــد أصحَرَتْ[1] خيلُنا ... بأكنافِ دِجْـلَةَ للمُصْعَبِ
يَهُزّون كُـلَّ طويل القنـا ... ةِ معتدلَ النَّصلِ والثَّعلَبِ[2]
فِداؤُك أُمّى وأبنـــاؤُها ... وإن شئتَ زِدتُ عليهم[3] أَبى
وما قلتُها رَهبَةً إنمـــا ... يَحُـلّ العِقابُ على المذنب
إذا شِئتُ دافعتُ مُسْتَقْبِلاً[4] ... أُزاحِمُ كالجَمَل الأجربِ
فمن يَكُ منّا يَبِتْ آمِنًا ... ومن يَكُ من غَيرِنا يَهرُبِ

غنّاه معبد من رواية إسحاق ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

ابن قيس يرثى مصعبا

وقال ابن قيس يرثى مُصعَبا :

لقد أورثَ المِصْرَيْنِ خِزْيًا وذِلّةً ... قتيلٌ بدَيْرِ الجاثَليقِ مُقيمُ
فمــا قاتلَتْ فى اللهِ بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صَبرتْ عنـد اللِّقاء تميمُ
ولـكنه رامَ القِيامَ ولم يَكُن ... لها مُضَرِىٌّ يوم ذاك كَرِيمُ

مصعب يسأل عن قتل الحسين

قال الزبير : وكان مصعب لمّا قدم الـكوفةَ يسأل عن الحسين بن علىّ عليهما السلام وعن قتـله ، فجعل عروةُ بنُ المغيرة يحدّثه عن ذلك ، فقال متمثّلا بقول سُليمان بن قَتَّةَ :

فإنّ الأُلى بالطَّفِّ من آل هاشمٍ ... تأَسَّوْا فسَنُّوا للـكِرام التَّأَسِّيا

(١) أصحرت : برزت فى الصحراء .
(٢) الثعلب هنا : طرف الرمح فى أسفل السنان .
(٣) ف : « زدت عليها » .
(٤) ف ، المختار : « نازلت مستقبلا » .

قال عروة : فعلمت أن مُصْعبًا لايفرّ أبداً .

الحجاج يتأسى بموقف مصعب

قال الزبير : وقال أبو الحكم بن خلاد بن قُرَّة السَّدُوسىّ : حدثنى أبى قال :

لما كان يوم السَّبَخة حين عَسْكر الحجاج بإزاء شبيبٍ الشارىّ قال له الناس : لو تنحّيت أيها الأمير عن هذه السَّبخة ؟ فقال لهم : ماتنحُّونى — والله — إليه أنتنُ ، وهل ترك مصعبٌ لكريم مَفَرًّا ؟ ثم تمثّل قولَ الكَلْحَبَة :

إذا المَرْءُ لم يَغْشَ المكارهَ أوشكت حِبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَقطَّعَا

خطبة عبد الله ابن الزبير بعد قتل مصعب

قال الزبير : وحدَّثنى المَدائنىّ عن عَوانةَ والشَّرقىُّ بن القطامىّ عن أبى جَنابٍ قال : حدّثنى شيخٌ من أهل مكة قال :

لما أتى عبدَ الله بن الزبير قتلُ مصعب أضرب عن ذكره أياما حتى تحدثت به إماءُ مكة فى الطريق ، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليًّا لايتكلم ، فنظرتُ إليه والكآبة على وجهه ، وجبينهُ يرشَحُ عرقاً ، فقلت لآخر إلى جنبى : ماله لا يتكلم ؟ أتُراه يَهاب المنطق ؟ فوالله إنه لخطيب ، فما تُراه يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يذكر قتلَ مصعب سَيّدِ العرب فهو يفْظَعُ لذكره ، وغيرُ ملوم[1] فقال : الحمدلله الذى له الخلق والأمر ومالك الدنيا والآخرة ، يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ، ألا إنه لم يَذِلّ والله من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضعيفًا ، ولم يَعِزّ من كان الباطل معه ، وإن كان فى العُدّة والعَدد والكثرة ، ثم قال : إنه قد أتانا خَبرٌ من العراق بلدِ الغدر والشقاق فساءنا وسرّنا ، أتانا أن مصعباً قُتِل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمهُ عند المصيبة ، ثم يرعَوِى من بعد ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر . وأما الذى سرّنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له وأن الله عز وجل جاعلٌ لنا وله ذلك خِيرةً إن شاء الله تعالى . إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسَره ، أسلموه إسلامَ

---

(١) ب : « وهو يفظيع ـ تذكره غير لوم » .

النَّعَم المُخَطَّمَ(١) فقُتِل ، ولئن قتل لقد قتل أبوه وعمُّه وأخوه وكانوا الخيارَ الصالحين ، إنا والله مانموت حَتْفَ أنوفنا ، ما نموت إلا قَتْلاً ، قَعْصًا بين قِصَد(٢) الرِّماح وتحت ظلال السّيوف وليس كما يموت بنو مروان ، والله ماقُتِل رجلٌ منهم فى جاهلية ولا إسلام قط ، وإنما الدنيا عاريةٌ من المَلِك القهار ، الذى لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فإن تُقبِل الدنيا علىّ لا آخذْها أخْذَ الأشِرِ البطِر ، وإن تُدبِر عنى لا أبْكِ عليها بكاء الخرِف المُهْتَرَ . ثم نزل .

رجل من بنى أسد يرثى مصعبا

وقال رجلٌ من بنى أسد بن عبد العُزّى يرثى مُصعبًا :

لعمرُكَ إنّ الموتَ منا لَمُولَعٌ ... بكُلّ فتًى رَحْبِ الذّراع أَرِيبِ
فإن يَكُ أمسَى مُصعبٌ نال حَتفَهَ ... لقد كان صُلْبَ العُودِ غيرَهَيُوب(٣)
جميلَ المُحَيَّا يُوهِن القِرنَ غَربُهُ ... وإن عضَّه دَهْرٌ فغير رَهُوب
أتاه حِمامُ المَوْت وَسْطَ جُنودِه ... فطاروا شِلالاً(٤) واشتَفى بذنُوب
ولو صَبروا نالوا حُبًا(٥) وكرامةً ... ولكنّهم وَلَّوْا بغير قُلوبِ

كان مصعب أشجع الناس

قال : وقال عبد الملك يومًا لجلسائه : من أشجع الناس ؟ فأكثروا فى هذا المعنى ، فقال : أشجعُ الناس مُصعبُ بنُ الزبير ، جمع بين عائشة بنتِ طلحة وسُكَينَة بنت الحسين وابنة(٦) الحَمِيد بنت عبد الله بن عاصم ، ووَلِىَ العراقين ، ثم زحف إلى الحرب ، فبذلتُ له الأمانَ والحِباء والولايةَ والعفو عمَّا خلص فى يده ، فأبى قبول ذلك ، واطَّرَح كل

---

(١) المخطم : الذى جعل الخطام على أنفه ليتاد به .
(٢) قصد الرماح جمع قصدة ؛ وهى القطعة منه بعد كسرها .
(٣) ف : جميل المحيا يوهن القرن عزمه ... وإن عزه دهر فغير هيوب
وإن يك أمسى مصعب نال حتفه ... لقد كان صلب العود غير رهوب
(٤) فطاروا شلالا : فروا متفرقين .
(٥) الحبا : جمع حبوة ، وهى العطية .
(٦) ف : « وأمة الحميد ... »

ما كان مشغوفا[١] به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قَرِمًا[٢] يقاتل وما بقى معه إلا سبعةُ نفر حتى قُتِل كريما .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال :

ابن قيس الرقيات يمدح مصعبا

لمّا وَلِىَ مُصعبُ بنُ الزبير العراقَ أقرّ عبدَ العزيز بنَ عبدالله بن عامر على سِجِسْتان وأمدّه بخيل ، فقال ابنُ قيس الرُّقيّات :

ليتَ شِعْرى أأوّلُ الهَرْجِ هذا أم زَمانٌ من فتنةٍ غير هَرْجِ ؟
إن يَعِش مُصعَبٌ فنحن بخيرٍ قد أتانا من عَيْشنا مانُرَجّى
أُعطِىَ النّصرَ والمهابةَ فى الأعـداء حتى أتَوْه من كل فجٍّ
حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذى الأكـتاف يُوجِفْن بين قُفٍّ ومَرْجِ
ملكٌ يُطعِم الطّعامَ ويَسْقى لبَنَ البُخْتِ فى عِساسِ الخَلَنْجِ

قال الزبير : حدّثنى عمّى مصعب : أن عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك ، فأقبل غِلمانٌ له معهم عِساس خَلَنْج فيها لبن البخت ، فقال عبد الملك : يابن قيس ، أين هذا من عِساس مصعب التى تقول فيها :

ملكٌ يطعم الطعام ويسقى لبنَ البُخت فى عِساس الخلَنج ؟

فقال : لا أين يا أميرالمؤمنين ، لوطرحتَ عِساسَك هذه فى عُسٍّ من عساس مصعب لوَسِعها وتَقلقلت فى جوفه ، فضحك عبد الملك ثم قال : قاتلك الله يابنَ قيس ، فإنك تأبَى إلا كرمًا ووفاء .

(١) ف : « ما كان مشغولا به من ماله » .

(٢) ف ، مد : « وأقبل بسيفه قدما » . . وقرم : شديد الرغبة ، من قرم اللحم وإليه : اشتدت شهوته إليه فهو قرم .

قصة يونس الكاتب والوليد بن يزيد

حدّثنى عمّى قال : حدّثنى أحمد بن الطيب قال : قال لى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود :

خرج يونس الكاتب من المدينة يُريد الشام بتجارة ، فبلغ الوليدَ بن يزيد مكانُه فأتته رُسلُه وهو فى الخان ، وذلك فى خلافة هشام ، والوليدُ يومئذ أميرٌ ، فقالوا له : أجِب الأميرَ ، قال : فذهبتُ معهم ، فأدخلونى عليه ولا أدرى من هو إلا أنه حسنُ الوجهِ نبيل ، فسلمت عليه ، فأمرنى بالجلوس فجلست ، ودعا بالشراب والجوارى ، فكنّا يومَنا وليلتنا فى أمر عجيب ، وغنيتهُ فأعجبه غنائى ، وكان مما أعجبه :

لَيْتَ شِعْرِى أأَوَّل الهَرْج هذا ... أم زَمانٌ من فِتْنةٍ غير هَرْج ؟

فلم يزل يستعيده إلى الصبح ، ثم اصطبح عليه ثلاثة أيام ، فقلت : أيها الأمير ، أنا رجل تاجر قدمتُ هذا البلدَ فى تجارة لى ، وقد ضاعت ، فقال : تخرج غداً غُدْوةً وقد رَبِحت أكثرَ من تجارتك . وتَمَّم شُربه ، فلما أردتُ الانصراف لحقنى غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار ، فأخذتها ومضيت ، فلما أفضت الخلافة إليه أتيتهُ ، فلم أزل متيما عنده حتى قُتِل .

قال أحمد بن الطيب — وذكر مُصْعب الزُّبَيْرىّ — أنّ يونس قال :

كنتُ أشربُ مع أصحاب لى فأردت أن أبُول ، فقمت وجلست أبُولُ على كثيب رمل ، فخطر ببالى قولُ ابنِ قَيْس :

* ليت شعرى أأوَّل الهَرْج هذا *

فغنيت فيه لحنا استحسنتهُ وجاء عجبا من العجب ، فألقيتهُ على جاريتى عاتكَة وردّدته حتى أخذتْه ، وشاع لى فى الناس[1] ، فكان أولَ صوت شاع لى وارتفع به قَدْرى وقُرِنتُ بالفُحول من المغنّين ، وعاشرت الخلفاء من أجله ، وأكسبنى مالا جليلا .

(١) ف : « وشاع فى الدنيا » .

صــوت

ألا نادِ جيرانَنا[١] يَقصِدُوا فنَقْضى اللُّبانَةَ أو نَعهَدُ

كأنَّ على كَبِدِى جَمْرةً[٢] حِذاراً من البَيْن ما تَبْرُدُ

٨٣/١٧ الشعر لـكُثَيِّر، والغناء لأشعَب المعروف بالطمع[٣]، ثانى ثقيل بالوُسطى، وفى البيت الثانى لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن حَبَش .

(١) ب : «أنادى لجيراننا» .
(٢) ب : «كأن على كبدى قرحة» .
(٣) ف : «لأشعب الطامع» .

ذكر أشعب وأخباره

نسبه

هو أشعَب بنُ جُبَير، واسمه شُعَيب، وكُنْيَتُه أبو العلاء، كان يقال لأمه: أم الخَلَنْدَج، وقيل: بل أم جميل، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حُمَيدة[1]. وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عُبَيْدة[2]، وأسره مُصْعب فضرب عنقه صَبْراً، وقال: تخرج عليّ وأنت مولاي؟ ونشأ أشعَب بالمدينة في دور[3] آل أبي طالب، وتوَلَّتْ تربيتَه وكَفَلَتْه عائشةُ بنت عثمان بن عفان.

وحُكِي عنه أنه حكى عن أمه أنها كانت تُغرى بين أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنها زَنَت فَحُلِقت وطِيف بها، وكانت تنادي على نفسها: من رآني فلا يَزْنين[4]، فقالت لها امرأة كانت تطّلع عليها: يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه، أوَنطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبة على جمل!.

أمه كانت مستظرفة من زوجات النبي

وذكر رَضْوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ فيما أجازلي روايته عنه، عن يوسف بن الداية، عن إبراهيم بن المهدي:

أن عُبَيْدة بن أشعَب أخبره — وقد سأله عن أوّلهم وأصلهم — أن أباه وجدّه كانا مَوْلَيَيْ عثمان، وأن أمه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب، وأن ميمونةَ أمَّ المؤمنين أخذتْها معها لمّا تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت تدخل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيستَظرِفْنها، ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديثَ بعضهن إلى بعض وتغري بينهن، فدعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليها فماتت.

---

(١) ف، والتجريد: «أم الجلنداح، وقيل بل أم حميد». وفي تاريخ بغداد ٧/٣٧: أم حميدة بضم الحاء وبفتحها، وقيل: إن أمه جعدة مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق.

(٢) ف، مى: «عبيد».

(٣) ب: «في ديوان آل أبي طالب».

(٤) ف: «فلا يزني».

وذكروا أنه كان مع عثمان — رضى الله عنه — فى الدار ، فلما حُصِر جرّد مماليكه السيوفَ ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان : من أغمد سيفه فهو حُرٌّ ، قال أشعبُ : فلما وقعتْ والله فى أذنى كنتُ أولَ من أغمد سيفه ، فأُعتِقتُ .

سنّ أشعب

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدثنا عمر بن شَبَّة قال : حدثنى إسحاق الموصلىّ قال : حدثنى الفضل بن الرّبيع قال :

كان أشعبُ عند أبى سنة أربع وخمسين ومائة ، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيُه . وهو أشعَبُ بن جُبَير ، وكان أبوه مولى لآل الزُّبَير ، فخرج مع المختار ، فقتله مُصْعَب صبراً مع من قتل .

أخبرنى الجوهرىّ قال : حدثنا ابنُ مهرُويه قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل اليزيدىّ قال : حدثنى التّوّزىّ ، عن الأصمعىّ قال :

قال أشعب : نشأت أنا وأبو الزّناد فى حِجْر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثنا الزّبير بن بكّار قال : حدثنا عبيد الله[1] بن الحسن والى المأمون على المدينة قال :

حدثنى محمد بن عثمان بن عفان قال : قلت لأشعب : لى إليك حاجة ، فحلف بالطلاق لابنة وَرْدان[2] : لاسألتُه حاجة إلا قضاها ، فقلت له : أخبرنى عن سنِّك ، فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيُطَلِّق ، فقلت له : على رِسْلك ، وحلفتُ له إنى لا أذكر سنّه مادام حيّاً ، فقال لى : أمّا إذ فعلت فقد هوّنت علىّ ، أنا والله حيث حُصِر جدّك عثمان بن عفان ،

٨٤ / ١٧ أسعى فى الدار ألتقط السهام . قال الزبير : وأدركه أبى .

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثنى محمد بن عبد الله اليعقوبىّ عن الهيثم بن عدىّ قال :

(١) ف : « عبد الله بن الحسن » .
(٢) ف : « فحلف بطلاق بنت وردان » .

قال أشعب : كنت ألتقط السهامَ من دار عثمان يوم حوصِر ، وكنت فى شبيبتى ألحق الُحمُرَ الوحشية عدْواً .

أمه يطاف بها بعد أن بغت

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثنا عبد الرحمن بن الجهم أبومسلم وأحمد بن إسماعيل قالا : أخبرنا المدائنىّ قال :

كان أشعب الطامع[1] — واسمه شُعيب — مولى لآل الزبير من قِبل أبيه ، وكانت أمه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفان ؛ وكانت بغت[2] فضُربت وحُلِقت وطيف بها وهى تنادى : من رآنى فلا يزنين ، فأشرفت عليها امرأة فقالت : يا فاعلة ، نهانا الله عز وجل عن الزنا فعصيناه ، ولسنا ندعه لقولك وأنت محلوقة مضروبة يطاف بك .

أخبرنى أحمد قال : حدثنا أحمد بن مَهْرُويَه قال : كتب إلىّ ابنُ أبى خَيْثَمَةَ يخبرنى أن مصعب بن عبد الله أخبره قال :

اسم أشعب شُعيب ، ويكنى أبا العلاء ، ولكنّ الناس قالوا أشعب فبقيت عليه ، وهو شعيب بن جُبير مولى آل الزبير ، وهم يزعمون اليوم أنهم من العرب ، فزعم أشعب أن أمه كانت تُغرى بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورَحِمهم ، وامرأة أشعب بنت وردان ، ووردان الذى بنى قبر النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى عمرُ بن العزيز المسجد .

كان أشعب حسن الصوت بالقرآن

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : وكتب إلىّ ابنُ أبى خيثمة يخبرنى أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال :

كان أشعبُ من القرّاء للقرآن ، وكان قد نَسَك وغزا ، وكان حسنَ الصوت بالقرآن ، وربما صلّى بهم القيام .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنى محمدُ بن القاسم قال : حدثنى أحمدُ بن يحيى قال : أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم قال :

---

(١) ب : «الطمع» . وفى مد : «كثير الطمع» .

(٢) ف : «وكانت تعيث فحلقت وضربت وحملت على جمل وطيف بها» .

كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنى أصواتاً فيجيدها ، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزّبيرىّ :

صــوت

إذا تمزّزْتُ صُراحِيّةً[1] كمثل ريح المسك أو أطْيَبُ
ثم تغنّى لى بأهْزاجِـــــه زَيدٌ أخو الأنصارِ أوأشْعَبُ
حسِبْتُ أنّى ملك جالِسٌ حَفّت به الأملاكُ والمَوْكِبُ
وما أبالى وإلهِ الوَرَى أشرّق العالَمُ أم غَرّبُوا

غنّى فى هذه الأبيات زيد الأنصارىّ خفيف رمل بالبنصر .

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة .

أخبرنى عمى قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد أن الربيع بن ثعلب حدثهم قال : حدثنى أبو البحترى :

حدثنى أشعب ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دعيتُ إلى ذراع لأجبتُ ، ولو أهدِى إلىّ كُراعٌ لقبلتُ » .

أشعب وسالم بن عبد الله

قال ابنُ أبى سعد ، ورُوِى عن محمد بن عباد بن موسى عن عتّاب بن إبراهيم[2]، عن أشعب الطامع — قال عتاب : وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه — قال : دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له[3] فأشرف علىّ وقال : يا أشعب ، ويلك لا تسأل ، فإنى سمعتُ أبى يقول : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ليأتينّ أقوامٌ يومَ القيامة ما فى وجوههم مُزْعةُ لحم[4] ، قد أخلقوها بالمسألة » .

ويروى عن يزيد بن موهب الرملىّ[5] عن عثمان بن محمد ، عن أشعب ، عن

٨٥
١٧

(١) تمزز الشراب : تمصصه . والصراحية : آنية الخمر والمراد الخمر .
(٢) ف : « عباد بن إبراهيم » .
(٣) ف : « بيتا له » .
(٤) المزعة : القطعة من اللحم وغيرها .
(٥) ب : « يزيد بن وهب المؤمل » .

عبد الله بن جعفر : أن النبي صلى الله عليه وسلم تختّم في يمينه .

أخبرني أحمد قال : حدّثني عمرُ بن شبّة قال : حدّثني الأصمعيّ ، عن أشعب قال : استنشدني ابنٌ لسالم بن عبد الله بن عمر غناء الرُّكبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته ، ورأسُ أبيه سالم في بتٍّ (١) فلم ينكر ذلك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدّثني أبو مسلم عن عبد الرحمن بن الحكم (٢) ، عن المدائني قال : دفعت عائشةُ بنت عثمان أشعبَ في البزّازين فقالت له بعد حول : أتوجّهتَ لشيء ؟ قال : نعم ، تعلمتُ نصفَ العمل وبقي نصفُه ، قالت : وما تعلمتَ ؟ قال : تعلمتُ النشرَ وبقي الطيّ .

أشعب يدعو الله أن يذهب عنه الحرص ثم يستقيل ربه

قال المدائنيّ : وقال أشعب : تعلّقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس ، فمررت بالقرشيّين وغيرهم فلم يعطني أحدٌ شيئًا ، فجئت إلى أمي فقالت : مالكَ قد جئتَ خائبًا ؟ فأخبرتُها ، فقالت : لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربّك ، فرجعتُ فقلت : يارب أقِلْني ، ثم رجعت ، فلم أمُرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووُهِب لي غلامٌ ، فجئت إلى أمي بحمار مُوقَر من كل شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفتُ أن أخبرها بالقصة فتموت فرحًا ، فقلت : وهبوا لي ، قالت : أي شيء ؟ قلت : غين ، قالت : أيّ شيء غَيْن ؟ قلت : لام ، قالت : وأيّ شيء لام ؟ قلت : ألف ، قالت : وأيّ شيء ألف ؟ قلت : ميم ، قالت : وأيّ شيء ميم ؟ قلت : غلام . فغشي عليها ، ولو لم أقطّع الحروف لماتت الفاسقة فرحًا .

أخبرني أحمد قال : حدّثني محمد بن القاسم قال : حدّثني العباس بن ميمون قال : سمعت الأصمعيّ يقول :

سمعتُ أشعبَ يقول : سمعتُ الناسَ يموجون في أمر عثمان . قال الأصمعيّ : ثم أدرك المهديّ .

(١) البت : الطيلسان من خز ونحوه .

(٢) ف ، م : « وأبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم » .

صفتة

أخبرنى أحمد قال : حدّثنى محمد بن القاسم قال : حدّثنى يحيى بن الحسن بن عبدالخالق بن سَعيد الرّبعىّ[١] قال : حدّثنى هند بن حَمدان[٢] الأرقىّ المخزومىّ قال: أخبرنى أبى قال : كان أشعبُ أزرقَ أحولَ أ كشفَ أقرعَ[٣] .

قال : وسمعت الأرقىَّ يقول : كان أشعب يقول : كنت أسقى الماء فى فتنة عثمان ابن عفان . والله أعلم .

أشعب والدينار

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : حدثنا عيسى بن موسى قال : حدثنا الأصمَعِىُّ قال :

أصاب أشعب ديناراً بالمدينة ، فاشترى به قطيفة ، ثم خرج إلى قُباء يعرّفها ، ثم أقبل علىَّ فيما أحسب — شك أبو يحيى — فقال : أتُراها تُعرّف .

قال أحمد : وحدثناه أبو محمد بن سعد قال : حدثنى أحمد بن معاوية بن بكر قال : حدثنى الواقِدِىُّ قال : كنت مع أشعب نريد المُصَلَّى ، فوجد ديناراً ، فقال لى : يا بنَ واقد قلت : ما تشاء ؟ قال : وجدت دينارا فما أصنع به ؟ قال : قلت : عرّفه ، قال : أم العلاء إذاً طالق ، قال : قلت : فما تصنع به إذًا ؟ قال : أشترى به قطيفة أعرّفها .

قال : وحدثنى محمد بن القاسم قال: وحدّثنيه محمد بن عثمان[٤] الـكُرَيزىّ ، عن الأصمعىّ : أن أشعب وجد ديناراً فتحرّج من أخذه دون أن يُعرِّفه ، فاشترى به قطيفة ، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال : من يتعرف الوَبِدَة[٥] ؟

أخبرنى أحمد الجوهرىّ قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : سألت العَنَزِىّ ، فقال : الوَبِدُ من كل شىء : الخَلَق ؛ وبِدَ الثوبُ ووَمِد إذا أخْلَق. ٨٦/١٧

(١) ب : «عبد الخالق بن سعيد الزبيرى ».
(٢) ف : «هند بن حمران الأرقمى» .
(٣) ف : « أفدع » والأ كشف : الذى انحسر مقدم شعر رأسه .
(٤) ف : « محمد بن عمران الكريزى » .
(٥) ف : « من يتعرف الومدة » .

أخبرنا أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعيّ قال: رأيت أشعب يغنّي وكأن صوتَه صوتُ بلبل.

أشعب يطرب الناس بغنائه

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز قال: حدثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف مَحْمَل، وكان ثَمّ قاصٌّ يَقُصّ عليهم، فجئتُ فأخذتُ في أغنية من الرقيق، فتركوه وأقبلوا إليّ، فجاء يشكونى إلى سالم فقال: إن هذا صرف وجوه الناس عنى، قال: وأتيت سالما — وأحسبه قال — والقاسمَ، فسألتهما بوجه الله العظيم، فأعطيانى، وكانا يبغضاننى أو أحدهما يبغضنى فى الله، قال: قلنا: لا تجعل هذا فى الحديث قال: بلى.

حدّثنا أحمد: قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: وحدّثناه قَعْنَب بن محرز الباهليّ قال: أخبرنا الأصمعيُّ، عن أشعب قال:

قدم علينا قاصٌّ كوفيٌّ يَقُصّ فى رُفقته، وفيها ألف بعير، فخرجْنا وأحرمْنا من الشّجرة بالتّلبية، فأقبل الناس إليّ وتركُوه. قال: ابنُ أمّ حُميد، فجاء إليّ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال: إنّ مولاك هذا قد ضَيَّق عليّ معيشتى.

أشعب وزياد بن عبد الله الحارثى

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهْم عن المَدَائنيّ قال:

تغدّى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثيّ، فجاءوا بمَضِيرة[١]، فقال أشعب للخبّاز: ضعها بين يديّ، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يُصَلّي بأهل السّجن؟ قال: ليس لهم إمام، قال: أدخلوا أشعب يصلّي بهم، قال أشعب: أَوَ غيْرَ ذلك أَصلح الله الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألّا آكُلَ مضيرةً أبداً.

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنى قعنب بن المحرز، قال: حدّثنا الأصمعيّ قال:

(١) المضيرة عند العرب: طبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذى قد حذى اللسان حتى ينضج اللحم وتخثر المضيرة.

ولّى المنصورُ زيادَ بن عبد الله الحارثىّ مكة والمدينة، قال أشعب: فلقيتُه بالجُحْفة[١] فسلّمتُ عليه، قال: فحضر الغداء، وأُهدِى إليه جَدْى فطبخه مَضيرة، وحُشِيت القبةَ[٢] قال: فأكلتُ أكلاً أَتملّح به، وأنا أعرف صاحبى، ثم أُتِى بالقِبَة، فشققتُها، فصاح الطبّاخ: إنا لله! شقّ القِبَة، قال: فانقطعت، فلما فرغْت قال: يا أشعب، هذا رمضان قد حضر، ولا بدّ أن تصلى بأهل السجن، قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أُقيم به صلاتى، قال: لابدّ منه، قال: قلت: أَو لا آكل جَدْياً مضيرة؟ قال: وما أَصنع به وهو فى بطنك؟ قال: قلت: الطّريق بعيد أُريد أَن أَرجع إلى المدينة، قال: ياغلام، هات ريشة ذَنَب ديك — قال: أَشعب: والجحفة أَطول بلاد الله ريشة ذنب ديك — قال: فأدخلت فى حلقى فتقيّأتُ ما أكلتُ، ثم قال لى: ما رأيك؟ قال: قلت: لا أُقيم ببَلْدة يصاح فيها: شقّ القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك، فقل ولا تُشطِط قال: قلت: نصف دِرهم كِراء حمار يُبلِّغنى المدينة، قال: أنصفت وأعطانيه.

من طرائف أشعب

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال أخبرنى أبو مسلم، عن المدائنىّ قال:

أُتِيَ أشعبُ بفالُوذجة عند بعض الولاة، فأكل منها، فقيل له: كيف تراها ياأشعب؟ قال: امرأته طالق إن لم تكن عُملت قبل أن يوحىَ الله عز وجل إلى النحل.

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: حدّثنا عبدالله بن شعيب الزّبيرىّ[٣] عن عمّه. قال أبو بكر: وحدثنى ابن أبى سعْد قال: حدّثنى عبد الله بن شعيب[٣] وهو أتمّ من هذا وأكثر كلاماً، قال:

---

(١) الجحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل. وفى ب: «بالحفة» تحريف.
(٢) القبة: هنة ذات أطباق متصلة بالكرش.
(٣) ف: «عبد الله بن مصعب الزبيرى».

جاء أشعب إلى أبى بكر بن يحيى من آل الزبير ، فشكا إليه ، فأمر له بصاع من تمر ، ٨٧ / ١٧ وكانت حال أشعب رثّة ، فقال له أبو بكر بن يحيى : ويحك يا أشعب ! أنت فى سِنِّك وشهرتك تجىء فى هذه الحال فتضع نفسك فتُعْطَى مثل هذا ؟ اذهب فادخُل الحمام فاخْضِب لحيتَك ، قال أشعب : ففعلتُ ، ثم جئتُه فألبسنى ثيابَ صوف له وقال : اذهب الآن فاطلب ، قال : فذَهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبى ربيعة ، وكان رجلا شريفًا موسِراً ، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً ، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد ، وطفِق كلما جلس فى حلقة يقول : أبو بكر بن يحيى ، جزاه الله عنى خيراً ، أعرف الناس بمسألة ، فعل بى وفعل ، فيقص قصته ، فبلغ ذلك أبا بكر فقال : ياعدوَّ نفسه ! فضحتَنى فى الناس ، أفكان هذا جزائى !

أخبرنا أحمد قال : قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : أخبرنى محمد بن الحسين بن عبد الحميد قال :

حدثنى شيخٌ أنه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفَرْع [1] يبكى وقد خضب بالحناء ، فقالوا : ياشَيْخ ما يبكيك ؟ قال : لغربة هذا الجناح ، وكان على دار واحدة ليس بالفُرع غيره .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : أخبرنى محمد بن الحسين قال : حدثنى أبى ، قال :

نظرتُ إلى أشعب يُسَلِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وهو يدعو ويتَضرَّع ، قال : فأدمتُ نظرى إليه ، فكلما أدمتُ النظر إليه كلّح وبثَّ أصابعه فى يده بحذائى حتى هرَبت فسألت عنه فقالوا : هذا أشعب .

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : حدثنى محمد بن الحسين قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفهْرىّ قال :

(١) الفرع : قرية من نواحى الربذة بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة .

إن أشعب مرّ برشٍّ قد رُشّ من الليل فى بعض نواحى المدينة فقال : كأن هذا الرش كِساء بَرْنَكانىٌّ(١) فلما توسطه قال : أظننى والله قد صدقت ، وجلس يلمس الأرض .

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثنى محمد بن الحسين قال : حدثنا بعض المدنيين قال :

كان لأشعب خرقٌ فى بابه ، فينام ويُخرج يدَه من الخرق ويطمع أن يجىء إنسانٌ فيطرح فى يده شيئًا ؛ من الطمع .

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : حدّثنا الزبير قال : حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزهرىّ قال :

صلّى أشعب يوما إلى جانب مَرْوان بن أبان بن عثمان ، وكان مروانُ عظيمَ الخلق والعَجيزة ، فأفلتت منه ريحٌ عند نهوضه ، لها صوت ، فانصرف أشعب من الصلاة ، فوَهِم الناس أنه هو الذى خرجت منه الريح ، فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له : الدِّية ، فقال : دِيَةُ ماذا ؟ فقال : دية الضرطة التى تحمّلتها عنك ، والله وإلا شهّرتك ، فلم يدعْه حتى أخذ منه شيئًا صالحًا .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثنى إبراهيم بن الجنيد ، قال : حدثنى سوّار بن عبد الله(٢) قال : حدثنى مهدىّ(٣) بن سليمان المِنقرىّ مولى لهم ، عن أشعب قال :

دخلت على القاسم بن محمد وكان يبغضنى فى الله وأُحبّه فيه ، فقال : ما أدخلك علىّ ؟ اخرج عنى ، فقلت : أسألك بالله لما جَدَدْتَ(٤) عِذقًا ، قال : يا غلام ، جُدّ له عِذقًا ، فإنه سأل بمسألة لا يفلح من ردّها أبداً .

---

(١) البرنكانىّ : كساء من صوف .
(٢) ب : «سوار بن عبد» .
(٣) ب : « معدى بن سليمان » .
(٤) جددت : قطعت .

أخبرنا أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم قال حدثنا الرّياشيّ قال : حدثني أبو سلمة أيوبُ بن عمر ، عن الحرزيّ ، وهو أيوب بن عباية أبو سليمان قال :

٨٨/١٧ كان لأشعب عليّ في كل سنة دينار ، قال: فأتاني يوماً ببُطحان[١] فقال: عجِّل لي ذلك الدينار ، ثم قال : لقد رأيتُني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مما آخذ من هذا وهذا وهذا .

بين أشعب وابنه

أخبرنا أحمد قال : حدثني محمد بن القاسم ، قال : حدثني عليّ بن محمد النوفليّ قال : سمعتُ أبي يحكي عن بعض المدنيين قال :

كَبِر أشعبُ فملّه الناس وَبرَد عندهم ، ونشأ ابنُه فتغنّى وبكى وأَندَر[٢] ، فاشتهى الناس ذلك ، فأخصب وأجدب أبوه ، فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه ، وجاء ابنُه وامرأتُه فقال له : بلغني أنك قد تغنّيت وأندرتَ وحَظيتَ[٣] ، وأن الناس قد مالوا إليك فهلم حتى أُخايِرَك[٤] ، قال : نعم ، فتغنّى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعَد ، وتغنّى ابنُه فإذا هو حسنُ الصوت مطرب ، وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك ، ثم خطبا فكان الأمرُ كذلك ، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه ، ثم قال : نعم ، فمن أين لك مثل خُلُقِي؟ مَنْ لك بمثل حديثي ؟ قال : وانكسر الفتى ، فنَعَرت[٥] العجوز ومن معها عليه .

حديثه عن وفاة بنت الحسين بن علي

أخبرني أحمد قال : حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال : حدثني عليّ بن الحسين[٦] بن هارون قال : حدثني محمد بن عباد بن موسى قال : حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارَنا هنا قال : حدثني محمد بن حرب الهلاليّ — وكان على شُرطة محمد بن سليمان — قال :

دخلتُ على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدّثه قال :

---

(١) بطحان : واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة ، وهي العقيق وبطحان وقناة .

(٢) أندر : أتى بنادر من قول أو فعل .

(٣) ب : «وخطبت» .

(٤) خايره في كذا : غالبه فغلبه وكان خيرا منه .

(٥) نعرت العجوز : صاحت وصخبت .

(٦) ب : «علي بن الحسن» .

كانت بنتُ حسين بن علىّ عنـد عائشة بنت عثمان تربّيها حتى صارت امرأة ، وحج الخليفة فلم يبق فى المدينة خَلْق من قريش إلا وافى الخليفة إلا مَن لا يصلُح لشىء ، فمـاتت بنت حسين بن علىّ ، فأرسلت عائشةُ إلى محمد بن عمرو بن حَزم وهو والى المدينة ، وكان عفيفاً حديداً[1] عظيمَ اللّحية ، له جارية مُوكّلة بلحيته إذا اتّزر لا يأتزر عليها ، وكان إذا جلس للناس جَمَعَها ثم أدخلها تحت فخذه . فأرسلت عائشة : يا أخى قد ترى ما دخل علىّ من المصيبة بابنتى ، وغَيبةِ[2] أهلِى وأهلِها ، وأنت الوالى ، فأمّا ما يكفى النساء من النساء فأنا أَكفيكه بيدى وعينى ، وأما ما يكفى الرجالَ من الرجال فاكفِنيه ، مُرْ بالأسواق أن تُرفع ، وأْمر بتجويد عمل نعشها ، ولا يحملها إلا الفقهاء الألبّاء من قريش بالوقار والسكينة ، وقم على قبرها ولا يدخلْه إلا قرابتُها من ذوى الحِجا والفضل ، فأتى ابنَ حزم رسولُها حين تغدّى ودخل ليَقيل ، فدخل عليه فأبلغه رسالتها ، فقال ابنُ حزم لرسولها : أقرئْ ابنة المظلوم السلام وأخبرها أنى قد سمعت الواعيةَ[3] وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أُبرِد ، ثم أُصلّى ، ثم أُنفِذ كلّ ما أمرت به . وأمر حاجبَه وصاحبَ شُرطته برفع الأسواق ، ودعا الحرسَ وقال : خذوا السّياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلا ذوى قرابتها بالسكينة والوقار ، ثم نام وانتبه وأُسرِج له ، واجتمع كلُّ من كان بالمدينة ، وأتى بابَ عائشة حين أُخرِج النعشُ ، فلما رأى النـاس النعش التقفوه ، فلم يملك ابنُ حزم ولا الحرسُ منه شيئاً ، وجعل ابنُ حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السّفلة والغوغاء : اربَعوا أى ارفقوا فلم يسمعوا ، حتى بُلِغ بالنعش القبرُ ، فصلى عليها ، ثم وقف على القبر

٨٩ / ١٧ فنادى : مَنْ هاهنا من قريش ؟ فلم يحضره إلا مروانُ بنُ أبان بن عثمان ، وكان رجلا عظيم البطن بادناً[4] لا يستطيع أن ينثنى من بطنه ، سخيفَ[5] العقل ، فطلع وعليه سبعةُ قُمصٍ ،

(١) رجل حديد : فيه بأس وشدّة .

(٢) ف : « وتجيبة أهلى وأهلها » .

(٣) الواعية : الصراخ على الميت .

(٤) ف : « عظيم البطن نأفاء »

(٥) رجل سخيف العقل : ناقصه .

كأنها دَرَج ، بعضُها أقصرُ من بعض ورداء عدنىّ بثمن ألفى درهم ، فسلّم وقال له ابن حزم: أنت لعَمرى قريبُها ، ولـكنّ القبرَ ضيّق لا يسعك ، فقال : أصلح الله الأمير إنما تضيق الأخلاق . قال ابن حزم : إنا لله ، ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى ، فأمر أربعة فأخذوا بضَبْعِه(١) حتى أدخلوه فى القبر ، ثم أتى خراء الزّنج ، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ، ثم قال : واسيدتاه وابنت أُختاه ! فقال ابن حزم : تالله لقد كان يبلغنى عن هذا أنه مخنّث ، فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله ، دَلّوه فإنه عورة هو والله أَحق بالدفن منها ، فلما أُدخلا قال مروان لخِراء الزنج : تنحّ إليك شيئاً فقال له خراء الزنج : الحمد لله رب العالمين ، جاء الكلب الإنسىّ يطرد الكلب الوحشىّ ، فقال لهما ابن حزم : اسكُتا قبّحكما الله وعليكما لعنته ، أيكما الإنسىّ من الوحشىّ ، والله لئن لم تسكُتا لآمرنّ بكما تدفنان ، ثم جاء خالٌ للجارية من الحاطبيّين وهو ناقهٌ من مرض لو أخذ بعوض لم يضبطها فقال : (٢ أنا خالها وأُمى سودة وأُمها حفصة ، ثم رمى بنفسه فى القبر ، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح : أوه٢) أَصلح الله الأمير دقّ والله عرقوبى ، فقال ابن حزم : دق اللهُ عرقوبَك وترقوتَك اسكُت ويلك ، ثم أقبل على أصحابه فقال : ويحكم إنى خُبّرت أن الجارية بادن ، ومروانُ لا يقدر أن ينثنى من بطنه ، وخراء الزنج مخنّث لا يَعقِل سُنّة ولا دفنًا ، وهذا الحاطبىّ لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه ، فمن يدفن هـذه الجارية ؟ والله ما أمرتَنى بهذا بنتُ المظلوم ، فقال له جلساؤه : لا والله ما بالمدينـة خَلْق من قريش ، ولو كان فى هؤلاء خير لما بَقُوا ، فقال : من هاهنا من مواليهم ؟ فإذا أبو هانىء الأعمى وهو ظئر(٣) لها ، فقال ابنُ حزم : من أنت رحمك؟ الله قال : أنا أبو هانىء ظئر عبدالله بن عمرو ابن عثمان وأنا أدفِن أحياءهم وأمواتهم ، فقال: أنا فى طلبك ، ادخُل رحمك الله ، فادفن

(١) الضبع : ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها وهما ضبعان .

(٢-٢) تكملة من ف .

(٣) الظئر : الناقة تعطف على ولد غيرها ، ومنه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها: ظئر وللرجل الحاضن : ظئر أيضا .

هؤلاء الأحياء ، حتى يُدلّى عليك⁽¹⁾ الموتى⁽²⁾ ثم أقبل على أصحابه فقال: إنا لله — وهذا أيضا أعمى لا يبصر ، فنادوا : من ها هنا من مواليهم⁽²⁾ فإذا برجل يزيدىّ يقال له أبو موسى قد جاء ، فقال له ابن حزم : من أنت أيضا ؟ قال : أنا أبو موسى صالين ، وأنا ابن السميط سميطين⁽³⁾ والسعيد سعيدين ، والحمد لله رب العالمين ، فقال ابن حزم : والله العظيم لتكونن لهم خامسا ، رَحِمكِ الله يابنت رسول الله ، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثتك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ⁽⁴⁾وأظنه سقط رجل آخر⁽⁴⁾ .

أرضع أشعب جديا لبن زوجته

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : حدثنى اليعقوبىّ محمد بن عبد الله قال : حدثنى أبو بكر الزلال الزبيرىّ ، قال : ⁽⁵⁾حدثنى من رأى أشعب وقد علّق رأس كلبه وهو يضربه ويقول له : تنبح المديةَ وتُبصبِص للضيف .

أخبرنا أحمد ، قال : حدثنى عبد الله بن عمرو بن أبى سعد ، قال : حدثنى محمد بن محمد الزّبيرى أبو الطّاهر قال : ⁽⁵⁾ حدثنى يحيى بن محمد بن أبى قتيلة قال :

غذَا أشعبُ جَدْياً بلبن زوجته وغيرِها حتى بلغ الغايةَ قال : ومن مبالغته فى ذلك أن قال لزوجته : أى ابنة وَرْدان ، إنى أحِب أن تُرضِعيه بلبنك: قال : ففعلت ، قال : ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال : بالله إنه لابنى ، قد رضع بلبن زوجتى وقد حبَوْتُك به ، ولم أرَ أحدا يستأهله سواك ، قال : فنظر إسماعيلُ إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبِح وسُمِط ، فأقبل عليه أشعب ، فقال: المكافأة ، فقال : ماعندى والله اليوم شىء ، ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك ، فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر

٩٠/١٧

ابن محمد ، ثم اندفع يشهَق حتى التقت أضلاعُه ، ثم قال : أَخْلِنى ، قال : مامعنا أحد يسمع ولا عينَ عليك ، قال : وثب ابنُك إسماعيل على ابنى فذبحه وأنا أنظر إليه ، قال : فارتاع

---

(١) ف : « حتى يدل إليك الموتى » (٢–٢) التكملة من ف .
(٣) ف : « وأنا ابن أبى السميط سميطين » .
(٤ – ٤) التكملة من ف . (٥ – ٥) تكملة من ف .

جَعْفر وصاح : وَيْلَك ! وفيم ؟ وتريد ماذا ؟ قال : أمَّا ماأرِيد فوالله مالى فى إسماعيل حِيلَة ولا يسمَع هذا سامعٌ أبدا بعدك. فجزاه خيرا وأدخله منزلَه ، وأخرج إليه مائتى دِينار وقال له : خذ هذه ولك عندنا ما تُحِبّ ، قال : وخرج إلى إسماعيل لا يُبصِر ما يطأ عليه ، فإذا به مُترسِّل فى مَجْلِسه ، فلما رأى وجهَ أبيه نَكِره ، وقام إليه ، فقال : يا إسماعيل أو فَعَلْتَها بأشْعَب ؟ قتلتَ ولدَه ، قال: فاستضْحك وقال: جاءنى بجَدْى من صفَته كذا ، وخبَّره الخبَر ، فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه . قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رَعَبْتَنِى رَعَبكَ الله[1] فيقول : رَوْعةُ ابنِك والله إيّاى فى الجَدْى أكبر من رَوْعتكَ أنت فى المائتى الدِّينار .

حزن أشعب لوفاة خالد بن عبد الله

أخبرنا أحمدُ قال : حدَّثنا عبد الله بن عَمْرو بن أبى سَعْد ، قال : حدثنى محمدُ بنُ إسحاق المُسَيَّبِى[2] قال: حدَّثنى عُمَير بن عبدِ الله بن أبى بَكْر بن سُليمان بن أبى خَيْثَمة — قال : وعُمَيْر لقبٌ واسمُه عبد الرحمن — عنْ أشعب قال :

أتيتُ خالدَ بن عبد الله بن عَمْرو بن عُثْمان بن عفان ليلة أسأله ، فقال لى : أنت على طريقة لا أُعطِى على مِثْلها ، قلت : بلى جُعِلْتُ فِداءك ، فقال : قم فإن قُدِر شىء فسيكون ، قال : فقمت ، فإنى لَفِى بعض سِكك المدينة ، إذ لَقِيَنى رجل فقال : يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقًا فما أنتَ صانع ؟ قلت : أشكر الله وأشكر مَنْ فعله ، قال : كم عيالُك ؟ فأخبرتُه قال : قد أُمِرْتُ أن أُجرِىَ عليك وعلى عِيالِك ما كنتَ[3] حيًّا ، قال : مَن أمرك ؟ قل: لا أُخْبِرك ما كانت هذه فوق هذه ، يُرِيد السماء ، وأشار إليها قال : قلت : إن هذا معروف يُشْكَر ، قال : الذى أمرنى لم يرد شكرك ، وهو يتمنّى[4] ألاّ يصل مِثْلَك . قال : فكنتُ آخذ ذلك إلى أن تُوُفِّى خالدُ بنُ عبد الله بن عمرو بن عُثْمان ، قال : فشهِدَتْه قُرَيشٌ وحَفَل له الناس قال : فشَهِدتُه فلَقِيَنى ذلك الرجلُ فقال : يا أشعب

(١) ف : «رعتنى راعك الله» .
(٢) ب : «السيبى» ، وفى مد ، م : «السيبى» .
(٣) ف : «مادمت حيا» .
(٤) ف : «وهو يتمرى»

انتِفْ رأسَك ولحيتَك، هذا والله صاحِبُك الذى كان يُجرى عليك ما كنتُ أُعطيك، وكان والله يَتمنَّى مباعدة مثْلك، قال : فحمله والله الـكرمُ إذْ سألتَه أن فعل بك مافعل، قال عمير : قال أشعبُ : فعمِلت بنفسى والله حينئذ ماحلّ وحَرُم .

أشعب فى المسجد

أخبرنى أحمد قال: حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثنا الزّبير بن بـكّار قال : كان أشعب يوما فى المسجد يدعو وقد قبّض وجهَه فصيّره كالصُّبرة[1] المجموعة، فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه[2] وناداه : يا أشعب، إذا تناجى ربك فناجه بوجه طلق، قال : فأرخى لِحيه[3] حتى وقع على زَوره، قال : فأعرض عنه عامر وقال : ولا كلّ هذا .

جز أشعب لحيته

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : حدثنى الزُّبير، قال : حدثنى مُصْعَب قال :

جزّ أشعبُ لِحْيَتَه فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبيرْ : ألم أقل لك إن البطّال[4] أملح ما يكون إذا طالت لِحْيَتُه فلا تَجْزُزْ لِحْيَتَك .

طرائف من طمعه وبخله

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى قال : أخبرنا أبو الحسن المَدائنىّ قال :

٩١/١٧

وقف أشعبُ على امرأة تعمل طبقَ خُوصٍ فقال : لِتكَبِّرِيه فقالت : لم ؟ أتريد أن تشتريَه ؟ قال : لا، ولـكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهدِيَ إلىّ فيه، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيرا .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز، قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : أخبرنا أحمد بن يحيى

---

(١) الصبرة : الكومة من الطعام . وفى ف : «كالسفرة» .

(٢) ب : «فحبسه» .

(٣) اللحى : عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان . وفى ف : «وإنما تناجى ربك فناجه ...»

(٤) البطال : المتعطل .

قال : أخبرنا المدائنيّ ، قال : قالت صديقةُ أشعب لأشعبَ : هَبْ لى خاتمَك أذكرك به ، قال : اذكرينى أنّى منعتُك إياه ؛ فهو أحبّ إلىّ .

أخبرنى أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مُسْلِم قال : أخبرنا المَدائِنِىّ قال .

قال أشعب مرة للصبيان : هذا عمرو بنُ عثمان يقسّم مالا ، فمضوا ، فلما أبطؤوا عنه اتّبعهم؛ يحسب أنّ الأمر قد صار حقًّا كما قال .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا المدائِنىّ قال :

دعا زيادُ بنُ عُبَيْد الله أشعبَ فتغدّى معه ، فضرب بيده إلى جَدْى بين يديه ، وكان زياد أحد[1] البخلاء بالطعام ، فغاظه ذلك ، فقال لخدمه : أخبرونى عن أهل السجن ألهم إمام يصلّى بهم ؟ وكان أشعبُ من القرّاء لكتاب الله تعالى ، قالوا : لا ، قال : فأدخلوا أشعب فصيِّروه إماماً لهم ، قال أشعبُ : أوَ غير ذلك ؟ قال : وماهو ؟ قال أحلف لك — أصلحك الله — ألّا أذُوقَ جَدْيًا أبدا ، فخلاّه .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنىّ قال :

رأيتُ أشعبَ بالمدينة يقَلّب مالا كثيراً فقلتُ له : ويحك ماهذا الحرص! ولعلك أن تَكونَ أيسرَ ممّن تطلب منه[2] قال : إنى قد مَهَرتُ فى هذه[3] المسألة ، فأنا أكره أن أدعَها فتنفَلِت منّى .

---

(١) ب : «أحنا البخلاء» .
(٢) ب : « ... ولعلك أن تكون أسيرا ممن تطلب منه»
(٣) ب : «إنى قد مهدت المسألة» .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنىُّ قال :

قيل لأشعب : ما بَلَغ من طمعك ؟ قال : ما رأيتُ اثنين يتسارّان قَطّ إلا كنت أراهما يأمران لى بشىء .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنىُّ قال :

قال أشعبُ لأمه : رأيتُكِ فى النوم مطْليَّةً بعسل وأنا مطلىٌّ بعَذِرة : فقالت : يافاسقُ هذا عَملُك الخبيثُ كساكه(١) الله عز وجل، قال : إنَ فى الرؤيا شيئًا آخر ، قالت : ماهو ؟ قال : رأيتُنى ألطَعُك وأنت تَلْطَعينى (٢) ، قالت : لعَنك الله يافاسق .

أخبرنا أحمد قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنىّ قال :

كان أشعبُ يتحدّثُ إلى امرأة بالمدينة حتى عُرِف ذلك ، فقالت لها جاراتها يومًا : لو سألتِه شيئًا فإنه مُوسِر ، فلما جاء قالت : إن جاراتى ليقُلْنَ لى : مايصِلُك بشىء ، فخرج نافراً من منزلها ، فلم يَقربْها شهريْن ، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت إليه قدحًا ملآن ماء ، فقالت : اشرب هذا من الفزع ، فقال : اشربيه أنت من الطمع .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنى محمد بن القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم وأحمد ابن يَحيى — واللّفظ لأحمد — قال : أخبرنا المدائنىّ عن جَهْم بن خلف قال :

حدّثنى رجلٌ قال : قلتُ لأشعب : لو تحدّثت عندى العَشيّة ؟ فقال : أكره أن يجىء ثقيل ، قال : قلت : ليس غَيرُك وغَيْرى قال : فإذا صلّيتُ الظهرَ فأنا عندك ،

(١) ف : « ألبسكه الله »
(٢) لطع الشىء : لحسه .

نصلّى وجاء ، فلما وضَعَت الجاريةُ الطعامَ إذا بصديق لى يدُقّ الباب ، فقال : ألا ترى قد صرتُ إلى ما أكره ؟ قال : قلت : إن عندى فيه عَشْرَ خصال ، قال : فما هى؟ قال :
٩٢/١٧ أولُها أنه لا يأكل ولا يشرب ، قال : التِّسْعُ الخصال لك ، أدخله . قال أبو مسلم : إن كرِهْتَ واحدةً منها لم أُدخِلْه.

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنىّ قال :

دخل أشعبُ يومًا على الحسين بن علىّ وعنده أعرابىٌّ قبيح المنظر مختلف الخِلقة ، فسبّح أشعبُ حين رآه ، وقال للحُسيْن عليه السلام : بأبى أنت وأمى ، أتأذن لى أن أسْلح عليه ؟ فقال الأعرابىُّ : ما شئتَ ، ومع الأعرابىّ قوسٌ وكِنانة ، ففوّق له سهما وقال : والله لئن فعلْت لتكونَنّ آخرَ سَلحة سلَحْتَها ، قال أشعبُ للحسين : جُعِلتُ فداءك ، قد أخذنى القُولَنج [1] .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنى محمد بن القاسم، قال أخبرنا أبو مسلم، قال : أخبرنا المدائنىّ قال :

ذَكر أشعبُ بالمدينة رجُلًا قبيح الاسم ، فقيل له : يا أبا العلاء ، أتعرِف فُلانًا ؟ قال : ليس هذا من الأسماء التى عُرِضت على آدم .

وجَدْتُ فى بعض الكتب، عن أحمد بن الحارث الخراز [2] ،عن المدائنىّ قال :

توضَّأ أشعبُ فغسل رِجلَه اليسرى وترك اليمنى فقيل له : لِمَ تركتَ غَسْل اليمنى ؟ قال : لأنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : أُمّتى غُرٌّ مُحَجَّلُون من آثار الوضوء ، وأنا أُحِبُّ أن أكون أغرَّ مُحجَّلا مُطلقَ اليمنى [3] .

---

(١) القولنج : مرض معوى مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح .
(٢) ب : « الخزاز » .
(٣) ب : « أغر محجل ثلاث مطلق اليمين » .

وأخبرت بهذا الإسناد قال:

سَمِع أشعبُ حُبَّى المَدينيّة تقول: اللهم لا تُمِتْنى حتى تغفرَ لى ذُنوبى ، فقال لها : يا فاسقة أنت لم تسألى الله المغفرة إنما سألتيه عمرَ الأبد ، يُريدُ أنه لايغفِر لها أبداً .

أخبرنا أحمد بنُ عبد العزيز الجوهرىّ قال: حدّثنى محمد بن القاسم قال : أخبرنا المدائنىّ ، عن فُلَيْح بن سُليمان قال :

ساوم أشعبُ رجُلًا بقَوْس عربيّة فقال الرجلُ : لا أنقُصها عن دينار ، قال أشعبُ: أعتق ماأملك لو أنها إذا رُمِىَ بها طائر فى جوّ السماء وقع مشويًّا بين رغيفين ما أخذتها بدِينار.

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا مسلم ، قال : أخبرنا المدائنى قال :

أهدى رجلٌ من بنى عامر بن لُؤَىّ إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة ، وأشعب حاضر ، قال : كُلْ يا أشعب ، فلما أكل منها قال : كيف تجدُها يا أشعب ؟ قال : أنا برِىء من الله ورسوله إن لم تكن عُمِلت قبل أن يُوحِى الله عزّ وجلّ إلى النّحل ، أى ليس فيها من الحلاوة شىء .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال: أخبرنا المدائنىُّ قال :

سأل سالم بن عبد الله أشعبَ عن طَمَعِه ، قال : قلتُ لصِبْيانى مرّة : هذا سالِم قد فَتَح بابَ صدقة عمر (١) ، فانطلِقوا يُعطِكم تمراً ، فمضَوا ، فلما أبطؤوا ظنَنْتُ أنّ الأمرَ كما قلتُ فاتبعتُهم .

أخبرنى أحمد بنُ عبد العزيز قال : حدثنى محمد بنُ القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنى المدائنىّ قال :

---

(١) مد : «صدقاته» .

بينا أشعبُ يومًا يتغدّى إذ دخلت جارةٌ(١) له ، ومع أشعب امرأته تأكل ، فدعاها لِتتغدّى ، فجاءت الجارة(١) فأخذت العُرقُوبَ بما عليه — قال: وأهلُ المدينة يسمونه عُرقوبَ ربّ البيت — قال: فقام أشعَب فخرج ثم عادفدقّ الباب ، فقالت له امرأته : ياسخِين العَيْن مالك ! قال : أدخل ؟ قالت : أتَستأْذِنُ أنت، وأنت ربُّ البيت ؟ قال : لو كنتُ ربَّ البيت ما كانت العرْقوبُ بين يدى هذه .

أشعب يبكي نفسه

أخبرنى بعضُ أصحابنا قال : حدثنا أحمد بنُ سعيد الدِّمشقىّ قال : حدثنا الزبير، قال : حدّثنى مصعب قال : قال لى ابن كُلَيْب :

٩٣/١٧

حدّثتُ مرّة أشعب بمُلحة فبكَى، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأتْ ابنتُها قُطِعت ، وقد نشأتَ أنتَ فى موالىّ وأنا الآن أموت ، فإنما أبكى على نفسى .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا ابنُ مَهْرُويه قال : حدثنا الزُّبير بن بكّار ، قال :

كان أشعبُ الطّمع يغنّى وله أصواتٌ قد حُكِيت عنه ،وكان ابنُه عُبيدة يغنّيها ، فمِنْ أصواته هذه :

أرونى مَن يقوم لكم مقامى ... إذا ما الأمرُ جلّ عن الخِطابِ
إلى مَن تَفزعون إذا حَثوتُم ... بأيديكم علىّ من الترابِ

أشعب وسكينة بنت الحسين

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ الخفّاف قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقىّ قال : حدثنا الزبير بن بكّار قال : حدثنا شُعَيب بن عُبيدة بن أشعب، عن أبيه ، عن جدّه قال:

كانت سُكَينة بنتُ الحسين بن علىّ عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان

(١) ب : «جارية» .

قال : وقد كانت أحلفته ألّا يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجًا فقالت : اخرج بنا إلى حُمران[١] من ناحية عُسْفان ، فخرج بها فأقامت ، ثم قالت له : اذهب بنا نعتمر ، فدخل بها مكة ، فأتانى آتٍ ، فقال: تقول لك ديباجةُ الحرَم — وهى امرأة من ولد عتّاب بن أسيد — : لك عشرون ديناراً إن جئتَنى بزيد بن عمرو الليلة فى الأبطح ، [٢] قال أشعب : وأنا أعرف سُكَينة وأعلم ما هى ، ثم غلب علىّ طباع السوء والشره ، فقلت لزيد فيما بينى وبينه : إن ديباجة الحرم أرسلت إلىّ بكيت وكيت ، فقال : عِدْها الليلة بالأبطح[٢] ، فأرسلت إليها فواعدتُها الأبطح وإذا الديباجة قد افترشت بساطًا فى الأبطح وطرحت النمارق ، ووضعت حشايا وعليها أنماط ، فجلستْ عليها ، فلما طلع زيد قامت إليه ، فتلقّته وسلّمت عليه ، ثم رجعت إلى مجلسها ، فلم ننشب أن سمعنا شحيج بغلة سكينة ، فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها ، واختبأتُ ناحية ، فقامت الديباجة إلى سكينة فتلقّتها وقبّلت بين عينيها ، وأجلستها على الفراش ، وجلست هى على بعض النمارق ، فقالت سكينة : أشعبُ والله صاحبُ هـذا الأمر ، ولستُ لأبى إن لم يأت يصيح صياح المرة [٣] لن يقوم لى بشىء أبداً ، فطلعتُ على أربع أصيح صِياح المرة[٣] ، ثم دعت جاريةً معها مجمر كبير فخفنت منـه وأ كثرت ، وصبّت فى حجر الديباجة ، [٤] وحفنت لمن معها فصبّته فى حجورهن[٤] وركِبتْ وركب زيد وأنا معهم ، فلما صارت إلى منزلها قالت لى : يا أشعب أفعلتَها ؟ قلت : جعلت فداءك ، إنما جَعلتْ لى عشرين ديناراً ، وقد عرفتِ طمعى وشرهى ، والله لو جعلت لى العشرين ديناراً على قتل أبوىّ لقتلتهما ، قال : فأمرت بالرحيـل إلى الطائف ، فأقامت بالطائف وحوّطت[٥] من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل عليها . قال : ثم قالت لى يوما : قد أثمنا فى زيد وفعلنا[٦] ما لا يحل لنا ، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة ، وأذنت لزيد فجاءها .

---

(١) حمران : ماء فى ديار الرباب (معجم البلدان) . وفى ب ، مد : «حمدان» ، تحريف .
(٢-٢) التكملة من ف .
(٣-٣) التكملة من ف .
(٤-٤) التكملة من ف .
(٥) ف : «وأحاطت»
(٦) ف : «وعملنا ما لا يحل لنا»

قال الزّبير : وحدّثنى عبدُ الله بن محمد بن أبى سَلَمة قال :

جاء أشعبُ إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه ، فمرّت جارية لأحدهم بحُزمة عَراجين من صدقة عمر ، فقال له أشعبُ : فديتُك ، أنا محتاج إلى حطب فمُرْ لى بهذه الحزمة ، قال : لا ، ولكن أعطيك نصفَها على أن تحدّثنى بحديث ديباجة الحرم ، فكشف أشعبُ ثوبَه عن استه واستوفز وجعل يخنس[1] ويقول : إن لهذا زماناً[2] ، وجعلت خصيتاه تخطّان الأرض ، ثم قال : أعطانى والله فلان فى حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً ، وأعطانى فلان كذا ، وأعطانى فلان كذا ، حتى عدّ أموالا ، وأنت الآن تطالبنى بنصف حزمة عراجين ! ثم قام فانصرف.

وفى ديباجة الحرم يقول عمرُ بنُ أبى ربيعة :

٩٤ / ١٧

صوت

ذَهبتَ ولم تُلمِم بديباجة الحرمْ … وقد كنتَ منها فى عَناء وفى سَقَمْ
جُنِنْتَ بها لمّا سمعتَ بذكرها … وقد كنتَ مجنوناً بجاراتها القُدُمْ
إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى … فكن حجراً بالحزْن من حَرَّةٍ أصمْ[3]

غناه مالك بن أبى السّمح من رواية يونس عن حبيش[4]

قال الزبير : وحدثنى شعيب بن عبيدة عن أبيه قال :

دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، قال : فإذا أنا بأشعب مُتَفَحِّج[5] جالس تحت السرير ، فلما رآنى جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه وأعجب ، فقالت : مالك تنظر إلى هذا ؟ قلت : إنه لعجب ، قالت : إنه لخبيث ، قد أفسد علينا أمورنا بغباوته ، فحضنته بَيْضَ دجاج ، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينفُق[6] .

(١) استوفز فى قعدته : قعد منتصبا غير مطمئن . وخنس : تأخر .
(٢) ف : « أن لهذا زمنا ، أن لهذا زمنا » بدل : « إن لهذا زمانا »
(٣) ف : « من صخرة أصم »
(٤) ب ، مد ، م : «غير مجنس» بدل «عن حبيش» .
(٥) المتفحج : المفرج بين رجليه .
(٦) ف : «ينقب» .

وهذا الخبر عندنا غير مشروح ، ولكن هذا ما سمعناه ، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم ابن المهدىّ التى رواها عنه يوسف بن إبراهيم ، وقد ذكر فى أخبار سكينة .

وروى عن أحمد بن الحسن البزّاز : وجدتُ بخط ابن الوشّاء عن أبى الوشاء ، عن الكديمى عن أبى عاصم قال: قيل لأشعب الطامع : أرأيت أحداً قط أطمعَ منك ، قال : نعم كلبًا يتبعنى أربعة أميال على مضغ العِلك[1] .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء ، وعمى عبدالعزيز بن أحمد[2] ، وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالوا : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى مصعب ، عن عثمان بن المنذر ، عن عبد الله بن أبى بشر بن عثمان بن المغيرة قال :

سمعتُ جلبةً شديدة مقبلة من البلاط ، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة ، وإذا امرأة قد فرعتهم طولا ، وإذا أشعب بين أيديهم بكفّه دُفٌّ وهو يغنّى به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول :

ألا حيِّ التى خرجت قُبيلَ الصّبح فاختمرتْ
يقال بعينها رَمَدٌ ولا واللهِ ما رمِدتْ

فإذا تجاوز فى الرقص الجماعةَ رجع إليهم حتى يُخالطَهم ويستقبل المرأة فيغنّى فى وجهها وهى تَبَسَّم وتقول : حسبك الآن ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جارية صُرَيم المغنية استلحقها صريم عند موته ، واعترف بأنها بنته ، فحاكمت ورثته[3] إلى السلطان ، فقامت لها البينةُ فألحقها به وأعطاها الميراثَ منه ، وكانت أحسنَ خلقِ الله غناء ، كان يُضرَب بها المثل فى الحجاز فيقال : أحسن من غناء الصُّرَيْمِيَّة .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا الدمشقىّ قال : حدثنا الزّبير بن بكّار قال : وحدثنى أبى قال :

---

(١) العلك : اللبان .

(٢) كذا فى جميع النسخ ونرجح أن يكون أحمد بن عبد العزيز .

(٣) ف : « فخاصمت ورثته » .

اجتازت جنازة الصُّرَيْمِيَّة بأشعب وهو جالس فى قوم من قريش فبكى عليها ثم قال: ذهب اليوم الغناء كله، وعلى أنها الزانية كانت — لا رحمها الله — شرُّ خلق الله ، فقيل: يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنِك إيّاها فصلٌ فى كلامك ، قال : نعم ، كنّا نجيئها الفاجرة بكبش، فيُطبخ لنا فى دارها ثم لاتعشّينا — يشهد الله — إلا بسِلْق .

أشعب والغاضرى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : قال حدثنا مصعب :

٩٥/١٧

بلغ أشعب أن الغاضرىّ[1] قد أخذ فى مثل مذهبه ونوادره ، وأن جماعة قد استطابوه ، فرقبه حتى علم أنه فى مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويُضحكهم فصار إليه ، ثم قال له : قد بلغنى أنك قد نحوتَ نحوى وشَغَلتَ عنّى مَنْ كان يألفنى فإن كنت مثلى فافعل كما أفعل ، ثم غَضَّن[2] وجهه وعرّضه وشنّجه حتى صار عرضُه أكثرَ من طوله ،وصار فى هيئة لم يعرفه أحد بها ، ثم أرسل وجهه وقال له: افعل هكذا وطوّل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدرَه ، وصار كأنه وجهُ الناظر فى سيفه ، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار فى ظهره حدبةٌ كسنام البعير ، وصار طولُه مقدارَ شبر أو أكثر ، ثم نزع سراويله وجعل يمد جلد خُصييه حتى حكّ بهما الأرض ، ثم خلاّهما من يده ومشى وجعل يخنِس[3] وهما يخُطّان الأرض ، ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّى حتى صار أطولَ ما يكون من الرجال ، فضحك والله القوم حتى أُغمِى عليهم وقطع الغاضرىّ فما تكلم بنادرة ، ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره ، إنما أنا تلميذُك وخرِّيجُك ، ثم انصرف أشعب وتركه .

من أخلاق أمه

أخبرنى رضوانُ بن أحمد الصّيدلانىّ قال : حدثنا يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهدىّ ، عن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه : أنه كان مولده فى سنة تسع من الهجرة ، وأن أباه كان من مماليك عثمان ، وأنّ أمّه كانت تنقل كلام أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بعضهن إلى بعض ، فتُلقِى بينهن الشرّ ، فتأذّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ،

(١) ب : «الناضرى» .

(٢) غضن وجهه : ثناه . وفى ب : «غض»

(٣) خنس : تخلف وتوارى .

فدعا اللهَ عز وجل عليها فأماتها ، وعُمِّر ابنُها أشعب حتى هلك فى أيام المهدىّ .

كان من المعتزلة

وكان فى أشعب خِلالٌ ، منها أنه كان أطيبَ أهل زمانه عِشرة وأكثرَهم نادرة ، ومنها : أنه كان أحسنَ الناس أداء لغناء سمعه ، ومنها : أنه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان امرأً منهم .

أشعب وعبد الله ابن عمر

قال إبراهيم بن المهدىّ فحدثنى عُبَيْدَةُ بن أشعب ، عن أبيه قال : بلغنى أن عبد الله ابن عمر كان فى مال له[1] يتصدق بثمرته ، فركبتُ ناضحا[2] ووافيتُه فى ماله ، فقلتُ: يابن أمير المؤمنين ويابن الفاروق أوقِرْ لى بعيرى هذا تَمْرا ، فقال لى : أمِنَ المهاجرين أنتَ ؟ قلتُ : اللهمّ لا ، قال : فمن الأنصار أنت ؟ فقلت : اللهم لا ، قال : أفمن التابعين بإحسان ؟ فقلت : أرجو ، فقال : إلى أن يُحَقَّق رجاؤك ، قال : أفمن أبناء السبيل أنت ؟ قلت : لا ، قال : فعلامَ أوقِر لك بَعيرَك تَمْرا ؟ قلت : لأنى سائل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن أتاك سائل على فرس فلا تردّه» ، فقال : لوشئنا أن نقول لك : إنه قال : لو أتاك على فرس ، ولم يقل أتاك على ناضِح بعير[3] لقلنا ، ولكنّى أُمسِك عن ذلك لاستغنائى عنه ؛ لأنى قلت لأبى عمر بن الخطاب : إذا أتانى سائل على فرس يسألنى أعطيته ؟ فقال : إنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتنى عنه ، فقال لى : نعم إذا لم تصب راجلاً ونحن أيها الرّجل نُصِيب رجّالة فعلام أعطيك وأنت على بعير ؟ فقلت له : بحق أبيك الفاروق ، وبحق الله عز وجل ، وبحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أوقرته لى تَمْرا ، فقال لى عبد الله : أنا مُوقِرُه لك تَمْرا ، ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافى لا أبررتُ لك قَسمك ، ولو أنك اقتصرت على استحلافى بحق أبى علىّ فى تمرة أعطيكها لما أنفذت قسمك ، لأنى سمعت أبى يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تُشَدُّ الرّحالُ إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدى

(١) ف : « بلغنى مكان عبد الله بن عمر فى مال له » (٢) الناضح : البعير يستقى عليه .
(٣) ف : « أتاك على بعير » .

٩٦ / ٧: بيثرِبَ ، ولا يَـبَرُّ امرؤٌ قَسَم مُستَحلِفه إلا أن يستَحْلِفه بحق الله وحق رسوله ، ثم قال للسودان فى تلك الحال[١] : أوقِروا له بعيرَه تمرا ، قال: ولما أخذ السودان فى حشو الغرائر قلتُ : إن السودان أهلُ طرب ، وإن أطربتُهم أجادوا حَشْوَ غرائرى ، فقلت : يا بنَ الفاروق ، أتأذن لى فى الغناء فأُغَنِّيك ؟ فقال لى : أنت وذلك ،[٢] فاندفعت فى النَّصْب[٣] ، فقال لى : هذا الغناء الذى لم نزل نعرفه . ثم غنيته صوتاً آخر لطُوَيْس المغنِّى وهو :

خلِيلَىَّ ما أُخفِى من الحب ناطِقٌ ودمْعى بما قلتُ الغَداةَ شهيدُ[٤]

فقال لى عبد الله : يا هناهُ ، لقد حدَثَ فى هذا المعنى ما لم نكن نعرفه ، قال : ثم غنَّيتُه لابن سُرَيْج :

يا عينُ جودى بالدموع السِّفاحْ وابْـكى على قَتْـلَى قُرَيشِ البِطاحْ

فقال : يا أشْعَب ، ويحك ، هذا يَحْيِقُ الفؤاد — أراد : يحرق الفؤاد ، لأنه كان ألثَغ لا يُبِين بالراء ولا باللام . قال أشعَب: وكان بعد ذلك لا يرانى إلا استعادنى هذا الصوت.

أخبرنى الحرَمىّ بن أبى العلاء قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بَـكَّار قال : حدثنى عمى قال: لقِىَ أشعبَ صديقٌ لأبيه فقال له : ويحك يا أشعب ، كان أبوك ألحَى وأنت أثَطُّ[٥] فإلى مَنْ خرجت ؟ . قال : إلى أمى . من نوادره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال: أخبرنا أحمد بن أبى خَيْثَمة قال : حدثنا مُصْعبُ بن عبدالله ، عن مُصْعب بن عثمان قال: من حيله

لقِىَ أشعبُ سالمَ بنَ عبد الله بن عمر فقال: يا أشعب، هل لك فى هَرِيس قد أُعِدَّ لنا ؟ قال : نعم ، بأبى أنت وأمى . قال : فصِر إلىّ ، فمضى إلى منزله ، فقالت له امرأتُه : قد

(١) ب : « ثم قال للسودان فى ذلك الحال »
(٢) ف : «أنت ورأيك» . (٣) النصب : نوع من الغناء .
(٤) ب : «باطل» بدل «ناطق» ، و«شهير» بدل «شهيد» .
(٥) الأثطّ : الخفيف شعر اللحية أو الحاجبين .

وَجَّهَ إليكَ عبدُ الله بن عمرو بن عثمان يدعوك. قال: ويحك ، إن لسالمِ بن عبدالله هريسةً قد دعانى إليها ، وعبدُ الله بن عمرو فى يدى متى شئت، وسالم إنما دَعْوتُه للناس فَلْتة ، وليس لى بُدٌّ من المُضىّ إليه . قالت : إذاً يغضَب عبدُالله ، قال: آ كل عنده، ثم أصير إلى عبدالله. فجاء إلى سالم وجعل يأ كل أ كْلَ مُتَعالل فقال له : كُلْ يا أشعب وابعث ما فَضَل عنك إلى منزلك ، قال : ذاك أردت بأبى أنتَ وأمّى ، فقال : يا غلام ، احمل هذا إلى منزله ، فحمله ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له : ثكِلتكَ أُمُّك ، قد حَلَف عبدُ الله أن لا يُكلّمك شهراً ، قال : دَعِينى وإياه ، هاتى شيئا من زَعْفران ، فأعطته ودخل الحمّام يمسح على وجهه ويديه[1] وجلس فى الحمام حتى صفَّره ، ثم خرج متكئا على عصا يُرعِد، حتى أتى دارَ عبدِ الله بن عمرو ، فلما رآه حاجبُه قال : ويحكَ ، بلغتْ بك العلّةُ ما أرى ؟ ودخل وأعلم صاحبَه فأذِن له ، فلما دخل عليه إذَا سالمُ بنُ عبد الله عنده ، فجعل يزيدُ فى الرِّعدَة ويُقاربُ الخَطْوَ ، فجلس وما يقدر أن يستقِلّ، فقال عبد الله : ظَلمْنَاكَ يا أشعب فى غضبِنا عليك ، فقال له سالم : مالك ويلك ! ألم تكن عندى آنفاً وأ كلتَ هَريسة ؟ فقال له : وأىّ أ كلٍ ترى بى ؟ قال: ويلك ! ألم أقل لك كَيْتَ وكَيْت وتَقُلْ لى كَيْتَ وكَيْتَ ؟ قال له: شُبِّه لك ، قال : لاحوْل ولا قوة إلا بالله ، والله إنى لأَظُنّ الشيطانَ يتشبّه بك. ويلك! أجادٌّ أنت ؟ قال : علىَّ وعلىَّ إن كنتُ خرجتُ منذ شهر.[2] فقال له عبدُ الله :اعزُب ويحَك أتبهَتُه ، لا أمَّ لك ! قال : ما قلتُ إلا حقًّا ، قال: بحياتى اصدُقْنى وأنت آمِنٌ من غضبى ، قال : لا وحياتك لقد صدَق . ثم حدَّثه بالقصة فضحك حتى استَلْقَى على قفاه .

ابنه يذكر بعض طرائف أبيه

[3]أخبرنى رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهدىّ :

أنّ الرشيدَ لمّا ولّاه دمشقَ بعث إليه عبدَ الله بنَ أشعب ، وكان يَقْدُم عليه من الحجاز إذا أراد أن يَطرَب .

---

(١) ف : «وبدنه» . (٢) ف : «إن كنت رأيتك منذ شهر» .

(٣) سقط هذا الخبر من ب ، وأثبتناه من ف ، ما ، مد .

قال إبراهيم : وكان يحدِّثني من حديث أبيه بالطائف :

عادَلتُه[1] يومًا وأنا خارج من دمشق فى قبّة على بغل لألهوَ بحديثه ، فأصابنا فى الطريق بردٌ شديد فدعوتُ بِدُوَّاج سَمُّور[2] لألبسه ، فأُتيت به فلما لبستهُ أقبلتُ على ابن أشعب فقلت : حدِّثني بشيء من طمع أبيك . فقال لى : مالك ولأبى ، ها أنا إذ دعوتَ بالدُّوَّاج فما شككتُ والله فى أنك إنما جئتَ به لى ، فضحكتُ من قوله ، ودعوتُ بغيره فلبستُه وأعطيتُه إياه ، ثم قلت له :

ألأبيكَ ولدٌ غيرك ؟ فقال : كثير ، فقلت : عشرة؟ قال : أكثر ، قلت : فخمسون ؟ قال : أكثر كثير ، قلت : مائة ؟ قال : دع المئين وخذ الألوف ، فقلت : ويلك ! أىُّ شيء تقوله ؟ أشعبُ أبوك ليس بينك وبينه أب ، فكيف يكون له ألوف من الولد ؟ فضحك ثم قال : لى فى هذا خبر ظريف ، فقلت له : حدثنى به ، فقال :

كان أبى منقطعاً إلى سُكَينة بنتِ الحسين ، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان ابن عفان وكانت محبّة له ، فكان لا يستقر معها ، تقول له : أريد الحج فيخرج معها ، فإذا أفضَوا إلى مكة تقول : أريد الرجوعَ إلى المدينة ، فإذا عاد إلى المدينة ، قالت : أريد العمرةَ ، فهو معها فى سفر لا ينقضى . قال عبد الله : فحدثنى أبى قال :

كانت قد حلّفته بما لا كفّارةَ له ألا يتزوجَ عليها ولا يتسرّى ولا يُلِمّ بنسائه وجواريه إلا بإذنها ، وحجَّ الخليفةُ فى سنة من السنين فقال لها : قد حج الخليفةُ ولابدَّ لى من لقائه ، قالت : فاحلِفْ بأنك لاتدخلُ الطائفَ ، ولا تُلِمّ بجواريك على وجه ولا سبب ، فحلف لها بما رَضِيتْ به من الأَيْمان على ذلك ، ثم قالت له : احلِفْ بالطلاق ، فقال : لا أفعل ، ولكن ابعثى معى بثقتك ، فدعتْنى وأعطتنى ثلاثين ديناراً وقالت لى: اخرُج معه ، وحلّفتنى

(١) عادله : ركب معه .

(٢) الدواج : اللحاف الذى يلبس . والسمور : حيوان برى يتخذ من جلده فراء ثمينة للينها وخفتها وإدفائها .

بطلاق بنت وردان زوجتى ألا أُطلِقَ له الخروجَ إلى الطائف بوجه ولا سبب، لحلفتُ لها بما أثلج صدرها ، فأذِنَتْ له نخرج وخَرَجْتُ معه. فلما حاذَيْنا الطائفَ قال لى : يا أشعب، أنت تعرِفُنى وتعرف صنائعى عندك ، وهذه ثلاثمائة دينار ، خُذْها بارَكَ الله لك فيها وأْذَنْ لى أُلِمّ بجوارىّ ، فلما سمعتُها ذهب عقلى ثم قلت : يا سيدى. هى سُكَيْنة ، فاللهَ اللهَ فىّ. فقال:أَوَ تعلم سكينةُ الغيبَ! فلم يزل بى حتى أخذتُها وأذِنتُ له ، فمضى وبات عند جواريه. فلما أصبحنا رأيتُ أبياتَ قوم من العرب قريبةً منا ، فلبستُ حُلَّةَ وَشْيٍ كانت لزيد قيمتُها ألفُ دينار ، وركبتُ فرسَه وجئتُ إلى النساء فسلّمتُ فرددن ، ونسبننى فانتسبتُ نسبَ زيد ، لحادثْنَنى وأْنِسن بى. وأقبل رجال الحىّ، وكلما جاء رجل سأل عن نسبى فخُبِّر به هابنى وسلّم علىّ وعَظّمنى وانصرف ، إلى أن أقبل شيخٌ كبير منكر مبطون، فلما خُبِّر بى وبنسبى شال حاجبَيه عن عينه ، ثم نظر إلىّ وقال : وأبى ما هذه خلقةُ قُرَشىّ ولا شمائلُه ، وما هو إلا عبدٌ لهم نادّ ،وعلمتُ أنه يريد شرًّا، فركبتُ الفرسَ ثم مضيتُ، ولحقنى فرمانى بسهم فما أخطأ قَرَبُوسَ السرج ، وما شككتُ أنه يلحقنى بآخر يقتلنى فسلحْتُ — يعلم الله — فى ثيابى فلوّثتها ونفذ إلى الحُلّة فصيّرها شُهْرة[1] ، وأتيتُ رحْلَ زيد بن عمرو فجلست أغسل الحُلّة وأجففها ، وأقبل زيد بن عمرو ، فرأى ماحِلق الحُلّة والسرج ، فقال لى : ما القصة ؟ ويلك ! فقلت : ياسيدى الصدقُ أنجى ، وحدثته الحديثَ فاغتاظ ثم قال لى : ألم يكفِك أن تلبس حلّتى وتصنع بها ماصنعت ، وتركب فرسى وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبى وفضحتنى، وجعلتنى عند العرب وَلّاجًا جَمّاشًا[2]،وجرى عليك ذُلٌّ نُسِب إلىّ ، أنا نَفِىٌّ من أبى ومنسوبٌ إلى أبيك إن لم أَسُؤْك وأَبْلُغْ فى ذلك.

ثم لقِى الخليفةَ وعاد ودخلنا إلى سُكينة ، فسألتْه عن خبره كله نخبّرها حتى انتهى إلى ذكر

(١) الشهرة : ظهور الشىء فى شنعة .
(٢) الولاج : الكثير الدخول . والجماش : المتعرض للنساء .

جواريه، فقالت: إيهِ وما كان من خبرك فى طريقك؟ هل مَضيْتَ إلى جواريك بالطائف؟ فقال لها: لا أدرى، سلى ثِقتَك. فدعتنى فسألتنى، وبدأتُ فحلفتُ لها بكل يمين محرجة أنه ما مرَّ بالطائف ولا دخلها ولا فارقنى، فقال لها: اليمينُ التى حلَف بها لازمة لى إن لم أكن دخلتُ الطائفَ وبتُّ عند جوارىَّ وغسَّلْتُهن (١) جميعا، وأخذ منى ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وحدَّثها الحديثَ كله وأراها الحلَقَ والسرج، فقالت لى: أفعلتَها يا أشعب! أنا نَفِيَّةٌ من أبى إن أنفقتَها إلا فيما يسوءك، ثم أمرت بكبْس (٢) منزلى وإحضارها الدنانيرَ فأحضرت، فاشترتْ بها خشبا وبيضا وسِرْجينا، وعملت من الخشب بيتا فحبستنى فيه وحلفت ألا أخرج منه ولا أفارقه حتى أحضن البيضَ كلَّه إلى أن ينقَب، فمكثت أربعين يوما أحضن لها البيض حتى نقِبَ، وخرج منه فراريج كثيرة فربَّتْهن وتناسَلنَ فكنَّ بالمدينة يسمَّين بنات أشعب ونسلَ أشعب، فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نَسْلٌ يزيد على الألوف، كلهن أهلى وأقاربى.

قال إبراهيم: فضحكتُ والله من قوله ضحكا ما أذكر أنى ضحكتُ مثلَه قط ووصلته، ولم يزل عندى زمانا حتى خرج إلى المدينة وبلغنى أنه مات هناك (٣).

يتسور البستان طلبا للطعام

٩٧
١٧

أخبرنى أحمدُ قال: حدّثنا مُصْعب بن عبد الله بن عثمان قال:

قال رجل لأشعب: إنّ سالمَ بنَ عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير، فبادَر حتى لحقه فأغلق الغلامُ البابَ دونَه، فتسوّر عليه، فصاح به سالم: بناتى ويلك بناتى، فناداه أشعب: ﴿لقد علِمتَ مالنا فى بناتِك من حقٍّ وإنّك لتعلم ما نُريد﴾ (٤)، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه.

يقوقُ مثل الدجاجة

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال: حدثنا أحمدُ بن سعيد قال: حدثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال: حدثنى عمِّى قال:

---

(١) غسلتهن: جامعتهن.
(٢) كبس دار فلان: هجم عليها فجأة وأحاط بها.
(٣) انتهى الخبر المشار إلى أوله فى الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢.
(٤) سورة هود: ٧٩.

بعثتْ سُكَيْنة إلى أبى الزّناد فجاءها تستفتيه فى شىء ، فاطّلع أشعبُ عليه من بيت وجعل يُقَوْقِىْ مثلَ ما تقَوْقِىْ الدجاجة ، قال: فسبّح أبو الزّناد وقال: ما هذا ؟ فضحكتْ وقالت : إن هذا الخبيث أفسد علينا بعضَ أمرنا ، فحلفتُ أن يحضُن بيضاً فى هذا البيت ولا يفارقه حتّى يَنْقُب ، فجعل أبو الزّناد يعجب من فعلها .

وقد أخبرنى محمدُ بن جعفر النحوىّ بخبر سُكَينة الطويل على غير هذه الرواية ،وهو قريب منها ، وقد ذكرتُه فى أخبار سكينة بنت الحسين مفرداً عن أخبار أشعب هذه فى أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

عبد يسلح فى يده

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمدُ بن أبى خَيْثَمة قال : حدثنا مُصْعب ، قال: حدثنى بعض المدنيين قال :

كان لأشعبَ خَرْق فى بابه ، فكان ينام ثم يُخرِج يدَه من الخَرْق يطمع فى أن يجىء إنسان يطرح فى يده شيئا من شدة الطمع ، فبعث إليه بعضُ من كان يعبث به من مُجّان آل الزُّبَيرْ بعبدٍ له فسلح فى يده ، فلم يعد بعدها إلى أن يُخرج يده .

وأخبرنى به الجوهرىّ ، عن ابن مَهْرُويَه ، عن محمد بن الحسن ، عن مُصْعب ، عن بعض المدنيين فذكر نحوَه ولم يذكر ما فعل به الماجِن .

أشعب وسالم بن عبد الله بن عمر

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرِىّ قال : حدثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن محمدُ الزُّبَيْرِىّ أبو طاهر قال: حدثنا يَحْيى بنُ محمد بن أبى قتيلة قال : حدثنى إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج أنّ أشعبَ حدّثه قال :

جاءنى فِتْيَة من قُرَيْش فقالوا : إنا نحب أن تُسمِع سالمَ بنَ عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء وتُعلِمنا ما يقول لك ، وجعلوا لى على ذلك جُعْلاً فتَنَى،[1] فدخلتُ على سالم فقلت :

(١) ف : «جعلا قيلفى» . والجعل : الأجر الذى يأخذه الإنسان على فعل شىء .

يا أبا عمر، إنّ لى مجُالَسةً وحُرَمةً ومودةً وسِنًّا ،وأنا مُولَع بالتَّرنُّم ، قال: وما التَّرنُّم ؟ قلت: الغناء ، قال: فى أى وقت ؟ قلت : فى الخَلْوة ومع الإخوان فى المُنْزه ، فأحب أن أُسمِعَك ، فإن كَرِهْتَه أمسكْتُ عنه ، وغنَّيتُه فقال : ما أرى بأسًا ، فخرجتُ فأعلمتُهم ، قالوا : وأى شىء غنيته ؟ قلت : غنيتُه :

قَرِّبا مَربَطَ النّعامَةِ مِنّى لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالى[(١)]

فقالوا : هذا بارد ولاحركة فيه ، ولسنا نرضى ، فلما رأيتُ دَفْعَهم إياى وخفتُ ذهابَ ما جعلوه لى رجعتُ فقلت : يا أبا عمر ، آخر ، فقال : مالى ولك؟ فلم أملِّكْه كلامَه حتى غنيتُ ، فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ إليهم فأعلمتُهم فقالوا : وأى شىء غنيته ؟ فقلت : غنَّيتُه قوله :

لم يُطيقوا أن يَنْزِلوا ونَزَلْنا وأخو الحرب مَنْ أطاق النِّزالا

فقالوا : ليس هذا بشىء ، فرجعتُ إليه فقال : مَهْ ، قلت : وآخر ، فلم أملِّكْه أمرَه حتى غنيتُ :

غَيَّضْن من عَبَراتِهنّ وقُلْنَ لى : ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا[(٢)]

فقال : نَهَلاً نَهَلاً[(٣)] ، فقلت : لا والله إلا بذاك السّداك ، وفيه تمر عَجْوة من صَدَقة عمر فقال : هو لك ، فخرجتُ به عليهم وأنا أخْطِر فقالوا : مَهْ ، فقلت : غنّيتُ الشيخ : ٩٨/١٧

غَيَّضْن من عَبَراتِهنّ وقُلْنَ لى . . . .

فطرب وفرض لى فأعطانى هذا ، وكذَبتُهم ، والله ما أعطانيه إلا استكفافاً حتى صَمتُّ .

---

(١) البيت للحارث بن عباد ، وانظر الأمالى ٢ : ١٣١ ط دار الكتب

(٢) البيت لجرير فى شرح ديوان جرير : ٥٧٨ ط الصاوى ، وقبله :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك مايزال معينا

(٣) ف ، مد : «مهلا مهلا» . والنهل : ما أكل من الطعام .

قال ابن أبى سعد : السّداك : الزّبيلُ الكبير . وفرض لى أى نقَّطنى، يعنى ما يَهبه الناس للمغنِّين ويُسمُّونه النُّقَط .

حدثنى الجوهرىّ قال : حدثنا محمدُ بن القاسم قال : حدثنى قَعْنَبُ بنُ المحرز عن الأصمعىّ قال : حدثنى جعفر بن سليمان قال :

كانت له ألحان مطربة وشهد له معبد

قدِم أشعبُ أيامَ أبى جعفر ، فأطاف به فتيان بنى هاشم وسألوه أن يُغنِّيَهُم فغنّى فإذا ألحانُه مُطرِبة [1] وحلقُه على حاله ، فقال له جعفر بن المنصور : لمن هذا الشعر والغناء :

لِمَن طَلَلٌ بذاتِ الجَيْش أمسى دارساً خَلَقا؟

فقال له : أخذتُ الغناء عن مَعْبد ، وهو للدّلال ، ولقد كنتُ آخذُ اللحن عن مَعْبد فإذا سُئل عنه قال : عليكم بأشعب فإنه أحسَنُ تأديةً له منى .

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال : حدثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مصعب قال :

أشعب يلازم جريرا ويغنيه فى شعره

قدِم جَرِيرٌ المدينةَ ، فاجتمع إليه الناسُ يستنشدونه ويسألونه عن شعره ، فيُنشِدهم ويأخذون عنه وينصرفون ، ولزمه أشعبُ من بينهم فلم يفارقْه ، فقال له جرير : أراك أطولَهم جلوساً وأكثرَهم سؤالا ، وإنى لأظنُّك ألأمَهم حَسَباً ، فقال له : يا أبا حَزْرة ، أنا والله أنفعُهم لك ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا آخذ شعرَك فأحسِّنُه وأجوِّدُه ، قال: كيف تُحسِّنه وتُجوّده ؟ قال ، فاندفع فغنّاه فى شعره والغناءُ لابن سُرَيْج :

صوت

يا أختَ ناجِيَة السلامُ عليكم قبلَ الرحيلِ وقبلَ لَوْمِ العُذَّلِ [2]
لو كنتُ أعلمُ أن آخرَ عَهْدِكم يوم الرّحيلِ فعلْتُ ما لم أفعلِ

(١) ف : « ألحانه طربة » .
(٢) ف : « قبل الفراق وقبل عذل العذل » .

قال : فطرِب جَرِير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبتُه بركبته وقال: أشهد أنك تُحَسِّنه وتُجوِّده ، فأعطاه من شعره ما أراد ، ووصله بدنانير وكسوة .

حدّثنى أحمدُ بن عبد العزيز قال : حدثنا محمدُ بن القاسم قال : حدثنى أبى قال : قال الهَيْثَم بن عَدِىّ :

لقيتُ أشعبَ فقلت له : كيف ترى أهلَ زمانِك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديثِ الملوكِ ويُعطون إعطاءَ العبيد .

حدثنى أحمدُ قال : حدثنى محمدُ بن القاسم قال : حدثنا أحمدُ بنُ يَحْيى قال : أخبرنا مُصعَب قال :

أشعب وأم عمر بنت مروان

حجَّت أم عمر بنت مَرْوان فاستَحْجَبت[1] أشعب وقالت له : أنت أعرفُ الناس بأهل المدينة ، فأْذن لهم على مراتبهم ، وجلستْ لهم مَلِيًّا ، ثم قامت فدخلت القائلة ، فجاء طُوَيْس فقال لأشعب : استأذِن لى على أم عمر ، فقال : ما زالت جالسة وقد دَخَلت ، فقال له : يا أشعب ملكتَ يومين فلم تَفُتّ بعَرْتين ولم تَقْطع شَعْرتين ، فدقَّ أشعبُ البابَ ودخل إليها ، فقال لها : أنشدُكِ اللهَ يا بنةَ مَرْوَان ، هذا طُوَيْس بالباب فلا تتعرَّضى للسانه ولا تُعرِّضينى ، فأذنت له ، فلما دخل إليها قال لها : والله لئن كان بابك غُلُقًا لقد كان بابُ أبيك فُتُقا[2] ، ثم أخرج دُفَّه ونقر به وغنَّى :

٩٩
١٧

ما تمنى يَقَظى فقد تُؤْتَيِنَه ... فى النوم غير مُصَرَّد محسوبِ

كان المُنَى بلقائها فَلَقيتُها ... فلهوتُ من لهو امرئٍ مكذوبِ

قالت: أيهما أحبُّ إليك العاجلُ أم الآجِل؟ فقال: عاجِلٌ وآجِل، فأمرتْ له بكُسْوة.

---

(١) استحجبت أشعب : ولته الحجابة .

(٢) باب غلق : مغلق ، فعل بمعنى مفعول . وفلق : مفتوح . وفى مد : «ودلقاه» .

أخبرنى الجوهرىّ قال : حدثنى ابن مَهْرُويه ، عن أبى مُسْلم ، عن المدائنىّ قال :

حدَّث رجل من أهلِ المدينة أشعبَ بحديث أعجبه فقال له : فى حديثك هذا شىء قال : وما هو ؟ قال : تَقْلِيبُه على الرأس .

أشعب والوليد بن يزيد

أخبرنى الجوهرِىُّ قال : حدثنى ابن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : حدثنا المدائنىّ قال :

بعث الوليدُ بنُ يزيد إلى أشعب بعدما طَلَّق امرأتَه سُعْدَةَ فقال له : يا أشعبُ ، لك عندى عشرةُ آلافِ درهم على أن تبلّغ رسالتى سُعْدة ، فقال له : أحضِر المالَ حتى أنظر إليه ، فأحضر الوليد بِدرَةً فوضعها أشعب على عنقه ، ثم قال : هات رسالَتك يا أميرَ المؤمنين ، قال : قل لها : يقول لك :

أَسُعْدَةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامَة من تلاقِى؟!
بلى ، ولعلَّ دهرًا أن يُوَاتِى ... بموتٍ من حليلكِ أو طلاقِ
فأُصبِحَ شامتًا وتقـرَّ عَيْنى ... ويُجمَع شملُنا بعـد افتراقِ

قال : فأتى أشعبُ الباب ، فأُخبِرت بمكانه ، فأمرتْ ففُرِشَت لها فُرُش وجلستْ فأذِنتْ له ، فدخل فأنشدها ما أمره ، فقالت لخدمها : خذوا الفاسق، فقال : ياسيدتى إنها بعشرة آلاف دِرْهم ، قالت : والله لأقتلنّك أو تبلّغُه كما بلغتنى ، قال : وما تَهَبِين لى ؟ قالت : بِساطى الذى تحتى ، قال : قومى عنه ، فقامت فطواه ثم قال : هاتى رسالَتك جُعِلتُ فِداءكِ ، قالت : قل له :

أتبكى على لُبْنَى وأنتَ تركتَها ... فقد ذهبتْ لُبْنَى فما أنت صانعُ ؟!

فأقبل أشعبُ فدخل على الوليد فأنشده البيتَ ، فقال : أوّه ! قتلتنى والله ، ما تُرانى صانعًا بك يابنَ الزانية ؟ اختر إمّا أن أُدلِّيكَ منكّسًا فى بئر، أوأرمِيَ بك من فوق القصر

مُنكَّسا ، أو أضربَ رأسَك بعمودى هذا ضربة ، فقال : ما كنتَ فاعلا بى شيئا من ذلك قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّك لم تَكُن لِتعُذِّب رأساً فيه عيْنان قد نَظَرتا إلى سُعْدَة فقال : صدَقْتَ يا بنَ الزّانِيَة ، اخرُج عَنِّى .

وقد أخبرَنى بهذا الخبَر محمدُ بن مَزيد ، عن حَمّاد ، عن أبيه ، عن الهَيْثَم بنِ عدِىّ ، أنَّ سُعدَة لمّا أنشدَها أشعَبُ قوله :

أسُعدَةَ هل إليكِ لنا سَبِيلٌ وهل حَتَّى القيامة من تلاقِى؟!

قالت : لا واللهِ لا يكونُ ذلك أبدًا ، فلما أنْشَدَها :

بَلَى ولعَلَّ دهراً أن يُواتِى بمَوْتٍ من حَلِيلِك أو طلاقِ

قالت : كلّا إن شاء الله ، بل يَفعل اللهُ ذلك به ، فلمَّا أنشدَها :

فأُصبِحَ شامِتًا وتَقَرَّ عَيْنِى ويُجمَعَ شملُنا بعد افْتِراقِ

قالت : بل تكون الشَّماتَة به ، وذكر باقى الخبَر مثل حديث الجوهرىّ عن ابن مَهْرُويه .

١٠٠ / ١٧ أخبرنى عَمّى قال : حَدَّثنا محمدُ بنُ سعدٍ الكُرانىُّ قال : حدَّثنا العُمَرىّ ، عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال:

كتبَ الوليدُ بنُ يَزيد فى إشْخاصِ أشعَبَ من الحِجاز إليه وحَملِه على البَريد ، فحُمِل إليه ، فلما دَخَل أمر بأن يَلبس تُبّانًا[1] ويُجعَل فيه ذَنَبُ قِرْد ، ويُشدَّ فى رِجْلَيه أجراس ، وفى عُنُقه جَلاجل ، ففُعِل به ذلك ، فدَخَل وهو عَجَبٌ من العَجَب ، فلما رآه ضَحِك منه وكَشَف عن أيْره ، قال أشعب : فنظرت إليه كأنه ناىٌ مَدْهون ، فقال لى :

(١) التبان : سراويل قصيرة إلى الركبة أو ما فوقها تستر العورة . وفى مد : «ثيابا» .

اسجُد للأصمّ وَيْلَك ، يعنى أيرَه ، فسجَدتُ ، ثم رفعتُ رأسِى وسجَدتُ أخرى ، فقال : ما هذا ؟ فقلتُ : الأولى للأَصَمّ ، والثانية لخُصْيَتَيْك ، فضَحِك وأمر بنَزْع ما كان ألبسَنيه ووَصَلنى ، ولم أزل من نُدَمائه حتى قُتِل .

أخبرنى محمدُ بن مَزْيد قال : حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه قال :

قال رجل لأشعَب إنه أُهدِى إلى زياد بنِ عبدِ اللهِ الحارثىّ قُبّةُ أَدَم قيمتُها عَشْرة آلاف دِرْهَم فقال : امرأتُه الطَّلاق لو أنّها قُبّةُ الإسلام ما ساوَتْ ألْف دِرْهم . فقيلَ له : إن معها جُبَّةَ وَشْيٍ حَشوُها قَزٌّ قيمَتُها عشرون ألف دِينارٍ ، فقال : أُمُّه زانية لو أنَّ حَشوَها زَغَبُ أجنِحَة الملائكة ما ساوت عِشْرين دِينارًا .

أشعب ورجل من ولد عامر بن لؤى

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى أبو أيوب المَدائنىّ قال : حدثنى مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْرى عن أبيه قال : حدّثنى أشعب قال :

وَلِىَ المَدِينةَ رجلٌ من ولَد عامِر بنِ لُؤَىّ ، وكان أبخَلَ النّاس وأنكدَهُم[1] . وأغراه اللهُ بى يَطْلُبُنى فى لَيْلِهِ ونَهارِه ، فإن هَرَبتُ منه هَجَم على مَنْزِلى بالشُّرَط ، وإن كنتُ فى موضع بعثَ إلى مَن أكونُ معه أو عنده يطلبُنى منه ، فيُطالبُنى بأن أُحدّثه وأُضحِكه ، ثم لا أسْكُت ولا ينام[2] ، ولا يُطعِمُنى ولا يُعطِينى شيئًا ، فلقيتُ منه جهدًا عظيما وبَلاءً شديدًا . وحضَر الحجُّ ، فقال لى : يا أشعب ، كن معى ، فقلت : بأبى أنت وأمى ، أنا عليل ، وليست لى نية فى الحج . فقال : عَلَيه وعَلَيه وقال : إن الكَعْبَةَ بَيتُ النّارِ ، لَئِن لم تَخرُجْ معى لأُودِعَنَّك الحبْس حتى أَقدُم ، فخرجتُ معه مُكرَهًا ، فلما نزلنا المَنْزل أظهَرَ أنّه صائم ونام حتى تَشاغَلْتُ ، ثم أكل ما فى سُفرته ، وأمر غُلَامه أن يُطعِمَنى رغيفَيْن بِملْح ، فجئتُ وعندى أنّه صائم ، ولم أزل أنتظر المَغرِب

(١) مد : «وأنكرهم» .
(٢) ف : «ولا أنام»

أتوقَّع إفطارَه ، فلما صَلَّيتُ المغربَ قلتُ لِغُلامه : ما ينْتَظِر بالأَكْل ؟ قال : قد أَكل منذُ زمان ، قلت : أو لم يَكُنْ صائمًا ؟ قال : لا . قلت : أفأَطوِى أنا ؟ قال : قد أعدَّ لك ما تأكُلُه فكُلْ ، وأَخرجَ إليَّ الرَّغيفَيْنِ والمِلْحَ فأكلتُهما وبتُّ مَيِّتًا جوعًا ، وأصبحتُ فسِرْنا حتى نزلنا المنزِل ، فقال لغلامه : ابتَعْ لنا لَحْمًا بدِرْهم ، فابتاعه ، فقال : كَبِّب لى قِطعًا ، ففعل ، فأكله ونَصَب القِدْر ، فلما اغبَرَّت قال : اغرُف لى منها قطعًا ، ففعل ، فأكلها ، ثم قال : اطرح فيها دُقَّة وأطعِمْنى منها ، ففعل ، ثم قال : ألقِ توابِلَها وأطعِمْنى منها ، ففعل ؛ وأنا جالس أنظُر إليه لا يدعونى ، فلما استوفى اللَّحمَ كلَّه قال : ياغُلام ، أَطعِم أشعبَ ، ورمى إليَّ برغيفَيْن ، فجئتُ إلى القِدْر وإذا ليس فيها إلا مَرَق وعِظام ، فأكلت الرَّغيفَين ، وأخرج له جراباً فيه فاكهةٌ يابسةٌ ، فأخذ منها حفنة فأكلها ، وبقى فى كفِّه كَفٌّ لوزٍ بِقِشْرِه ، ولم يَكُنْ له فيه حيلة ، فرمى به إليَّ وقال : كُلْ هذا يا أشعب ، فذهَبْتُ أكسِر واحدة منها فإذا بضِرْسى قد انكَسَرت منه قِطْعَة فسَقَطَتْ بين يدىَّ ، وتباعدتُ أطلبُ حَجَراً أكسِرُه به ، فوجدتُه ، فضربت به لوزة فطفرَتْ — يعلمُ الله — مقدارَ رَمْية حجَر ، وعدوتُ فى طَلَبها ، فبينما أنا فى ذلك إذ أقبَل بَنُو مُصْعَب — يعْنِى ابنَ ثابِت وإخوته — يُلبُّون بتلك الحلوق الجَهْوَرِيَّة ، فصِحْتُ بهم : الغَوثَ الغَوثَ العِياذُ بالله وبكم يا آل الزُّبير ، الحَقُونى أدرِكُونى ، فرَكَضُوا إليَّ ، فلما رأَوْنى قالوا : أشعب ، مالك ويلك ؟ قلت : خُذونى معكم تُخَلِّصونى من المَوْت ، فحملونى معهم ، فجعلت أرفِرفُ بيدَى كما يفعل الفَرْخ إذا طَلَب الزَّقَّ من أبوَيْه ، فقالوا : مالَكَ ويلك؟ قلت : ليس هذا وقتَ الحديث ، زُقُّونى مما معكم ، فقد مُتُّ ضُرًّا وجُوعًا منذ ثلاث ، قال : فأطعَمونى حتى تراجَعَت نفسى ، وحملونى معهم فى مَحْمَل ، ثم قالوا : أخبرنا بقِصَّتك ، فحدَّثتُهم وأريتهم ضِرْسى المكسورة ، فجعلوا يضحكون

١٠١ / ١٧

ويُصَفِّقون وقالوا : ويلك ، مِنْ أينَ وقعتَ على هذا ؟ هذا من أبخَلِ خَلْقِ الله وأدنئهم نَفْسًا ، فحَلَفتُ بالطّلاق أنى لا أَدخُل المدينةَ ما دَامَ له بها سُلطان ، فلم أَدخُلْها حتى عُزِل .

أشعب يسقط الغاضرى

أخبرنى رضْوَانُ بنُ أحمد الصَّيْدلانىُّ قال : حدّثنا يوسُفُ بنُ إبراهيم قال : حدّثنا إبراهيمُ بنُ المهدِىّ قال : حدّثنى عُبَيْدةُ بنُ أشعب قال :

كان الغاضرِىُّ مُندِرَ(١) أهلِ المدينة ومُضحِكَهم قَبْلَ أبى ، فأسقَطَه أبى واطُّرِح ، وكان الغاضرِىُّ حَسنَ الوَجْه مادّ القامةِ عَبْلا فَخْما ، وكان أبى قَصيراً دَميماً قليلَ اللّحم ؛ إلّا أنَّه كان يتضرَّم ويتوقّد ذَكاء وحِدّة وخفّة رُوح ، وكان الغاضرىّ يحسده إلا أنهما متساويان ، وكان الغاضرىُّ لقيطاً منبوذاً لا يُعرَف له أبٌ ، فمرّ يومًا — ومعه فِتيَة من قُرَيش — بأبى فى المسجِد وقد تأذَّى بثيابه فنزَعها ، وتجرّد وجلَس عُرْياناً ، فقال لهم الغاضرِىّ : أنشدَتُكم اللهَ هل رأيتم أعجبَ من هذه الخِلقَة ! يريد خِلْقَةَ أبى ، فقال له أبى : إنّ خِلقَتى لعَجيبَة ، وأعجَب منها أنه زَقّنى(٢) اثنان فصِرْتُ نِضْوًا(٣) ، وزَقّك واحدٌ فصِرْتَ بُخْتيًّا(٤) قال : وأهلُ المَدِينة يُسمون المَهْلُوس(٥) من الفِراخ النِّضْو والمُسَرْوَل(٦) البُخْتِىّ ، فغضب الغاضرِىُّ عند ذلك وشَتَمَه ، فسقط واستُبرِد ، وترك النوادِرَ بعد ذلك ، وغَلَب أبى على أهْل المَدينة واستَطابُوه ، وكان هذا سَبَبَه .

أشعب وزياد بن عبد الله الحارثى

أخبرنى جَعْفَرُ بنُ قُدَامَة قال: حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه قال :

---

(١) أندر : أتى بالنوادر من قول أو فعل فهو مندر .

(٢) زق الطائر فرخه : أطعمه بفيه .

(٣) النضو : المهزول .

(٤) البختى : الواحد من الإبل الخراسانية .

(٥) هلسه المرض : هزله فهو مهلوس .

(٦) حمامة مسرولة : فى رجليها ريش كأنه سراويل .

كان زيادُ بنُ عبدِ الله الحارثىّ أبخلَ خَلْقِ الله ، فأولَمَ وليمةً لطُهْرِ بعض أولادِه ، وكان النّاس يَحضُرون ويُقدَّم الطَّعامُ فلا يأْكُلون منه إلا تعلُّلاً وتَشَعُّثًا (١) لعلمهم به ، فقُدِّم فيما قُدِّم جَدْىٌ مشوىٌّ فلم يَعرِض له أحدٌ ، وجعل يُرَدِّدُه على المائدة ثلاثةَ أيام والناس يجتَنِبُونَه إلى أن انقضت الوليمةُ ، فأصغى أشعبُ إلى بعض مَنْ كان هنالك فقال: امرأتُه الطّلاق إن لم يَكُن هذا الجدْىُ بعد أن ذُبِح وشُوِىَ أطولَ عُمْراً وأمدَّ حياةً منه قبل أن يُذْبحَ ، فضحِك الرّجلُ ، وسمِعها زيادٌ فتغافَل .

غضبت سكينه عليه فأمرت بحلق لحيته

أخبرنى عمِّى قال : حدّثنا عبدُ الله بن أبى سَعد قال : حدّثنى محمدُ بنُ عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : حدّثنى إبراهيمُ بنُ المَهْدِىّ ، عن عُبَيدة بن أشعب قال :

غَضِبتْ سُكَيْنَةُ على أبى فى شىء خالفَها فيه فحلَفَت لتَحْلِقَنَّ لحيَته ، ودعت بالحجّام فقالت له : احْلِق لِحْيَته ، فقال له الحجّام : انفُخ شدْقَيْك حتى أتمكّن منك ، فقال له : يا بْنَ البَظْراء ، أمرتْك أن تَحلِق لِحْيتى أو تُعَلِّمنى الزَّمْر ! خبِّرنى عن امرأتك إذا أردتَ أن تَحلِق حِرَها تنفُخ أشداقَه ! فغضِب الحجّام وحلف ألّا يَحلِق لِحْيَته وانصرف ، وبلغَ سُكَيْنة الخبَرُ وما جرى بينهما فضحِكت وعَفَت عنه .

١٠٢ / ١٧

بين زياد بن عبد الله الحارثى وكاتبه

أخبرنى محمد بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان قال : حدّثنى أبو العَيْناء عن الأصمعىّ قال :

أهدى كاتبٌ لزيادِ بنِ عبد الله الحارثىّ إليه طعامًا ، فأُتِى به وقد تَغدَّى فغضب وقال : ما أصنَعُ به وقد أكلْتُ ؟ ادعُوا أهلَ الصُّفّة (٢) يأكُلونه ، فبعَث إليهم وسأل

---

(١) تشعث من الطعام : أكل منه قليلا .

(٢) أهل الصفة : فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه .

كاتبَه : فيمَ دعا أهلَ الصُّفّة ؟ فعرّف ، فقال الكاتب : عرِّفوه أنّ فى السِّلال أَخبِصَةً (١) وحَلْوَاء ودَجاجاً وفِراخاً ، فأُخْبِر بذلك ، فأمر بكَشْفِها ، فلما رَآها أمر برَفْعِها فرُفِعَت ، وجاء أهلُ الصُّفّة فأُعلِم ، فقال : اضربُوهم عِشْرين عِشْرين دِرّةً ، واحْبِسوهم فإنهم يَفْسُون فى مَسْجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذُون المُصَلِّين ، فكُلِّم فيهم ، فقال : حَلِّفُوهم ألاّ يُعاوِدُوا وأَطلِقُوهم .

أشعب وأبان بن عثمان والأعرابى

أخبرنى محمدُ بنُ مزْيد قال : حدثنا عُمرُ بنُ شَبَّة قال : حدثنا ابنُ زبالة ، قال : حدثنا ابن زَبَنَّج راويةُ ابنِ هَرْمة عن أبيه قال :

كان أبانُ بنُ عُثْمان من أهزَلِ النَّاس وأعبَثِهم (٢) ، وبلغ من عَبَثِه أنه كان يَجِيء باللَّيْل إلى منْزِل رَجُل فى أَعلى المَدِينة له لقب يَغضَب منه فيقولُ له : أنا فُلانُ بنُ فُلان، ثم يَهْتِف بلقَبِه ، فيَشْتُمُه أقبَح شَتْم وأبانُ يَضْحكُ . فبينما نحنُ ذاتَ يوم عنده وعنده أشْعَبُ إذ أقبَل أعرابىٌّ ومعه جَمَل له ، والأعرابىُّ أشقَرُ أزرقُ أزعَرُ (٣) غَضوبٌ يتلَظَّى كأنه أفعَى ، ويَتَبَيَّنُ الشَّرُّ فى وَجْهه مايدنو منه أحدٌ إلا شتَمه ونَهَره ، فقال أشعبُ لأبان : هذا واللهِ من البادية (٤) ادعوه ، فدُعِيَ وقيل له : إن الأميرَ أبانَ بنَ عُثمان يَدْعُوك ، فأتاه فسلَّمَ عليه ، فسأله أبانُ عن نسبه فانتسب له ، فقال : حيَّاكَ اللهُ يا خالى ، حبيبٌ ازدادَ حُبًّا ، فجلس ، فقال له : إنّى فى طَلَب جَمَل مِثْل جملِك هذا مُنْذ زمان فلم أَجِدْه كما أشتهى بهذِهِ الصِّفَة ، وهٰذه القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ،

(١) الأخبصة جمع خبيص ؛ وهى الحلواء المخلوطة من التمر والسمن .
(٢) مد ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٤ : «وأولعهم» .
(٣) الأزعر : السيء الخلق .
(٤) ف : «البابة» . أى الصنف . يقال : هذا بابته : من الصنف الذى يصلح للسخرية . وفى معجم البلدان ١ : ٤٥٢ : بابه : من قرى بخارى .

فالحمد لله الذى جَعَل ظَفَرى به من عند من أُحِبّه ، أتبيعُه ؟ قال : نعم أيها الأمير ، فقال: فإنى قد بذلتُ لك به مائةَ دينار — وكان الجملُ يُساوى عَشَرة دنانير — فطَمِع الأعرابىُّ وسُرَّ وانتفخ ، وبان السُّرورُ والطَّمع فى وَجْهه ، فأقبل أبانُ على أشعب ثم قال له : ويلك يا أشعبُ ! إنَّ خالى هذا من أهلِك وأقاربك — يعنى فى الطمع — فأوسع له ممّا عندك . فقال له : نعم بأبى أنت وزيادة ، فقال له أبان : يا خالى ، إنما زِدْتُك فى الثمَن على بَصيرة وإنّما الجمَل يُساوى سِتّين ديناراً ، ولكن بذلتُ لك مائة لقِلّة النَّقْد عندنا ، وإنى أُعطيك به عُروضاً[١] تُساوى مِائة ، فزاد طَمَعُ الأعرابىّ وقال : قد قَبِلْتُ ذلك أيُّها الأمير ، فأَسَرَّ إلى أشعب ، فأخرجَ شيئاً مُغطًّى فقال له: أخرِجْ ماجئتَ به ، فأخْرجَ جَرْدَ عِمامة خَزٍّ خَلَقٍ تُساوى أربعةَ دراهم ، فقال له : قوِّمها يا أشعب ، فقال له : عِمامَةُ الأمير تُعرَف به ، ويَشْهَدُ فيها الأعيادَ والجُمَع ويلقَى فيها الخلَفاء؛ خمسُون ديناراً . فقال : ضَعْها بَيْنَ يدَيْه . وقال لابنِ زَبنَج ، أثبِت قيمتَها . فكتَب ذلك ، ووُضِعَت العِمامةُ بين يدَى الأعرابىّ ، فكاد يدخُل بعضُه فى بَعْض غَيظًا ، ولم يقدر على الكلام ، ثم قال : هاتِ قَلَنْسُوَتى ، فأخرج قَلَنْسُوة طَويلة خَلَقَة قد عَلاها الوَسَخ والدُّهْن وتخرّقت ، تساوى نِصفَ دِرهم ، فقال : قوِّم ، فقال : قلنْسُوَة الأمير تعلو هامَتَه ويُصَلِّى فيها الصَّلَوات الخمس ، ويجلسُ ١٠٣/١٧ للحُكم ؛ ثلاثُون ديناراً . قال : أثبِت ، فأَثبَتَ ذلك ، ووُضِعَت القَلَنْسُوةُ بين يدَى الأعرابىّ ، فتربَّدَ وجهُه وجَحَظَت عيناه وهَمَّ بالوُثوب ، ثم تماسَك وهو مُتَقلْقِل .

ثم قال لأشعب : هات ماعِندَك ، فأخرج خُفّين خَلَقَين قد نَقِبا[٢] وتَقَشّرا وتفَتّقا ، فقال له : قوِّم ، فقال : خُفّا الأمير يَطأُ بهما الرَّوضَة ، ويعلُو بهما مِنْبر النبىّ صلى الله

(١) العروض جمع عرض ، وهو كل شىء سوى الدراهم والدنانير .

(٢) نقبا : تخرقا .

عليه وسلم ؛ أربعُون ديناراً . فقال : ضَمْهُما بَيْن يدَيه فوضَعَهما . ثم قال للاعرابىّ : اضْمُم إليك متاعَك ، وقال لبعْضِ الأعوان : اذهَبْ فخُذ الجملَ ، وقال لآخر : امْضِ مع الأعرابىّ فاقبِض منه ما بَقِىَ لنا عليه من ثَمَن المتاع وهو عِشْرُون ديناراً ، فوثَب الأعرابىُّ فأخَذَ القُماشَ فضَرَب به وُجوه القَوْم لا يَأْلُو فى شِدَّة الرَّمى به ، ثم قال له : أتدرى أصلَحَك الله من أى شىء أموت ؟ قال : لا ، قال : لم أُدرِك أباكَ عُثمان فأشتَرِكَ والله فى دمه إذ وَلَد مِثْلَك ، ثم نَهَض مثلَ المجنون حتى أَخَذَ برَأْس بَعيره ، وضَحِك أَبان حتى سَقَط وضَحِك كلُّ من كان معه . وكان الأعرابىُّ بعد ذلك إذا لَقِى أَشْعب يقول له : هَلمَّ إلىّ يا بْنَ الخبيثة حتى أُكافِئَك على تَقْوِيمك المتاع يوم قُوِّم ، فيهرب أشعبُ منه .

يخشى أن تحسده العجوز على خفة موته

أخبرنى جَعْفرُ بنُ قُدامة قال : حدثنا أحمدُ بنُ الحارِث ، عن المدائنىّ قال : حدثنى شيخ من أهل المدينة قال :

كانت بالمَدينة عجوزٌ شديدَةُ العَيْن ، لا تنظُر إلى شىء تَسْتَحْسِنه إلا عانَتْه(١) ، فدخلت على أشعب وهو فى المَوْت ، وهو يقول لبِنْته : يابُنَيَّة ، إذا مُتُّ فلا تَندُبينى والناس يَسْمَعُونَك ، فتقولين : واأَبتاه أندُبك للصَّوم والصَّلوات ، واأَبتاه أندُبك للفقه والقراءة ، فيُكذِّبُك النَّاسُ ويلعَنُونى . والتفَتَ أشعبُ فرأى المرأة ، فغطَّى وجهه بكُمِّه وقال لها : يا فلانة بالله إن كُنتِ استَحْسَنْتِ شيئاً مما أنا فيه فصلِّى على النبى صلى الله عليه وسلم لا تُهلِكينى . فغضِبت المرأةُ وقالت : سَخِنت عَيْنُك(٢) ، فى أىّ شىء أنت مما يُستحسَن ! أنتَ فى آخر رَمَق ! قال : قد علمت ولكن قُلت لئلا تكونى

(١) عانته : حسدته .
(٢) سَخِنت عَيْنُك ، نقيض قَرَّت .

قد استحسنْتِ خِفّةَ الموت عليّ وسُهولةِ النَّزع ، فيَشْتدُّ ما أنا فيه . وخرجَت من عِنْده وهى تشتُمه ، وضَحِك كلُّ مَنْ كان حوله من كلامه ، ثم مات .

أمثلة من طرائفه وطمعه

أخبرنى الحَسَنُ بنُ علىّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبى طاهر قال : حدَّثنا أبو أيوب المدينىّ ، عن مصعب قال :

لاعب أشْعَبُ رَجلاً بالنَّرْد ، فأشرَف على أنْ يَقْمُرَه إلا بضرب دُويكَيْن ، ووقع الفصّان فى يد ملاعبه ، فأصابه زَمَع[1] وجزع ، فضَرَب يكين وضَرَط مع الضَّرْبة فقال له أشعَب : امرأتُه طالِق إن لم أَحسب لك الضَّرْطة بنُقْطة حتى يَصِير لك اليكّان دُوويكٌ وتَقْمُرُ[2] . وسلم له القَمْر بسبب الضَّرْطة .

أخبرنى الحَسَن قال : حدَّثنا أحمدُ ، قال : حدَّثَنِي أبو أيوب ، عن حَمّاد ، عن ابن إسحاق ، عن أبيه قال :

قال رجل لأشْعَب : كان أبوكَ أَلْحى وأنت أَنطُ[3] فإلى مَنْ خَرجت ؟ قال : إلى أُمّى ، فمرّ الرجلُ وهو يَعْجَب من جَوابه ، وكان رجُلًا صالحًا .

أَخبرنى هاشِمُ بنُ مُحمد الخزاعِيّ قال : حدَّثنى الرِّياشِيُّ قال :

سَمِعْتُ أَبا عاصم النَّبِيل يقول : رأَيتُ أشعبَ وسأَلَه رجلٌ : ما بلَغ من طَمَعِك ؟ قال : ما زُفَّت عروسٌ بالمدينة إلى زوجها قطّ إلا فتَحْتُ بابى ، رَجاء أن تُهدَى إلىّ .

أخبرنى حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبى قال : حدَّثنا الزُّبير بنُ بكّار عن عمِّه قال : ١٠٤ / ١٧

تظَلّمت امرأةُ أشعَب منه إلى أبى بَكْر محمد[4] بن عَمْرو بن حَزْم وقالت :

---

(١) الزمع : الدهش والخوف .

(٢) قمره قمرا : غلبه فى لعب القمار . (٣) الأنط : الذى لا لحية له .

(٤) ب ، س : « إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم »

لا يدعُنِي أهدأ من كَثْرة الجِماع ، فقال له أشْعَب : أتُرانِي أعلِفُ ولا أركَبُ ، لِتكُفَّ ضِرْسَها لأُكُفَّ أيْرِي .

قال : وشكا خالٌ لأشعَب إليه امرأتَه وأنها تخونُه فى ماله ، فقال له : فدَيْتُك لا تأمَنَن قحبة ، ولو أنَّها أمُّك ، فانصرف عنه وهو يَشتُمه .

أخبرنى عمِّى قال : حدَّثنى عبدُ اللهِ بنُ أبى سَعْد ، قال : حدَّثنى قَعْنَبُ بنُ المُحرِز عن الأصمعىّ ، عن جَعفَر بنِ سُلَيمان ، قال :

قَدِم علينا أشعَبُ أيَّامَ أبى جَعفَر ، فأطاف به فِتْيان بنى هاشم ، وسألوه أن يُغَنِّيَ فغنَّاهم فإذا ألحانُه مُطرِبة(١) وحَلْقُه على حاله ، فسألوه : لِمَنْ هذا اللحن :

لِمَنْ طَلَلٌ بذاتِ الجَيْـــشِ أمسَى دارِساً خَلَقا ؟

قال : للدلال ، وأخذتُه عن مَعْبَد ، ولقد كنتُ آخذ عنه الصوت ، فإذا سُئِل عنه قال : عليكُمْ بأشعَب فإنه أحسنُ أداءً له منى .

الحسن بن الحسن بن على يعبث به

أخبرنى الحسَن بنُ علىّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسِم بن مَهْرُويه ، قال : ذكر الزُّبَير بن بكّار ، عن شُعَيب بن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه قال :

كان الحسَنُ بنُ الحسَنِ بنِ علىّ بن أبى طالب عليهم السلام يَعبَث بأبى أشَدَّ عَبَث ، وربما أراه فى عَبَثه أنه قد ثَمِل وأنه يُعربِد عليه ، ثم يخرُج إليه بسَيْف مَسْلول ويُريه أنه يُريد قتلَه ، فيَجرِى بينهما فى ذلك كلّ مُستَمع ، فهَجَره أبى مدَّة طويلة ، ثم لَقِيه يومًا ، فقال له : يا أشعَب ، هَجَرْتَنِى وقَطَعْتَنِى ونَسِيت عَهْدى ، فقال له : بأبى أنتَ وأُمِّى ، لو كنتَ تعربد بغير السَّيْفِ ما هَجَرتُك ، ولكن ليس مع السَّيف لَعِبٌ ، فقال له : فأنا أُعفِيك من هذا فلا تَراه منّى أبداً ، وهذه عَشَرة دنانير ، ولك حِمارى الذى

---

(١) ف : « فإذا ألحانه طريّة » .

تحتي أحملك عليه ، وصِرْ إليّ ولك الشرط ألّا ترى فى دارى سَيْفًا ، قال : لا والله أو تُخرِج كلّ سيف فى دارك قبل أن نأكل قال : ذلك لك ، قال : فجاءه أبى ، ووفّى له بما قال من الهِبَة وإخراج السُّيُوفِ ، وخلّف عنده سَيْفًا فى الدار ، فلما توسّط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيفَ مَشْهوراً ، ثم قال : يا أشعب إنما أخرجتُ هذا السيفَ لخيرٍ أُرِيدُه بك ، قال : بأبى أنتَ وأمّى ، وأىُّ خيرٍ يكون مع السَّيف ؟ ألست تَذْكُر الشرطَ بيننا ؟ قال له : فاسْمَع ما أقول لك ، لست أضرِبُك به ، ولا يلحَقُك منه شَىْء تكرَهُه ، وإنما أريد أن أُضْجِعَك وأجلِس على صَدْرِك ، ثم آخذ جِلدَة حَلْقِك بإصْبَعى من غير أن أقبِض على عَصَب ولا وَدَج ولا مَقْتَل ، فأحزّها بالسيف ، ثم أقومُ عن صَدْرِك وأعطيك عِشْرين ديناراً ، فقال : نشَدْتُك اللهَ يا بنَ رسولِ الله ألّا تفعَل بى هذا ! وجعل يَصْرُخ ويَبكِي ويَسْتَغيث ، والحسَن لا يَزِيدُه على الحلفِ له أنه لا يقتُله ولا يتجَاوز به أن يحُزّ جِلدَه فقط ، ويتوعّده مع ذلك بأنّهُ إن لم يفعله طائعاً فعله كارِهاً ، حتى إذا طال الخطْب بينهما ، واكتَفَى الحسَن من المَزْح معه ، أراه أنّه يتغافل عنه ، وقال له : أنت لا تفعل هذا طائعاً ، ولكن أجيء بحَبْل فأَكْتِفُك به ، ومضى كأنه يجيء بحبل ، فهرَب أشعَبُ وتَسوَّر حائطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسَقَط إلى داره ، فانفكّت رِجلُه وأُغمِى عليه ، فخرج عبد الله فَزِعاً ، فسأله عن قصته ، فأخبره ، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً ، وأقام فى منزله يعالجه ويَعولُه إلى أن صَلَحت حالُه . قال : وما رآه الحسَنُ بنُ الحسَن بعدها . ١٠٥ / ١٧

وأخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العلَاء قال : حدّثنا الزُّبَيْرُ بنُ بَكّار قال : حدّثنى عمّى قال :

دعا حَسَنُ بنُ حَسَنِ بن علىّ عليهم السلام أشعَبَ ، فأقام عنده ، فقال لأشعَبَ يومًا : أنا أشتهى كَبِدَ هذه الشّاة — لشاةٍ عنده عَزِيزةٍ عليه فارِهةٍ — فقال له أشعَب :

بأبى أنتَ وأُمّى أُعْطِنيها وأنا أَذْبحُ لك أسمَنَ شاةٍ بالمدينة ، فقال : أُخبِرك أنى أشتَهِى كَبِدَ هذه وتقُولُ لى : أسْمَنَ شاة بالمَدِينة ، اذبَحْ يا غُلام ، فذَبحَها وشوى له من كَبدِها وأطايبِها ، فأَكل . ثم قال لأشعبَ من الغد : يا أشعب أنا أشتَهِى من كَبِد نَجِيبى هذا — لنَجِيب كان عنده ثمنه أُلوفُ دراهم — فقال له أشعب : ياسيدى فى ثمن هذا والله غناى ، فأَعطِنيه وأنا والله أُطعِمُك من كَبِد كلّ جَزور بالمَدِينة ، فقال : أخبرك أنّى أشتَهِى من كَبِد هذا وتُطْعِمُنى من غيره ! ياغلام انحَرْ، فَنُحِر النَّجيبُ وشَوَى كَبِدَه فأَكلا ، فلما كان اليومُ الثالثُ قال له : يا أشعب ، أنا والله أشتهى أن آكل من كَبِدك، فقال له : سُبْحان الله أتأكُلُ من أكبادِ النّاس ! قال : قد أخبرتك ، فوثب أشعَب فرَمى بنفسِه من درجة عاليةَ فانكسَرت رِجلُه ، فقيل له : ويْلَك أظنَنْتَ أنَّه يذْبَحُك؟ فقال : والله لو أنّ كَبِدى وجميعَ أكبادِ العالَمين جميعاً اشتهاها لأكَلَها . وإنّما فعَل حسن بالشّاةِ والنَّجيبِ ما فعَل توطِئة للعبَث بأشعب .

تمت أخباره .

صــوت

أَلَمَّتْ خُناسُ وإِلمامُها ... أَحادِيثُ نَفْس وأَحلامُها
يَمانِيةٌ من بنى مالِكٍ ... تَطاوَلَ فى المَجْد أعمامُها

الشعر لعُوَيف القَوافى الفَزَارِىّ والغِناء للهُذَلىّ رمل بالوسطى ، عن عمرو ، وذكر حَمّاد(١) بن إسحاق عن أبيه أن فيه لَحْناً لجَمِيلة ولم يذكُر طَرِيقَتَه ، وفيه لأبى العُبَيْس ابنِ حَمْدون خَفِيف ثَقِيل مُطْلَق فى مَجْرى الوُسْطى .

(١) مد : « أحمد بن إسحاق » .

أخبار عُوَيْف ونسبه

نسبه

هو عُوَيف بنُ مُعاوِية بنِ عُقْبة بنِ حِصْن وقيل : ابنُ عُقْبة بن عُيَيْنَةَ بن حِصْن ابن حُذَيْفة بنِ بَدْر بنِ عَمْرو بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن ثَعْلبة بن عَدِيّ بن فَزارَة ابن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر ابن نِزار .

وعُوَيْف القوافِي شاعِرٌ مُقِلٌّ من شُعَراء الدَّوْلة الأُمويَة من ساكِنِي الكُوفة ، وبَيْتُه أحدُ البُيوتِ المُقدَّمة الفاخِرة في العَرَب .

بيوتات العرب المشهورة بالشرف ثلاثة

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو عَمْرو بنُ العَلاء أنّ العَرَب كانت تَعُدُّ البُيوتاتِ المَشْهورة بالكِبَر والشَّرف من القَبائِل بعد بيت هاشِم بنِ عبد مَناف في قُرَيْش ثلاثةَ بيوت ، ومنهم من يَقولُ أربعة ، أولُها بَيْتُ آل حُذَيْفة بنِ بَدْر الفَزارِيّ بيتُ قيس ، وبيتُ آلِ زُرارة بنِ عُدَس الدّارِمِيِّيْن بيتُ تَميم ، وبيتُ آلِ ذي الجَدَّين بن عبد الله بنِ همّام بَيتُ شَيْبان ، وبَيْتُ بني الدَّيّان من بني الحارث بن كَعْب بيتُ اليَمَن .

١٠٦/١٧

وأما كِنْدة فلا يُعدُّون من أهل البُيوتات ، إنما كانوا مُلوكاً .

كسرى يسأل النعمان عن شرف القبيلة

وقال ابنُ الكَلْبِيّ : قال كِسْرى للنُّعْمان : هل في العرب قَبِيلة تَشْرُف على قَبيلة ؟ قال : نعم . قال : بأيِّ شيء ؟ قال : مَنْ كانَتْ له ثلاثَةُ آباء متواليه رُؤَساء ، ثم اتّصَل ذلك بكمال الرّابع ، والبَيتُ من قَبِيلَتِه فيه ، قال : فاطْلُبْ لي ذلك ، فطَلَبه فلم يُصِبه إلا في آل حُذَيْفة بنِ بَدْر بيتِ قيس بن عَيْلان ، وآلِ حاجب بن زُرارة بيتِ تَميم ، وآلِ ذِي الجَدَّين بيت شيبان ، وآلِ الأشعَثِ بنِ قيس بيتِ كِنْدة . قال : نَجْمَع هؤلاء

الرَّهطِ ومَنْ تَبِعَهم من عشائرهم ، فأقعَدَ لهم الحُكَّامَ العُدولَ ، فأقبَلَ من كُلِّ قوم منهم شاعِرُهم ، وقال لهم : لِيَتَكَلَّم كُلُّ رجل منكم بمآثِرِ قومِهِ وفعالِهم ، ولِيَقُل شاعِرُهم فيصدُق ، فقام حُذَيْفَةُ بنُ بَدْرٍ — وكان أسنَّ القوم وأجرأهم مُقْدَماً — فقال : لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنّ منا الشَّرفَ الأقدَم ، والعِزَّ الأعظَم ، ومأثُرةَ الصَّنِيعِ الأكرم ، فقال مَنْ حوله : ولِمَ ذاكَ يا أخَا فَزارة ؟ فقال : ألسْنا الدّعائمَ التى لاتُرام ، والعِزَّ الذى لا يُضَام ! قيل له : صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزارةُ بيتُ العِزِّ والعِزُّ فيهمُ ... فَزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضالُها
لها العِزَّةُ القَعْسَاءُ والحَسَبُ الذى ... بَنَاه لِقَيْسٍ فى القديم رِجالُها
فمَنْ ذا إذا مُدَّ الأكفُّ إلى العُلاَ ... يَمُدُّ بأُخْرَى مِثْلَها فينالُها
فهَيْهاتَ قد أعيا القُرونَ التى مضَت ... مآثِرُ قَيْسٍ مَجْدُها وفَعالُها
وهل أحدٌ إن مَدَّ يومًا بكَفِّه ... إلى الشمس فى مَجْرَى النُّجوم ينالُها!
وإن يَصْلُحوا يَصلُحْ لذاكَ جَمِيعُنا ... وإن يَفْسُدوا يَفْسُدْ على النّاس حالُها[1]

ثم قام الأشعَثُ بنُ قَيْس — وإنَّما أُذِن له أن يقوم قَبْلَ رَبيعَةَ وتَميمٍ لِقَرابته بالنُّعمان — فقال : لقد عَلِمت العربُ أنّا نُقاتِلُ عديدَها الأكثَرَ ، وقديمَ زحفِها الأكبر ، وأنّا غِياثُ اللَّزَباتِ[2] . فقالوا : لِمَ يا أخَا كِنْدة ؟ قال : لأنّا وَرِثْنا مُلْكَ كِنْدة فاستَظْلَلْنا بأَفيائِه ، وتقلَّدنا مَنْكِبَه الأعْظَم ، وتوسَّطنا بُحْبُوحَه الأكرم ، ثم قام شاعِرُهم فقال :

---

(١) ف ، المختار :

فإن تصلحوا نصلح كذاك جميعنا ... وإن تفسدوا يفسد على الناس حالها

(٢) الزبات جمع لزبة ؛ وهى الشدة أو القحط .

إذا قِسْتَ أبياتَ الرِّجالِ بِبَيْتِنا   وجدتَ له فَضْلا على مَن يُفاخِرُ
فَمنْ قال : كَلّا أو أتانا بخُطَّةٍ   يُنافِرُنا يوما فنحن نُخاطِرُ
تَعالوا فعُدُّوا يعلمِ النَّاسُ أيُّنَا   له الفَضلُ فيما أورثَتْه الأكابِرُ

ثم قام بَسْطام بنُ قيْسٍ فقال : لقد عَلِمت ربيعةُ أنّا بُناةُ بَيْتِها الذى لا يزُول ، ومغرِسُ عِزّها الذى لا يُنْقَل ، قالوا : ولِمَ يا أخا شَيْبان ؟ قال : لأنّا أدركُهم للثّأر ، وأقتلُهم للملك الجَبّار ، وأقولُهم للحَقّ ، وألدُّهم للخَصْم ، ثم قام شاعِرُهم فقال :

لعَمْرى لَبِسْطامٌ أحقُّ بفضلها   وأولَى بِبَيْت العزِّ عِزِّ القبائلِ
فسائلْ ـ أبيتَ اللّعنَ ـ عن عزّ قومِنا   إذا جَدَّ يوم الفَخْر كُلُّ مناضلِ
ألسْنَا أعزَّ الناسِ قومًا وأُسرةً   وأضْرَبَهم للكَبْشِ[1] بين القبائلِ
فَيُخْبِرَك الأقوامُ عنها فإنها[2]   وقائعُ لَيستْ نُهزةً للقَبائلِ
وقائعُ عِزٍّ كلّها رَبَعِيَّةٌ   تَذِلُّ لهم فيها رِقابُ المَحافلِ
إذا ذُكِرت لم يُنْكِر النَّاسُ فضلَها   وعاذَ بها من شَرِّها كُلُّ قائلِ
وإنّا مُلوكُ النَّاسِ فى كل بَلْدةٍ   إذا نَزَلت بالنَّاس إحْدى الزّلازلِ

١٠٧/١٧

ثم قام حاجِبُ بنُ زُرارَة فقال : لقد عَلمت مَعَدٌّ أنّا فَرْعُ دِعامتها ، وقادَةُ زَحْفِها ، فقالوا له : بِمَ ذاك يا أخا بنى تَميم ؟ قال : لأنّا أكثرُ الناس إذا نُسِبْنا عَدَداً[3] ، وأنجَبُهم وَلَدًا ، وأنّا أعْطاهم للجَزِيل ، وأحْمَلُهم للثَّقيل ، ثم قام شاعِرُهم فقال :

لقد عَلِمتْ أبناء[4] خِنْدِفَ أنّنا   لنا العِزُّ قِدْمًا فى الخُطوبِ الأوائلِ
وأنّا هِجانٌ[5] أهْلُ مجد وثَرْوَةٍ   وعِزٌّ قديمٌ ليس بالمُتضائلِ

(١) الكبش هنا : سيد القوم وقائدهم ، وقيل : المنظور إليه فيهم .
(٢) ف : « فيخبرك الأقوام عنا بأنها » .
(٣) ى ، مد : «إذا شئنا عديدا» .   (٤) مد : «آباء» .
(٥) الهجان : الخيار والخالص من كل شئ ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع .

فكَمْ فيهمُ من سَيّدٍ وابْنِ سَيّدٍ … أغرَّ نجيبٍ ذى فَعال ونائلِ
فسائلْ ـ أبيتَ اللّعن ـ عنّا فإنّنا … دعائمُ هذا النّاس عند الجلائلِ

ثم قام قَيْس بنُ عاصم فقال: لقد عَلِم هَؤلاء أنّا أرفعهُم فى المَكرُمات دعائم، وأثبتهم فى النّائبات مقاوم، قالوا: ولِمَ ذاك يا أخا بنى سعد؟ قال: لأنّا أمنعُهم للجار، وأدركُهم للثأر، وأنّا لا ننكُل[1] إذا حَمَلنا، ولا نُرامُ إذا حَلَلْنا، ثم قام شاعرُهم فقال:

لقد علِمت قَيْسٌ وخِندِفُ كُلّها … وجُلُّ تميم والجُموع التى ترَى[2]
بأنّا عِمادٌ فى الأمور وأنّنَا … لنا الشّرفُ الضّخْمُ المُركَّب فى النّدَى
وأنّا لُيوثُ النّاس فى كل مأزِقٍ … إذا اجتُزَّ بالبِيضِ الجماجِمُ والطُّلَى[3]
وأنّا إذا داعٍ دَعَانا لنَجْدةٍ … أجبْنا سِراعاً فى العلا ثمَّ مَنْ دَعَا
فمَنْ ذا ليوْم الفَخْر يَعْدِل عاصِماً … وقيْسًا إذا مُدَّ الأكُفُّ إلى العُلاَ
فَهَيْهاتَ قد أعْيَا الجميعَ فَعالُهم … وفاتُوا بيوْم الفَخْر مَسْعاةَ مَنْ سَعَى

فلما سَمِع كِسْرى ذلك منهم قال[4]: ليْس منهم إلا سَيِّد يَصلُح لموضعه، فأثْنَى حِباءَهم.

سبب تسمية عويف القوافى

وإنّما قيل لعُوَيْف: عُوَيْفُ القَوافِى لِبَيْت قاله، نَسختُ خَبَره فى ذلك من كتاب محمد بن الحَسَن بن دُرَيد ولم أسمَعْهُ منه. قال: أخبرنا السَّكَن بنُ سَعيد، عن محمد بن عبّاد، عن ابن الكَلْبىّ قال:

أقْبَل عُوَيْفُ القَوافِى — وهو عُوَيْف بنُ مُعاوِية بنِ عُقْبَة بنِ حِصْن بن حُذَيْفة

(١) ف: «نتكل».
(٢) ف، مى، مد: «والجموع اللى ترى».
(٣) الطُّلَى: الرقاب. وفى ف: «إذا اختل بالبيض الجماجم والطلى».
(٤) فى مد: «وقال لقيس: ما منهم الا سيد ... الخ».

الفَزارِىّ ، وإنّما قِيل له عُوَيْف القَوافِي ، كما حدّثنى عَمّارُ بنُ أبان بن سَعِيد بن عُيَيْنَة ، ببيت قاله :

سأكذِبُ مَن قد كان يَزعُمُ أنّنى إذا قُلتُ قولاً لا أُجِيدُ القَوافِيَا

قال : فوقَف على جَرِير بنِ عبدِ الله البَجَلىّ وهو فى مَجْلسه [1] فقال :

أصُبّ على بَجِيلة من شقاها هِجائى حين أدركنى المَشِيبُ

فقال له جرير : ألا أشترى منك أعراضَ بَجِيلَة ؟ قال : بَلَى ، قال : بكَمْ ؟ ، قال : بألف دِرْهم وبِرْذَوْن ، فأمر له بما طَلَب فقال :

لولا جَرِيرٌ هلَكتْ بَجِيلَهْ نِعْم الفَتَى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

فقال جرير : ما أُراهم نجَوْا منك بعد .

١٠٨/١٧

نَسختُ من كتاب أبى سعيد السكرىّ فى كِتاب «مَنْ قال بَيتًا فلُقِّب به» قال : أخبَرَنِى محمد بنُ حَبيب قال : وإنّما قِيلَ لعُوَيْف : عُويفُ القَوافِى لقَوْلِه ، وقد كان بَعض الشعراء عَيَّره بأنّه لا يُجيد الشّعر ، فقال أبياتًا منها :

سأكذِب مَنْ قد كان يزعُم أنّنى إذا قُلتُ شعرًا [2] لا أُجِيدُ القَوافيا

فسُمّى عُوَيْف القوافِي .

قصته مع عبد الملك ابن مروان

أخبرنا محمد بنُ خَلَف وكيع قال : حدّثنى أحمدُ [3] بنُ إسحاق ، عن أبيه ، قال : حدّثنِي عزيزُ بنُ طَلْحة بن عبد الله بنِ عثمان بن الأرقَم المَخْزُومىّ ، قال : حدّثنى غيرُ واحد من مشْيَخَة قريش ، قالوا :

لم يَكُنْ رَجلٌ من وُلاةِ أولادِ عبد الملك بن مرْوان كان أنفَسَ على قَوْمه، ولا أحسَدَ

(١) ب : «فى مسجده» .
(٢) ف : «إذا قلت قولا» .
(٣) ف : «حماد بن إسحاق» .

لهم من الوليد بنِ عبد الملك . فأذِنَ يوما للنّاس فدَخلوا عليه ؛ وأُذِن للشُّعراء ، فكان أوّل مَنْ بَدَر بين يديه عُوَيْف القوافى الفَزارِىّ ، فاستأذَنه فى الإنْشاد فقال : ما بَقَّيتَ لى بعد ما قلتَ لأخى بَنى زُهْرة ! قال : وما قُلتُ له مع ما قلتُ لأمِير المُؤمنين ؟ قال : ألستَ الذى تقول :

يا طَلْحَ أنت أخو النَّدَى وحَلِيفُه ... إنَّ النَّدَى من بعد طَلْحَة ماتَا
إنَّ الفَعال إليـــك أطلَق رَحْلَه ... فبِحَيْث بِتَّ من المَنازِل بَاتَا

أو لَسْتَ الّذِى تقول :

إذا ما جاءَ يومُك يا بنَ عَوْف ... فلا مَطَرَتْ على الأرض السَّماءُ
ولا سار البَشِيرُ[1] بغُنْم جَيْشٍ ... ولا حَمَلَت على الطُّهْرِ النِّســـاءُ
تَساقَى الناسُ بعدكَ يا بْنَ عَوْفٍ ... ذَرِيعَ المَوْتِ ليس له شِفاءُ

ألم تَقُم علينا السّاعة يوم قامت عليه ؟ لا واللهِ لا أسمَع منك شيئًا ، ولا أنفَعُك بنافعةٍ أبدا ، أخرِجُوه عنّى .

قصته مع طلحة أخى بنى زهرة

فلما أُخرج قال له القُرَشِيُّون والشامِيُّون : وما الّذِى أعطاك طلحةُ حين استَخْرَج هذا مِنْك ؟ قال : أما واللهِ لقد أعطانى غيرُه أكثرَ من عَطِيَّته ، ولكن لا واللهِ ما أعْطانِى أحدٌ قَطّ أحلَى فى قَلْبِى ولا أبقَى شُكْرًا ولا أجْدَر ألّا أنساها ما عَرفتُ الصّلاتِ من عَطِيَّته ، قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قَدِمْتُ المَدِينَة ومعى بُضَيّعة[2] لى لا تَبلُغ عَشْرةَ دَنانير ، أُريدُ أن أَبتاع قَعوداً من قِعدان الصَّدَقة ، فإذا برجل فى صَحْن السُّوقِ على طِنْفِسةٍ[3] قد طُرِحت له ، وإذا النّاس حوله ، وإذا بين يدَيْه إبلٌ معلوفة[4] له ، فظننت

---

(١) ف ، التجريد ، مد : «العزيز» .
(٢) بضيعة : تصغير بضاعة ، وهى مقدار من المال ، يعد للتجارة .
(٣) الطنفسة : البساط .
(٤) مى ، المختار : « معقولة » .

أنه عاملُ السّوق ، فسلَّمت عليه ، فأثبتَني وجهلتهُ ، فقلت : أى رَحِمك الله ، هل أنت مُعِينِى بِبَصَرِك على قَعُود من هذه القِعْدان تَبتاعه لى ؟ فقال : نعم ، أوَ مَعَك ثَمنُهُ ؟ فقلت : نعم ، فأهْوى بيَدِه إلىَّ فأعطيتُه بُضَيِّعَتى ، فرفَع طِنفِسَته وألقاها تحتها ، ومَكَث طويلا ، ثم قُمْتُ إليه فقلت : أى رَحِمَك الله ، انظُر فى حاجتى فقال : ما مَنَعَنى منك إلا النِّسيان ، أمَعَك حبل ؟ قلتُ : نعم ، قال : هكذا أفرِجوا ، فأفرَجُوا عنه حتى استَقْبَل الإبلَ التى بين يديه ، فقال : اقرِن[1] هذه وهذه وهذه ، فما بَرِحتُ حتى أمَر لى بثَلاثين بَكْرة أدنى بَكْرة منها ــ ولا دَنِيَّةَ فيها ــ خيرٌ من بِضاعتى . ثم رفع طِنفِسَته فقال : وشأنَك ببضاعتك فاستَعِن بها على مَنْ تَرجِع إليه ، فقلت : أى رَحِمك الله ، أتدرِى ماتقول ! فما بَقِى عنده إلا منْ نَهَرنى وشَتَمنى ، ثم بَعَث معى نفراً فأطرَدُوها حتى أطْلَعُوها من رأس الثَّنِيَّة ، فوالله لا أنساه ما دُمت حَيًّا أبداً . ١٠٩/١٧

وهذا الصّوتُ المذكورُ تمثَّل به إبراهيمُ بنُ عبدِ الله بنِ حَسَن بن حَسَن بن علىٍّ يوم مقْتَله .

حدَّثنى ابنُ عُبَيْد الله[2] بن عَمَّار ، قال : حدَّثنى مَيسَرةُ بنُ سَيَّار[3] أبو محمد ، قال : حدّثنى إبراهيمُ بنُ على الرّافِقِىّ ، عن المُفضَّل الضَّبِّىّ . وحدّثنا يَحْيَى بنُ علىّ ابن يَحْيَى المنجِّم ، وأحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهَرِىّ قالا : حدثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال : حدثنى عبد المَلِك بنُ سُلَيْمان ، عن علىّ بنِ الحَسَن ، عن المُفَضَّل الضَّبِّىّ ؛ وروايةُ ابن عَمَّار أتمُّ من هذه الرِّواية[4] .

(١) ف : « اقترن » .
(٢) ف : «أحمد بن عبيد الله بن عمار» .
(٣) ف ، ى : «ميسرة بن حسان» .
(٤) ى : «أتم الروايات» .

ونسخْتُ هذا الخبَرَ أيضاً من بعْض الكُتُب عن أبي حاتم السِّجِسْتانيِّ، عن أبي عثمان اليَقْطُرِيِّ[١]، عن أبيه، عن المُفضَّل، وهو أتمُّ الرِّوايات، وأكثرُ اللفظ له قال:

قال المُفضَّل: خرجتُ مع إبراهيم بنِ عبد الله بنِ حَسَن بن حسن، فلمَّا صار بالمِرْبد، وقف على رَأْسِ سُليمانَ بنِ عليّ فأُخرِجَ إليه صِبْيانٌ من ولده، فضَمَّهم[٢] إليه وقال: هؤلاء واللهِ منَّا ونحن منهم، إلا أنّ آباءَهم فَعَلوا بنا وصَنَعُوا، وذكر كلاماً يعتدُّ عليهم فيه بالإساءة، ثم توجَّه لوَجْهِه وتمثَّل:

مَهْلاً بَنِي عَمِّنا ظُلَامتنا إنَّ بنا سَوْرَةً من القَلَقِ
لِمِثْلِكم نَحمِل السيوفَ ولا تُغمَز أحسابُنا من الدَّقَقِ[٣]
إنّي لأَنمِي إذا انتمَيْت إلى عِزٍّ عزيزٍ ومَعْشَرٍ صُدُقِ
بيضٍ سِباطٍ كأنَّ أعينَهم تكحَل يوم الهياجِ بالعُلُقِ[٤]

فقلت: ما أَفحلَ هذه الأبياتِ، فلِمَنْ هي؟ قال: لِضرارِ بنِ الخطّاب الفِهْرِيّ، قالها يوم الخَنْدَق، وتمثّل بها عليُّ بنُ أبي طالب عليه السّلام يوم صِفِّين، والحُسَين بنُ عليّ يوم قُتِل، وزَيدُ بنُ عليّ عليهم السلام، ولحِق القومَ، ثم مضى إلى باخَمْرى[٥]، فلما قَرُب منها أتاه نَعيُ أخيه محمد، فتمثَّل:

نُبِّئْتُ أنّ بنى رَبيعة أجمعوا أمراً خلالهُمُ لتقْتُلَ خالدَا
إن يَقتُلونى لا تُصِب أرماحُهم ثأري ويَسْعَى القومُ سَعْياً جاهدَا
أَرمِى الطريقَ وإن صُدِدتُ بِضيقِهِ وأُنازِلُ البطلَ الكَمِيَّ الجاحِدَا

---

(١) ف: «القطيني».
(٢) ف: «صبيان من ولده فضمهما إليه».
(٣) الدَّقق: جمع داق وهم المظهرون عيوب الناس. وفي ب: «من الرفق».
(٤) العُلُق جمع علوق، وهي المنية. وفي ف، مى، مد: «بالزرق».
(٥) باخمرى: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب؛ «معجم البلدان».

قلت : لَمَنْ هذه الأبيات ؟ فقال : للأحوَص بن جعفر بن كِلاب ، تمثّل بها يوم شِعْب جَبَلَة ، وهو اليوم الذى لَقِيت فيه قَيْسٌ تميماً ، قال : وأقبلت عَسا كِر أبى جَعْفر ، فقُتِل من أصحابه وقُتِل من القوم ، وكاد أن يكون الظفَر له .(١)

قال ابنُ عَمّار فى حديثِه : قال المُفضَّل : فقال لى : حَرِّكْنِى بشَىْء ، فأنشدتُه هذه الأبيات :

ألا أيُّها النّاهِى فَزارةَ بعد ما ... أجدّتْ بسَيْرٍ إنما أنتَ حالِمُ
أبَى كُلُّ حُرٍّ أن يَبيتَ بِوِتْرِه ... ويُمنعَ منه النومُ إذا أنت نائمُ
أقولُ لِفتيان العَشِىِّ : تَروّحوا ... على الجُردِ فى أفواهِهنّ الشّكائمُ
قِفُوا وَقْفَةً مَنْ يَحْىَ لا يَخْزَ بعدها ... ومن يُخْتَرم لا تَتْبَعه اللّوائمُ
وهل أنتَ إن باعَدْتَ نفسَكَ منهمُ ... لتَسْلَم فيما بعد ذلك سالِمُ

فقال لى : أعِدْ ، فتَنَبَّهت ونَدِمت ، فقلت : أوَ غَيْر ذلك ؟ فقال : لا ، أعِدْها ، فأعدتُها ، فتمطَّى فى رِكابَيْه حتى خِلتُه قد قطَعهما ، ثم حَمَل فكان آخرَ العَهْد به .

هذه روايةُ ابنِ عمّار ، وفى الرواية الأخرى : فحَمَل فطعَن رَجُلاً ، وطعنه آخر ، ١١٠ / ١٧
قلت : أتباشِرُ الحَرْبَ بنَفْسِك والعسكرُ مَنُوطٌ بك ؟ فقال : إليك يا أخا بنى ضَبَّة ، كأنَّ عُوَيفًا أخا بنى فزارة نظر فى يومنا هذا حيثُ يقول :

ألَمَّت خُناسُ وإلمامُها ... أحاديثُ نفسٍ وأحلامُها(٢)
يَمانيَةٌ من بنى مالكٍ ... تَطاولَ فى المجد أعمامُها

---

(١) ى : « الغزو له » .
(٢) ب : « وأسقامها » .

وإنّ لنا أصلَ جُرْثُومةٍ ... تَرُدُّ الحوادثَ أيّامُها

تردُّ الكَتِيبَةَ مَغْـلولَةً ... بها أفْنُها وبها آمُها[1]

قال : وجاءه السَّهمُ العائرُ[2] فشَغَله عنى .

اعترض عمر بن عبدالعزيز وأسمعه شعرا

أخبرنى محمد بنُ عِمْران الصَّيْرفىّ قال : حدّثنا الحَسَن بنُ عُلَيْل العَنَزِىّ ، قال : حدّثنى محمد بنُ مُعاوِية الأسَدِىّ ، قال : حدّثنى أصحابنا الأسديُّون ، عن أبى بُرْدَة بن أبى موسَى الأشْعَرىّ قال :

حضرتُ مع عُمَر بنِ عبد العزيز جِنازَة ، فلما انصرف انصرفتُ معه ، وعليه عمامةٌ قد سَدَلها من خَلْفه ، فما عَلِمْتُ به حتى اعترضه رجل على بَعِيرٍ فصاح به :

أجِبْنى أبا حَفْص لقيتَ محمدًا ... على حَوْضِه مُسْتَبْشِرًا ورآكا[3]

فقال له عُمَر : لبَّيْك ، ووقف ووقف النّاسُ معه ، ثم قال له : فمَه ، فقال :

فأنتَ امرؤٌ كِلْتا يديك مُفيدَةٌ ... شِمالُك خيرٌ من يمين سِواكا

قال : ثم مه ، فقال :

بلغتَ مَدَى المُجرِين قبلَك إذْ جَرَوْا ... ولم يَبلُغ المُجْرون بَعدُ مَداكا[4]

فجَدّاكَ لاجدَّينِ أكرمُ منهما ... هُناك تَناهَى المَجدُ ثم هُناكا

فقال له عمر : ألَا أراك شاعراً ! مالك عندى من حَقّ ، قال : لا ، ولكنى سائل

---

(١) ب : «وبها ذامها» . والأفن : ضعف الرأى ، والآم : العيب والنقص .

(٢) العائر من السهام : مالا يدرى راميه . وفى ف : «العابر» .

(٣) ف : «على حوضه يحظيك منه دراكا» . وفى المختار : «على حوضه يسقى به ويراكا» . وفى الخزانة ٣ : ٨٨ : «على حوضه مستبشرا وأراكا» .

(٤) ف ، المختار : «ولن يدرك المجرون بعد مداكا» .

وابنُ سَبيل وذو سُهْمَةٍ[١] . فالتفت عُمَر إلى قَهْرمانه فقال : أعطِه فَضْل نفقتى ، قال : وإذا هو عُوَيْف القوافى الفَزارِىّ .

هجا بنى مرة

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخُزاعِىّ ، قال: حدّثنا أبوغَسّان دَماذ، عن أبى عُبَيْدة ،قال: لما كان يَوْم ابنِ جُرْح ، واقتَتَلَت[٢] بنو مُرّة وبنو حُنّ بن عُذْرة ، قال عُوَيف القوافى لبَنى مُرّة يهجوهم ويُوَبِّخُهم بتَرْكهم نصرَهم :

كُنّا لكم يامُرّ أمًّا حَفِيَّةً ... وكنتم لنا يامرّ بوًّا[٣] مُجَلَّدا
وكنتم لنا سَيْفًا وكُنّا وِعاءه ... إذا نحن خِفْنا أن يَكِلّ فيُغْمَدا

عقيل بن علفة يجيبه بقصيدة

فأجابه عُقَيل بنُ عُلَّفَة بقَصِيدته التى أوّلُها :

أماوِىّ إنّ الركبَ مُرْتحِلٌ غدًا ... وحَقّ ثَوِىٌّ نازلٍ أن يُزَوَّدَا

يقول فيها يُخاطِب عُوَيفًا :

إذا قُلتُ : قد ساحت سَهْما ومازنًا[٤] ... أبَى النَّسَبُ الدّانى وكُفرُهُم اليَدَا
وقد أسلمُوا أُستاهُم لقَبيلةٍ ... قُضاعِيّةٍ يدعون حُنًّا[٥] وأَصْيدَا
فما كنتَ أمًّا بل جعلتُك لى أخًا ... وقد كنتَ فى النّاس الطَّرِيدَ المُشَرَّدَا
عُوَيف اسْتِها قد رُمتَ وَيْلَكَ مَجدَنا ... قديمًا فلم تَعْدُ الحِمارَ المُقَيَّدا
ولو أنّنى يومَ ابنِ جُرْحٍ لَقِيتُهم ... لجرّدْتُ فى الأعداء عَضْبًا مُهَنّدَا

وأبيات عُوَيف هذه يَقولُها يوم مَرْج راهِط ؛ وهى الحَرْب التى كانت بين قَيْس وكَلْب .

١١١
١٧

---

(١) السّهمة : القرابة ، والنصيب ، والقسمة ، وفى المختار : «وذو نهمة» .
(٢) ف : «وأقبلت بنو مرة» .
(٣) البو : جلد ولد الناقة يحشى تبنا بعد موته ويقرب من أمه لتدرّ عليه .
(٤) ف : «أيا قلب قد ساحت شمخا ومازنا» .
(٥) حن : أبو حى من عذرة .

يوم مرج راهط

أخبرنى بالسَّبب فيه أحمدُ بنُ عبد العَزيز الجوهرىّ قال : أخبرنى سُلَيمان بنُ أيُّوب ابن أعين أبو أيُّوب المدينىّ(١) ، قال : حدَّثنا المدائنىّ قال :

كان بدء حَرْب قَيْس وكَلْب فى فِتْنة ابنِ الزُّبَيْر ما كان من وقعة مَرْج راهِط ، وكان من قِصَّةِ المَرْج أنَّ مَرْوانَ بنَ الحَكَم بن أبى العاص قَدِم بعد هَلاكِ يَزيد بنِ مُعاوية والنّاسُ يَموجُون ، وكان سعيدُ بنُ بَحْدل الكلبىُّ على قِنَّسْرِين ، فوثب عليه زُفَر بنُ الحارث فأخرجه منها وبايَع لابنِ الزُّبَيْر ، فلما قعد زُفَرُ على المِنْبر قال : الحمدُ لله الذى أقعدَنى مَقْعد الغادر الفاجر ، وحَصِر ، فضَحِك الناس من قَوْله ، وكان النُّعمانُ بنُ بَشِير على حِمْص ، فبايَع لابنِ الزُّبير . وكان حَسَّان(٢) بنُ بَحْدل على فِلَسْطين والأُردُنّ ، فاستَعْمل على فِلَسْطين رَوْحَ بنَ زِنْباع الجُذامِىّ ، ونزل هو الأُردُنّ فوثب نابِلُ بنُ قيْس الجُذامِىّ على رَوْح بنِ زِنْباع ، فأخرجه من فِلَسْطين وبايع لابنِ الزُّبير .

موقف الضحاك ابن قيس الفهرى

وكان الضَّحَّاكُ بن قيس الفِهْرِىّ عاملاً ليزيدَ بنِ مُعاوية على دِمشْق حتى هلك ، فجعَل يُقدِّم رِجْلا ويُؤخِّر أُخرى ، إذا جاءتْه اليمانية وشِيعَةُ بَنِى أُمَيَّة أخبرهم أنه أُموِىّ ، وإذا جاءته القَيْسِيَّة أخبرهم أنه يدْعو إلى ابْنِ الزُّبير ، فلما قَدِم مَرْوانُ قال له الضَّحَّاك : هل لك أن تَقدَم على ابن الزُّبَيْرْ ببيعة أهل الشام ؟ قال : نعم ، وخرج من عنده ، فلقيه عَمرُو بنُ سَعِيد بنِ العاص ، ومالكُ بنُ هُبَيرة ، وحُصَيْن بنُ نُمَير الكِنْدِيّان ، وعُبَيْد اللهِ بنُ زياد ، فسألوه عَمّا أخبره به الضَّحّاكُ ، فأخبرهم ، فقالوا له : أنت شَيْخ بَنِى أُميّة ، وأنتَ عمُّ الخليفة ، هلمّ نُبايِعْك . فلما فَشَا ذلك أرسل الضَّحَّاكُ إلى بنى أُميَّةَ

(١) ب : «والمدائنى» .
(٢) ف : «جساس» .

يعتَذِر إليهم ، ويذ كُر حُسنَ بلائِهم عنده ، وأنَّه لم يُرد شَيْئا يكرهونه ، فاجْتَمع مَرْوان بنُ الحكَمَ ، وعَمْرُو بنُ سَعِيد بنِ العاصِ ، وخالِدُ وعبدُ الله ابْنا يَزِيد بنِ مُعاوِية وقال لهم : اكتبوا إلى حَسَّان بنِ بَحْدَل فليَسِرْ من الأُردنّ حتى يَنْزِل الجابِيَة ، ونَسِير من هاهنا حتى نلقاه ، فيستَخْلِف رجلا ترضونه ، فكَتَبوا إلى حَسَّان ، فأقبل فى أهل الأُردُنّ ، وسار الضَّحَّاك بنُ قَيْس وبَنُو أُميَّة فى أهل دمشق ، فلما استقلَّت الرَّاياتُ من جهة دمشق ، قالت القَيْسيَّة للضَّحَّاك : دعَوْتَنا لبَيْعة ابنِ الزُّبَيْر ، وهو رَجُل هذه الأمَّة ، فلما تابعناك خرجتَ تابِعاً لهذا الأعرابىّ من كَلْب تُبايع لابنِ أُخْته تابعا له ، قال : فتقُولُون ماذا ؟ قالوا : نقول : أن تَنْصَرِف وتُظْهِر بيعةَ ابنِ الزُّبَيْر ونُظْهِرَها معك ، فأجابَهم إلى ذلك ، وسار حتى نزل مَرْج راهط ، وأقبل حسَّان حتى لَقِى مَرْوان ابنَ الحَكَم ، فسار حتى دخل دِمَشْق ، فأتتْه اليمانية تَشكُر بَلاءَ بنى أُميَّة ، فساروا مع مروان حتى نزلوا المَرْج على الضَّحَّاك ، وهم نَحْو سبعة آلاف ، والضَّحَّاك فى نَحْو من ثلاثين ألفاً ، فلقُوا الضَّحَّاك ، فقُتِل الضحَّاك ، وقُتِل معه أشرافٌ من قَيْس ، فأقْبل زُفَر هارِباً من وَجْهِه ذاك حتى دخل قَرْقِيسيا ، وأقام عُمَيْر بنُ الحُباب شيئًا على طاعة بَنِى مَرْوان ، ثم أقبلَ حتى دَخَل قَرْقِيسيا على زُفر فأقام معه ، وذلك بعد يوم خازِر[1] حين قُتِل عُبَيْدُ الله بنُ زِياد .

١١٢ / ١٧

ما قيل فى يوم المرج

وأقبلَ زُفَر يَبْكى قَتْلَى المَرْج ويقول :

لعَمْرِى لقد أبقَت وَقِيعةُ راهِطٍ ... لِمروان صَدْعا بيننا مُتنائياَ
أتذهَبُ كَلْبٌ لم تَنَلْها رِماحُنا ... ويُترك قَتْلَى راهطٍ هِىَ ماهِيا !

(١) خازر : نهر بين إربل والموصل ، يصب فى دجلة (عن معجم البلدان) .

قد يَنْبُتُ المَرْعى على دِمَنِ الثَّرى ... وتبقى حَزازَاتُ النُّفوس كما هِيَا

أبعدَ ابنِ صَقْرٍ وابنِ عَمرو تتابعا ... ومَصْرَعِ هَمَّام أُمَنِّى الأمانِيَا⁽¹⁾ !

فقال ابنُ المِخْلاة الكلبىّ يُجيبُه :

لعَمْرى لقد أبقَت وَقيعَةُ راهطٍ ... على زُفَرٍ داءً من الدَّاء باقِيَا

تُبَكِّى على قَتْلى سُلَيمٍ وعامرٍ ... وذُبيانَ مغروراً⁽²⁾ وتُبْكى البَواكِيَا

وقال ابنُ المِخْلاة فى يوم المَرْج :

ويومٍ ترى الرَّاياتِ فيه كأنَّها ... حوائمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٌ وواقعُ

مضَى أربعٌ بعد اللِّقاء وأربعٌ ... وبالمرج باقٍ من دم القوم⁽³⁾ ناقعُ

طعَنَّا زِياداً فى استه وهو مُدْبِرٌ ... وثَورٌ أصابَتْه السُّيوفُ القواطعُ

ونَجَّى حُبَيْشاً مُلهِبٌ⁽⁴⁾ ذو عُلالةٍ ... وقد جُذَّ من يُمنَى يدَيْه الأصابعُ

وقد شَهِد الصَّفَّينِ عمرُو بنُ مُحرِزٍ ... فضاق عليه المَرْجُ والمرجُ واسعُ

وقال رجل من بنى عُذْرة :

سائل بَنى مَرْوان أهلَ العَجِّ⁽⁵⁾ ... رَهْطَ النَّبىِّ ووُلاةَ الحَجِّ

عنَّا وعن قَيْسٍ غداةَ المرْجِ ... إذ يُثْقِفُون ثَقْفًا بنَجٍّ⁽⁶⁾

تَسْدِيسَ أطْرافِ القنَا المُعوَجِّ ... إذ أخلَف الضَّحَّاكَ ما يُرَجِّى

مُذ تركوا من بَعْدِ طولِ هَرْجٍ⁽⁷⁾ ... لَحْمَ ابنِ قيسٍ للضِّباع العُرْجِ

---

(1) فى معجم ياقوت ٢ : ٧٤٤ ط ليبزج :

أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا ... ومقتل همام أمنّى الأمانيا

(2) ى : «معروفا» .

(3) ف : « من دم الجوف » .

(4) الملهب : الفرس الشديد الجرى المثير للغبار . وجُذّ : قطع .

(5) ى ، ف : «أهل الفج» . وعج بالتلبية فى الحج : رفع صوته .

(6) ى ، ف : «إذ يثقفون ثقفا خرفج» . وثقفه بالرمح : طعنه . والنج : سيل الجرح بما فيه .

(7) ى : «فتركوا من بين ضرب هرج» . وفى ف : «فتركوا من بعد ... »

وقال جَوّاس بنُ القَعْطل[1] الـكلابىُّ فى يَوْم المَرْج :

هُمُ قتلُوا براهِطَ جدَّ قَيْس[2] سُلَيْمًا والقبائلَ من كلابِ
وهم قتلُوا بَنِى بَدْر وعَبْسًا وألصِق حُرُّ وَجْهك[3] بالتُّرابِ
تَذَكّرتَ الذُّحول[4] فلن تُقَضَّى ذحولُك[4] أو تُساقَ إلى الحِسابِ
إذا سارت قبائلُ من جَنابٍ وعوفٍ أشْحنوا[5] شُمَّ الهضابِ
وقد حاربْتَنا فوجَدْتَ حَرْبًا تُغصُّك حين تشرَب بالشَّرابِ

فأقبل عُمَيْر يخطُر ، نخرج من قَرْقِيسيا يتطرّف[6] بوادى كلب ، فيُغِير عليها وعلى مَنْ أصاب من قضاعة وأهلِ اليَمَن ، ويخُصّ كَلْبًا ومَعْشَرَ تَغْلب[7] ، قبل أن تقع الحَرْب بين قَيْس وتَغْلِب ، فجعل أهلُ البادِيَة يَنْتَصِفُون من أهل القَرار[8] كلِّهم . فلما رأتْ كلبٌ مالَقِى أصحابُهم ، وأنهم لا يمتنِعُون من خَيْل الحاضِرَة ، اجتمعوا إلى حُمَيْد بن حُرَيث بنِ بَحْدل ، فسار بهم حتى نزل تَدْمُر ، وبه بنو نُمَيْر ، وقد كان بين النُّمَيْريِّين خاصة وبين الـكَلْبيِّين الذين بتَدْمُر عقدٌ ومع ابن بَحْدل بن بعّاج الـكلبىّ ، فأرسلت بنو نُمَيْر رُسُلاً إلى حُمَيد يناشِدُونه الحُرمة ، فوثب عليهم ابنُ بعّاج الـكلبىّ ١١٣/١٧
فذبحَهم ، وأرسلوا إليهم : إنّا قد قطَعنا الذى بيننا وبينكم ، فالحَقُوا بما يَسَعُكم من

(١) ب : «جواس بن قعطل» . وفى مد ، ف : «جواس بن يعطل» .
(٢) ف : «جُلّ قيس» .
(٣) ف : «وألصق خد قيس» .
(٤) الذّحول : الثارات . وفى ب ، ى ، مد : «الدخول .... دخولك» .
(٥) أشحنوا : ملأوا . وفى ى : «أبجروا» .
(٦) ى : «يتطوف» .
(٧) ب ، ى : «ويخص كلبا ومعه تغلب» .
(٨) القرار : الحضر . وفى ب ، مد ، ى : «القرى» .

الأرض ، فالتقوا فقُتِل ابنُ بَعّاج وظُفِر بالنُّمَـيْرِيّين فقُتِلوا قَتْلا ذريعًا وأُسِرُوا[1] ، فقال راعى الإبل فى قتل ابن بعّاج ولم يذكُر غيرَه من الـكَلْبِيِّين :

تَجِىءُ[2] ابنَ بَعّاج نُسورٌ كأنّها مجالِسُ تَبغى بيعةً عنـــد تاجرِ
تُطِيف بكَلْـبِىٍّ عليـه جَدِيّةٌ[3] طويل القَرَا[4] يقذِفْنَه فى الحناجرِ
يقولُ له مَنْ كان يَعْلم عِلمَه كذاكَ انْتِقامِ اللهِ من كُلّ فاجرِ

وقد كان زُفَرُ بنُ الحارث لمّا أغارعُمَيْر بنُ الحباب على الـكلبيِّين قال يُعيِّرهم بقوله:

يا كلبُ قد كَلِب الزّمان عليكُمُ وأصابكم منّى عذابٌ مُرسَـــلُ
إن السَّماوةَ لا سماوةَ فالحقى بمنابِتِ الزَّيتُون وابنَىْ بَحْدَلِ[5]
وبأَرْض عَكٍّ والسّواحلِ إنّهـــا أرضٌ تَذَوَّب باللِّقاحِ وتُهزَلُ[6]

حميد بن بحدل يغير على بوادى قيس

فجمع لهم حُمَيْد بنُ الحُرَيْث بن بَحْدل ، ثم خرج يُريد الغارة على بَوادى قَيْس ، فانتهى إلى ماء لبَنى تَغْلب ، فإذا النِّساء والصِّبيان يبكون ، فقالت لهم النساء — وهن يحسبنهم قيسا — : وَيْحَـكم ، ما ردَّكم إلينا ، فقد فعلتُم بنا بالأمسِ مافعلتُم ! فقالت لهم كلب : ومالـكم ؟ قالوا أغار علينا بالأمسِ عُمَيْرُ بنُ الحباب ، فقتل رِجالَنا ، واستاق أموالَنا ، ولم يَشكُـكْن أنّ الخيلَ خيلُ قَيْس وأنّ عُميراً عاد إليهن ، فقال بعضُ كلب لحُمَيْد : ما تُريد من نِسْوة قد أُغِير عليهن وحُرِبن ، وصِبْية يتامى ، وتَدَعُ عُميراً . فاتّبعوه ، فبينا هم يسيرون إذ أخذُوا رَجُلاً ربيئةً للقوم . فسألوه فقال لهم : هذا الجيْش

(١) ف : « فقتلوا قتلا شديداً وسُيِّروا » .
(٢) مد ، ى . « تجرّ » .
(٣) الجدية : الدم .
(٤) القرا : الظهر .
(٥) فى البيت إقواء . والسماوة : ماءة لكلب بين الكوفة والشام .
(٦) ى : « تلوب بها اللقاح » .

هاهنا والأموال ، وقد خرج عُمَيْر فى فوارسَ يُريد الغارَةَ على أهْل بيت من بنى زُهَيْر ابن جَناب ، أخبرَ عنهم مُخبِر ، فأقام حُمَيْد حتى جَنَّ عليه اللّيلُ ، ثم بيَّتَ القومُ بُياتًا . وقال حُمَيْد لأصحابه : شِعارُكم : نحن عباد الله حقًّا . فأصابوا عامة ذلك العَسْكر ، ونجا فيمَن نجا رجلٌ عُرْيان فقذف ثوبه وجلس على فرس عُرْيٍ ، فلما انتهى إلى عُمَير ، قال عُمَير : قد كنتُ أسمعُ بالنذير العُرْيان[1] فلم أره ، فهو هذا ، ويلك مالَك ! قال : لا أدرِى غَيْر أنه لقينا قومٌ فقَتَلوا من قَتَلوا وأخـذوا العَسْكر ، فقال : أفتعرِفُهم ؟ قال : لا ، فقصد عُمَيْر القومَ وقال لأصحابه : إن كانت الأعاريبَ فسَيُسارِعُون إلينا إذا رَأَوْنا ، وإن كانت خُيولُ أهلِ الشامُ فستَقِف . وأَقبل عُمَير ، فقال حُمَيْد لأصحابه : لايتحرَّكَنَّ منكم أحدٌ ، وانصُبُوا القنَا ، فحَمَل عُمَيْر حملة لم تحرِّكهم ، ثم حَمَل فلم يتحرَّكوا ، فنادى مِراراً : ويحكم مَنْ أنتم؟! فلم يتكلَّموا ، فنادى عُمَير أصحابَه : ويلَـكُم خيلُ بنى بَحْدل والأمانة ، وانصرف على حامِيَته ، فحَمَل عليه فوارسُ من كَلْب يَطلُبونه ، ولِحَقه مولًى لـكَلْب يقال له شقرون ، فاطَّعنَا ، فجُرِح عُمَيْرٌ وهَرَب حتى دخل قَرقيسِيا إلى زُفَر ، ورجع حُمَيْد إلى مَنْ ظَفر به من الأَسْرى والقَتْلى ، فقطع سِبالَهم[2] وأُنُفَهم ، فجعَلها فى خَيْط ، ثم ذهب بها إلى الشَّام ، وقال قائل : بل بَعَث بها إلى عُمَير وقال : كيف تَرَى ؟ أَوَقْعِى أم وَقْعُك ؟ فقال فى ذلك سِنانُ بن جابِرٍ الجُهَنِىّ :

لقد طار فى الآفاقِ أَنَّ ابنَ بَحْدلٍ حُمَيْداً شَفَى كَلْبا فقرَّت عُيُونُها
وعرَّف قَيْسا بالهوان[3] ولم تَكن لَتَنْزِع إلّا عنه أمرٍ يُهِينُها ١١٤ / ١٧

(١) ب : «كنت أسمع بالمدينة بلاء نذيره العريان» .
(٢) السبال جمع سبلة ؛ وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا ، وقيل : ما على الشارب من الشعر . وفى ى : «بنانهم» .
(٣) ب : «بالقوافى» .

فقلتُ له : قَيسُ بنُ عَيْلان إنَّه سريعٌ - إذا ما عضَّت الحربُ - لِينُها
سما بالعِتاق الجُرْد من مَرْج راهطٍ وتَدْمُرَ يَنْوِى بَذْلَها لا يَصونُها[(١)]
فكان لها عَرضُ السَّماوة لَيْلَةً سَواءٌ عليها سَهْلُها وحُزونُها
فَمَنْ يَحْتَمِلْ فى شأن كَلْبٍ ضَغينةً علينا إذا ما حانَ فى الحَرْب حِينُها
فإنَّا وكَلْبًا كاليدين متى تَضَعْ شِمالك فى شىء[(٢)] تُعِنْها يَمِينُها
لقد تُركتْ قَتْلَى حُمَيدِ بنِ بَحْدَلٍ كثيراً ضواحِيها قليلاً دَفِينُها
وقَيْسِيَّةٍ قد طَلَّقَتْها رِماحُنَا تلفَّتُ كالصَّيْداء[(٣)] أَوْدَى جَنينُها

وقال سِنانٌ أيضا فى هذا الأمرِ بعد ما أوقَع بِبَنِى فَزارَة :

يا أُختَ قَيْسٍ سَلِى عنّا علانيةً كى تُخْبَرى من بيان العِلْم[(٤)] تِبْيانَا
إنَّا ذَوُو حَسَبٍ مالٍ وَمَكْرُمَةٍ يومَ الفَخارِ وخيرُ النَّاسِ فُرْسانا
منّا ابنُ مُرَّة عَمْرٌو قد سَمِعْتِ به غَيْثُ الأرامل لا يُردَيْنَ[(٥)] ما كانا
والبَحْدَلِىُّ الذى أردت فوارِسُه قيساً غَداةَ اللّوى من رمل عَدْنانا
فغادرت حَلْبَساً منها بمُعْتَرَكٍ والجعدَ مُنعَفِرًا لم يُكْسَ أكفانَا
كائِن تَركْنا غداةَ العاهِ[(٦)] من جَزَرٍ للطير منهم ومن ثَكْلَى وثَكْلانَا
ومن غوانٍ تُبكِّى لا حَمِيمَ لها بالعاهِ[(٦)] تدعو بنى عَمٍّ وإخوانا

فلما انتهى الخبَرَ إلى عبد الملِك بن مَرْوان ، وعبدُ الله ومُصعَبٌ يومئذ حَيَّان ،

---

(١) ب : «وتدمر تنزى بزها لا يصونها» .
(٢) ى : «فى أمر» .
(٣) الصيداء : المائلة العنق .
(٤) ى : «الأمر» . (٥) ف : «لا يؤذين ما كانا» .
(٦) العاه : جبل بأرض فزارة (معجم البلدان) . وفى ب : «الفاه» ، تصحيف .

وعند عبد الملك حَسَّانُ بنُ مالِك بن بَحْدل وعبدُ الله بنُ مَسْعَدَة بن حَكَمَ الفزارِىّ ، وجِىء بالطَّعام ، فقال عبدُ المَلِك لابْنِ مَسْعَدة : ادْنُ ، فقال ابنُ مَسْعَدة : لا والله ، لقد أوقع حُمَيْد بسُلَيْم وعامِر وَقْعة لاينفَعُنى بعدها طَعامٌ حتى يكون لها غِيَرٌ ، فقال له حَسَّان : أجزِعْت أن كان بَيْنى وبينَكم فى الحاضِرَة على الطَّاعة والمعْصِية ، فأصَبْنا منكم يوم المرج ، وأغار أهلُ قَرْقيسيا بالحاضرة على البادية بغير ذنب ؟ فلما رأى حُمَيد ذلك طلب بثأر قومه ، فأصاب بعضَ ما أصابهم ، فجزِعت من ذلك ، وبلغَ حُمَيْدًا قولُ ابنِ مَسْعدة قال : والله لأشغلَنَّه بمَنْ هو أقرب إليه من سُلَيم وعامر .

ذكر فى شعره إيقاع حميد ببنى فزارة

فخرَجَ حُمَيْد فى نحوٍ من مائتى فارِس ، ومعه رَجلان من كَلْب دليلان ، حتى انتهى إلى بَنى فزارَة أهلِ العَمُودِ لخمس عَشْرة مَضَت من شَهْر رَمَضان ، فقال : بعثنى عبد الملك ابنُ مَرْوان مُصدِّقًا : فابعثُوا إلى كل مَنْ يُطيق أن يَلْقانا ، ففعلوا ، فقتَلهم أو مَن استَطاع منهم ، وأخذَ أموالَهم ، فبلَغ قتلاهم نحواً من مائةٍ ونيِّف ، فقال عُوَيْفُ القوافِى :

مَنَا الله(١) أن ألقى حُمَيْد بنَ بَحْدل ... بمنزلة فيهـا إلى النّصف مُعْلَما
لكيما نُعاطِيه ونَبْلُوَ بيننا ... سُرَيْجِيَّة(٢) يُعجِمن فى الهام مُعجِما
ألا ليت أنِّى صادفَتْنِى مَنِيَّتى ... ولم أرَ قَتْلَى العامِ يا أمَّ أسْلَما
ولم أرَ قتلَى لم تدَع لى بعدَها(٣) ... يَدَيْن فما أرجو من العيش أجذَما
وأقسِم ما لَيثٌ بخَفَّان(٤) خادِرٌ ... بأشجع من جعْدٍ جَنانا ومُقدَما ١١٥/١٧

(١) منا الله كذا : قدره .
(٢) السريجية : السيوف المنسوبة إلى سريج ، وهو قين كان يعملها .
(٣) ى : « ولم أر قتلى لم يدع لى قتلها » .
(٤) خفان : موضع قرب الكوفة (معجم البلدان) .

أسماء بن خارجة يشكو حميدا إلى عبد الملك

يعنى الجَعْدَ بنَ عِمرانَ بنِ عُيَيْنة وقُتِل يومئذ .

فلما رجع عبدُ الملك من الكُوفَةَ وقُتِل مُصعَب ، لحقه أسماءُ بنُ خارِجة بالنُّخَيلة ، فكلّمه فيما أتى حُمَيْد به إلى أهل العَمود من فَزارة ، وقال : حدّثنا أنه مصدِّقك وعامِلُك ، فأجبناك وبكَ عُذْنا ، فعليك وفى ذمتك ما على الحُرِّ فى ذِمَّتِه ، فأقِدْنا من قُضاعِيٍّ سِكِّير ، فأبى عبد الملِك وقال: أنظرُ فى ذلك وأستَشِيرُ(١) وحُمَيْد يَجْحد وليست لهم بيِّنة ، فودَاهم ألفَ ألْف ومائتى ألف ، وقال : إنى حاسِبُها فى أعطياتِ قُضاعة ، فقال فى ذلك عَمْرُو بنُ مِخْلاة الكلْبىّ :

صوت

خُذوها يا بَنى ذُبْيان عَقْلا   على الأجيادِ واعتَقِدوا الخِداما(٢)
دَراهِمَ من بنى مَرْوان بيضا   يُنَجِّمها لكم عاما فعاما
وأيقَنَ أنَّه يومٌ طويل   على قَيْسٍ يُذيقُهمُ السِّماما(٣)
ومُخْتَبٍّ أمام القوم يَسْعَى   كسِرحانِ التَّنُوفَةِ حين ساما(٤)
رأى شَخْصاً على بلدٍ بَعيد   فكبَّر حين أبصَره وقاما
وأقبلَ يسألُ البُشْرى إلينا(٥)   فقال : رأيتُ إنسًا أو نعاما
وقال لخيْله سيرى حُمَيد   فإنّ لكلِّ ذى أجَل حِماما

---

(١) ب : « انظر فى ذلك واستشر » .

(٢) فى أنساب الأشراف : « على الأحياء واعتقدوا الخزاما » . واعتقد الشيء : نقيض حله ، والخدام : جمع خدمة ، وهى السير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد فى رسغ البعير .

(٣) السمام جمع سم ، وهو القاتل من الأدوية ونحوها .

(٤) المختب : المسرع . والسرحان : الذئب . والتنوفة : الأرض الواسعة أو الصحراء . وسام : ذهب فى ابتغاء الشيء .

(٥) ف : « فأقبل يسأل اليسرى إلينا » .

فما لاقيتُ من سجح[1] وبدر ومُرَّة فاتركى حَطباً حُطاما
بكل مُقلّص عَبْلٍ شَواه يَدُقُّ بوقْع نابيَه اللِّجاما[2]
وكل طِمِرَّةٍ مَرَطى سَبوحٍ إذا ما شَدَّ فارسُها الحِزاما[3]
وقائلةٍ على دَهَشٍ وحُزْنٍ وقد بلَّت مدامعُها اللِّثاما
كأنَّ بنى فَزارةَ لم يكونوا ولم يَرْعَوْا بأرْضهم الثُّماما[4]
ولم أرَ حاضراً منهم بِشاء ولا مَنْ يملِك النَّعَم الرُّكاما[5]

فزارة تنتقم من قيس

قال: فلما أخذوا الدِّيةَ انطلقت فَزارةُ فاشترت خَيْلا وسِلاحاً، ثم استَتْبَعت سائرَ قبائل قيس، ثم أغارت على ماء يدعى بَنَاتِ قَيْن، يجمع بُطوناً من بُطون كلب كثيرة وأكثرُ مَنْ عليه بَنُو عَبْدِ وُدٍّ وبَنُو عُلَيم بن جناب، وعلى قَيْس يومئذ سَعيدُ بن عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيفَة بن بدر، وحَلْحَلَة[6] بن قَيْس بنِ الأشيَم بن يَسار أحدُ بنى العُشَراء[7]، فلما أغاروا نادَوا بنى عُلَيم: إنا لا نَطْلُبكم بشىء، وإنما نطلُب بنى عَبْد وُدّ بما صَنَع الدَّليلان اللّذان حَمَلا حُمَيْدا، وهما المأمورُ ورجُل آخر اسمُه أبو أيُّوب، فقُتِل من العَبْدِيّين تِسْعَةَ عَشَر[8] رَجُلا، ثم مالوا على العُلَيْمِيِّين فقتلوا منهم خَمْسين رَجُلا، وساقوا أموالاً.

موقف عبد الملك ابن مروان وعرضه الدية

فبلغ الخبرُ عبدَ الملك، فأمهَل حتى إذا وَلِيَ الحجَّاجُ العِراقَ كتَب إليه يَبْعث إليه سَعِيدَ بنَ عُيَيْنة وحَلْحَلَة بن قيس ومعهما نَفر من الحَرَس، فلما قَدِم بهما عليه قَذَفهما فى

(١) ف، مى: «شمخ». (٢) ف: «يدق بهمز نابيه اللجاما».
(٣) الطمرة: الفرس الجواد الشديد العدو. المرطى: الخفيف شعر الجسد. والسبوح: الفرس يمد يديه فى الجرى.
(٤) الثمام: عشب من الفصيلة النخيلية. (٥) النعم الركام: النعم الضخم.
(٦) ب: «طلحة بن قيس».
(٧) بنو العشراء: قوم من فزارة، و فى ب: «وبنو العسراء»، تصحيف.
(٨) ف: «فقتل من العبديين سبعة عشر رجلا».

السِّجن وقال لِـكَلْب : والله لئن قتلتم رجلا لأُهَرِيقَنَّ دماءكم ، فقَدِم عليه من بنى عَبْدِ وُدّ عياضٌ ومُعاويةُ ابنا ورد ، ونُعمان بنُ سويد ، وكان سُوَيْد أبوهُ ابن مالك يومئذ أَشرفَ من قُتِل يوم بنات قَيْن ، وكان شيخَ بنى عَبْدِ وُدّ ، فقال له النُّعْمان : دماءنا ١١٦/١٧ يا أميرَ المؤمنين ، فقال له عبدُ الملك : إنما قُتِل منكم الصَّبىُّ الصَّغيرُ والشيخُ الفانى ، فقال النُّعمان : قُتِل منا والله مَنْ لو كان أخاً لأبيك لاختير عَلَيْك فى الخلافة . فغَضِب عبدُ الملك غَضَباً شديداً ، فقال له مُعاويةُ وعياض : يا أميرالمؤمنين ، شَيْخ كَبير مَوْتور .

فأعرضَ عنه عبدُ الملك وعَرضَ الدِّية ، وجعل خالدُ بنُ يزيد بنِ معاوية ومن وَلَدَتْه كلب يقولون : القَتْل ، ومن كانت أُمُّه قَيْسيَّة من بنى أُميَّة يقولون: لا ، بلِ الدِّيةَ كما فُعِل بالقوم ، حتى ارتفَع الكلام بينهم بالمَقْصُورَة ، فأخرجَهم عبدالملك ودَفَع حَلْحَلَة إلى بعض بَنِى عَبْدِ وُدّ ، ودَفَع سَعِيدَ بنَ عُيَيْنَة إلى بعض بنى عُلَيم ، وأقبل عليهما عبدُ الملك فقال : ألم تأتيانى تَسْتَعدِيانى فأعديتُكما وأعطيتُكما الدِّيةَ ، ثم انطلقتما فأخفرْتما ذِمَّتى وصَنَعتما ما صَنَعتما ، فكلَّمه سَعيد بكلام يستعطِفه به ويُرقِّقُه ، فضرب حَلْحَلة صَدْرَه وقال : أترى خُضوعَك لابنِ الزَّرقاء نافعَك عنده ، فغضِب عبدُ الملك وقال : اصبر حَلْحَلَة ، فقال له : أصبرُ من عَوْدٍ بجَنْبَيْه جُلَب[1] فقُتِلا وشَقَّ ذلك على قَيْس ، وأعظَمه أهلُ البادِية منهم والحاضِرَة ، فقال فى ذلك علىُّ بنُ الغدير الغَنَوىّ :

لِحَلْحَلَةَ القَتيلِ ولابْنِ بدْر وأهلِ دِمَشْقَ أَنْجِيَة تَبِينُ
فبَعْد اليَوْم أيامٌ طِوالٌ وبعد خمودٍ فتنتِكم فُتونُ
وكلُّ صَنِيعةٍ رصــدٌ ليومٍ تحُلّ به لصاحِبها الزَّبونُ[2]

(١) جُلب الرحل وجِلبه (بالضم والكسر) : عيدانه .

(٢) ف : « تحل به لصاحبه الديون » .

خليفةَ أُمّةٍ قُسِرت عليـــه تَخمَّطَ[1] واستخفَّ بمَنْ يدينُ
فقد أتيـا حُمَيْدَ ابنَ المنايا[2] وكُلُّ فتًى ستَشعَبه المَنُونُ

وقال رجل من بنى عبد وُدّ :

نحن قتَلْنا سيّدَيهم بشَيْخِنا سُوَيدٍ فما كانا وفاءً به دَمَا

وقال حَلْحَلةُ وهو فى السّجن :

لعَمْرى لئن شَيْخا فزارَة أسلِما لقد خَزِيت قَيْسٌ وما ظَفِرت كَلْبُ

وقال أرطاةُ بنُ سُهَيَّة يُحرِّض قَيْسًا :

أيُقتَلُ شَيخُنا ويُرَى حُمَيدٌ رَخِيَّ البالِ مُنتَشِيًا[3] خُمورَا
فإن دُمنا بذاك وطال عُمْرٌ بنا وبكمُ ولم نَسْمع نَكيرَا
فناكَتْ أمَّها قيسٌ جِهاراً وعَضَّت بعدها مُضَرُ الأيُورَا

وقالت عميرة بِنْت حَسّان الكَلْبيّة تفخر بفعل حُمَيد فى قيس :

سَمَت كلبٌ إلى قيسٍ بجَمْعٍ يَهُدّ مناكِبَ الأكَمِ الصِّعابِ
بذى لَجَبٍ يدُقّ الأرضَ حتى تُضايِق من دعا بهَلا وهَابِ[4]
نَفَين إلى الجزيرة فَلَّ قيسٍ إلى بَقٍّ بها وإلى ذُبابِ[5]
وألفَينا هَجِينَ بنى سُلَيْمٍ يُفدِّى المُهرَ من حُبّ الإيابِ
فلولا عَدْوة المُهْرِ المُفدّى لأُبْتَ وأنتَ مُنْخَرِقُ الإهابِ

---

(١) تخمط : تكبر .
(٢) ف : وفقد لقيا حميد ابن المنايا .
(٣) انتشى فلان : بدأ سكره .
(٤) هلا : زجر للخيل ، وهاب : زجر للإبل عند السوق .
(٥) بق : مدينة على شاطئ الفرات ، وذباب : جبل بالمدينة .

١١٧/١٧

وَنَجّاه حَثِيثُ الرَّكْض منا أُصَيْلانًا ولَونُ الوَجْه كابِي

وآض كأنه يُطْلَى بوَرْسٍ ودُقَّ هُوِىَّ كاسِرةٍ عُقَابِ

حَمِدتُ اللهَ إذ لَقَّى سُلَيْمًا على دُهْمان صَقْرِ بَنى جَنابِ

تركن الرُّوقَ[(1)] من فتيات قَيْس أيامَى قد يَئِسن من الخِضابِ

فهُنَّ إذا ذَكَرن حُمَيْدَ كَلْب نَعَقْن بِرَنَّةٍ بعـــد انتِحابِ

متى تَذْكُر فتى كَلْب حُمَيْدًا تَرَ القَيْسىَّ يشرَقُ بالشَّرابِ

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ ، عن عمه ، قال :

مدح عيينة بن أسماء رغم تطليقه أخته

أنشدنى رجل من بنى فزارة لعويف القوافى — وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزارىّ — وكانت أخته عند عُيَيْنَةَ بن أسماء بن خارجة فطلَّقها ، فكان عويف مُراغِمًا لعيينة وقال : الحرة لا تُطلَّق بغير ما بأس ، فلما حَبَس الحجّاج عُيَيْنة وقيَّده قال عُوَيف :

مَنَع الرُّقادَ — فما يُحسُّ رُقادُ — خَبرٌ أتاك ونامت العُوَّادُ[(2)]

خَبرٌ أتانى عن عُيَيْنة مُوجِعٌ ولمِثْله تتصَدَّع الأكبادُ

بلغ النفوسَ بلاؤُها[(3)] فكأننا مَوتى وفينا الرُّوحُ والأجسادُ

ساء الأقاربَ يوم ذاك فأصبَحُوا بهجينَ قد سُرّوا به الحُسّادُ[(4)]

(١) الروق : الجميلات .

(٢) فى سمط اللآلى : ٨١٣ : « ما شجاك وحفت العواد » . وفى شرح ديوان الحماسة لأبى تمام ١ : ٢٥٣ ط حجازى : « ما شجاك ونامت العواد » .

(٣) مى ، مد : « بلاؤنا » . وفى شرح ديوان الحماسة ١ : ٢٥٣ والمختار : « بلاؤه » .

(٤) هجين : موضع . « قد سروا به الحساد » كذا فى جميع النسخ بلغة أكلونى البراغيث ولعلها « قد سرت به الحساد » .

يرجون عَثْرة جَدِّنا ولو آنهم … لا يدفعون بنا المكارهَ بادُوا

لمّا أتانى عن عُيَيْنَة أنّه … عانٍ تَظاهرُ فوقه الأقيادُ(١)

مَحَلَتْ(٢) له نَفْسى النّصيحةَ إنه … عند الشّدائد تَذْهَب الأحْقادُ

وذَكرتُ أىُّ فتًى يَسُدُّ مكانَه … بالرِّفدِ حين تَقاصرُ الأرفادُ

أم مَنْ يُهِينُ لنا كرائمَ مالِهِ … ولنا إذا عُدْنا إليــــه مَعادُ

لو كان من حَضَنٍ تَضاءل رُكْنُه … أو من نَضادَ بكت عليه نَضادُ(٣)

مدح عبد الرحمن ابن مروان وهو صغير السن

أخبرنى حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبىّ قال: حدّثنا عُمرُ بنُ شَبّة قال: قال العُتْبىّ: سأل عُوَيْفُ القوافى فى حَمالةٍ، فمرّ به عبدُ الرّحمن بنُ محمد بن مَرْوان وهو حديثُ السِّنّ، فقال له: لاتسأل أحدًا وصِرْ إلىّ أَكْفِك، فأتاه فاحْتَمَلَها جَمْعاء له، فقال عُوَيف يَمْدحه:

غلامٌ رماه اللهُ بالخير يافِعاً … له سِيمياءُ لا تَشُقّ على البَصَرْ

كأنّ الثُّرَيّا عُلِّقت فى جَبِينِه … وفى خَدِّه الشِّعْرَى وفى جيده القَمَرْ

ولمّا رَأَى المجدَ استُعِيرت ثيابُه … تَرَدَّى رِداءً واسِعَ الذّيل واتّزرْ

إذا قيلت العَوراءُ أغْضَى(٤) كأنّه … ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لا نْتَصرْ

رَآنى فآسانى ولو صَدَّ لم أَلُم … على حينَ لا بادٍ يُرَجّى ولا حَضَرْ

---

(١) فى شرح ديوان الحماسة ١: ٢٥٤ ط حجازى: «أسى عليه تظاهر الأقياد».

(٢) محلت له نفسى النصيحة: أخلصتها.

(٣) حضن: جبل بأعلى نجد، وهو أول حدود نجد. ونضاد: جبل بالعالية، ويبنى عند أهل الحجاز على الكسر وعند تميم ينزلونه منزلة مالا ينصرف. وروى البيت فى معجم البلدان ٤: ٧٩٠: «ولو كان من حضن قضاك منية»، والأبيات فى الخزانة ٣: ٨٨ فيما عدا الأخير، وفى شرح الحماسة ١: ٢٥٣ فيما عدا الرابع والأخير.

(٤) ب: «ولّى».

قال أبو زَيْد : هذه الأبياتُ لابن عَنْقاء الفَزارِىّ ، يقولها فى ابن أخ له ، كان قوم من العرب أغاروا على نَعَم ابن عنقاء فاستاقُوها ، حتى لم يَبْق له منها شىء ، فأتى ابنَ أخيه فقال له : يابْنَ أخِى ، إنه قد نزَل بعَمِّك ما ترى ، فهل من حَلُوبة ؟ قال : نعم ياعمّ ، يرُوحُ المالُ وأبلُغ مُرادَك ، فلما راح مالُه قاسَمَه إيّاه وأعطاه شطره ، فقال ابنُ عنقاء : ١١٨ / ١٧

رآنى على ما بِى عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالى أسرَّ كما جهَرْ

وذكر بعد هذا البَيْت باقِى الأبْيات . قال أبو زَيْد : وَإنَّمَا تمثَّلها[1] عُوَيْف .

رثى سليمان بن عبد الملك ومدح عمر بن عبد العزيز

أخبرنى محمد بنُ خَلَف وَكِيع ، والحسَن بنُ علىّ قالا : حدثنا الغلابىّ ، قالا : حدثنا محمد بن عُبَيْد الله ، عن عَطاء بن مُصْعَب ، عن عاصم بن الحدَثان ، قال :

لما مات سُلَيمانُ بنُ عبد الملك ووَلِى عمرُ بنُ عبد العزيز الخلافةَ ، وفَد إليه عُوَيْفُ القَوافِى وقال شِعْراً رثَى به سُلَيمان ومَدح عُمَر فيه ، فلما دخل إليه أنشدَه :

لاح سحابٌ فرأينا برقَهُ ... ثم تدانَى فَسَمِعنا صَعْقَهُ
وراحت الرِّيحُ تُزَجِّى بُلقَهُ ... ودُهْمَه ثم تُزَجِّى وُرْقَهُ
ذاك سَقَى قَبْراً فروَّى وَدْقَهُ ... قبرَ امرئٍ عَظَّم ربّى حَقَّهُ
قبرَ سليمانَ الذى من عقّهُ ... وجَحَد الخير الذى قد بَقَّهُ[2]
فى المسلمين جِلّه ودِقّهُ ... فارق فى الجحود منه صِدْقَهُ[3]
قد ابتلى اللهُ بخيرٍ خلقَهُ ... ألْقى إلى خير قريش وَسْقَهُ

(١) ف : « تمثل بها عويف » .
(٢) بقه : وسعه .
(٣) ى : « فارق منه فى الجحود صدقه » .

يا عمرَ الخيْرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ سُمِّيت بالفاروق فافرُقْ فَرْقَهُ
وارزُق عِيالَ المُسْلِمِين رِزْقَهُ واقْصِد إلى الجُودِ ولا تَوَقَّهُ
بَحرُكَ عَذبُ الماء ما أعقَّهُ ربُّك فالمَحْرُوم مَنْ لم يُسْقَهُ

فقال له عمر : لَسْنا من الشِّعر فى شىء ، ومالكَ فى بَيت المال حَقٌّ ، فألحَّ عُوَيْف يسأله فقال : يا مُزاحم ، انظُر فيما بَقِى من أرزاقنا فشاطِرْه إيَّاه ، ولْنَصْبِر على الضِّيق إلى وقْتِ العطاء ، فقال له عبدُ الرَّحمن بنُ سُلَيْمانَ بن عبدالملك : بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعلىَّ رِضاَ الرَّجُل ، فقال : ما أولَاك بذلك ، فأخذ بيده وانْصَرَف به إلى منزله ، وأعْطاهُ حتى رَضى .

صوت

صَفراءُ يَطْوِيها الضَّجِيعُ لصُلْبِهَا طىَّ الحِمالَةِ لَيِّنٌ مَتْناها
نِعْمَ الضَّجِيعُ إذا النُّجوم تَغَوَّرت بالغَوْر أُولاها على أُخْراها
عَذْبٌ مُقَبَّلُها وَثِيرٌ رِدْفُها عَبْلٌ شَواها طَيِّبٌ مَجْناها
يا دارَ صَهْباءَ[(١)] التى لا أَنْتَهِي عن حُبِّها أبداً ولا أَنْساها

الشعر لعبدِ اللهِ بن جَحْش الصعاليك ، والغِناءُ فيه لِعلىّ بن هِشام ثقيل أول بالوسطى من كتاب أحمد بن المكىّ .

---

(١) ف : « يادار صفراء » .

أخبار عبد الله بن جحش

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخُزاعِيّ قال : حدّثنا عُمر بن شَبّة قال : حدّثنى محمدُ ابن يحيى أبو غسّان ، عن غسّان بن عبد الحميد قال :

طلاق صهباء من ابن عمها

١١٩
١٧

كان بالمدينة امرأةٌ يقال لها : صَهْباء من أحسن الناس وَجْهاً ، وكانت من هُذَيل ، فتزوّجها ابنُ عمٍّ لها ، فمكث حيناً معها لا يَقدِر عليها من شِدّة ارْتتاقها ، فأبغضَتْه وطالبته بالطّلاق ، فطلّقها . ثم أصابَ الناسَ مَطَرٌ شديدٌ فى الخَريف ، فسال العَقيقُ سَيْلًا عظِيماً ، وخرج أهلُ المَدينة ، وخرجَتْ صهباءُ معهم ، فصادفت عبدَ الله بن جَحْش وأصحابَه فى نُزْهة ، فرآها وافْترَقا .

يهيم بصهباء ويتقدم لخطبتها

ثم مضت إلى أقصى الوادِى فاستَنْقعَت فى الماء وقد تَفرّق النّاسُ وخفّوا ، فاجتاز بها ابنُ جَحْش فرآها فتَهالك عليها وهام بها ، وكان بالمَدينةِ امرأةٌ تَدُلّ على النّساء يقال لها : قُطْنة ، كانت تُداخِل القُرَشيّات وغَيْرَهن ، فلَقِيَها ابنُ جَحْش فقال لها : اخطُبِى عَلَيّ صَهْباء ، فقالت : قد خَطَبها عيسَى بنُ طلحةَ بن عُبَيْد الله وأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه ، فشتَمها ابنُ جَحْش وقال لها : كُلُّ مَملوك له فهو حرٌّ ، لئن لم تَحْتالِى فيها حتى أتزَوّجها لأضرِبنّك ضَرْبَةً بالسيف — وكان مِقْدامًا جَسُوراً — ففَرِقت منه فدخلت على صَهْباء وأهلِها ، فتحَدّثت معهم ، ثم ذَكَرت ابنَ عمّها ، فقالت لعمّةِ صَهْبَاء : ما بالُه فارقها ، فأخبرتْها خَبرَها ، وقالت : لم يَقْدِر عليها وعَجَز عنها . فقالت لها — وأسمعَتْ صَهْباء —: إنّ هذا ليَعْتَرى كثيراً من الرجال فلا يَنْبَغى أن تَتَقَدّموا فى أمرِها إلا على مَنْ تختبرونه ، وأما والله لو كان ابنُ جحش لصَهْباء

زواجه بصهباء

لثقبها ثَقْبَ اللُّؤلُؤِ ولو رُتِقت بحَجَر ، ثم خَرجَت من عندهم ، فأرسَلَت إليها صَهْباء : مُرِى ابنَ جَحْش فَلْيَخْطُبنى ، فلقِيَتْه قُطْنة فأخبرتْه الخَبرَ ، فمضى فخطبها ، فأَنعمَت له[1] وأَبَى أهلُها إلا عيسَى بنَ طلحة ، وأبت هى إلا ابنَ جَحْش ، فتزوَّجته ودخلَ بها وافتَضَّها ، وأحبَّ كُلٌّ واحد منهما صاحِبَه فقال فيها :

نِعْمَ الضَّجِيعُ إذا النُّجوم تَغوَّرت بالغَوْر أُولاها على أُخراها
عَـذْبٌ مُقبَّلُها وثيرٌ رِدْفُها عَبْلٌ شَواها طَيِّب مَجْناها
صفراءُ يَطوِيها الضجِيعُ لِجَنْبها طَىَّ الحِمالة لَيِّن مَتْنَاها[2]
لو يَسْتَطِيـع ضجيعُها لأجَنَّها فى الجَوْف حبَّ نسيمها ونَشاها[3]
يا دارَ صَهباء التى لا أنتهِى عن ذكرها أبداً ولا أنْساها

كان عبد الملك ابن مروان معجبا بشعره

أخبرنى حَبِيبُ[4] بنُ نَصْر المُهَلَّبى ، قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعد قال : حدثنى عبدُ الرَّحيم[5] بنُ أحمد بن زَيد بن الفرج قال : حدّثنى محمد بنُ عبد الله قال : كان عبد الملك بنُ مَرْوان مُعجبًا بشِعْر عبد الله بن جَحْش ، فكتب إليه يأمُره بالقُدوم عليه ، فورَد كِتابُه وقد تُوُفِّى ، فقال إخوانُه لابنه :

ذهب ابنه إلى عبد الملك فطرده لتضييعه أدب أبيه

لو شَخَصتَ إلى أميرِ المُؤْمنين عن إذنه لأبيك لَعَلَّه كان ينفعُك ، ففعل ، فبَيْنَا هو فى طريقه إذ ضاع منه كِتابُ الإذْنِ ، فهَمَّ بالرّجوع ، ثم مَضَى لوجهه ،

(١) أنعمت له : قالت : نعم .

(٢) ب . « لحينها » بدل « لجنبها » وفى التجريد : « لحسنها » . وفى ف : « مشناها » بدل « متناها » . (وانظر ص ٢١١) .

(٣) مد : « فى القلب » بدل « فى الجوف » . وفى التجريد : « حب نسيمها وجناها » . وفى المختار « شهوة ريحها وجناها » . والنشا : نسيم الريح الطيبة (وانظر ص ٢١٥) .

(٤) ف : « جعفر بن نصر المهلبى » .

(٥) ف : « عبد الرحمن بن أحمد » .

فلما قَدِم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبرَه بوفاتِه ، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له : أنشِدنى قول أبيك :

صوت

هل يُبلِغَنْها السلامَ أربعةٌ … مِنّى وإن يَفعلوا فقد نَفَعُوا
على مِصَكَّيْن من جِمالهمُ … وَعَنْتَرِيسَين فيهما سَطَعَ[(١)]
قَرِّب جيراننَا جِمالَهمُ … صُبحاً فأضْحَوا بها قد انْتَجَعُوا
ما كنتُ أدرِى بوَشْك بَينِهمُ … حتى رأيتُ الحُداةَ قد طَلَعُوا
قد كادَ[(٢)] قلبى - والعينُ تُبْصِرهم … لما توَلَّى بالقوم - يَنْصَدعُ ١٢٠ / ١٧
ساروا وخُلِّفتُ بعدهم دَنِفاً … أليسَ بالله بِئْسَ ما صَنَعوا !

قال : لا واللهِ يا أميرَ المؤْمنين ما أروِيه ، قال : لا عَلَيْك ، فأنشِدنى قولَ أبيك :

صوت

أجِدَّ اليوم جيرتُك النِيارا … رَواحًا أم أرادوه ابتِكارا
بعينِك كان ذاك وإن يَبِينوا … يَزِدْك البَينُ صَدْعًا مُسْتَطارا[(٣)]
بَلَى أبقَت من الجِيران عندى … أُناسًا ما أُوافقُهم كِثارا
وماذا كَثْرةُ الجِيران تُغنِى … إذا ما بان مَنْ أهوَى فسارا

(١) المصك : القوى . والعتريس : الناقة القوية الغليظة . والسطع : طول العنق .
(٢) ف : « قد كان » .
(٣) ف : « شعبا مستطارا » .

قال : لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين ، قال : ولا عليك ، فأنشدنى قولَ أبيك :

دارٌ لصَهْباء التى لا يَنْثَنى عن ذكرها قلبى ولا أنسَاها

صفراء يطويها الضجيعُ لصُلْبها طَىَّ الحمالة لَيِّن مَتْناها

لو يَستطيعُ ضَجيعُها لأجنَّها فى القلب شَهْوَةَ ريحِها ونَشَاها

قال : لا والله يا أميرَ المُؤمنين ، ما أرويه ، وإنّ صهباء هذه لأُمّى ، قال : ولا عليك ، قد يُبغِض الرجلُ أن يُشبَّب بأُمِّه ، ولكن إذا نَسَب بها غيرُ أبيه ، فأُفٍّ لك ! ورَحِم اللهُ أباك ، فقد ضَيَّعتَ أدبَه وعقَقْته ؛ إذ لم تَرْوِ شعرَه . اخرُجْ فلا شىء لك عندنا .

صــوت

أماطَتْ كِساءَ الخزّ عن حرّ وَجْهها   وأدنت على الخدّين بُرْداً مُهَلْهَلا
من اللاءِ لم يَحججْنَ يَبْغِين حِسْبةً   ولكن يُقتّان[1] البرىءَ المُغفَّلا
رأتْني خَضِيبَ الرّأس شمّرتُ مِئزرى   وقد عَهِدتْنى أسودَ الرّأس مُسبَلا
خَطُوًّا[2] إلى اللّذاتِ أجرَرْتُ مِئزَرى   كإجرارك الحَبْلَ الجواد المُحجَّلا
صَريعَ الهوَى لا يبرحُ الحبُّ قائدى   بشرٍّ[3] فلم أعدِل عن الشرّ مَعْدلا
لدَى الجمْرة القُصْوى فريعَت وهَلَّلت   ومَنْ رِيعَ فى حَجٍّ من الناس هَلّلا

الشعر للعَرْجىّ ، والغناء لعبد الله بن العَبّاس الرّبيعىّ ثقيل أول فى الأول والثانى والخامس والسادس من هذه الأبيات ، وهو من جيّد الغناء وفاخر الصنعة ، ويقال إنّه أول شِعْر[4] صنعه ، ولعزار[5] المكّىّ فى الثالث ومابعده ثانى ثقيل ، عن يحيى المكّىّ وغيره ، وفيه خفيف ثقيل يُنسَبَ إلى معبد وإلى ابن سُرَيْج وإلى الغَرِيض ، وفيه لإبراهيم لَحْن من كتابه غير مجنّس، وأنا ذاكر هاهنا أخباراً لهذا الشّعر من أخبار العَرْجىّ ؛ إذ كان أكثرُ أخبارِه قد مضى سوى هذه .

(١) ف : «ليقتلن» .
(٢) ف : «خطوطا» .
(٣) ف : «لشرّ» .
(٤) ف : «إنه أول غناء صنعه» .
(٥) ف : «ولغرار المكى» .

بعض أخبار للعرجى

امرأة تتمثل بشعره

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيع قال : حدّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع ، عن المدائنىّ ، عن عبد الله بن سليم ، قال : قال عبيد الله بن عمر العمرىّ :

خرجت حاجًّا فرأيتُ امرأةً جميلة تتكلم بكلامٍ رَفَثَت[1] فيه ، فأدنيتُ ناقتى منها ، ثم قلت لها : يا أَمَةَ الله ، ألستِ حاجَّةً ! أما تخافين الله ! فسَفَرت عن وَجْه يَبْهَر الشَّمسَ حُسناً ، ثم قالت . تأمّلْ ياعمّى ، فإنى ممّن عَنَى العَرْجىّ بقوله : ١٢١/١٧

من اللاء لم يَحْجُجْن يَبْغِين حِسْبةً ... ولكن لِيَقْتُلْنَ البرىءَ المُغَفَّلا

قال : فقلتُ لها : فإنى أسألُ اللهَ ألاَّ يعذِّب هذا الوجْهَ بالنّار . قال : وبلغ ذلك سَعِيدَ بنَ المُسَيّب فقال : أما واللهِ لو كان من بَعْض بُغَضاء أهلِ العِراق لقال لها : اعزُبِى قبّحَكِ الله ، ولكنّه ظَرْف[2] عُبّاد الحِجاز .

وقد رُوِيت هذه الحكاية عن أبى حازِم بنِ دينار .

أخبرنى به وَكِيعٌ قال : حدّثنا أحمدُ بنُ زُهَيْر ، قال : حدّثنا مُصعَبٌ الزُّبيرىّ ، قال : حدّثنى عبدُ الرّحمن بنُ أبى الحسن[3] وقد رَوَى عنه ابنُ أبى ذِئْب ، قال : بينَا أبو حازِمٍ يَرمى الجمارَ إذ هو بامرأةٍ مُتَشَعْبِذة — يَعْنى حاسِرَة — فقال لها : أيّتُها المرأةُ استَتِرى ، فقالت : إنّى والله من اللّواتى قال فيهن الشّاعِرُ قولَه :

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ... ولكن لِيَقْتُلْنَ البَرِىءَ المُغَفَّلا

وتَرمى بعَيْنَيْها القُلوبَ ولا تَرَى ... لها رَميةً لم تُصْمِ منهن مَقْتَلا

---

(١) رفث فى كلامه : أفحش .

(٢) ف ، مى ، مد : «ولكنه أظرف عباد الحجاز» .

(٣) ف : «عبد الله بن أبى الحنيش.»

فقال أبو حازم لأصحابه : ادعُوا اللهَ لهذه الصُّورة الحَسَنة ألاّ يعذّبها بالنار .

وأبو حازِم هذا هو أبو حازِم بن دِينار من وُجوه التّابعين ، قد روَى عن سَهْل بن سَعْد وأبى هُرَيْرة ، وروى عنه مالكٌ وابنُ أبى ذئب ونُظَراؤُهما .

حدّثنى عمّى قال : حدثنى الكُرانىّ قال : حدثنى العُمرىّ ، عن العُتْبىّ ، عن الحكم بنِ صَخْر قال :

انصرفتُ من مِنًى فسَمِعت زَفْنا[1] من بعض المَحامِل ، ثم ترنّمَت جارِية فتغنَّت :

من اللاء لم يَحْجُجْن يبَغين حِسْبةً ولكن لِيَقْتُلنَ البرىء المُغَفَّلا

فقلتُ لها : أهذا مكان هذا يرَحمُك الله ! فقالتْ : نعم وإيّاك أن تكونَه .

(١) زَفَن زفنا : رقص ، وأصله الدفع الشديد والضرب بالرجل كما يفعل الراقص .

أخبار عبد الله بن العباس الربيعى

نسبه

عبدُ الله بنُ العبّاس بنِ الفَضْل بنِ الرَّبيع ، والرّبيع — على مايدّعيه أهلُه — ابنُ يونُس بن أبى فَرْوة ، وقيل إنه ليس ابنَه ، وآلُ أبى فَرْوة يَدْفعون ذلك ويَزْعمون أنه لقيط ، وُجِد منبوذاً ، فكفله يونُس بن أبى فَرْوة وربّاه ، فلما خَدَم المَنْصورَ ادّعى إليه[1] ، وأخبارُه مذكورة مع أخبارِ ابنِه الفَضْل فى شعر يُغَنَّى به من شِعْر الفضل وهو :

* كنتُ صَبًّا وقَلْبِيَ اليوم سالى *

كان شاعرا مطبوعا ومغنيا جيد الصنعة

ويُكْنى عبدُ الله بنُ العبّاس أبا العبّاس .

وكان شاعِراً مَطْبوعاً ، ومُغَنّياً مُحْسِنا جَيّدَ الصَّنْعَة نادِرَها ، حَسَن الرّواية ، حُلْو الشعر ظرِيفَه ، ليس من الشِّعر الجَيِّد الجزْل ولا من المَرْذُول ، ولكنه شِعْر مَطْبوع ظَريف مليح المَذْهب ، من أشْعار المُتْرفين وأولاد النِّعم .

حدّثنى أبو القاسم الشّيرْبابَكِىّ[2] — وكان نَدِيماً لجدّى يَحْيى بنِ محمد — عن يَحْيى بنِ حازم قال : حدّثنى عبدُ الله بنُ العبّاس الربيعىّ قال :

دخل محمدُ بن عبد الملك الزيات على الواثِق وأنا بَيْن يدَيْه أُغَنِّيه ، وقد استَعادَنِى[3] صوتاً فاستَحْسَنه ، فقال له محمدُ بنُ عبد الملك : هذا واللهِ يا أمير المُؤْمنين أولَى الناس بإقبالك عليه واستِحْسانك له واصْطناعك إيّاه ، فقال : أجل ، هذا مَوْلاى وابنُ مَوْلاى وابن موالىّ لا يعرفون غير ذلك ، فقال له : ليس كلُّ مَوْلًى — يا أمير المؤمنين —

(١) ادعى إليه : انتسب .
(٢) ى ، مد : « السير بابكى » . وفى ب : « السشير بابكى » .
(٣) ب : « وقد استغنانى » .

١٢٢/١٧ بولىٌّ لمَواليه ، ولا كلُّ مولًى مُتجَمِّل بولائِه ، يَجْمَع ماجَمع عبدُ الله من ظَرْف وأَدَب وصِحّة عَقْل وجَوْدة شِعْر ، فقال الحَسَن له : صَدَقْتَ يامحمد . فلما كان من الغَدِ جِئتُ محمدَ بنَ عبد الملك شاكراً لمَحْضَره(١) ، فقلت له فى أضْعاف كلامى : وأفرَطَ الوزير — أعزه الله — فى وَصْفِى وتَقْرِيظِى بكُلّ شىء حتى وَصَفَنى بجَوْدة الشِّعْر وليس ذلك عندى ، وإنما أعبَثُ بالبَيْتَيْن والثَّلاثة ، ولو كان عندى أيضاً شىء بعد ذلك لصَغُر عن عن أن يَصِفه الوزير ، ومَحَلُّه فى هذا البابِ المَحلُّ الرفيعُ المَشهورُ ، فقال : واللهِ يا أخى ، لو عرفْتَ مِقدارَ شِعْرِك وقولِك :

يا شادِناً رام إذ مَرّ فى السَّعانين قَتْلِى
يقول لى : كَيْفَ أصْبَحْـــت كيف يُصبِحُ مِثْلى !

لَمَا قلتَ هذا القول ، والله لو لم يَكُن لك شِعرفى عُمْرِك كله إلا قولك :« كيف يُصبِح مِثْلِى » لكنتَ شاعراً مُجِيداً .

حدَّثنى جَحْظَة قال : حدَّثنى أحمدُ بنُ الطَّيّب قال : حدَّثنى حَمَّادُ بنُ إسحاق قال : سمِعتُ عبدَ الله بنَ العَبّاس الرّبيعىّ يقول : أنا أوّلُ مَنْ غَنّى بالكَنْكلَة(٢) فى الإسلام ووضَعْتُ هذا الصوتَ عليها :

أتانى يُؤامِرُنى فى الصَّبُو ح ليلاً فقلتُ له : غادِها

(١) ف ، ى : «شاكرا لحسن محضره» .

(٢) ى ، مد . «بالكبكلة» . وفى المختار : «بالكلكلة». وجاء فى مقال للأستاذ بهجت الأثرى عضو المجمع اللغوى عنوانه «الألفاظ الحضارية ودلالتها التاريخية» : الكنكلة : آلة طرب هندية ذات وتر واحد يمر على قرعة فيقوم مقام أوتار العود «عن كتاب فخر السودان على البيضان للجاحظ» ، أولعلها نغمة من نغمات الموسيقى أوآلة من آلات الطرب عرفها العباسيون واستعملوها فى أواخر القرن الثانى . وانظر «نهاية الأرب للنويرى ٥ : ٢٢» .

سبب تعلمه الغناء

حدثني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدّثنا عليُّ بنُ يحيَى المنجّم ، قال : حدّثني عبد الله ابنُ العبّاس الربيعيُّ قال :

كان سَبَبَ دخولي في الغِناء وتَعلُّمِي إياه أنّي كنتُ أهوَى جاريةً لعمّتي رُقيّة بنتِ الفَضْل بنِ الرّبيع ، فكنتُ لا أقدِر على ملازمتها والجلوسِ معها خوفاً من أن يَظْهر مالها عندي فيكونُ ذلك سببَ مَنعِي منها ، فأظهرتُ لعمّتي أنني أشتَهِي أن أتعلّم الغِناء ويكون ذلك في سِتْرٍ عن جدّي ، وكان جدّي وعمّتي في حالٍ من الرِّقّة عليّ والمَحبّة لي لا نِهايةَ وراءها ، لأنّ أبي تُوفِّي في حياة جدّي الفَضْل ، فقالت : يا بُنَيّ ، وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شَهْوة غَلَبت على قَلْبي إن مُنِعتُ منها مُتُّ غمّاً ، وكان لي في الغناء طَبْعٌ قَوِيّ ، فقالت لي : أنت أعلمُ وما تَختاره ، والله ما أُحِبّ منعَك من شيء ، وإني لكارِهة أن تَحذِق ذلك وتُشْهَر به فتَسْقُط ويَفْتَضِح أبوك وجدُّك ، فقلت : لا تخافي ذلك ، فإنما آخُذُ منه مِقْدارَ ما أَلْهو به ، ولازَمْتُ الجارية لمحبّتي إيّاها بعِلّة الغناء ، فكنتُ آخُذُ عنها وعن صواحباتها حتى تقدّمتُ الجماعة حِذْقاً ، وأقرَرْنَ لي بذلك ، وبلغتُ ما كنتُ أُريد من أمر الجارية ، وصِرْت أُلازِم مَجلسَ جدّي فكان يُسَرُّ بذلك ويَظُنُّه تَقرُّباً مني إليه ، وإنما كان وَكْدي فيه أَخْذَ الغِناء ، فلم يكن يمرُّ لإسحاق ولا لابْنِ جامِع ولا للزُّبَيْر بن دُحْمان ولا لغيرهم صَوتٌ إلا أخذتُه ، فكنت سريعَ الأخذِ ، وإنما كنتُ أَسمَعُه مرّتين أو ثلاثاً ، وقد صَحّ لي وأحسَسْت من نفسِي قُوّةً في الصِّناعة ، فصنَعْتُ أولَ صَوْت صنَعْتُه في شِعْر العَرْجِيّ :

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأدنت على الخدَّين بُرْداً مُهَلْهَلا

ثم صنعت في :

أَقْفَر من بَعْد خُلّةٍ سَرِفُ ... فالمُنْحَنَى فالعَقيقُ فالجُرُفُ[1]

(١) سرف والمنحنى والعقيق والجرف : مواضع . وفي ب : «من بعد حلة» .

وعَرَضْتُهما على الجارِية التى كنت أهواها وسألتُها عمّا عندها فيهما ، فقالت : لا يَجُوزُ أن يكونَ فى الصَّنْعة شىءٌ فوق هذا ، وكان جَوارِى الحارثِ بنِ بُسْخُنَّر[1] (١٢٣ / ١٧) وجوارِى ابنهِ محمد يَدْخُلْن إلى دارِنا فيَطْرَحْن على جَوارِى عَمّى وجَوارِى جَدِّى ويأخُذْنَ أيضاً مِنِّى ما ليس عندهن من غِناء دارِنا ، فسَمِعْنَنى أُلقِى هذين الصَّوْتين على الجارية ، فأخذْنَهما مِنِّى وسألن الجاريةَ عنهما ، فأَخبرتهن أنَّهما من صَنْعتى ، فسألْنها أن تُصَحِّحَهما لهنّ ، فَفَعلَتْ فأخذْنَهما عنها ، ثم اشتهر حتى غُنِّىَ الرَّشيدُ بهما يوما ، فاستَظْرَفهما وسأل إسحاقَ : هل تَعْرِفهما ؟ فقال : لا ، وإنّهما لمن حسن الصَّنْعة وجَيِّدها ومُتقَنِها ، ثم سأل الجاريةَ عنهما فتوقَّفَتْ خوفاً من عَمِّى وحذَراً أن يبلُغ جَدّى أنها ذكرتْنى ، فانتهرَها الرشيد ، فأخبرته بالقصة ، فوجّه من وقته فدعا بجَدِّى ، فلما أحضره قال له : يا فضل ، يكونُ لك ابنٌ يغَنِّى ثم يبلغ فى الغِناء المَبْلغ الذى يُمكِنه معه أن يَصْنع صوتَيْن يستَحْسِنهما إسحاقُ وسائر المُغَنِّين ويتداوَلُهما جَوارِى القِيان ولا تُعلِمُنى بذلك ؟ كأنك رفعتَ قَدرَه عن خِدمَتى فى هذا الشأن ! فقال له جَدّى : وحَقّ ولائك يا أميرَ المؤمنين ونِعمتِك ، وإلّا فأنا نَفِىٌّ منهما برىء من بَيْعَتك[2] وعلىّ العَهْد والمِيثاق والعِتْق والطَّلاق ، إن كنتُ عَلِمْتُ بشىء من هذا قَطّ إلا منك السَّاعة ، فمَنْ هذا مِنْ ولدى ؟ قال : عبدُ الله بنُ العبّاس هو ، فأحضِرْنيه السّاعة . فجاء جَدّى وهو يكاد أن ينْشَقّ غيظًا ، فدعانى ، فلمّا خرجتُ إليه شتَمنى وقال : يا كَلْب ، بلَغ مِن أمْرِك ومِقدارِك أن تجسُر على أن تتعَلّم الغِناء بغَير إذْنى ، ثم زاد ذلك حتى صَنعتَ ، ولم تَقنَع بهذا حتى أَلقَيتَ صَنعتك على الجوارِى فى دارى ، ثم تجاوَزْتَهن إلى جَوارِى الحارث ابن بُسْخُنّر ، فاشتهرْتَ وبلغ أمرُك أميرَ المؤمنين ، فتنكّر لى ولامنى وفضحْتَ آباءك

جدّى ينفى معرفته بأنه يغنى

(١) ب : «وبشخير» .
(٢) ف : «برىء من تبعتك» .

فى قُبورِهم ، وسقَطْتَ الأبدَ إلا من المُغَنِّين وطبقة الخُنْيا كَرِين[1] . فبكَيتُ غمًّا بما جرى ، وعَلِمتُ أنه قد صَدَق ، فرحمنى وضَمَّنى إليه وقال : قد صارَت الآن مُصيبَتى فى أبيك مصيبَتَيْن : إحداهما به وقد مضى وفات ، والأخرى بك وهى موصولة بحياتى ، ومصيبة باقيةُ العارِ علىَّ وعلى أهْلِى بعدِى ، وبكى وقال : عزَّ علىَّ يابنىَّ أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أُحِبّ ، وليست لى فى هذا الأمرِ حِيلَة ، لأنّه أمرٌ قد خرج عن يدى ، ثم قال : جِئْنى بعُودٍ حتى أسمعك وأنظُر كيف أنت ، فإن كنت تصلُح للخِدْمة فى هذه الفَضِيحة ، وإلا جئته بك منفرداً وعرَّفتُه خبرَك واستَعْفَيْته لك ، فأتيتُه بعُودٍ وغَنَّيْتُه غناء قديماً ، فقال : لا ، بل غَنِّ صوتيك اللذين صنعتَهما ، فغَنَّيتُه إيَّاهما فاستَحْسَنَهما وبكى ، ثم قال : بَطَلْتَ والله يا بُنَىَّ وخاب أملى فيك ، فواحَزَنى عليك وعلى أبيك ! فقلت له : ياسيّدى ، ليتنى مِتُّ من قبل ما أنكرته أو خَرِسْتُ ، ومالى حِيلَة ولكنّى وحَياتِك يا سَيِّدى ، وإلا فعَلَىَّ عهدُ الله وميثاقه والعِتْق والطَّلاقُ وكلُّ يمين يَحْلِف بها حالِف لازِمةٌ لى ، لاغَنَّيتُ أبداً إلا لخَليفة أو وَلِىِّ عَهْد ، فقال : قد أحسنْتَ فيما نبَّهت[2] عليه من هذا .

ثم رَكِب وأمرنى ، فأُحضِرت فوقَفت بين يدَى الرَّشيد وأنا أُرعَد فاستَدْنانى حتى صرت أقربَ الجاعة إليه ومازَحَنى وأقبل علىَّ وسَكَّن مِنّى ، وأمرجَدِّى بالانصراف وأمر الجماعة تحدَّثُونى[3] ، وسُقِيتُ أقداحا وغَنّى المُغَنُّون جميعاً ، فأومأ إلىَّ إسحاقُ الموصلِىُّ بعَيْنه أن ابدأْ فغَنِّ إذا بلَغَت النَّوبةُ إليك قبل أن تُؤْمَر بذلك ، ليكون ذلك أصلحَ وأجودَ بك ، فلما جاءت النَّوبةُ إلىَّ أخذتُ عُوداً ممّن كان إلى جنبى وقمت قائما واستأذَنتُ فى الغِناء ، فضَحِك الرشيد وقال : غَنِّ جالِساً ، فجلَسْت وغَنَّيت لحنى الأوّل

غنى أمام الرشيد فطرب وكافأه وكساه

١٢٤
١٧

---

(١) خنياكر : كلمة فارسية بمعنى المطرب والموسيقىّ .

(٢) ف : « تنبهت عليه من هذا » .

(٣) ف ، المختار : « وأومأ إلى الجماعة فخدمونى » .

فطرب واستعاده ثلاثَ مرّات ، وشرب عليه ثلاثة أنْصاف ، ثم غنَّيتُ الثانى ، فكانت هذه حاله ، وسَكِر ، فدعا بمَسْرُور فقال له : احمِل السّاعةَ مع عبد الله عَشْرَة آلافِ دينار وثلاثين ثَوبًا من فاخر ثيابى ، وعَيْبةً مملوءة طِيبًا ، تُحمل ذلك أجمَع معى .

المعتصم يأمره بالتكفير عن يمينه والغناء لأصحابه جميعا

قال عبدُ الله : ولم أزَل كُلَّما أراد ولىُّ عَهْد أن يعلَم مَن الخليفة بعْد الخليفة الوالى أهُو أم غيره دعانى فأمرنى بأن أغَنِّى ، فأعرّفه بيمينى ، فيَسْتأذِن الخليفَة فى ذلك ، فإن أذن لى فى الغناء عنده عرف أنه وَلِىُّ عَهْد ، وإلاّ عرَف أنه غيرُه حتى كان آخرهم الواثق ، فدعانى فى أيّام المُعتَصِم وسأله أن يأذَن لى فى الغِناء ، فأذِن لى ، ثم دعانى من الغَدِ فقال : ما كان غِناؤُك إلا سَبَبًا لظُهور سِرّى وسِرّ الخلفاء قَبْلى ، ولقد هَمَمْتُ أن آمرَ بضَرْب رَقَبتك . لا يبلُغنى أنَّك امتنَعْتَ من الغِناء عند أحد ، فو الله لئن بَلَغنى لأقتُلَنّك ، فأعتِقْ مَنْ كنتَ تملِكه يوم حَلَفْت ، وطَلِّق مَنْ كان يوجد عندك من الحرائر ، واستبدِل بهنّ وعلىّ العِوَض من ذلك ، وأرِحْنا من يمينك هذه المشئومة ، فقمتُ وأنا لا أعقِل خوفًا منه ، فأعتَقْتُ جميعَ مَنْ كان بَقِى عندى من مماليكى ، الذين حَلَفْتُ يومئذ وهم فى مِلْكى ، وتصدّقت بجُملة ، واستفتَيْت فى يمينى أبا يوسُف القاضى حتى خَرَجْت منها ، وغنّيت بعد ذلك إخوانى جميعًا حتى اشتهر أمْرِى ، وبلغ المُعْتَصِم خَبَرى ، فتخَلَّصت منه ، ثم غَضِب علىّ الواثقُ لشىء أنكَره ، ووَلِىَ الخلافةَ وهو ساخِطٌ علىّ فكتبتُ إليه :

اذكُرْ أميرَ المؤمنين وسائلى[1] أيّامَ أرهَبُ سَطْوةَ السَّيْفِ
أدعُو إلهى أن أراكَ خليفةً بين المقام ومسجد الخَيْفِ

فدعانى ورَضِى عَنِّى .

(١) المختار : «رسائل» .

حدّثنى سُليمانُ بن أبى شَيخ قال :

دخلتُ على العبّاس بنِ الفَضل بن الربيع ذات يوم وهو مُختَلِط مُغْتاظ وابنُه عبدُ الله عنده ، فقلت له : مالك أمتَع اللهُ بك ؟ قال: لا يُفلِح والله ابنى عبدُ الله أبدًا. فظنَنْتُه قد جَنى جِنايةً ، وجعَلت أعتَذِر إليـه له ، فقال : ذنبُه أعظَمُ من ذلك وأشنَع ، فقلت : وما ذَنْبه ؟ قال : جاءنى بعضُ غلمانى فحدّثنى أنه رآه بقُطْرُبُّل يشرب نَبيذَ الدّاذِىّ[1] بغير غناء ، فهل هـذا فِعْل من يُفلح ؟ فقلت له وأنا أضحك : سهّلتَ علىّ القِصّة ، قال : لا تقُل ذاك فإنّ هذا من ضَعَةِ النّفْس وسُقُوط الهِمّة ، فكنتُ إذا رأيتُ عبدَ الله بعد ذلك فى جُمْـلة المُغَنّين ، وشاهَدْتُ تبذُّلَه فى هذه الحال وانحِطاطَه عن مراتب أهلِه تذكّرتُ قولَ أبيه فيه .

صنع غناء فى شعر لأبى العتاهية وغناه

قال : وسمِعتُه يوما يغنى بصَنْعَتِه فى شِعْر أبى العتاهِية :

صوت

أنا عبدٌ لها مُقِرٌّ وما يَمْـــلِك غيرُها من النّاس رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أرْ زق منها والحمدُ لله عِتْقا
ليتَنى مُتُّ فاستَرَحْتُ فإنّى أبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقّى

١٢٥ / ١٧

لَحْن عبدِ الله بنِ العبّاس فى هذا الشّعر رمل .

أخبرنى جعفرُ بنُ قدامة قال : حدّثنى علىُّ بنُ يحيى وأحمدُ بن حَمْدون ، عن أبيه . وأخبرنى جَحْظَةُ عن أبى عبد الله الهاشمىّ ، أنّ إسحاقَ المَوْصلىّ دخل يوما إلى الفضل

(١) الداذى : شراب الفساق . وفى ف : «يشرب الداذىّ» .

إسحاق الموصلى يصنع له لحنا من شعره

ابن الرّبيع وابن ابنه عبدُ الله بنُ العبّاس فى حِجره قد أُخرج إليه وله نحو السَّنَتَين ، وأبوه العبّاس واقف بين يدَيْه ، فقال إسحاقُ للوقت :

مَدّ لك اللهُ الحيــاةَ مَدّا حتى يكونَ ابنُكَ هــذا جَدّا
مؤَزَّرا بمَجْده مُرَدّى ثم يُفدّى مثلَ ما تُفدّى
أشْبَهَ منك سُنّةً(١) وخَدّا وشِيَماً محمودةً ومَجْــدا
* كأنّه أنتَ إذا تَبَدّى *

قال : فاستحْسن الفَضلُ الأبيات وصنع فيها إسحاقُ لحنَه المشهور ، وقال جَحْظة فى خبره عن الهاشمىّ ، وهو رمل ظريف من حسَن الأرمال ومُخْتارها ، فأمر له الفَضلُ بثلاثين ألف دِرْهم .

أصبح العباس ابن الفضل مهموما فنشطه الشعر والشراب

أخبرنى جعفَرُ بن قُدامةَ قال : حدّثنى عبدُ الله بنُ عمر قال : حدّثنى محمدُ بنُ عبد اللهِ بنِ مالك ، قال :

حدّثنى بعضُ نُدَماء الفضل بن الربيع قال : كنا عند الفضل بن الربيع فى يوم دَجْن ، والسماء تَرُشّ(٢) وهو أحسنُ يوم وأطيَبُه ، وكان العبّاس يومئذ قد أصبَح مَهموما ، فجهِدنا أن ينشَط ، فلم تكُن لنا فى ذلك حِيلَة ، فبينَا نحن كذلك إذ دَخل عليه بعضُ الشعراء ، إمّا الرَّقاشِىّ وإمّا غيرُه من طَبَقته ، فسلّم وأخذ بعِضادتى الباب ثم قال :

ألا انْعِم صَباحا ياأبا الفَضْل(٣) واربَع على مربع القُطرُبُلّىّ المُشَعْشِعِ
وعلّل نَداماكَ العِطاشَ بقَهْوةٍ لها مصرعٌ فى القَوْم غيرُ مروَّعِ
فإنك لاقٍ كُلَّما شئتَ لَيْلةً ويوما يُغِصّان الجفونَ بأَدْمُعِ

(١) السنة : الوجه أو الجبهة .
(٢) ف : «تطش» . وفى مد : «تبغش» . وفى مى : «تبغر» .
(٣) ت : «أيها الفضل» .

قال : فبكى العبّاس وقال : صدَقتَ والله ، إن الإنسان ليَلْقَى ذلك متى يشاء ، ثم دَعَا بالطّعام فأَكَل ، ثم دعا بالشّراب فشَرِب ونَشِط ، ومرّ لنا يومٌ حسَنٌ طَيِّب.

وسط أحمد بن المرزبان عند المنتصر

حدّثنى عمِّى قال : حدّثنى أحمدُ بنُ المرزبان ، قال :

جاءنى عبدُ الله بنُ العبّاس فى خِلافةِ المُنْتَصر وقد سألنى عَرْضَ رُقْعَة عليه ، فأُعلِم أنّى نائمٌ ، وقد كنتُ شَرِبت باللّيل شُرْباً كثيراً ، فصَلّيْت الغَداة ونمت ، فلما انتبهتُ إذا رُقعَة عند رَأْسى وفيها مكتوب :

أنا بالبابِ واقفٌ مُنْذ أصبحْـــتُ على السّرج مُمْسِكٌ بعِنانِى
وبعين البوّابِ كلُّ الذى بى ويَرانى كأنّه لا يَرانى

فأمرتُ بإدْخاله ، فدَخَل ، فعرّفتهُ خـبرى واعتذَرتُ إليه وعرضْتُ رقعتَه على المُنْتَصِر وكلّمتُه حتى قضَى حاجَته .

غناؤه مع إسحاق

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد بن أبى الأزْهر قال : حدثنا حمّادُ بنُ إسحاق قال :

دعا عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعىُّ يوما أبى ، وسأله أن يُبكِر إليه[1] فَفَعل ، فلما دَخل بادر إليه عبدُ الله بنُ العبّاس مُلتَقيا وفى يَدِه العُود وغنّاه :

قُم نَصْطَبِـح يفديك كلُّ مُبَخِّلٍ عاب[2] الصَّبوحَ لحُبّه للمالِ
من قَهْوةٍ صفراءَ صِرْفٍ[3] مُزّةٍ قد عُتِّقَت فى الدَّنِّ مُذْ أحوالِ

قال : وقدِّم الطّعامُ فأكلنا واصطبَحْنا ، واقترح أبى هذا الصّوتَ عليه بقيّة يومه .

١٢٦/١٧

(١) ب : « يبكر عليه » .
(٢) ب : « دأب الصبوح » .
(٣) ب : « صفر مرة » .

تناشد الشعر مع إسحاق بعد أن غنى

قال : وأتيتُه فى داره بالمَطِيرة(١) عائداً ، فوجدتُه فى عافية ، فجلسنا نتحدّثُ فأنشدْتُه لذى الرُّمّة :

إذا ما امرؤٌ حاولْنَ أن يَقْتَتِلْنَه ... بلا إحْنَةٍ بين النفوس ولا ذَحْلِ
تبسَّمْنَ عن نَوْر الأقاحِىّ فى الثَّرَى ... وفَتَّرن عن أبصار مَكْحُولةٍ نُجْلِ
وكَشَّفْن عن أجياد غِزْلان رَمْلةٍ ... هِجانٍ فكان القَتْلَ أوشِبْهَة(٢) القَتْلِ
وإنّا لَنَرضَى حين نَشْكُو بخَلْوةٍ ... إليهن حاجاتِ النفوس بلا بَذْلِ
وما الفَقْرُ أزرَى عندهنّ بوصْلِنا ... ولكن جرَت أخلاقُهنّ على البُخْلِ

قال : فأنشدَنِى هو :

أنّى اهتدَتْ لمُناخِنا(٣) جُمْلُ ... ومن الكرى لعُيونِنا كُحْلُ
طرقَتْ أخَا سَفَرٍ وناجِيةً ... خرقاء عرّقَى بها الرّحلُ(٤)
فى مَهْمَهٍ هَجَع الدّليلُ به ... وتَمَلْمَلَتْ بصَرِيفها البزْلُ(٥)
فكأنَّ أحدثَ مَنْ أَلَمَّ به ... دَرَجَت على آثارِه النَّمْلُ

قال إسحاق : فقال لى عبدُ الله بنُ العبّاس : كلُّ ما يَملك فى سبيل الله إن فارقْتُك ولم نَصْطَبِح على هذين الشِّعْرَين ، وأُنشِدُك وتُنْشِدُنى ، ففَعَلْنا ذلك وما غنَّيْنا ولا غُنِّينا .

أخبرنى محمدُ بن مَزْيد قال : حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال :

(١) المطيرة : قرية من نواحى سامراء ، كانت من متنزهات بغداد وسامراء .
(٢) ف : «أو شبه» . وفى مى ، مد : «مشبه القتل» .
(٣) المناخ : محل الإقامة .
(٤) ف ، مد : «عرق نيّها الرحل» . وفى مى : «عرق قتبها» . والناجية : الناقة السريعة .
(٥) المهمه : المفازة البعيدة . والصريف : صرير ناب البعير . والبزل جمع بازل ، وهو البعير الذى انشق نابه بدخوله فى السنة التاسعة .

اصطبح مع خادم صالح بن عجيف على زنا بنت الحسن

لقيتُ عبدَ الله بنَ العَباسِ يوماً فى الطّريق فقلتُ له : ما كان خَبَرُك أمس ؟ فقال : اصْطحبتُ ، فقلت : على ماذا ومع مَنْ ؟ فقال : مع خادم صالِح بنِ عُجَيْف ، وأنت به عارِف ، وبخَبرى معه ومحبّتى له عالم ، فاصطبَحْنا على زِنا بِنْت الخُسّ (١) لمَّا حَمَلتْ من زِنًا ، وقد سُئِلت : ممَّن حَمَلت ؟ فقالت :

أشمُّ كغُصْن البان جَعدٌ مرجّلٌ ... شُغِفْتُ به لوكان شَيئًا مُدانيا
ثَكِلتُ أبى إن كُنتُ ذُقْتُ كَرِيقِه ... سُلافًا ولا عَذْبًا من الماء صافيا (٢)
وأُقسِم لو خُيِّرتُ بين فِراقِه ... وبينَ أبى لاختَرْتُ أن لا أبا ليا
فإن لم أُوسِّد ساعِدى بَعْد هَجْعةٍ (٣) ... غُلاماً هلاليًّا فشُلَّت بنانيا (٤)

فقلتُ له : أقمتَ على لِواطٍ وشربتَ على زِنا ، والله ماسبَقَك إلى هذا أحد .

أخبرنى محمدُ بنُ العبّاس اليزيدىّ قال : أخبرنى مَيمُون بنُ هارون قال :

طلب من فائز غلام محمد بن راشد الغناء وهم يشربون

كان محمدُ بنُ راشد الخنّاق عند عبد الله بنِ العبَّاس بن الفضْل بنِ الرَّبيع على القاطُول فى أيام المُعْتَصِم ، وكان لمحمد بن راشِد غُلامٌ يقال له : فائز ، يُغنِّى غِناءً حسنًا ، فأظلَّتْهم سَحابةٌ وهم يشربون ، فقال عبدُ الله بنُ العبّاس :

محمدُ قد جادتْ علينا بمائِها ... سحابةُ مُزنٍ بَرقُها يتهلَّلُ
ونحن من القاطُولِ فى مُتَربَّعٍ ... ومنزِلُنا فيه المَنابتُ مُبقِلُ (٥)
فمُر فائزاً يشدُو إذا ما سَقَيْتَنِى ... أعن ظُعن الحىّ الألَى كُنتَ تَسألُ
ولا تَسقِنى إلا حلالًا فإنَّنِى ... أعافُ من الأشياء مالا يُحلَّلُ

(١) ب : «الحسن» . وفى ى ، مد : « الخنس » .
(٢) ف : «سلافا ولا ماء من المزن صافيا » . (٣) ف : «بعد رقدة» .
(٤) المختار : « فشلت يمينيا » .
(٥) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وكان فى موضع سامراء قبل أن تعمر وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . (معجم البلدان) . وفى ب : « ومنزلنا جم المذانب مبقل » .

١٢٧
١٧ قال : فأمر محمدُ بنُ راشدٍ غلامَه فائزًا ، فغنَّاه بهذا الصوت ، وشَرِب عليه حتى سَكِر .

قال : وكان أبو أحمد بن الرّشيد قد عَشِق فائزاً ، فاشْتَراه من محمد بن راشد بثلاثمائة ألف دِرْهم ، فبلغ ذلك المأمونَ ، فأمَر بأن يُضْرب محمدُ بن راشد ألف سَوْطٍ ، ثم سُئِل فيه فـكَفَّ عنه ، وارتجَع منه نِصْفَ المال ، وطالبَه بأكثَر فوجدَه قد أنفَقَه وقَضى دَيْنَه ، ثم حَجَر على أبى أحمد بن الرّشيد ، فلم يَزَل مَحجُوراً عليه طَوال أيام المأمون ؛ وكان أمرُ مالِه مَرْدُوداً إلى مَخْلَد بن أبان .

شرب الخمر فى ليلة من رمضان إلى الفجر

أخبرنى الحسَنُ بنُ علىّ قال : حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه ، قال : أخبرَنى ابنُ الْجرجَانى[1] قال :

اتفَق يوم النيروز فى شَهْر رمضان ، فشَربَ عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضْل فى تلك اللّيلة إلى أن بَدا الفَجْر أن يَطْلُع ، وقال فى ذلك وغـنّى فيه قوله :

اسقِنى صفراءَ صافيةً ليلةَ النَّيْروزِ والأحدِ
حرّمَ الصَّوْمُ اصطباحَـكُما فتزوَّد شُرْبَها لغَـدِ

صنع لحنا للواثق وغناه فى يوم نيروز فلم يستعد غيره

أخبرنى عَمِّى قال : حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال : حدّثنى إبراهيم بن المُـدبِّر قال :

قال لى محمدُ بنُ الفَضل الجرجانىّ : أنشدتُ عبدَ الله بنَ العبّاس الربيعِىّ للمُعَلَّى الطائىّ :

باكِرْ صَبوحَكَ صَبْحَةَ النَّيْروزِ واشرَبْ بكـأسٍ مُتْرَعٍ وبِكوزِ
ضَحِك الربيعُ إليك عن نُوّارِه آسٍ ونِسْرِينٍ ومَرْماحُوزِ

فاستعادَنيهما فأعدتُهما عليه ، وسألنى أن أُمليَهما ، وصنَع فيهما لَحْنًا غـنّى به الواثقَ فى يوم نَيْروز ، فلم يستَعِد غيرَه يومئذ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

(١) ف : «ابن الجرجرانى» .

تأثر من شعر لجميل إلى أن بكى

أخبرنى جعفر بنُ قُدامة قال : حدّثنى علىُّ بنُ يحيى قال :

أنشدنى عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضل بن الرّبيع لجميل ، وأنشدَنيه وهو يَبْكى ودموعُه تنحَدِر على لحيتِه .

صوت

فما لكِ لما خبَّر الناسُ أنّنى غَدَرتُ بظَهْر الغيب لم تَسَلِينى[1]
فأحلِف بَتًّا أو أجىء بِشاهدٍ من الناس عَدْلٍ إنّهم ظَلَمُونى

قال : وله فيه صَنْعَة من خفيف الثّقيل وخفيف الرمل .

كان مصطبحا دهره ويقول الشعر فى الصبوح

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى عبيد الله بنُ محمد بن عبد المَلك الزّيات قال : حدّثنا نافذٌ مولانا قال :

كان عبدُ الله بنُ العبّاس صديقاً لأبيك ، وكان يُعاشِره كثيراً ، وكان عبدُ الله بن العباس مُصْطبِحًا دهرَه لا يفوتُه ذلك إلّا فى يوم جُمُعة أو صَوْم شَهْر رمضان ، وكان يُكثِر المدْحَ للصَّبوح ويقول الشِّعر فيه ، ويغنِّى فيما يقوله ، قال عبيد الله : فأنشدَنى نافذٌ مولانا وغيره من أصحابنا فى ذلك ، منهم حَمّاد بن إسحاق :

صوت

ومُسْتَطيلٍ على الصَّهْباء باكرها فى فِتْيةٍ باصْطِباح الرّاح حُذّاقِ
فكلُّ شىء رآه خالَه[2] قدحًا وكلُّ شَخص رآه خالَه[2] الساقى

١٢٨ / ١٧

قال : ولَحْنه فيه خفيف رمل ثقيل . قال حمّاد : وكان أبى يَسْتَجيد هذا الصّوْت من صنعَتِه ، ويستَحْسِن شِعرَه ويعجَب من قوْله :

---

(١) ب : «لم تسأليني» ، وهو بذلك يختل وزنه .

(٢) التجريد : «ظنه» .

فكُلُّ شَىْءٍ رآه خالَه قدحًا وكُلّ شَخْصٍ رآه خالَه السّاقِى

ويعجب من قوله :

* ومُسْتَطِيل على الصَّهْبَاءِ باكَرَها *

ويقول : وأىُّ شَىْءٍ تَحْتَه من المعانى الظريفة !

قال : وسَمِعه أبى يغنّيه فقال له : كأنّك والله يا عبدَ الله خَطِيبٌ يخطب على المِنبر ، قال عبد الله بنُ محمد : فأنشدنى حمّادٌ له فى الصَّبوح :

لا تعذِلَنْ فى صَبُوحِى فالعَيش شُرْبُ الصَّبُوحِ
ما عابَ مُصْطَبِحًا قَطّ غَيْرُ وَغْدٍ شَحِيحِ

قال عَمّى : قال عبيد الله : دخل يومًا عبدُ الله بنُ العبّاس الرَّبيعىُّ على أبى مُسْلِمٍ ، فلما استقرّ به المجلس وتحادثا ساعة قال له : أنشِدنى شَيْئًا من شِعرك ، فقال : إنما أعبث ولستُ مِمّن يقدُم عليك بإنشاد شِعْره ، فقال : أتقولُ هذا وأنت القائل :

ياشادِنًا رامَ إذ مرّ فى الشّعانين قَتْلِى
تقول لى : كَيفَ أصبحْت ؟ كَيفَ يُصْبِح مِثْلِى!

أنتَ واللهِ أعزّك اللهُ أغزلُ الناس وأرقّهم شِعراً ، ولو لم تَقُل غيرَ هذا البيت الواحد لكفاك ولكُنتَ شاعراً .

كتب شعرا فى ليلة مقمرة وصنع فيه لحنا

أخبرنى عمّى والحُسَيْن بن القاسم الكوكبىّ قالا : حدّثنا أحمدُ بنُ أبى طاهر قال : حدّثنى أحمدُ بن الحُسَين الهِشامِىّ[1] أبو عبد الله قال :

حدّثنى عبدُ الله بنُ العبّاس بنِ الفَضْل بنِ الرّبيع قال :

(١) ف : «الهاشمى» .

كنتُ جالساً على دِجْلةَ فى لَيْلة من الّليالى ، وأخذتُ دَواةً وقِرطاسًا وكتبتُ شِعْرا حَضَرنى وقُلْتُه فى ذلك الوَقت :

صوت

أخلفَكَ الدهرُ ما تنظّرُه فاصبِر فذاجُلّ أمْرِ ذا القَدَرِ[1]
لَعلّنا أن نُديل من زَمَنٍ[2] فرّقنا والزّمانُ ذُو غِيَرِ

قال : ثم أُرتِجَ علىّ فلم أدْرِ ما أقول حتى يَئِسْت من أن يَجيئَنى شيْءٌ ، فالتفَتُّ فرأيتُ القمر وكانت ليلة تَتِمَّتِه فقلت :

فانظُر إلى البَدْر فهو يُشبِهُه إن كان قد ضَنَّ عنك بالنَّظَر

ثم صنعت فيه لَحْناً من الثّقيل الثانى . قال أبو عبد الله الهشامىّ : وهو والله صوت حَسَن .

وصف البرق وصنع فيه لحنا غناه للواثق

أخبرنى جَحْظَةُ عن ابنِ حَمْدون ، وأخبرنى به السكوكَبىّ عن علىّ بنِ محمد بنِ نَصْر ، عن خالد بن حَمْدون قال :

كنّا عند الواثِق فى يوم دَجْن ، فلاح بَرْق واستَطار ، فقال : لو فى هذا شَىء[3] ، فبدَرَهم عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع ، فقال هَذَيْن البيتَيْن .

أعنّى على لامِعٍ بارِقٍ خفِيٍّ كلَحْك بالحاجبِ
كأنّ تألّقَه فى السَّماء يَدا كاتبٍ أو يَدا حاسِبِ

---

(١) ف : «فاصبر فهذى جرائر القدر» .
(٢) أدال الله بنى فلان من عدوهم : جعل الكرة لهم عليه . وفى ف : « لعلنا أن نُدال » .
(٣) ف : «قولوا فى هذا شيئا» . وفى ى ، مد : «لو أن فى هذا شيئا» .

وصنع فيه لَحْنًا شَرِب فيه الواثقُ بقيَّةَ يومه، واستَحْسَن شعرَه ومعناه وصَنْعته، ووصل عبد الله بصلةٍ سَنِيَّة .

١٢٩ / ١٧

صنع لحنا فى شعر الحسين بن الضحاك وغناه

حدَّثنى عَمِّى قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال : حدَّثنى محمدُ بن محمد ابن مروان قال : حدَّثنى الحُسَين بنُ الضَّحَّاك قال :

كنتُ عند عبد الله بن العبّاس بنِ الفضْل بن الرَّبيع، وهو مُصْطَبِح ، وخادمٌ له قائمٌ يَسْقِيه فقال لى : يا أبا علىّ ، قد استحْسنتُ سَقْىَ هذا الخادم ، فإن حَضَرك شىءٌ فى قِصَّتِنا هذه فقل ، فقلت :

أحيَتْ صَبوحِى فُكاهةُ اللّاهى ... وطاب يومى بقُرْب أشْباهى
فاستَثِر اللهوَ من مَكامِنه ... من قبل يومٍ مُنغِّصٍ ناهى
بابنة كَرْمٍ من كفِّ مُنْتَطِقٍ ... مُؤتزرٍ بالمُجونِ تيّاهِ
يَسقِيك من طَرْفِه ومن يَدِه[1] ... سَقْىَ لطيفٍ مُجرِّبٍ داهى
طاسًا وكاسًا[2] كأنّ شاربَها ... حَيرانُ بين الذُّكورِ والسّاهى

فاستحْسَنه عبدُ الله ، وغنّى فيه لَحْنًا مليحًا ، وشَرِبْنا عليه بَقِيَّه يومنا .

قصته مع جارية نصرانية أحبها

أخبرنى عَمِّى، قال : حدّثنا أبو عبد الله أحمدُ بنُ المَرْزُبان بنِ الفَيْرزان[3] قال : حدّثنى شَيْبَة بنُ هشام ، قال :

كان عبدُ الله بنُ العَبّاس بنِ الفضْل بن الرَّبيع قد عَلِق جاريةً نصرانيّةً قد رآها فى بعض أعيادِ النّصارى ، فكان لا يُفارِق البِيَع فى أعيادِهم شَغَفًا بها ، فخرج فى عيد ما سَرْجِيس فظَفِر بها فى بُستان إلى جانب البِيعَة ، وقد كان قبل ذلك يُراسِلها ويعرّفها حُبّه لها ، فلا تَقْدِر على مُواصَلَته ولا على لقائه إلا على الطّريق ، فلما ظَفِر بها التَوَتْ عليه

(١) ف : « يسقيك من عينه ومن يده » .
(٢) ف : « كاسا وكاسا » .
(٣) ف : « المرزبان بن الفيروزان » .

وأبتْ بَعضَ الإباء، ثم ظَهَرتْ له وجَلستْ معه ، وأَكلُوا وشَرِبوا ، وأقام معها ومع نِسْوة كُنّ معها أُسبوعًا ، ثم انصرفَت فى يوم خَمِيس ، فقال عبدُالله بنُ العَبّاس فى ذلك وغنّى فيه :

رُبَّ صَهْباءَ من شَرابِ المَجُوسِ ... قهوةٍ بابِليَّـةٍ خَنْـدَرِيسِ
قد تَجَلَّيتُها بناىٍ وعُودٍ ... قبل ضربِ الشَّمّاس بالنّاقوسِ
وغزالٍ مُـكَحَّلٍ ذِى دلالٍ ... ساحرِ الطرْفِ سامِرِىٍّ عَرُوسِ
قد خَـلَوْنا بطِيبه نَجْتَلِيـــــه ... يوم سَبْتٍ إلى صَباحِ الخَمِيسِ
بين وَرْدٍ وبين آسٍ جَنِىٍّ ... وسط بُسْتان دَيْرِ ماسَرْجِيسِ
يَتَثَنّى بحُسْنِ جِيدِ غَزالٍ ... وصَلِيبٍ مُفَضَّضٍ آبَنُوسِى
كم لَثَمْتُ الصَّلِيبَ فى الجِيد منها ... كهِلالٍ مُـكَلَّلٍ بشُمُوسِ

تطير من الغراب واستبشر بالهدهد

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، عن شَيْبَةَ بنِ هشام ، قال : كان عبدُ الله بنُ العَبّاس يومًا جالسًا ينتظِر هذه النَّصرانيّةَ التى كان يَهواها ، وقد وعدَتْه بالزّيارة ، فهو جالس يَنْتظِرها ويتفقّدُها إذ سَقَط غُراب على بَرّادة[1] دارِه فنَعَب مَرّة واحدة ثم طار ، فتطيَّرَ عبدُ الله من ذلك ولم يَزَل ينتظرها يومه فلم يرها ، فأرسل رسولَه عِشاء[2] يسأل عنها ، فعُرِّف أنها قد انحدرَت مع أبيها[3] إلى بَغْداد ، فتنغّص عليه يَومُه ، وتفرّق مَنْ كان عنده ، ومكث مُدّة لا يعرف لها خَبَرًا . فبَيْنا هو جالس ذاتَ يوم مع أصحابِه ، إذ سَقَط هُدْهُد على برّادَتِه ، فصاح ثلاثة أصواتٍ وطار ، فقال عبدُ الله بنُ العَبّاس : وأىّ شىء أبقَى الغُرابُ للهُدْهد علينا ؟ وهل تَرَك لنا أحدًا يُؤْذِينـا بفِراقه ؟ وتطيَّر من ذلك ، فما فَرَغ من كلامه حتى دَخَل رَسولُها يُعلِمه أنهـا

١٣٠ / ١٧

(١) البرادة : شىء يتخذ فوق الدار توضع عليه أوانى الماء لتبرد .
(٢) ف : « فوجه برسوله عشيًا » .
(٣) ف : « مع أخيها » .

قد قدِمتْ منذ ثلاثة أيام، وأنها قد جاءته زائرةً على إثرِ رَسُولِها، فقال فى ذلك من وَقْتِه :

سقاكَ اللهُ ياهُدهــــدُ وَسْمِيًّا من القَطْرِ
كما بَشَّرتَ بالوَصْلِ وما أَنْذَرْت بالهَجْرِ
فـكمْ ذَالكَ من بُشْرَى أَتَتْنِى منك فى سِتْرِ
كما جاءت سُليمانَ فأوفت منه بالنّذْرِ
ولا زال غُرابُ البَيْــــنِ فى قُفّاعَة[1] الأسْرِ
كما صَرّح بالبَيْنِ وما كُنتُ به أَدْرِى

ولَحْنُه فى هذا الشِّعر هزج .

غنى المتوكل لحنا لم يعجبه فذكره بألحان له سابقة

حدّثَنِى عمّى قال : حدّثَنِى مَيْمونُ بنُ هارون قال : قال إسحاق بنُ إبراهيم ابن مُصعَب :

قال لى عبدُ الله بن العباس الربيعىّ : لمّا صنعْتُ لَحْنِى فى شعرى :

ألا اصبَحانى يوم السّمانينِ من قَهْوَةٍ عُتِّقَت بِكرْكِينِ[2]
عند أُناسٍ قَلبِى بهم كلِفٌ وإن تولَّوْا دِينًا سِوَى دِينِى
قد زَيّنَ المُلكَ جعفرٌ وحكى جُودَ أبيه وبأسَ هارونِ
وأمّنَ[3] الخائفَ البرىء كما أخافَ أهلَ الإلحاد فى الدِّينِ

دعانى المُتوكِّل، فلما جلست فى مَجْلس المُنادَمَة غنّيتُ هذا الصّوت فقال لى : يا عبدَ الله، أيْنَ غِناؤُكَ فى هذا الشعر فى أيّامى هذه من غنائك فى :

---

(١) القفاعة : شىء يتخذ من جريد النخل، ثم يرسل به على الصيد فيصاد .
(٢) كركين : من قرى بغداد (معجم ياقوت) . وفى ب : « بكرين » وهو تحريف .
(٣) ف : « وآنس الخائف » .

أماطَت كِساءَ الخزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِها وأدْنَتْ على الخَدَّيْن بُرْداً مُهَلْهَلا

ومن غنائِك فى :

أقفَر من بعد خُلَّةٍ سَرِفُ فالمُنْحَنَى فالعَقِيقُ فالجُرُفُ

ومن سائر صَنْعَتِك المُتَقَدِّمةالتى استفرَغْتَ محاسِنَك فيها ، فقلتُ له : يا أميرَالمؤمنين، إنِّى كُنتُ أتغنَّى فى هذه الأصواتِ ولِى شَبابٌ وطَرَب وعِشْق ، ولو رُدَّ علىَّ لغَنَّيتُ مثل ذلك الغِناء ، فأمر لى بجائزة واستَحْسَن قَوْلى .

غنى للمنتصر بشعر لم يطلبه منه فلم يصله بشيء

حدَّثنى عَمِّى قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان قال : حدثنى أبى ، قال : ذكَر المُنْتَصِرُ يومًا عبدَ الله بن العَبّاس وهو فى قَراح (١) النّرجس مُصْطَبِح ، فأحضره وقال له : يا عبدَ الله ، اصنَع لَحْنًا فى شِعْرِى الفُلانىّ وغَنِّنى به ، وكان عبد الله حلَف لا يُغَنِّى فى شِعْرِه ، فأطرَق مَلِيًّا ، ثم غَنَّى فى شعر قاله للوَقْت وهو :

ياطِيبَ يَوْمِى فى قراح النَّرجِس فى مَجْلِس مامِثْلُهُ مِنْ مَجْلِسِ!
تُسْقَى مُشَعْشَعَةً كأنَّ شُعاعَها نارٌ تُشَبُّ لِبائِسٍ مُسْتَقْبِسِ

قال : فجَهِد أبى بالمُنْتَصِر يوما واحْتال عليه بكُلِّ حِيلة أن يصِلَه بشىء فلم يفعَل .

غنى المتوكل فأطرب به وأمر له بجائزة

حدَّثَنى عَمِّى ، قال : حدَّثنى أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثنى أبى قال : غضِبَت قَبِيحةُ على المُتَوكِّل وهاجَرَتْه ، فجَلَس ودخل الجُلَساء والمُغَنُّون ، وكان فيهم عبدُ الله بنُ العَبَّاس الربيعىّ ، وكان قد عَرَف الخَبر ، فقال هذا الشِّعرَ وغَنَّى فيه :

لستَ مِنِّى ولستُ منك فدَعْنى وامْضِ عنّى مُصاحَبًا بسَلامِ (٢)

(١) القراح من كل شيء : الخالص .
(٢) ف : « يا حبيبى مصاحبا بسلام » .

لم تَجِد عِلّةً تَجَنَّى بها الذَّنْــبَ فصارَتْ تعتلُّ بالأحْلامِ

١٣١ / ١٧

فإذا ما شَكَوْتُ مابِىَ قالت: قد رأينا خِلافَ ذَا فى المَنامِ

قال: فطَرِب المُتَوكِّل وأمر له بعِشْرين ألف دِرْهم وقال له: إنّ فى حَياتك ياعبدالله لأُنْسًا وجَمالاً وبَقاء للمُروءة والظَّرْف.

غنى بشعر السليك

أخبرنى عَمِّى قال: حدّثنى أحمدُ بنُ المَرْزُبان قال: حدّثنى أبى قال: حدّثنى عبد الله بنُ العَبّاس الرَّبيعىّ قال:

كنتُ فى بعض العساكر فأصابَتْنا السَّماء حتى تأذَّيْنا، فَضُربت لى قُبّة تُرْكيّة، وطُرِح لى فيها سَرِيرانِ، فخطَرَ بقَلْبى قولُ السُّلَيْك:

صــوت

قَرِّب النَّحّام(١) واعجَل ياغُلامْ واطْرَحِ السَّرْجَ عليه واللِّجامْ
أَبلغِ(٢) الفِتْيَانَ أنّى خائِضٌ غمْرَةَ الضَّرْب فمَنْ شاء أَقامْ

فغَنّيْتُ فيه لَحْنِى المعروف، وغَدَوْنا فدخلْتُ مدينةً، فإذا أنا برَجُل يُغنّى به ووالله ماسَبَقَنى إليه أحد ولا سَمِعَه مِنّى أحد، فما أدْرِى مَنِ الرَّجُل، ولا مِن أيْنَ كان له، وما أرَى إلا أنّ الجِنَّ أوقعتْه فى لسانه!

غنى لمحمد بن الجهم فاحتمل خراجه فى سنة

حدّثنى عَمِّى، قال: حدّثنى أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: حدّثنى أبى، قال: حدّثنى عبدُ الله بنُ العَبّاس الرَّبيعىّ قال:

كنتُ عند محمد بنِ الجهْم البَرْمَكىّ بالأهواز، وكانت ضَيْعَتى فى يده، فغَنّيتُه فى يوم مهرجان وقد دعانا للشُّرب:

(١) النحام: اسم فرس.
(٢) ف: «أبلغ».

صـــوت

المِهرَجانُ ويومُ الاثنَـيْنِ   يومُ سُرورٍ قد حُفَّ بالزَّيْنِ[١]
ينقل من وغرة المَصِيف إلى[٢]   بَرْدِ شِتاءٍ ما بَيْنَ فَصْلَيْنِ
محمدُ يا بْنَ الجهْم ومَن بَنى   للمَجْد بَيْتًا من خـير بَيْتَـيْنِ[٣]
عِشْ ألفَ نَيْروز ومَهْرِجْ فَرِحًا   فى طِيبِ عَيْش وقُرَّة العَيْنِ[٤]

قال : فسُرَّ بذلك واحتمل خَراجى فى تلك السَّنة ، وكان مبلَغُه ثلاثين ألف دِرْهم .

عشق جارية عند أبى عيسى بن الرشيد فوجه بها معه إلى منزله

أخبرنى الحَسَنُ بنُ علىّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدَّثنى ابنُ أبى سَعْد قال : حدَّثنى أبو تَوْبة القَطِرانىّ ، عن محمد بن حُسَين[٥] قال :

كنّا عند أبى عيسى بن الرَّشيد فى زَمَن الرَّبيع ومعنا مُخارِق ، وعَلُّوية ، وعبدُ الله ابنُ العَبَّاس الرَّبيعىّ ، ومحمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر[٦] ، ونحن مُصْطبِحُون فى طارِمة[٧] مَضْروبة على بُسْتانه ، وقد تفتَّح فيه وَردٌ وياسَمِين وشَقائِق ، والسماء مُتَغيِّمة غيما مُطبقا ، وقد بدأت تَرُشُّ رَشًّا ساكِبا[٨] ، فنحن فى أكْمَلِ نَشاطٍ وأحسَنِ يَوْم إذ خرجَت قَيِّمةُ دارِ أبى عيسى فقالت : ياسَيِّدى ، قد جاءت عَساليجُ ، فقال : لتَخْرُجْ إلينا ، فليس بحَضْرتنا مَنْ نَحتشِمه ، فخرجت إلينا جارية شَكِلة[٩] حُلوَة ، حَسَـنَة العَقْل والهَيْئة

(١) ف : « يوم سرور طيب زين . »
(٢) ف : «ينقل من حر مصيف إلى» .
(٣) ف : « محمد بن الجهم يامن بنا   ء المجد من أكرم بيتين »
(٤) ف ، ى ، مد : « عش ألف نيروز ومهرج بنا .... مغتبطا فى قرة العين »
(٥) ف : «محمد بن جبر» .
(٦) ب ، ى ، مد : «بن بشخير» .
(٧) الطارمة : بيت من خشب كالقبة (معرب) .
(٨) ف : « رشا ساكنا » .
(٩) شكلت المرأة شكلا : كانت ذات دلال وغزل ، فهى شكلة .

والأدب ، فى يدِها عُود . فَسلَّمت ، فأمرها أبو عيسى بالجلوس فجلَست ، وغنَّى القومُ حتى انتهى الدّور إليها ، وظننّا أنها لا تصنع شيئاً وخِفْنا أن تَهابنا فتحصَر ، فغنّت غِناء حَسَنا مُطرِبا مُتقَنا ، ولم تدَعْ أحداً ممَّن حَضَر إلا غنَّت صوتاً من صَنعته وأدَّته على غاية الإحكام ، فطَربنا واستحْسنّا غِناءها وخاطبناها بالاستِحْسان ، وألحَّ عبدُ الله بنُ العبّاس من بيننا بالاقتراح عليها والمِزاح معها والنَّظَر إليها ، فقال له أبو عيسى : عَشِقْتَها وحياتى

١٣٢ / ١٧ يا عبدَ الله ، قال : لا والله يا سَيِّدى وحَياتِك ما عَشِقْتُها ، ولكنى استَحْسنتُ[1] كُلَّ ما شاهدتُ منها من مَنْظر وشكل وعقل وعشرة وغناء ، فقال له أبو عيسى : فهذا والله هو العِشْق وسَبَبُه ، ورُبَّ جِدٍّ جَرَّه اللَّعِب . وشَرِبنا ، فلما غَلَب النَّبِيذُ على عبد الله غَنَّى أهزاجاً قديمة وحَديثة ، وغنَّى فيما غَنَّى بينهما هَزَجاً فى شِعْر قاله فيها لوَقْته ، فما فَطِنَ له إلا أبو عيسى وهو :

صوت

نَطَق السُّكْرُ بسِرِّى فبَدَا ... كم يُرَى المكتومُ يَخْفَى لا يَضِحْ
سِحْرُ عَيْنَيك إذا ما رنَتَا ... لم يَدعْ ذا صَبْوة أو يَفْتَضِحْ
مَلَكَتْ قلباً[2] فأمسى غَلِقًا ... عندها صَبًّا بها لم يَسْتَرِحْ
بجَمالٍ وغِنـــاءٍ حسنٍ ... جلّ عن أن يَنْتَقيه المُقْتَرِحْ
أورثَ القلبَ هُمومًا ولقد ... كنتُ مسروراً بمرآه فَرِحْ
ولَكم مُغْتَبِقٍ همًّا وقد ... بَكَرَ[3] اللَّهْوَ بُكورَ المُصْطَبِحْ

— الغِناء لعبد الله بن العبَّاس هزج — فقال له أبو عيسى: فعلتَها والله ياعبدَ الله ، وطار

(١) ف : «استملحت» .
(٢) ى ، مد ، التجريد : «قلبى» وفى ف : «ملكت كفى» .
(٣) ف : «ولكم مقترح همًّا وقد باكر . . .» .

طرباً[١]، وشَرِب على الصَّوت وقال له : صحّ والله قَولِى لك فى عَساليج ، وأنت تُكابِرُنى حتى فَضحَك السُّكرُ . فَجحَد ، وقال : هذا غناء كنت أرويه ، فحلف أبو عيسى أنه ما قاله ولا غنّاه إلا فى يومِه ، وقال له : احلِفْ بحَياتى أنّ الأمرَ ليس هو كذلك ، فلم يفعل ، فقال له أبو عيسى : والله لو كانت لى لوهَبْتُها لك ، ولكنها لآلِ يَحْيى بنِ معاذ ، والله لئن باعُوها لأملِّكَنَّك إيّاها ولو بكُلِّ ما أملك ، وحياتى لتنصَرِفَنَّ قبلك إلى مَنْزِلك ، ثم دعا بمحافِظَتِها وخادِمٍ[٢] من خَدَمه ، فوجَّه بها معهما إلى مَنْزِله . والتوَى عبدُ اللهِ قليلا وتجَلَّد ، وجاحَدَنا أمرَه ثم انصرف .

اشترت عمته عساليج ثم وهبتها له

واتّصل الأمرُ بينهما بعد ذلك ، فاشترَتْها عمَّتُه رُقَيَّةُ بنتُ الفَضل بن الرَّبيع من آلِ يَحْيى بنِ مُعاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت .

فحدّثنى جعفرُ بنُ قُدامَة بن زِياد عن بعض شُيوخِه — سقَط عنى اسمُه — قال : قالت بَذْل الكبيرة لعبدِ الله بنِ العبّاس : قد بلَغَنى أنك عَشِقْتَ جارية يقال لها عساليج فاعرِضْها علىّ ، فإمّا أن عَذرتُك وإمّا أن عَذلْتُك ، فوجّه إليها فحضَرت ، وقال لبَذْل : هذه هى ياستّى فانظرى واسمعى ، ثم مُرِينى بما شئتِ أُطِعْك ، فأقبلت عليه عساليجُ وقالت : يا عبدَ اللهِ أتُشاوِرُ فىّ ؟ فو الله ما شاوَرْتُ فيك لمّا صاحبتُك ، فنعَرت[٣] بَذْل وصاحت : إيه ، أحسَنْتِ والله ياصَبِيَّة ، ولو لم تُحسنى شيئاً ولا كانت فيك خَصْلة تُحمَد لوجب أن تُعشَق لهذه الكلمة ، أحسنتِ واللهِ ، ثم قالت لعبدِ الله : ماضَيَّعْتَ[٤] ، احتفِظ بصاحبتك .

غنى الواثق فى يوم نيروز فأمر له بجائزة

حدثنى عمّى قال: حدّثنى محمدُ[٥] بنُ المَرْزُبان ، عن أبيه ، عن عبدِ الله بنِ العبّاس قال :

(١) ف : «ونقر طرباً» .

(٢) ف : «ثم دعا حافظتها وخادما» .

(٣) نعرت : صاحت وصوتت بخيشومها .

(٤) ب : ما صنعت «تصحيف» .

(٥) ف : «أحمد بن المرزبان» .

دعانا الواثقُ فى يوم نَوْرُوز ، فلما دَخَلتُ عليه غَنَّيْتُه فى شعر قلتُه وصَنَعْت فيه لحنًا وهو :

هىّ للنَّيروزِ جامًا ومُـدامًا ونَدامَى
يَحْمدون الله والوا ثِقَ هارونَ الإماما
مارأى كِسْرىأنوشِرْ وانَ مِثْلَ العامِ عامًا
نَرْجِسًا غَضًّا ووَرْدًا وبَهــارًا وخُزامَى

١٣٣ / ١٧ قال: فطَرِب واستَحْسَن الغِناء ، وشرِب عليه حتى سكر ، وأمر لى بثلاثين ألف دِرْهم .

حدثنى عمّى قال : حدثنى أحمدُ بنُ المَرزُبان قال : حدثنى شَيْبة بنُ هِشام قال : ألقَت مُتَيَّم على جوارينا هـذا اللحن وزعمت أنّها أخذته من عبد الله بن العبّاس والصَّنعةُ له :

صـوت

إنِّى اتّخذْتُ عدُوّةً فسَقَى الإلهُ عدُوَّتِى
وفديتُهـا بأقاربى وبأسرَتِى وبجـيرتِى
جُدِلتْ كجَدلِ الخيزُرا ن وثُنِّيتْ فتَثنّتِ
واستيقَنَتْ أنّ الفؤا د يُحِبُّها فأدَلَّـتِ

عشق مصابيح وقال فيها شعرا

قال : ثم حدّثَتْنا مُتَيَّم أنّ عبدَالله بنَ العبّاس كان يتعشّق مصابيحَ جاريةَ الأحْدَب المقَـيِّن(١) ، وأنّه قال هذا الشعر فيها ، وغَـنَّى فيه هذا اللَّحْن بحضرتها ، فأخَذَتْه عنه .

---

(١) ب : «القين» .

هكذا ذكَر شَيْبَةُ بنُ هِشام من أمْر مَصابيح ، وهى مَشْهورة من جَوارى آل يَحْيى بنِ معاذ ، ولعلها كانت لهذا المقيِّن قبل أن يملكها آلُ يَحْيى ، وقبل أن تَصِل[1] إلى رُقَيَّة بنتِ الفضلِ بنِ الرَّبيع .

وحدَّثنا أيضاً عمّى قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، عن شَيْبة ابن هِشام ، قال :

كان عبدُ اللهِ بن العبَّاس يتعَشَّق جاريةَ الأحدبِ المُقَيِّنِ — ولم يُسمِّها فى هذا الخبر — فغاضبها فى شىء بلغَه عنها ، ثم رام بعد ذلك أن يَترضَّاها فأبت ، وكتب إليها رُقعة يَحلِف لها على بطلان ما أنْكَرَته ، ويدعو اللهَ على مَنْ ظلم ، فلم تُجِبْه عن شىء مما كتب به ، ووقَّعت تحت دُعائِه : آمين ، ولم تُجِب عن شىء مما تضمَّنَتْه الرُّقعةُ بغير ذلك ، فكتب إليها :

أمّا سُرورِىَ بالكتا ... ب فليس يَفنَى ما بَقِينا
وأَتَى الكتابُ وفيه لِى[2] ... آمين ربَّ العالمينا

قال : وزارَتْه فى لَيْلة من ليالى شهر رَمَضان وأقامت عنده ساعة ، ثم انصرفت وأبَتْ أن تَبِيت وتقيم ليلتَها عنده ، فقال هذا الشِّعْر وغَنَّى فيه هَزَجاً وهو مَشْهور من أغانيه وهو :

صوت

يا مَنْ لِهَمٍّ أمسى يُؤَرِّقُنى ... حتى مضى شَطرُ لَيْلَةِ الجُهَنِى[3]
عَنِّى ولم أدرِ أنَّها حضرت ... كذاك مَنْ كان حُزْنه حُزْنِى[4]

---

(١) ف : « تصير » .
(٢) ف : « وأتى وقد وقَّعَتْ لى » .
(٣) ف : « حتى مضى الشطر ليلة الجُهَنى » .
(٤) ف : « كذاك من كان حزنها حزنى » .

إنّى سَقِيمٌ مُوَلَّهٌ(١) دَنِفٌ   أسقَمنى حُسْنُ وَجْهِكِ الحَسَنِ
جُودِى له بالشفاء مُنْيتَه   لا تَهجُرِى هانّما عليكِ ضَنِى

قال : وليلةُ الجُهَنِيّ ليلة تسعَ عَشْرةَ من شهر رمضان ، قال رجل من جُهَينة : إنّه رأى فيها ليلةَ القَدْر فيما يَرَى النائم فسُمّيت ليلة الجُهَنيّ .

غنى فى دار محمد ابن حماد

أخبرنى عَمِّى قال : حدّثنا أحمدُ بن المَرزُبان قال : حدّثنى شَيْبةُ بنُ هِشام قال : دعانا محمد بنُ حمّاد بن دنقش(٢) وكان له سِتارَة فى نهاية الوَصْف ، وحضر معنا عبدُ الله بنُ العباس ، فقال عبدُ الله وغنّى فيه :

دَعْ عنك لَوْمِى فإنّى غيرُ مُنقادِ   إلى المَلام وإن أحببتَ إرْشادِى
فلستُ أعرِفُ لى يومًا سُرِرْتُ به   كمِثل يَوْمِىَ فى دارِ ابنِ حَمَّادِ

١٣٤
١٧

غنى الواثق بشعر ذكرت فيه أعياد النصارى فخشى أن يتنصر

أخبرنى يحيَى بنُ علىّ بنِ يحيَى قال : حدثنى أبو أيّوب المدينىّ قال : حدّثنى ابنُ المكّىّ عن عبدِ الله بنِ العبّاس قال : لمّا صنعتُ لحنى فى شعرى :

صوت

يا لَيلةً ليس لها صُبْحُ   وموعِداً ليس له نُجحُ
من شادنٍ مرّ على وعده الميـــلادُ والسُّلّاقُ والذّبحُ

— هذه أعيادُ النّصارى — غنّيتُه الواثقَ فقال : ويْلكم ، أدركوا هذا لا يَتنصّر ، وتمامُ هذا الشّعر :

وفى السّعانِين لو أنّى به   وكان أقصَى الموعِد الفِصْحُ
فالله أستَعْدِى على ظالمٍ   لم يُغْنِ عنه الجُودُ والشُّحُّ

---

(١) مد ، ى : «إنى شقى مدله دنف» .
(٢) ف : «حماد دنقش» .

نسختُ من كِتاب أبى سَعِيد السُّكَّرِىّ : قال أبو العَتاهِية : وفيه لعبد اللهِ بنِ العبّاس غِناء حَسَن :

أنا عَبدٌ لها مُقِرٌّ وما يَمْـــلِكُ لى غيرُها من الناس رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنت ما أُرْ زَقُ منها والحمدُ لله عِتْقا
ومن الحَيْن والشّقاء تعلَّقْـــتُ مليكاً مُستكبِراً حين يُلْقَى
إن شكوتُ الذى لَقِيتُ إليه صَدَّ عَنّى وقال : بُعداً وسُحْقا

حكى حاله فى غناء بحضرة حمدون ابن إسماعيل

أخبرنى عَمّى ، قال: حدّثنى علىُّ بنُ محمد بن نَصْر ، عن جَدّه حَمْدون بنِ إسْماعيل قال: دخلتُ يوماً إلى عبدِ اللهِ بنِ العَبّاس الربيعِىّ ، وخادِمٌ له يَسْقِيه ، وبيده عُودُه ، وهو يُغَنّى هذا الصوت :

إذا اصطَبحْتُ ثَلاثاً وكان عُودِى نَدِيمِى
والكأسُ تُغْرِب(١) ضَحكاً من كفِّ ظَبْيٍ رَخيمِ
فما علىَّ طريقٌ لطارقاتِ الهُمـــومِ

قال : فما رأيتُ أحسنَ مّما حكى حاله فى غِنائه ، ولا سَمِعْتُ أحسنَ مّما غنّى .

عشق غلام حزام خادم المعتصم

أخبرنى الحسين(٢) بنُ القاسِم الكوكَبِىّ قال : حَدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سَعْد قال : حدّثنى دوسر(٣) الخراسانىّ قال :

اشترى حزام(٤) خادم المعتصِم خادما نظيفا ، كان عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل

(١) ف : «تضحك ضحكا» .
(٢) ب : «الحسن بن القاسم» .
(٣) ب : « دوس الخراسانى » .
(٤) ب : « حازم » .

ابنِ الربيع يتعشّقه ، فسألَه هِبتَه له أو بيعَه منه فأبى ، فقال عبدُ الله أبياتا وصنع فيها غناء ، وهى قوله :

يومُ سَبْتٍ فصَرِّفا لِى المُدامَا   واسقِيانى لعلَّنى أن أنامَا
شرَّد النومَ حُبُّ ظَبْيٍ غريرٍ   ما أراه يرَى الحرامَ حَرامَا
اشتراه يومًا بعُلْفةِ يوم   أصبحَت عنده(١) الدوابُ صِيامَا

فاتصلت الأبياتُ وخبرُها بحزام ، فخشى أن تَشتهر ويسمعها المُعتصم فيأتى عليه ؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله ، وسأله أن يُمسِك عن الأبيات ، ففعل .

إبراهيم الموصلى يغنى أمام الرشيد لحنا من صنعته فيرسل إليه ويلازمه
١٣٥
―
١٧

حدّثنى الصُّولىّ قال : حدّثنى الحُسَيْن بن يحيى قال : قلت لعبدالله بنِ العبّاس : إنه بَلَغَنى لك خبَرٌ مع الرُّشِيد أول ماشُهِرتَ بالغناء ، فحدِّثنى به ، قال: نعم أول صوت صنَعْتُه :

أتانى يؤامِرُنى فى الصَّبُو   ح ليلا فقلتُ له : غادِها

فلما تأتّى(٢) لى وضربت عليه بالكنكلة ، عرضتُه على جارية لنا يقال لها رَاحَة ، فاستَحْسَنَتْه وأخذَتْه عنّى ، وكانت تَختلِف إلى إبراهيمَ الموصِلىّ ، فسَمِعها يومًا تُغَنِّيه وتناغى(٣) به جارية من جواريه ، فاستعادَها إيّاه وأعادته عليه ، فقال لها : لَمنْ هذا ؟ فقالت : صَوْت قديم ، فقال لها : كَذَبتِ ، لو كان قديمًا لعرَفْتُه ، وما زال يُدَارِيها ويَتغاضَب عليها حتى اعترفت له بأنّه من صَنْعتى ، فعَجِب من ذلك ، ثم غنّاه يوما بحضرة الرشيد ، فقال له : لَمنْ هذا اللّحن يا إبراهيم ؟ فأمسك عن الجواب وخشى أن يكذِبَه فيَنْمِى الخبرُ إليه من غيره ، وخاف من جدّى أن يصدقه ، فقال له : مالك

---

(١) ف : «أصبحت غبَّه» .
(٢) ف : «فلما دار لى» .
(٣) ف : «وتماتى» .

لا تجيئني ؟ فقال : لا يمكنني يا أميرَ المؤمنين ، فاستراب بالقِصّة ، ثم قال : والله ، وتُربة المَهْديّ لئن لم تَصدُقْني لأعاقبنّك عُقوبةً مُوجِعة ، وتوهّم أنه لعُلَيّة أو لبعض حُرَمه فاستُطِير غضبا ، فلما رأى إبراهيمُ الجِدَّ منه صدَقَه فيما بينه وبينه سِرًّا ، فدعا لوقته الفضلَ بن الرَّبيع ثم قال له : أيصنَع ولدُك غناءً ويرويه الناس ولا تعرّفني ؟ فجزِع وحلَف بحياته وبَيْعته أنه ما عرف ذلك قطّ ، ولا سَمِع به إلا في وَقته ذلك ، فقال له : ابنُ[1] ابنِك عبدُ الله بنُ العبّاس أحضِرْنيه السّاعة ، فقال : أنا أمضي وأمتَحِنه ، فإن كان يصلُح للخدمة أحضَرته ، وإلّا كان أميرُ المؤمنين أولَى مَنْ ستر عورتنا ، فقال : لابدّ من إحضاره . فجاء جدّي فأحضرني وتَغيّظ عليّ ، فاعتذرت وحلَفتُ له أن هذا شيء ما تعمّدتُه ، وإنما غَنّيتُ لنفسي ، وما أدري من أين خَرَج ، فأمر بإحضار عُود فأُحضِر ، وأمرني فغنّيتهُ الصوتَ ، فقال : قد عَظُمت مُصيبَتي فيك يابنيّ ، فحلفتُ له بالطلاق والعتاق ألاّ أقبلَ على الغناء رِفداً أبداً ، ولا أُغَنّي إلا خليفةً أو وليَّ عهد ، ومَنْ لعلّه أن يكون حاضراً مجالسهم ، فطابت نفسُه . فأحضرني[2] ، فغنّيتُ الرشيدَ الصوتَ فطرِب وشرب عليه أقداحاً ، وأمرني بالملازمة مع الجُلَساء ، وجعل لي نَوْبة ، وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جَدّي ، وأمره أن يَبْتاع ضَيْعة لي بها ، فابتاع لي ضَيْعتي بالأهواز ، ولم أزل مُلازما للرّشيد حتى خرج إلى خُراسان ، وتأخرتُ عنه وفرّق الموتُ بيننا .

اقترض الواثق مالا ليعطيه له

قال ابنُ المرزُبان : فكان عبدُ الله بنُ العبّاس سَبباً لمعرفة أولياء العهود برأي الخلفاء فيهم ، فكان منهم الواثق ، فإنه أحبّ أن يَعرِف : هل يُولّيه المعتَصمُ العهدَ بعدَه أم لا ، فقال له عبدُ الله : أنا أدُلُّك على وَجْه تعرف به ذلك ، فقال : وما هو ؟ فقال : تسألُ أميرَ المؤمنين أن يأذن للجُلساء والمُغنّين أن يَصيروا إليك ، فإذا فعل ذلك فاخلَعْ عليهم

(١) ف : « أين ابنك عبد الله بن العباس » .

(٢) ف : « فأحضرت » .

وعلىّ معهم ، فإنى لا أقبَل خِلعَتك لليَمِين التى علىّ ؛ ألاّ أقبَل رفداً إلا من خليفة أو ولىّ عَهْد . فقعَد الواثقُ ذات يوم وبعث إلى المعتَصم وسَأله الإذنَ إلى الجلساء[1]، فأذِن لهم ، فقال له عبدُ الله بنُ العباس : قد عَلِم أميرُ المؤمنين يَمِينى ، فقال له : امضِ إليه فإنك لا تَحنَث ، فمضى إليه وأخبره الخبرَ فلم يُصدِّقه ، وظنّ أنه يُطَيِّب نفسَه ، فخَلَع عليه وعلى الجماعة ، فلم يَقبَل عبدُ الله خِلعَته ، وكَتَب إلى المعتَصم يشكوه ، فبَعَث إليه : اقبل الخِلْعةَ ، فإنه وَلِيُّ عَهدِى ، ونَمَى إليه الخبرُ أنّ هذا كان حِيلةً من عبد الله ، فنَذَر دمَه ، ثم عفا عنه . ١٣٦/١٧

وسُرّ الواثقُ بما جرى ، وأمرَ إبراهيمَ بنَ رِياح ، فاقْترض له ثلثمائة ألفِ درهم ، ففرّقها على الجلساء ، ثم عرَف غَضَب المعتصم على عبدِ الله بن العباس واطّراحَه إيّاه ، فاطّرحَه هو أيضا . فلمّا وَلِى الخلافة استمرّ على جَفائه ، فقال عبدُ الله :

مالى جُفِيتُ وكنتُ لا أُجفَى أيّام أرهَبُ سطوةَ السَّيْفِ
أدعُو إلٰهى أن أراكَ خليفةً بين المقام ومَسجد الخَيْفِ

ودَسّ مَنْ غَنّاه الواثق ، فلما سمعه سأل عنه ، فعَرَف قائلَه ، فتذَمّ[2] ودعا عبد الله فبَسَطه ونادمه إلى أن مات .

وذكر العَتّابىّ عن ابن الكلْبىّ أنّ الواثِقَ كان يَشْتهى على عبد الله بن العباس :

أيُّها العاذِلُ جَهْلاً تلومُ قبل أن يَنْجاب عنه الصَّرِيمْ[3]

وأنه غَنّاه يوماً فأمَر بأن يَخْلَع عليه خلْعَة ، فلم يَقْبلها ليَمينه ، فشكاه إلى المعتصم، فكاتَبه فى الوقت ، فكَتب إليه مع مسرور سُمّانة : اقبلْ خِلَع[4] هارون فإنك لا تَحنَث، فقَبِلها وعَرَف الواثقُ أنه ولِىُّ عَهْد .

---

(١) ف : « وسأله الإذن للجلساء » .
(٢) تذم : استنكف واستحيا .
(٣) الصريم : القطعة من الليل .
(٤) ف : « خلعة » .

خرج يوم الشعانين ليرى محبوبته النصرانية

حدّثني عمّي : قال : حدّثني أحمدُ بنُ المرْزُبان ، قال : حدّثني شَيْبَةُ بنُ هِشام ، قال: كان عبدُ الله بنُ العبّاس يَهْوَى جاريةً نَصْرانيّةً لم يَكُن يصل إليها ولا يَراها إلا إذا خرجت إلى البيعة ، فخرجنا يوما معه إلى السّعانين ، فوقف حتى إذا جاءت فرآها ، ثم أنشدَنا لنَفْسِه ، وغَنّى فيه بعد ذلك :

صوت

إن كنتَ ذا طِبٍّ فداوِنِي[1] ... ولا تَلُمْ فاللّوم يُغْرِينِي

يا نظرةً أبقَتْ جَوًى قاتِلاً ... من شادنٍ يومَ السّعانينِ

ونظرةً من رَبْرَبٍ[2] عِينٍ ... خرجْنَ فى أحسَنِ تَزْيينِ

خرجن يَمْشين إلى نُزْهةٍ ... عَواتِقًا[3] بين البَساتِينِ

مُزَنَّراتٌ بِهَمايِينِها[4] ... والعَيْشُ ما تحتَ الهَمايِينِ

لحن عبدِ اللهِ بنِ العبّاس فى هذا الشعر هزج .

شرب ليلة الشك فى رمضان فى يوم نيروز

أخبرنى الحسَن بنُ علىّ ، قال : حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدّثنا محمدُ بن عمر الجُرْجانىّ ، ومحمد بن حَمّاد كاتِب راشد ، قالا :

كتَبَ عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعىّ فى يوم نَيْروز — واتّفق فى يوم الشّكّ بين شَهْرَى رَمَضان وشَعْبان — إلى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يقول :

اسْقِنِى صفراء صافيةً ... ليلةَ النَّيروزِ والأحَدِ

(١) إثبات الياء هنا ضرورة شعرية .

(٢) الربرب : القطيع من الظباء ، ومن البقر الوحشىّ والإنسىّ ، لا واحد له .

(٣) عواتق جمع عاتقة ، وهى الشابة أول ما أدركت فخدرت فى بيت أهلها ولم تبن إلى زوج .

(٤) مزنّرات : لابسات الزنار ؛ وهو حزام يشده النصرانى على وسطه ، والهمايين جمع هميان ؛ وهو كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

حَرَّمَ الصَّوْمُ[1] اصطباحَكما فتزوَّدْ شُربَها لغَدِ
وأْتِنَا أو فادْعُنا عَجِلاً نَشْتَرِكْ فى عِيشَةٍ رَغَدِ

قال : فجاءه محمد بنُ الحارث بن بُسْخُنَّر فشربا ليلتهما .

صنع لحنا من شعره للواثق فأمر له بجائزة

١٣٧ / ١٧

أخبرنى يَحْيى بنُ علىّ بن يحيى ، قال : حدّثنا أبو أيُّوب المدينىّ ، قال : حدّثنا أحمدُ بنُ المكّىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بنُ العبّاس الربيعىّ قال :

جمع الواثقُ يومًا المُغَنِّين لِيصطَبِح ، فقال : بحياتى إلّا صنعتَ لى هَزَجا حتى أدخل وأخرُج إليكم السّاعة ، ودخل إلى جَوارِيه ، فقلتُ هذه الأبيات وغنّيتُ فيها هَزَجا قبل أن يَخرُج ، وهى :

صوت

بأبى زَورٌ أتانى بالغَلَسْ قُمتُ إجلالاً له حتى جَلَسْ
فتعانَقْنا جميعًا ساعةً كادَتِ الأرواحُ فيها تُختَلَسْ
قلتُ : ياسُؤْلى ويابدرَ الدُّجى فى ظَلامِ اللّيل ماخِفتَ العَسَسْ !
قال : قد خِفْتُ ولكنّ الهوَى آخذٌ بالرُّوح منّى والنَّفَسْ
زارنى يَخْطِر فى مِشْيَتِه حوله من نُور خَدّيْه قَبَسْ

قال : فلمّا خرج من دار الحُرَم قال لى : يا عبدَ الله ، ماصنَعْتَ ؟ فاندفعتُ فغنّيته ، فشَرِب حتى سَكِر ، وأمر لى بخمسة آلافِ دِرْهم ، وأمرنى بطرْحه على الجوارى ، فطرحْتُه عليهن .

صنع لحنا جميلا من شعر يوسف ابن الصيقل

أخبرنى يَحْيَى بنُ علىّ بنِ يَحْيى ، قال : حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ ، عن حمّاد قال: من مَليح صَنْعةِ عبدِ الله بنِ العبّاس الربيعىّ ، والشِّعْر ليُوسُفَ بنِ الصَّيْقل ، ولحنه هزج:

(١) ب : «والنوم» .

صــوت

أبعــدَ المواثيق لى وبعــد السؤال الحَفِى
وبَعْــد اليَمين التى حلَفتِ على المُصحَفِ
تركتِ الهــوَى بينَنا كضوء سراجٍ طَــفِى
فليتكِ إذ لم تَــفِى بوعــدك لم تُخْلفى

غنى للواثق لحنا من شــعر الأحوص فأعطاه ألف دينار

حدّثنى الصّولىّ قال : حدّثنى يزيدُ بنُ محمد المُهلّبىّ ، قال :

كان الواثِق قد غضِب على فَرِيدةَ لـكلام أخفَتْه إيّاه فأغضَبتْه ، وعرَفْنا ذلك وجاس فى تلك الأيام للصَّبُوح ، فغنّاه عبدُ الله بنُ العباس :

صــوت

لا تأمنى الصَّرمَ مِنّى أن ترَىْ كَلَفِى وإن مَضَى لصفاء الوُدّ أعصارُ
ما سُمِّىَ القَلْبُ إلا من تقلُّبه والرأىُ يُصرَفُ والأهواء أطوارُ
كم مِنْ ذَوِى مِقَةٍ(١) قبلى وقبلَكمُ خانوا فأَضْحَوا إلى الهِجْران قد صارُوا

فاستعادَه الواثِق مِراراً ، وشرِب عليه وأُعجِب به ، وأمَر لعبد الله بألف دِينار وخَلَع عليه .

الشّعر للأحْوَص ، والغناء لعبدِ اللهِ بنِ العَبّاس هَزَج بالوسطى عن عمرو .

فضله المتوكل على سائر المغنين

وأخبرنى جعفَرُ بنُ قُدامة ، قال : حدّثنا حمّادُ بنُ إسحاق ، قال : حدّثنى عبدُ الله ابن العَبّاس بن الفضل بن الربيع ، قال :

(١) المقة : الحب ، وفى ف : «سمة» .

غنّيتُ المُتوكِّل ذاتَ يوم :

أحبّ إلينا منك دَلاًّ وما يَرى له عند فِعْلى من ثَوابٍ ولا أجْرِ

فطَرِب وقال : أحسنْتَ واللهِ يا عبدَ الله ، أما واللهِ لو رآكَ النّاسُ كُلُّهم كما أراكَ لمَا ذَكَروا مُغنّيًا سِواكَ أبدا .

أشار بذكره ابن الزيات عند المعتصم

نسختُ من كتابِ لأبِي العَبّاس بنِ ثَوابة بخطّه : حدّثنى أحمدُ بنُ إسماعيل بن حاتِم قال : قال لى عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعىّ :

١٣٨ / ١٧

دخلتُ على المُعتصم أُودِّعه وأنا أُريد الحجَّ ، فقبّلْتُ يدَه وودّعْتُه ، فقال : ياعبدَ الله إنَّ فيك لخِصالا تُعجِبنى كَثَّرَ اللهُ فى موالِىَّ مِثْلَك ، فقبّلتُ رجلَه والأرضَ بين يدَيه ، وأحْسَنَ محمدُ بنُ عبدِالملِك الزّيّات محضرى وقال له : إنّ له يا أميرَ المؤمنين، أدبًا حَسَنًا وشِعْرا جيِّدًا ، فلما خرجتُ قلتُ له : أيُّها الوَزير ، ما شِعْرِى أنا فى الشعر تَسْتَحْسِنه وتُشِيد بذكره بين يدَىِ الخَلِيفة ! فقال : دعنا منك ، تنتفى من الشِّعر وأنتَ الذى تقول :

يا شادِنًا مرَّ إذ را مَ فى السَّعانِين قَتْلِى
يَقولُ لى : كيف أصبحْـتَ ، كيف يُصبِح مِثْلِى !

أحسنْتَ واللهِ فى هذا ، ولو لم تَقُل غيرَ هذا لَكنتَ شاعِرًا .

طلب منه سوار ابن عبدالله القاضى أن يصنع له لحنا فى شعر قاله

أخبرنى عمِّى قال : حدّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : قال أبِى : قال عبدُ الله بنُ العباس الرّبيعِىّ :

لَقِيَنِى سَوّارُ بنُعبدِ الله القاضِى —وهو سوّار الأصغر— فأصغَى إلىَّ وقال: إنّ لى إليك حاجَةً فأتِنى فى خَفْىٍ ، فجئتُه ، فقال : لى إليك حاجَة قد أنِسْتُ بك فيها، لأنك لى

كالوَلَد ، فإن شرطتَ لى كِتمانَها أفضَيْتُ بها إليك ، فقلتُ : ذلك للقاضِى علىَّ شَرْطٌ واجِبٌ ، فقال : إنى قلتُ أبياتًا فى جارية لى أَمِيلُ إليها وقد قَلَتنى وهجرتْـنى ، وأحببْتُ أن تصنَع فيها لَحْنًا وتُسْمِعنيه ، وإن أظْهرتَه وغَنَّيْتَه بعد ألاّ يعلَم أحدٌ أنه شعْرِى ، فلستُ أبالِى ، أتفعَل ذلك ؟ قلتُ : نعم حُبًّا وكرامة ، فأنشدَنى .

صــوت

سَلَبْتِ عِظامى لحمَها فتركْتِها عَوارِىَ فى أجْلادِها[1] تتَكسَّرُ
وأخلَيْتِ منها مُخَّها فكأنّها أنابيبُ فى أجوافِها الرِّيح تصفِرُ
إذا سَمِعتْ باسْم الفِراق ترعَّدَت مفاصِلُها من هَوْل ما تتحذّرُ
خُذِى بيَدِى ثم اكْشِفى الثوبَ فانظُرِى بِلَى جَسَدِى لـكِنَّنِى أتَسَـتَّرُ
وليس الذى يَجْرِى من العين ماؤُها ولـكنّها رُوحٌ تَذُوبُ فتَقْطُرُ

— اللحن الذى صَنَعه عبدُ الله بنُ العبّاس فى هذا الشّعر ثقيل أول — قال عبدُ الله : فصنَعتُ فيه لَحْنًا ، ثم عرّفتُه خبرَه فى رُقْعة كتبتُها إليه ، وسألتُه وَعْدًا يَعِدنى به للمَصير إليه ، فـكتب إلىَّ : نظرتُ فى القِصَّة فوجدتُ هذا لا يصلُح ولا ينـكَتِم علىَّ حُضورُك وسَماعِى إيّاك ، وأسألُ الله أن يَسُرَّك ويُبْقِيك . فغَنّيت الصوتَ وظَهر حتى تغنّى به الناسُ ، فلَقِيَنِى سوَّار يوماً فقال لى : يا بْنَ أخى ، قد شاع أمرُك فى ذلك الباب حتى سَمِعْناه من بُعْد كأنّا لم نعرف القِصّة فيه ، وجعلْنا جميعا نضحك .

صنع لحنا جدا فى شفاء بشر خادم ابن عجيف

أخبرنى عَمّى قال ؛ حدّثَـنِى أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال :

كان بِشْرٌ خادِمُ صالح بن عُجَيف عليلا ثم بَرِئَ ، فدخل إلى عبدِ اللهِ بن

(١) أجلاد الإنسان : تجاليده ، وهى جماعة جسمه وبدنه .

العبّاس ، فلما رآه قام فتلقّاه وأجلسه إلى جانبه ، وشَرِب سُروراً بعافيته ، وصنع لحناً من الثقيل الأول هو من جيِّد صَنْعته :

صــوت

مَوْلَاى ليس لِعَيشٍ لستَ حاضرَه   قَدْرٌ ولا قيمَةٌ عندى ولا ثَمَنُ
ولا فَقَدتُ من الدُّنيا ولذَّتِها   شيئاً إذا كان عندى وَجْهُك الحَسَنُ

غنى الواثق بعد شفائه لحنا فى شعر قاله فأجازه

١٣٩ / ١٧

حدّثنى محمدُ بن مَزْيد بن أبى الأزهر قال : حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ العبّاس الربيعىّ قال :

جَمَعنا الواثقُ يوماً بعَقِب عِلّة غليظة كان فيها ، فعُوفِى وصَحَّ جِسمُه ، فدخلتُ إليه مع المُغنِّين وعُودى فى يدِى ، فلما وقعَتْ عَيْنى عليه من بَعيد ، وصِرْتُ بحيث يَسْمع صوتى ، ضربتُ وغَنّيتُ فى شعرٍ قلتُه فى طريقى إليه ، وصنعتُ فيه لحناً وهو :

صــوت

اسلَمْ وعَمْركَ الإلهُ لأمّةٍ   بكأصبَحَت قهرَتْذَوِىالإلحادِ
لو تَستَطيعُ وَقَتْك كُلَّ أذيّةٍ   بالنفْسِ والأمْوَالِ والأولادِ

فضَحِك وسُرَّ وقال : أحسَنْتَ يا عبد الله وسَرَرتَنى ، وتيمّنتُ بابتِدائك ، ادْنُ مِنى ، فدَنَوْتُ منه حتى كنتُ أقربَ المُغنِّين إليه ، ثم استعادَنى الصوتَ ، فأعدتُه ثلاثَ مرّات ، وشَرِب عليه ثلاثةَ أقداح ، وأمر لى بعشرة آلاف دِرْهم وخلعة من ثيابه .

فاجأته محبوبته النصرانية بالوداع فقال شعرا وغناه

حدّثنى الصُّولىّ قال: حدّثنى عَوْنُ بنُ محمد الكِنْدِىّ قال:

كان عبدُ الله بنُ العبّاس بنِ الفضل بن الرّبيع يَهْوَى جاريةً نَصرانيّة، فجاءته يوماً تُودِّعُه، فأعلمَتْه أن أباها يُريدُ الانحدار إلى بَغْدَاد والمُضِىّ بها معه، فقال فى ذلك وغنّى فيه:

صوت

أفدِى التى قُلتُ لها والبَيْنُ منّا قد دَنَا:
فَقدُكِ قد أنحلَ جِسْمِى وأذاب البَدَنا
قالت: فماذا حِيلَتى كذاك قد ذُبتُ أنا!
باليَأس بعدِى فاقتنع قلت: إذاً قَلّ الغَنَا

طلب منه على بن عيسى الهاشمى تأجيل الصوم ومباشرة الشرب فأجابه

حدّثنى الصُّولىّ قال: حدّثنى عَوْنُ بنُ محمد، قال: حدّثنى علىُّ بنُ عيسى بن جَعْفَر الهاشمىّ، قال:

دخَل علىّ عبدُ الله بنُ العبّاس فى يوم النِّصْف من شَعبان، وهو يَوْم سَبْت، وقد عزَمْت على الصَّوْم، فأخذ بِعِضادَتَى باب مجلسى، ثم قال: يا أميرِى:

تُصْبِحُ فى السّبت غَيْرَ نشوانِ وقد مَضَى عنك نِصفُ شعبانِ!

فقلت: قد عزَمتُ على الصوم، فقال: أفعلَيْك وِزرٌ إن أفطرتَ اليوم — لمكانى وسررتنى بمساعدتك لى — وصُمتَ غداً، وتصدّقتَ مكانَ إفطارِك؟ فقلت: أفعل، فدعَوتُ بالطّعام فأكلتُ، وبالنبيذ فشَرِبْنا، وأصبح من غد عندى، فاصْطَبَح وساعدتُه، فلما كان اليوم الثالث انتبهتُ سَحَراً وقد قال هذا الشعرَ وغنّى فيه:

شعبانُ لم يبقَ منه إلا ثلاثٌ وعَشْرُ
فباكِرِ الرّاحَ صِرْفًا لا يَسْبِقَنّكَ فَجْرُ
فإن يَفُتْكَ اصطِباحٌ فلا يفوتَنْك سُكرُ
ولا تُنادِمِ فتًى وقتُ شُربه الدّهرَ عَصرُ

١٤٠ / ١٧

قال : فأطربَنِي واصطَبَحْتُ معه فى اليوم الثّالث ، فلمّا كان من آخر النّهار سَكِر وانصرف ، وما شَرِبنا يومَنا كُلَّه إلا على هذا الصَّوْت .

دخل على المتوكل فى آخر شعبان وطلب منه الشراب فأجابه

حدّثَنِي عَمِّى قال : حدّثنى ابن دِهْقانة النّديم قال :

دخَل عبدُ الله بن العباس إلى المُتوَكِّل فى آخرِ شعبان فأنشدَه :

عَلِّلانِي نَعِمْتُمَا بِمُدَامِ واسْقِيانى من قَبْلِ شَهْرِ الصِّيامِ
حرّم اللهُ فى الصِّيام التَّصابِي فتركناه طاعةً للإمامِ
أظهر العَدْلَ فاستَنار به الدِّينُ وأحيا شرائعَ الإسلامِ

فأمر المتوكِّل بالطَّعام فأُحضِر ، وبالنَّدِيم وبالجلَساء فأُتِى بذلك ، فاصطَبَح وغنّاه عبدُ الله فى هذه الأبيات ، فأمَر له بعشرة آلافِ دِرْهم .

حرم المرابين من مائة ألف دينار

أخبرنى الحسَن بن علىّ قال : حدّثنا يَزِيدُ بنُ محمد المُهَلَّبِىّ قال : حدّثنى عبدُ الله بنُ العباس قال :

كُنتُ مُقيما بسُرّ مَنْ رَأى وقد رَكِبَنى دَيْن ثقيل أكثرُه عِينَةٌ[1] ورِبًا ، فقلتُ فى المُتوكِّل :

أسقِيانِى سَحَراً بالكُبَرَهْ[2] ما قضَى اللهُ ففيه الخِيَرَهْ
أكرمَ اللهُ الإمامَ المرتضَى وأطال اللهُ فينا عُمُرَهْ

---

(١) العينة : أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل ، ثم يشتريه فى المجلس بثمن حال ليسلم به من الربا .
(٢) الكبرة : مبالغة فى التكبير .

إن أكن أُقْعِدْتُ عنه هكذا   قدَّرَ اللهُ رَضِينا قَدَرَهْ
سرَّه اللهُ وأبقاه لنـــا   ألفَ عام وكَفانا الفَجَرَهْ

وبعثتُ بالأبيات إليه، وكنت مُسْتَتِرا من الغُرَماء، فقال لعُبَيْد الله بن يَحْيى: وَقِّع إليه: مَنْ هؤلاء الفَجَرة الذين استكفيتَ اللهَ شرَّهم؟ فقلتُ: المُعَيِّنون الذين قد رَكِبني لهم أكثر مما أخذتُ منهم من الدَّيْن بالرِّبا، فأمر عُبَيْدُ الله أن يَقضِيَ دَيْني، وأن يَحْتَسِب لهم رُءوسَ أموالهم، ويُسقِط الفَضْل، ويُنادِي بذلك في سُرَّ مَنْ رأى حتى لا يَقضي أحدٌ أحداً إلا رأسَ ماله، وسَقَط عنّي وعن النّاس من الأرباح زُهاء مائة ألفِ دينار كانت أبياتي هذه سببَها.

عتب على إخوانه لأنهم لم يعودوه في مرضه فجاءوه معتذرين

حدّثني الصُّولِيّ قال: حدّثني عَونُ بنُ محمد الكِنْديّ قال: حدّثني أبي قال: مرِض عبدُ الله بن العباس بسُرَّ مَنْ رأى في قَدْمةٍ قَدِمها إليها، فتأخّر عنه مَنْ كان يَثِق به، فكتب إليهم:

ألا قُلْ لمن بالجانِبَيْن بأنّني   مريضٌ عَداني(١) عن زِيارتِهم مابي
فَلَوبِهمُ بعضُ الذي بي لزُرتُهمْ   وحاشَ لهم من طُولِ سُقْمِي وأوصابي
وإن أقشَعتْ عنى سَحابةُ عِلّتي   تَطاوَل عَتْبِي إن تأخّر إعتابي(٢)

قال: فما بَقِيَ أحدٌ من إخوانه إلا جاءه عائداً مُعتذِرا.

غنى عند علوية بشعر في النصرانية التي كان يهواها

أخبرني عمّي قال: حدّثني عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: حدّثني محمد بنُ محمد بن موسى قال:

سمعتُ عبدَ الله بنَ العبّاس يُغنّي ونحن مجتَمِعُون عند عَلُّوية بِشعْرٍ في النَّصرانيَّة التي كان يَهْواها والصَّنْعة له:

(١) عداني: صرفني ومنعني.
(٢) أعتبني: أزال الشكوى والعتاب، الهمزة للسلب.

صــوت

إنّ فى القَلْب من الظَّبْى كُلومْ   فدَعِ اللَّومَ فإن اللَّوْمَ لُومْ(١)
حبَّذا يومُ الشَّــعانين وما   نِلتُ فيـه من نَعيمٍ لو يَدُومْ
إن يَكُن أعظمتَ أنْ هِمْتُ به   فالذى تَرْكَب من عَذْلى عَظِيمْ
لم أكُن أوّلَ مَنْ سَنَّ الهوَى   فدَعِ اللَّومَ فذا داءٌ قديمْ

١٤١ / ١٧

الغناء لعبدِ الله هزج بالوسطى .

علم وصيفته هيلانة الغناء

حدّثنى أبو بَكْر الرَّبيعىّ قال : حدّثتْنى عمّتى — وكانت رُبِّيَت فى دار عمّها عبد الله بن العباس — قالت : كان عبدُ الله لا يفارق الصَّبوحَ أبداً إلا فى يَوْم جُمُعة، أو شَهْر رَمَضان، وإذا حَجّ . وكانت له وَصِيفَة يقال لها : هَيْلانة قد ربّاها وعلَّمها الغِناء، فأذْكرُه يوما وقد اصطَبَحَ، وأنا فى حجره جالِسَة والقدح فى يدِه اليُمْنى، وهو يُلقِى على الصَّبِيَّة صوتًا أوله :

صدعَ البَــينُ الفُؤادَا   إذ به الصائحُ نادَى

فهو يردِّدُه ويومئُ بجميع أعضائه إليها يُفهِمها نَغَمه، ويوقِّع بيَده على كَتفى مرّة وعلى فَخِذى أُخْرى، وهو لا يَدْرى حتى أوجعَنى، فبكَيت وقلتُ : قد أوجعتَنِى مِمّا تضرِبُنى وهَيلانة لا تأخذُ الصوْت وتضرِبنى أنا، فضحِك حتى استلْقى واستملح قَوْلى، فوهب لى ثوبَ قَصَب أصفَر، وثلاثةَ دنانير جُدُداً، فما أنسى فرَحى بذلك وقيامى به إلى أمّى، وأنا أعدو إليها وأضْحَك فرَحًا به .

---

(١) القافية مرفوعة فى « ف » .

نسبة هذا الصوت

صــوت

صدَح البَينُ الفؤادَا   إذ به الصائحُ نادَى
بينما الأحبابُ مجمو   عونَ إذ صاروا فُرادَى
فأتى بعضٌ بِلاداً   وأتى بعضٌ بِلادَا
كلَّما قلتُ: تَناهَى   حدَثانُ الدَّهر عادَا

الشعر والغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو .

صـوت

حضر الرحيل وشُدّت الأحداجُ[١] وغـــدا بهنّ مُشمِّرٌ مِزعاجُ
للشوق نـــيرانٌ قَدَحْنَ بقلبه حتى استمرّ به الهوَى المِلجاجُ
أَزعجْ هواكَ إلى الّذين تحبُّهمْ إن المحبَّ يسوقُه الإزعاجُ
لن يُدنِينَّك للحبيب ووصلِه إلاّ السُّرَى والبازلُ الهَجْهاجُ[٢]

الشعر لِسَلْم الخاسر ، والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى .

(١) أحداج : جمع حدج ؛ وهو مركب من مراكب النساء مثل الهودج
(٢) البازل : الجمل حين يدخل فى التاسعة ؛ والهجهاج : الشديد الهدير

أخبار سلم الخاسر ونسبه(*)

نسبه ، ومقدرته الشعرية

سَلْمُ بنُ عمرٍو مولى بنى تَيْمِ بنِ مرّة ، ثم مولى أبى بكر الصديق ، رضوان الله عليه . بصرىّ ، شاعر مطبوع متصرّف فى فنون الشِّعر ، من شعراء الدولة العباسية . وهو راوية بشارِ بنِ بُرْد وتلميذُه ، وعنه أَخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونَمَطه قال الشعر .

سبب تلقيبه سلم الخاسر

ولُقِّب سلمٌ بالخاسرِ(١) — فيما يقال — لأنه ورث من أبيه مُصْحَفًا ، فباعه واشترى بثمنه طُنْبوراً . وقيل : بل خَلّف له أبوه مالا ، فأنفقه على الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنك لخاسرُ الصفقة ، فلقِّب بذلك .

صداقته للموصلى وأبى العتاهية وانقطاعه للبرامكة

وكان صديقًا لإبراهيم الموصلىّ ، ولأبى العتاهية خاصة من الشعراء والمغنين ، ثم فسد ما بينه وبين أبى العتاهية . وكان سلمٌ منقطعًا إلى البرامكة ، وإلى الفضل بن يحيى خصوصًا من بينهم . وفيه يقول أبو العتاهية :

إنما الفضل لِسَلْمٍ وحــده ليس فيه لسوى سَلْمٍ دَرَكْ(٢)

من قول أبى العتاهية له

وكان هذا أحدَ الأسبابِ فى فساد مابينه وبين أبى العتاهية . ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عُتبة(٣) :

(*) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق ، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة .

(١) فى ما ، ف : و«لقب الخاسر» . وكان القياس سلما الخاسر على أن الخاسر صفة ، ولكن لشيوعها نزلت منزلة اللقب فصار يضاف إليها الاسم .

(٢) الدرك : الإدراك واللحاق .

(٣) كذا فى ف ، ما ، وفى باقى النسخ : «حج معه عتبة» .

واللهِ واللهِ ما أُبالى متى   ماَمتُّ يا سَلْمُ بعْدَ ذا السفَرِ
أليس قد طُفْتُ حيث طافت وقَبـــلتُ الذى قبلَتْ من الحجرِ[1]

وله يقول أبو العتاهية وقد حُبس إبراهيمُ الموصليُّ :

سَلْمُ يا سلمُ ليس دونك سِرُّ   حُبس الموصلىُّ فالعيش مُرُّ
ما استطاب اللذاتِ مذ سَكَن المُطْبَقَ[2] رأسُ اللذات واللهِ ، حُرّ
تَرَكَ الموصلىُّ مَن خَلَق اللـــهُ جميعا وعيشهم مُقْشَعِرّ

يرد مصحفا من ميراث أبيه ويأخذ مكانه دفاتر شعر

أخبرنى الحسنُ بن علىّ ، قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدثنى علىُّ بن الحسن الواسطىُّ ، قال : حدثنى أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهلىّ الشاعر . قال :

لما مات عمرٌو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثَه ، فوقع فى قِسْط سَلْم مصحفٌ ، فردّه وأخذ مكانه دفاترَ شعر كانت عند أبيه ، فلُقِّب الخاسرَ بذلك .

أجازه المهدى أو الرشيد بمائة ألف درهم ليكذب تلقيبه بالخاسر

أخبرنى الحسن ، قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدثنى محمد بن عمر الجرجانى ، قال : ورِث سلمُ الخاسرِ أباه مائةَ[3] ألف درهم ، فأنفقها على الأدب ، وبقى لاشىء عنده ، فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر ، وقالوا : أنفق مالَه على مالا ينفعه . ثم مدح المهدىّ ، أو الرشيد — وقد كان بلغه اللقبُ الذى لُقّب به — فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : كذِّب بهذا المال جيرانَك ، فجاءهم بها ، وقال لهم : هذه المائة الألف التى أنفقتها وربحتُ الأدب ، فأنا سَلْم الرّابح ، لاسَلْم الخاسر .

---

(١) كذا فى ف ، وفى غيرها « طفت » مكان « طافت » . وهو تحريف .
(٢) المطبق ، كمشفق : السجن تحت الأرض . وفى ما ، ف : المطبق «بفتح الباء» .
(٣) كذا فى س ، والفعل (ورث) ينصب مفعولا واحداً فيما رجعنا إليه من معاجم ، فكأن « مائة ألف » بدل اشتمال حذف معه ضمير المبدل منه .

ورث مصحفا فباعه واشترى بثمنه طنبوراً فلقب بالخاسر

أخبرنى أحمدُ بنُ عبيد الله بنِ عمار ، قال حدثنى علىّ بن محمد النوفلىّ ، عن أبيه ، قال :

إنما لُقّب سَلْم الخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه ، واشترى بثمنه طُنْبُوراً .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ ، قال : حدثنى عمرُ[1] الفضل ، قال :

قال لى الجَمّاز : سلم الخاسر خالى لَحّاً[2] ، فسألته : لم لقب الخاسر؟ فضحك ، ثم قال: إنه قد كان نَسَك مدة يسيرة ، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه ، وباع مصحفاً له وَرِثه عن أبيه — وكان لجدّه قبله — واشترى بثمنه طُنْبوراً . فشاع خبره وافتَضَح ، فكان يقال له : ويلك ! هل فعل أحد ما فعلتَ ؟ فقال : لَمْ أجد شيئاً أتوسّل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينه من هذا .

أخبرنى عمّى ، قال : أنبأنا عبدُ الله بن أبى سعد ، قال : حدثنى أحمد بن صالح المؤدب ، وأخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى إجازة ، قال : حدثنى أبى ، عن أحمد بن صالح قال ، قال بشارُ بن برد :

صوت

لا خَيْرَ فى العيشِ إن دُمنا كذا أبداً ... لا نلتقى وسبيلُ المُلْتَقَى نَهَجُ[3]
قالوا حَرامٌ تلاقِينا فقلتُ لهمْ ... ما فى التّلاقِى ولا فى غيرِه حرَجُ
مَنْ راقَبَ الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِهِ ... وفاز بالطيّباتِ الفاتكُ اللهِجُ[4]

قال : فقال سلم الخاسر أبياتاً ، ثم أخذ معنى هذا البيت ، فسلخه ، وجعله فى قوله :

مَن راقب الناسَ مات غمّاً ... وفاز باللذة الجَسورُ

---

(١) ف ، ما : «عمى بدل عمر» . (٢) لحا : لاصق النسب .
(٣) نهج ، بسكون الهاء : واضح ، وحركها للوزن .
(٤) اللهج بالشىء : المولع به .

سبب غضب بشار عليه ثم رضاه عنه

فبلغ بيتُه بشاراً ، فغضب واستشاط ، وحلف ألا يَدْخلَ إليه ، ولا يفيدَه ولا ينفعهَ مادام حيًّا . فاستشفَع إليه بكلِّ صديقٍ له ، وكلٌّ من يَثقُل عليه ردُّه ، فكلّموه فيه ، فقال : أدخلوه إلىّ ، فأدخلوه إليه فاستدناه ، ثم قال : إيه ياسلم ، مَن الذى يقول :

مَن راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه وفاز بالطيّباتِ الفاتكُ اللهِجُ

قال : أنت يا أبا معاذ ، قد جعلنى الله فداءك ! قال : فمن الذى يقول :

مَن راقب الناس مات غمّا وفاز باللذة الجسورُ ؟

قال : تلميذك ، وخرِّيجك ، وعبدك يا أبامعاذ . فاجتذبه إليه ، وقَنّعه[1] بمِخْصَرة[2] كانت فى يده ثلاثاً ، وهو يقول : لا أعود يا أبا مُعاذ إلى ما تُنْكره ، ولا آتى شيئاً تذُمّه ، إنما أنا عبدك ، وتلميذك ، وصَنِيعَتك ، وهو يقول له : يافاسق ! أتجىء إلى معنًى قد سهِرتْ له عينى ، وتعِب فيه فِكرى ، وسَبقتُ الناسَ إليه ، فتسرِقَه ، ثم تختصرَه لفظًا تقرّبه به ، لِتَزْرى علىّ ، وتُذهب بيتى ؟ وهو يحلف له ألا يعود ، والجماعة يسألونه . فبَعد لأى وجهد ما[3] شَفَّعهم فيه ، وكفّ عن ضربه ، ثم رجع له ، ورضى عنه .

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمار[4] ، قال : أخبرنى يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور ، قال : حدثنى عبدُ الوهاب بنُ مرّار ، قال : حدثنى أبو معاذ النُّمَيرىّ راوية بشار ، قال :

قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت :

من راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه وفاز بالطيّباتِ الفاتكُ اللهجُ

(١) قنعه بالعصا ونحوها : غشاه بها .
(٢) المخصرة : أداة كالسوط .
(٣) ما شفعهم : « ما » زائدة .
(٤) ف : « محمد بن عبد الله بن عمار » .

قال : فقلت له يا أبا مُعاذ ! قد قال سلم الخاسر بيتًا ، هو أحسنُ وأخفّ على الألسن من بيتك هذا ، قال : وما هو ؟ فقلت :

مَن راقب الناسَ مات غمًّا ... وفاز باللذة الجسورُ

فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله لَوَدِدت أنه ينتمى فى غيرِ ولاء أبى بكر — رضى الله عنه — وأنى مُغْرَم[1] ألف دينار محبة منّى لِهَتْك عرضِه وأعراض مواليه ! قال : فقلت له : ما أخرج هذا القولَ منك إلا غَمّ . قال : أجل ، فوالله لا طَعِمت اليوم طعاما ، ولا صُمْت .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه ، قال : حدثنى محمد ابن إسحاق بنِ محمد النَّخَعىّ[2] ، قال : قال أبو معاذ النميرىّ : قال بشار قصيدة ، وقال فيها :

منَ راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه ... وفاز بالطيّباتِ الفاتكُ اللهجُ

فعرّفته أن سلما قد قال :

مَن راقب الناسَ مات غمًّا ... وفاز باللذة الجسورُ

فلما سمع بشار هذا البيت قال : سار والله بيتُ سلم ، وخَمَل بيتنا ! قال : وكان كذلك ، لَهِج الناسُ بِبَيت سلم ، ولم يُنشِد بيتَ بشارٍ أحدٌ .

شعره فى قصر صالح بن المنصور

أخبرنى محمد بن عِمران الصيرفىّ ، قال : حدثنى الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ ، قال : حدثنى أبو مالك محمد بن موسى اليمانىّ ، قال :

لما بَنى صالح بن المنصور قصرَه بدِجْلة قال فيه سَلْم الخاسر :

---

(١) مغرم : ملزم .

(٢) ف : « إسحاق بن محمد النخعى » .

يا صالحَ الجودِ الذى مَجدُهُ — أفْسدَ مجدَ الناسِ بالجودِ
بَنَيتَ قصراً مشْرفاً عاليا — بطائرَىْ سعدٍ ومسعودِ
كأنمــــا يَرفعُ بنيانَه — جِنُّ سليمانَ بنِ داودِ
لا زلتَ مسروراً به سالمًا — على اختلاف البيضِ والسودِ

— يعنى الأيام والليالى ، فأمر له صالح بألف درهم .

ينشد عمرو بن العلاء قصيدة لبشار فيه ، ثم ينشده لنفسه

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدثنى بعض آل ولد[1] حمدونَ بن إسماعيل — وكان ينادم المتوكل — عن أبيه ، قال :

كان سلم الخاسر من غِلمان بشار ، فلما قال بشار قصيدته الميمية فى عُمر بن العلاء — وهى التى يقول فيها :

إذا نَبَّهتْكَ صعابُ الأمورِ[2] — فنبِّه لهـــا عُمَراً ثم نَمْ
فَتًى لا يبيت على دِمْنَةٍ[3] — ولا يَشرب الماءَ إلا بِدَمْ

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العــلاء ، فوافاه فأنشده إياها ، فأمر لبشار بمائة ألف درهم . فقال له سـلم : إنَّ خادمك — يعنى نفسه — قد قال فى طريقه فيك قصيدة ، قال : فإنك لَهُناك[4]؟ قال : تسمع ، ثم تَحْكُمُ ، ثم قال : هات ، فأنشدَه :

صــوت

قد عزّنى الداءُ فمالِى دَواءْ — مِمّا أُلاقى مِن حِسانِ النساءْ
قَلْبٌ صحيحٌ كنت أسطوبه — أصبح مِن سَلْمى بداءٍ عَياءْ[5]

(١) مم ، ف : بعض ولد «حمدون» (٢) مم : «الخطوب» .
(٣) الدمنة : الحقد القديم الثابت .
(٤) فإنك لهناك ؟ : أفأنت تطيق ذلك ؟
(٥) مم : «لله قلب كنت أسطوبه» .

أنفاسها مِسك وفى طَرْفِها سِحر ومالى غيرها من دواء
وَعَدْتِنى وَعْــداً فأوفِ به هل تَصْلُح الخمرة إلا بماء ؟

ويقول فيها :

كم كُرْبةٍ قد مسّنى ضُرُّها ناديتُ فيها عُمَر بن العلاء

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أولَ عطية سنية وصلت إليه .

صداقته لعاصم بن عتبة ومدحه إياه

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنى ابن مَهْرُويه ، قال : وجَدْت فى كتاب بخط الفضل بن مروان :

وكان عاصم بن عتبة الغسانى جَدُّ أبى السمراء الذى كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر ، كثيرَ البرّ به ، والملاطفة له ، وفيه يقول سَلْم :

الجود فى قحطانٍ ما بَقِيتْ غسانُ
اسلَمْ ولا أبالى[1] ما فَعَل الإخوانُ
ماضَرّ مُرْتجيــه ما فعل الزمانُ
مَن غاله مَخُوفٌ فعاصمٌ أمانُ

لم يكن له وارث فأعطى عاصم بن عتبة ماله

وكانت سبعين بيتاً ، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم ، وكان مَبْلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خَمْسمائةِ ألفِ درهم ، فلما حضرَتْه الوفاة دعا عاصمًا فقال له : إنى ميِّت ،

(١) فى المختار : أسلم لا أبالى .

ولا ورثةَ لى ، وإن مالى مأخوذ ، فأنت أحَقّ به ، فدفع إليه خمسَمائةِ ألفِ درهم ، ولم يكن لسلم وارث . قال : وكان عاصم هذا جواداً .

يزيد بن مزيد يحسد عاصم بن عتبة على شعره فيه

أخبرنى محمد بن خلف وَكيع ، قال : حدثنا عبد الله بنُ أبى سعد ، قال : حدثنى محمد بن طَهمان ، قال : أخبرنى القاسمُ بنُ موسى بنِ مَزْيد

أن يزيدَ بنَ مزيد قال : ما حَسدْتُ أحداً قطُّ على شعر مُدِح به إلا عاصمْ بن عُتْبة الغسّانىّ ، فإنى حسدته على قول سلم الخاسر فيه :

لِعاصمٍ سَــــماءُ عارضُها تَهتانُ
أمطارُها اللجينُ والدر[1] والعِقيانُ[2]
ونارهُ تنــادِى إذْ خَبَت النِّيرانُ
الجودُ فى قحطان ما بقيَت غسان
اسلَمْ ولا أُبالِى ما فَعل الإخوان
صَلَتْ له المعالِى والسيف والسنان

كان يقدم أبا العتاهية على بشار ثم فسد ما بينهما

أخبرنى أحمد بن عُبيـد الله[3] بن عمار قال : حدثنا يعقوبُ بن نُعَيْم عن[4] محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، وأخبرنى به الحسن بن على ، عن ابن مهرويه ، عن الغَريبى ، عن محمد بن عمر الجرجانى ، قال :

كان سلم تلميذَ بشار ، إلا أنه كان تباعدَ مابينهما ، فكان سلم يُقدِّم أبا العتاهية ، ويقول : هو أَشعرُ الجِن والإنس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما :

(١) فى المختار : الإبريز مكان (الدر) ، والإبريز من الذهب : خالصه .
(٢) العقيان : الذهب الخالص .
(٣) ف : «أخبرنى عبيد الله بن عمار» .
(٤) مم : «ومحمد بن القاسم» .

تعالَى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرو   أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ
هَبِ الدّنيا تصيرُ إليك عَفْواً   أليس مصيرُ ذاك إلى زوال !

قال : وبلغ الرشيدَ هذا الشعرُ فاستحسنه ، وقال : لعمرى إن الحرص لَمَفْسَدة لأمر الدين والدنيا ، وما فتَّشت عن حريص قطّ مُغَيَّبِه[1] إلا انكشف لى عمّا أَذُمّه . وبلغ ذلك سلما ، فغضب على أبى العتاهية ، وقال وَيْلِى على الجرّار ابنِ الفاعلة الزِّنْديق ! زعم أنى حريص ، وقد كَنز البُدور[2] وهو يطلب وأنا فى ثوبَىّ هذين ، لا أملك غيرهما . وانحرف عن أبى العتاهية بعد ذلك .

يرد على أبى العتاهية حين اتهمه بالحرص فى شعر له

أَخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ ، قال : حدثنا محمد بن موسى ، قال أَخبرنى محمد ابن إسماعيل السَّدُوسى ، قال : حدثنى جعفر العاصى ، وأَخبرنى عمى ، عن أحمد بن أَبى طاهر ، عن القاسم بن الحسن ، عن زكريا بن يحيى المدائنى ، عن على بن المبارك القُضَاعىّ ، عن سلم الخاسر

أن أبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إليه :

ما أقبحَ التزهيدَ مِنْ واعظٍ   يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان فى تزهيدِه صادقًا   أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ
ورفَضَ الدنيا ولم يَلْقَها   ولم يكن يسعى ويسْترْفِدُ
يخاف[3] أن تنفدَ أرزاقُه   والرزقُ عند الله لا ينفَدُ
الرِّزقُ مقسوم على مَنْ تَرَى   ينالُه الأبيض والأسودُ
كُلٌّ يُوَفَّى رزقَه كاملا   مَنْ كفّ عن جهد وَمن يَجْهَدُ

(١) كذا فى ف ، ومغيبه بدل من حريص ، وفى س : «معيبه» ، وهو تحريف . وفى المختار : ما فتشت عن حريص قط إلا انكشف .

(٢) البدور ، جمع البدرة ، بفتح فسكون ، وهى : قدر كبير من المال .

(٣) كذا فى المختار ، وفى س : «فخاف» ، وهو تحريف .

ابن أخته ينتصر له من أبى العتاهية

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدّثنا ابن مهرويه ، قال : حدّثنى أبو العسكر المِسْمعىّ ، وهو محمد بن سليمان ، قال : حدّثنى العبّاس بن عبد الله بن سِنان بن عبد الملك ابن مسمع ، قال :

كنا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان ، وهو يومئذ أمير البصرة ، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره فى الزهد ، فقال لى : قُثَمُ : يا عباسُ ، اطلب لى الجَمَّازَ الساعة حيث كان فجئنى به ، ولك سَبَق [1] ، فطلبته ؛ فوجدته جالساً ناحية عند رُكْن دار جعفر بن سليمان ، فقلت : له أجب الأمير ، فقام معى حتى أتى قثمَ فجلس فى ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده ، ثم قام إليه الجمّاز فواجهه ، وأنشد قولَ سلم الخاسر فيه :

ما أقبح التزهيدَ [2] من واعظٍ   يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان فى تزهيدِه صادقًا   أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ

وذكر الأبيات كلها ، فقال أبو العتاهية : مَن هذا أعز الله الأمير ؟ قال : هذا الجمازُ ، وهو ابن أخت سلم الخاسر ، انتصر لخاله منك حيث قلت له :

تعالَى اللهُ ياسلمَ بنَ عمرو   أذلّ الحرصُ أعناق الرجالِ

قال : فقال أبو العتاهية للجماز : يا بن أخى ، إنى لم أذهب فى شعرى الأول حيث ذَهب خالُك ، ولا أردتُ أن أهتف به ، ولا ذهبت أيضاً فى حضورى وإنشادى حيث ذَهَبْتَ من الحرص على الرزق ، واللهُ يغفر لكما ! ثم قام فانصرف .

مبلغ ما وصل إليه من الرشيد والبرامكة

أخبرنى عمّى ، عن أحمد بن أبى طاهر ، عن أبى هَفّان ، قال :

وصَل إلى سلم الخاسر مِنْ آل بَرْمَكَ خاصة سِوى ما وصل إليه من غيرهم عِشرون ألف دينار ، ووصل إليه من الرشيد مثلُها .

---

(١) السبق ، بالتحريك : ما يتراهن عليه المتسابقون .
(٢) فى س : « الزهيد » ، وهو تحريف .

يطلب إلى أبي محمد اليزيدي أن يهجوه فيفعل فيندم

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثني عمّاي عبيدُ الله والفضلُ ، عن أبيهما ، عن أبي محمد اليزيديّ :

أنه حضر مجلس عيسى بنَ عمر ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أبا محمد ، اهْجُني عَلَى رَوِيّ قصيدة امرىء القيس :

رُبَّ رامٍ مِنْ بَنِى ثُعَلٍ   مُخْرِجٌ كفيه فى سُتَرِه[1]

قال : فقلت له : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أريد . فقلت له : ياهذا أنا وأنت أغنى الناسِ عما تستدعيه من الشر فَلْتَسَعْك العافية ، فقال : إنك لتَحْتَجِز منّى نهاية الاحتجاز ، وأراد أن يوهم عيسى أنى مُفْحَم عَيِيٌّ لا أقدر عَلَى ذلك ، فقال لى عيسى : أسألك يا أبا محمد بِحَقّى عليك إلا فعَلْت . فقلت :

رُبَّ مغمومٍ بِعَاقِبَةٍ   غَمِطَ النعمةَ من أَشَرِهْ
وامرئٍ طالَت سلامتُه   فرماه الدهرُ من غِيَرِهْ
بِسهامٍ غير مُشْوِيَةٍ   نَقَضَت منه قُوى مِرَرِه[2]
وكذاك الدهر منقلبٌ   بالفتى حالين من عُصُرِهْ
يَخْلِطُ العُسْرَ بِمَيْسَرةٍ   ويَسارُ المرء فى عُسُرِهْ
عَقَّ سلمٌ أمّه صِغَرا   وأبا سَلْمٍ عَلَى كِبَرِهْ

(١) روى : «متلج» مكان «مخرج» ، «وقتره» مكان «ستره» . ومتلج : أصله مولج ، قلبت الواو تاء شذوذا . والستر . جمع سترة ، وهو الموضع الذى يستتر الصائد فيه ، وقيل : هو الكم . والقتر ، جمع قترة ، بضم فسكون . وهى حفيرة يكمن فيه الصائد . وثعل : أبو قبيلة من طى كانت أرمى العرب. وأراد بالرامى هنا : عمرو بن المسبح بن كعب بن طريف . ديوان الشاعر : ١٦٤ ، وشرح شواهد الشافية : ٤٦٧

(٢) أشوى السهم : لم يصب مقتلا . المرر ، جمع مرة ، بالكسر ومن معانيها طاقة الحبل . وفى س : «غير مبرية» .

كلَّ يومٍ خلفَه رجُل رامحٌ يسعى عَلَى أثَرِهْ
يُولِجُ الغُرْمولَ[١] سَبّتَه[٢] كوُلوجِ الضَّبِّ فى جُحُرِهْ

قال : فاغتم سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغى والتعرض للشر ، فضحك عيسى ، وقال له : قد جَهَد الرجل أن تَدَعه وصيانتَه ودِينَه فأبيتَ إلا أن يُدْخِلك فى حِرِ أمك .

ترفهه وتخشن مروان بن أبى حفصة

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلِىّ ، قال : سمعت أبى يقول :

كان المهدى يعطى مروان وسلما الخاسرَ عطية واحدة ، فكان سلم يأتى باب المهدى على البِرْذَوْن الفارِه ، قيمته عشرة آلاف درهم ، بِسَرْجٍ ولجام مفضَّضين ، ولباسُه الخزّ والوَشْى ، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحةُ المِسكِ والطِّيب والغاليةِ تفوح منه ، ويجىء مروانُ بن أبى حفصة عليه فَرْوٌ[٣] كَبَلٌ وقميص كرابيس[٤] وعمامة كرابيس وخفا كَبَل[٥] وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة . وكان لا يأكل اللحم حتى يَقْرَمَ إليه بُخْلا ، فإذا قَرِم أرسل غلامه ، فاشترى له رأساً فأكله . فقال له قائل : أراك لا تأكل إلا الرأس ! قال : نعم ، أعرف سعرَه ، فآمن خيانةَ الغلام ، ولا اشترى لحماً فيطبخَه فيأكلَ منه . والرأس آكُلُ منه ألواناً : آكُلُ منه عينيه لوناً ، ومن غَلْصَمَتِه[٦] لوناً ، ومن دماغه لوناً .

(١) الغرمول : الذكر .
(٢) السبة : الاست .
(٣) فرو كبل ، بالتحريك : قصير .
(٤) قميص كرابيس : الكرابيس ، جمع كرباس . وهو ثوب من القطن الأبيض ، وصف بجمعه .
(٥) الكبل : جلد شفة الدلو ، والكثير الصوف من الفراء .
(٦) الغلصمة : اللحم بين العنق والرأس ، وتطلق على غير ذلك .

ابتلاؤه بالكيمياء ثم انصرافه عنها

أخبرنى الحسن بنُ عليّ ، قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدثنا يحيى بن الحسن الربيعيّ ، قال : أخبرنى أبى ، قال :

كان سلم الخاسرِ قد بُلِي بالكيمياء فكان يذهب بِكُلِّ شىء له باطلا ، فلما أراد الله — عز وجل — أن يَصنع[1] له عُرِّف أنّ بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا ، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلا ، فسأل عنه فدلوه عليه .

قال : فدخلت إليه إلى موضع مُعْوِر[2] ، فدققت الباب فخرج إلىّ ، فقال : مَن أنت عافاك الله ؟ فقلت : رجل معجَب بهذا العلم . قال : فلا تَشْهَرْنى ، فإنى رجل مستور ، إنما أعمل للقوت . قال ، قلت : إنى لا أشهرك ، إنما أقتبس منك ، قال : فاكتم ذلك . قال : وبين يديه كوزُ شَبَهٍ[3] صغيرٌ . فقال لى : اقلَعْ عُروتَه ، فقلعتها . فقال : اسبُكها فى البُوطَقة ، فسبكتها ، فأخرجَ شيئاً من تحت مُصلّاه ، فقال : ذُرَّه عليه ، ففعلت . فقال : أفرغه ، فأفرغتُه . فقال : دعه معك ، فإذا أصبحتَ فاخرُج ، فبعهْ وعُدْ إلىّ ، فأخرجته إلى باب الشام ، فبعتُ المثقال بأحد وعشرين درهما ، ورجعت إليه فأخبرته . فقال : اطلب الآن ماشئت . قلت : تفيدنى . قال : بخَمْسمائةِ درهم على أن لا تعلِّمه أحداً ، فأعطيته ، وكتب لى صفة ، فامتحنتها ، فإذا هى باطلة . فعُدْت إليه ، فقيل لى : قد تحوّل ، وإذا عُروة الكوز المشبَّة[4] من ذهب مركبة عليه ، والكوز شَبَه . ولذلك كان يُدْخل إليه من يَطلبه ليلا ، ليخفى عليه ، فانصرفت ، وعلمت أن الله — عز وجل — أراد بى خيراً ، وأن هذا كله باطل .

(١) يصنع له : يريد الخير له .
(٢) معور : لا يؤمن الشرفيه ، من أعور الفارس : إذا بدا فيه موضع خالل للضرب .
(٣) الشبه : النحاس الأصفر
(٤) المشبه : الملبس الذى لا تعرف حقيقته

يرثى البانوكة بنت المهدى

أخبرنى محمد بنُ عِمران الصيرفىّ ، قال : حدثنا العنَزىّ ، قال : حدثنى أبو مالك اليمانى ، قال : حدثنى أبو كعب قال :

لما ماتت البانوكة بنت المهدى رثاها سلم الخاسر بقوله :

أودَى ببانوكةَ ريبُ الزمانْ   مُؤنسةِ المهدىِّ والخيزُرانْ
لم تَنْطو الأرض على مثلِها   مولودةً حَنّ لها الوالدانْ
بانوكُ يا بنتَ إمام الهُدَى   أَصبحْتِ من زينة أَهل الجِنانْ
بَكتْ لك الأرضُ وسُكّانُها   فى كل أُفْقٍ بين إنسٍ وجانْ

كان يهاجى والبة ابن الحباب

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنى ابن مهرويه ، قال : حدثنى علىّ بن الحسن الشيبانىّ ، قال : حدثنى أبو المستهِلّ الأسدىّ ، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة ، قال :

كان سلم الخاسر يهاجى والِبَة بن الحباب ، فأرسلنى إليه سلم وقال : قل له :

يا والبَ بنَ الُحبَابِ ياحَلَقى[1]   لَسْتَ من أَهل الزناء فانطلقِ
ُ خلُ فيه الغُرمولَ تولجه   مثلَ وُلوجِ المِفتاح فى الغَلَقِ

قال : فأتيت والبة فقلت له ذلك ، فقال لى : قل له : يابن الزانية ، سَلْ عنك ربعان التميمى — يعنى أنه ناكه — قال : وكان رَيْعَانُ لُوطياً آفةً من الآفات ، وكان علّامةً ظريفا .

قال : فحدثنى جعفر بن قدامة عن محمد العِجْلى ، عن أحمد بن معاوية الباهلىّ ، قال : سمعت رَيعانَ يقول : نِكتُ الهيثم بنَ عدىّ ، فمَن ترونه يفْلت منى بعده ؟

يعتذر إلى المهدى من مدحه لبعض العلويين

وأخبرنى أحمد بن العباس العسكرى ، قال : حدثنا العنَزىّ ، قال : حدثنى أبو مالك

(١) الحلقى ، من قولهم : أتان حلقية ؛ بالتحريك : إذا تداولها الحمير حتى أصابها داء فى رحمها .

محمد بن موسى اليمانىّ ، قال :

كان سلم الخاسر مَدَح بعض العلويين ، فبلغ ذلك المهدىَّ ، فتوعّده وهمّ به ، فقال سلم فيه :

إنى أتتنى على المهدىّ مَعْتَبةٌ … تكاد من خوفِها الأحشاء تضطربُ
اسمعْ فداكَ بنُو حواء كلُّهمُ … وقد يجور برأس الكاذب الكذبُ
فقد حَلفتُ يمينا غيرَ كاذبة … يوم المَغِيبة لم يُقطَعْ لها سببُ
ألّا يحالِفَ مدحى غَيرَكم أبدا … ولو تلاقَى علىّ الغَرْضُ[1] والحَقَبُ[2]
ولو ملكتُ عِنان الريح أصْرِفها … فى كلِّ ناحيةٍ ما فاتَها الطلبُ
مولاكَ مولاكَ لاتُشمِت أعاديَه … فما وراءك لِى ذِكْرٌ ولا نسبُ

فعفا عنه .

كان يحسن المدح ولا يحسن الرثاء

وأخبرنى أحمد بن العباس[3] وأحمد بن عبيد الله بن عمار ، قالا : حدثنا العَنَزِىّ ، قال : حدثنى العباسُ بنُ عبدِ الواحد بن جعفرِ بنِ سليمانَ ، قال : حدثنى موسى بنُ عبدِ الله بنِ شهاب المِسْمَعِىّ ، قال :

سمعت أبا عبيدة مَعْمَرَ بنَ المثنى يقول : كان سَلْمُ الخاسر لايحسن أن يمْدَح ، ولكنه كان يحسن أن يرثى ويسأل .

يمدح الرثاء فى حياة من يعنيه رثاؤهم

أخبرنى الحسنُ بن علىّ . قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه ، قال : حدثنى علىُّ بنُ الحسنِ الشّيبانىّ ، قال : حدثنى أبو المُسْتَهِلّ ، قال :

---

(١) الغرض : هو للرحل كالحزام للسرج .
(٢) الحقب : محرك : الحزام يلى حقو البعير ، والحقو بفتح فسكون : الكشح .
(٣) ف : «أحمد بن عبد العزيز» .

دخلت يومًا على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطِيسُ فيها أشعار يَرْثِى ببعضها أمَّ جعفر ، وببعضها جاريةً غير مُسَمّاة ، وببعضها أقواما لم يموتوا ، وأُمُّ جعفر يومئذ باقيــة . فقلت له : ويحك ! ما هذا ؟ فقال : تحدُث الحوادث فيطالبوننا[1] بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا[1] ، ولا يَجْمل بنا أن نقول غير الجَيّد ، فنُعِدّ لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديما ، على أنه قيل فى الوقت .

إعجاب المأمون ببيته : تعالى الله ياسلم

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد وعيسى بنُ الحسين ، قالا : حدثنا الزبير بنُ بَكّار ، قال : قال عبد الله بنُ الحسن الكاتب :

أنشد المأمون قول أبى العتاهية :

تعالَى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرٍو ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجال

فقال المأمون : صدق لَعَمْرُ الله ، إنّ الحِرْص لَمَفسَدَة لِلدِّين والمروءة ، والله ما رأيت من رجل قط حِرْصاً ولا شَرهاً ، فرأيت فيه مُصْطَنعا . فبلغ ذلك سلما الخاسر ، فقال : ويلى على ابن الفاعلة بياع الخزف ، كَنَزَ البُدور بمِثْل ذلك الشعرِ المفكّكِ الغثّ ، ثم تَزَهّد بعد أن استغنى ، وهو دائبًا يهتف بى ، وينسبنى إلى الحرص ، وأنا لا أملك إلا ثَوْبىّ هذين .

يسكت أبا الشمقمق عن هجائه بخمسة دنانير

أخبرنى عمّى والحسنُ بنُ علىّ ، قالا : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه ، قال حدثنا زكريا بنُ مهران ، قال :

طالب أبو الشمَقْمَق سلما الخاسر بأن يهب له شيئا ، وقد خرجَتْ لسلم جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق يهجوه :

يا أمَّ سَلم هداكِ اللهُ زُورِينا ... كيما نَنيكَكِ فَرْدًا أو تَنيكينا

(1) كذا : فى المختار، وفى س : « يطالبونا ويستعجلونا» ، وما أثبتناه أكثر استعمالا .

ما إن ذَكَرْتُكِ إلّا هاجَ[1] لى شَبَقٌ ومثلُ ذِكْراكِ أُمَّ السلم يُشْجِينا

قال: فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أحبّ أن تُعْفِيَنى من استزارتكِ أُمّى وتأخذ هذه الدنانير فتُنْفِقها.

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثنى يحيى بنُ الحسن بنِ عبد الخالق، قال: حدثنى محمدُ بنُ القاسم بنِ الربيع عن أبيه، قال:

من شعره حين ولى يعقوب بن داود بعد أبى عبيد الله

دخل الرّبيعُ على المَهْدِىِّ وأبو عبيد الله جالس يَعْرِض كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مُرْ هذا أن يتنحّى — يعنى الربيع — فقال له المهدى: تَنَحَّ، فقال: لا أفعل. فقال: كأنك تَرانى بالعَينِ الأولى! فقال: لا، بل أراكَ بالعَينِ التى أنت بها. قال: فَلِمَ لا تتنحّى إذ أمرتك؟ فقال له: أنت رُكْنُ الإسلام، وقد قَتَلْتَ ابنَ هذا، فلا آمَن أن يكون معه حَدِيدةٌ يَغتالُك بها، فقام المهدىّ مذعوراً، وأمر بتفتيشه، فوجدوا بين جَوْرَبِه وخُفِّه سِكّينا، فرُدّت الأمور كلُّها إلى الربيع، وعُزِل أبو عبيد الله، ووُلِّىَ يعقوبُ بنُ داود، فقال سلم الخاسر فيه:

يَعقُوبُ يَنظُرُ فى الأمو رِ وأنت تَنظر ناحِيهْ
أدخلتَه فعَـــلا عليــك كذاكَ شؤم الناصيهْ

قال: وكان بلغ المهدىَّ من جهة الربيع أن ابن أبى عُبيد الله زِنْدِيقٌ، فقال له المهدىّ: هذا حَسَدٌ منك. فقال: افحص عن هذا، فإنْ كنتُ مُبْطِلا بلغْتَ مِنِّى الذى يَلزم مَن كذَبك. فأُتى بابنِ عبيدالله، فقرّره تقريراً خفيّاً، فأقرّ بذلك، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسى بذلك. فقتله وصلبه عَلَى بابِ أبى عبيد الله.

(١) فى المختار: «هجت لى شبقا»

قال : وكان ابن أبى عبيد الله هذا من أحمق الناسِ : وهَب له المهدىُّ وَصيفةً ، ثم سأله بعد ذلك عنها ، فقال : مَا وَضَعتُ بينى وبين الأرض حَشِيّةً قَطُّ أَوْطأ مِنها حاشاسامِـع (١) ، فقال المهدىّ لأبيه : أتُراه يعنينى ، أو يعنيك ؟ قال : بَل يَعْنى أُمّه الزانية ، لا يكنى .

شعره فى الفضل ابن الربيع حين أخذ البيعة للمهدى

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ ، قال : حدثنا ابن مَهْرُويَه ، قال : حدثنى يحيى بن الحسن ، قال : حدثنى أبى ، قال :

كنت أنا والربيع نَسِير قريبا مِن مَحْمِل المنصور حين (٢) قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدَّعَتْ ، وكأن رجلا جاء بِحَبل أسود فشدَّدها ، فقال له الربيعُ : مَن الرجل ؟ فلم يُجِبه ، حتى إذا اعتلَّ قال للربيع : أنت الرجل الذى رأيتُه فى نومى شدّد الكعبة ! فأىَّ شىء تعمل بعدى ؟ قال : ما كنت أعمل فى حياتك ، فكان من أمره فى أخذ البيعة للمهدىّ ما كان ، فقال سلم الخاسر فى الفضل بن الربيع :

يا بن (٣) الذى جَبَر الإسلامَ يومَ وهى ... واستنقذَ الناسَ مِن عَمْياء صَيْخودِ (٤)
قالت قريشٌ غَداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ : ... أين (٥) الربيع وأعطَوْا بالمَقاليدِ
فقام بالأمر مِئناسٌ بوَحْدَتِه ... مَاضِى العزيمةِ ضرّابُ القَماحيد (٦)
إن الأمورَ إذا ضاقَتْ مَسالِكُها ... حَلّتْ يدُ الفضلِ مِنها كلَّ معقودِ

(١) كذا فى الأصول : وقد تكون : سامع هذا .
(٢) فى س : «حتى» وهو تحريف .
(٣) كذا فى المختار : وفى س : «وابن» ، وما أثبتناه هو ما يقتضيه بدء الكلام .
(٤) الصيخود ، هى فى الأصل : الصخرة الشديدة ، ويوم صيخود : شديد الحر . وصف بها الفتنة الشديدة العمياء التى كان يمكن أن يتعرض لها الناس لولا صنيع الفضل .
(٥) كذا فى س ، ف . وفى مم : «يا بن الربيع» .
(٦) القماحيد ، جمع القمحدوة ، كالقلنسوة . وهى : الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال . والقذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس . وجمع القمحدوة قماحد ، فأشبع كسرة الحاء .

إنّ الربيع وإن الفضلَ قد بَنَيا   رواقَ مجدٍ على العبَّاس ممدودِ

قال : فوهب له الفضلُ خمسة آلاف دينار .

شعره حين عقدت البيعة للأمين

أخبرني عمي ، قال : حدثنا أبو هِفّان ، قال : حدثني سعيد أبو هُرَيم[1] وأبو دعامَة ، قالا : لما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عَقد البَيعةَ لابنه محمد الأمين :

قد بايَع الثَّقلانِ في مَهْد الهُدَى   لمحمد بنِ زُبَيْدَةَ ابنةِ جعفرِ

ولّيتَـه عَهدَ الأنامِ وأمْرَهُمْ   فدمَغْتَ بالمعروفِ رأسَ المنكَرِ

أعطته زُبَيْدَةَ مائةَ ألفِ درهم .

المهدي يأمر له بخمسمائة ألف درهم لقصيدته فيه

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه ، قال : حدثنا عبد الله بن عمرو ، قال : حدثني أحمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الخراسانيّ[2] عن يحيى بنِ الحسنِ ابنِ عبد الخالق ، عن أبيه ، قال :

قال سلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها :

له شِيمَةٌ عند بَذْلِ العَطا   ءِ لا يَعْرِفُ الناسُ مقدارَها

ومَهْديُّ أُمّتِنـا والذي   حَماها وأَدرَكَ أوتارَها

فأمر له المهديّ بخَمسِمائةِ ألفِ درهم .

طلب إلى الرشيد أن يفضله في الجائزة على مروان بن أبي حفصة فأجابه الرشيد

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا منصور بنُ أبي مزاحمٍ قال : شَهِدْتُ المهديَّ وقد أمر لمروانَ بنِ أبي حفصةَ بأربعين ألفَ درهم ، وفرضَ له على أهل بيتهِ وجلسائه ثلاثين ألفَ درهم . وأمر الرشيدُ بَعد ذلك لمّا ولى الخلافةَ لسلم الخاسر —

(١) ف : «وابن هريم» .
(٢) ف : «أحمد بن محمد بن عيسى» .

وقد مدحه — بسبعين ألفَ درهم ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ أكثر ما أعطى المهدىُّ مروانَ سبعون ألفَ درهم ، فزِدْنى وفضِّلنى عليه ، ففعل ذلك ، وأعطاه تتمة ثمانين ألف درهم ، فقال سلم :

فخره على مروان بجائزته ورد مروان عليه

أَلا قُلْ لمروانٍ أَتتْكَ رسالةٌ لها نبأٌ لا يَنْثَنى عن لِقائكا
حَبانى أَميرُ المؤمنين بنَفْحَةٍ مُشَهَّرَةٍ قد طأْطأَتْ من حِبَائكا
ثمانين ألفاً حُزْتُ من صُلبِ ماله ولم يك قَسْماً من أُولَى وأُولائكا

فأجابه مروان فقال :

أَسلْمَ بنَ عمرو قد تَعاطَيْتَ غايةً تُقَصِّرُ عنها بعدَ طُول عنائكا
فأُقسِمُ لولا ابنُ الربيع ورِفْدُه لما ابتَلّت الدّلْوُ التى فى رِشائكا
وما نِلتَ مذْ صُوِّرتَ إلا عطيّةً تقُوم بها مَصرورةً فى ردائكا

مات عن غير وارث فوهب الرشيد تركته

حدثنى وَسْواسة بن الموصلىّ ، وهو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إسماعيل بنِ إبراهيم ، قال : حدثنى حماد عن أبيه ، قال :

استَوهبَ أَبى من الرشيدِ تَرِكةَ سلم الخاسر ، وكان قد مات عن غير وارث ، فوهبها له قَبلَ أن يتسلّمها صاحبُ المواريث ، فحصَّل منها خمسين ألف دينار .

أخبرنى عمى ، قال : حدثنى أبو هِفَّان ، عن سعيدِ بن هُرَيم وأبى دعامة أنه رُفِـع إلى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفى ، وخلَّف مما أخذه منه خاصة ومن زُبَيْدَةَ أَلْفَ أَلْفٍ وخمسَمائةِ ألفِ درهم سوى ما خلّفه من عَقَار وغيره مما اعتقده[1] قديماً ، فقبضه الرشيد . وتظلم إليه مواليه من آل أبى بكر الصديق ، رضوان الله عليه ، فقال : هذا

(١) اعتقده : جمعه .

خادِمِى ونَدِيمِى ، والذى خلَّفه من مالى ، فأنا أحقُّ به ، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه .

رثاؤه معن بن زائدة ومالكاً وشهابا ابنى عبد الملك بن مسمع

أخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ الخزاعىّ ، قال : حدثنا عيسى بنُ إسماعيلَ ، عن القَحْذمىّ ، قال : كان مالكٌ وشهابٌ ابنا عبدِ الملك بنِ مِسْمع ومعنُ بنُ زائدة مُتَوَاخِين ، لا يكادون يفترقون . وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم ، ويُفْضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم ، فتُوفِّى مالكٌ ثم أخوه ثم معن فى مدة متقاربة ، فقال سلم يرثيهم :

عَيْنُ جُودِى بِعَبْرَةٍ تَهْتَانِ (١) واندُبِى مَن أصابَ ريْبُ الزمانِ
وإذا ما بَكَيتِ قَوماً كِراما فعَلَى مالكٍ أبى غسّانِ
أينَ معنٌ أبو الوليدِ ومن كا(٢) ن غِياثًا لِلْهالك الحيرانِ ؟
طَرَقتْك المنونُ لا واهِىَ الحبلِ ولا عاقِداً بِحِلْفِ يمانِ
وشهابٌ وأين مثلُ شهابٍ عند بَذلِ النَّدَى وحَرِّ الطِّعانِ
رُبَّ خِرْقٍ(٣) رُزِئْتُه من بَنِى قيسٍ وخِرْقٍ رُزِئتُ من شيبانِ
دَرَّ(٤) درُّ الأيامِ ماذا أجَنَّت(٥) منهمُ فى لفائف الكتان ! (٦)
ذاك معنٌ ثوى ببست(٧) رهينًا وشهابٌ ثوى بأرضِ عُمانِ

(١) عبرة تهتان : منصبة ، وصف بالمصدر .
(٢) ف : « وقد كان » .
(٣) الخرق : السخى ، أو الظريف فى سخاوة .
(٤) در : كثر ، و الدر : اللبن . ودر دره : دعاء له بكثرة الخير ؛ والمراد هنا التعجب .
(٥) أجنت : وارت .
(٦) مم : «الأكفان» .
(٧) س : «بنست» ، تحريف .

وهُما ماهُما لِبَذْلِ العطايا ولِلَفِّ الأقران بالأقـــرانِ
يَسْبقان المنونَ طَعْنًا وضربًا ويَفُكَّانِ كُلَّ كَبْل(١) وَعانِ(٢)

أمر له الرشيد بمائة ألف درهم فى قصيدة أنشده إياها

أخبرنى وكيع ، قال حدثنى يزيدُ بنُ محمدٍ المُهلَّبىّ ، قال : حدثنى عبد الصمد ابنُ المُعذَّل ، قال :

لما أنشد سلمُ الخاسرِ الرشيدَ قصيدته فيه :

* حَضَر الرَّحِيلُ وشُدَّت الأحْداجُ *

أمر له بمائةِ ألفِ درهم .

حدثنى جَحْظةُ قال حدثنى ميمونُ بنُ هارون قال :

دخل سلْم الخاسر على الفضل بنِ يحيى فى يوم نيروز والهدايا بين يديه ، فأنشده :

من شعره فى الفضل بن يحيى وجائزته عليه

أمِنْ رَبْعٍ تسائلُهُ وقَدْ أقْوَتْ منـــازلُهُ
بِقَلْبى مِنْ هوَى الأطلا لِ حُبٌّ ما يُزايِـلُهُ
رُوَيدَ كُمُ عن المَشْغو فِ إنَّ الُحبَّ قاتلُهُ
بَلابِلُ صَدرِه تَسْرى وقـد نامت عـواذِلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتفضيـــلِ مَن تُرْجَى فَوَاضِلُهُ
رأيت مكارمَ الأخلا قِ ماضَمَّت حمائلُهُ
فلست أرَى فتًى فى النا سِ إلا الفَضْلُ فاضِلُهُ
يَقول لسانُه خَـــيرا فتَفْعـــلُه أنامـــلُهُ

---

(١) الكبل : القيد ، أو أعظم ما يكون من القيود .
(٢) العانى : الأسير .

ومهما يُرْجَ(١) مِنْ خيرٍ فإنّ الفضـــل فاعلُهُ

وكان إبراهيم الموصليّ وابنُه إسحاق حاضرَيْن ، فقال لإبراهيم : كيف(٢) ترى وتسمع ؟ قال : أحسنَ مَرْئِيٍّ ومسموع ، وفضلُ الأميرِ أكثرُ منه . فقال : خُذوا جميع ما أُهْدِيَ إلىّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثا(٣) إلا ذلك التمثال ، فإنى أريد أن أهديَه اليومَ إلى دنانيرَ ، ثم قال : لا ، والله ، ما هكذا تفعل الأحرار ، يُقَوَّم وندفع إليهم ثمنه ، ثم نُهديه . فقُوِّم بألفَى دينار ، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

شعر له يعده معن ابن زائدة أحسن مامـدح به

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخُزاعىّ ، قال : حدثنى عيسى بنُ إسماعيلَ تينةُ قال : حدثنى القَحْذَمىّ ، قال :

قيل لِمَعْنِ بن زائدة : ما أحْسَنُ ما مُدِحْتَ به من الشعرِ عندك ؟ قال : قولُ سَلْمٍ الخاسر :

أَبْلِغ الفِتْيانَ مألُكةً(٤) أنَّ خيرَ الوُدِّ ما نفعا
أنَّ قَرْمًا(٥) من بَنى مَطَرٍ أتلَفَتْ كفّاه ما جمعا
كُلّما عُـــدْنا لنائلِه عاد فى معروفه جَذَعا(٦)

شعر له فى الفضل ابن يحيى وقد أشار برأى أخذ به

أخبرنى عمى ، قال : حدثنى عبدُ الله بنُ أبى سعدٍ ، قال : حدثنى أبو توبةَ .

وأخبرنى الحسنُ بن علىّ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُويه عن أبى توبة ، قال : حدَثَ فى أيام الرشيد أمرٌ فاحتاج فيه(٧) إلى الرأى ، فأشْكَل ، وكان الفضلُ بن

(١) فى التجريد : «ترج» .
(٢) فى التجريد : «كيف ما ترى» . وسقط فيه : كلمة «تسمع» .
(٣) كذا فى المختار وفى س : «ثلاثا» ، وهو تحريف .
(٤) المألكة : الرسالة . (٥) القرم : السيد .
(٦) الجذع : الشاب الحدث ، والمراد : عاد أكثر ارتياحا للندى .
(٧) كذا فى المختار ، وفى س : «إليه» ، وهو تحريف . وفى التجريد ، ف ، مم : «فاحتيج» .

يحيى غائباً ، فورد فى ذلك الوقت ، فأخبروه بالقصة ، فأشار بالرأى فى وقته ، وأُنْفذَ الأمر على مشورتِه ، فُحمد ماجَرى فيه ، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده :

بَدِيهتُه وَفِكْرَتُه سواءٌ إذا ما نابَهُ الخَطْبُ الكبيرُ
وَأحزَمُ ما يكونُ الدَّهرَ رأيا إذا عىّ (١) المُشاوِرُ والمُشير (٢)

فأمر له بِعشْرةِ آلاف درهم .

اشترى سكوت أبى الشمقمق عن هجائه

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامةَ ، قال : حدثنى أبو العيناء ، قال : حدثنى الجَمَّازُ أنّ أبا الشَّمَقْمَقِ جاء إلى سلم الخاسر يستمحيه فمنعه ، فقال له : اسمع إذاً ماقلتُه ، وأنشده :

حَدَّثونى أنّ سَلما يَشتَكى جارةَ أيرِهْ
فَهْوَ لا يَحْسُدُ شيئا غيرَ أيرٍ فى آست غيرِهْ
وإذا سرَّكَ يَوْماً ياخليلى نَيْلَ خَيرِهْ
قُمْ فَمُرْ راهبَك الأصْلَعَ يقرع بابَ ديْرِهْ

فضحِك سلم ، وأعطاه خمسة دنانير ، وقال له : أحب — جعلت فداءك — أن تَصرفَ راهبَكَ الأصلعَ عن بابِ دَيْرِنا .

أنشد الرشيد فتطير وأمر بإخراجه

أخبرنا الحسنُ بنُ علىّ ، قال : حدثنا ابنُ مَهْرُوَيه ، قال : حدثنى أحمد بنُ أبى كامل ، قال : حدثنى أبو دِعامة ، قال :

دخَل سلم الخاسر على الرشيد ، فأنشده :

---

(١) فى التجريد : «أعيا» .

(٢) زاد فى المختار بعد هذا البيت :

وصدر فيه للهم اتساع إذا ضاقت عن الهمّ الصدور

* حَيِّ الأحِبّةَ بالسلام *

فقال الرشيد :

* حياهُم اللهُ بالسلامِ *

فقال :

* عَلَى وَداع أم مُقام *

فقال الرشيد : حيّاهم الله على أيّ ذلك كان ، فأنشده :

لَمْ يَبْقَ منكَ ومِنْهُم غيرُ الجلودِ على العظام

فقال له الرشيد : بل منك ، وأمر بإخراجه ، وتطيّر منه ، ومن قوله ، فلم يسمع منه باقيَ الشعر ولا أثابه بشيء .

شعره فى الهادى حين بويع له .

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد ، قال : حدثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : أتتْ وفاةُ المهديّ إلى موسى الهادى ، وهو بجُرْجان ، فبويع له هناك ، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنئين ، فهنأه بخلافة الله ، ثم أنشده :

لَمّا أتتْ خيرَ بَنى هاشمٍ خلافةُ الله بجُرْجانِ
شَمَّرَ لِلْحزمِ[1] سَرابيلَه برَأْيِ لاغَمْرٍ ولا وانِ
لم يُدخِلِ الشُّورَى على رأْيه والحزْمُ لا يُمْضيه رأْيانِ

يقر باستاذية بشار له

أخبرنى الحسن بنُ علىّ وعمى ، قالا : حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويه ، قال : حدثنى صالح بنُ عبد الرحمن عن أبيه ، قال :

دخل سلم الخاسر على الرشيد ، وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى ، فأنشده قوله فيه :

(١) فى التجريد : «للحرب» .

* حضَرَ الرّحيلُ وشُدّت الأحْداجُ(١) *

فلما انتهى إلى قوله :

إن المنـايا فى السيوفِ كَوَامِنٌ حتى يُهَيِّجَها فتًى هَيّاجُ

فقال الرشيد : كان ذلك معن بن زائدة ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله :

ومُدَجَّجٍ يَغْشَى المَضِيقَ بسَيْفه حتى يكونَ بسـيفهِ الإفراجُ

فقال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فاغتاظ جعفرُ بن يحيى ، وكان يزيد بنُ مزيد عـدوًّا للبرامكة ، مصافياً للفضل بن الربيع . فلما انتهى إلى قوله :

نزَلَتْ نُجومُ الليلِ فَوقَ رءوسِهِمْ ولـكِلِّ قومٍ كوكبٌ وهّاجُ

قال له جعفرُ بنُ يحيى : من قِلّة الشعر حتى(٢) تمـدحَ أميرَ المؤمنين بشعرٍ قيل فى غيره ! هذا لبشّار فى فلان التميمىّ ، فقال الرشيد : ما تقول ياسلم ؟ قال : صدَق ياسيدى ، وهل أنا إلا جزْء من محاسنِ بشار ، وهل أنطق إلا بفضل منطقه ! وحياتِك يا سيدى إنى لأروِى له تسعة آلافِ بيت ما يعرف أحد غيرى منها شيئاً ، فضحك الرشيد ، وقال: ما أحسن الصدق ! امضِ فى شعرك ، وأمر له بمائةِ ألفِ درهم ، ثم قال للفضل بن الربيع : هل قال أحد غيرُ سلم فى طَيِّنا المنازلَ شيئاً ؟ — وكان الرشيد قد انصرف من الحج ،

(١) عجزه كما فى التجريد :

* وغدا بهن مشمر مزعاج *

والأحداج ، جمع الحدج ، بكسر فسكون ، وهو مركب النساء .

(٢) فى التجريد : « من قلة شعر يمدح » .

وصفه هو والنمرى على الرشيد المنازل

وطوى المنازل ، فوصف ذلك سلم — فقال الفضل : نعم يا أميرَ المؤمنين ، النَّمَرىّ ، فأمر سلما أن يَثبتَ قائماً حتى يفرغ النمرَىّ من إنشاده ،فأنشده النَّميرىّ قوله :

تَخَرَّق سِرْبالُ الشباب مع البُرْدِ وحالَتْ لنا أُمُّ الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد : أيُّهما أشعر عندك ياعم ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولوكان كلام يُستفحَل[1] لِجَودتِه حتى يؤخَذَ منه نَسْل لاستفحلتُ كلامَ النَّمَرىّ ، فأمر له بمائة ألف درهم أخرى .

رثاء أشجع السلمى

أخبرنى عمى ، قال : أنشدنى أحمدُ بن أبى طاهر لأشجع لسُّلَمىّ يَرْثى سلما الخاسر ومات سلم قبله :

ياسَلْمُ إن أصبحْت فى حُفرةٍ موسَّداً تُرْباً وأحجاراً
فرُبَّ بيتٍ حسنٍ قُلتَه خَلَّفتَه فى الناس سيَّارا
قَلَّدتَه ربّا وَسَـــيَّرتَه فكان فخراً منك أو عاراً
لو نطق الشعر بكى بعده عليه إعلانا وإسرارا

(١) فى التجريد : «و لوكان الشعر يستفحل» .

صوت

يا وَيحَ من لعب الهوى بحياته ... فأماته من قبلِ حين مماته
مَنْ ذا كذا كان الشقى بشادن ... هاروت بين لسانه ولَهـاتهِ
وحياة من أهوَى فإنّى لم أكن ... يوما لأحلف كاذباً بحياته
لأخالِفَنَّ عَواذِلى فى لذّتِى ... ولأُسْعِدَنَّ أخى عَلَى لذّاته

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه ، والغناء لأبى صدقه رمل بالبنصر (١)

(١) كذا فى ف ، مم ، ما ، مج . وجاء فى ب ، س مكان هذه الأبيات بعد كلمة صوت :

أجدك ما تعفو كلوم مصيبة ... على صاحب إلا فجعت بصاحب
تقطع أحشائى إذا ما ذكرتكم ... وتنهل عينى بالدموع السواكب

عروضه من الطويل ، الشعر لسلمة بن عياش ، والغناء لحكم ، وله فيه لحنان بالبنصر وهزج بالوسطى . وما أثبتناه أنسب للترجمة التالية .

أخبار أبى صدقة(*)

اسمه وولاؤه

اسمه مسكينُ بنُ صدقةَ من أهل المدينة، مولًى لقريش. وكان مليحَ الغناء، طيِّب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة؛ من أكثرِ الناسِ نادرة، وأخفِّهم رُوحًا، وأشدّهم طمعًا، وألحِّهم فى مسألة. وكان له ابنٌ يقال له: صدقة يُغَنّى، وليس من المعدودين، وابنُ ابنِه أحمدُ بنُ صدقة الطُّنبورىّ — أحدُ المحسنين من الطُّنْبُوريين، وله صنعة جيدة، وكان أشبهَ الناسِ بجَدِّه فى المَزْح والنوادر. وأخبارُه تُذْكَر بعد أخبار جدِّه. وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمَهم هارون الرشيد من الحجاز فى أيامه.

يذكر أسباب كثرة سؤاله

أخبرنى علىُّ بنُ عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله، قال:

قيل لأبى صَدقة ما أكثرَ سؤالَك، وأشدَّ إلحاحَك! فقال: وما يمنعنى من ذلك، واسمى مسكين، وكُنْيتى أبو صدقة، وامرأتى فاقة، وابنى صدقة!

يتغنى مع مغنى الرشيد فيشتد طرب الرشيد لغنائه

أخبرنى رضوانُ بنُ أحمد الصيدلانىّ، قال: حدثنا يوسفُ بنُ إبراهيم، قال:

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى أن الرشيد قال للحارث بن بُسْخُنَّر: قد اشتهيتُ أن أرى نُدَمائى ومَن يحضُر مجلسى من المغنين جميعاً فى مجلس واحد، يأكلون ويشربون، ويتبذّلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام، بل يفعلون ما يفعلون فى منازلهم وعند نظرائهم، وهذا لا يتمّ إلا بأن أكونَ بحيثُ لا يرَونَنى، عن غير علم منهم برُؤْيتى إياهم. فأعِدَّ لى مكاناً أجلس فيه أنا وعمّى سليمان وإخوتى: إبراهيم بن المهدىّ،

(*) هذه الترجمة مما سقط من طبعة بولاق.

وعيسى بن جعفر(١) وجعفر بن يحيى . فإنا مُغَلِّسون(٢) عليك غداةَ غد ، واستَزِرْ أنت محمدَ بن خالد بنِ بَرْمكَ ، وخالدا أخا مَهْرُويَه ، والخضْرَ بنَ جبريل ، وجميع المغنين ، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا ، وأبسُطْ الجميع ، وأظهرْ بِرَّهم ، واخلع عليهم ، ولا تدَعْ من الإكرام شيئاً إلا فعلتَه بهم . ففعل ذلك الحارث ، وقدّم إليهم الطعام فأكلوا ، والرشيد ينظر إليهم ، ثم دعا لهم بالنبيذ . فشربوا ، وأُحضرت الخلع ، وكان ذلك اليوم يوما شديد البرد ، فخلع عَلَى ابن جامع جُبةَ خزٍّ طارُونىٍّ(٣) مبطنةً بسَمُّور صينىّ ، وخلع عَلَى إبراهيم المَوْصلى جُبّةَ وَشْيٍ كوفى مرتفع مبطنةً بِفَنَكٍ(٤) ، وخلع عَلَى أبى صدقةَ دُرّاعة(٥) مُلْحِم(٦) خراسانىٍّ مَحْشُوّةً بِقَزٍ ، ثم تغنى ابن جامع ، وتغنى بعده إبراهيم ، وتلاهما أبو صدقة فغنّى لابن سُرَيج :

ومِنْ أجْلِ ذات الخال أعملْتُ ناقتى أُكلِّفها سَيرَ الكَلَالِ مع الظَّلْعِ(٧)

فأجاده ، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده . فقال له الحارث : أحسنتَ والله يا أبا صدقة ! قال له : هذا غنائى وقد قَرَصنى البرْد ، فكيف تراه(٨) — فدَيتك — كان يكون(٨) لو كان تحت دُرّاعتى هذه شُعَيرات ؟ يعنى الوبر ، والرشيد يسمع ذلك

(١) ف : «إسماعيل بن جعفر» .
(٢) مغلسون : قادمون بغلس ، وهو ظلمة آخر الليل
(٣) الطاروني : نوع من الخز .
(٤) الفنك ، بالتحريك : دابة فروتها أطيب الفراء ، والمراد بجلد فنك .
(٥) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .
(٦) الملحم : نوع من الثياب .
(٧) البيت لعمر بن أبى ربيعة ، فى ديوانه : ٣٣٠ ، والظلع : مصدر ظلع ، كمنع : إذا غمز فى مشيه .
(٨) فى س : «تتكون» ، وهو تحريف .

فضحك ، فأمر بأن يُخْلَع عليه دراعةُ مُلْحِم مبطنةٌ بفَنَك ، ففعلوا ، ثم تغنى الجماعة ، وغنى أبو صدقة لمعبَد :

بأن الخليط على بُزْلٍ[1] مخيَّسةٍ[2] هُدْلِ المشافر أدنى سيرِها الرَّمَلُ

ثم تغنّى بعده لمعبَد أيضا :

بانَ الخليطُ ولو طُووِعت مابانا وقطّعوا من حِبال الوصلِ أقرانا[3]

فأقام فيهما جميعاً القيامة ، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طربا فقال له الحارث : أحسنت والله يا أبا صدقة — فديتك — وأجملت ، فقال أبو صدقة : فكيف ترى — فديتك — الحال تكون لو كانت عَلَى هذه الدراعة نُقَيْطات ؟ يعنى الوشى ، فضحك الرشيد حتى ظهر ضحكه ، وعلِموا بموضعه ، وعرف علمَهم بذلك ، فأمر بإدخالهم إليه ، وأمر بأن يُخلع عَلَى أبى صدقة دراعةٌ أُخرى مبطنةٌ ، فخُلِعت عليه .

صادره الحسن ابن سليمان على جمل يأخذه ويكف عن السؤال فلم يف له

أخبرنى محمدُ بنُ مزيد بن أبى الأزهر ، قال : حدثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : سأل الحسن[4] بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان الطفيلىّ[5] الفضل وجعفرا ابنَىْ يحيى أن يُقيما عنده يوما ، فأجاباه[6] ، فواعدعِدة من المغنين ، فيهم أبو صدقة المدَنى ، فقال لأبى صدقة : إنك تُبْرِم بكَثْرة السؤال : فصادِرْنى[7] على شىء أدفعه إليك

(١) البزل : جمع البازل ، وهو الجمل أو الناقة بزل نابها : أى انشق ، ويكون ذلك فى تاسع سنيه .
(٢) مخيسة : مروضة مذللة .
(٣) الأقران : جمع قرن ، كسهل ، وهو الحبل المفتول من لحاء الشجر ، والخصلة المفتولة من الصوف .
(٤) ف : «الحسين بن سليمان» .
(٥) ف : «الطفى» .
(٦) فى س : «فأجابه» ، وهو تحريف .
(٧) صادرنى على شىء : طالبنى به .

ولا تسألْ شيئاً غيره ، فصادره على شىء أعطاه إياه . فلما جلسوا وغنَّوا أُعجبوا بغناء أبى صدقة ، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سُرَيج ومعبَد وابن محرز وغيرهم ، فغنّاهم ، ثم غنى — والصنعة له رمل :

يا ويحَ مَن لعب الهوى بحياتِه فأماته مِنْ قَبْلِ حينِ مماتِه
مَنْ ذا كذا كان الشقىّ بشادِنٍ[1] هاروتُ بين لسانِه ولهاتِه[2]

وذكر الأبيات الأربعة المتقدِّمَ ذكرُها ، قال : فأجاد وأحسنَ ما شاء ، وطرب جعفر ، فقال له : أحسنت وحياتى ، وكان عليه دُوّاج[3] خزٍّ مبطن بسمّور جيد ، فلما قال له ذلك شَرِهتْ نفسُه وعاد إلى طبعه ، فقال : لو أحسنتُ ما كان هذا الدُّوّاجُ عليك ، ولتَخلعنّه علىّ ، فألقاه عليه ، ثم غنّى أصواتاً من القديم والحديث ، وغنّى بعدها من صناعته فى الرمل :

لَمْ يَطُلِ العهدُ فتنسانى ولَمْ أَغِبْ عنك فتنعانى
بَدّلتَ بى غيرى وباهتَّنى[4] ولم تكن صاحبَ بُهتانِ
لا وَثِقَتْ نفسى بإنسانٍ بَعدكَ فى سرٍّ وإعلانِ
أعطيتنى ما شئتُ من مَوْثقٍ منك ومن عهدٍ وأيمانِ

فقال له الفضل : أحسنت وحياتى ! فقال : لو أحسنت لخلعت علىّ جُبّة تكون شكلا لهذا الدُّوّاج ، فنزع جبته وخلعها عليه ، وسكروا وانصرفوا . فوثب الحسن بن سليمان ، فقال له : قد وافقتُك على ما أرضاك ، ودفعتُه إليك على ألا تسأل أحداً شيئاً ، فلم تَفِ ،

(١) الشادن : ولد الظبية .
(٢) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق .
(٣) الدواج : اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه .
(٤) باهتنى : حيرتنى وأدهشتنى بما تفترى على من الكذب .

وقد أخذتَ مالك ! والله لا تركتُ عليك شيئاً مما أخذتَه ، ثم انتزعه منه كرهاً وصرفه ، فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر ، فضحكا منه ، وأخلفا عليه ما ارتجعه الطفيلى (١) منه من خِلَعِهما .

نسبة ما مضى فى هذه الأخبار من الغناء

صــوت

بانَ الخليطُ على بُزْلٍ مُخَيَّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرملُ
مِنْ كل أعيَس (٢) نضّاح القفا قَطِمٍ (٣) ينفِى الزمامَ إذا ماحنّت الإبلُ

الغناء لابن عائشة ، خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو الهشامى ، وقال الهشامى خاصة : فيه لابن محرز هزج ، ولإسحاق ثقيل أول ، ووافقه ابن المكّىّ . وما وجدْتُ لمعبَد فيه صنعةً فى شىء من الروايات ، إلا فى المذكور .

وأما :

* بان الخليط ولو طووعت ما بانا *

فقد مضى فى المائة المختارة ، ونُسب هناك وذُكرتْ أخباره .

يذكر الرشيد أسباب إلحاحه فى المسألة

أخبرنى رضوان بن أحمد ، قال : حدثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن المهدىّ ، قال :

كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحّهم ، فقال له الرشيد : ويلك ما أكثر سؤالك !

(١) ف : «الطفيلى» .
(٢) الأعيس : البعير الأبيض يخالط بياضه شقره .
(٣) القطم : الفحل يشتهى الضراب ، والفعل قطم ، كفرح .

فقال : وما يمنعنى من ذلك ، واسمى مسكين ، وكنيتى أبو صدقة ، واسم ابنى صدقة ، وكانت أمى تلقَّب فاقة ، واسم أبى صدقة ، فمن أحق منى بهذا ؟

كثرة عبث الرشيد به

وكان الرشيد يعبَث به عَبثاً شديداً ، فقال ذات يوم لمسرور : قُلْ لابنِ جامع وإبراهيم الموصلى وزبير بن دحمان وزُلزُل وبَرْصُوما وابنِ أبى مريم المدينى : إذا رأيتمونى قد طابت نفسى ، فليسألنى كل واحد منهم حاجة ، مقدارُها مقدارُ صلته . وذكر لكل واحد منهم مقدار[1] ذلك ، وأمَرهم أن يكتموا أمرهم عن أبى صدقة ، فقال لهم مسرور ما أمره به ، ثم أذِن لأبى صدقة قبل إذْنه لهم ، فلما جلس قال له : يا أبا صدقة ، قد أضجرْتَنى بكثرة مسألتك ، وأنا فى هذا اليوم ضَجِرٌ ، وقد أحببتُ أن أتفرّج وأفرح ، ولست آمن أن تنغِّص علىّ مجلسى بمسألتك ، فإمّا أنْ أعفيتَنى من أن تسألنى اليوم حاجة وإلا فانصرِف . فقال له : يا سيدى لستُ أسألك فى هذا اليوم ، ولا إلى شهرٍ حاجةً ، فقال له الرشيد : أما إذ شَرطتَ لى هذا على نفسك ، فقد اشتريت منك حوائجَك بخَمسمِائة دينار ، وها هى ذه فخذها هنيئة مُعجَّلة ، فإن سألتَنى شيئاً بَعدها فى هذا اليوم ، فلا لَوْم عَلَىّ إن لمَ أصِلْك سنةً بشىء . فقال له : نعم ، وسنتين . فقال له الرشيد : زِدْنى فى الوثيقة فقال : قد جعلْتُ أمرَ أمّ صدقة فى يَدك ، فطلِّقها متى شئت ، إن شئتَ واحدةً ، وإن شئتَ ألفاً إن سألتُك فى يومى هذا حاجة . وأشهدَ[2] اللهَ ومَن حضر عَلَى ذلك ، فدفع إليه المال ، ثم أذِن للجلساء والمغنين فحضروا ، وشرب القوم .

فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع : يا أميرَ المؤمنين ، قد نِلْتُ منك مالم تبلغْه أمنيّتى ، وكثُر إحسانك إلىّ حتى كَبَتَّ أعدائى وقتلْتهم . وليستْ لى بمكة دار تُشْبِه

(١) فى التجريد : «مبلغ» .
(٢) ف : «وأشهدتُ الله» .

حالى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمال أبنى به داراً ، وأفرشُها بباقيه لِأفقأ عيون أعدائى وأُزهقَ نفوسهم — فعل: فقال: وكم قدّرتَ لذلك؟ قال : أربعة آلاف دينار ، فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصلىّ فقال له : قد ظهرتْ نِعمتُك عَلَىّ وعَلَى أكابر ولَدى ، وفى أصاغرِهم مَن قد بلَغ ، وأريد تزويجه ، ومِن أصاغرهم مَن أحتاج إلى أن أُطهره ، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدماً ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحْسِنَ معونتى عَلَى ذلك فعل ، فأمر له بمثل ما أمَرَ لابن جامع ، وجعل كلّ[1] واحد منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره ، ويسأل حاجة على قدر جائزته ، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تُفَرّق يميناً وشمالا ، فوثب على رجليه قائماً ، وقال للرشيد : يا سيدى ، أقِلْنى ، أقالك الله عثْرتك! فقال له الرشيد : لا أفعل ، فجعل يستحلفة ويضطرب[2] ويلحّ ، والرشيد يضحك ويقول : ما إلى ذلك سبيل ، الشرط أمْلَك .

فلما عِيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدى الرشيد ، وقال له : ها كها قد رددتُها عليك وزدتُك فرجَ أمِّ صدقة فطلّقها إن شئتَ واحدة ، وإن شئت ألفاً . وإن لم تُلحقنى بجوائز القوم فألحقنى بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزّال[3] ، وكانت صلته ألف دينار . فضحك الرشيد حتى استلقى ، ثم رَدّ عليه الخمسمائة الدينار ، وأمر له بألف دينار معها . وكان ذلك أكثرَ ما أخذه منه مذ يومَ خَدَمه إلى إن مات ، فانصرف يومئذ بألفٍ وخمسمائة دينار .

عبث جعفر بن يحيى والرشيد به

أخبرنى رضوان بن أحمد ، قال : حدثنى يوسف بنُ إبراهيم ، قال : حدثنى أبو إسحاق ، قال :

---

(١) كذا فى التجريد : وفى س : «ولكل» ، وهو تحريف .
(٢) كذا فى التجريد : وفى س : «يضرب» ، وهو تحريف .
(٣) ف : «عمرو بن الغزال» .

مُطِرْنا ونحن مع الرشيد بالرّقة مطراً مع الفجر، واتصل إلى غد ذلك اليوم، وعرّفنا خبر الرشيد، وأنه مقيم عند أمّ ولده المسماة بِسحرَ، فتشاغلنا فى منازلنا. فلما كان مِنْ غَدٍ جاءنا رسول الرشيد، فحضرنا جميعاً، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضى: ما صنع فيه فيخبره، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره، فقال: كان عندى أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة، فكان أبو زكار كلما غنّى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده، وحكى أبا زكار فيه وفى شمائله وحركاته، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظاً، ويشتم أبا صدقة كلّ شَتم حتى يَضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسطنا الشراب وسئمنا من العبث به، فقلت له: دع هذا وغنّ غِناءك، فغنّى رمَلا ذكر أنه من صنعته، طربت له — والله يا أمير المؤمنين — طربًا ما أذكر أنى طربتُ مثله منذ حين، وهو:

صوت

فتَنَتْنِى بفاحمِ اللون جَعْدٍ وبِثَغرٍ كأنه نظم دُرِّ
وبِوجهٍ كأنه طلعة البـد رِ وعَينٍ فى طَرفها نَفْثُ سِحْرِ

فقلت له: أحسنتَ والله يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لى: إنى قد بنيتُ داراً حتى أنفقت[1] عليها حَرِيبَتى[2]، وما أعددت لها فرشاً، فافرشها لى، نجَّد[3] الله لك فى الجنة ألف قصر. فتغافلتُ عنه، وعاود الغناء، فتعمدت أنْ قلتُ له. أحسنت، ليعاود مسألتى وأتغافل عنه، فسألنى وتغافلت، فقال لى: يا سيدى هذا التغافل متى حدث لك؟

(١) ف: «دارا أنفقت».
(٢) حريبة الرجل: ماله الذى سلبه.
(٣) نجّد: زين.

سألتك بالله ، وبحق أبيك عليك إلا أجبتَنى عن كلامى ولو بشَتْمٍ ! فأقبلتُ عليه وقلت له : أنت والله بَغِيض ، اسكتْ يا بغيض ، واكفف عن هذه المسألة المُلحّة ، فوثب من بين يدَىّ ، وظننت أنه خرج لحاجة ، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفاً من أن تَبتلّ ، ووقف تحت السماء ، لا يواريه منها شىء والمطر يأخذه ، ورفع رأسه وقال : يا ربِّ أنت تعلم أنى مُلهٍ ، ولست نائحاً ، وعبدُك هذا الذى رفعتَه وأحوجتنى إلى خِدْمته يقول لى : أحسنت ، لا يقول لى : أسأت ، وأنا منذ جلستُ أقول له : بَنيتُ ، لم أقل : هدمت ، فيحلف بك جرأة عليك أنى بَغيض ، فاحْكُمْ بينى وبينه يا سيدى ، فأنت خير الحاكمين .

فغلبنى الضحك ، وأمرتُ به فتنحّى ، وجَهدت به أن يغنى ، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أنى أفرش له داره ، وخدعتهُ فلم أُسَمِّ له ما أفرشها به ، فقال الرشيد : طيِّبٌ والله ! الآن تَمَّ لنا به اللهو ، وهو ذا أدعو به ، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش ، لأنك حلفت له بحياتى ، فهو يتنجّز ذلك بحضرتى ليكون أوثق له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبوارى [1] ، وحاكِمْهُ إلىّ . ثم دعا به فأُحضر ، فما استقرّ فى مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى : الفرش الذى حلفتَ لى بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى ، تقدَّمْ فيه ، فقال له جعفر : اختر ، إن شئتَ فرشتُها لك بالبوارى ، وإن شئتَ بالبَرْدِىّ من الحصر ، فضج واضطرب .

فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة ؟ فأخبره ، فقال له : أخطأتَ يا أبا صدقة ، إذ لم تُسَمِّ النوع ولا حدّدتَ القيمة ، فإذا فرشها لك بالبوارى أو بالبَرْدِىّ أو بما دون ذلك فقد وفى بيمينه ، وإنما خدَعك ، ولم تفطن له أنت ، ولا توثقت ، وضيَّعت حقك . فسكت ،

(١) البوارى : جمع البارية ، وهى الحصير المنسوج .

وقال: نوفِّر البردىّ والبوارىّ عليه أيضاً، أعزه الله. وغنى المغنون حتى انتهى إليه الدور، فأخذ يغنى غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء، فقال له الرشيد: أيْشٍ هذا الغناء ويلك! قال: مَن فُرِشت دارُه بالبوارى والبردى فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضاً لِمَنْ هذه صلته، فضحك الرشيد والله وطرب وصفَّق، ثم أمر له بألف دينار من ماله وقال له: افرش دارك من هذه، فقال: وحياتك لا آخذها يا سيدى أو تحكم لى على جعفر بما وعدنى، وإلاّ متُّ والله أسفاً لفَوات ما حصل فى طمعى ووُعدت به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار، فقبلها جعفر، وأمر له بها.

قصة وصوله إلى السلطان

أخبرنى محمد بن مزيد، قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال: كان سبب وصول أبى صدقة إلى السلطان أنّ أبى لما حج مَرَّ بالمدينة، فاحتاج إلى قَطْع ثياب، فالتمس خياطاً حاذقاً، فدُلّ على أبى صدقة، ووُصف له بالحذق فى الخياطة والحذق فى الغناء وخفة الروح، فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه، وسمع غناءه فأعجبه، وسأله عن حاله، فشكا إليه الفقر، فخلّف لعيالة نفقة سابغة لسَنة، ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان.

قال[1] حماد: فقال أبو صدقة يوماً لأبى: قد اقتصرت بى[2] على صنعة أبى إسحاق أبيك، رحمه الله عندى، وأنت لا، رُبَّ[3] ذلك بشىء، فقال له: هذه الصينيَّة الفضةُ التى بين يدىّ لك إذا انصرفْت، فشكره وسُرّ بذلك، ولم يزل يغنيه بقية يومه، فلما أخذ النبيذ فيه قام قَوْمة ليبول، فدعا أبى بصينية رصاص لخول قِنِّينَتَه وقَدَحه فيها، ورفع الصينية الفضة، فلما أراد أبو صدقة الانصراف شد أبى الصينية فى منديل، ودفعها إلى غلامه، وقال له: بِتِ الليلة عندى واصطبح غداً، واردُد دابتَك. فقال: إنى إذاً

(١) الفقرة التى أولها: قال حماد إلى آخر الترجمة زيادة فى س على ما فى ف.
(٢) فى س: «به»، وهو تحريف. (٣) رب ذلك: زده.

لأحمق ، أدفع إلى غلامى صينية فضة ، فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها ، ويركب الدابة ويهرب ، ولكنى أبيت عندك ، فإذا انصرفتُ غداً أخذتها معى ، وبات وأصبح عندنا مصطبحاً ، فلما كان وقت انصرافه أخذها ومضى ، فلم يلبث من غد أن جاءنا والصينية معه ، فإذا هو قد وجَّه بها لِتُباع ، فعرّفوه أنها رصاص ، فلما رآه أبى من بعيد ضحك ، وعرف القصة وتماسك ، فقال له أبو صدقه : نِعْم الخلافةُ خلفتَ أباك ، وما أحسن ما فعلت بى ! قال : وأىّ شىء فعلت بك ؟ قال : أعطيتنى صينيةَ رصاص ، فقال له أبى : سخُنَتْ عينك ! سخِرَت امرأتُك بك ، وأنا مِن أين لى صينية رصاص ؟ فتشكك ساعة ، ثم قال : أظن والله أن ذلك كذلك ، فقام . فقال له أبى : إلى أين ؟ قال : أضع والله عليها السوط فأضربها به حتى تَرُدَّ الصينية ، فلما رأى أبى الجِدَّ منه قال له : اجلس يا أبا صدقة ، فإنما مزحْتُ معك ، وأمر له بوزنها دراهم .

صــوت

إنّ مَنْ يملِكُ رِقّى   مالكٌ رقّ الرِّقابِ
لم يكن يا أحسن العا   لم هذا فى حسابى

الشعر لفضل الشاعرة ، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل بالوسطى ، عن ابن المعتز [1] .

(١) كذا فى ف ، ما ، حم ، حج ، وجاء فى س مكان هذين البيتين بعد كلمة « صوت » .
لقد علمت وما الإسراف من خلقى   أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه   ولو جلست أتانى لا يعنينى
الشعر لعروة بن أذينة ، والغناء لمخارق ، ثقيل أول بالبنصر ، عن عمرو . وما أثبتناه أنسب للترجمة التالية .

أخبار فضل الشاعرة(*)

نشأتها وصفاتها

كانت فَضْل جاريةً مولَّدة من مولَّدات البصرة ، وكانت أمها من مولَّدات اليمامة . بها وُلِدَت ، ونشأت فى دارِ رجلٍ من عبد القيس ، وباعها بعد أن أدّبها وخرّجها، فاشتُريت وأُهدِيت إلى المتوكل . وكانت هى تزعم أن الذى باعها أخوها ، وأن أباها وطئ أُمها فولدتْها منه ، فأدّبها وخرّجها معترفاً بها ، وأنّ بنيه من غير أُمها تواطئوا على بيعِها وجَحْدها ، ولم تكن تُعْرف بعد أن أُعتقت إلا بفضل العبدية . وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة سريعة البديهة ، مطبوعة فى قول الشعر . ولم يكن فى نساء زمانها أشعرُ منها .

كانت تجلس للرجال ويجيئها الشعراء

أخبرنى محمدُ بنُ خلفِ بن المَرْزُبان ، قال : حدثنى أحمدُ بنُ أبى طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة لرجل من النخّاسين بالكَرْخ يُقال له : حُسْنَوَيْه ، فاشتراها محمد بن الفَرَج أخو عمر بن الفرج الرُّخَّجيّ ، وأهداها إلى المتوكل ، فكانت تجلس للرجال ، ويأتيها الشعراء ، فألقى عليها أبو دُلَف القاسمُ بن عيسى :

قالوا عشِقْتَ صغيرةً فأجبتُهمْ أشهى المَطىِّ إلىّ مالم يُرْكَبِ
كم بَيْنَ حبّةِ لؤلؤ مثقوبةٍ نُظِمتْ وحبةِ لؤلؤٍ لم تُثْقَبِ

فقالت فضل مجيبة له :

إن المطيـــة لا يَلَذُّ رُكوبُها ما لم تُذَلَّلْ بالزِّمام وتُرْكَبِ
والدُّرُّ ليس بنـافعٍ أصحابَه حتى يُؤلَّف للنِّظام بمِثْقَبِ(1)

(*) وهذه الترجمة أيضا مما سقط من طبعة بولاق .

(1) فى المختار :

والحبّ ليس بنافع أربابه مالم يؤلف فى النظام ويثقب .

شعرها فى المتوكل حين دخلت عليه

حدثنى عمِّى ومحمدُ بنُ خلف ، قالا : حدثنا أبو العيناء ، قال : لما دخلَتْ فضل الشاعرة على المتوكل يوم أُهدِيتْ إليه قال لها : أشاعرةٌ أنت ؟ قالت : كذا زَعم مَن باعنى واشترانى ، فضحك وقال : أنشدينا شيئاً من شعرك فأنشدَتْه :

استقبل الملكَ إمامُ الهدى عامَ ثلاثٍ وثلاثينـــــا

— تعنى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سِنِى الهجرة —

خِلافةٌ أفْضَت إلى جعفر وهو ابنُ سبع بعدَ عِشرينا
إنّا لنَرجو يا إمام الهـدى أن تَمْلِكَ الناس[1] ثمانينا
لاقدَّسَ اللهُ امرأً لم يَقُلْ عندَ دُعائى لك : آمينا

فاستحسن الأبيات ، وأمر لها بخمسة آلاف درهم ، وأمر عَرِيبَ[2] فغنّت فيها .

شعرها على لسان المعتمد فى جارية

حدثنى عمِّى ، قال : حدثنى أبو عبد الله أحمدُ بن َحمدون ، قال : عُرِضَتْ على المعتمد جاريةٌ تباع فى خلافة المتوكل ، وهو يومئذ حديث السنّ ، فاشتطّ مولاها فى السَّوْم ، فلم يشترها ، وخرج بها إلى ابن الأغلب ، فبيعت هناك . فلما ولىَ المعتمد الخلافة سأل عن خبرها ، وقد ذكرها فأُعْلِم أنها بيعت وأَوْلَدها مولاها ، فقال لفضل الشاعرة : قولى فيها شيئًا ، فقالت :

عَلَمَ الجمـــالِ تركْتنى فى الُحبّ أشهرَ مِن عَلَمْ
وَنَصَـــبْتِنى يامُنْيَتى غَرَضَ المَظِنةِ والتُّهمْ
فارقتِنى بعـــدَ الدُّنوّ فصِرْتِ عندى كالحُلُمْ
فلَوَ أنّ نَفْسى[3] فارَقَتْ جسمى لِفقدكِ لم تَلُمْ

---

(١) ف : «الأرض» ، وفى ما : «الأمر» .
(٢) فى المختار ، ف ، «ما عرنجا» ، وهو تحريف . (٣) ف ، ما : «روحى» .

ما كان ضرَّكِ لو وَصَلْــتِ نخفّف عن قَلْبى الألَمْ
بِرِســـالةٍ تُهْدِينها أو زَوْرةٍ تحتَ الظُّلَمْ
أوْلَا فَطِيفِى[1] فى المنا مِ فلا أقلَّ من اللَّمَمْ
صِــــلَةُ المحبِّ حَبِيبَه اللهُ يَعْلَمُه كَرَمْ

شعر لها تجيب به عن شعر فى الشوق إليها

حدثنى محمدُ بنُ العباس اليزيدىُّ ، قال : كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة :

أصبحْتُ فَرْداً[2] هائمَ العَقْلِ إلى غزالٍ حَسَنِ الشَّكلِ
أضْنَى فؤادى طولُ عهدى بهِ وبُعْدُه مِنِّى ومن وَصْلى
مُنْيةُ نفسى فى هَوَى فَضْلِ أنْ يجمعَ اللهُ بها شَمْلى
أهْواكِ يافضــلُ هوى خالصا فما لِقَلْبى عنكِ من شُغْلِ

قال : فأجابته :

صـــوت

الصبرُ ينقص والسَّقامُ[3] يَزِيدُ والدارُ دانيــةٌ وأنتَ بَعِيدُ
أشكُوكَ أمْ أشكو إليكَ فإنه لا يَسْتطيعُ سواهما المجهودُ
إنى أعُوذ بحُرْمتى بكَ فى الهَوَى مِنْ أن يطاعَ لديكَ فىَّ حَسودُ[4]

فى هذه الأبيات رمَل طُنْبُورى . وأظنه لجحْظة .

شعر آخر تبادل فيه شوقا بشوق

أخبرنى محمد بنُ خلف بنِ المرْزُبان ، قال : حدثنى الحسنُ بنُ عيسى الكوفىّ ، قال : حدثنا أبو دهمان ، وأخبرنى أيضاً به عبد الله بن نصر المَرْوَزىّ ، قالا :

(١) طيفى : أمر من طاف الخيال يطيف : إذا جاء فى النوم . وفى ف ، مم : «أولا فطيفْ» .
(٢) ف ، ما : «صبا» .
(٣) فى المختار : «الغرام» .
(٤) ف ما : « يا منيتى من أن يطاع حسود » .

كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً وأرقِّهم شعراً ، فكتب إليها بعضُ مَن كان يجمعه وإياها مجلسُ الخليفة ، ولا تطلعه على حبها[1] له :

ألاليتَ شِعرى فيكِ[2] هل تَذْكرينَنى   فذِكراكِ فى الدنيـــا إلىّ حَبيبُ
وهل لى نصيبٌ فى فؤادكِ ثابتٌ   كما لكِ عندى فى الفؤادِ نَصيبُ
ولستُ بمَوْصولٍ فأحيا بِزَوْرَةٍ   ولا النفسُ عند اليأس عنكِ تَطيب

قال : فكتبت إليه :

نَعَم[3] وإلٰهى إننى بكَ صَبّـةٌ   فهل أنتَ يامَن لا عَدِمتُ مُثيب ؟[4]
لِمَنْ أنتَ منه فى الفؤادِ مصوَّر   وفى العَينِ نُصْبَ العينِ حين تَغيب
فَثِقْ بِوِدَادٍ أنت مُظهرُ مثلِهِ   عَلَى أنّ بى سُقْماً وأنتَ طبيب

تجيز بيتا أنشده المتوكل

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة ، قال : حدثنى يحيى بنُ علىِّ بن يحيى المنجِّم ، قال : حدثنى الفضلُ بنُ العباس الهاشمىّ ، قال : حدثتنى بَنانُ الشاعرة ، قالت[5] :

اتكأ المتوكل على يَدِى ويدِ فضل الشاعرة ، وجعل يمشى بيننا ، ثم قال : أجيزا لى قول الشاعر :

تعلمتُ أسباب الرضا خوفَ عَتْبها[6]   وعَلّمها حُبِّى لهـــا كيف تَغضَب

فقالت له فضل :

تَصُدُّ وأدْنو بالمودةِ جاهدا   وتَبعُد عنى بالوصال وأقرُب

(١) فى المختار : «يطلعها على حبه لها» .
(٢) فى المختار : «فضل» ، وهى أوضح وأشبه .
(٣) فى المختار : « لعمر إلهى » .
(٤) فى المختار : «نصيب» .
(٥) فى س : «قال» ، وهو تحريف .
(٦) فى المختار : «سخطها» .

فقلت أنا :

وعندي لها العُتبى على كلّ حالة ... فما مِنْهُ لي بدّ ولا عنه مذهب

تجيب ببيت عن بيت ألقى عليها

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان ، قال : حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة :

ومستفتِحٍ بابَ البلاء بنَظْرةٍ ... تَزوَّدَ منها قلبُه حسْرةَ الدهْرِ

فقالت :

فوالله مايَدري أتَدْري بما جَنَت ... عَلَى قلبِه أوأهلكَتْه وماتَدْري ؟

ارتجالها شعرا تجيز به بيتا

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ[1] ، قال : حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : ألْقَيْت أنا على فضل الشاعرة :

عَلَمَ الجمالِ تركْتِني ... بهواكِ[2] أشهرَ مِنْ علَمْ

فقالت على البديهة :

وأبحتَني ياسيِّدي ... سَقَما يجلّ عن السقَمْ

وترَكْتَني غرَضا — فَدَيْتُكَ — للعوَاذلِ والتُّهمْ

صِلَةُ المحبِّ حبيبَه ... اللهُ يَعلَمُه كرَم

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ ، قال : حدثني محمدُ بنُ الوليد ، قال : سمعت عليّ بنَ الجَهْم يقول : كنت يوما عند فضل الشاعرة ، فلحظتُها لَحْظة استرابت بها ، فقالت :

يا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعرُّضُهْ ... يرمي ولا يُشعِر أني غرضُهْ

(١) ف : «أخبرني علي بن صالح» .

(٢) ف ، ما : «في والحب» .

قلت :

أىُّ فتى لَحْظُكِ ليس يُمْرِضُهْ ... وأىُّ عَقدٍ محكَمٍ لا ينقُضُهْ !

فضحكت ، وقالت : خذ فى غير هذا الحديث .

تتشوق إلى حبيب

حدثنى عمِّى ، قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه ، قال : حدثنى إبراهيم ابن المدبِّر ، قال :

كتبَتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيد أيامَ كانت بينهما محبة وتَواصل :

وعيشِك لَو صرّحتُ باسمِك فى الهوى ... لأقصَرْتُ عن أشياء فى الهزْل والجِدِّ

ولكننى أبدِى لهذا مَودّتى ... وذاكَ ، وأخلو فيكَ بالبَثِّ والوَجْد

مخافةَ أن يُغْرِى بنا قولُ كاشحٍ ... عدُوّاً[1] فيسعَى بالوِصالِ إلى الصدِّ

فكتب إليها سعيد :

تنامِين عن لَيْلى وأسهرُه وحدى ... وأنهَى جفونى أن تبثُّكِ ماعِندى

فإنْ كنتِ لاتَدْرينَ ماقد فعلْتِهِ ... بنا فانظُرى ماذا على قاتِلِ العمدِ ؟

قال عمى : هكذا ذكر ابن مهرويه .

وحدثنى به علىُّ بنُ الحسين بنِ عبد الأعلى ، فذكر أن بيتى سعيد كانا الابتداء ، وأن أبيات فضل كانت الجواب . وذَكر لها خبراً فى عِتاب عاتبها به ، ولم أَحْفظه ، وإنما سمعتُه يذكره ، ثم أخرج إلىّ كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن علىٍّ بنِ الحسين ، فوجدت هذا الخبر فيه ، فقرأته عليه .

قال علىُّ بنُ الحسينِ بنِ عبد الأعلى :

---

(١) فى س : «عدو» ، بالرفع .

حضر سعيدُ بنُ حُمَيد مجلساً حضرته فضل الشاعرة وبُنان ، وكان سعيد يهواها ، وتُظْهِر له هوًى ، ويتهمها مع ذلك ببنانٍ ، فرأى فيها إقبالا شديداً على بُنانٍ ، فغضب وانصرف ، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأُوَل ، وأجابها بالبيتين الآخرين ، فاتفقت رواية ابنِ مَهْرُويه وعليِّ بنِ الحسين فى هذا الخبر .

تعتذر من حجب زائرين عنها دون علمها

أخبرنى محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان ، قال : حدثنى أبو يوسف بنُ الدقاق الضرير ، قال :

صِرْتُ أنا وأبو منصور الباخَرْزِىّ إلى منزل فضل الشاعرة فحُجِبنا عنها وانصرفنا ، وما علمتْ بنا ، ثم بلَغها مجيئنا وانصرافنا فكرِهَت ذلك وغمّها ، فكتبت إلينا تعتذر:

وما كنت أخشى أن تروْا لىَ زلّةً ولكنّ أمْرَ اللهِ ما عنه مَذْهبُ
أعُوذ بحُسنِ الصفحِ منكمْ وقبْلَنا بِصفْحٍ وعفوٍ ماتعوّذ مُذنب

فكتب إليها أبو منصور الباخرزىّ :

لئن أُهدِيَت عُتباكِ لى ولإخوتى فمِثلُك يا فضلَ الفضائلِ[1] يُعتِبُ
إذا اعتذر الجانِى محا العذرُ ذنبَه وكلُّ امرئٍ لا يَقبل العُذْرَ مذنِبُ

شعرها للمتوكل وقد يئست من إيقاظه لموعدة بينهما

حدثنى علىُّ بنُ هارونَ بنِ علىِّ بنِ يحيى المنجّم ، قال : حدثنى عمّى عن جدّى ، قال: قال لى المتوكل يوماً — وفضل واقفة بين يديه : ياعلىّ ، كانَ بَينى وبين فضل موعد ، فشرِبْت شُرْباً فيه فضْل ، فسكِرْت ونمت ، وجاءتنى للموعد ، فحرَكَتْنى بكل ما ينتبه به النائم من قَرْص وتحريك وغمز وكلام ، فلم أنتبه . فلما علمَتْ أنه لاحيلة لها فىّ كتبَتْ رُقعة ووضعَتْها على مخدّتى ، فانتبهت فقرأتها ، فإذا فيها :

(١) فى م : «الفواضل» .

قد بَدا شِبْهك يامو   لاىَ يَحْذُو بالظلامِ
قُمْ بِنا نَقْضِ لُبانا   تِ التزامِ والتثامِ
قَبْلَ أنْ تَفْضَحنا عَوْ   دةُ أرواحِ النِّيامِ

تهاجى جارية هشام المكفوف

أخبرنى محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان، قال: حدثنى أحمدُ بن أبى طاهر، قال: كانت فضل الشاعرة تُهاجِى خنساء جاريةَ هشامِ المكفوف، وكانت شاعرةً، وكان أبو شِبْل عاصمُ[1] بنُ وهبٍ يعاون فضلا عليها، ويهجوها مع فضل. وكان القصيدىّ والحفصى[2] يُعينان خنساء على فضل وأبى شبل، فقال أبو شبل على لسان فضل:

خنساءُ طِيرى بِجنَاحَيْنِ   أصبحْتِ معْشوقةَ نَذْلَيْنِ
مَن كان يهوَى عاشقاً واحداً   فأنت تَهْوَيْنَ عَشِيقَيْنِ
هذا القصيدىّ وهذا الفتى الـ   ـحفصىّ قد زاراكِ فَرْدَيْنِ
نَعِمْتِ من هذا وهذا كما   يَنْعَم خِنزير بحُشَّيْنِ[3]

فقالت خنساء تجيبها:

ماذا مَقالٌ لكِ يا فضلُ بَلْ   مقالُ خِنزيرينِ فَرْدَينِ
يُكْنَى أباالشبلِ ولو أبصرَتْ   عيناهُ شِبلا راثَ[4] كُرَّيْنِ[5]

وقالت فضل فى خنساء:

---

(١) ف، مم: «عصم بن وهب».

(٢) ف، ما: «والصلحى».

(٣) الحشان: مثنى حش، وهو البستان، ثم نقل إلى موضع قضاء الحاجة؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين.

(٤) يقال: راث الفرس، كما يقال: تغوط الإنسان.

(٥) الكران: مثنى كر، بالضم. وهو مكيال، قيل: إنه أربعون إردبا.

إنَّ خنساء لا جُعِلْتُ فِداها اشتراها الكَسَّارُ من مولاها
ولها نَكْهَةٌ يقـــول محاذيـــها أهـــذا حَدِيثها أم فُسَاها !

وقالت خنساء فى فضل وأبى شبل :

تقُول له فضلٌ إذا ما تخوَّفَتْ ركوبَ قبيحِ الذُّلِّ فى طلبِ الوصلِ
حرَامٌ فتًى لم يلْق فى الحب ذِلةً فقلت لها لا بَلْ حرَامٌ أبى الشبل

وقالت خنساء تهجو أبا شبل :

ما ينقضى فِكْرِى وطولُ تعجُّبى مِن نعجةٍ تُكْنَى أبَا الشبلِ
لَعِبَ الفحولُ بسُفْلها وعِجانها[1] فتمرَّدَتْ كتمرُّدِ الفحلِ
لما اكتنَيْتَ بما اكتنيتَ به وتَسَمَّتَ[2] النقصانُ بالفضل
كادَتْ بِنا الدنيا تَميد ضحى ونَرَى السماء تَذُوب كالمُهْل[3]

قال : فغضب أبو شبل لذلك ، ولم يجبها ، وقال يهجو مولاها هشاماً :

نِعْمَ مَأوَى العُزَّاب بَيتُ هشام حين يرمِى اللِّثامَ باغى اللثامِ
مَن أراد السرور عند حبيبٍ لِينالَ السرورَ تحت الظلامِ
فهشامٌ نَهـــارُه ودُجى الليـــل سواءٌ نَفْسِى فِداءُ هشام
ذاك حرٌ دواتُه ليس تخلو أبداً من تخَرُّق الأقلام

زارت سعيد بن حميد فأعجلها طلب الخليفة

حدثنى عمى ، قال : حدثنى ميمونُ بنُ هارون ، قال :
زارت فضل الشاعرة سعيدَ بنَ حُمَيد ليلةً على موعد سَبَق بينهما ، فلما حصلت عنده

(١) العجان : الاست .
(٢) تسمت ، كأنه من السمت ، وهو هيئة أهل الخير ، والمراد تشبه أو تزين .
(٣) المهل ، من معانيه : القطران الرقيق ، والذائب من الصفر والحديد .

جاءتها جاريتُها مبادرةً تُعلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها ، فقامت مبادرةً فمضت ، فلما كان من غد كتب إليها سعيد :

ضَنَّ الزمانُ بها فلما نِلْتُها ... وَرَدَ الفِراقُ فكان أقبحَ وارِدِ
والدمعُ ينطق للضمير مصدِّقاً ... قولَ المُقِرِّ مكذِّبًا للجاحدِ

رثى المنتصر وتبكيه

حدثنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا ابنُ أبى الدنيا ، قال : حدثنى ميسرةُ بنُ محمد ، قال : حدثنى عُبيد بن محمد ، قال :

قلت لفضل الشاعرة : ماذا نزل بكم البارحة ؟ — قال : وذلك فى صبيحة قَتْل المنتصِر المتوكل [1] — فقالت وهى تبكى :

إنّ الزمانَ بذَحْلٍ[2] كان يطلبنا ... ما كان أغفلَنا عنه وأسهانا !
مالى وللدهرِ قد أصبحْتُ هِمتَه ... مالى وللدَّهرِ ماللدَّهرِ لا كانا !

شعرها فى حضرة المتوكل يوم نيروز

أخبرنى محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان ، قال : حدثنى محمدُ بنُ الفضل ، قال : حدثنى أبو هفّان ، قال : حدثنى أحمدُ بنُ أبى فَنَن ، قال :

خرجت قبيحةُ[3] إلى المتوكل يوم نَيْروزٍ وبيدها كأسُ بَلُّورٍ بشراب صاف ، فقال لها : ما هذا فديتُك ؟ قالت : هَدِيّتى لك فى هذا اليوم ، عرّفك الله بركته ! فأخذه من يدها ، وإذا على خدّها : جَعْفَرٌ ، مكتوبًا[4] بالمسك ، فشرب الكأسَ وقبّل خدها ، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت :

(١) كذا فى ف : وفى ما : «فى صبيحة قتل المنتصر المعتز» ، وفى س : «قتل المنتصر أو المعتز» .
(٢) الذحل : الثأر .
(٣) قبيحة : اسم جارية .
(٤) ف : «وكان على خدها مكتوب جعفرا بالمسك» .

صــوت

وكاتبةٍ بالمسك فى الخدِّ جعفرا ... بنفسى سواد المسكِ من حيثُ أثّرا
لئن أثّرتْ بالمسك سطراً[١] بخدّها ... لقد أودعَتْ قلبى من الحزْن[٢] أسطُرا
فيا مَن مُناها فى السريرة جعفرٌ ... سقى الله من سُقيا ثناياكِ جعفرا

الغناء لعَرِيبَ ، خفيفُ رملٍ . قال : وأمر عريب فغنّت فيه . وقالت فضل فى ذلك أيضاً .

سُــــلافةٌ كالقمَر البـاهرِ ... فى قَدَح كالـكوكب الزاهر
يُدِيرها خَشْفٌ[٣] كبَدْرِ الدجَى ... فوق قضيبٍ أهيفٍ ناضرِ
على فـتًى أروعَ من هاشمٍ ... مثلِ الحسامِ المُرْهَف الباترِ

وقد رُويت الأبيات الأُول لمحبوبة شاعرةِ المتوكل ، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرتُ بعضها فى موضع آخر من هذا الـكتاب .

تتشوق إلى سعيد ابن حميد

أخبرنى محمدُ بنُ خلف ، قال : أخبرنى أبو الفضل[٤] المَرْوروذىّ ، قال : كتبَتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُميد :

بَثَثْتُ هواكَ فى بَدَنى ورُوحى ... فألّف فيهما طمعاً بيأسِ

فأجابها سعيد فى رقعتها :

كفانا اللهُ شرّ اليأس إنى ... لبُغض اليأس أبغض كل آسى

(١) كذا فى المختار ، وفى س : « سكرا » ، وهو تحريف .
(٢) ف ما : « من الحب » .
(٣) الخشف ، مثلثة : ولد الظبى أول ما يولد ، أوأول ما يمشى .
(٤) ف ، ما : «الفضل» .

تميل إلى بنان ويفتر ما بينها وبين سعيد بن حميد

حدثنى عمّى ؛ قال : حدثنى ابنُ أبى المدور الوراق ، قال :

كنت عند سعيدِ بنِ حُميد ، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعّب ، وقد بلغه ميلُها إلى بُنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك ، فأقبل على صديق له فقال : أصبحْتُ واللهِ من أمر فضل فى غُرور ، أخادع نفسى بتكذيب العِيانِ ، وأمنّيها ماقد حِيل دونه. والله إنّ إرسالى إليها بعد ما قد لاح من تغيرها لَذُلّ ، وإنّ عدولى عنها وفى أمرها شبهة لَعجْز ، وإنّ تصبرى عنها لِمَنْ دواعى التلَف ، ولله دَرُّ محمدِ بنِ أمية[1] حيث يقول :

ياليت شِعْرِى ما يكون جوابى ... أمّا الرسولُ فقد مضى بكتابى
وتعجّلتْ نفسى الظنونُ وأشْعِرَت ... طمعَ الحريصِ وخِيفةَ المُرْتاب
وترُوعنى حركاتُ كلِّ محرِّكٍ ... والبابُ يقرعه وليس ببـــابى
كمْ نحوَ بابِ الدارِ لِى مِن وَثبةٍ ... أرجو الرسولَ بمَطْمع كذّاب
والويلُ لى مِن بعدِ هذا كلِّه ... إن كان ما أخشاه ردَّ جوابى

تعتذر إلى بنان وقد غضب عليها فلا يقبل عذرها

حدثنى جحظة ، قال : حدثنى علىُّ بنُ يحيى المنجّم ، قال :

غضب بُنَانٌ على فضل الشاعرة فى أمر أنكره عليها ، فاعتذرت إليه ، فلم يقبل معذرتها ، فأنشدتنى لنفسها فى ذلك :

يا فضلُ صبراً إنّها مِيتَةٌ ... يجرَعُها الكاذبُ والصادقُ
ظنّ بُنانٌ أننى خُنتُه ... رُوحى إذاً مِن بَدَنى طالقُ

تجيز بيتا لعلى بن الجهم طلب إليها إجازته

أخبرنى محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان ؛ قال : حدثنى أبو العباس المَرْوَزِىّ ، قال : قال المتوكل لعلىّ بن الجَهْم : قُلْ بيتًا ، وطالِب فضلَ الشاعرةَ بأن تُجيزه ، فقال علىّ : أجيزى يا فضل :

(١) ف : « محمد بن أبى أمية » .

لاذَ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا

قال : فأطرقت هُنيهة ثم قالت :

فلم يزل ضارعا إليها تَهطِل أجفانُه رَذَاذا

فعاتَبوه فزاد عِشقا فمات وجداً فكان ماذا؟

فطرب المتوكل ، وقال أحسنتِ وحياتِي يا فضل ، وأمر لها بمائتي دينار ، وأمر عريب فغنَّت في الأبيات .

قال مؤلف هذا الكتاب [1] : أعرف في هذه الأبيات هزَجًا لا أدرى أهو هذا اللحن ، أم غيره ؟ ولم أره في أغاني عَرِيب ، ولعله شَذَّ عنها .

(١) ف : « قال الأصفهاني ».

صــوت

أُمامةُ لا أراكِ اللـ ـــه ذل معيشة أَبدا
ألا تستصلحين فتى وقاكِ السوءَ قد فسدا
غلام كان أَهلُكِ مرّ ة يدعونه ولَدا

الشعر لعبد الله بنِ محمدِ بن سالمٍ الخياط ، والغناء للرّطّاب[1] الجدى ، ثانى ثقيلٍ بالوُسطى عن عمرو ، وفيه ليحيى المكى ثانى ثقيلٍ بالخِنْصر فى مجرى البِنصر عن إسحاق وأحمدَ بنِ المكى .

وذكر عبد الله بنُ موسى بنِ محمد بنِ إبراهيم الإمام عن قلم الصالحية أنها أخذت اللحن المنسوب إلى الرّطّاب[1] عن تينة ، وسألته عن صانعه فأَخبرها أنه له .

تم الجزء التاسع عشر من كتاب الأغانى
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء العشرون
وأوّله : نسب ابن الخياط وأخباره

(١) ف : « للرباط المدنى »

فهارس الجزء التاسع عشر

من

كتاب الأغانى

تراجم هذا الجزء

فهرس الموضوعات

أخبار محمد بن وهيب

أخبار مزاحم ونسبه

أخبار سلم الخاسر ونسبه

أخبار أبى صدقة

أخبار فضل الشاعرة

فهرس الشعراء

فهرس رجال السند

فهرس المغنين

فهرس رواة الالحان

فهرس الأعلام

(ز)

(س)

(ق)

(ك)

(و)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

(ك)

فهرس الأماكن

فهرس القوافى

(ز)

(س)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
صاحبا	أرحلُ	مديد	٣	١٣
بان	الرملُ	بسيط	٢٩١	٣،
			٢٩٣	٦
تــراه	عجلِ	»	٣٥	٤
لايعبق	الكحلِ	بسيط	٣٥	١٤،
			٣٨	١٢،
			٤١	١٢
موف	أملِ	»	٤٠	٦
لله	الجبلِ	»	٥٣	١٠
أجورت	عذلى	»	٣٦	٦،
			٣٨	١٠
أرى	مالا	وافــر	٣٧	١٣
إذا	ظلّهْ	»	١١١	٧
تعالى	الرجالِ	»	٢٦٩	١،
			٢٧٠	١٣،
			٢٧٦	٩
أمِن	منازلُه	مجزوءالوافر	٢٨٢	١٠
تبا	عطّلا	كامــل	١٩	٣
قالوا	جليلا	»	١٠٩	١٠
مياس	مجهولُ	»	٤٧	١٠
أمّا	جليلُ	»	٥٠	١٦
ياكلب	مرسلُ	»	١٩٩	٧
أنى	كحلُ	»	٢٢٨	٩
ولقد	قليلِ	»	٢	٩
عبثت	معذلِ	»	٢٨	١
لا تعبأن	بملالِ	»	٤٧	٥
نقل	الأولِ	»	٨٥	٥
ياأخت	العذلِ	»	١٦٨	١٨
قسم	المالِ	»	٢٢٧	١٤

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
ماينقضى	الشبلِ	كامل	٣٠٩	٧
أبلغ	الجزيلهْ	مجزوء الكامل	٢٨	٧
يارب	وجذلْ	رجــز	٢٤	١٢
لولا	القبيلهْ	»	١٨٨	٩
بالغمر	أحوالُ	سريع	٥٣	١٦
وقائل	مالُ	»	٥٣	١٨
أصبحت	الشكلِ	»	٣٠٣	٥
لم يطيقوا	الترالا	خفيف	١٦٧	١٠
قربا	حيالى	»	١٦٧	٥
يا شادنا	قتــلى	مجتث	٢٢٠	٨،
			٢٣٢	١٢،
			٢٥٢	١٣
دماء	يعدلُ	متقارب	٧٦	٦،
			٨٩	١٢
		(م)		
ذهبت	سقمْ	طــويل	١٥٧	١٠
منا الله	معلمَا	»	٢٠٢	١٢
نحن	دمَا	»	٢٠٦	٤
وما زلت	وأكتمُ	»	٧٨	٤
رأت	وبيمُ	»	٩٥	٦
لصفراء	صميمُ	»	٩٩	٧
لقد	مقيمُ	»	١٢٩	١٢
ألا	حالمُ	»	١٩٢	٦
ألا	مجــرمِ	»	٦٨	٥
دعوت	يتجشمِ	»	٧٠	٧
ولا عيب	الحواطمِ	»	١١١	١٣
وحدث	حالمِ	»	١١٢	١و٢٠
وحدثنى	نائمِ	»	١١٢	٢٠
أيها	الصريمُ	مــديد	٢٤٨	١٦

فهرس أنصاف الأبيات

(مرتبة بحسب أوائل كلماتها)

نصف البيت	بحره	ص	س
أيزيد إنك لم تزل فى خزية	كامل	٥٥	٣
أين الشباب وأية سلكا	كامل	٥١	٧
بان الخليط ولو طووعت مابانا	بسيط	٢٩٣	١٢
تفتر عن سمطين من ذهب	مجزوء الكامل	٩٥	١٢
حتى إذا سبق الردى بك حاروا	كامل	٤٣	٥
حضر الرحيل وشدت الأحداج	كامل	٢٨٢	٦،
		٢٨٦	١ و١٨
حياهم الله بالسلام	مجزوء الكامل	٢٨٥	٣
ساق المدام اسقها صاحبى	سريع	١١٨	١٩
طللان طال عليهما الأمد	كامل	٩٥	١٠
فجدى لجيم قرم بكر بن وائل	طويل	١٠٦	٦
كنت صبا وقلبى اليوم سالى	خفيف	٢١٩	٦
لاتدع بى الشوق إنى غير معمود	بسيط	٤٤	١٦،
		٤٦	٢
ليت شعرى أأول الهرج هذا	خفيف	١٣٣	١٧
وردن رواق الفضل فضل بن جعفر	طويل	٥٩	١٧
وغدا بهن مشمر مزعاج	كامل	٢٨٦	١٨
ولست عن الصهباء يوما بصابر	طويل	١٢	١٤
ومستطيل على الصهباء باكرها	بسيط	٢٣٢	٣
ويقولان اصطبح معنا	مديد	٤	٢

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهرس الكتب الواردة فى المتن

فهرس مراجع التحقيق

(أ)

الاشتقاق ، لابن دريد ط . مطبعة السنة ـ ٦٨ : ٢١
الالفاظ الحضارية ودلالتها التاريخية ، مقال للاستاذ بهجت الاثرى ـ ٢٢٠ : ١٧
الامالى ، لابى على القالى ، ط . دار الكتب ـ ١٦٧ : ١٩
امالى المرتضى ط . الحلبى ـ ٢٢ : ١٣ و ٢٠ ، ٢٣ : ١٨
انساب الاشراف ، للبلاذرى ط دار المعارف ـ ٢٠٣ : ١٧

(ت)

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ط . مطبعة السعادة ـ ٣٤ : ٢١ ، ١٠٦ : ١٩
تاريخ الطبرى ، ط . دار المعارف ـ ٦ : ١٧ و ١٩ و ٢١ ، ٧ : ٢٤ ، ١٢٤ : ٢٠ ، ١٢٦ : ٣١
تجريد الاغانى ، لابن واصل الحموى ط . مطبعة بنك مصر
٨٨ : ٢٠ ، ٩٦ : ٦ ، ١٨٦ : ١٩ ، ٢١٣ : ١٧ و
١٩ ، ٢٣١ : ٢٠ ، ٢٤٠ : ٢٠ ، ٢٨٣ : ١٧ و
١٨ و ٢٢ ، ٢٨٤ : ١٨ ، ٢٨٥ : ١٩ ، ٢٨٦ :
١٧ و ٢٠ ، ٢٨٧ : ١٣ ، ٢٩٤ : ١٩ ، ٢٩٥ :
١٩ و ٢٠

(خ)

خزانة الادب للبغدادى ، ط . برلاق ـ ٧ : ٢٠ ، ١٠ :
٢١ ، ١١ : ٢٢ ، ٩٨ : ١٧ ، ١٠٤ : ١٨ ، ١٩٣ :
١٩ ، ٢٠٨ : ٢٠

(د)

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ط . بيروت ـ ١٢١ : ١٠
ديوان عمر بن أبى ربيعة ط . المكتبة التجارية ـ ٢٩٠ : ٢٠
ديوان مسلم بن الوليد ، ط . دار المعارف ـ ٣٢ : ١٨ ،
٣٣ : ١٨ ، ٣٤ : ١٨ و ٢٠ ، ٣٦ : ٢٠ ، ٣٩ :
١٨ و ١٩ ، ٤٠ : ١٧ ، ٤١ : ٢١ ، ٤٤ : ١٩ ،
٤٦ : ٢٠ ، ٤٩ : ١٩ و ٢٠ و ٢١ ، ٥٠ : ١٩
و ٢٠ ، ٥٢ : ١٩ و ٢١ ، ٥٣ : ٢٠ ، ٥٤ :
١٦ و ١٧ ، ٥٥ : ١٨ ، ٥٦ : ١٩ و ٢١ ، ٥٧ :
١٨ و ١٩ ، ٥٨ : ١٩ ، ٥٩ : ١٧ و ١٩ ، ٦٠ :
١٩ ، ٦٥ : ١٩ و ٢٠ و ٢١ ، ٦٦ : ١٧ ، ٦٧ :
١٨ ، ٧٠ : ١٩ و ٢٠
ديوان المعانى ، لابن قتيبة ط . بالهند ـ ٣٤ : ٢٠ ، ٣٩ : ١٨

(س)

سمط اللآلى ، لابى عبيد البكرى ط . لجنة التاليف والنشر ـ ٢٠٧ : ١٨

(ش)

شرح ديوان جرير ، ط . الصاوى ـ ١٦٧ : ٢٠
شرح ديوان الحماسة ، لابى تمام ، ط . حجازى ـ ٢٠٧ : ١٨ و ٢٠ ، ٢٠٨ : ١٦ و ٢٠
شرح ديوان صريع الغوانى ، ط . دار المعارف ٣٠ : ٩ ، ٣٨ : ٧ ، ٤٠ : ١٩ و ٢١
شرح شواهد الشافية ط . حجازى ـ ٢٧١ : ١٩
شرح شواهد المغنى ، للسيوطى ط . المطبعة البهية ـ ١١ : ٢١
شروح سقط الزند ط . دار الكتب ـ ٣٥ : ١٧
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ط . الحلبى ـ ١٠ : ٢١ ،
١١ : ١٧ و ٢٢ ، ١٨ : ١٧ و ١٩ ، ٢٢ : ١٥ ،
٣٥ : ١٧

(ع)

العقد الفريد ، لابن عبد ربه ط. لجنة التاليف والنشر ـ ٣٤ : ٢٠
عيون الاخبار ، لابن قتيبة ط . دار الكتب ـ ٤١ : ٢١

(ف)

فخر السودان على البيضان ، للجاحظ ط . الساسى ـ ٢٢٠ : ١٩
فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبى ط. لجنةالتاليف والنشر
ـ ١٠٩ : ٢٠ ، ١١١ : ١٩ ، ١١٣ : ١٨ و
١٩ و ٢٠

(ل)

لسان العرب ، لابن منظور المصرى ط . بولاق ٨ : ١٩

أنواع الفهارس

إصلاح خطأ

وقع أثناء الطبع بعض أخطاء مطبعية ننبه إليها :

خطأ	صواب	ص	س
يزيد بن يزيد	يزيد بن مزيد	٣١	عنوان جانبى
(١) فى أضاق الرجل	(١) أضاق الرجل	٣٦	الحاشية رقم (١)
يذهب إلى مزيد	يذهب إلى يزيد	٣٨	عنوان جانبى
اتقاك	اتّقاك	٤٦	١٢
سعيد بن مسلم	سعيد بن سلم	٥٧	عنوان جانبى
بضَبُع	بضَبْع	٥٧	١٧
يتتهاجَيان	تهاجَيان	٦١	١٨
ابن قَنَ	بن قَنبر	٧٢	١
أنى	أننى	٧٧	١٣
قسمَت	قسمْتَ	٨٠	٨
صَ ّت	صمّتْ	٨٣	١٤
دكرى	ذكرى	٨٤	١٩
وُفى	وفى	٩٦	٧
عطائَه	عطائِه	١٠٧	٢٠
ميلاً(١)	ميلا(٢)	١٠٩	١١

خطأ	صواب	ص	س
كذالك	كذلك	١١٠	عنوان جانبي
مسامرى	سامرى	١١٠	٢٠
لحدثه	لحدثه	١١١	٢
فأنشه	فأنشده	١١١	٦
فأمر	فأَمر	١١٤	٦
متَكنّبًا(٢)	مُتَنكِّباً	١١٥	٩
أد اعُه	أدراعُه	١١٦	٣
النّدامى	النَّدامَى	١١٨	١٢
مجاَنى	مجانَتى	١١٩	٣
المعَنّى	المُعَنَّى	١١٩	١٢
السرورَ	السرورُ	١٢٠	٤
يوم مَشْكِنُ	يومُ مَشْكِنَ	١٢٨	١١
يابْنِ	يابنِ	١٢٨	١٢
السكه	السكيعة	١٢٨	٢٢
ـه تذكره غير لوم	ما تذكره غير ملوم	١٣٠	الحاشية
وابنة(٦)	وأمَة(٦)	١٣١	١٥
(٦) ف : « وأمة الحيد ... »	(٦) كذا فى ف ، وهو الصواب	١٣١	الحاشيةرقم(٦)
وتنلعلت	وتنلفلت	١٣٢	١٦
صفتة	صفته	١٤٠	عنوان جانبي
بثمن	يثمن	١٤٧	١

خطأ	صواب	ص	س
تسكنة	تسكتا	١٤٧	٩
بعوضد	بعوضة	١٤٧	١٠
أبو هانىء	أبو هانئ	١٤٧	١٧ ، ١٨
أخ . نا	أخبرنا	١٥١	٧
زياد بن عبيد الله	زياد بن عبد الله	١٥١	٩
كـ ن أسيرا	تكون أسيراً	١٥١	الحاشيةرقم(٢)
محد	محمد	١٥٣	١٢
إنما سألتيه	إنما سألتِه	١٥٤	٣
ما لهوى	ما الهوى	١٥٧	١٧
الصدق أنجى	الصدق أنجىٰ	١٦٤	١٥
أ . الزناد	أبي الزناد	١٦٦	١
محمد(٣)	محمد(٤)	١٧٩	١٨
الرواية(٣)	الرواية(٤)	١٩٠	١٧
عقد ومع ابن بجدل	عقد مع ابن بجدل	١٩٨	١٢
أبو زيذ	أبو زيد	٢٠٩	٧
اصطحبت	اصطبحتُ	٢٢٩	٢
بنت الحسن	بنت الخس	٢٢٩	عنوان جانبي
ليلةِ الجهنى	ليلةِ الجهنى	٢٤٣	١٦
يتصر	يتنصر	٢٤٤	عنوان جانبي
ليله الشك	ليلة الشك	٢٤٩	» »

خطأ	صواب	ص	س
ابن الصقيل	ابن الصيقل	٢٥٠	عنوان جانبي
أشار بذكره بن	أشاد بذكره ابن	٢٥٢	٥
طلب منه	طلب من	٢٥٥	١٠
صدح	صدع	٢٥٩	٣
وانقطاعة	وانقطاعه	٢٦١	عنوان جانبي
عمرو بن العلاء	عمر بن العلاء	٢٦٦	« «
صداقتة	صداقته	٢٦٧	عنوان جانبي
جدثني	حدثني	٢٦٩	٩
بالكيماء	بالكيمياء	٢٧٣	عنوان جانبي
ربمان	ريمان	٢٧٤	١٣
كان يحسن المدح ولا يحسن الرثاء	كان لا يحسن المدح ويحسن الرثاء والسؤال	٢٧٥	عنوان جانبي
بيبته	بيت أبي العتاهية	٢٧٦	« «
فأجابه الرشيد	تحذف كلمة (الرشيد)	٢٧٩	« «
شعر لة	شعر له	٢٨٣	« «
يستمحيه	يستميحه	٢٨٤	٧
هجائة	هجائه	٢٨٤	عنوان جانبي
بوبع	بويع	٢٨٥	« «
باستاذية	بأستاذية	٢٨٥	« «
النميرى	النمرى	٢٨٧	٢
لأشجع لسلمى	لأشجع السلمى	٢٨٧	٧

خطأ	صواب	ص	س
بأن الحليط	بان الخليط	٢٩١	٣
قتال	فقال	٢٩٤	٣
صلتة	صلته	٢٩٤	٥
أقالك الله عثرتك	أقال الله عثرتك	٢٩٥	٨
مذ يومَ خدمه	مذ يومِ خدمه	٢٩٥	١٥
طريت	طربت	٢٩٦	١٠
حدثنى	حدثنى	٣٠٥	٣
لموعدة	لموعد	٣٠٧	عنوان جانبي
حوائحهم	حوائجهم	٣٠٨	١٩
فد	قد	٣١٠	١٠
لَعَريبَ	لِعَريبَ	٣١١	٥
يُنانٌ	بُنانٌ	٣١٢	١٦

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧١/٢٣٩٨

كتاب
الأغانى

لأبى الفرج الأصفهانى

الجزء العشرون

تحقيق

على النجدى ناصف

إشراف

محمد أبو الفضل ابراهيم



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

المكتبة العربية
تصدرها
الهيئة المصرية العامة للكتاب
بالاشتراك مع
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
وزارة الثقافة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بيـــان

قام الأستاذ على النجدى ناصف بتحقيق هذا الجزء ، وقام بمراجعته لجنة من العلماء الأساتذة : محمود غنيم وعبد الكريم العزباوى وحسن عطية ، وحُققت كل ترجمة على ما يقابلها من النسخ المخطوطة التى سبق التعريف بها وذكر رموزها فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة . وقد سبق أن ذكرنا أن هذه النسخ تختلف زيادة ونقصاً وتجزئة وترتيباً ، وأنها جميعها ليس فيها نسخة كاملة من كتاب الأغانى ، ولذلك اعتبرت جميعها أصولا ، تُراجع كل ترجمة على ما يقابلها منها ، وأن ما يزيد عليها من المصادر الأخرى أو مما يقتضيه السياق يوضع بين علامتى الزيادة .

ومما أضيف إلى هذا الجزء من الأخبار والتراجم التى أوردها المستشرق برنو فى ملحقه على طبعة بولاق ، وعثر عليه فى بعض المخطوطات الوثيقة : أخبار خالد الكاتب ، وأخبار المسدود ، وأخبار سلمة بن عياش ، وبعض أخبار أم جعفر ، وأخبار حجية بن المضرّب ، وخبر إسحاق مع غلامه زياد ، وخبر حبابة مع ابن عائشة ، وأخبار أبى الهندى ونسبه ، وأخبار سعيد بن وهب ، وأخبار رؤبة .

وقد وضعت فى أماكنها تبعاً لنسخة فيض الله بإستانبول ؛ وهى من أوثق المخطوطات ؛ كما ذكرنا فى وصفها .

أما الأجزاء الثلاثة الباقية من هذا الكتاب ، فإنها تصدر تباعاً إن شاء الله . وهو الموفق والمستعان .

محمد أبو الفضل إبراهيم

ربيع الآخر سنة ١٣٩٢
يونيو سنة ١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب ابن الخياط وأخباره

نسبه وولاؤه

هو عبد الله بنُ محمدِ بنِ سالمِ بنِ يونُس بن سالم . ذكر الزبيرُ بنُ بَكار أنه مولًى لقريش . وذكر غيره أنه مولى لهُذَيل .

أوصافه

وهو شاعر ظريف ، ماجن خلِع ، هجّاء خبيث ، مخضرم من شعراء الدولة الأموية والعباسية . وكان منقطعا إلى آل الزبير بنِ العوام مدّاحًا لهم ، وقدم على المهديّ مع عبدالله ابن مصعَب فأوصله إليه ، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته .

يمدح المهدى فيجيزه ، ثم يمدحه فيضعف جائزته

أخبرنى الحرَميّ بنُ أبى العلاء قال : حدثنا الزبيرُ بن بَكّار قال : حدثنى يونُس بنُ عبد الله بنِ سالم الخياطُ قال :

دخل أبى على المهدى فمدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فقال يمدحه :

أخذتُ بكفِّى كفَّه أبتغِى الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يُعدى

فلا أنا[1] منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدتُ وأعدانى فأتلفت ماعندى

٩٥ / ١٨

قال : فبلغ المهديَّ خبرُه ، فأضعف جائزته ، وأمر بحملها إليه إلى منزله .

قال الزبير بن بَكّار : سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هَرْمة .

أخبرنى الحسنُ بن علىّ الخفّاف قال : حدثنا أحمدُ بن أبى خَيثمة ، قال : حدثنى مصعَب ابنُ عبد الله قال : سمعتُ أبى يقول :

كان من المجانين

لم يبرح هذه الثنيّةَ قطُّ أحد يَقذف أعراض الناس ويهجوهم ، قلت: مثلُ مَن ؟ قال :

---

(١) كذا فى جميع النسخ ، ونرجح أنها « فما أنا منه » بدل « فلا أنا » ، لأن « لا » فى مثل هذا الموطن يجب أن تتكرر .

الحزينُ الكنانىّ ، والحكَمُ بنُ عِكرمة الدّؤلىّ ، وعبدُ الله بن يونُس الخياطُ ، وابنه يونس ، وأبو الشدائد .

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد قال : حدثنا الزبير بنُ بكّار قال :

عقوق ابنه يونس له

كان يونُس بن الخياط عاقًّا لأبيه ، فقال أبوه فيه :

يونسُ قلبى عليك يلتهفُ والعين عبرى دموعها تَكِفُ
تُلحِفنى كسوة العقوق فلا بَرِحتَ منها ماعشتَ تلتحف
أُمرتَ بالخفضِ للجناح وبالر فق فأمسَى يعُوقك الأنَف
وتلك والله من زبانيــة إن سُلِّطوا فى عذابهم عَنُفوا

فأجابه ابنُه يونس ، فقال :

أصبح شيخى يُزرِى به الخرَفُ ما إن له حرمة ولا نَصَفُ
صِفاتنا فى العقوق واحـدة ما خلْتُنا فى العقوق نختلف
لَحِفْتَه سالفاً[٢] أباك فقد أصبحتَ منى كذاك تلتحف

أخبرنى محمدُ بنُ خلفٍ وَكيعٌ قال : حدثنى طلحةُ بنُ عبد الله قال : حدثنى أحمدُ ابنُ إبراهيم بنِ إسماعيل بنِ داود قال :

يهجو رجلا شيد دارا وكان يعرفه بالضعة

مرّ ابن الخياط بدارِ رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضّعة وخساسة الحال ، وقد شيّد بابها وطَرْمح[١] بناءها ، فقال :

أطِله فما طول البناء بنافع إذا كان فرع الوالدَين قصيرا

يهجو موسى بن طلحة فلا يكترث لمجالة فيناشده أن يكتم عليه

أخبرنى وَكيعٌ قال: أخبرنى إبراهيم بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيم بنِ صالح قال: أخبرنى العامرىّ قال :

(١) طرمح : طول . (٢) ف : « سالما » .

هجا ابن الخياط موسى بنَ طلحةَ بنِ بلال التيميّ ، فقال :

عجب الناس لِلعجيب المُحالِ   حاض موسى بنُ طلحةَ بنِ بلالِ
زعموه يحيض فى كلّ شهر   ويَرَى صُفرة لكل هلال

قال : فلقيه موسى ، فقال : ياهذا ، وأىّ شىء عليك ؟ نَعم حضتُ ، وحملتُ ، وولدتُ وأرضعتُ . فقال له ابن الخياط : أَنشُدك اللهَ أَلّا يسمعَ هذا منك أحد فيجترئَ على شعرى الناس ، فلا يكون شيئاً ، ولن يبلغَك عنى ما تكره بعد هذا ، فتكافَّا .

شعره وقد رأى أبو عمران القاضى رأيا قوبل بالاستحسان

أَخبرنى الحرَمىّ قال : حدثنى الزبير قال : حدثنى مصعَب بن عثمان قال : ما رأَيت بريق صَلَع الأشراف فى سوق الرقيق أَكثر منها يوم رحب القُتَيلية[1] جاريةِ إبراهيم بنِ أَبى قُتَيلة ، وكان يعشقها ، وبيعت فى دينْ عليه ، فبلغت خمسمائة دينار . فقال المغيرة بنُ عبد الله لابن أَبى قُتَيلة : ويحك ! اعتقها فتُقوَّمَ عليك ، فتتزوّجها ، ففعل . فرُفع ذلك إلى أَبى عمران — وهو القاضى يومئذ — فقال : أَخطأَ الذى أَشار عليه فى الحكومة . أما نحن فى الحكومة فقد عرفنا أَنْ قد بلغت خمسمائة دينار ، فاذهبوا فقوّموها ، فإن بلغت القيمةُ أَكثر من هذا أَلزمناه ، وإلا أخذوا منه خمسمائةِ دينار ، فاستُحسِن هذا الرأى ، ولَيْس عليه الناس قَبْلَنا ، فقال ابنُ الخياط يذكر ذلك من أمر ابن أَبى قُتَيلة وما كان من أمر جاريته :

٩٦
١٨

يامعشر العشّاق مَن لم يكن   مثل القُتَيلىّ فلا يعشَقِ
لما رأَى السُّوّام قد أَحدقوا   وصيح فى المغرب والمَشرقِ
واجتمع الناس على دُرَّة   نظيرها فى الخَلْق لم يُخلَقِ
وأَبدت الأموال أعناقها   وطاحت العسرةُ للمملِق

(١) ف : « يوم أخرجت القتيلية » .

قلْبٌ فيه الرأْى فى نفسه يدير ما يأْتى وما يتّقى
أعتقها والنفس فى شِدقها للمعتَق المَنّ على المُعْتِق
وقال للحاكم فى أمرها إن افترقْنا فمتى نلتقى ؟

وأخبرنى بهذا الخبر وكيعٌ قال : قال الزبَير بن بَكّار ، وذكر مثلَ ما ذكره الحرمىُّ ، وزاد فيه :

فكان فيهم — يعنى فيمن حضر — لابتياعها موسى بنُ جعفرِ بنِ محمدٍ ومحمدُ بنِ زيدِ ابنِ علىّ ، والقاسمُ بنُ إسحاق بنِ عبدِ الله بنِ جعفرٍ ، وغيرُهم . قال : فرأيتهم قياماً فى الشمس يتزايدون فيها . وقال فى خبره : ابن أبى قُتَيلة بالتاء .

أخبرنى الحرَمىّ بنُ أبى العلاء قال : حدثنا الزبيرُ بنُ بَكّار قال : حدثنى يونُس ابنُ عبد الله بنِ سالمٍ الخياطُ قال :

يسأل سائل عنه ابنة يونس فيمضى به إليه فيستنشده شعره فى العصبية

كنت ذات عشية فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت العصر فى[1] أيام الحاج ، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطَّعاتُ خزّ ، وإذا معه جماعة . فوقف إلى جنبى فصلّى ركعتين ، ثم أقبل علىّ — وكان ذلك من أسباب الرزق — فقال : يافتى ، أتعرف عبدَ الله ابنَ سالمٍ الخياطَ ؟ فقلت : نعم . فلما علينا قال : امض بنا إليه ، فمضيت به[2] ، فاستخرجت له أبى من منزله ، فقال[3] الرجل : بلغنى أنّك قلت شعراً فى أمر العَصَبية ، فقال له أبى : ومن أنت بأبى أنت وأمى ؟ فقال : أنا خزيم بن أبى الهَيْذام ، فقال له أبى : نعم قد قلته ، وأنشده :

اسقيانى من صِرف هذى المدام[4] ودعانى وأقصرا من[5] ملامى
واشربا حيث شئتما إن قيسا قد علا عزُّها فروعَ الأنام

(١) كذا فى ب ، ج . وفى س : «فى» ، تحريف .
(٢) كذا فى ب ، س . وفى ج : «معه» .
(٣) كذا فى ب ، س . وفى ج : «فقال له» .
(٤) فى س : «المداما» ، تحريف .
(٥) فى ج : «عن» .

ليس واللهِ بالشآم يمانٍ فيه رُوح ولا بغير الشآم
يَطعَم النوم حين تَكتحل الأعْـــين بالنوم عند وقت المنام
حَذرا من سيوف ضِرغامةٍ عا دٍ على الهَول باسلٍ مقدام
من بَنى مُرةَ الأطايبِ يكى عند دَسر(١) الرماح(٢) بالمَِذام

ابنة يونس يناقة ليحرمه جائزة

قال : فأشرع الفتى يده إليه بشىء وجزّاه خيراً . قال يونس : فبادرتُ فأخذت بيد المُرّى وقلت له : لا تعجَل فإنى قد قلت شعراً أجود من شعره . قال أبى : ويلك يا يونُس ياعاضّ بَظْر أمه ! تحرمنى ؟ فقلت : دع هذا عنك ، فوالله لا تجوع امرأتى وتشبع امرأتك، فقلت ليونس : ومَن كانت امرأةَ أبيك يومئذ ؟ فقال : أُمى ، وجمعت والله عقوقهما(٣) .

٩٧ / ١٨

فقال لى المُرّى أنشد فأنشدته :

اِسقيانى يا صاحبىّ اسقيانى ودعانى من الملام دعانى
اسقيانى هُديتما من كُميتٍ بنْتِ عَشْرٍ مشمولةٍ أسقيانى
فُضّ عنها ختامُها إذ سباها واضِحُ الخَد من بنى عدان
نتحايا(٤) بالكأس أربعة فى الدّ ور هذان ناعمـــان وذان
ذا لهذا رَيحانة مثل هـذا ك لهـذا من طَيّب الريحان
فنهضنا لموعـــد كان منا إذ سمعنا تجاوب البُكْمان
فنعِمنا حولَين بَهْرا وعشنا بين دُفّ ومُسمِع ودِنان
ثم هِجنا للحرب إذ شبّت الحر بُ ففزنا فيها بسبق الرِّهان

(١) دسر : طعن
(٢) كذا فى ج . وفى ب ، س : «الرياح» ، تحريف .
(٣) كذا فى ب ، س . وفى ج : «عقوقهما معا» .
(٤) فى س ، ب : «نتخايا» ، تحريف .

إنّ قيساً فى كلّ شرق وغرب خارجَ سَهمُها على السُّهمان
منع الله ضيمَنا بأبى الميــــذام حِلْفِ السماح والإحسان
واليمانون يفخرون أما يد رون أن النبىّ غيرُ يمان

قال : فقال الفتى لأبى : قد وجب علينا من حقه مثلُ ما وجب علينا مِن حقك يا شيخ ؛ واستظرف ما جرى بينى وبين أبى ، وقسم الدنانير بيننا ، وكانت خمسين ديناراً .

أخبرنى الحسنُ بن علىٍّ قال : حدثنا محمدُ بنُ موسى بنِ حماد قال : حدثنى الزبَير قال :

ابنه يعصر حلقه فيعترف لمنقذه بأنه عق أباه من قبله

مرّ رجل بيونُس بنِ عبد الله بن الخياطِ — وهو يعصِر حَلْق أبيه وكان عاقًّا به — فقال له : ويلك أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلّصه من يده ، ثم أقبل على الأب يُعزّيه ويسكّنه ، فقال له الأب : يا أخى لا تَلُمه ، واعلم أنه ابنى حقًّا . والله لقد خنقتُ أبى فى هذا الموضع الذى خنقنى فيه . فانصرف عنه الرجل وهو يضحك .

يشكو حاله إلى محمد بن سعيد فيأمر له بمعونة فيمدحه

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عمار قال : حدثنى علىُّ بنُ محمدِ بنِ سليمان النوفلىّ عن عمه عيسى قال :

شكا عبد الله بن يونس الخياطُ إلى محمدِ بنِ سعيدِ بن المغيرة بن نَوْفَلِ بنِ الحارثِ ابنِ عبد المطلب حاله وضيقاً قد ناله ، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر ، فقال يمدحه :

يا بن سعيد يا عَقيدَ الندى يا بارع الفضل على الفُضلِ
حللتَ فى الذِّروة من هاشم وفى يَفَاعٍ من بنى نَوْفَل
فطاب فى الفرعين هذا وذا ما اعتمّ من منصبِك الأطول
قد قلتُ للدهر وقد نالنى بالناب والمِخلب والكَلكَل

قد عُذتُ من ضُرِّك مستعصِيا … بها شَمِيٍّ ماجدٍ نوفلى
فقال لى أهلا وسهلا معاً … فُزْتَ ولم يمنع ولم يَبخل
الدهر شِقَّان فشِقٌّ له … لين وشقٌّ خَشِنِ المنزل
وأخشنَ الشقَّين عنِّى نَفَى … وشقُّه الألين ماعاش لى
فقل لهذا الدهر ماعاش لا … تُبقِ ولا تَرُعْ ولا تأتلى

يأخذه والى الحجاز بالصلاة فيحاول أن يعفيه منها

٩٨/١٨

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد قال: حدثنا الزبَيْر بن بَكَّار قال:

أخذ أبى — لما ولى الحجاز عبد الله بن يونس الخَيَّاط — بأن يصلى الصلوات الخمسَ مع الجماعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءنى هو ومحمدُ بنُ الضحاك وجعفرُ بن الحسَين اللِّهبىّ، فوقف بين يدىّ، ثم أنشدنى:

قل للأمير يا كريمَ الجنس … يا خيرمن بالغَور أو بالجَلْس[1]
وعدَّتى لولدى ونفسى … شغلتَنى بالصلوات الخمس

فقلت له: ويلك! أتريد أن أستعفيَه لك من الصلاة؟ والله ما يعفيك، وإن ذلك ليبعثه على اللَّجاج فى أمرك، ثم يضرك عنده. فمضى وقال: نَصبر إذن حتى يُفرج الله تعالى.

شعره فى صديق كان يدعوه ليشرب معه

أخبرنى محمدٌ قال حدثنا الزبَير بنُ بَكَّار قال حدثنا يونُسُ بن الخياط قال:

كان لأبى صديق، وكان يدعوه ليشرب معه، فإذا سكِر خلع عليه قميصه، فإذا[2] صحا من غد بعث إليه فأخذه منه فقال أبى فيه:

(١) الجلس: بلاد نجد، أو الغليظ من الأرض.

(٢) فى ج: «وإذا».

كسانى قميصًا مرتين إذا انتشى[1] … وينزِعُه منى إذا كان صاحيا

فَلِى فَرحة فى سُكره بقميصه … وروعاته[2] فى الصحو حَصَّت[3] شَواتيا[4]

فيالت حظى من سرورى وروعتى … تكون كَفافًا لا علىَّ ولا ليَا

أخبرنا وكيعٌ قال حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعودٍ الزُّرَقىُّ قال :

ابنه يعقه ، وابن ابنه يعق أباه

قال يونُسُ بنُ عبدِ الله الخيَّاطُ لأبيه ، وكان عاقًّا به :

مازال بى مازال بى … طعنُ أبى فى النسبِ

حتى تَريَّبْتُ وحتى ساء ظنى بأبى

قال : ونشأَ ليونُسَ ابنٌ يقال له : دحيم ، فكان أعق الناس به ، فقال يونس فيه :

جلا دحيم عَمايةَ الرِّيَبِ … والشكَّ منى والطعن فى النسب[5]

مازال بى الظنّ والتشكُّك حتى عقَّنى مثلَ ماعققتُ أبى

أخبرنى الحرمىّ بنُ أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكَّار قال : حدثنى يونُسُ بنُ الخيَّاط قال :

ابنه ينشد سعيد ابن عمرو نسيبا فيقر بعجزه عن مثله

أنشدتُ سعيدَ بن عمرو الزبيرىّ :

لو فاح ريح حبيبةٍ من حبِّها … فاحت رياح حبيبتى من ريحى

قال : فقال لى سعيد بن عمرو : والله إنى لأقول النسيب ، فلا أقدر على مثل هذا .

(١) فى س : «انتشى» ، تحريف .
(٢) كذا فى أ ، ب ، س . وفى ج : «وروعته» .
(٣) الحص : حلق الشعر .
(٤) الشواة : جلدة الرأس .
(٥) ب ، س : «نسبى» .

فقلت له : ومن أين تقدر عَلَىَ مثل هذا يا أبا عثمان ؟ لا تقدر [١] والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك .

يؤثر ابنه بالفريضة

أخبرنى الحرمىّ قال : حدثنا الزُّبَير قال حدثنى يونُس بنُ الخَيَّاط قال :

لما أعطى المهدىّ المغيرةَ بنَ حبيب ألف فَريضة يضعها حيث شَاء جَاءه أبى عبد الله ابنُ سالم ، وقَال له :

ألف تدور على يدٍ لِمُمَدَّحٍ ما سُوقُ مادحِه لديه بكاسد [٢]

الظنُّ منى لو فرضتَ لواحد فى الأعجمين خصصتَنى بالواحد [٣]

قَال : فقال له المغيرة : أيهما أحب إليك : أأفرض لك أم لابنك يونس ؟ فقَال له : أنَا شيخ كبير ، هَامةُ اليوم أو غدٍ ، افرِض لابنى يونُسَ ، ففرض لى فى خمسين دينَاراً ، فلما خرجَت الأعطية الثلاثة فى زمن الرشيد على يدَى بَكار بن عبد الله قَال لى خليفتهُ وخَليفة أيوبَ بن أبى سمير — وهما يعرضَان أهل ديوان العطَاء — : أنت من هُذَيلٍ ونراك قد صِرْتَ من آل الزبير فنَرُدُّكَ إلى فرائض هُذيلٍ خمسةَ عشرَ ديناراً . فقَال لهما بَكار : إنمـا جُعلتما لتتَّبعا ولا تبتدعا ، أمضيَاه ، فأعطيَانى مائة وخمسين دينَاراً .

99/18

ابنه يهجو هشام ابن عبد الله حين ولى القضاء ليغض منه

أخبرنى محمدُ بنُ خَلفٍ وكيعٌ قَال : حدثنى محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود الزُّرَقىّ قَال : حدثنَا ابنُ أبى قَبَاحة الزهرىّ قَال :

لما عُزل ابنُ عِمران — وهو عبد الله بنُ محمدِ بنِ عِمرانَ التيمىُّ — عن القضاء ، واستُعمل هشامُ بنُ عبد الله بنِ عِكرمة المخزومىُّ ، جزِع ابنُ عِمران من ذلك ، فقال بعض أصحابه ليونُسَ بنِ عبد الله الخَياطِ : اهج هشاماً بما يغضّ منه ، فقال :

(١) كذا فى ب ، س . وفى ج : «ولا والله ما تقدر» .

(٢) ف : «بكاسده» . (٣) ف : «بواحده» .

كم تَغَنَّى لى هشام ذلك الجِلف الطويلُ
بعد وهْن وهو فى الجـ لس سكرانُ يميلُ
هَل إلى نار بسَلْعٍ(١) آخِرَ الدهْر(٢) سَبِيلُ
قلت للنَّدمان لـمـا دارت الراحُ الشَمولُ
بأَبى مالَ هِشامٌ فـكما مال فميلُوا

قال : وشَهَرَها فى الناس ، وبلغ ذلك هشاماً فقال : لعنه الله ؛ إنْ كان لـكاذبًا . فقال ابن أبى قَباحة : فقلتُ لابن الخَيَاط : كـذبت ، أما والله إنه لأمرٌ من ذلك .

ابنه يطعن فى نسبه بحضرة أبيه وأصحاب له

أخبرنا وَكيعٌ قال : حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود قال : قال يونُسُ بنُ عبد الله بن الخَيَاطُ :

جئت يوماً إلى أبى وهو جالس وعنده أصحَاب له ؛ فوقفت عليهم لأغيظه ، وقلت : ألا أُنشِدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأَنشدتهم :

يا سائِلِى مَن أنَا أو من يناسبنى(٣) أنا الذى مالَه أصل ولا نسبُ
الـكلب يختال فخراً حين يُبصرنى والـكلب أ كرمُ منّى حين يَنتسب
لو قال لى الناس طُرًّا أنت ألأمنا ما وَهِم الناس فى ذا كمْ ولا كـذبوا

قال : فوثب إلىّ(٤) ليضربنى ، وعـدَوت من بين يديه ، فجعل يشتِمنى وأصحابه يضحكون .

(١) سلع : اسم جبل بالمدينة ، وآخر بهذيل .
(٢) س . وفى جـ : «الليل» .
(٣) فى جـ : «أناسبه» .
(٤) فى جـ : «أبى» .

شعر ابنه وقد جلد فى الشراب

أخبرنى وكيعٌ قال : حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود :

أن مالكَ بنَ أنَس جَلد يونُسَ بنَ عبد الله بنِ سالم الخيَّاطِ حدًّا فى الشراب .

قال : وولى ابن سعيد القضاء بالمدينة ، فقال يونُس فيه :

بكَتْنِيَ النَّاسُ لِأنْ جُلِدتُ وسْطَ الرحَبَهْ
وأننى أزنى وقدْ غنّيتُ فى الجقسبهْ
أعزِف فيهم بِعصا[(1)] مالكٍ المقتضَبهْ
فقلت لما أكثروا علىَّ فيم الجلبه ؟
ذا ابن سعيد قد قضى وحالنـــا مقترِبه
لا بل له التفضيل فيـــما لم أنل والغلبه
بحُسن صوت مُطرب وزوجةٍ مَغْتَصَبَه

ابن الخياط يستزير الزبير ابن بكار فى مرض موته ليجدد له عهدا

١٠٠
١٨

أخبرنى الحرمىُّ ابنُ أبى العلاء ووَكيعٌ ، قال الحرمىُّ قال الزبير ، وقال وكيعٌ قال الزبَير بنُ بكار :

أرسل إلىّ ابنُ الخيَّاط يقول : إنى عليل[(2)] منذ كذا وكذا ، ومنزلى على طريقك إذا صدرتَ إلى الثّنية[(3)] ، وأنا أحب أن أُجدِّد بك عهداً ، قَال : فجعلته على طريقى ، فوجدتّه على فُرُشٍ مُضَرَّبة[(4)] ، وحوله وسائد ، وهو مسجًّى ، فكشف ابنه الثوب عن وجهه ، وقَال له : فديْتُك ، هذا أبو عبد الله . فقَال له : أجلسنى ، فأَجلَسه وأسنده إلى صدره ، فجعل يقول بنفَس منقطع : بأَبى أنت وأمى ! أموت منذ بضعَ عشرةَ ليلة مادخل

(1) فى ب ، س : « بعصا ابن مالك » ، وفى ف : « أعرف » ، بالراء .
(2) فى جـ : « إنى أموت من كذا وكذا » .
(3) فى جـ : « البنية » ؛ وهى الكعبة .
(4) مضربة : ذات طاقين بينهما قطن .

علىّ قُرَشىٌّ غيرك وغير الزبير بن هِشام وإبراهِيمَ بنِ المنذر ومحمدِ بن عبد الله البكرىّ، ولا والله ما أعلم أحدًا أحبّ قريشًا حُبِّى . قال زبير : وذكر رجلا كان بينى وبينه خلافٌ فقال : لو كنت شابًّا لفعلت بأمّه كذا وكذا ، لا يكنى . ثم قال :

والله لو عادَت بنى مُصعَب   حلِيلَتى قلت لهَا : بِينى
أو ولدى عن حبِّهم قصّروا   ضَغطتهمْ بالرّغم والهُون
أو نظرَتْ عينى خلافًا لهمْ   فقأتها عَمدًا بسكين

ثم أقبل على ابنه ، فقال : يا بنىّ أقول لك فى أبى عبد الله مَا قال ابن هَرْمة لابنه فى الحسن بن زيد :

الله جارُ عُتىٍّ دعوةَ شفقًا   من الزمَان وشرِّ الأقرب الوالى
من كل أحدَ عنــــه لا يُقرِّبه   وسْط النجىّ[1] ولا فى المجلس الخالى

يموت فى غد اليوم الذى زاره فيه الزبير

قال الزبير : حدثنى محمدُ بنُ عبد الله البكرىّ :

أنه دخل إليه بعدى فى اليوم الذى مات فيه ، قال: فقال لى: يا أبا عبد الله ، أنا أجود بنفسى منذ كذا وكذا ولا تخرج ، ما هكذا كانت نفس عَبيد ولا لَبيد ولا الحطيئة ، ما هى إلا نفس كلب ؛ قال : فخرجتُ فما أبعدت حتى سمعت الواعية[2] عليه .

(١) النجى : المتناجون .
(٢) الواعية : الصراخ والصوت . وفى ب ، س : «والناعية» .

صــوت

بأبي مالكَ عنّى مائلَ الطرف كليلا !
وأرى بِرّك نَزْرا وتحفّيـك قليـلا
وتُسمّينى عـدوا وأسميك خليـلا
أتعلّمتَ سلُوًّا أم تبدلت بديلا ؟
أحمَدَ الله فمـا أغـ نى الرّجا فيك فَتيلا

الشعر لعلىّ بن جَبَلة ، والغناء لزُرزُور غلام المارق ، خفيفُ رملٍ بالبنصر من روايتى الهشامى وعبدِ الله بن موسى . وفيه لعَريبَ هزَج ، وفيه ثقيلٌ أولُ من جيّد الغناء . ينسب إليها وإلى عَلُّويه ، وهو بغنائها أشبه منه بغناء عَلّويه .

أخبار علىّ بن جبلة

نسبه ولقبه

هو علىُّ بنُ جَبَلة بنِ عبد الله الأبناوىّ[1] ، ويكنى أبا الحسن ، ويلقب بالعَكَوَّك ، من أبناء الشيعة الُخراسانية من أهل بغداد ، وبها نشأ ، وولد بالحَرْبيّة[2] من الجانب الغربىّ . وكان ضريراً ، فذكر عطاء الملطِ أنه كان أكمه ، وهو الذى يولد ضريرًا ، وزعم أهله أنه عمِى بعد أن نشأ .

استنفد شعره فى مدح أبى دلف وحميد الطوسى

وهو شاعر مطبوع ، عذب اللفظ جزله ، لطيف المعانى ، مدّاح حسن التصرف . واستنفَد شعرَه فى مدح أبى دُلَف القاسِم بنِ عيسى العِجْلى ، وأبى غانم حُمَيدِ بن عبد الحميد الطُّوسىِّ ، وزاد فى تفضيلهما وتفضيل أبى دُلَف خاصة حتى فُضِّل من أجله ربيعة على مضر ، وجاوز الحد فى ذلك . فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسَلّ لسانه من قفاه ، ويقال : بل هرب ، ولم يزل متوارياً منه حتّى مات ولم يقدر عليه ؛ وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ .

١٠١/١٨

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمار الثقفىُّ قال : حدثنى الحسين بنُ عبد الله بنِ جَبَلة بنِ علىٍّ بنِ جَبَلة قال :

نشأته وتربيته

كان لجدّى أولاد ، وَكان علىّ أصغرهم ، وكان الشيخ يرِقّ عليه ، فجُدِر فذهبتْ إحدى عينيه فى الُجدَرِىّ ، ثم نشأ فأُسلِم فى الكتّاب ، فحذَق بعض مايَحذِقه الصبيان ، فحُمل على دابّة ونُثر عليه اللّوْز ، فوقعَت على عينيه الصحيحة لَوزة فذهبت ، فقال الشيخ لولده : أنتم لكم أرزاق من السلطان ، فإن أعنتمونى على هذا الصبىّ ،

(١) كذا فى ف ، وفى ب ، س : « الأنبارىّ » .

(٢) الحربية : محلة كبيرة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى ، أحد قواد المنصور .

وإلا صرفْتُ بعض أرزاقكم إليه . فقلنا : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجالس الأدب . قال : فكنا نأتى به مجالسَ العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان ، فما أتى عليه الحول حتى برع ، وحتى كان العالِم إذا رآه قال لمن حوله : أوسعوا للبغوىّ[1] وكان ذكيا مطبوعاً ، فقال الشعر ، وبلغه أن الناس يقصدون أبا دُلَف لجوده وما كان يُعطِى الشعراء ، فقصده — وكان يسمَّى العَكَوَّك — فامتدحه بقصيدته التى أولها :

يقصد أبا دلف ويمدحه فيتهم بانتحال القصيدة فيطلب أن يمتحن

ذاد وِرْدَ الغىِّ عن صدَره ... وارعوى واللهوُ من وَطَره

يقول فيها فى مدحه :

يا دواء الأرض إن فسدَت ... ومُديلَ اليُسر من عُسُره
كلّ مَن فى الأرض من عرَب ... بين باديه إلى حَضَره
مستعير منك مكرمـــة ... يكتسيها يومَ مُفتَخَره
إنما الدنيـــا أبو دُلَف ... بين مَبْداه ومحتضَره
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ... ولّت الدنيا على أثَره

فلما وصل إلى أبى دُلَف — وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه — استرابوه بها ، فقال له قائده : إنهم قد اتهموك ، وظنوا أن الشعر لغيرك ، فقال : أيها الأمير ، إن المحنة تزيل هذا ، قال : صدقْتَ ، فامتحنوه . فقالوا له : صِف فرس الأمير ، وقد أجّلناك ثلاثاً ، قال : فاجعلوا معى رجلا تثقون به يكتب ما أقول ، فجعلوا معه رجلا ، فقال هذه القصيدة فى ليلته ، وهى :

(١) لعل المراد به المنسوب الى بغشور : بفتح فسكون فضم ، بلدة بين هراة ومرو الروز ، والنسبة إليها بغوى . ويقال لها أيضا : بغ .

القصيدة التى امتحن بها فى وصف فرس أبى دلف

رِيعت لمنشــور على مَفرِقهِ ذمٌّ لها عهد الصِّبا حين انتسبْ
أهدابُ[(١)] شَيبٍ جُددٌ فى رأسه مكروهةُ الجِدّة أنضاء العُقَبْ[(٢)]
أشرقن فى أسوَدَ أزرينْ به كانَ دُجاه لهوى البِيض سبب
واعتقن أيامَ الغوانى والصِّبا عن ميِّت مطلبُه حىٌّ[(٣)] الأدبْ
لم يزدجِر مُرْعَويا حين ارعوى لـكن يدٌ لم تتصل بمطّلب
لم أرَ كالشيب وقارًا يجتوَى وكالشَّباب الغضِّ ظِلًّا يُسْتلَب
فنــــازلٌ لم يُبتَهج بِقُربه وذاهب أبقى جوًى حين ذهب
كان الشباب لِمّةً أزهَى بها وصاحبا حرًّا عزيزَ المصطحَب
إذ أنا أجرى سادرًا فى غيـــه لا أُعتب الدهر إذا الدهر عتب
أبْعدُ شأوَ اللهو فى إجرائه وأقصد الخَودَ وراء المحتجَب
وأذعَرُ الرَّبربَ عن أطفاله بأعوجىٍّ[(٤)] دُلَفِىِّ المنتسَب
تحسبه من مَرَح العزِّ به مستنفَرًا بروعة أو ملتهِب
مُرتَهِجٍ[(٥)] يرتجُّ من أقطاره كالماء جالت فيه ريح فاضطرب
تحسبه أُقعِد فى اســـتقباله حتى إذا استدبرته قلتَ أكبّ

١٠٢
١٨

(١) كذا فى ا . وفى ب ، جـ ، س ، مد : «أهدام» ، جمع هدم بكسر فسكون ، وهو الثوب البالى، أو المرقع .
(٢) العقب : جمع عقبة ، وهى النوبة .
(٣) ب ، س : «حب» ، تحريف .
(٤) أعوجى : منسوب إلى أعوج ، فرس لبنى هلال .
(٥) مرتهج : يثير الغبار .

وهْو على إرهاقه وطيّـــه … يقصر[١] عنه الحزَمان[٢] واللبب[٣]

تقول فيه حَنَب[٤] إذا انثنى … وهو كمتن القِدح مافيه حَنَب

يخطو على عُوج تناهبن[٥] الثرى … لم يتوا كل عن شظًى[٦] ولا عصب

تحسبها نائثـــة إذا خطت … كأنها واطئة على الرُّكَب

شتاً وقاظ بُرْهَتَيْه عنـــدنا … لم يؤتَ من بِرٍّ[٧] به ولا حدَب

يصان عصرَى حرِّه وقُرِّه … وتُقصَر الخُور[٨] عليه بالحَلَب[٩]

حتى إذا تمّت له أعضـــاؤه … لم تنحبس واحدة على عتَب[١٠]

رُمنا به الصيد فرادَينا[١١] به … أوابد الوحش فأجدى واكتَسب

مُجَذِّم[١٢] الجرى يبارى ظلَّه … ويُعرِق الأحقبَ[١٣] فى شوط الخبب[١٤]

إذا تظنينا[١٥] به صـــدَقنا … وإن تظنى فوتَه العَيرُ كذب

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى أ ، جـ : «يقصر» .
(٢) الحزم : الحزام .
(٣) اللبب : ما يشد فى صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل .
(٤) كذا فى أ ، جـ ، مد . والحنب : احديداب فى صلب الفرس . وفى ب ، س : «خبب» ، تحريف .
(٥) فى معظم النسخ : «تناهين» ، تحريف .
(٦) الشظى : انشقاق العصب .
(٧) كذا بالأصول ، ولعلها تحريف : تر ، بفتح فتشديد ، بمعنى سرعة الركض ، أو امتلاء الجسم ، أو اعتدال الأعضاء .
(٨) الخور : جمع خيرة ، وهى الخيرة من الإبل .
(٩) الحلب : اللبن .
(١٠) العتب : الظلع ، والمشى على ثلاث قوائم من العقر .
(١١) رادينا : طلبنا مسابقين ، وأصل الرديان أن يرجم الفرس الأرض بحوافره .
(١٢) كذا فى ب ، س . ومعناه مسرع . وفى أ : «محتدم» .
(١٣) الأحقب : الحمار الوحشى الذى فى بطنه أو خصره بياض .
(١٤) الخبب : نوع من العدو ، والسرعة .
(١٥) تظنينا : أعملنا الظن .

لا يَبلُغ الجهدَ به راكبُهُ ... ويَبلُغ الريحَ به حيث طَلب
ثم انقضى ذاك كأن لم يَعنِهِ ... وكلّ بقيا فإلى يومِ عطَب
وخلَف الدهرُ على أبنائه ... بالقَدْح[1] فيهم وارتجاع ماوهب
فحَمِّل الدهر ابن عيسى قاسماً ... ينهضْ به أبلجُ فرّاجُ الكرَب
كرونق السيف انبلاجاً بِالندى ... وكغِراريه على أهل الرِّيَب
ما وسِنت عين رأت طلعتَهُ ... فاستيقظت بنَوْبة من النُّوَب
لولا ابنُ عيسى القَرْمُ كنّا همَلا ... لم يؤتَثلْ مجد ولم يُرعَ حسب
ولم يقم فى يوم بأس وندًى ... ولا تلاقى سبب إلى سبب
تكاد تبدى الأرض ما تضمره ... إذا تداعت خيله هَلَا وهَب[2]
ويستَهِلُّ أملا وخيفـــة ... جانبُها إذا استهلّ أو قطَب
وهْو وإن كان ابن فرعَىْ وائل ... فبمساعيه يوافى[3] فى الحسب
وبعُلاه وعُـــلا آبائه ... تُحوى غداة السبق أخطارُ القصب
يازهرة الدنيا ويا باب الندى ... ويامجير الرُّعب من يوم الرَّهَب
لولاك ما كان سدًى[4] ولا ندى ... ولا قريش عُرفَت ولا العرب
خذها إليك من ملىء بالثنـا ... لكنه غير ملىء بالنَّشَب
فأثوِ فى الأرض أو استفزز بها ... أنت عليها الرأس والناس الذنب

١٠٣ / ١٧

شهادة الشعراء بأنه صاحب مدح أبي دلف

قال : فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسنها مَن حضر ، وقالوا : نشهد أن قائل

(١) بالقدح : بالإصابة منهم . وأصل القدح : الصدع فى العود ، والأكال فى الشجر والأسنان .
(٢) هلا وهب : اسمان لزجر الخيل .
(٣) كذا فى جـ . وفى ب ، س : «راق» ، تحريف .
(٤) س : «سرى»

هذه قائل تلك ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم . وقد قيل : إن أبا دُلَف أعطاه مائة ألف درهم ، ولـكن أراها فى دفعات ؛ لأنه قصده مرارًا كثيرة ، ومدحه بعدة قصائد .

المأمون يستنشد بعض جلسائه قصيدته فى أبى دلف

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ الخَفَّاف قال : حدثنى محمدُ بنُ موسى بنُ حماد قال : حدثنى أحمدُ بن أبى فَنَن قال : قال عبد الله بن مالك :

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أُقسم على مَن حضر ممن يحفظ قصيدة علىّ بن جبلة الأعمى فى القاسم بن عيسى إلا أنشدَنيها ، فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بد من إبرار قسمه ، وما أحفظها ، ولـكنها مكتوبة عندى . قال : قم فجئنى بها ، فمضى وأتاه بها ، فأنشده إياها وهى :

ذاد وِرْد الغىّ عن صدَرِهْ ... وارعوى واللهو مِن وَطَرِهْ
وأبَت إلا البـكاءَ له ... ضحكات الشيب فى شعَره
نَدمِى[1] أن الشباب مضى ... لم أُبلِّغه مدى أَشَرِه
وانقضت أيامه سَـلَمَا ... لم أَجِد حَوْلا على غِيَرِه
حَسَرت عنى بشاشتُه ... وذَوَى المحمود من ثمره
ودَمٍ أهدرْتُ من رشَـإٍ ... لم يُرِد عَقلا على هدَره
فأْتِ[2] دون الصِّبا هنةٌ ... فليت فُوقى[3] على وتره
جارتا ليس الشباب لمن ... راح محنيًّا على كبره

(١) فى جـ : «ندما» .
(٢) فى أ : «فأتى» . وفى ب ، س ، م : «فأنت» ، تحريف .
(٣) الفوق : موضع الوتر من السهم .

ذهبَت أشياء كنت لها صارَها[١] حِلمى إلى صَوره[٢]
دع جَدا قحطان أو مُضرٍ فى يمانيه وفى مضره
وامتدح من وائل رجلا عَصَرُ[٣] الآفاق فى عَصَره
المنايا فى مناقبه والعطايا فى ذَرا حُجَره
مِلك تَنَدَّى أنامله كانبلاج النَّوء من مطره
مستهِلّ عن مواهبه كابتسام الروض عن زَهَره
جبَلٌ عزّت مناكبه أمِنتْ عدنان فى ثغره
إنما الدنيا أبو دُلف بين مَبداه[٤] ومحتضَره
فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيا عَلَى أثره
لست أدرى ما أقول له غير أن الأرض فى خَفَره
يا دواء الأرض إن فسدَت ومُديل اليُسر من عسُره
كلّ من فى الأرض من عربٍ بين باديه إلى حضره
مستعير منك مكرمةً يكتسيها يوم مفتخَره

يقول فيها :

وزَحوف فى صواهله كصياح[٥] الحشر فى أثره
قُدْتَه والموت مكتمِنٌ فى مذاكيه ومشتجَره[٦] ١٠٤/١٨

(١) صار الشى صورا : أماله. (٢) الصور : الميل ، وفعله كفرح .

(٣) العصر : المنجاة .

(٤) كذا فى ب ، س ، ج . فى أ ، م : «باديه» .

(٥) فى أ ، م : «كضياء الفجر فى أمره» ، الأمر هنا : السطوع والانتشار ، من أمر ، بكسر الميم : أى كثر ونما .

(٦) فى س ، ب ، ج : «مستجره كأنه بمعنى مشتمله» .

فرمَت جيلويه[1] منه يد طوت المنشور من نظره
زرتَه والخيـــل عابسة تحمل البؤس عَلَى عُقَره[2]
خارجات تحت رايتها كخروج الطير من وُكَره
وعَلَى النعمان عُجتَ به عَوجةً ذادته عن صدَره
غمَط النعمان صفوتهـا فرددتَ الصفو فى كدره
ولقُرقورٍ أدرْتَ رحًا لم تـكن[3] ترتد فى فِـكَره
قد تأنيتَ البقاء له فأبَى المحتومُ من قدَره
وطغى حتى رَفعَتْ له خطة شنعاء من ذُكَره

قال : فغضب المأمون واغتاظ ، وقال : لست لأبى إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه .

أنشـد أبا دلف مدحته بعـد أن قتل قرقورا

قال ابن أبى فَنَن : وهذه القصيدة قالها علىّ بن جَبَلة وقصد بها أبا دُلَف بعد قتله الصُّعلوك المعروف بقرقور ، وكان من أشد الناس بأساً وأعظمهم . فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى ، وأبو دلف يجتهد فى أمره فلا يقدر عليه . فبينا أبو دلف خرج ذات يوم يتصيد وقد أمعن فى طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه ، فأيقن أبو دلف بالهلاك ، وخاف أن يُولّيَ عنه فيهلك ، فحمل عليه وصاح : يافتيان ! يَمنةً يمنة — يوهمه أن معه خيلا قد كمنها له — فخافه قرقور وعطف عَلَى يساره هارباً ، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره ، ونزل فاحتزّ رأسه ، وحمله عَلَى رمحه حتى أدخله الـكرَج .

(١) جيلويه ، رجل من ذوى الشوكة كان بينه وبين آل أبى دلف وقائع .
(٢) العقر : جمع عقرة : كهمزة ، وهو الراكب يعتر ركوبته من كثرة إتعابه لها .
(٣) كذا فى ب ، س . فى ج : « تكد » .

قال : فحدثنى من رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر . فلما أنشده علىّ بن جبلة هـذه القصيدة استحسنها وسُرَّ بها وأمر له بمائة ألف درهم .

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ الأزدىّ قال : أخبرنى إبراهيمُ بنُ خلف قال :

اتساع شهرة قصيدته فيه

بينا أبو دُلَف يسير مع أخيه معقل — وهما إذ ذاك بالعراق — إذ مرّا بامرأتين تتماشيان ، فقالت إحداهما لصاحبتها : هذا أبو دُلَف ، قالت : ومَن أبو دلف ؟ قالت : الذى يقول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ بين باديه ومحتضَره
فإذا ولّى أبو دُلَف ولّت الدنيا عَلَى أثره

قال : فاستعبر أبودُلَف حتى جرى دمعُه . قال له معقل : مالك يا أخى تبكى ؟ قال : لأنى لم أقض حقَّ علىٍّ بن جَبَلة . قال : أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة ؟ قال : والله يا أخى مافى قلبى حسرة تقارب حسرتى عَلَى أنى لم أكن أعطيته مائة ألف دينار . والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقه .

حدثنى الحسنُ بن علىٍّ قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويَه قال : حدثنى عبدُ الله ابنُ محمدِ بنِ جريرٍ قال :

أنشدت أبا تمام قصيدة علىِّ بنِ جَبَلة البائية ، فلما بلغتُ إلى قوله :

شدة إعجاب أبى تمام ببيت من بائيته

وردّ البِيضَ والبِيضَ إلى الأغماد والحُجُبِ[1]

اهتز أبو تمام من فَرْقه[2] إلى قدمه ، ثم قال : أحسن ، والله لودِدتُ أن لى هـذا

(١) يكنى عن انتصاره الحاسم برد السيوف إلى أغمادها ، والسبايا إلى حجبها .
(٢) فى ا ، ج ، م : فقرنه .

١٠٥ / ١٨

البيت بثلاث قصائد من شعرى يتخيرها[١] وينتخبها[٢] مكانه .

طلب أن ينشد المأمون مدحا فيه ثم يختار الإقالة فرارا من شروط المأمون

أخبرنى عمى قال : حدثنى أحمدُ بنُ أبى طاهر قال : حدثنى أبو نِزارٍ الضبىُّ الشاعر قال : قال لى علىُّ بنُ جَبَلة قلت لحُمَيد بنِ عبد الحميد الطُّوسى : يا أبا غانم ، إنى قد مدحْتُ أمير المؤمنين بمَدْح لا يحسن مثلَه أحد من أهل الأرض ، فاذكرْنى له . قال : فأنشِدْنى ، فأنشدتُه . قال : أشهَد أنك صادق ، ما يحسن أحد أن يقول هكذا . وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون ، فقال له : ياحُمَيد ، الجواب فى هذا واضح، إن شاء عفَونا عنه وجعلنا ذلك ثوابا لمديحه ، وإن شاء جمعْنا بين شعره فيك وفى أبى دلف وبين شعره فينا ، فإن كان الذى قاله فيكما أجود ضربنا ظهره ، وأطلنا حبسه ، وإن كان الذى قاله فينا أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم ، وإن شاء أقلناه . فقلت له : ياسيدى ومَن أنا ومَن أبو دُلَف حتى يمدحَنا بأجود من مديحك ! فقال : ليس هذا الكلامُ من الجواب فى شىء ، فاعرِض ماقلت لك على الرجل . فقال : أفعل . قال علىُّ بنُ جَبَلة : فقال لى حميد : ما ترى ؟ فقلت : الإقالة أحبّ إلى ، فأَخبرَ المأمون بذلك . فقال : هو أعلم ، ثم قال لى حُمَيد : يا أبا الحسن أىَّ شىء يعنى من مدائحك لى ولأبى دُلَف ؟ فقلت : قولى فيك :

لولا حُمَيدٌ لم يكن حسب يُعَد ولا نسبْ
ياواحد العَرب الذى عَزّت بعزّته العرب

وقولى فى أبى دُلف :

(١) فى س : « يتخيلها » ، تحريف .
(٢) فى ا ، ج : « ينتحلها » .

إنما الدنيا أبو دُلَف بين باديه ومحتضَره
فإذا ولّى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

قال : فأطرق حُمَيد ثم قال : لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم . وبلغ ذلك أبا دُلَف فأضعف لى العَطية ، وكان ذلك فى سَتر منهما ، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نزار .

يمسك عن زيارة أبى دلف حياء لكثرة بره به

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان قال : حدثنى محمدُ بنُ يزيدَ ، قال : حدثنى علىُّ بن القاسم قال : قال لى علىّ بن جبلة :

زرتُ أبا دُلَف ، فكنت لا أدخل إليه إلا تلقانى ببرّه وأفرط ، فلما أكثر قعدت عنه حياء منه ، فبعث إلىّ بمعقل أخيه ، فأتانى فقال لى : يقول لك الأمير : لم هجرتنا ؟ لعلك استبطأْتَ بعض ما كان منّى ، فإن كان الأمر كذلك فإنى زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى ، فدعوت مَن كتب لى ، وأملت عليه هذه الأبيات ، ثم دفعتها إلى معقل ، وسألته أن يوصلها ، وهى :

هجَرْتك لم أهجرك من كفر نعمة وهل يُرتجَى نَيل الزيادة بالكفر
ولكننى لما أتيتُك زائرا فأفرطتَ فى برى عجزت عن الشكر
فهأنا لا آتيك إلا مسلّما أزورك فى الشهرين يوما وفى الشهر
فإن زدتنى برًّا تزايدت[1] جَفوة ولم تلقنى طول الحياة إلى الحشر

قال : فلما سمعها معقل استحسنها جدا ، وقال : جوّدت والله ، أما أن الأمير ليُعجب

(١) كذا فى س . فى ا ، ب ، ج : « تزيدت » .

بمثل هذه الأبيات ، فلما أوصلها إلى أبى دُلَف قال : لله دَرّه ! ما أشعره ، وما[1] أرقّ معانيه ! ثم دعا بدواة ، فكتب إلىّ :

١٠٦/١٨

ألا ربّ ضيفٍ طارق قد بسطتُه … وآنستُه قبل الضيافة بالبِشر
أتانى يرجِّينى فما حال دونه … ودون القِرى من نائلى عنده سِترى
وجَدتُ له فضلا علىّ بقصده … إلىّ وبرًّا يستحق به شكرى
فلم أعدُ أن أدنيتُه وابتدأتُه … ببشر وإكرام وبرٍّ على برّ
وزوّدتُه مالا قليل[2] بقاؤه … وزوّدنى مدحًا يدوم على الدهر

ثم وجّه بهذه الأبيات مع وصيف يحمل كيسًا فيه ألف دينار ، فذلك حيث قلت له :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ … بين باديه ومحتضَره

أخبرنى عمى قال : حدثنى أحمدُ بنُ أبى طاهر قال : حدثنى أحمدُ بنُ القاسم قال : حدثنى نادر مولانا :

يقصد عبد الله بن طاهر ليمدحه ، فيرده لغلوه فى مدح أبى دلف

أن علىَّ بن جَبَلة خرج إلى عبدِ الله بنِ طاهر إلى خراسان ، وقد امتدحه ، فلما وصل إليه قال له : ألست القائل :

إنمَا الدنيَا أبو دُلَف … بين باديه ومحتضَره
فإذا ولّى أبو دُلَف … ولّت الدنيَا على أثَرِه

قَال : بلى ، قَال : فمَا الذى جاء بك إلينا ، وعدل بك عن الدنيا التى زعمت ؟

(١) فى ب ، س ب : «وما أشعره وأرق» . وفى ا ، جـ : «ما أشعره وأدق» .
(٢) ف ، م ، مو : «قليلا» بالنصب ، وكلاهما صحيح .

ارجع من حيث جئت ، فارتحل ، ومرّ بأبى دُلَف وأعلمه الخَبر ، فأعطاه حتى أرضاه .

قَال نَادر : فرأيته عند مولاى القَاسم بن يوسف ، وقد سأله عن خبره فقَال :

أبو دلف إن تلقه تلقَ مَاجدا جوادًا كريمًا راجح الحلم سيدا
أبو دُلَف الخَيراتِ أنداهمُ يدا وأبسط معروفًا وأكرم محتِدا
تراثُ أبيه عن أبيه وجـدِّه وكلّ امرئٍ يجرى على ما تعودا
ولست بِشَاكٍ غيرَه لنقيصة ولكنما الممدوح من كان أمجدا

يصف قصر حميد الطوسى ويمدحه

قال مؤلف هذا الكتاب[1] : والأبيات التى فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبى الحسن علىّ بن جبلة من قصيدة له مدح بها حُميداً الطوسىّ ، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التى فيها الغناء :

ليس لى ذنب سوى أنّى أسميـك خليـلا[2]
وأناديك عـزيزاً وتنـاديني ذليـلا
أنا أهواك وحاليَـك صَروماً ووَصولا
ثِق بوُدٍّ ليس يفنى وبعهدٍ لن يحولا
جعل الله حُمَيـدا لبنى الدنيـا كفيلا
ملِك لم يجعل اللـه له فيهم عديلا
فأقاموا فى ذَراه مطمئنين حُـلولا
لا ترى فيهم مُقِلّا يسأل المُثرى فُضولا
جاد بالأموال حتى علّم الجود البخيلا

(١) ف : «قال الأصبهانى» .

(٢) كذا فى ب ، حـ ، س . فى ا ، م ، ف : «جليلا» .

١٠٧ / ١٨

وبنَى الفخر على الفخـــر بنـاء مستطيلا
صار للخائف أمناً وعلى الُجود دليلا

يرثي حميدا الطوسي

ولما مات حُميد الطوسىّ رثاه بقصيدته العينية المشهورة ، وهى من نادر الشعر وبديعه ، وفى أولها غناء من الثقيل الأول ، يقال : إنه لأبى العُبَيْس ، ويقال : إنه للقاسم ابنِ زُرْزُور :

أَللدهر تبكى أم على الدهر تجزع ؟
وما صاحب الأيام إلا مفجَّـــــعُ
ولو سَهّلَت عنك الأُسا كان فى الأُسا
عزاءٌ مُعَزٍّ للبيب ومقنَــــعُ
تعزَّ بما عزَّيتَ غيركَ إنهـا سهام المنايا حائمات ووُقَّع
أُصبنا بيوم فى حُمَيدٍ لو آنه أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع
وأدَّبَنا ما أدب الناسَ قبلنا ولـكنه لم يَبْقَ للصبر موضع
ألم ترَ للأيام كيف تصرَّمت[1] به وبه كانت تُذَادُ وتُدْفَع
وكيف التقى مثوًى من الأرض ضيق على جبل كانت به الأرض تُمنع
ولما انقضَت أيامه انقضت العلا وأضحى به أنف الندَى وهو أجدع
وراح عدوّ الدِّين جَذلان ينتحى أمانىَّ كانت فى حَشاه تقطع[2]
وكان حُمَيد معقِلا ركَعت به قواعدُ ما كانت على الضيم تَركع

---

(١) ف ، مو : «تصرفت» .

(٢) ينتهى هنا ما روت نسخة ا من هذه القصيدة . وفيها بعد هذا البيت : وهى قصيدة طويلة . قد اعتمد عليها الطائيان فى مراثيهما ، فسلخاها . ولولا كراهة الإطالة لذكرت ذلك .

وكنتُ أراه كالرزايا رُزِئْتُها ولم أدْرِ أن الخلق يبكيه أجمع
حِمام رماه من مواضع أمنه حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدع[١]
وليس بِغَزْوٍ أن تصيب منية حِمى أختها أو أن يذِلّ المُمنَّع
لقد أدركت فينا المنايا بثارها وحلّت بخطب وَهْيُه ليس يُرقَع
نَعاء[٢] حُمَيدا للسرايا إذا غدت تذاد بأطراف الرماح وتوزع
وللمُرهَق المكروبِ ضاقت بأمره فلم يَدر فى حَوماتها كيف يصنع ؟
وللبيض خلّتها البُعول ولم يَدع لها غيرَه داعى الصباح المفزَّع
كأن حُمَيدا لم يقُدْ جيش عسكر إلى عسكر أشياعه لاتُروَّع
ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحا مِراحاً ولم يرجع بها وهى ظُلَّع
رواجع يحملن النِّهاب ولم تكن كتائبه إلا على النهب ترجع
هوَى جبلُ الدنيا المنيعُ وغيثها الـــمَريع وحاميها الكَمِىّ المشيع[٣]
وسيفُ أمير المؤمنين ورمحه ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع
فأقنعه من مُلكه وربَاعه ونائلِه قفر من الأرض بلقع
على أىّ شجو تشتكى النفس بعده إلى شجوه أو يَذخَر الدمعَ مَدمع
ألم تر أن الشمس[٤] حال ضياؤها عليه وأضحى لونها وهو أسفع
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها وأجدب مرعاها الذى كان يَمرَع
وقد كانت الدنيا به مطمئنة فقد جعلت أوتادها تتقلع
بكى فقدَه رَوح الحياة كما بكى نَداه النَدَى وابنُ السبيل المدفَّع ١٠٨/١٨

(١) يقدع : يدفع
(٢) نعاء حميدا : انعه ، وأظهر خبر وفاته .
(٣) المشيع : الشجاع ، كأنه يشيعه ، أى يشجعه غيره ، أو يشيعه قلبه .
(٤) كذا فى ب ، جـ ، مد . وفى س : «النفس» ، تحريف .

وفارقت البيضُ الخدور وأبرزت عواطل حسرَى بعده لا تَقَنَّع
وأيقظ أجفاناً وكان لها الكرى ونامت عيون لم تكن قبلُ تَهجع
ولكنه مقدار يوم ثوى به لكل امرىء منه نِهال ومَشرَع
وقد رأَب الله المَلا[1] بمحمد وبالأصل يَنمِى فرعُه المتفرع
أغرّ على أسيافه ورماحه تُقَسَّم أنفال الخميس وتُجمع
حوى عن أبيه بذلَ راحته الندى وطعن الكُلَى والزاعبية[2] شرَّع

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها ، وقد أخذ البحتريّ أكثر معانيها فسلخه ، وجعله فى قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغرى :

* انظر إلى العلياء كيف تضام[3] *

و : * بأى أسى تثنى الدموع الهوامل[4] *

وقد أخذ الطائى أيضاً بعض معانيها ، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة . وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه .

بلغ فى مدح حميد الطوسى ما لم يبلغه فى مدح غيره

أخبرنى عمى قال : حدثنا أحمدُ بنُ أبى طاهر قال : حدثنى أبو وائلة قال : قال رجل لعلىّ بن جبلة :

ما بَلَغتَ فى مديح أحد مَا بَلَغتَه فى مديحك حُمَيدا الطوسىّ . فقَال : وكيف لا أفعل وأدنَى مَا وصل إلىّ منه أنى أهديت له قصيدة فى يوم نَيروز فسُرَّ بهَا ، وأمر أن يحمل إلىّ كلّ مَا أهدى له ، فحمل إلىَّ مَا قيمته مائتا ألف درهم ، وأهديتُ له

(١) م ، مو : «الثأى» ، ورأب الثأى : أصلح الفساد ، وأصله من ثأى الخرز : إذا انخرم .
(٢) الزاعبية : هى الرماح التى إذا هزت كانت كأن كعوبها يجرى بعضها فى بعض ، أو المنسوبة إلى زاعب : بلد ، أو رجل .
(٣) ديوان البحترى ٢٥٧ ، وعجزه
* ومآتم الأحساب كيف تقام *
(٤) ديوانه ١٩٤ ، وعجزه
* وترجي زيال من جوًى لايزايل *

يصف جيشا ركب فيه حميد الطوسى ويمدحه

قصيدة فى يوم عيد فبعث إلىّ بمثل ذلك . قال أبو وائلة . وقد كان حُمَيد ركب يوم عيد فى جيش عظيم لم يُرَ مثله ، فقال علىّ بن جَبَلة يصف ذلك :

غَدا بأمير المؤمنين ويُمْنِه أبو غانم غَدْوَ الندَى[1] والسحائِب
وضَاقت فِجَاج الأرض عن كل موكب أحَاط به مستعلياً للمواكب
كأن سُموّ النّقع والبَيضُ[2] فوقهم سماوة ليل فُرّنَت[3] بالكواكب
فكانَ لأهل العِيد عيد بنُسكهم وكان حُمَيد عيدَهم بالمواهب
ولولا حُمَيد لم تَبَلّج عن الندى يمينٌ ولم يُدرِك غنًى كسبُ كاسب
ولو ملكَ الدنيا لما كان سائل ولا اعتام[4] فيها صاحبٌ فضلَ صاحب
له ضِحكة تستغرق المال بالندى على عبسةٍ تُشجِى[5] القنَا بالترائب
ذهبتَ بأيام العلا فَارداً بهَا وصرّمتَ عن مسعاك شأو الطَّالِب
وَعدّلت مَيل الأرض حتى تعدلت فلم يَنأ منهَا جَانب فوق جانِب
بَلغت بأدنى الحزم أبعد قُطرهَا كأنك منهَا شَاهد كلّ غائب

قصيدة أهداها إليه يوم نيروز

قال : والتى أهداهَا له يوم النيروز قصيدته التى فيهَا :

حُمَيدُ يا قاسِمَ الدنيَا بِنَائله وَسيفِه بين أهل النّكث وَالدِّينِ
أنت الزمَان الذى يجرى تصرّفه على الأنَام بتشديد وَتَليين

(١) كذا فى ب ، س . وفى ا ، جـ : «والردى» .
(٢) فى ف : «والبيض» بالنصب ، وكلاهما صحيح .
(٣) مو : «حليت بالكواكب» .
(٤) اعتام : أخذ العيمة بالكسر . وهى فى الأصل : خيار المال .
(٥) أشجاه : أغصه .

لولم تكن كانت الأيّام قدفَنِيت والمكرماتُ وَمَاتَ المجد مُذحين

١٠٩ / ١٨

صوَّرك الله من مجد وَمن كرم وصوَّر النَّاس من مَاء وَمن طين

نُسخَت من كتاب بخط محمد بن العباس اليزيدىّ :

يدخل على أبى دلف فيستنشده

قال أحمد بن إسماعيل الخصيب الكاتب : دخل علىٌّ بن جَبَلة يوماً إلى أبى دُلف فقال له : هات ياعلىُّ ما معك . فقال : إنه قليل . فقال : هاته ، فكم من قليل أجودُ من كثير فأنشده :

الله أجرى من الأرزاق أكثرَها على يديك فشكرًا يا أبا دُلفِ

أعطى أبو دُلَف والريح عاصفة حتى إذا وقَفَت أعطى ولم يقف

يستنشده أبو دلف فيتطير مما أنشده

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما كان بعد مدة دخل إليه ، فقال له : هات ما معك فأنشده :

مِن مَلَكِ الموت إلى قاسم رســالةٌ فى بطن قِرطاس

يا فارس الفُرســان يوم الوغى مُرْنى بمن شئتَ من الناس

قال : فأمر له بألفى درهم ، وكان قد تطير من ابتدائه فى هذا الشعر ، فقال : ليست هذه من عطاياك أيها الأمير ، فقال : بلغ بها هذا المقدارَ ارتياعنا من تحمّلك رسالةَ ملك الموت إلينا .

أخبرنى محمدُ بنُ عِمران الصيرفى قال : حدثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزِىُّ قال : حدثنى محمدُ بنُ عبد الله قال : حدثنى علىُّ بن جَبَلة العكوَّك المروزىّ قال :

يهجو الهيثم بن عدى إجابة لطلب الخزيمى

جاءنى أبو يعقوب الُخزَيمىّ فقال لى : إن لى إليك حاجة . قلت : وما هى ؟ قال : تهجو لى الهَيْثم بنَ عدِىّ . فقلت : ومالك أنت لاتهجوه وأنت شاعر ؟ فقال : قد

فعلت ، فما جاءنى شىء كما أريد . فقلت له : كيف أهجو رجلا لم يتقدم إلىّ منه إساءة ، ولا له إلىّ جرم يُحْفِظنى ؟ فقال : تُقرضنى ، فإنى ملىّ بالقضاء ، قلت : نعم ، فأمهلْنى اليوم فمضى ، وغدوت عليه فأنشدته :

لِلهَيثم بنِ عدىٍّ نِسبة جمعت ... آباءه فأَراحتنا من العـدد
أعدُد عدِيًّا فلو مدّ البقاء له ... ما عُمِّر الناسُ لم ينتقص ولم يزد
نفسى نداء بنى عبد المدان وقد ... تَلَّوه(١) للوجه واستعلَوْه بالعمد
حتّى أزالوه كرهاً عن كريمتهم ... وعرّفوه بذُلٍّ أين أصل عدى؟
يا بنَ الخبيثة من أهجو فأفضحه ... إذا هجوتُ وما تُنمَى إلى أحد ؟

هجاؤه الهيثم بن عدى مزق بينه وبين زوجه

قال : وكان الهيثم قد تزوج إلى بنى الحارثِ بنِ كعب ، فركب محمد بن زياد بنِ عُبيدالله بنِ عبدالمَدان الحارثىّ ، أخو يحيى بنِ زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيّين إلى الرشيد ، فسألوه أن يفرّق بينهما . فقال الرشيد : أليس هو الذى يقول فيه الشاعر :

إذا نسبتَ عديا فى بنى ثُعَلٍ ... فقدّم الدال قبل العين فى النسب

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . قال فهـذا الشعر من قاله ؟ قالوا : هو لرجل من أهل الـكوفة من بنى شَيبان يقال له : ذُهل بن ثعلبة فأمر الرشيدُ داودَ بنَ يزيدَ أن يفرّق بينهما ، فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعِصىّ حتى طلقها .

يشخص إلى عبد الله بن طاهر ويمدحه

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخُزاعىُّ قال : حدثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال : حدثنى محمدُ بنُ الحسن بنِ الخصيب قال :

شخَص علىُّ بنُ جَبَلة إلى عبـد الله بن طاهر إلى خراسان — وقد مدحه فأجزل

(١) تله للوجه : كبه له .

١١٠ / ١٨

صلته — واستأذنه فى الرجوع ، فسأله أن يقيم عنده ، وكان برّه يتصل عنهم ، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله ، فدخل إليه فأنشده :

ينشد عبد الله بن طاهر شعرا يطلب به أن يأذن له فى الرحيل

راعه الشيبُ إذ نزلْ وكفاه من العذَلْ
وانقضت مدة الصبا فانقضى اللهو والغزل
قد لعمرى دَمَلْتُهُ بخضاب فما اندمل
فابك للشيب إذ بدا لا على الرَّبع والطلل
وصَلَ الله للأمير عُرا الملك فاتصل
ملك عزْمُه الزما ن وأفعاله الدولْ
كِسرويّ بمجده يَضرب الضاربُ المثل
وإلى ظِلّ عزّه[1] يلجأُ الخائف الوجِل
كلُّ خَلق سوى الإما م لإنعامه خَوَل
ليته حين جاد لى بالغنى جاد بالقفَل

قال : فضحك وقال : أبيت إلا أن توحشنا . وأجزل صلته ، وأذن له .

ينشد حميدا الطوسى شعرا فى أول رمضان

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال: حدثنى أحمدُ بنُ أبى طاهر قال: حدثنى أبو وائلة السدوسىُّ قال :

دخل علىُّ بنُ جَبَلة العكوّكُ على حُمَيد الطوسىِّ فى أول يوم من شهر رمضان ، فأنشده :

(١) ف : «إلى عز ظله» .

جعل الله مَدخل الصوم فوزا ... لحميد ومتعة فى البقاء
فهو شهرُ الربيع للقُرَّاء ... وفراقُ النَّدمان والصهباء
وأنا الضامنُ الملِئُ[1] لمَن عا ... قرها مفطرا بطول الظَّماء
وكأنى أرى النَّدامَى على الخسـ ... ـف يُزجّون صبحهم بالمساء
قد طَوى بعضُهم زيارة بعض ... واستعاضوا مصاحفًا بالغناء

يقول فيها :

بحُميد وأين مثلُ حميد ... فخرَت طيِّئٌ على الأحياء
جوده أظهر السماحة فى الأر ... ضِ وأغنى المُقوِى عن الإقواء[2]
ملِكٌ يأمُل العباد نداه ... مثلَ ما يأمُلون قَطْر السماء
صاغه الله مطعِمَ الناس فى الأر ... ض وصاغ السحاب للإسقاء

ينشد حميدا الطوسى شعرا ثانى شوال

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك . ثم دخل إليه ثانىَ شوال ، فأنشده :

علّلانى بصفو مافى الدِّنان ... واتركا ما يقوله العاذلان
وا سبقا فاجع المنيّة بالعيـ ... ـش فكلٌّ على الجديدين فانى
عللانى بشَربةٍ تُذهب الهَمّ ... وتنفى طوارق الأحزان
وانفثا[3] فى مسامعٍ سدّها الصو ... م رُقَى الموصلىّ أو دَحْمان
قد أتانا شوال فاقتبل العيـ ... ـش وأعدَى[4] قسرا على رمضان
نِعم عون الفتى على نُوَب الدهـ ... ـر سماعُ القيان والعيدان

(١) مو ، م : « الكفيل » .
(٢) المقوى : الفقير .
(٣) كذا فى ا ، جـ . وفى ب ، س : « وألقيا » ، تحريف .
(٤) أعدى : نصر وأعان .

١١١/١٨

وكئوسٌ تجرى بماء كُروم   ومطيُّ الكئوس أيدى القيان

من عُقار تُميت كلّ احتشامٍ   وتَسُرّ النَّدمان بالنَّدمان

وكأنّ المِزاج يقـدح منها   شرراً فى سبائك العِقيان

فاشرب الرّاح واعصِ مَن لام فيها   إنهـا نعم عُدة الفِتيان

واصحب الدهر بارتحال وحَلّ   لا تخف ما يجُرّه الحـادثان

حسْبُ مستظهِرٍ على الدهر ركنا   بحُميد رِدءا من الحِدثان

مِلك يقتنى المكارم كنزا   وتراه من أكرم الفتيان

خُلقت راحتاه للجود والبأ   س وأمواله لشكر اللسان

ملّكته على العباد معدّ   وأقرّت له بنو قحطان

أريحيٌّ النـدى جميل المحيّا   يده والسماح[1] معتقدان[2]

وجْهه مشرق إلى معتفيه   ويداه بالغيث تنفجران

جَعل الدهر بين يوميه قسميـ   ـن بعُرف جزل وحَرّ طعان

فإذا سار بالخميس لحرب   كَلّ عن نصّ جَرْيه الخافقان

وإذا ما هززته لنوال   ضاق عن رحب صدره الأُفقان

غَيث جـدب إذا أقام ربيع   يتغشى بالسَّيب كلّ مكان

يا أبا غانم بقيتَ على الدهـ   ـر وخُلّدتَ ما جرى العصران

ما نُبالِى إذا عدَت المنـايا   مَن أصابت بكَلْكَل وجِران

قد جعلنا إليـك بعث المطايا   هرَبا من زماننا الخوّان

(١) كذا فى ا ، ج ، مد . وفى س : « السماء » .   (٢) معتقدان : معتودان

وحملنا الحاجات فوق عتاق ضامناتٍ حوائج الرُّكبان

ليس جُودٌ وراء جودك يُنتا ب ولا يَعتَفِى لغيرك عانى

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال : تلك كانت للصوم ، فخَفَّفت وخفّفنا ، وهذه للفطار ، فقد زدتنا وزدناك .

أحب جارية وأحبته على قبح وجهه

أخبرنى عمى قال : حدثنا أحمدُ بنُ الطيب السَّرَخْسىّ قال : حدثنا ابنُ أخى علىّ بنِ جبلة العكوّكِ — قال أحمد : وكان علىّ جارنا بالربَض[1] هو وأهله ، وكان أعمى وبه وضَح . وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبّه هى أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضَح ، حدثنى بذلك عمرو بن بحرٍ الجاحظُ .

قال عمرو : وحدثنى العكَوَّك أن هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّها . قال ، وذلك عنَيت فى قولى :

ودمٍ أهدرت من رشإٍ لم يُرِد عقلا على هَدَره

يستأذن على حميد الطوسى فيمتنع، ثم يأذن له فيمدحه

وهى القصيدة التى مدح بها أبا دلف ، يعنى بالدم : دم البُضع[2]. قال : ثم قصدتُ حُمَيدا بقصيدتى التى مدحته بها ، فلما استؤذن لى عليه أبَى أن يأذن لى ، وقال : قولوا له : أىّ شىء أبقيت لى بعد قولك فى أبى دلف :

إنما الدنيا أبو دُلَف بين مَبْداه ومحتضره

١١٢ / ١٨

فإذا ولّى أبو دُلَف ولت الدنيا على أثَره

فقلت للحاجب : قل له : الذى قلت فيك أحسن من هذا ، فإن وصّلتَنى سمعته ، فأمر بإيصالى ، فأنشدت قولى فيه :

---

(١) هو ربض حرب . ويعرف بالحربية ، محلة ببغداد .

(٢) البضع : الفرج .

إنما الدنيا حُمَيد وأياديه الجسام

فإذا ولّى حُمَيد فعلى الدنيا السلام

فأمر لى بمائتى دينار ، فنثرتها فى حجر عشيقتى ، ثم جئته بقصيدتى التى أقول فيها :

دجلة تسقى وأبو غانم يُطعم مَن تسقى من الناسِ

فأمر لى بمائتى دينار .

شعره حين غضبت عليه الجارية التى أحبها

حدثنى عمى قال : حدثنى أحمدُ بن الطيب قال : حدثنى ابن أخى علىِّ بنِ جَبَلة أيضا : أن عمه عليًّا كان يهوى جارية ، وهى هذه القينة ، وكانت له مساعدةً ، ثم غضبت عليه ، وأعرضت عنه ، فقال فيها :

تُسىء ولا تستنكر السوء إنها تُدِلّ بما تبلوه عندى وتَعرف

فمِن أين ما استعطفتها لم ترقَّ لى ومن أين ما جربتُ صبرىَ يضعف

ينشد لنفسه أقبح ما قيل فى ترك الضيافة

أخبرنى حبيب بن نصر قال : حدثنا عمرُ بن شَبّة قال : تذاكرْنا يوما أقبح ما هُجى به الناس فى ترك الضيافة وإضاعة الضيف ، فأنشدنا علىُّ بن جبلة لنفسه :

أقاموا الدّيدَبان على يَفاعٍ وقالوا لا تنَم للدّيدَبانِ

فإن آنست شخصاً من بعيد فصفّق بالبنان على البنان

تراهم خشية الأضياف خُرساً ويأتون الصلاة بلا أذان

يمدح حميدا الطوسى فيعطيه ألف دينار كان أمر بالتصدق بها

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال : حدثنى محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْهِ قال : حدثنى أبى قال : حدثنى وهب بن سعيد المَرْوزىُّ ، كاتبُ حُمَيد الطوسىِّ ، قال :

جئت حُمَيدا فى أول يوم من شهر رمضان ، فدفع إلىّ كيساً فيه ألف دينار ،

وقال : تصدَّقوا بهذه . وجاءه ابنه أصرمُ فسلَّم عليه ودعا له ، ثم قال له : خادمك علىُّ بن جبلة بالباب ، فقال : وما أصنع به ؟ جئتنى به يا بُنى تقابلنى بوجهه فى أول يوم من هذا الشهر . فقال : إنه يجيد فيك القول . قال : فأنشدنى بيتاً مما تستجيده له : فأنشده قوله :

حِيدِى حَيادِ[1] فإنّ غزوة جيشه ضَمِنَت لجائلة السباع عِيالها

فقال : أحسن . ائذنوا له ، فدخل فسلّم ، ثم أنشده قوله :

إن أبا غانم حُميـدا غيث على المعتفين هامى
صوّره الله سيفَ حَتف وباب رزق على الأنام
يا مانع الأرض بالعوالى والنِّعم الجمـــة العظام
ليس من السّوء فى مَعاذ من لم يكن منك فى ذِمام
وما تعمّدتُ فيك وصفاً إلا تقدّمتـــه أمامى
فقد تناهت بك المعالى وانقطعت مدة الكلام
أجِدّ شهراً وأبلِ شهرًا واسلم على الدهر ألف عام

قال : فالتفت إلىَّ حُميد ، وقال : أعطه ذلك الألف الدينار حتى يَخرج للصدقة غيره . ١١٣

١٨

يستشفع بحميد الطوسى إلى أبى دلف وكان غضب عليه

حدثنى عمى قال : حدثنى يعقوبُ بن إسرائيل قال : حدثنى أبو سُهيل عن سالم مولى حُميد الطُّوسىِّ قال :

جاء علىُّ بنُ جَبلة إلى حميد الطوسىّ مستشفعاً به إلى أبى دلَف — وقد كان غضب عليه وجفاه — فركب معه إلى أبى دلف شافعاً ، وسأله فى أمره ، فأجابه واتصل الحديث

(١) حيدى حياد : أمر بالحيدودة والروغان ، يقولونه فى الحرب خطابا للخيل المغيرة ، ألا تلزم جانبا واحدا ، حتى لا يجد هارب مهربا ، ولا متحصن ملجأ . ونظيره : فيحى فياح ، أى انتشرى وتفرق هنا وهناك .

بينهما وعليٌّ بن جبلة محجوب ، فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : اكتب ما أقول لك ، فكتب :

لا تتركنّي بباب الدار مطّرَحاً   فالحُر ليس عن الأحرار يَحتجب
هبنا بلا شافع جئنا ولا سبب   ألستَ أنت إلى معروفك السبب؟

قال: فأمر بإيصاله إليه ، ورضي عنه ووصله .

يخشاه المخزومي أن ينشد شعرا في حضرته

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدثنا ابنُ مَهْرُوَيْهِ قال : حدثني أحمد بنُ مروان قال: حدثني أبو سعيد المخزوميُّ قال :

دخلت على حُمَيد الطوسيّ ، فأنشدته قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير ، فجعل لا يمرّ ببيت إلا قال : أحسن قاتله الله ! أحسن ويحه ! أحسن لله أبوه ! أحسن أيها الأمير . فأمر لي حُميد ببَدرة ، فلما خرجتُ قام إليّ البوابون ، فقلت : كم أنتم ؟ عرِّفوني أولا مَن هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير ؟ فقالوا : عليُّ بنُ جَبَلة العَكَوَّكُ فارفضضْتُ عرَقاً . ولو علمت أنه عليّ بن جَبَلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه .

لا يأذن له المأمون في مدحه إلا بشرط ، فيختار الإقالة

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْهِ قال : حدثنا أحمدُ ابنُ عُبيد بن ناصح قال :

كلَّم حُمَيد الطوسيُّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بنُ جبلة ، فيسمعَ منه مديحا مدحه به ، فقال : وأيّ شيء يقوله فيّ بعد قوله في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ   بين مَغزاه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلَف   ولّت الدنيا على أثره

وبعد قوله فيك :

يا واحد العرب الذى عزّت بعزته العرَبْ

أحسن أحواله أن يقول فىَّ مثل ماقاله فى أبى دُلف ، فيجعلَنى نظيرًا له . هذا إن قدَر على ذلك ولم يقصر عَنْهُ ، فخيِّروه بين أن أسمع مِنْه ، فإن كان مدحهُ إياى أفضل من مدحِهِ أبا دُلَف وصلته ، وإلا ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه ، وبين أن أُقيله وأُعفيه من هذا وذا . فخيَّروه بذلك ، فاختار الإقالة ، ثم مدح حُمَيدا الطوسىَّ ، فقَال له : وما عسَاك أن تقول فىَّ بعد مَا قلته فى أبى دُلف، فقَال : قد قلتُ فيك خيرًا من ذلك . قال : هات ، فأنشده .

يمدح حميدا الطوسى بخير من مدحه أبادلف

دجلة تَسقِى وأبو غانم يُطعم مَن تسقى من النَّاسِ
النَّاس جسم وإمام الهدى رأس وأنت العين فى الراس

فقال له حُمَيد : قد أجدتَ ، ولكن ليس هذا مثل ذلك ، ووصلَه .

يرثى حميدا الطوسى

قال أحمد بن عُبَيد ، ثم مات حُميد الطوسى ، فرثاه علىّ بن جَبَلة ، فَلَقيتهُ ، فقُلت له : أنشدنى مرثيتك حُمَيدا ، فأنشدنى :

نَعاء[1] حُمَيدا للسرايا إذا غدَتْ تُذاد بأَطراف الرماح وتوزع

حتى أتى على آخرها ، فقُلت له : ما ذهب على النحو الذى نحوتَه يا أبا الحسن ، وقد قاربته وما بَلغته . قَال : وما هو ؟ قُلت : أردتُ قول الْخُرَيمى[2] فى مرثيته أبا الهَيْذام :

لا يبلغ شأو الخريمى فى رثاه أبى الهيذام

١١٤ / ١٨

وأعددتُه ذخرًا لكل مُلمة وسهم المَنايا بالذخائر مُولع

(١) نعاء حميدا : انعه ، وأظهر خبر موته .
(٢) فى ب ، س : « الخزيمى » ، تحريف .

فقال : صدقت والله ، أما والله لقد نحوته وأنا لا أطمع فى اللَّحاق به ، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه فى هذه القصيدة .

هربه من المأمون وقد طلبه لتفضيله أبا دلف عليه وعلى آله

أخبرنى عمى قال : حدثنا أحمدُ بنُ أبى طاهر قال: حدثنى ابنُ أبى حرب الزعفرانىّ ، قال :

لما بلغ المأمونَ قولُ علىّ بن جبلة لأبى دلف :

كلُّ مَن فى الأرض من عرَبٍ بين باديه إلى حضره
مستعير منك مكرمةً يكتسيها يوم مفتخَره

غضب من ذلك ، وقال: اطلبوه حيث كان ، فطُلب فلم يُقْدَر عليه ، وذلك أنه كان بالجبل ، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة ، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق فى طلبه ، فهرب من الجزيرة أيضاً ، وتوسط الشام فظفروا به ، فأخذوه ، وحملوه إلى المأمون ، فلما صار إليه قال له : يابن اللَّخْناء[1] ، أنت القائل للقاسم بن عيسى :

كلُّ من فى الأرض من عرَبٍ بين باديه إلى حضره
مستعير منك مكرمةً يكتسيها يوم مفتخَره

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه ! فقال له : ياأمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد ، لأن الله جل وعزّ فضلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه . وإنما عنَيت بقولى فى القاسم أشكالَ القاسم وأقرانَه ، فقال : والله ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ ، سُلّوا لسانه من قفاه .

أمر المأمون أن يسل لسانه لكفره فى شعره

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال: حدثنا محمدُ بنموسى قال: وحدثنى أحمد بنُ أبى فَنَن : أن المأمون لما أُدخل عليه علىُّ بنُ جبلة قال له : إنى لست أستحلُّ دمك لتفضيلك

(١) اللخناء : التى لم تختن .

أبا دُلَف على العرب كلّها وإدخالك فى ذلك قريشاً — وهم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترتُه — ولـكنى أستحلّه بقولك فى شـعرك وكفرك حيث تقول القول الذى أشركت فيه :

أنت الذى تنزل الأيامَ منزلها ... وتَنقل الدهرَ من حال إلى حال
وما مددْتَ مدَى طَرف إلى أحد ... إلا قضيتَ بأرزاق وآجال

كذبتَ ياماصّ بَظْرِ أمه ، مايقدر على ذلك أحد إلا الله — عز وجل — الملك الواحد القهار . سُلّوا لسانه من قفاه .

صــوت

لابد من سـكرة على طرَبِ   لعل رَوْحا يُدال من كُرَبِ

— ويُروى :

* لعل روحا يُديل من كرب *

— وهو أصوب

فعـاطنيها صهباء صافيـة   تَضحك من لؤلؤ على ذهب
خليفةَ الله أنت منتخَب   لِخير أمٍّ من هاشم وأب
أَكرِمْ بأَصلين أنت فرعهما   من الإمام المنصور فى النسب

الشعر للتيمىّ ، والغناء لسُلَيم بنِ سلّام ، خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ، وفيها لنظم العمياء خفيفُ رمَل بالبِنصر عن الهِشامىّ .

١١٥
١٨

أخبار التيمىّ ونسبه

اسمه وولاؤه وصفته

هو عبدُ الله بنُ أيوب، ويكنى أبا محمد مولى بنى تيم ثم مولى بنى سُلَيم. ذكر ذلك ابن النطاح، وكان له أخ يقال له أبو التَّيَّحَان، وكلاهما كان شاعراً، وهما من أهل الكوفة، وهما من شعراء الدولة العباسية. أحدُ الخلعاء المُجَّان الوصَّافين للخمر، وكان صديقاً لإبراهيم الموصلىّ وابنِه إسحاق، ونديماً لهما، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيدَ بن مَزْيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد. واستنفد شعره أو أكثره فى وصفه الخمر، وهو الذى يقول:

أكثر شعره فى وصف الخمر

شَربتُ من الخمر يوم الخميـس بالكاس والطاس والقَنْقَلِ[1]
فما زالت الكأس تغتالنـا وتَذهب بالأول الأول
إلى أن توافت صلاة العشا[2] ونحن من السكر لم نعقل
فمن كان يعرف حق الخميس وحقَّ المدام فلا يجهل
وما إن جرت بيننا مَزحة تهيج مِراء على السلسل

وهو القائل:

ولن أنتهى عن طيِّب الراح أو يَرى بَوادِى عظامى فى ضريحِىَ لاحدُ
أضعتُ شبابى فى الشراب تلذّذا وكنت امرأ غِرّ الشباب أكابدُ[3]

رواية أخرى فى ولائه

أخبرنى محمدُ بنُ يحيى الصولىُّ قال: حدثنى أبو العيناء عن محمد بن عمر، قال:

(١) القنقل: المكيال الضخم.
(٢) ف، مو: «العشاء» بإثبات الهمزة، وكلاهما صحيح.
(٣) ف: «عند الشراب»، وفى ا، م: «عمرى الشراب».

أبو محمد التيميّ اسمه عبدُ الله بنُ أيوب مولى بنى تَيم .

يرثى ابنا له يقال له : حبان

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بنِ عمار عن محمد بن داود بنِ الجرّاح قال : قال دعبل : كان للتيميّ أبى محمد ابنٌ يقال له حبّان ، ومات هو حديث السن ، فجزع عليه ، وقال يرثيه :

صوت

أودى بحَبّانَ ما لم يترك الناسا ... فامنح فؤادَك من أحبابك[1] الياسا

لما رَمته المنايا إذ قصدن له ... أصبن منى سواد القلب والراسا

وإذ يقول لى العُوّاد إذ حضروا ... لا تأس أبشر أبا حبان لا تاسَى[2]

فبت أرعى نجوم الليل مكتئباً ... إخال سُنّته[3] فى الليل قرطاسا

غنى فى الأول والرابع من هذه الأبيات حَكَمٌ الوادى ، ولحنُه رمَل مطلَق فى مجرى البِنصر عن إسحاق . وأول هذه القصيدة :

يا دَيرَ هند لقد أصبحت لى أنَسا ... وما عهدتك لى يا دَيرُ مِئناسا

وهى مشهورة من شعره .

يجيز بيتا لإسحاق عجز عن إتمامه

أخبرنى حبيبُ بنُ نصر المهلّبى قال: حدثنى هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزياتُ قال : حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال : قلت :

* وُصف الصدُّ لمن أهوَى فَصَدّ *

---

(١) ف : فى « أحبابك » .

(٢) ف : « لا باس أبشر أبا حيان لا باسا » .

(٣) سنته : وجهه ، أو جبهته .

ثم أجبلتُ(١) ، فمكثت عدة ليال لا يستوى لى تمامه . فدخل علىّ التيمىّ فرآنى مفكراً ، فقال لى : ما قصتُك ؟ فأخبرتُه ، فقال :

* وبدا يمزح بالهجر فجَدّ *

ثم أتممتها . فقلت :

ماله يعدل عنى وجهَه وهو لا يعدِله عندى أحدْ ؟

وخرجْت إلى مدح الفضل بن الربيع ، فقلت :

قد أرادوا غرّة الفضل وهل تُطلب الغِرّة فى خِيس الأسدْ ١١٦
مِلكٌ ندفَع ما نخشى به وبه يَصلح منّا ما فسد ١٨
يفعل الناسُ إذا ما وعدوا وإذا ما فعل الفضل وعد

— لإسحاق فى هذا الشعر صَنْعَة ، ونِسْبتُها :

صوت

وُصف الصدُّ لِمن نهوَى فصدْ وبدا يمزح بالهجر فجَدْ
ماله يَعدل عنى وجهَــــه وهو لا يعدِله عندى أحد ؟

الشعر والغناء لإسحاق ، خفيفُ رمل بالبِنصر ، وله فيه أيضاً ثقيل أول ، وفيه لزكريا بنِ يحيى بنِ معاذ هزَج بالبِنصر عن المشامى وغيره . قال المشامى : وقيل إن الهزَج لإسحاق ، وخفيف الرمل لزكريا .

اشترك هو وإسحاق فى البيتين السابقين

أخبرنى جحظة عن على بن يحيى المنجم عن إسحاق قال :

اشتركت أنا وأبو محمد التيمىّ فى هذا الشعر :

---

(١) كذا فى ج ، أى صعب على القول . وفى ب ، س : . « أحلت ».

* وُصف الصد لمن نهوى فصدّ *

وذكر البيتين :

يطلب الرشيد إنشاء مرثيته فى يزيد بن مزيد

أخبرنى عمى قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال: حدثنى محمدُ بنُ عبدالله بنِ طَهمان قال: حدثنى محمد الراوية الذى يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدَثين على الرشيد — قال: قال لى الرشيد يومًا : أنشدنى مرثية مروان بنِ أبى حفصة فى معنِ بن زائدةَ التى يقول فيها :

كأن الشمس يوم أُصيب معنٌ   من الإظلام مُلْبَسة جِلالا
هو الجبل الذى كانت معدّ   تَهُدّ من العَدُوّ به الجبالا
أقمنا باليمامة بعـــد معنٍ   مُقامًا لا نريد به زِيالا
وقلنا أين نذهب بعد معنٍ   وقد ذهب النوال فلا نوالا

قال : فأنشدته إياها ، ثم قال لى : أنشدنى قصيدة أبى موسى التيمىّ فى مرثية يزيدَ ابن مَزْيد ، فهى والله أحب إلىّ من هذه ، فأنشدته :

أحقٌّ أنه أودَى يَزيدُ   تبيّن أيها الناعى المُشـــيد
أتدرى مَن نعيتَ وكيف فاهت   به شفتاك ، كان بِك الصعيد
أحامى المجد والإسلام أودى   فما للأرض ويحكَ لا تميد !
تأمل هل ترى الإسلام مالت   دعائمه وهل شاب الوليد !
وهل شِيمت سيوف بنى نزار   وهل وُضعَتْ عن الخيل اللُّبود !
وهل تسقِى البلادَ عِشار[1] مُزن   بِدِرّتها وهل يخضرّ عود !

(١) العشار فى الأصل : النوق الحديثات النتاج ، جمع عشراء .

أما هُدت لِمصرعه نِزَارٌ بَلَى وتقوّض المجد المَشيد

وحلّ ضريحَه إذ حلّ فيه طريفُ المجد والحسبُ التليد

أمَا والله ما تنفك عَينى عليك بدمعها أبداً تجود

فإن تجمُد دموع لئيم قوم فليس لدمع ذى حسب جُمود

أبَعد يزيد تختزن البواكى دموعاً أو تصانُ لها خدود؟

لِتبكِكِ قبةُ الإسلام لما وهت أطنَابها ووهَى العمود

ويبككَ شاعرٌ لم يُبق دهرٌ له نَشَبا وقد كسَد القصيد ١١٧/١٨

فمَنْ يدعو الإمامُ لكل خطب ينوب وكلِّ معضِلة تئود؟

ومن يحمى الخميسَ إذا تعايا بحيلة نفسه البطلُ النجيد ؟

فإن يهلك يزيد فكلّ حيّ فَريسٌ للمنية أو طريد

ألم تعجب له أن المنايا فتكْن به وهُنّ له جنود ؟

قصدن له وهنّ يحِدن عنه إذا ما الحرب شبّ لها وقود

لقد عزّى ربيعةَ أن يومًا عليها مثلَ يومك لا يعود

قال : فبكى هارون الرشيد بكاء اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة[١] لملأها من دموعه .

يجيز شعرا للأمين

أخبرنى محمدُ بنُ يحيى قالَ حدثنا أبو العيناء قال حدثنا محمدُ بن عمرَ قال :

خرج كوثرٌ خادمُ محمدِ الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رَجْمة فى وجهه ، فجلس يبكى ، فوجّه محمدٌ من جاءه به ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ، وقال :

ضربوا قُرة عينى ومن أجلِى ضربوهُ

أخذ الله لِقلبى من أناس أحرقوه

(١) السكرجة : الصحفة يوضع فيها الأكل .

قال : وأراد زيادة فى الأبيات فلم يواته ، فقال للفضل بن الربيع : من هاهنا من الشعراء ، فقال : الساعةَ رأيت عبد الله بنَ أيوبَ التيمىَّ ، فقال : علىَّ به . فلما أُدخل أنشده محمد هذين البيتين ، وقال : أجِزْها ، فقال :

ما لِمن أهوى شبيهُ فبِه الدنيا تتيهُ
وصْلُه حلو ولكن هجره مُرٌّ كريه
مَن رأى الناسُ له الفضـ ـلَ عليهم حسدوه
مثلَ ما قد حسد القا ئمَ بالملك أخوه

فقال محمد : أحسنت ، هذا والله خير مما أردنا ، بحياتى عليك يا عباسى[1] إلا نظرت، فإن جاء على الظَّهر ملأْتَ أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء فى زورق ملأْته . فأَوقرتُ له ثلاثة أبغل دراهم .

يلجأ إلى الفضل ابن سهل ليوصله إلى المأمون ، فيمدحه ، ويعفو المأمون عنه

قال محمد بن يحيى : فحدثنى الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزىّ قال : حدثنى محمد بن إدريس قال :

لما قُتل محمدُ الأمين خرج أبو محمد التيمىُّ إلى المأمون وامتدحه ، فلم يأْذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه ، فأَوصله إلى المأمون . فلما سلَّم عليه قال له المأمون : إيه ياتيمىّ

مثلَ ما قد حسد القا ئمَ بالملك أخـوه

فقال التيمىّ : بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين :

نُصر المأمون عبدُ اللـ ـه لما ظلموه
نقضوا العهد الذى كا نوا قديما أكَّدوه
لم يعامله أخـوه بالذى أوصى أبوه

(١) ب ، س : « ياعباس » ، والمراد بالعباسىّ هنا الفضل بن الربيع .

١١٨/١٨

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها :

جزِعتَ ابنَ تيم أن أتاك مشيبُ وبان الشباب[١] والشباب حبيبُ

قال : فلما أنشده إياها وفرغ منها قال : قد وهبتك لله — عز وجل — ولأخى العباسىّ — يعنى الفضل بن سهل — وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

ينشد الأمين أبياتا فيأمر له بمائتى ألف درهم

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنى عونُ بن محمد الكندىّ قال : حدثنى عبّاد[٢] ابنُ محمد الكاتب عن أبى محمد التّيمىّ الشاعر قال :

أنشدتُ الأمين محمدا أول ماولى الخلافة قولى :

لابدّ من سَكرة على طرب لعل رَوحا يُديل من كُرَب

الأبيات المذكورة فى الغناء . قال ، فأمر لى بمائتى ألف درهم ، صالحونى منها على مائة ألف درهم .

يدخل على الأمين فيتمنى أن يكون له مثل مدح أنشده إياه ، فيمدحه بقصيدة

وأخبرنى جعفرُ بن قُدامة قال : حدثنى محمدُ[٣] بن يُحيى المنجّم قال: وحدثنى حسين ابن الضحاك قال : قال لى أبو محمد التيّمىّ :

دخلت على محمدٍ الأمين أوّل ما ولى الخلافة ، فقال : يا تيمىّ ، ودِدت أنه قيل فىّ مثل قول طُريح بن إسماعيل فى الوليد بن يزيد :

طوبى لفرعَيك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التى تَشجُ[٤]

فإنى والله أحق بذلك منه ، فقلت : أنا أقول ذلكِ يا أمير المؤمنين ، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدتى :

(١) ف ، مو ، م : « وبان شباب » .
(٢) ف مم ، : « غسان بن محمد »
(٣) ف ، مو : « على بن يحيى » .
(٤) تشج : تمتد وتشتبك .

لا بد من سَكرة على طربٍ ... لعل رَوحا يُديل من كُرب

حتى انتهيت إلى قولى :

أكرِمْ بفرعين يَجريان به ... إلى الإمام المنصور فى النسب

فتبسّم ، ثم قال لى : يا تيمى قد أَحسنت ، ولكنه كما قيل : مرعى ولا كالسَّعدان ، ثم التفت إلى الفضل بنِ الربيع فقال : بحياتى أَو قِرْ له زورقَه مالا . فقال : نعم ياسيدى . فلما خرجت طالبت الفضل بذلك ، فقال : أنت مجنون ؟ مِن أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحنى على مائة ألف درهم .

أخبرنى وَكيع قال : حدثنى ابنُ إسحاق قال: حدثنى أبى قال :

يمدح الفضل ابن يحيى فيأمر له بخمسة آلاف درهم

كنت على باب الفضل بنِ يحيى ، فأتانى التيمىّ الشاعر بقصيدة فى قرطاس ، وسألنى أن أوصلها إلى الفضل ، فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس ، فغضب أبو محمد وقال لى : أما كفاك أن استخففْت بحاجتى ؟ منعتَنى أن أدفعها إلى غيرك . فقلت له : أنا خير لك من القرطاس ، ثم دخلت إلى الفضل ، فلما تحدثنا قلت له : مَعى هدية وصاحبها بالباب ؛ وأنشدته ، فقال : كيف حفِظتها ؟ قلت: الساعةَ دفعها إلىّ على الباب ، فحفِظتها . فقال : دع ذا الآن . فقلت له : فأدخله ، فأُدخل ، فسأله عن القصة فأخبره . فقال : أنشدنى شيئاً من شعرك ففعل ، وجعلت أُردد أبياته ، وجعلت أشيّعها بالاستحسان ، ثم خرج التيمىّ فقلت : خذ فى حاجة الرجل ، فقال: أمّا إذ عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم . فقلت له : أمّا إذ أقللتَها فعجّلها ، فأمر بها فأُحضرت . فقلت له : أليس لإعناتك إياى ثمن ؟ قال : نعم . قلت : فهاته . قال: لا أبلغ بك فى الإعنات ما بلغت بالشاعر فى المديح . فقلت : فهات ما شئت ، فأمر بثلاثة آلاف درهم ، فضممتُها إلى الخمسة الآلاف ، ووجّهتُ بها إليه .

١١٩
١٨

يسكر هو وأخوه وابن عم له ، وينظم فى ذلك شعرا بعد انصرافهم

وذكر أحمدُ بنُ طاهر عن أبى هِفّان عن إسحاق قال : كان التيمى وأخوه أبو التيّحان وابن عم له يقال له : قَبيصة يشربون فى حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد ، فقال التيمىّ يذكر ذلك ويتشوق مثله :

صوت

هل إلى سَكرة بناحية الحِـــيرة شنعاء يا قَبيص سبيلُ
وأبو التيَّحان فى كَفِّه القر عة والرأس فوقه إكليل
وعَرار كأنه يذق الشِّطرنـــج يفتن فيه قالٌ وقيلُ [(١)]

يشترى ضيعة بجائزة له من الأمين

الشعر للتيمى والغناء لمحمد بن الأشعث ، رَمل بالوسطى .

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا أبو العيناء عن أبى العافية ، قال :

أمر محمدٌ الأمينُ لعبد الله بنِ أيوبَ بجائزةِ عشرةِ آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه ، فاشترى بها ضيعة بالبصرة ، وقال بعد ابتياعه إياها :

إنى اشتريتُ بما وهبتَ لِيَهْ أرضاً أمون بها قرابَتِيَهْ
فبحسن وجهك حين أسأل قل يا بن الربيع احمل إليه مِيَهْ

فغُنِّىَ بها الأمين ، فقال للفضل : بحياتى يا عباسى ، احمل إليه مائة ألف ، فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً ، وقال له : الخمسون الأخر لك علىّ إذا اتسعت أيدينا .

يعشق جارية ، ويسأل ثمنه فيعطيه المأمون إياه فيشتريها

أخبرنى الحسن ، قال: حدثنى أبو العيناء ، عن أبى العالية قال :

عشق التيمىّ جارية لبعض النخاسين ، فشكا وجده بها إلى أبى عيسى بن الرشيد ، فقال أبو عيسى للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إن التيمىّ يجد بجارية لبعض النخاسين ، وقد كتب إلىّ بيتين يسألنى فيهما ثمنها ، فقال: وما هما ؟ فقال :

---

(١) ستأتى هذه الأبيات مخالفة فى روايتها هنا بعض الخلاف .

يا أبا عيسى إليك المُشتكَى   وأخو الصبر إذا عيل شكا
ليس لى صبر على فقدانها   وأعاف المَشربَ المشتركا

قال : فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها (٢) .

يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد فيعطيه عشرة آلاف درهم

أخبرنى الحسن قال : حدثنى أبو العيناء عن أبى العالية قال : دخل التيمىّ إلى الفضل ابن الربيع فى يوم عيد فأنشده :

ألا إنما آلُ الربيع ربيع   وغيثٌ حَيًا للرملين مَريع
إذا ما بدا آل الربيع رأيتَهم   لهم دَرَج فوق العباد رفيع

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

يمدح الفضل بن يحيى بثلاثة أبيات فيعطيه ثلاثة آلاف درهم

أخبرنى عيسى بن الحسن قال : حدثنا أحمد بن أبى خيثمة قال : حدثنا الزبير بن بكار قال :

مدح أبو محمد التيمىّ الفضل بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصلىّ ، فعرضها على الفضل بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات :

لعمرك ما الأشراف فى كل بلدة   وإن عُظموا للفضل إلا صَنائعُ
تَرى عظماء الناس للفضل خُشَّعا   إذا ما بدا والفضل لله خاشع
تواضَع لمّا زاده الله رفعة   وكلٌّ جليل عنده متواضع

أخبرنى جَحظةُ قال: حدثنى علىُّ بن يحيى المنجم قال: حدثنى إسحقُ الموصلىُّ عن محمد ابن سلامٍ قال :

يسمع كتابا للحجاج إلى قتيبة بن مسلم فينظم شعرا يضمنه معناه

كتب الحجاج إلى قُتَيبة بنِ مسلم : إنى قد نظرت فى سنِّى ، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لِدة عام . وإن امرأ قد سار إلى منهل خمسين سنة لَقريب أن يَرِده ، والسلام .

(٢-٢) هذا الخبر ساقط من ب ، س وقد أثبتناه عن ف ، م ، مو .

فسمع هذا أبو محمد التيمى منّى فقال :

إذا ذهب القَرْن الذى أنت فيهمُ … وخُلِّفتَ فى قَرن فأنت غريب
وإن امرأً قد سار خمسين حِجة … إلى منْهل مِن ورده لقريب

يجيزه المأمون على مدح له فى الأمين يذكر فيه الخمر

حدثنى عمى قال : حدثنى أحمدُ بنُ أبى طاهر ، قال: حدثنى أبو دِعامة علىٌّ بنُ يزيدَ قال : حدثنى التيمىٌّ أبو محمد قال :

دخلتُ عَلَى الحسنِ بنِ سهل ، فأنشدته مديحاً فى المأمون ومديحاً فيه ، عنده طاهر ابن الحسين ، فقال له طاهر : هذا والله أيها الأمير الذى يقول فى محمد المخلوع :

لا بُدّ من سَكرة عَلَى طرَبِ … لعل رَوحا يُديل[1] من كُرَب
خليفــــةُ الله خير منتخَب … لِخير أم من هاشم وأب ١٢٠ / ١٨
خلافة الله قد تَوارثهـــا … آباؤه فى سوالف الـكُتُب
فهْى له دونكم مورَّثة … عن خاتم الأنبياء فى الحِقب
يابن الذُّرا من ذوائب الشرف الا … أقدم أنتم دعائم العرب

فقال الحسن : عرَّض والله ابن الخناء بأمير المؤمنين ، والله لأعلمنَّه . وقام إلى المأمون فأخبره ، فقال المأمون : وما عليه فى ذلك ، رجل أمَّل رجلا فمدحه ، والله لقد أحسن بنا ، وأساء إليه إذ لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر ، ثم دعانى فخلع عَلَىّ وحملنى ، وأمر لى بخمسة آلاف درهم .

ينشد أول شعر عرف به ووصل به إلى الخليفة

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال : حدثنى محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيهَ قال : حدثنى أبو الشِّبل البُرْجُمى عن أبيه قال : قال لى أبو محمدٍ التيمىُّ :

---

(١) ف ، م ، مو : « يدال » .

أولُ شعر عُرِفت به فشاع فيه ذكرى ووصَلْت به إلى الخليفة قولى :

صــوت

طاف طَيفٌ فى المنام ... بِمحبٍّ مســتهامِ
زَورةً أبقت سَقاما ... وشفت بعض السَّقام
لم يكن ما كان فيها ... من حرام بِحرام
لم تكن إلا فُواقا ... وهْى فى ليل التِّمام

الغناء لإسحاق . فقال : فصنع فيها إسحاقُ لحناً وغنى به الرشيد ، فسأله عن قائل الشعر ، فقال له : صديق لى شاعر ظريف ، يُعرف بالتَّيمىّ ، فطُلبت وأُمرت بالحضور ، فسألت عن السبب الذى دُعيتُ له فعرفته ، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون . ودخلت إليه فأنشدته إياها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وصرتُ فى جملة من يدخل إليه بنَوبة وأمر أن يدوَّن شعرى .

يجتاز بإسحاق الموصلى فيدعوه إلى طعام وشراب

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيَدِ بن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد بنُ إسحاق قال : حدثنى عمى طَيَّابِ بنُ إبراهيمَ الموصلىُّ قال : حدثنى أبو محمد التَّيمىّ الشاعر قال :

اجتزتُ يوماً بأخيك إسحاق فقال : ادخل حتى أطعِمَك طعاماً صِرْفا ، وأسقيَك شراباً صِرفًا وأغنيَك غِناء صِرفًا ، فدخلتُ إليه ، فأطعمنى لحما مكبَّبًا ، وشواء حارًّا وبارداً مبزَّراً ، وأسقانى شرابًا عتيقًا صِرفًا ، وغنّانى وحده مرتجلا :

ولو أن أنفاسى أصابت بحرِّها ... حديداً إذاً كاد الحديد يذوبُ
ولو أن عينى أُطلقَت من وِكائها[1] ... لما كان فى عام الُجدوب جُدوب

(١) الوكاء فى الأصل : رباط القربة وغيرها .

ولو أن سلمى تطلع الشمس دونها وأمسى وراء الشمس حين تغيب
لحدثت نفسى أن تَريع[1] بها النوى وقلتُ لقلبى إنهـــا لقريب

فلم تزَل تلك حالى حتى حُمِلتُ من بيته سكران[2] .

يستأذن عمرو بن مسعدة فى الإنشاد فيجعل الإذن لاسحاق الموصلى فيأذن

أخبرنى جَحظةُ قال : حدثنا حمادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه ، قال :

دخلتُ يوما على عمرو بنِ مَسعدة ، فإذا أبو محمدٍ التّيمىُّ واقف بين يديه يستأذنه فى الإنشاد ، فقال: ذاك إلى أبى محمد — يعنينى — وكان عَلَى التّيمى عاتباً ، فكَرِه أن يمنعه لعلمه بما بيننا من المودة ، فقلت له : أَنشد إذ جعل الأمر إلىّ ، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إلىّ . فتبسم عمرو ، وأنشده التيمىّ:

١٢١
١٨

يا أَبا الفضل كيف تغفُل[3] عنى أم تَخلَّى عنـــد الشدائد منّى ؟
أنسيت الإخاء والعهد والودّ حـديثاً ما كان ذلك ظنى
أنا مَن قد بلوتَ فى سالف الدهـــر مضَت شِرّتى ولم تفنَ سنى
فاصطنعنى لمـا ينوب به الدهـــر فانى أجوز فى كل فن
أنا ليث على عدوّك سِلْمٌ لك فى الحرب فابتذلنى وصِلْنى[4]
أنا سيف يوم الوغى وسنان ومِجنٌّ إن لم تَتق بمِجن
أنا طَبّ فى الرأى فى موضع الرأ ى معين على الخصيم المِعَنّ[5]
وأمينٌ على الودائع والســـرّ إذا ما هوِيت أن تأتمنى

(١) تريع : ترجع .
(٢) فى ا ، ب ، جـ : «سكرا» .
(٣) فى ب ، س : «تعقل» ، تحريف .
(٤) كذا فى ب ، س ، جـ . وفى ا ، مم ، ف ، م : «وصنى» .
(٥) فى هامش ف تعليق على هذا البيت نصه «يرمز لرجل بتدخل فيما لايعنيه ويعرض نفسه فى كل شىء» .

قال : فأقبل علىّ عمرو وهو يضحك ، وقال : أتعلَّم هذا الغناء منك أم كان يَعلمه(١) قديماً ؟ فقلت له : لم يكذب ، أعزك الله . فقال : أفى هذا وحده أو فى الجميع ؟ فقلت : أما فى هذا فأنا أُحَق كذبَة ، والله أعلم بالباق . ثم أنشده :

وإذا ما أردتَ حجًا فرحًا لٌ دليـلٌ إن نام كلّ ضِفَنٍّ(٢)

فقال له : إذا عزمنا على الحج امتحناك فى هذا ، فإنى أراك تصاح له ، ثم أنشده :

ولبيبٌ على مقال أبى العبـ ـاس إنى أرى به مسّ جِنٍّ

فقال : ما أراه أبعد ، فقال :

وهو الناصح الشفيق ولـكن خاف هَيْج الزمان(٣) فازورّ عنى
وظريف عند المزاح خفيف فى الملاهى وفى الصبا متثن
كيف باعدتَ أو جفوتَ صديقا لا ملولا ، لا لا(٤) ولا متجن
صرتُ بعدالإكرام والأنس أرضى منك بالترّهات ما لم تُهِنّى
لم تَخُنِّى ولم أخنـك ولا والـ ـله ربى لا خنت من لم يخنى
إن أكن تُبتُ أوهجرت الملاهى وسُـلافا يَجُنها بطن دَنّ
فحديثى كالدر فُصِّل باليـا قوت يجرى فى جيد ظبى أغنّ

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال له : هذا شىء تطوعتَ به ، فأين موضع حُكمى ؟ قال : مثلها ، فانصرف بعشرة آلاف درهم .

أخبرنى عمى قال: حدثنى محمدُ بنُ الحسن بن مسعود قال : حدثنى علىُّ بنُ عمرو قال :

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى ا ، ج : « تعلمه » .
(٢) الضفن : الأحمق فى عظم خلق .
(٣) ف ، م ، مو : « المرار » .
(٤) ف : « كلا » بدل « لا لا » .

يمر بخمار بالحيرة وقد أسن ، فينشد شعراً فى شربه عنده

مرّ التيمى بالحِيرة على خَمّار كان يألفه ، وقد أسن التيمى وأُرعش ، وترك النبيذ . فقال له الخمار : ويحك! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى ؟ فقال: نعم والله ، لولا ذلك لأ كثرتُ عندك . ثم أنشأ يقول :

صــوت

هل إلى سكرة بناحية الحـــيرة يوماً قبل الممات سبيل ؟
وأبو التَّيَّحان فى كفه القر عة والرأس فوقه الإكليـل
وعَرارٌ كأنه بَيذق الشِّط رنج يفتنّ فيـــه قال وقيل[1]

١٢٢ / ١٨

فى هذه الأبيات لمحمد بنِ الأشعث رَمل بالوسطى عن الهشامى .

يهوى غلاماً ويشغل الغلام عنه بهوى جارية فينظم فى هذا شعراً

أخبرنى هاشم بنُ محمدٍ الخزاعىُّ قال : حدثنا عيسى بنُ إسماعيل قال :

كان أبو محمد التيمىّ يهوَى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جوارى القيان ، فكان بها مشغولاً عنه ، وكانت القَينة تهوى الغلام أيضا فلا تفارقه ، فقال التيمىّ :

ويلى على أغيدَ ممكورِ[2] وساحرٍ ليس بمسحورِ
تؤثره الحور علينا كما نؤثره نحن على الحور
عُلّق مَن علّق فيه هوى[3] منتظم الألفـة مغمور
وكل من تهواه فى أمره مقلَّبٌ صفقة مقمور

يمدح الأمين فيأمر بحمل زورقه دراهم

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال: حدثنا ابنُ أبى سعد قال: حدثنى أحمدُ بن محمدٍ الفارسىُّ قال : حدثنا غَسان بنُ عبدِ الله عن أبى محمدٍ التيمىِّ قال :

---

(١) المثبت هنا رواية البيت كما وردت فى الصفحة ٥٢ من هذا الجزء . وكانت روايته هنا :
وعذار كأنه بيرق الشط مرنح يفتن فيه قال وقيل

(٢) الممكور : الحسن امتلاء الساقين .

(٣) ف ، مو ، م : «علق من علقه فى هوى» .

لما أنشدت الأمين قولى فيه :

خليفةُ الله خير منتخَبِ ... لخير أم من هاشم وأبِ
أكرمْ بعرقين يجريان به ... إلى الإمام المنصور فى النسب

طرب ، ثم قال للفضل بن الربيع : بحياتى أوقرْ له زَورقه دراهم ، فقال : نعم ياسيدى : فلما خرجنا طالبته بذلك ، فقال : أمجنون أنت ؟ من أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحنى على مائة ألف درهم ، فقبضتها .

يقول شعرا ينهى فيه عن الخضوع لغير الله

أخبرنى حبيبُ بنُ نصرٍ المهلبىُّ ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله المدنىُّ قال : حدثنى عبدُ الله بنُ أحمد التيمىُّ ابن أُخت[1] أبى محمد التيمىّ الشاعر ، قال : أنشدنى خالى[1] لنفسه قوله :

لا تخضعنّ[2] لمخلوق على طمعٍ ... فإن ذاك مُضرٌّ منك بالدّين
وارغب إلى الله مما فى خزائنه ... فإنما هو بين الكاف والنون
أما ترى كلّ مَن ترجو وتأملُه[3] ... من الخلائق مسكين ابن مسكين[4]

(١) ف ، م : «وابن أخى بدل « ابن أخت » .». وعمى بدل« خالى » .
(٢) ف ، م ، مو : « لا تضرعن» .   (٣) ف : « تسأله »
(٤) ورد فى ب ، مو ، بضع صفحات من أخبار رؤبة بن العجاج وهى مقحمة وتعتبر تكرارا لما ورد فى الترجمة المستقلة لرؤبة .

صـــوت

أَلم تَرَ أنى أفنيتُ عُمرى بِمَطْلَبِها ومطلبُها عسيرُ؟
فلما لم أجدْ سببًا إليها يُقَرِّبنى وأعيتنى الأمور
حججت وقلت قد حجَّت جِنَان فيجمعُنى وإياها المسير

الشعر لأبى نواس، والغناء للزُّبير بن دَحْمان، رَمَلٌ بالوُسطى من رواية أحمدَ ابنِ المكى وبَذْل، وغنّانى محمدُ بنُ إبراهيمَ قريضٌ الجَرَحى — رحمه الله — فيه لحنًا من خفيف الثقيل، فسألته عن صانعه فلم يَعرف.

أخبار أبى نواس وجنان خاصة

إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة

٢/١٨ صفات جنان وصدق أبى نواس فى حبها

كانت جِنانُ هذه جاريةَ آل عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ المجيد الثَّقَفِيِّ المحدِّث الذى كان ابنُ مُناذِرٍ يصحب ابنَه عبدَ المجيد، ورثاه بعد وفاته، وقد مضَت أخبارهما.

وكانت حُلوةً جميلةَ المَنظر أديبة، ويقال: إن أبا نواسٍ لم يَصدُق فى حبّه امرأةً غيرَها.

حجت جنان فحج معها أبو نواس

أخبرنى محمدُ بنُ خلَفِ بنِ المَرْزُبَان قال: حدَّثنى إسحاقُ بن محمدٍ عن أبى هِفّان عن أصحابِ أبى نُوَاس قالوا:

كانت جنانُ جاريةً حسناء أديبةً عاقلةً ظريفةً، تعرف الأخبار، وتَرْوِى الأشعار قال اليؤيؤ: خاصة، وكانت لبعض الثقفيّين بالبصرة، فرآها أبو نُواسٍ فاستحلاها، وقال فيها أشعاراً كثيرةً، فقلتُ له يوما: إنَّ جِنَانَ قد عزمَتْ على الحج، فكان هذا سببَ حَجّه، وقال: أما والله — لا يفوتنى المَسِير معها والحجُّ عامى هذا إن أقامت عَلَى عزيمتها، فظننتُه عابثا مازحًا، فسبَقها والله إلى الخروج بعد أن علِم أنها خارجة، وما كان نوى الحجّ، ولاأحدث عزمَه له إلا خروجُها، وقال وقد حج وعاد:

ألم تَرَ أننى أفنيت عُمرى بمطلَبِها ومطلبُها عسيرُ؟
فلما لم أجدْ سببا إليها يقرِّبنى وأعيتنى الأمور
حججْت وقلت قد حجَّت جِنانٌ فيجمعُنى وإياها المسير

قال اليُؤيؤ: فحدَّثنى من شهِده لما حجّ مع جنانَ وقد أحرم، فلما جنه الليل جعل يلبى بشعر ويَحدو به ويُطرِّب، فغنّى به كل من سمِعه، وهو قوله:

٣/١٨

إلهنا ما أعدلكْ ! مليكَ كلٍّ من ملكْ
لبَّيك قد لبّيتُ لك لبيك إنَّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريك لك والليلَ لمّا أن حلَكْ
والسابحاتِ فى الفلك على مجارى المُنْسَلَكْ
ما خاب عَبدٌ أمَّلك أنت له حيث سلكْ
لولاكَ يارَبِّ هلك كلُّ نبىٍّ وملَكْ
وكلٌّ من أهلَّ لك سبّح أو لبَّى فلَكْ
يا مخطئًا ما أغفلكْ ! عجِّل وبادرْ أجَلَكْ
واختِمْ بخيرٍ عملكْ لبيك إن الملك لَكْ
والحمدَ والنعمة لك والعزَّ لا شريك لك

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد اللهِ بنِ عمار وأحمدُ بن عُبد العزيزِ الجَوهرىُّ قالا: حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال :

كانت جنانُ التى يذكرها أبو نواس جاريةً لآل عبدِ الوهاب بن عبد المجيد الثقفِيِّ ، وفيها يقول :

من شعره فيها

جَفْنُ عينى قد كاد يَسْقُط من طُول ما اختلَجْ
وفؤادى من حَرِّ حُبِّك والهجرِ قد نَضِجِ
خبِّرينى فدَتْكِ نفسى وأهلي : متى الفرج ؟
كان ميعادُنا خروجَ زياد[1] فقد خرج
أنت مِن قتل عائذٍ بكِ فى أضيق الحرج

(١) هو زياد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى. (أخبار أبى نواس : ١٨٤).

تشهد عرسا فيراها فيرتجل فيها شعراً

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبَيدِ الله بن عَمار قال : حدثنى إسحاقُ بنُ محمدٍ النخعىُّ قال : حدثنى الجَمّاز ، قال ابنُ عَمّارٍ : وحدثنى به قُلَيبُ بنُ عيسى قال :

كانت جِنانُ قد شَهِدت عُرْسا فى جِوارِ أبى نُواسٍ ، فانصرَفتْ منه وهو جالس معنا ، فرآها فأنشدَنا بديها قولَه :

شَهِدتْ جَلْوةَ العَروس جِنانٌ ... فاستمالت بحُسنِها النظارةْ
حسِبوها العَروسَ حين رأوها ... فإليها دون العَروسِ الإشارةْ
قال أهلُ العروسِ حينَ رأوها ... ما دهانا بها سواكِ عُمارةْ

قال: وعمارة زوجُ عبد الرحمن الثقفىّ ، وهى مولاة جِنان .

أخبرنى محمدُ بنُ يحيى الصُّولىُّ ومحمدُ بنُ خلَف قالا : حدثنا يزيدُ بنُ محمد المُهَلبىُّ عن محمدِ بن عمر ، قال :

تغضب من كلام له فيرسل معتذرا فلا تحسن الرد فينظم شعراً

غضِبتْ جِنانُ من كلامٍ كلّمها به أبو نُواسٍ ، فأرسل يعتذرُ إليها ، فقالت للرسول : قل له : لا بَرِح الهجْرانُ رَبْعَك، ولا بَلغتَ أملك مِن أحبّتِك ، فرجع إليه ، فسأله عن جوابِها ، فلم يخبره فقال :

فدَيتُك فيم عَتبُك مِن كلامٍ ... نَطقت به على وجهٍ جميلِ ؟
وقولُك للرسول عليك غَيرى ... فليس إلى التواصلِ من سبيل
فقد جاء الرسولُ له انكسارٌ ... وحال ما عليها من قَبول
ولو رَدّت جِنانُ مَردّ خيرٍ ... تبيّن ذاك فى وجهِ الرسول

يعاتبها حتى يستميلها

قال أبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمدٍ : وكان أبو نواسٍ صادقا فى محبّتِه جِنانَ مِن بين مَن كان يَنسُب به من النساء ويداعبه ، ورأيت أصحابَنا جميعًا يُصحِّحون ذاك عنه ، وكان

لها مُحبًّا ، ولم تكن تُحبّه ، فما عاتبها به حتى استمالها بصحّة حبه لها فصارت تُحبه بعد نُبُوِّها عنه قوله :

جِنانُ إنْ جُدتِ يا مناىَ بما آمل لم تَقطُر السماء دَما
وإنْ تمادَىْ — ولا تَمادَيتِ في منعِك — أُصبحْ بقَفْرةٍ رِمَما[1]
عَلِقْتُ مَن لو أتى على أنفُسِ الماضين والغابرين ما نَدِما
لو نظرَتْ عينُه إلى حجَر وَلّد فيه فُتورُها سَقَما

يسأل امرأة عنها فتخبره أنها رحمته فيقول فى ذلك شعرا

أخبرنى محمدُ بنُ جعفرٍ النحوىُّ صهرُ المبرِّد قال : حدثنى محمدُ بنُ القاسم عن أبى هِفّانَ عن الجَمّاز، وأخبرنى محمدُ بنُ يحيى الصولىُّ قال : حدثنى عَوْن بن محمدٍ قال: حدثنى الجَمّاز قال :

كنت عند أبى نُواسٍ جالسا إذ مرّت بنا امرأةٌ ممن يداخل الثقفَيين ، فسألها عن جِنانَ وألحف[2] فى المسألة واستقصى ، فأخبرَته خبرَها وقالت[3] : قد سمعتُها تقول لصاحبة لها مِن غيرِ أن تَعلَمَ أنى أسمعَ : وَيْحك ! قد آذانى هذا الفتى ، وأبرمَنى ، وأحرج صدرى ، وضيّق علىّ الطرقَ بحدةِ نظرِه وتَهتُّكه ؛ فقد لهج قلبى بذِكْره والفكرِ فيه من كثرة فِعله لذلك حتى رحمته ، ثم التفتَت فأمسكَت عن الكلام ؛ فسُرّ أبو نواس بذلك ، فلما قامت المرأة أنشأ يقول :

ياذا الذى عن جِنانٍ ظَلّ يُخبِرنا بالله قُل وأعِدْ يا طيِّبَ الخبَرِ
قال اشتَكتك وقالت ما ابتُليت به أراه مِن حيثُما أقبلتُ فى أثَرى

(١) الرمم : جمع رمة ، وهى العظام البالية .
(٢) كذا فى مد . وفى س : «ألحفها» ، تحريف .
(٣) فى بعض النسخ : «قال» ، وهو تحريف .

ويُعمِل الطرفَ نحوى إن مررتُ به   حتى لَيُخجِلنى من حِـدّة النظرِ
وإنْ وقفت له كيما يكلّمنى   فى الموضع الخِلْو لم ينطِقْ من الحَصَر
ما زال يفعل بى هـذا ويُدْمِنه   حتى لقد صار من همّى ومن وَطرى

يمر به القاضى وهو يكلم امرأة فينصحه فيقول فى ذلك شعراً

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمّار قال : حدثنى علىُّ بنُ محمدٍ النوْفَلىُّ وأحمدُ بنُ سليمانَ بنِ أبى شَيْخ قالا: قال ابنُ عائشة : وأخبرنى الحسنُ بنعلىٍّ وابنعَمّار عن الغَلابىّ عن ابنِ عائشةَ : قال ابنُ عَمّار: وحُدِّثت به عن الجمّاز ، وذكَره لى محمدُ بنُ داودَ الجرّاح عن إسحاقَ النخَعىِّ عن أحمدَ بنِ عُمَير :

أنّ محمدَ بنَ حَفصِ بنِ عُمَر التَميمىّ — وهو أبو ابن عائشةَ — انصرفَ من المسجدِ وهو يتولّى القضاء ، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يُكلّمها . وقال أحمدُ بنُ عُمَير فى خبره : وكانت المرأةُ قد جاءته برسالة جِنانَ جاريةِ عُمارةَ امرأةِ عبدِ الوهابِ بن عبدِ المجيدِ ، فمرّ به عُمرُ بنُ عثمانَ التيمىُّ وهو قاضى البصرة — هكذا ذكر أحمدُ بن عُمَير وحده — وذكر الباقون جميعاً أنه محمدُ بنُ حَفص .

قال الجمّاز: وكانت عليه ثياب بَياض ، وعلى رأسه قَلَنْسُوة مُضَرَّبة[1] فقال له : اتّق اللهَ ، قال : إنها حرمتى ، قال : فصُنْها عن هذا الموضع . وانصرف عنه ، فكتب إليه أبو نُواس :

صوت

إنّ التى أبصرتَها   بِكْراً[2] أكلّها رسولُ
أدّت إلىّ رسالةً   كادت لها نَفْسى تسيل

٥/١٨

---

(١) مضربة ، من ضروب النجاد المضربة : أى خاطها .
(٢) بكراً ، أى لأول مرة .

مِن ساحرِ العينين يَجـــذِب خَصرَه رِدْفٌ ثقيل
متقلِّد قَوسَ[١] الصِّبا يَرْمِي وليس له رَسيل[٢]
فلو أنَّ أُذْنَك بيننا حتى تَسمَّع[٣] ما نقول
لرأيت ما استقْبحتَ من أمرى هو الأمرُ الجميل

فى هذه الأبيات لحنان من الرمل وخفيفِه، كلاهما لأبى العُبَيس بنِ حَمدونَ .

قال ابنُ عُمَير : ثم وجَّه بها فألقِيت فى الرِّقاع بين يدى القاضى، فلما رآها ضحك، وقال : إن كانت رسولا فلا بأسَ .

وقال ابنُ عائشةَ فى خبره : فجاءنى برُقعة فيها هذه الأبيات، وقال لى : ادفعها إلى أبيك، فأوصلتها إليـه، ووضعتُها بين يديه، فلما قرأها ضحك، وقال : قُل له : إنى لا أتعرّضُ للشعراء .

من شعره يسأل عنها وهى فى حكمان

حدّثنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال :

كان أبو عثمان أخًا مولى جِنانَ، وكان مولاها أبو مَيَّـة زوج عُمارةَ وهى مولاتها، وكانت له بحَكَمَان[٤] ضَيعةٌ كان ينزلها هو وابنُ عمٍّ له يقال له : أبو مَيَّة، فقال أبو نواس فيه قوله :

أسأل القادِمَين من حَـكَمانِ كيف خلّفتما[٥] أبا عثمان

(١) فى م، ا : «سيف».
(٢) الرسيل : الموافق لك فى النضال.
(٣) مد : «لتسمع» تحريف.
(٤) حكمان : ضيعة بالبصرة لبنى عبد الوهاب الثقفيين موالى جنان، سميت بالحكم بن العاص الثقفى. وهذا اصطلاح لأهل البصرة، إذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا ونونا، حتى سموا عبد اللان فى قرية سميت بعبد الله. وحكمان بالتحريك فيما يقول ياقوت، وكسلمان فيما يقول صاحب القاموس.
(٥) فى ب، س : «خفقتما»، تحريف.

وأبا مَيَّـةَ المهـذَّب والمـا   جدَ والمرتجى لِرَيب الزمان؟
فيقولان لى : جِنانٌ كما سرَّكَ فى حالها فَسَلْ عن جِنان
ما لهَمْ لا يباركُ اللهُ فيهمْ   كيف لم يغنِ عندهمْ كِتمانى؟

لم يكن يعشق ولا كانت جنان موضع عشق ولكنه العبث

فأخبرنى ابنُ عمار قال: حدّثنى محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدثنى محمدُ بنُ عبد الملكِ بن مروان الـكاتبُ قالا :

كنت جالساً بِسُرَّ مَنْ رأى فى شارع أبى أحمد ، فأنشدنى قول أبى نواس :

أَسأَلُ القبلَتَيْنِ من حَـكَمانٍ   كيف خَلَّفتما أَبا عثمانِ ؟

وإلى جانبى شيخٌ جالسٌ فضحك ، فقلت له : لقد ضحكتَ من أمر ، فقال : أجلْ ، أنا أبو عثمان الذى قال أبو نواس فيه هذا الشعر ، وأبو مَيَّـةَ ابنُ عمى ، وجِنانُ جاريةُ أخى ، ولم تـكن فى موضع عِشْق ، ولا كان مذهَبَ أبى نواسٍ النساء ، ولـكنه عبَثٌ خرج منه .

سبقه النابغة الجعدى إلى التكنية فى شعره بغير اسم صاحبته

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان قال : قال لى أبو العباسِ محمدُ بنُ يزيدَ :

قال النابغة الجَعدىّ :

أُكْنِى بِغَيرِ اسمها وقد عَلِم اللـــه خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

وهو سَبَق الناسَ إلى هذا المعنى ، وأخذوه جميعاً منه ، وأحسنُ مَن أخذه أبو نُواس حيث يقول :

أسألُ القُبلَين من حكَمانٍ   كيف خلَّفتُما أبا عثمانِ ؟
فيقولان لِى جنانٌ كما سرَّكَ فى حالِها فَسَلْ عن جنان
مالَهَمْ لا يباركُ الله فيهمْ   كيف لم يغْنِ عندهمْ كِتمانى[1]!

---

(١) فى ب ، س : « كتان » ، تحريف .

شعره وقد حضرت مأتما فى البصرة

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمّار، قال: أنشدنى أحمدُ بنُ محمدٍ بن صَدَقةَ الأنبارىُّ لأبى نواسٍ يذكر مأتمًا بالبصرة ، وحضرتْه جنان :

٦/١٨

يا مُنسِيَ المأتمِ أشجانَه ... لمّا أتاهمْ فى المُعزِّينا
سَرَتْ(١) قناعَ الوشىِ عن صُورة ... ألبسها الله التحاسينا
فاستفتَنَتْهنّ بتمثالهـا ... فهنّ للتكليف يبكينا
حَقٌّ لذاك الوجهِ أن يزدهِى ... عن حزنِه مَنْ كان محزونا

شعره وقد أشرف عليها فرآها تلطم فى مأتم

أخبرنى عمّى قال: حدّثنى إسحاقُ بنُ محمدٍ النخَعىُّ ، قال: حدّثنا عبدُ الملك بنُ عمرَ ابنِ أبان النخعىّ ، وكان صديقًا لأبى نواس :

أنّ أبا نُواسٍ أشرفَ مِن دارٍ على منزل عبدِ الوهاب الثقفىّ ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم ، وجِنانُ واقفة مع النساء تلطِم وجهها وفى يدها خِضاب ، فقال :

يا قمرًا أبرزه مأتمٌ ... ينَدُب شجوا بين أتراب
يبكى فيُذرِى(٢) الدُّرَّ من عينِه ... ويَلطِم الوردَ بعُنّابِ
لا تبكِ ميْتًا حلَّ فى حُفرةٍ ... وابْكِ قتيلا لكَ بالبابِ
أبرزه المأتمُ لى كارهًا ... برَغْم دايات وحجّاب
لا زال موتًا دأبُ أحبابه ... ولا تَزَل رؤيته دابى

استحسان ابن عيينة لشعره ذاك

فحدثنى أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عَمّار ، قال : حدّثنى محمد بنُ القاسم، حدّثنى محمد ابنُ عائشةَ قال :

قال لى سفيانُ بن عُيَيْنةَ : لقد أحسن بَصْرِيُّكم هذا أبو نُواسٍ حيث يقول — وشدّد الواو وفتح النون :

(١) سرت : ألقت ، من سرى المتاع : ألقاه على ظهر دابته .
(٢) فيذرى : فينثر .

يا قَمَرًا أبصرتُ فى مأتمٍ   يَندُبُ شَجْواً بين أتراب

يبكى فيُذرِى الدُّرَّ من عينِه   ويلطِمِ الوردَ بعُنّـاب

قال : وجعل يعجَب من قوله : ويلطِمِ الوردَ بِعُنَّاب .

ابن أبى عيينة ينشد بيتا من شعره ذاك ويكرر إعجابه ببراعته

وأخبرنى الحسنُ بن علىٍّ قال : حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى سعدٍ قال : حدَّثنى محمدُ ابنُ محمدٍ قال : حدثنى حسَينُ بنُ الضَّحّاك قال :

أنشد ابنُ عُيَيْنَةَ قولَ أبى نواس :

يَبكى فيُذرِى الدُّرَّ من طَرْفِهِ   ويلطِمُ الوَرْدَ بعُنّاب

فعجبتُ منه ، وقال : آمنت بالذى خلقه . وقد قيل : إنّ أبا نواس قال هذا الشعر فى غير جنان .

وروى أن شعره ذاك كان فى غير جنان

أخبرنى بذلك الحسنُ بنُ علىٍّ قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنُ مَهرُوَيه ، قال: حدثنى بعض الصيارف بالكَرْخ ، وسماه ، قال :

كان حارسُ دَرْبِ عَوْن(١) يقال له : المبارَك ، وكان يلبس ثياباً نظيفةً سَرِيّةً ، ويركَب حِماراً ، فيطوف عليه السوق بالليل ويَكريه بالنهار ، فإذا رآه مَن لا يَعرفه ظَنّ أنه من بعض التجار ، وكان يصل إليـه فى كل شهر مِن السُّوق مايسَعُه ويفْضُل عنه ، وكانت له بنت من أجمل النساء ، فمات مبارَكٌ وحضره الناس ، فلما أُخرجَت جَنازته خرجَتْ بنتُه هذه حاسرةً بين يديه ، فقال أبو نواس فيها :

يا قمـراً أبرَزه مأتمٌ   يندُب شَجْوا بين أتراب

وذكر الأبيات كلَّها .

طلبت قطع صلته بها أياما ففعل

أخبرنى محمدُ بنُ جعفر قال: حدثنى أحمدُ بنُ القاسم عن أبى هَفّان عن الجمّاز واليؤيؤ

(١) ب ، س : «عول» .

وأصحابِ أبى نُواسٍ أنّ جِنانَ وجّهتْ إليه : قد شَهَرْتنى ، فاقطع زيارتَكَ عنّى أياما لينقطعَ بعضُ القالةِ ، ففعل ، وكتب إليها :

٧ / ١٨

إنّا اهتجرنا[1] للناسِ إذ فَطِنوا ... وبيننا حين نلتقى حَسَنُ

نُدافع الأمر وهْو مُقتبِلٌ[2] ... فشبّ حتى عليه قد مَرِنوا

فليس يُقذِى عينا مُعاينَةٌ ... له وما إنْ تمُجّه أُذن

ويحَ ثقيفٍ ماذا يَضرّهمُ ... أنْ كان لى فى ديارهمْ سكَنُ[3]

أرْيَبُ ما بيننا الحديثُ فإن ... زِدنا فزيدوا وما لنا ثَمن

يكتب إليها من بغداد شعراً

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال : حدثنا ابنُ مَهْرُويه ، قال : حدثنى ابنُ أبى سَعْدٍ قال: بلغنى أنّ أبا نُواسٍ كتب إلى جِنان من بغداد :

كفَى حَزَنا ألّا أرى وجهَ حِيلةٍ ... أزورُ بها الأحبابَ فى حَكَمانِ

وأُقسِمُ لولا أن تَنال مَعاشرٌ ... جِنانا بما لا أشتهى لِجِنانِ

لأصبحتُ منْها دانىَ الدارِ لاصقا ... ولكنّ ما أخشَى ـ فُدِيتِ ـ عدانى

فواحَزنَا حُزْنا يؤدّى إلى الردى ... فأصبحَ مأثورا بِكلّ لِسان

أُرانى انقضَتْ أيامُ وصلِىَ منكمُ ... وآذن فيكم بالوَداع زمانى

شعره وقد شتمته وتنقصته حين ذكر عشقه لها

أخبرنى الحسنُ قال : حدّثنا ابنُ مَهْرُويْه عن يحيى بنِ محمدٍ عن الُخرَيْمىّ قال : بلغ أبا نُواسٍ أنّ امرأةً ذَكَرت لِجِنانَ عِشقَه لها ، فشتمته جِنانُ وتنقصته وذكرَتْه أقبحَ الذِّكر ، فقال :

---

(١) اهتجرنا : تقاطعنا .

(٢) مقتبل : فى مبتدئه .

(٣) السكن : كل ما يسكن إليه .

وا بِأَبى مَنْ إذا ذُكرتُ له   وطولُ وَجـدى به تَنَقَّصنى
لوْ سألوه عن وَجهِ حُجّته   فى سبِّه لى لقال : يَعشقنى
نَعم إلى الحشرِ والتّنادِ نَعَمْ   أعشقُه أو أُلَفَّ فى كَفَنى
أصِيحُ [(١)] جَهراً لا أستَسِرُّ به   عَنَّفَنى فيـه مَن يُعنِّفنى :
يا معشرَ الناسِ فاسمعوه وعُوا :   أنَّ جِنانا صديقةُ الحَسَنِ

شعره إليها وقد رآها فى المنام بعد أن هجرته

فبلغها ذلك : فهجرته ، وأطالت هجره ، فرآها ليـلة فى منامه وأنها قد صالَحته ، فكتب إليها :

إذا التقىٰ فى النوم طَيفانا   عاد لَنا الوصلُ كما كانا
يا قرَّةَ العـينِ فما بالنا   نَشقىٰ ويلتـذُّ خيالانا
لوشئتِ إذأحسنتِ لى فى الكرىٰ   أتممتِ إحسانك يقظانا
يا عاشقَين اصطلَحا فى الكرىٰ   وأصبَحا : غَضبىٰ وغضبانا
كذلك الأحلامُ غَدّارةٌ   وربّما تَصْدقُ أحيـانا

الغناء فى هذه الأبياتِ لابنِ جامعٍ ، ثقيلٌ أول بالوُسطى عن عمرو.

يهجرها حين جبهته بما يكره ، ويراها فى المنام تصالحه ، فينظم شعرا

وقال الحَرَمى : ورآها يوماً فى ديار ثقيف فجبَهَتْه بما كَرِه ، فغضب وهجرها مدة ، فأرسلت إليه رسولا تصالحه فرده ، ولم يصالحها ، ورآها فى النوم تطلب صلحَه ، فقال :

دَسّتْ له طَيفها كيما تصالِحُه   فى النوم حين تأبَّى الصلحَ يقظانا
فلم يجدْ عند طَيفى طَيفُها فَرَجًا   ولا رثىٰ لتشكّيه ولا لانا
حَسبتِ أنّ خيالى لا يكون لِما   أكون من أجلِه غضبانَ غضبانا
جِنانُ لا تَسألينى الصلحَ سُرعةَ ذا   فلم يكن هيِّنا منك الذى كانا

٨
١٨

(١) فى س : «أصبح» ، تحريف .

من شعره فيها

وأنشدنى علىّ بنُ سليمانَ الأخفشُ لأبى نواس فى جنان :

أما يَفنى حديثُك عن جِنانٍ ولا تُبقِى عَلَى هذا اللسانِ !
أكُلَّ الدهرِ قلتُ لها وقالت فكَمْ هذا أما هذا بِفانِ !
جعلْتَ الناسَ كلَّهمُ سواءً إذا حدّثْتَ عنها فى البيانِ
عدوُّك كالصديق وذا كهذا سواءٌ ، والأباعدُ كالأدانى
إذا حدَّثتَ عن شأنٍ توالت عجائبُه أتيتَهمُ بشانِ
فلو مَوَّهت عنها باسِم أخرى علِمنا إذ كنَيت مَن أنت عانِ ؟

شعره وقد بيعت وسافر بها مولاها

أخبرنى الحسنُ بن عَلَىٍّ قال: حدثنى يحيى بنُ محمدٍ السُّلَمىُّ قال : حدثنى أبو عِكرمةَ الضبىُّ :

أن رَجلا قدِم البصرةَ فاشترى جِنانَ من مواليها ، ورحل بها ، فقال أبو نواس فى ذلك :

أمَّا الديارُ فقلَّما لبثوا بها بين استياق[1] العِيسِ والرُّكبانِ
وضَعوا سِياطَ السّوْق[2] فى أعناقها حتى اطّلعْن[3] بهم على الأوطانِ

أخبرنى عيسى بنُ الُحسين الورّاقُ قال: حدّثنى محمدُ بنُ سعدٍ الكُرانىُّ قال: حدثنى أبو عثمان الأشنانْدانى قال : كتب أبو نواس إلى جنان :

أكثرى[4] المَحْوَ فى كتابك وامحيه إذا ما محَوْته باللسانِ

(١) فى م ، ا : « استباق » .
(٢) فى س ، ب : « الشوق » ، تحريف .
(٣) اطلعن : طلعن .
(٤) فى س ، ب : « أكثر » ، تحريف .

وأُمُرى[١] بالحاء بين ثنـايا كِ العذابِ المُفَلَّجات الحســان
إننى كلـما مررتُ بِسَـطرٍ فيـه مَحوٌ لطعته[٢] بلِسانى
تلك تَقبيلةٌ لـكمْ من بَعيد أُهدِيتْ لى وما بَرِحتُ مكانى

(١) وفى ب ، س : «وامردى» ، وهو خطأ صرف.
(٢) لطعته : لحسته.

صــوت

تَجَنَّى علينا آلُ مكتوبةَ الذّنبـا وكانوا لنا سلْما فأضحَوْا لنا حَرْبا

يقولون عزِّ القلبَ بعد ذَهابه فقلت ألا طُوباىَ لو أن لى قلبا

عروضه من الطويل . الشعر لابن أبى عُيَيْنَةَ ، والغناء لسليمانَ أخى جَحْظَةَ ، رمَل بالوُسطى عن عمرو بن بانة .

نسب ابن أبى عيينة وأخباره[1]

اسمه وكنيته ونسبه

أبو عُيَيْنَةَ — فيما أخبرنا به علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ عن محمدِ بنِ يزيدَ — اسمُه وكنيتُه أبو المِنهال ، قال : وكل من يُدْعَى أبا عُيَيْنَةَ من آل المهلَّب فأبو عُيَيْنَةَ اسمُه وكنيتُه أبو المنهال ، وكلُّ من يُدْعَى أبا رُهْمٍ من بنى سَدُوس فكنيتُه أبو محمدٍ .

وابنُ أبى عُيَيْنَةَ [2] هو محمدُ بنُ أبى عُيَيْنَةَ بنِ المهلَّبِ بنِ أبى صُفرةَ . وقال أبو خالدٍ الأسلمىُّ : هو أبو عُيَيْنَةَ بنُ المِنجابِ بنِ أبى عُيَيْنَةَ ، وهو الذى كان يهجو ابنَ عمه خالداً .

واسم[3] أبى صُفرةَ ظالمُ بنُ سَرَّاقٍ ، وقيل : غالبُ بنُ إسراق بن صبح بن كِندىِّ بنِ عمرو بنِ عدىِّ بنِ وائلِ بنِ الحارثِ بنِ العَتيك بنِ الأسدِ بنِ عِمرانَ بنِ الوضَّاحِ بنِ عمرو بنِ مُزَيْقياء بنِ حارثةَ الغِطْرِيفِ بنِ امرىء القَيس البِطْرِيقِ بنِ ثعلبةَ البُهلول بنِ مازنٍ زادِ الرَّاكب بن الأزْد .

٩/١٨

[4] هذا النسب الذى عليه آل المهلب ، وذكر غيرهم أن أصلهم من عجم عُمان وأنَّهم تولوا الأزدَ ، فلما سار المهلَّب وشرُف وعلا ذِكْرُه استَلْحَقُوه . وممن ذكَرَ ذلك الهيثَمُ بنُ عَدِىّ وأبو عُبَيْدة وابنُ مَزْرُوع وابنُ الكلبىّ وسائر من جَمَع كتاباً فى المثالب وهَجَتْهم به الشعراء فأكثرت .

أبو صفرة ليس عربيا

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال : أخبرنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال : حدّثنى أبو عبد الله أحمدُ بنُ محمدِ بن حميدِ بنِ سُليمان العَدَوىّ قال :

(١) مو : نسب ابن عيينة وأخباره . (٢) مد ، مو : وأبو عيينة .

(٣) كذا فى م ، ا . وفى س ، ب : «وأراسم» ، تحريف .

(٤–٤) هذه التكملة من نسخة مى ؛ وآخرها فى ص ٧٨ .

أخبرنى الهيثمُ بنُ عَدِىّ ، عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانىّ قال :

وفَد ابنُ الجُلَنْدى فى الأزْد ، أزْدِ عُمان ومواليهم وأحلافهم ، فكان فِيمَن وَفَد منهم أبو صُفْرة ، وكان يُلقَّب بذلك ، لأنه كان يُصفِّر لِحْيَتَه ، فدخل على عمر مع ابن الجلندى ولحيتهُ مَخْضُوبَةٌ مُصَفَّرَة ، فقال عمر لابن الجلندى : أ كُلُّ مَنْ معك عرَبِىّ ؟ قال : لا ، فِينَا العَرَبِىّ وفِينا غَيرُ ذلك ، فالتفت عُمرُ — رحمه الله — إلى أبى صُفْرة ، فقال له : أعَربِىّ أنتَ ؟ قال : لا ، أنا مِمَّن مَنّ الله عليه بالإسلام .

أبو صفرة يختن وهو شيخ أشمط

قال : وقدِم الحكَمَ بنُ أبى العاصى الثَّقَفِىّ أخو عُثمان بأعلاج من شهرك[1] فى خلافة عمر قد أسلمُوا ، فأمر عُمَرُ عثمان بن أبى العاصى أن يَخْتِنَهُم ، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال : ما لهؤلاء يُطَهَّرون ليُصلوا ! قال : إنّهم يختنون .

قال : إنا والله هكذا مِثلُهم ، قال : فسَمِع ذلك عثمانُ بن أبى العاصى ، فأمر بأبى صُفْرة فأُجلس عَلَى جَفْنةٍ نُختن وإنّه لشيخٌ أشمَطُ فكان بها مَنْ قال : لسنا نشُك فى أنّ زوجتَه كذلك ، فأُحضِرت وهى عجوز أدماء ، فأمر بها القابلةَ فنظرت إليها وكشفتها ، وإذا هى غير مختونة ، وذلك منها قد أَحْشَفَ[2] ، فأمر بها فخُفِضت .

وقال فى ذلك زياد الأعجم ، وقد غضب عَلَى المهلّب :

نحن قطعنا من أبى صُفْرَةٍ قُلْفَتَه كى يدخل البَصْرَهْ

---

(١) لعلها شهركنه التى أوردها ياقوت فى معجمه ، وهى مدينة فى طرف تركستان قريبة من الجند بينها وبين مدينة خوارزم نحو عشرة أيام أو أقل .

(٢) أحشف : تقبض وصار كالشنّ .

لما رأى عُثمانُ غُرمولَه أَنَّ[1] عَلَى قُلْفَته الشَفْره

من عمل كتاب المثالب

وليس هذا من الأقوال المعوّل[2] عليها ، لأن أصلَ المثالب زيادٌ لعنه الله ، فإنه لَمّا ادُّعِى إلى أبى سُفيان ، وعَلِم أن العرب لا تُقِرّ له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره[3] فيهم ، عمل كتاب المَثالب ، فألصق بالعَرب كلِّها كلَّ عَيب وعار ، وحقٍّ وباطل ، ثم بَنَى عَلَى ذلك الهيْثَمُ بنُ عَدِىّ — وكان دَعِيًّا — فأراد أن يَعُرّ[4] أهلَ البيوتات تَشَفِّيًا منهم ، وفعل ذلك أبو عُبَيْدة مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى ، وكان أصلُه يهوديا ، أسلم جدُّه عَلَى يَدَى بعضِ آل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فانتَمى إلى ولاء بنى تَيْم فجدَّد كتابَ زِياد وزاد فيه ، ثم نشأ غُيْلان الشُّعُوبىّ لَعَنه الله ، وكان زِنْديقاً ثَنوِيًّا لا يُشَكُّ فيه ، عُرِف فى حياته بعضُ مذهبه ، وكان يورّى عنه فى عوراته للإسلام بالتشعّب والعصبية ، ثم انكشف أمرُه بعد وفاته ، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين ، وكان شديدَ التَّشَعُّب والعَصَبِيّة ، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله ، فبدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكر مناكحهم[5] وأمهاتِهم وصَنائعهم ، وبدأ منهم بالطيِّب الطاهر ، رسول الله صلى الله عليه وسلم فَغَمَصه[6] وذكره ، ثم والى بين أهل بَيْته الأذْكياء النجباء عليهم السلام ، ثم ببطون قريش على الولاء ، ثم بسائر العرب ، فألصق بهم كلَّ كذب وزور ، ووضع عليهم كل خبر باطل ، وأعطاه طاهر على ذلك مائتى ألف درهم فيما بلغنى .

---

(١) كذا فى النسخ ، ولا يستقيم معها الوزن ، ولعلها تحريف آتى

(٢) ف : « المعمول » .

(٣) مى : « ومع سوء آثارها فيهم » .

(٤) عرّ فلانا : ساءه .

(٥) مى : « وذكر مناكحهم » .

(٦) غمصه : تهاون بحقه .

وإنما جرّ هذا القول، ذكرُ المهلب وما قيل فيه ، وأنّى ذكرتُه فلم أجد بُدًّا من ذكر مارُوى فيه ؛ وفيما مرَّ عن أهل النسب ، ثم قُلتُ ما عِنْدى .

يقرأ كتاب المثالب على عبد الملك ، فيأمر بإحراقه

أخبرنى حَبيبُ بن نَصْر قال : أخبرنى عُمر بن شَبَّة قال : حدّثنى محمد بن يحيى أبو غُسّان عن أبيه قال :

دخل بعضُ النّاس عَلَى عبدِ الملك بن مَرْوان فقال له : هل عِنْدك كتابُ زِياد فى المَثَالب ؟ فتلكّأ ، فقال له : لا بأس عليك ، وبحَقّى إلا جئتَنى به . فمضى فجاء به ، فقال له : اقرأ علىّ ، فقرأه ، وجَعَل عبد الملك يتغيَّظ ويَعْجَب ممّا فيه من الأباطيل ، ثم تَمَثّل قولَ الشاعر :

وأجرأُ مَنْ رأيتُ بظَهْر غَيْبٍ عَلَى عَيْب الرّجال أولُو العُيُوبِ

ثم أمَر بالكتاب فأحْرِق[1].

رجع الخبر إلى سياقة أخبار ابن أبى عُيَيْنة

أنفد أكثر شعره فى هجاء ابن عمه خالد

وهو شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ غَزِل هَجّاء . وأنفدَ أكثَرَ أشعارِه فى هجاء ابن عمّه خالد . وأخبارهما تُذكر على أثر هذا الكلام وما يَصْلُح[2] تصديرُ أخباره به . وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكنى البصرة .

حدثنى عمّى والصولىُّ قالا : حدثنا أحمدُ بنُ يزيدَ المهلبىُّ قال : حدثنى أبى قال : أبو عُيَيْنَةَ اسمه كنيتهُ ، وهو ابنُ محمدِ بنِ أبى عُيينةَ بن المهلَّب بنِ أبى صفرة .

---

(١) هنا تنتهى التكملة التى بدأت فى ص ٧٥ .

(٢) فى م ، ا : «يصلح منه» .

كان أبوه يتولى الرى للمنصور

وأخبرنى محمدُ بنُ عِمران الصّيرفىُّ قال : حدثنى العَنزى قال : حدثنى أبو خالد الأسلمىُّ قال :

أبو عيينة الشاعرُ هو أبو عُيَيْنةَ بنُ المِنجابِ بنِ أبى عُيَيْنةَ بنِ المهلّب ، وكان محمدُ بنُ أبى عُيَينةَ أبو أبى عيينة الشاعر يتولى الرّىّ لأبى جعفر المنصور ، ثم قَبض عليه وحبسه وغرّمه .

حبس المنصور أباه

وأخبرنى محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبانِ قال : حدثنى يزيدُ بنُ محمدٍ المهلَّبىُّ قال :

قال وَهبُ بن جرير : رأيتُ فى منامى كأن قائلا يقول لى :

مايلقى[1] أبو حربٍ تعالى الله من كرب

فلم ألبَث أن أخذ المنصورُ أباحرب محمّد بن أبى عُيينةَ المهلبىّ فحبسه ، وكان ولاه الرّىّ فأقام بها سنين .

كان يحب امرأة نبيلة ويكنى عنها خوف أهلها

أخبرنى عيسى بنُ الحسين الورّاقُ ومحمدُ بنُ يحيى الصولىُّ وعمِّى قالوا : حدثنا الخزَنْبَلُ الأصبهانىّ قال : حدثنى الفَيضُ بنُ مَخلَد مولى أبى عُيينةَ بنِ المهلَّب قال :

كان أبو عُيَينة بنُ محمدِ بنِ أبى عُيينة يهوَى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفصٍ الملقَّبِ هَزارَ مَرْدَ ، وكانت امرأةً نبيلةً شريفةً ، وكان يخاف أهلَها أن يَذكرَها تصريحًا ، ويَرهبُ زوجَها عيسى بنَ سليمانَ ، فكان يقول الشعر فى جارية لها يقال لها : دُنيا ، وكانت قيّمةَ دارِها ، ووالِيةَ أُمورها كلِّها . وأنشدنا لابنِ أبى عُيينةَ فيها ، ويَكنى باسم دنيا هذه :

ما لِقلبى أرقَّ من كلِّ قلبِ ولِحُبِّى أشدَّ من كل حبّ !

---

(١) كذا فى النسخ .

وَلَدنيا علىَّ جُنونى بدنيـا أشتهى قُربَها وتـكرهُ قُربى
نَزَلَتْ بى بليّةٌ مِن هواها والبلايا تـكون من كلِّ ضَرب
قل[1] لدنيا إن لم تُجِبك لِما بى رَطبةً مِن دموع عينَى كُتْبى
فعلام انتهرتِ باللهُ رسْلى وتهددتِهم بحبس وضرب[(1)]
أىَّ ذنب أذنبتهُ ليت شِعرى كان هذا جزاءه أىَّ ذنب؟

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ قال حدثنى محمدُ بنُ يزيدَ قال :

كان أبو عُيينة[(2)] من أطبع الناس وأقربهم مأخذا ، من غير أدَب موصوفٍ ولا روايةٍ كثيرة ، وكان يقرِّب البَعيد ، ويحذِف الفضول ، ويُقِلّ التكلف . وكان أصغرَ مِن أخيه عبدِ الله ومات قبله .

وقيل لعبد الله : أنت أشعرُ أم أخوك ؟ فقال : لو كان له علمى لكان أشعرَ منّى ، وكان يتعشق فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفصٍ هزارَ مَرْدَ التى تزوّجها علىُّ بن سليمان ، ويُسِرُّ عشقها ، ويلقّبها دُنيا كِتمانا لأمرها[(3)] . وكانت امرأةً جليله[(4)] نبيلة سَرِيّة من النساء ، وكان أبوها من أشدّ الفُرسان وشُجعانِهم ، فذكر عيسى بنُ جعفرٍ أن عيسى ابنَ موسى قال للمهلّب بنِ المغيرةِ بنِ المهلّب : أكان يزيدُ بن خالدٍ أشجعَ أم عُمرُ بنُ حفصٍ هَزَارَ مَرْدَ ؟ قال المهلّب : لم أشهد من يَزيد ما شهدته من عُمَر بن حفص ، ١٠/١٨
وذلك أنى رأيته يركُض فى طلب حمارٍ وحشىٍّ حتى إذا حازاه جمع جَراميزَه[(5)] وقفز ،

(1) من م ، مد ، مو
(2) فى م ، ا ، مو ، مد : «ابن أبى عيينة» .
(3) فى م ، ا : «لأملها» .
(4) فى م ، ا : «جميلة» .
(5) جراميزه : أطرافه . وفى س ، ب : «جراميزة» ، تحريف .

فصار على ظهره ، فقمص الحمار ، وجعل عُمر بنُ حفص يَحُزّ(١) معرفتَه إما بسيفٍ وإما بسكين معه حتى قتله ·

كان جنديا ، ولم يكن يهوى فاطمة بل جارية لها

قال محمدُ بنُ يزيدَ: وحُدِّثتُ عن محمدِ بنِ المهلّب أنه أنكر أن يكون أبو عُيينةَ يهوَى فاطمة ، وقال : إنما كان جنديًّا فى عِداد الشُّطّار(٢) ، وكانت فاطمة من أنبلِ النساء وأسراهنّ ، وإنما كان يتعشق جاريةً لها ، وهذه الأبياتُ التى فيها الغناء من قصيدةٍ له جيدةٍ مشهورةٍ من شعره ، يقولها فى فاطمةَ هذه أو جاريتِها ، ويَكنى عنها بِدُنيا ، فمما اختير منها قوله :

وقالوا تجنّبْنَا فقلت أبعدَ ما ... غَلبتُمْ على قلبى بسُلطانكم غصباً !
غِضابٌ وقد مَلّوا وقوفى ببابهمْ ... ولكنّ دنيا لا ملولا ولا غضبى
وقد أرسلَتْ فى السرّ أنى بريّةٌ ... ولم تَرَ لى فيما تَرى منهمُ ذَنبا
وقالت لكَ العُتبى وعندى لك الرضا ... وما إنْ لهمْ عندى رضاء ولا عُتبى(٣)
ونُبّئتُها تلهو إذا اشتد شوقُها ... بشعرى كما تُلهِى(٤) المغنّيةُ الشَّربا
فأحببتُها حُبًّا يقَرّ بعينها ... وحُبِّى إذا أحببتُ لا يشبه الحبا
فياحسرتا نَغّصتُ قُربَ ديارها ... فلا زُلفةً منها أرجّى ولا قُربا
لقد شَمِت الأعداء أن حِيل بينها ... وبينى ألاَ للشامتين بنا العُقْبَى(٥)

ومما قاله فيها وغُنِّى فيه :

---

(١) فى م ، ا : « يجز » .

(٢) الشطار : جمع شاطر ، وهو من أعيا أهله خبثا . (٣) ف : « عندى رضاً لا ولا عتبى » .

(٤) فى س ، ب : « تلهو » . تحريف .

(٥) فى س ، ب : « العبى » ، تحريف والعقبى : جزاء الأمر .

صـــوت

ضيّعتِ عهدَ فـتًى لعهدكِ حافظٍ ... فى حفظِه عَجَبٌ وفى تضييعكِ
ونأيت عنه فما له من حيلة ... إلا الوقوفُ إلى أوانِ رجوعكِ
متخشّعاً يُذْرى عليكِ دموعَهِ ... أسفاً ويَعجَبُ من جُمودِ دموعكِ
إن تقتليه وتذهبى بفؤاده ... فبِحُسن وجهك لا بحسن صنيعكِ

عروضه من الكامل ، الغناء فى هـذه الأبيات من الثقيل الأول بالوُسطى . ذَكر عمرو بنُ بانةَ أنه له ، وذكر الهِشامىُّ أنه لمحمدِ بن الحارث بن بسخنّر ، وذكر عبدُ الله بنُ موسى بنِ محمدِ بنِ إبراهيم الإمامُ أنه لإبراهيمَ المَوصلىّ .

فذَكر العتّابىُّ ومحمدُ بنِ الحسنِ جميعاً ، أنّ محـمدَ بنَ أحمدَ بن يحيى المكىّ حدثهما قال : حدثنى عمرُو بنُ بانةَ قال :

ركبت يوماً إلى دار صالح بن الرشيد، فاجتزتُ بمحمدِ بنِ جعفرِ بنِ موسى الهادى — وكان مُعاقراً للصَّبوح — فألفيتُه فى ذلك اليوم خاليًا منـه ، فسألته عن السبب فى تعطيله إياه ، فقال : نيرانُ علىّ غضبى — يعنى جارية لبعض النَّخاسين ببغداد — وكانت إحدى المحسِنات ، وكانت بارعةَ الجمال ظريفةَ اللسان ، وكان قد أفرط فى حُبّها حتى عُرف به ، فقلت له : فما تحبّ ؟ قال : تجعل طريقَك على مولاها فإنه يستخرجها إليك ، فإذا فعل دفعتَ رقعتى هذه إليها — ودفع إلىّ رقعة فيها :

ضيعتِ عهدَ فتًى لعهدِك حافظٍ ... فى حفظِه عَجَبٌ وفى تضييعكِ
إن تَصِمْتِه أن تذهبى بفؤاده ... فبِحُسن وجهِك لا بحسن صنيعك

قلت له : نعم ، أنا أتحمّل هذه الرسالةَ وكرامةً ، على مافيها ، حفظًا لروحك عليك ،

١١
١٨

فإنى لا آمن أن يتمادَى بك هذا الأمر . فأخذتُ الرقعة وجعلتُ طريقى على منزل النخاس ، فبعثتُ إلى الجارية : اخرجى ، فخرجت ، فدفعت إليها الرقعةَ ، وأخبرتها بخبرى فضحكت ، ورجعت إلى الموضع الذى أقبلَتْ منه فجلستْ جِلسةً خفيفةً ، ثم إذا بها قد وافتنى ومعها رقعة ، فيها :

صــوت

ومازلت تَعصِينى[1] وتُغرى بىَ الردىٰ   وتهجُرنى حتى مَرِنتَ على الهجر
وتَقطع أســـبابى وتنسى مودّتى   فكيف ترى يامالكى فى الهوى صبرى !
فأصبحتُ لا أدرى أيأسا تصبُّرى   على الهجر أم جِدَّ البصيرة لا أدرى

غنّى فى هذه الأبياتِ عمرو بنُ بانةَ ، ولحنه ثقيل أولُ بالبنصر ، ولِقَّاسةَ بنِ ناصح فيها ثقيل آخر بالوُسطى . لحن عمرو فى الأول والثالث بغير نشيد .

قال : فأخذت الرّقعة منها وأوصلْتها إليه ، وصرت إلى منزلى ، فصنعْت فى بَيتَى محمدِ بن جعفر لحناً وفى أبياتها لحناً ، ثم صرتُ إلى الأمير صالحِ بنِ الرشيد ، فعرّفته ما كان من خبَرى ، وغنّيته الصوتين ، فأمر بإسراج دوابه فأُسرجتْ ، وركب فركبت معه إلى النخّاس مولى نِيرانَ ، فما بَرِحْنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار ، وحملها إلى دار محمد بن جَعفر فوهبها له ، فأقمنا يومنا عنده .

أخبرنا محمدُ بنُ يحيى الصولىُّ قال : حدثنى يزيدُ بن محمدٍ المهلبىُّ قال :

دخلت على الواثق يوماً وهو خليفةٌ ورَبابُ فى حِجره جالسة ، وهى صبية ، وهو يلقى عليها قوله :

---

(١) ف م ، أ : «وتقصينى» .

ضيّعتِ عهدَ فتى لِعهدكِ حافظٍ … فى حفظه عجَبٌ وفى تَضييعكِ

وهى تغنّيه ويردده عليها ، فما سمعت غناء قطّ أحسن من غنائهما جميعاً ، وما زال يردّده عليها حتى حفظته .

رجع الخبر إلى حديث أبى عيينة

شعر لأخيه فى فاطمة محبوبته

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان قال : حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال : قال عبد الله بنُ محمدِ بن أبى عُيَينةَ أخو أبى عُيَينةَ فى فاطمة — التى كان يُشبّب بها أخوه — بنتِ عمرَ بنِ حفص لمّا تزوجها عيسى بنُ سليمانَ بنِ علىّ ، وكان عيسى مبخّلا[1] ، وكانت له محابسُ يَحبس فيها البِيَاحَ[2] ويبيعه ، وكانت له ضيعة تُعرف بِدالية عيسى يبيع منها[3] البقولَ والرياحينَ ، وكان أولَ من جمع السَّمادَ بالبصرة وباعه ، فقال فيه أبو الشمقمق :

إذا رُزق العبادُ فإنّ عيسى … له رِزقٌ من اَسْتاه العِبادِ

فلما تزوّج عيسى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفص قال عبد الله بن محمد بن أبى عيينة فى ذلك :

أفاطمَ قد زُوِّجْتِ عيسى فأبشرى … لديه بِذُلٍّ عاجلٍ غيرِ آجلِ
فإنكِ قد زُوِّجْتِ عن غير خبرة … فتًى مِن بنى العباس ليس بعاقل
فإن قُلتِ مِن رَهط النبىّ فإنّه … وإن كان حرَّ الأصلِ عبدُ الشمائل
وقد قال فيه جعفرٌ ومحمد … أقاويلَ حتى قالها كلُّ قائل
وما قلتُ ما قالا لأنك أُختُنا[4] … وفى البيتِ منّا والذُّرا والكواهل

١٢ / ١٨

(١) مبخّلا ، أى يرمى بالبخل .
(٢) البياح ، ككتاب ، وكتان : ضرب من السمك .
(٣) فى م ، ا : « فيها » .
(٤) فى س : «أختاه» ، تحريف .

لعَمرِى لقد أثبتهُ فى نِصابِهِ ... بأن صرتِ منه فى مَحلٍّ الحلائل
إذا ما بَنُو العباسِ يومًا تنازعوا ... عُرا المجدواختاروا كرامَ الخصائل
رأيتَ أباالعباس يسمو بِنفسِه ... إلى بَيع بيّاحاته والمَباقلِ

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان عبدُ الله ، أخو أبى عُيَينة شاعراً ، وكان يقدَّم على أخيه ، فأخبرنى جَحْظَةُ قال :

حدثنى علىُّ بنُ يحيى المنجّمُ قال : قال إسحاق الموصلىّ :

شعرُ عبدِ الله بنِ أبى عُيَينةَ أحبُّ إلىّ من شِعر أبيه وأخيه . قال : وكان عبدُ اللهِ صديقًا لإسحاق .

يصرح أخوه بذكر فاطمة وأنه يعنيها

قال محمدُ بنُ يزيدَ : ومما قاله فى فاطمة وصرّح بذكر القرابة بينهما ، وحقق على نفسه أنه يعنيها قوله :

دعَوتُكِ بالقرابةِ والجِوار ... دعاءَ مصرِّحٍ بادى السِّرار
لأنى عنكِ مشغولٌ بِنفسى ... ومحترِقٌ عليكِ بغيرِ نار
وأنت تَوقَّرين وليس عندى ... على نارِ الصَّبابةِ مِن وقار
فأَنتِ لأن مابكِ دونَ ما بى ... تُدارين العدوَّ ولا أُدارى
ولَوْ واللهِ تشتاقين شوقى ... جَمحْتِ إلى مُخالعة العِذار
ألا يا وهبُ فيمَ فضحْتَ دُنيا ... وبُحتَ بسِرِّها بين الجوارى
أما والراقصات بِكلِّ واد ... غوادٍ نحوَ مكةَ أو سَوارى
لقد فضلَتْكِ[1] دنيا فى فؤادى ... كفضل يَدِى اليمين عَلَى اليسار
فقُولى ما بدالك أن تقولى ... فإنى لا ألومك أن تضارى

(١) وفى س ، ب : « فضلت » ، تحريف .

من ظريف شعره فيها

قال وقال فيها، وهو من ظريف أشعاره :

رَقَّ قلبى لكِ يا نورَ عَينى وأبَى قلبُك لى أن يرِقّا
فأراكِ اللهُ موتى فإنّى لستُ أرضى أن تموتى وأبقى
أنا مِن وجدٍ بدنيايَ منها ومِنَ العُذّال فيها مُلَقَّى

صــوت

زعموا أنى صديقٌ لدُنيا ليت ذا الباطلَ قد صار حقّا

فى هذا البيت ثُمّ الذى قبله، ثم الأول لإبراهيم لحنٌ ماخورى بالوُسطى عن الهِشامىّ .

قال: وقال فيها أيضا فى هذا الوزن، وفيه غناء محدَث رَمل طُنبورىّ :

عَيشُها حُلو وعيشُك مُرُّ ليس مسرورٌ كمن لا يُسَرُّ
كمَدٌ[1] فى الحبّ تَسخُن فيه عينُه أكثرَ مما تقَرُّ
قلتُ[2] للّائِم فيها اللهُ عنها لا يَقعْ بينى وبينك شَرُّ
أتُرانى مُقْصرًا عن هواها كلُّ مملوكٍ إذاً لىَ حرُّ

وقال فيها أيضاً ، وأنشدَناه الأخفشُ عن المبرِّد ، وأنشدَناه محمدُ بنُ العباسِ اليزيدىُّ قال :

١٣/١٨ أنشدنى عمى عُبَيد الله لأبى عيينة :

حين[3] قالت دنيا علَامَ نهارا زُرتَ؟ هلا انتظرتَ وقتَ المساء!

(١) فى س ، ب : «كديم الحب» ، تحريف .
(٢) فى س : «قلت لذا اللائم» ، تحريف .
(٣) فى ب ، س : «جئت» .

إن تكن مُعْجَبًا[1] برأيك لا تَفْـ ـرَق فاستحْى ياقليلَ الحياء

ذاكَ إذ رُوحها ورُوحى مِزاجا ن كأصفىْ خمرٍ بأعذَب ماء

معنى له يأخذه البحترى

قال محمدُ بنُ يزيدَ : وقد أخذ هـذا المعنى غيرُه منه ولم يسمّه ، وهو البحترىّ ، فقـال :

صـوت

جَعلتُ حبَّكِ من قلبى بمنزلة هى المصافاةُ بين الماء والراحِ

تهتزّ مثلَ اهتزاز الغصن حرّكه مرورُ غيثٍ من الوَسْمىّ سَحّاح[2]

الغناء فى هذين البيتين لِزَرْذاذٍ ثقيلٌ أولُ مطلَق فى مجرى البِنصَر .

من شعره الذى يكنى فيه عن فاطمة

ومما قاله أبو عيينة فى فاطمة هذه ، وكَنى فيه بدنيا قوله :

صـوت

ألمْ تَنْهَ قلبَك أن يعشَقَا ومالَك والعشقَ لولا الشّقَا

أمِن بَعدِ شُربِك كأسَ النُّهى وشَمِّك ريحانَ أهلِ التُّقى

عشِقتَ فأصبحتَ فى العالميـــن أشهرَ مِن فرسٍ أبلقَا

أدُنيايَ من غَمر بَحْر الهوى خذى بيدِى قبل أن أغرقَا

أنا ابنُ المهلَّب ما مثـــله لو آنّ إلى الخـــلد لى مرتقى

(١) فى م ، مد : « إن كنت معجبا » ، وفى ب ، س : « كنت ذا معجبا » وكلاهما تحريف ، والمثبت من مو.

(٢) الوسمى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ، نسب الى الوسم ، والبيتان من قصيدة فى مدح الفتح بن خاقان ، وروايتهما فى الديوان ١ : ١١٣ :

تهتز مثل اهتزاز الغصن أتعبه مرور غيث من الوسمى سحاح

ويرجع الليل مبيضا اذا ابتسمت عن أبيض خصر السمطين لماح

وجدت نفسك من نفسى بمنزلة ، البيت .

غنى فيه أبو العُبَيس بنُ حمدونَ ، ولحنُه ثانى ثقيلٍ مطلقٌ ، وفيه لِعَريبَ ثقيل أول ، رواه أبو العُبَيس عنها .

قصيدة يذكر فيها دنيا ويفخر بمآثر المهلب

وهذه قصيدة طويلة يَذكر فيها دنيا ويفخَر بعَقِبِ النسيب بأبيه ، ويذكر مآثر المهلَّب بالعراق ، ولـكن مما قاله فى دنيا منها قوله :

أدُنياى من غَمر بحرِ الهوى خُذى بيدى قبل أن أغرَقَا
أنا لكِ عبدٌ فكونى كَمَن إذا سرّه عبدُه أعتقَا
ألم أخدعِ الناسَ عن وصلِها وقد يَخدعُ العاقلُ الأحمقَا
بلىٰ فسبقتُهمُ إننى أُحبّ إلى الخيرِ أن أسبقَا
ويومَ الجَنازةِ إذ أرسلَتْ على رُقعةٍ[1] أن جُزِ الخندقَا
وعُجْ ثَمّ فانظر لنا مجلِسا برِفق وإياك أن تَخرَقَا
فجئنا كغُصنَين مِن بانةٍ قرِينَين خِدْنين قد أورقَا
فقالت لأختٍ لها استنشِديـه من شعرِه المحكَم المنتقى
فقلْتُ أُمرتِ بكتمانِهِ وحذَّرتِ إن شاعَ أن يُسرَقَا
فقالت بعيشِكِ قولى له تمنَّع لعلك أن تنفقَا

من شعره فى دنيا وقد أفحش فيه

ومن مشهور قوله فى دنيا ، وهو مما تهتّك فيه وصرّح وأفحش ، وهى من جيد قوله قصيدتُه التى يقول فيها :

أنا الفارغُ المشغولُ والشوقُ آفتى فلا تسألونى عن فَراغى وعن شُغلى
عجبْتُ لِترك الحُبّ دنيا خليةً وإعراضه عنها وإقباله قُبْلى[2]

(١) فى م ، أ : «رقبة» ، أى رقابة . (٢) إقباله قبلى : قصده نحوى .

وما بالُها لما كتبْتُ تهاونت بكُتْبى وقد أرسلتُ فاتهرَتْ رُسلى
وقد حلفَتْ ألاّ تَخطّ بكفّها إلى قابلٍ خطا إلىّ ولا تُملى
أبخلا علينا كلُّ ذا وقطيعةً قضيتِ لدَينا بالقطيعة والبخل
سلُوا قلبَ دنيا كيف أطلقَه الهوى فقد كان فى غُلٍّ وثيقٍ وفى كَبْل (١)
فإن جَحَدَت فاذكرلها قصرَ مَعبَد بمَنْصَفٍ (٢) مابين الأُبُلّة (٣) والجبل (٤)
ومَلعبَنا فى النهرِ والماءُ زاخر قَرِينَين كالغصنَين فرْعين فى أصل
ومِن حولِنا الرَّيحانُ غَضّاوفوقنا ظِلالٌ من الكَرْم المعرَّش والنخل
إذا شئتُ مالت بى إليها كأنّنى إلى غصنِ بانٍ بين دِعْصَين من رَمل
ليالىَ ألقانى الهوى فاستضفتُها فكانت ثناياها بلا حِشمة نُزْلى
وكم لذّةٍ لى فى هواها وشهوةٍ ورَكْضى إليها راكبًا وعلى رِجل
وفى مأتمِ المهدىّ زاحمْتُ رُكنَها برُكنِى وقد وطّنت نفسى على القتل
وبِتنا عَلَى خوفٍ أُسكّن قلبها بيُسراى واليمنى عَلَى قائم النَّصل
فياطِيبَ طعمِ العيش إذ هى جارةٌ وإذ نفسُها نفسى وإذ أهلُها أهلى
وإذ هى لاتعتلّ عنّى بِرِقبَةٍ ولا خوفِ عينٍ من وُشاةٍ ولا بَعل
فقد عَفَت الآثارُ بينى وبينها وقد أوحشَت منى إلى دارها سُبْلى
ولما بلوتُ الحبَّ بعد فِراقها قضَيت عَلَى أم المحبين بالثُّكل

---

(١) الكبل : القيد .
(٢) منصف : منتصف .
(٣) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة . وهى أيضا نهر يضرب إلى البصرة حفره زياد .
(٤) الجبل : موضع بالبصرة على شاطىء نهر الفيض وضبطه فى معجم البلدان كزفر ، والقاموس كسهل .

وأصبحْتَ معزولاوقد كنتَواليًا ... وشتان ما بين الولاية والعزل

ومما قاله فيها وفيه غناء :

صــوت

من شعره فيها ، وقد وصف فيه قصرا

ألا فى سبيل اللهِ ما حلّ بى منكِ ... وصبرُكِ عنّى حينَ لا صبرَ لى عنكِ

وتركُكِ جسمى بعدَ أخذكِ مهجتى ... ضئيلا فهلاَّ كان من قَبْلِ ذا تركى

فهل حاكِمٌ فى الحبِ يحكمُ بيننا ... فيأْخذَ لى حقى ويُنصفَنى منك

لِسُلَيمٍ فى هذه الأبيات هزَج مطلَق فى مجرى الوُسطى ، وفى هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه ، وهى من عجيب شعره :

لقد كنتُ يومَ القَصرِ مما ظَنَنْت بى ... بريئًا [1] كما أنى برىءٌ من الشِّرْكِ

يذَكِّرنى الفِردَوسَ طوراً فأَرعَوِى ... وَطورًا يواتينى إلى القَصف والفتك

بِغَرسٍ كأبكار الجوارى وتُرْبَةٍ ... كأن ثَراها ماءُ وَردٍ على مسك

وسِربٍ من الغِزلانِ يَرتعْن حولَه ... كما استُلّ منظومٌ من الدُّر من سِلك

وورقاء تحكىَ المَوصِلىَّ اذا غَدت ... بِتغريدها أحبِبْ بها وبِمَن تحكى

فياطِيبَ ذاك القصرِ قصرًا ومنزلا ... بأفيحَ سهلٍ غيرِ وَعْرٍ ولا ضَنْك

كأن قصورَ القومِ ينظرن حولَه ... إلى مَلِكٍ مُوف عَلَى مِنبر المُلك

١٥/١٨

يُدِلّ عليها مســـتطيلا [2] بِظلِه ... فيَضحك منها وهى مُطرقةٌ تبكى

يعده الفضل بن الربيع أشعر زمانه

أخبرنى أحمد بنُ عُبيدِ الله بنِ عَمار قال : حدثنى علىّ بنُ عمرو الأنصارىُّ ، قال : سمِعت الأصمعى يذكر أن الفضل بن الربيع قال لجلسائه :

---

(١) فى مد : « بريا » .

(٢) كذا فى م ، أ . وفى س ، ب : « مستظلا بظلها » .

مَن أشعر أهل عصرِنا ؟ فقالوا فأكثروا ، فقال الفضل بن الربيع : أشعر أهلِ زماننا الذى يقول فى قصرِ عيسى بنِ جعفر بالخُرَيْبة[1] — يعْنى أبا عُيَينة :

زُرْ وادىَ القَصرِ نِعم القَصرُ والوادى ... وحبّــذا أهلُه من حاضر بادى
تُرْفا[2] قَراقيرُه[3] والعِيسُ واقفة ... والضبّ والنونُ[4] والملاّح والحادى

يحذر سعيد بن عباد عاقبة زواج له

أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدثنا محمدُ بنُ مُجمع قال تزوّج سَعيد بنُ عَبادِ ابنِ حبيب بن المهلّب بنتَ سفيانَ بنِ معاويةَ بنِ المهلّب — وقد كان تزوجها قبله رجلان فدفنتهما ، فكتب إليه أبو عُيَينة :

رأيتَ أثاثَها فرغبتَ فيـه ... وكم نَصبتْ لغيرِك بالأثاث
إلى دار المنـــون فجهّزَتْهم ... تَحُثّهمُ بأربعـــةٍ حِثاث
فَصَيّرْ أمرَها بيــدَىْ أبيها ... وعَيشِك من حِبالك بالثلاث
وإلا فالســـلامُ عليك منّى ... سأبدأ من غدٍ لك بالمراثى

أخبرنى محمد بنُ مَزْيد الصولىُّ قال : حدثنا حَماد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال :

يعاتب إسحاق لتأخره عن دعوة إلى مجلس

كان علىُّ بن هشام قد دعانى ودعا أبا عُيَينة وتأخرْتُ عنه حتى اصطبحنا شديدا ، وتشاغلْتُ برجُل كان عندى من الأعراب ، وكان فصيحا لأكتبَ عنة ، وكان عنده

---

(١) «الخريبة» : موضع بالبصرة ، ويقال : إنه سمى بذلك لأن المرزبان كان ابتنى بمقرا وخرب بعد ، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية ، وسموها الخريبة . وفى س : «الخزينة» ، وفى ب ، الحزيبة ، وفى م ، أ : «الحزبية» . وكله تحريف .

(٢) رفأ السفينة كمنع : أدناها من الشط .

(٣) القراقير ، جمع قرقور كعصفور : السفينة أو الطويلة ، أو العظيمة ورواية معجم البلدان :

يا وادى القصر نعم القصر والوادى ... من منزل حاضر إن شئت أو بادى
ترى قراقيره والعيس واقفــة ... والضب والنون والملاح والحادى

(٤) النون : الحــوت .

بعضُ من يعادينى — قال حماد : كأنه يومئ بهذا القول إلى إبراهيمَ بنِ المهدىّ — فسأل أبا عُيَينة أن يعاتبنى بشعر يَنْسُبنى فيه إلى الخُلف فكتب إلىّ :

يا مليئا بالوعد والخُلف والمَطْـــلِ بطيئا عن دَعوة الأصحاب
لَهِجاً بالأعراب إنّ لدينــا بعضَ من تشتهى من الأعراب
قد عرفنا الذى شُغلتَ به عــنَّا وإن كان غير ما فى الكِتاب

قال : فكتبتُ إلى الذى حَمل أبا عُيَينةَ على هذا — يعنى إبراهيم بن المهدى :

قد فهِمتُ الكتابَ أصلحك اللـــه وعندى إليك ردُّ الجوابِ
ولَعَمرى ما تُنصفون ولا كا ن الذى جاء منكمُ فى حِسابى
لستُ آتيك فاعلَمَنّ ولالى فيك حظ مِن بَعدِ هذا الكتاب

ينسب إليه شعر وجد منقوشا على حجر

أخبرنى عيسى بنُ الحُسين الورّاقىّ(١) قال حدثنى عبدُ الله بنُ أبى سعدٍ قال : حدثنى إبراهيمُ بن إسحاق العُمَرىّ قال : حدثنا أبو هاشم الإسكندرانىّ، عن ابن أبى لَهِيعة قال :

حُفِر حَفرٌ فى بعضِ أفنيةِ مكةَ ، فوُجد فيه حَجرٌ عليه منقوش :

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ أبدا وما هو كائنٌ فيكون
سيكون ما هو كائن فى وقتِه وأخو الجهالةِ مُتعَب محزون
يَسعى القوىُّ فلا يَنــال بسعيه حظّا ويحظى عاجزٌ ومَهين

١٦/١٨

قال ابنُ أبى سعدٍ : هكذا فى الحديث ، وقد أنشدنى هذه الأبياتَ جماعةٌ لأبى عُيَينة .

---

(١) ء ، مء : «الوراق» .

هو عنده الفضل بن الربيع أشعر من أبي نواس

حدثنى عمّى قال ، حدثنى عُمرُ بن محمد بنِ عبد الملك، قال :حدثنى علىّ بنُ عمروس الأنصاريُّ عن الأصمعىّ قال :

قال لى الفضلُ بنُ الرَّبيع : يأصمعىّ ، مَن أشعرُ أهل زمانك ؟ فقلت : أبو نُواس قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت : حيث يقول :

أما تَرَى الشمسَ حلّت الحَمَلا وقام وزنُ الزمان فاعتدلا

فقال : والله إنه لَذِهِنٌ(١) فطِن ، وأشعر عندى منه أبو عُيَينة(٢) .

شعره فى دنيا حين زوجت

حدثنى عمى ، قال: حدثنى فضلٌ اليزيدىُّ : عن إسحاق أنه أنشده لأبى عُيَينة فى دُنياَ التى كان يُشبِّب بها ، وقد زوّجت وبلغه أنها تُهْدَى إلى زوجِهاَ ، وكان إسْحاقُ يستحسن هذا الشعر ويستجيده :

أرى عهدَها كالوَرْد ليس بِدائمٍ ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدُ
وعهدى لها كالآس حسنا وبهجةً له نَضْرةٌ تبقى إذا ما انقضى الورد
فما وَجَد العُذرىُّ(٣) إذْ(٤) طال وَجدُه بعَفْراء(٥) حتى سَلّ مهجتَه الوجد
كوَجدى غداة البين عند التفاتها وقد شفّ عنها دون أترابها البُرد
فقلتُ لأصحابى هى الشمس ضوءها قريب ولكن فى تناوُلِها بُعد
وإنّى لِمَن تُهدَى إليه لحاسد جرى طائرى نَحسا وطائره سعد

(١) كذا فى ا . مد . وفى س ، ب : « لدهن » ، تحريف .
(٢) م ، ا : « ابن أبى عيينة » .
(٣) العذرى : المنسوب الى عذرة ، حى من قضاعة ، ينسب إليهم العشق . والمراد به عروة بن حزام ، أحد العشاق المضروب بهم المثل فى شدة الوجد .
(٤) كذا فى مد ، فى س : « اذا » ، تحريف .
(٥) هى عفراء بنت مهاصر بن مالك ، عم عروة .

أخوه يهجو عيسى ابن سليمان وقد تزوج فاطمة محبوبته

أخبرنى عمى قال حدثنى أحمدُ بنُ يزيدَ المهلبىُّ قال :

سألتُ أبى عن دُنيا التى ذَكَرها أبوعُيَينة بنُ محمدِ بنِ أبى عُيينة فى شعره ، وقلت : إن قوما يقولون : إنها كانت أمَة لبعض مُغَنِّى البصرة ، فقال : لا ، يابنىّ ، هى فاطمةُ بنتُ عُمرَ بنِ حفصٍ هَزارَ مرْدَ بنِ عثمانَ بنِ قَبيصةَ أخى المهلَّب ، وكان عيسى بنُ سليمان بنِ علىٍّ أخو جعفرٍ ومحمدٍ ابنى سليمان تزوّجها ، وهجاه عبدُ الله بنُ محمدِ بن أبى عُيينة ، أخو أبى عُيَيْنة فقال:

أفاطم قد زُوِّجتِ عيسى فأبشرى　　لديه بذُلٍّ عاجلٍ غـــيرِ آجل

فإنكِ قد زُوِّجتِ عن غيرِ خِبرة　　فتًى مِن بنى العبـاسِ ليس بعاقل

وذكر باقىَ الأبيات ، وقد مضَت متقدما .

يصرح بنسبه الجامع له ولفاطمة

قال أحمد بن يزيد : ثم أنشدنى أبى لأبى عُيَيْنة يُصرِّح بنَسبِه الجـامع له ولفاطمةَ من أبيات له :

ولأنْتِ إن متُّ المصابةُ بى　　فتجنَّبى قتـلى بـلا وِتر

فلئن هلكْتُ لَتَلْطِمِنْ جزَعا　　خـدّيك قائمـةً على قـبرى

من شعره الذى يبكى فيه بدنيا

قال أحمد : وأنشدنى أبى أيضاً فى تصديق ذلك ، وأنه كان يَكنى بدُنياَ عن غيرها :

ما لِدُنيا تجفوكَ والذنبُ منها　　إنَّ هـذا منهاَ لَخَبٌّ ومَكر

عرفَتْ ذنبَها إلىّ فقالت　　ابدَءوا القومَ بالصياح يفرّوا

قد أمرْتُ الفؤادَ بالصبر عنها　　غيرَ أنْ ليس لى مع الحبِّ أمر

وكتمْتُ اسمهاَ حِذاراً من النا　　س ومِن شرّهم وفى الناس شرّ

١٧
١٨

ويقولون بُخْ لنــا باسم دُنياَ   واسمُ دنياَ سرٌّ على الناس ذخر
ثم قالوا لِيعلموا ذات نفسى   أَعوانٌ دنياك أم[1] هىَ بِكر
فتنفسْت ثم قلت أبـكر   شَبَّ يا إخوتى عن الطَّوق عمرو[2]

شعر له ينصح فيه بترك الإلحاح

أخبرنى جعفر بنُ قدامةَ قال : حدثنى هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيات قال : حدثنى أبو خالد الأَسلمىّ قال : كان ابنُ أبى عُيَينة المهلّبى صديقى ، وهو أبو عُيَينة ابنُ المِنجاب بنِ أبى عُيَينة ، فجاءه رجل من جيرانه كان يستثقله ، فسأله حاجة فقضاها ، ثم سأله أُخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة فقال :

خفِّف عَلَى إخوانك المُـؤَنا   إن شئت أن تَبقَى لهم سكَـنَا
لا تُلحفنَّ إذا سألت ففى الـ   إلحـاف إجحاف بهم وعنَا

فقام الرجل وانصرف .

أخبرنى أبو دُلفٍ هاشمُ بنُ محمدٍ ، قال : حدثنى المبرِّد قال :

يطلب عزل أمير البصرة فلا يجاب ويمنح صلة عوضا

وَفد ابن أبى عُيَينة إلى طاهرِ بنِ الحُسين يسأله أن يعزِلَ أمير البصرة ، وكان من قِبلَه فدافعه ، وعرضَ عليه عِوَضاً خطيراً من حاجته ، ووعده أن يستصلحَ له ذلك الأمير ويزيلَه عما كرهه ، فأبى عزله وأجزل صلتَه ، فقال ابن أبى عيينة فيه :

ياذا اليمينَين[3] قد أوقرتَنى مِننَا   تَترَى هى الغاية القصوى من المِنَنِ
ولستُ أَسطيع مِن شكر أجىءُ به   إلا استطاعةَ ذى رُوح وذى بدن

---

(١) كذا فى م ، مد . وفى س ، ب : «أو» .

(٢) هو عمرو بن عدى ، وخاله جذيمة . وكبر عمرو عن الطوق : مثل يضرب لمن يلابس ما هو دون قدره .

(٣) لقب بذلك لأنه ضرب شخصا بيساره فقده نصفين ، فلقبه به المأمون .

لو كنتُ أعرف فوقَ الشكر منزلة ... أوفى مِن الشكر عند اللهِ فى الثمنِ

أخلصتُها لك من قلبى مهذَّبةً ... حَذْوًا عَلَى مثل ماأوليتَ من حسن

أخبرنى محمدُ بن القاسم الأنبارىّ قال : حدثنى أبى عن أبى عِكرمةَ عامرِ بنِ عِمران، وأخبرنى به عمى عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبىّ عن أبيه قال :

أساء والى البصرة جواره فطالب بعزله فأجيب إلى طلبه

كان إسمعيلُ بنُ سليمانَ والياً عَلَى البصرة خَليفة لطاهرِ بنِ الحُسين ، فأساء مجَاورةَ ابنِ أبى عُيَينة حتى تباعد بينهما وقبح ، وأظهر إسمعيل تنقّصَه وعيبَه ، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيلَ ، ويسعى فى عزله عن البصرة ، فبَعُدَ ذلك عليه بعض البُعد ، وسافر طاهرُ بن الحُسين إلى وجهٍ أُمر بالخروج إليه ، فصحبه ابنُ أبى عُيينة فى سفره ، فتذمّم من ذلك ، وأمر بإيصاله إليه ، فلما دخل ابنُ أبى عُيينة إليه سأله عن حوائجه وأدناه ، وأمره برفعها فأنشده :

مَن أوحشَتْه البلادُ لم يُقِم ... فيها ومَن آنستَه لم يَرِمِ

ومَن يَبِتْ والهمومُ قادحة ... فى صــدرِه بالزِّنادِ لم ينم

وَمَن ير النقص مِن مَواطنه ... يزُل عن النقص مَوطِىء القدم

والقرب ممن ينأى بجَانبه ... صدع عَلَى الشعب غير ملتئم (١)

ورُبّ أمر يعيا اللبيبُ به ... يظلّ منه فى حيرة الظُّلم

صَبْرٌ عليه كَظْمٌ عَلَى مَضَض ... وَتَرْكُهُ من مواقع الندم

١٨/١٨

ياذا اليمينَين لم أَزرْكَ وَلم ... آتك من خَلّة ومن عَدَم

إنى من الله فى مَراح غِنى ... ومُغتدًى (٢) واسعٍ وفى نِعم

(١) زيادة من م ، مو ، مد .

(٢) كذا فى م ، أ . وفى س ، ب : « ومنتهى » ، تحريف .

زارتك بى هِمّةٌ مُنازِعةٌ إلى العلا مِن كرائم الهِمم
وإننى لِلجميل محتمِل فِى القَدْرِ مِن مَنصِبِى ومِن شيمى
وقد تعلَّقْت منك بالذمم الــكبرى التى لا تخيبُ فى الذمم
فإن أنلْ بغُيتى فأنت لها فى الحق حقٌّ الرجاء والرَّحم
وإن يَعُقْ عائقٌ فلستَ على جميــلِ رأىٍ عنــدى بمتَّهَم
فى قدَر اللهِ ما أحمِّلُه تعويق أمرى فى اللَّوح والقلم
لم يَضق الصبرُ والفِجاجُ على حُرّ كريمٍ بالصــبر معتصِم
ماضٍ كحدِّ السنان فى طَرفِ الــعاملِ[1] أوحدِّ مصلَت خَذِم[2]
إذا ابتلاه الزمانُ كشَّفه عن ثوب حُرِّيةٍ وعن كرم
ما ساء ظنى إلا بواحــدة فى الصدر محصورةٍ عن الــكلِم
ليَهْنَ قومٌ جُزْتَ المدى بهمُ ولم تقصِّر فيهم ولم تُلِم[3]
وليس كلُّ الدّلاء راجعةً بالنِّصف من مَلْئِها[4] إلى الوَذَم[5]
تَرجع بالحَمْأة[6] القليلة أحــياناً ورَنْق الصُّبابةِ[7] الأَمم[8]
ما تُنبت الأرضُ كلَّ زَهرتها ولا تَعُمّ السماءُ بالدِّيَم

(١) العامل: طرف الرمح مما يلى السنان .
(٢) خذم : قاطع .
(٣) زيادة من م ، مو ، مه .
(٤) فى س ، ب : « مائها » .
(٥) الوذم : السيور بين آذان الدلو إلى العراقى ، جمع عرقوة كثر قوة ، وهى من الدلو خشبتان تعرضان عليها كالصليب .
(٦) الحمأة : الطين الأسود .
(٧) الصبابة : البقية من الماء .
(٨) الأمم : اليسير .

مافىَّ نَقص عن كلِّ منْزلة شريفـةٍ والأمـور بالقِسَم

فأجابه طاهر :

مَن تستضفه الهمومُ لم يَنَمِ إلّا كَنومِ المريضِ ذى السَّقم
ولا يزلْ قلبُه يكابِدِ ما تُولِدِ فيـه الهمومُ من ألَم
وقد سمعْتُ الذى هتفْتَ به وما بأُذنى عنكَ من صمم
وقد عَلمنا أنْ لستَ تَصحبنا لِفَاقةٍ فيكَ لا ولا عَـــدم
إلا لِحَقٍّ وحُرمةٍ وعلى مثلك رَعىُ الحقوق والحُرَم
أنتَ امرُؤٌ لاتزول عن كرمٍ إلا إلى مثلِه من الكرم
وأنت من أُسرةٍ جَحاجِحة فازوا بحسنِ الفعالِ والشِّيم
فما تَرُمْ مِن جسيمِ منزلةٍ فالحكم فيه إليك فاحتكم
إن كنت مُستسقيا سَماحتنا منّا تَجُدْكَ اليدان بالدِّيَم
أو تَرِمِ فى بَحرِنا بدلوك لا نُعدِمْكَ مَلئا لها إلى الوَذم
إنا أُناس لنا صـــنائعُنا فى العُرْب معروفةٌ وفى العجم
مغتنِمو كسبِ كلِّ مَحْمَدةٍ والكسبُ لِلحمد غيرُ مغتنَم

فاحتكم عليه أبو عُيَينةفى عزْل إسماعيلَ بنِ جعفر عن البصرة ، فعزله عنها وأمر له بمائة ألفِ درهم ، فقال أبو عُيَيْنة فى عزْله [1] إسماعيل بنَ جعفر عن إمارة البصرة :

١٩/١٨

شعره فى وال البصرة بعد عزله

لا تَعدَمِ العزْلَ ياأبا الحسنِ ولا هُزالا فى دولة السِّمَنِ
ولا انتقالا مِن دارِ عافيـة إلى دِيارِ البـلاء والمِحن

(١) م ، أ : «أبو عيينة يذكر عزله» .

أنا الذى إن كفرتَ نعمته ... أذابَ ما فى جنبيك من عُكَن (١)

يهجو نزارا ، فيرد عليه ابن زعبل

حدثنى عيسى بنُ الحسين قال : حدثنى محمدُ بنُ عبدِ الله الجَزَنْبَلُ الأصبهانىّ قال :

كان ابنُ أبى عُيَيْنة قد هجا نِزارًا بقصيدة له مشهورةٍ ، وفضَّل عليها قحطان ، فقال ابن زَعْبل يهجوه ويرد عليه ، واسمه عمرُو بن زَعْبل :

بُنَىَّ أبى عُيَيْنة ما ... نطقْتَ به من اللَّغط ؟
على ما أنت ملتحِف ... من الأوجاع فى الوسط
لِما فى الدُّبْر من نَغَل ... وما فى العِرْضِ من سَقَط
أتتنا الخمسُ والمائتا ... ن بالنَّعماء والغِبَط
أميرٍ من هلالٍ مس ... تطيل الباع منبَسِط
شريف ليس بالمدخو ... ل فى عِرضٍ ولا رَهَط
أظلك مِن يديه وا ... قعا لاشك فى وَرَطِ
ووالى الخرج فياض الـ ... يدَيْن بنائل سَبِطِ (٢)
له نِعَم حباك بها ... فلم تحفظ ولم تَحُطِ
وقاضٍ من أمير المؤ ... منين يقوم بالقِسَط
يَسرُّكَ أنه من آ ... ل قحطانٍ على شحَط
وأنك إن ذُكرتَ يقا ... ل شيخٌ فاسقٌ الشمَط (٣)

---

(١) العكن : جمع عكنة ، وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا .
(٢) سبط : ممتد .
(٣) الشمط : بياض الرأس يخالطه سواد .

أعبدٌ من عَبيد عُما ... ن عاب مناقبَ النَّبط
وتهجو الغرّ من مُضر ... كفى هذا من الشَّطط
تَيمّمْ فى مُقَيَّرة[(١)] ... مَسيراً غير مغتبط[(٢)]
مجوّفةٍ مزيّنة ... بِوَدْع[(٣)] لاح كالرَّقط
بنُوك تَجرها بالقَلْـ ... ـس مؤتزرين بالفُوَط
متى غمسوا[(٤)] مَراديَهم[(٥)] ... لِجِدّ السير تختلط[(٦)]
وأنتَ بموضع السُّكا ... ن يُمسكه بلا غلط
عليك عباءةٌ مشكو ... كةٌ بالشّوك لم تُخَط
فطيِّبُ ريحَ بلدتنا ... فِرارُك خيفةَ الشُّرَط
وأنك قد عُرفتَ بكثـ ... ـرة التخليط والغلط
ترى الخسران إن لم تَزْ ... نِ فى يوم ولم تَلُط

طلبه المأمون لهجائه نزارا ففر إلى عمان

قال : وكان ابنُ أبى عُيَينة لما هجا نِزاراً بلغ شعرُه المأمونَ ، فنذر دمه ، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمانٍ ، فلم يزل بها متوارياً فى نواحى الأزد حتى مات المأمون .

٢٠ / ١٨

(١) مقيرة ، المراد سفينة مطلية بالقار .
(٢) مغتبط : مغبوط .
(٣) الودع : خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت فى الصغر .
(٤) كذا فى ما . س : « غمزوا » ، تحريف .
(٥) كذا فى م ، أ . وفى س ، ب : « مداريهم » تحريف . والمرادى جمع مرداة ، وهى خشبة تدفع بها السفينة .
(٦) كذا فى م ، أ ، أى تسرع . وفى س ، ب : « تختلط » .

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عَمّار قال: حدثنى ابن مَهْرُويه عن أبيه بِقصة ابنِ أبى عُيَينة مع ابنِ زَعْبلٍ، فذكر نحو الخبرِ المتقدم.

يشبب بوهبة ثم يعدل إلى دنيا

حدثنى عمى قال: حدثنى أحمدُ بن يزيدَ المهلبىُّ؛ قال: حدثنى أبى قال:
كان ابنُ أبى عُيَينة يشبّبُ بوَهبةَ جاريةِ القَروى، وهى التى يقول فيها فروج[1] الزنى قوله:

يا وهب لم يبقَ لى شىء أُسَرّ به إلا الجلوس فتسقينى وأسقيكِ

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا، وذكرهما جميعًا فى شعره فقال:

أرسلَتْ وَهبةُ لما رأتنى بَعد سُقْمٍ من هواها مُفيقا:
أتغيّرْتَ كأن لم تكن لى قبل أن تعرفَ دُنيا صديقا
قد لَعَمْرى كان ذاك ولكن قَطعَتْ دُنيا عليك الطريقا

شعر له يدل على أنه كان يكنى بدنيا عن فاطمة

أخبرنى عمى قال: حدثنى أحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال:
لما وُلّى عُمَر بنُ حفص هَزارَ[2] مَرْدُ البصرة — قال ابن أبى عُيَينة فى ذلك وفى دنيا يكنى بها عن فاطمة بنتِ عُمر بن حفص صاحبته:

هنيئًا لدنيا هنيئًا لها قدومُ أبيها على البَصْرهْ
على أنها أظهرَتْ نَخْوةً وقالت لِىَ المُلكُ والقُدرهْ
فيا نورَ عَينى كذا عاجلا علىّ تطاولْتِ بالإمرهْ

قال: وهذا دليلٌ على أنه كان يَكنى عن فاطمةَ بدنيا، لا أنه كان يهوَى جاريتها دنيا.

---

(١) ذكر فى الأغانى (١٣ : ١٢٦) باسم فروخ الطلحى. وفى معجم الشعراء: ٥٠٤ باسم فروخ الطلحى المدنى. قال: ويقال فرخ الزنى.

(٢) هزارمرد: كلمة فارسية معناها ألف رجل.

قال أحمدُ بن يزيدَ : وفيها يقول أيضا :

يا حسنَها يومَ قالت لى مُودِّعةً … لاتنسَ ما قلت ، مِن فيها إلى أُذنى
كأننى لم أصِلْ دنيـــا علانيةً … ولم أزُر أهل دنيا زَورةَ الخَتَن
جِسمى معى غير أنّ الرُّوحَ عندكمُ … فالرُّوحُ فى وطنٍ والجسمُ فى وطن
فلْيعجب الناسُ منى أنّ لى جسداً … لارُوحَ فيه ولى[1] رُوحٌ بلا بَدن

وفى هذه الأبيات هزَج طُنبورىٌّ مُحدَث .

أخبرنى عمى قال : حدثنى أحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال :

يرثى أخاه داود وقد مات فى طريقه إليه

وَرد على ابنِ أبى عُيَينة كتابٌ من بعض أهله بأن أخاه داودَ خرج إليه ببريد[2]، فمــات بهَمَذان ، فقال ابنُ أبى عُيينة عند ذلك يرثيه :

أنائحــةَ الحمامِ قِفِى فنوحى … على داودَ رَهنا فى ضريح
لدى الأجيال[3] من همذان راحت … به الأيام للموت المُريح
ولَم يشهدْ جنازَتَه البواكى … فتبكيَه بمُنهَلٍّ سَفوح
وكُونى مثلَه إذ كان حيا … جواداً بالغَبوقِ وبالصَّبوح
أنائحـــةَ الحمامِ فلا تشحّى … عليـه فليس بالرجل الشحيح
ولا بمُثمِّرٍ مالاً لِدُنيـــا … ولا فيهـا بمِغمار طَموح
يبيع كثير ما فيها بباقٍ … ثمينٍ من عواقبـه ربيح
ونحن آل المهلّب فى لُباب … لُبابِ الخالص المحْضِ الصريح

(١) كذا فى ب ، م ، أ ، مد . وفى س : « ولاروح » تحريف .
(٢) كذا فى س ، ب . م ، أ : « يريله » .
(٣) كذا فى م ، أ . س ، ب : « الأجباب » ، جمع جب وهو البئر التى لم تطو ، أو مما وجد لا مما حفره الناس .

٢١/١٨

هو أبناء آخرةٍ ودنيا وأهدافُ المراثى والمديح

أخبرنى عمى، قال: حدثنا أحمد بنُ يزيدَ عن أبيه قال:

يقدم إلى الكوفة فيحب قينة فيها

قدِم أبو عُيَينة إلى الكوفةِ فى بعض حوائجه، فعاشره جماعة من وجوه أهلها، وأقام بها مدة، وألِف فيها قَينة كان يعاشرها وأحبها حبًّا شديداً، فقال فيها:

لَعَمرى لقد أُعطيتُ بالكوفة المُنىٰ وفوق المُنىٰ بالغانيات النَّواعمِ
ونادمْتُ أختَ الشمس حسنا فوافقت هواى ومثلى مثلَها فليُنادمِ
وأنشدْتُها شعرى بدُنيا فعربَدَت وقالت: مَلولٌ عهدُه غيرُ دائمِ
فقلْتُ لها ياظبيةَ الكوفة اغفِرى فقد تبتُ مما قلْتُ توبةَ نادم
فقالت قد استوجَبْتَ منا عقوبة ولكن سنَرعىٰ فيك رُوحَ ابنِ حاتمِ

قال أحمدُ بن يزيد، قال لى أبى:

شعره فى بستان له وضيعة

كان لابنِ أبى عُيَينة بُستانٌ وضَيعةٌ فى بعض قطائع المهلَّب بالبصرة، فأَوطَنها(١) وصيّرها منزلَه، وأقام بها، وفيها يقول:

ياجنةً فاقت الجِنان فما تَبلغُها قيمةٌ ولا ثمَنُ
ألِفتُها فاتخذتُها وطنا إنّ فؤادى لِأهلِها وطن
زُوِّج حيتانُها الضِّبابَ بها فهذه كَنَّةٌ(٢) وذا خَتَن(٣)
فانظرْ وفكِّر فيما نطقْتُ به إنّ الأريبَ المفكِّر الفطن
مِن سُفن كالنَّعامِ مُقبلة ومن نَعام كأنها سفن

(١) أوطنها: اتخذها وطنا.
(٢) الكنة: امرأة الابن.
(٣) الختن: زوج الابنة.

ينشد الموصلى من شعره

أخبرنى عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكّار قال: حدثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصلىُّ ، أن أبا عيينة أنشده لنفسه :

صــوت

لا يَكنْ منكَ ما بدا لى بعينيـ ـكَ من اللحظِ حِيلةً واختداعا
إن يكن فى الفؤاد شىء وإلّا فدَعِينى لا تقتلينى ضَياعا
فلَعلِّى إذا قربتُ تباعدْ تِ وأظهرْتِ جَفوة وامتناعا
حين نفسى لا تستطيع لِمَا قد وقعَت فيه مِن هواها ارتجاعا

فى هذه الأبيات رَمل مطلَق محدَث .

كان أخوه عبدالله شاعراً وله شعر فى عتاب خالدالبرمكى

أخبرنى عمى قال : حدثنى أحمدُ بنُ يزيدَ قال: حدثنى أبى قال :

كان عبدُ الله بن محمدِ بن أبى عُيَينة أخو أبى عُيينة شاعراً ، وهو القائل يعاتب محمدَ بنَ يحيى بنِ خالدٍ البرمكىِّ بأبيات رائية أولها :

اسلَمْ وإن كان فيك عنّى قَبْضٌ لِـكفّيك وازورارُ
تَلحظنى عابســـا قطوبا كأنمـا بى إليك ثار
لو كان أمر عتبتَ فيـه يجوز منـه لِىَ[1] اعتذار
أو كنتُ سآلة حريصا لحانَ مِنّى لك الفِرار
أو كنتُ نَذلا عَديمَ عقل لا مَنصِبٌ لى ولا نِجار
أوْ لم أكن حاملا بنفسِى ما تحمل الأنفُس الـكبار
وأننى من خِيار قومى وكلُّ أهلى فتى خيار

(١) س : « يجوز لى منه » ، تحريف .

عذرتُ إن نالنى جفاء منك وإن نالنى ضِرار
لكنّ ذنبى إليك أنى قحطانُ لى المحتِدُ لا نِزار
عليك منى السلام ، هذا أوانُ ينأى بىَ المزار
ما كنت إلا كلحم مَيْت دعا إلى أكله اضطرار
راحت على الناسِ لابنِ يحيى محمدٍ دِيمةٌ غِزار[1]
ولم يكن ما أنلْتُ منه بقَدْر ما ينجلى الغبار
قد أصبح الناسُ فى زمان أعلامُه السِّفْلة الشِّرار
يستأخر السابقُ المذكّى فيه ويستقدم الحِمار
وليس للمرء ما تمنّى يوما وما إنْ له اختيار
ما قدّر اللهُ فهْو آت وفى مقاديره الخيار

أخبرنى عمى قال : حدثنا أبو هفّان ، قال :

يهجو قبيصة بن روح المهلبى ، ويمدح داود بن عمه

كان ابنُ أبى عُيَيْنَة قد قصد ربيعةَ بنَ قَبِيصة بنِ رَوح بن حاتمٍ المهلبىِّ واستماحه ، فلم يجد عنده ما قدّر فيه ، فانصرف مُغاضِباً ، فوجه إليه داودُ بنُ مَزْيدِ بنِ حاتمِ بنِ قَبِيصة ، فترضّاه ، وبلغ ما أحبه ورضيه من بِرّه ، ومعونته ، فقال يمدحه ويهجو قبيصة :

أقَبيص لستَ وإن جهدتَ بمُدرك سعىَ ابنِ عمك ذى العلا داود
شتان بينَك يا قبيص وبينه إن المذمَّمَ ليس كالمحمود

(١) كذا بالنسخ . كأنها على حد قولهم : أرض قفار ، بكسر القاف ، جمعوها على توهم أن كل موضع منها قفر .

(٢) كذا فى م ، أ ، ف ، س ، ب : « نلت » ، تحريف .

اختـــار داودُ بناءَ محامد واخترتَ أكلَ شَبارق(١) وثَريد
قد كان مَجدُ أبيك لو أحببته رَوْحٍ أبى(٢) خَلَفَ كَجَدِّ يَزِيدِ
لـكن جرَى داود جَرْىَ مبرِّز فحوَى المَدَى وجريتَ جرْىَ بليد
داودُ محمـود وأنت مـذمَّم عجباً لذاك وأنتما من عـود
ولرُبَّ عُود قد يُشقّ لمسجد نصفاً وسائرُه لحُشٍّ(٣) يهود
فالحشّ أنت له وذاك لمسجد كم بين موضع مَسْلَحٍ وسجود
هـذا جزاؤك يا قبيص لأنه جادت يداه وأنت قُفْل حديد

يدعوه حذيفة مولى جعفر بن سليمان إلى مجلس فيقول فى ذلك شعراً

حدَّثنى جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدثنا حماد بنُ إسحاقَ قال : حدثنى أبى قال :

كانت لأبى حُذَيفة مولى جعفرِ بنِ سليمانَ جاريةٌ مُغنِّية يقال لها : بُستانُ ، فبلغه أن أبا عُيَيْنة بنَ محمدِ بنِ عيينة ذكر لبعض إخوانه محبتَه لها ولِاستماعِ غنائها ، فدعاه ، وسأله أن يطرح الحِشمة بينه وبينه ، فأجابه إلى ذلك ، وقال لما سكِر وانصرف من عنده فى ذلك :

ألم تَرَنى على كسَلِى وفَترى أجبت أبا حُذيفة إذ دعانى
وكنتُ إذا دُعيت إلى سماع أجبْتُ ولم يكن منِّى توانى
كأنّا من بشاشتِنا ظِلِلنا بيومٍ ليس من هذا الزمان

٢٣/١٨ أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال : حدثنى محمدُ ابنُ عثمان قال :

---

(١) الشبارق : جمع شبرق كزبرج ، ومن معانيه : النبات المنتن يرمى به البحر و فى ف : «شرائح».
(٢) س ، ب : «أبا» تحريف .
(٣) الحش : بيت الخلاء .

يهجو عيسى بن موسى لأنه لم يعطه سماداً لضيعته

كانت لِعيسى بنِ موسى ضَيعةٌ إلى جانب ضَيعةِ ابن أبي عُيَينة بالبصرة ، وكان له إلى جانب ضَيعتِه سَماد كثير ، فسأله أن يعطيَه بعضَه لِيَعْمُرَ ابنُ أبي عُيَينة به ضَيعته ، فلم يفعل فقال فيه :

رأيتُ الناسَ هَمُّهم المعالى وعيسى همُّه جمع السَّماد
ورِزق العالمين بِكَفِّ ربِّى وعيسى رزقُه فى آسْتِ العباد

هكذا ذكره ابنُ مَهْرُويه ، وهذا بيت فاسد ، وإنما هو :

إذا رُزِق العبادُ فإنّ عيسى له رِزق من أُستاه العباد

أخباره مع ابن عمه خالد وسبب هجائه إياه

ولابنِ أبى عُيَينة مع ابن عمه خالدٍ أخبارٌ جَمّةٌ أذكرها هاهنا والسببَ الذى حَمله على هجائه :

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ ببعضِها، عن محمدِ بن يزيدَ المبرِّدِ ، وببعضها عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبىِّ عن أبيه ، وقد جمعتُ روايتهما[1] فيما اتفقا عليه ، ونسبتُ كلَّ ما انفرد به أحدُهما أو خالَف فيه إليه ، وذكرتُ فى فُصول ذلك وخِلالِه مالم يأتيا به مما كتبتُه عن الرواة ، قالا جميعاً :

وَلِىَ خالدُ بنُ يزيدَ بنِ حاتمِ بنِ قَبيصة بنِ المهلَّبِ جُرْجَانَ ، فسأل يزيدُ بنُ حاتمٍ أبا عُيَينة أن يَصحَبَه ويخرج معه ، ووعَده الإحسانَ والولايةَ ، وأوسع له المواعيد. وكان أبو عُيَينة جنديًّا ، فجرَد اسمه فى جريدته ، وأخرج رزقه معه ، فلما حصل بجُرجان أعطاه رِزقه لشهر واحد ، واقتصر على ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه ، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه ، وبسط لسانه فيه ، وذكره بكل قبيح عند أهل عملِه ووجوهِ رعيّته ،

(١) كذا فى ب ، م . وفى أ : « روايتيهما » .

فلم يقدر على معاقبته، لموضع أبيه وسنّه ومحلّه فى أهله، فدعا به، وقال له: إنه قد بلغنى أنك تريد أن تهرُب فإما أن أقمتَ لى كفيلا برزقك أو رددته، فأتاه بكفيل فأعنتَه، ولم يقبله، ولم يَزل يردّده حتى ضجِر، فجاءه بما قبض من الرزق فأخذَه، ولجّ أبو عُيَينة فى هجائه وأكثر فيه حتى فضحه، فقال فى هذا عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلّبىّ:

من هجائه لابن عمه

دنيا دعوتك مسرِعًا فأجيبى ... وبما اصطفَيتُك فى الهوى فأثيبى
دومى أدُمْ لك بالصفاء على النوَى ... إنى بعهدكِ واثقٌ فثقى بى
ومِن الدليل على اشتياقى عَبْرتى ... ومَشيبُ رأسى قبلَ حين مشيبى
أبكى إليك إذا الحمامةُ طرّبت ... ياحسنَ ذاك إلىّ من تطريب
تبكى على فَنَن الغصونِ حزينةً ... حُزنَ الحبيبة من فِراق حبيب
وأنا الغريبُ فلا أُلامُ على البُكا ... إن البُكا حسَنٌ بكلّ غريب
أفلا يُنَادَى للقفول برحلة ... تَشفى جوًى من أنفسٍ وقلوب
مالى اصطفَيتُ على التعسفِ خالداً ... واللهِ ما أنا بعدَها بأريب
تبًا لصحبة خالدٍ من صحبة ... ولِخالدِ بنِ يزيدَ من مصحوب
ياخالد بنَ قبيصةٍ هيّجت بى ... حَرْبًا فدُونك فاصطبر لحروبى
لما رأيت ضميرَ غِشك قد بدا ... وأبنْتَ غير تجهُّم[1] وقُطوب
وعرفتُ منك خلائقا جرّبتها ... ظهرَتْ فضائحُها على التجريب
خلّيتُ عنك مُفارقًا لك عن قِلًى ... ووهبْتُ للشيطان منك نصيبى
فلئن نظرْتُ إلى الرُّصافة مرة ... نظراً يُفَرِّجُ كُربةَ المكروب

٢٤
١٨

(١) فى ب: «تجهم»، تحريف.

لأمزّقنّك قائما(١) أو قاعداً ولأروينّ عليك(٢) كلّ عجيب
ولتأتينّ أباك فيك قصائد حبّرتها بتشكّر مقلوب
ولَيُنْشَدَنّ بها الإمامُ قصيدة ولتُشْتَمنّ وأنت غير مهيب
ولأوذينّك مثلما آذيتنى ولأُشلينّ(٣) على نعاجك ذيبى

يهجو ابن عمه وقد كتب إليه أخوه بسلامته وسلامة أهل بيته

قال أحمدُ بنُ يزيدَ فى خبره : حدثنى أبى قال : أَعرَس داودُ بنُ محمدِ بنِ أبى عُيَيْنة أخو أبى عُيَينة بالبصرة ، وأخوه غائب يومئذ مع ابنِ عمه خالدٍ بجُرجان ، فكتب داودُ إلى أخيه يخبره بسلامته وسلامةِ أهل بيته ، وبخبرِ نقله أهله إليه ، فقال أبو عُيَيْنة(٤) فى ذلك :

ألا ما لعينيك معتلّهْ وما لدموعك منهلّهْ
وكيف بجُرجان صبرُ امرئٍ وحيدٍ بها غيرِ ذى خُلّهْ
وأطولْ بليلك أَطوِل به إذا عسكر القوم بالأثلهْ(٥)
وراعك مِن خيلهِ حاشر مِن القوم ليست له قِبله
يسوقك نحوهمُ مكرهاً وداودُ بالمِصر فى غفله
عَروس ينعّمُ مِن تحته سَريرٌ ومِن فوقه كِلّه
وما مُدْنَفٌ بين عُوّاده ينادى وفى سمعه ثقْله

(١) فى م ، أ : «بك» تحريف .

(٢) يريد لأنشرن أعاجيب من عيوبك ، فالعرب تستعمل على فى مثل هذا المقام للشر . ومثله قول الفرزدق فى عنبسة الفيل :

لقد كان فى معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوى علىّ القصائدا

(٣) المراد : لأغرين ، من أشلى الدابة : أراها المخلاة لتأتيه والناقة ، دعاها للحلب .

(٤) فى م ، أ : «لما عزف ذلك» .

(٥) الأثلة : قرية بالجانب الغربى لبغداد .

بأوجعَ منّى إذا قيل لى :   تأهب إلى الرىّ بالرِّحلهْ
ومالِى وللرَّىّ لولا الشقا   ءُ إن كنتُ عنها لفى عُزلهْ
أُكلَّف أجبالهـا شاتيـا   على فَرَس أو على بَغْلَهْ
وأهْونُ مِن ذاك لو سهّلوه   رُكوبُ القَراقير[1] فى دجلهْ
تَروح إلينا بهـا طَرْبة[2]   رواحَ النـدامى إلى دلّه
أخالدُ خـذ مِن يدى لَطمة   تَغيظ ومن قدَمِى رَكْله
جمعْتَ خصال الردَى جملة   وبعْتَ خصال الندى جمله
فمالَك فى الخـير مِن خَلة   وكم لك فى الشر مِن خله
ولـا تَناضَل أهـلُ العلا   نُضلْتَ فأذعنْتَ للنَّضله
فمالَكَ فى المجد يا خالدٌ   مُقَرْطَسة[3] لا ولا خصله
وأسرعْتَ فى هدم ما قد بنَى   أبُوك وأشياخُه قبلهْ
وكانت من النَّبع عيدانُهم   نُضارا وعودُك من أثْله
فيا عجبا نَبْعـةٌ أنبتَت   خِلافا[4] ورَيحانةٌ بقله
ثيابُك للْعبـد مطوية   وعِرضك للشتم والبِذله
أجعْتَ بنيك وأعرَيْتَهم   ولم تُوتَ فى ذاك مِن قِلّه ٢٥ / ١٨
إذا ما دُعينا لِقبضِ العطاء   وهيأت كيسَك للغلّهْ

(١) القراقير : جمع قرقور كعصفور ، وهى السفينة .
(٢) لعلها مخفف طربة بمعنى فرحة أو مشتاقة .
(٣) كذا فى م ، أ . والمقرطسة : الرمية تصيب الغرض . س : « مفرطسة » تحريف .
(٤) الخلاف : شجر كالصفصاف وليس به .

وجُلّة(١) تمرٍ تُنادَى بها ... فتأتى على آخر الجُلّة
وتُقصِى بَنيك وهُم بالعرا ... ء نُزْلُهمُ المِلحُ والمَلّة(٢)
ولو كان خُبز وتمر لديك ... لَما طمِعوا منك فى فضلة
وتُصبح تقْلِس(٣) عن تُخمة ... كأنّ جُشاءك عن فُجْلة
إذا الحىّ راعهمُ رائع ... فأَوهَن(٤) من غادة طَفْلة
وليثٌ يصول على قِرْنه ... إذا ما دُعيتَ إلى أكلة
فلله دَرّك عند الخُوا ... نِ من فارس صادقِ الحملة
وإن جاءك الناسُ فى حاجة ... تفكّرتَ يومين فى العِلة
وتلقاهمُ أبدا كالحًا ... كأنْ قد عضضْتَ على بَصْلة
فهذا نصيبىَ من خالد ... لكم هَنة بَتّةً بتلة(٥)
وإنى لِصحبته مبغض ... ولا خير فى صحبة السِّفْلة

ينشد مسلم بن الوليد من هجائه فى ابن عمه

حدثنى أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمار الثقفىّ قال: حدثنى أبو الحسن بن المنجِّم قال: رأيتُ مسلمَ بنِ الوليد الأنصارىَّ يوما عند أبى، ثم خرج من عنده، فلقيه ابنُ أبى عُيَينة، فسلّم عليه وتحفّى به، ثم قال له: ما خبرُك مع خالد؟ قال: الخبر الذى تعرفه، ثم أنشده قوله فيه:

(١) الجلة: القفة الكبيرة للتمر.
(٢) الملة: الرماد الحار، ولعل المراد خبز الملة.
(٣) قلس، كضرب: خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه إذا كان ملء الفم أو دونه. وفى س، ب: «تفلس»، تحريف.
(٤) كذا فى م، أ. مد. وفى س، ب: «فأهن»، تحريف.
(٥) بتلة: بائنة مقتطعة.

يا حفصُ عاطِ أخاكَ عاطِهْ كأسا تُهيِّج من نشاطِهْ

قال : ومسلمٌ يتبسم من هجائه إياه حتى مر فيها كلّها ، ثم ختمها بقوله :

وإذا تطاولَت الرءو سُ فغطِّ رأسَكَ ثم طاطِهْ

فقال مسلم : مَه ، إنا لله ! هتكته والله وأخزيته ، وإنما كنتُ أظن أنك تمزح وتهزِل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجِدّ القبيح ، وأفرطتَ فيما خرجتَ به إليه ، ثم مضى وهو يقول : فضحتَه والله ، هتكتَه والله !

يستنشده دعبل من هجائه لابن عمه فينشده

أخبرنى عمى قال: حدثنى أحمدُ بنُ يزيدَ قال : حدثنى أبى قال :

لَقِى دِعبل أبا عُيَينة فقال له :

أنشدنى قولك فى ابن عمك فأنشده :

يا حفصُ عاط أخاكَ عاطِهْ كأسا تُهيّج من نشاطِهْ

صِرْفا يعود لِوقعِها كالظبى أُطلق من رِباطه

صَبًّا طوَتْ عنه الهمو مُ نَعيمه بعد انبساطه

فبكىٰ وحقّ له البكا لشقائه بعد اغتباطه

جَزِع المُخنَّثُ خالد لمّا وقعتُ على قِماطه

فانظر إلى نزواته من مَنطِق وإلى اختلاطه

دَعْنى وإيّا خالدٍ فلأَقطعنّ عُرَى نِياطه[1]

إنى وجدْتُ كلامَه فيه مَشابِهُ من ضُراطه

رجُلٌ يَعِدّ لك الوعيـ ـد إذا وطئتَ عَلَى بساطه ٢٦/١٨

(١) النياط : عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ، فاذا قطع مات صاحبه ، والجمع أنوطة . وإضافة إيا إلى خالد من الشذوذ فى البيت .

وإذا انتظرْتَ غداءه فخَفَ البوادر من سياطهْ
يا خالِ صَدّ المجدُ عنـ ـك فلن تجوزَ عَلَى صراطه
وعَرِيتَ من حُلل الندَى عُرْىَ اليتيم ومن رِياطه[1]
فإذا تطاولَت الرؤ س فغَطّ رأسك ثم طاطه

فقال له دِعبلٌ: أغرقت والله فى النَّزْع وأسرفت ، وهتكتَ ابنَ عمّك وقتلتَه وغضضت منه ، وإنما استنشدْتك وأنا أظن أنك قلتَ كما يقول الناسُ قولا متوسطاً ، ولو علمْتُ أنك بَلَغْتَ به هذا كله لما استنشدْتك[2]

أخبرنى بهذا الخبرِ الحسنُ بنُ علىٍّ وعمى قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدثنى الحسين بنُ السرِىّ قال:

لقِى دِعبل أبا عُيَيْنَةَ فقال له : أنشدنى بعضَ ما قلتَ فى ابنِ عمك ، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بن يزيدَ ، وقال فيه : إنما ظننتُ أنك قلتَ فيه قولا أبقيتَ معه عليه بعضَ الإبقاء ، ولو علمتُ أنك بلَغْتَ به هذا كلَّه وأغرقتَ هذا الإغراقَ ما[3] استنشدتك، وجعل يعيد « فغطّ رأسَك ثم طاطه » ، ويقول : قتله والله !

من مختار هجائه فى خالد

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدثنى محمدُ بنُ يزيدَ قال:

ومِن مختار ماقاله فى خالد قوله :

قُل لِدُنيا بالله لا تقطعينا واذكرينا فى بعضِ ما تذكرينا
لا تخونى بالغيبِ عهدَ صديقٍ لم تخافيهِ ساعةً أن يخونا

(١) فى س : «رباطه» ، تحريف .
(٢) فى أ ، م : «لم أستنشدك» .
(٣) فى س ، ب : «لما» .

واذكرى عيشنا وإذ نفَض(١) الرِّيـــح علينا الخِيرىّ(٢) والياسمينا
إذ جعلْنا الشاهِسْفَرام(٣) فِراشاً مِن أذى الأرض والظلالَ غصونا
حفِظ اللهُ إخوتى حيث كانوا من بِلادٍ سارين أم مُدْلجينا
فِتيةٌ نازحون عن كلّ عَيب وهمُ فى المكارم الأولونا
وهم الأكثرون يَعلم ذاك النـــاسُ ، والأطيبون للأطيبينا
أزعجتْنى الأقدار عنهم وقد كنــتُ بقُربى منهم شحيحاً ضنينا
وتَبدلْتُ خالداً لعنةُ اللـــه عليه ولعنـــةُ اللاعنينا
رجل يَقهر اليتيمَ ولا يؤ تى زكاةً ويَنهر المسكينا
ويصون الثيابَ والعِرضُ بالٍ ويرائى ويمنــع الماعونا
نزع الله منه صالح ما أعـــطاه آمين عاجلا آمينا
فلعَمرِ المبادِرين إلى مكـــة وفداً غادين أو رائحينا
إن أضيافَ خالدٍ وبنيـــه لَيجوعون فوق ما يشبعونا
وتراهمْ من غير نُسْك يصومو ن ومن غــير عِلّة يحتمونا
يا بنى خالدٍ دعُوه وفرُّوا كم على الجوع ويحَكم تصبرونا

من مشهور هجائه فى خالد

قال محمد بن يزيد : ومن مشهور شعره فيه قصيدته التى أولها :

٢٧ / ١٨

ألا خبِّروا إن كان عندكمُ خبَرْ أنقفُلُ أم نَثوِى على الهمّ والضّجَرْ ؟
نفى النومَ عن عينى تعرُّض رحلة بها الهمُّ واستولى بها بعده السهر

---

(١) فى أ ، م « تنفض » .
(٢) الخيرى : نبات ذو زهر أصفر ذكى الرائحة .
(٣) الشاهسفرام : الريحان .

فإن أشكُ من ليلِى بجُرْجان طولَه … لقد[1] كنتُ أشكو فيه بالبصرة القِصر
فياحبَّذا بطنُ الخرير[2] وظَهرُه … ويا حسنَ واديه إذا ماؤه زَخر
ويا حبــذا نهرُ الأُبُلَّةِ مَنظرا … إذا مَدَّ فى إبانه النهرُ أو جَزَرْ
وفتيانُ صِدق همُّهم طلبُ العلا … وسيماهُمُ التحجيل فى المجد والغَرَرَ[3]
لَعمرى لقد فارقتُهم غيرَ طائع … ولا طيِّبٍ نفساً بذاك ولا مُقِر
وقائلةٍ ماذا نأَى بك عنهمُ … فقلتُ لها لا عِلْمَ لى فَسَلى القــدر
فيا سفَرا أودى بِلَهوى ولذّتى … ونغّصنى عيشى عَدِمتك مِن سَفر
دعونى وإيّا خالدٍ بعــد ساعة … سيَحمله شِعرى على الأبلق الأغرّ
كأنى بِصدق القول لمــا لقيتُه … وأعلمته ما فيــه ألقمتُه الحجر
دنِيء به عن كل خير بَلادةٌ … لِكلِّ قبيحٍ عن ذراعيه قد حَسَر
له منظر يُعمِى العيــون سماجة … وإن يُختبَر يوماً فياسوء مُختَبَر
أبوك لنا غيثٌ يعاش بوَبْله … وأنت جَراد ليس يُبقِى ولا يذر
له أثر فى المكرمات يسرّنا … وأنت تُعفّى دائماً ذلك الأثر
لقد قُنِّعَتْ قَحطان خزياً بخالد … فهل لكِ فيــه يخزك الله يامضر[4]

قول الرشيد وقد أنشد بيتاً فى هجاء خالد

أخبرنى عيسى بنُ الحسين قال: حدثنى الزبيرُ بن بَـكّار قال: حدثنى عمى قال: أُنشد الرشيد قولَ ابن أبى عُيينة:

لقد قُنِّعتْ قحطانُ خزيا بخالد … فهل لك فيه يُخزِكَ الله يامضر

(١) كذا فى النسخ ولعلها «فقد».
(٢) الخرير: المكان المطمئن بين الربوتين.
(٣) الغرر: البياض فى الوجه.
(٤) م، أ: «فهل لك فيه بعدها يا مضر».

فقال الرشيد : بل يُوَقَّرون ويُشكرون .

يجمع هجاء رجل ومدح أبيه فى بيت

أخبرنى محمدُ بن يحيى الصولىُّ قال : قال لنا أبو العباس محمدُ بن يزيد : لم يجتمع لأحد من المحدَثين فى بيت واحد هجاءُ رجل ومديحُ أبيه كما اجتمع لابن أبى عُيينة فى قوله :

أبوكَ لنا غيثٌ نعيش بِوَبْلِهِ وأنت جراد ليس يبقى ولا يذر

من جيد هجائه فى خالد أيضا

وقال محمدُ بن يزيد : ومن جيّد قوله أيضا يهجو خالداً هذا :

على إخوتى منى السلامُ تحيةً تحيةَ مُثنٍ بالأخوة حامدِ
وقل لهمُ بعد التحية أنتمُ بِنفسى ومالى من طَرِيف وتالد
وعَزَّ عليهمْ أن أقيم بِبَلدة أخا سَقَم فيها قليلَ العوائد
لئن ساءهم ما كان مِن فِعل خالد لقد سرهم ماقد فعلْتُ بخالد
وقد علموا أن ليس منى بِمُفلت ولا يومُه المسكينِ مِنى بواحد
أخالدُ لا زالت من الله لعنةٌ عليكَ وإن كنت ابن عمى وقائدى
أخالدُ كانت صحبَتِيك ضلالةً عَصيتُ بها ربِّى وخالفتُ والدى
وأرسل يَبغى الصلحَ لما تكنَّفت عوارضَ جنبَيه سياطُ القصائد
فأرسلتُ بعد الشرّ أنى مسالم إلى غير مالا تشتهى غيرُ عائد

٢٨
١٨

هو أهجى المحدثين فى عصره

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكُرانىّ قال : زعم القَحْذَمىّ أن الرشيد قال للفضل بن الربيع : مَن أهجى المحدَثين عندك يافضلُ فى عصرنا هذا ؟ قال : الذى يقول فى ابن عمه :

لو كما يَنقص يزدا د إذاً نال السماءَ
خالدٌ لولا أبوه كان والكلبَ سواء

أنا ما عشتُ عليـه أسوأُ النـاس ثناء
إنّ مَنْ كان مسيئا لحقيق أن يُساء

فقال الرشيد : هذا ابنُ أبى عُيَينة ، ولعمرى لقد صدقت .

يقرأ الهادى قصيدة أرسلها إليه فيرده من جيش خالد

أخبرنى الحسنُ بن عُلىّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدثنى أبى قال: كان ابنُ أبى عُيينة مع ابنِ عمه خالد بجُرْجانَ ، فأساء به وجفاه ، وكان لابن أبى عُيينة صديقان من جُند خالدٍ من أهل البصرة ، أحدهما مُهلّبى والآخر مَولى للأَزْد ، وكلهم شاعر ظريف ، فكانوا يمدحون السَّراة من أهل جُرْجان فيصيبون منهم ما يقُوتهم . وولىَ موسى الهادى الخِلافةَ فكتب ابنُ أبى عُيَينة إلى من كان فى خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة :

كيف صَبرى ومنزلى جُرْجانُ والعراق البـلادُ والأوطانُ ؟
نحن فيهـا ثلاثةٌ حُلَفاء وندامَى على الهوَى إخوانُ
نتساقى الهوَى ونَطرب للذّكـر كما تُطرب النشاوَى القِيانُ
وإذا ما بكَىَ الحمـامُ بكَينا لِبُـكاه كأننـا صبيانُ
يازمانى الماضِى ببغدادَ عُدْ لى طالمـا قد سَررْتنى يا زمانُ
يا زمانى المسىءَ أحسنْ فقِدْما كان عندى مِن فعلك الإحسانُ
ما يريد العُذّال منى أمَا يُتـرَكُ أيضا بِغَمه الإنسانُ ؟[1]
ويقولون أملِكْ هواكَ وأقصِر قلت مالِى على الهوَى سلطانُ
أيها الكاتمُ الحديثَ وقد طا ل به الأمرُ وانتهى الكتمانُ

---
(١) فى أ ، م : «إنسان» .

قد لعَمرى عرّضْتَ حينا فبَيّنْ   ليس بعد التعريض إلا البيانُ
واتخِذ خالداً عدوًّا مبيناً   ما تعادَى الإنسان والشيطانُ
واللهُ عنه فما يضرُّكَ منه   عَضُّ كلبٍ ليست له أسنانُ
ولعَمْرى لولا أبوه لنالَتْـ   ـه بسوء منّى يدٌ ولسانُ
قل لفتياننا المقيمين بالبا   بِ ثِقوا بالنجاح يا فتيانُ
لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى   فلَكُمْ من ردَى الزمان أمانُ
أوَلم تأته الخلافةُ طوعاً   طاعةً ليس بعدها عصيانُ؟
فهْى منقادة لموسى وفيها   عن سواه تَقاعسٌ وحِرانُ ٢٩/١٨
قل لموسى يا مالكَ المُلك طوعاً   بقِياد وفى يديك العِنانُ
أنت بحرٌ لنا ورأيك فينا   خيرُ رأيٍ رأى لنا سلطانُ
فاكفِنا خالداً فقد سامنا الخسـ   ـفَ رماه لحتفه[1] الرحمنُ
كَمْ إلى كم يُغضَى على الذّل منه   وإلى كم يكون هذا الهوانُ ؟

قال : فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادى أمر له بصلة ، وأعطاه ما فات من رزقه ، وأقفله من جيش خالد إليه .

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى أ ، م : « بحتفه » .

صـوت

أين محَلّ الحىّ يا وادى؟ خبِّر سقاك الرائح الغادى
مُستصحِب لِلحرب خَيفانةً[١] مثلَ عُقاب السَّرحة[٢] العادى
بين خُدور الظُّعْن محجوبةٌ حَدا بِقلبى معها الحادى
وأسْمَرا[٣] فى رأسه أزرق[٤] مِثلُ لِسان الحيـة الصادى

الشعر لدِعبلِ بنِ علىّ الخُزاعىّ ، والغناء لأحمدَ بن يحيى المكىّ ، خفيف ثقيل مطلَق فى مجرى الوُسطى عن أبى عبد الله الهِشامى .

---

(١) خيفانة : يريد فرسا أو ناقة خفيفة وثابة .
(٢) السرحة : الشجرة العظيمة .
(٣) كذا فى م ، مد . وفى س ، ب : « وأسمر » .
(٤) المراد نصل أزرق ، أى شديد الصفاء .

أخبارُ دِعبل بن علىّ ونسبه

نسبه وكنيته

هو دِعْبلُ بنُ علىٍّ بنِ رَزِين بنِ سليمان بنِ تميم بنِ نَهشَلِ بنِ خِداشِ بنِ خالد ابنِ عبدِ بنِ دِعْبلِ بنِ أَنَسِ بنِ خُزَيمةَ بنِ سلامانَ بنِ أَسلَمَ بنِ أفصَى بنِ حارثةَ بنِ عمرِو بنِ عامرِ بنِ مُزَيْقيا[1]، ويكنى أبا على .

شاعريته

شاعرٌ متقدِّم مطبوع هجاء خبيثُ اللسان ، لم يَسلم عليه أحـدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهةٍ ، أحسنَ إليه أو لم يحسن ، ولا أفلَت منه كبيرُ أحد .

يناقض الكميت فى مذهبه فينا قضه المخزومى

وكان شديد التعصب على النِّزارية لِلقحطانيّة ، وقال قصيدة يردّ فيها على الـكُميتِ ابن زيد ، ويناقضه فى قصيدته المُذهَبة التى هجا بها قبائل اليمن .

* ألا حُيِّيتِ عنا يامَرينا[2] *

فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فنهاه عن ذكر الـكُميت بسوء .

وناقَضه أبو سعد المخزومىُّ فى قصيدته وهاجاه ، وتطاول الشرّ بينهما ، فخافَتْ بنو مخزوم لسانَ دِعبل وأن يعمَّهم بالهجاء ، فنفَوا أبا سعد عن نسبهم ، وأشهَدوا بذلك على أنفسهم .

تشيعه ومكافأة على بن موسى الرضا له

وكان دِعبلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى على صلوات الله عليه ، وقصيدته

* مدارس آيات خلَت من تلاوة *

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة فى أهل البيت ، عليهم السلام ، وقَصد بها أبا الحسن[3] علىّ بن موسى الرّضا ، عليه السلام ، بخُراسان ، فأعطاه عشرة آلاف درهم

---

(١) فى س ، ب : «هو يكنى» .
(٢) م ، أ : «مدينا» .
(٣) كذا فى م ، أ ، مد . س ، ب : «أبا على» .

من الدراهم المضروبة باسمه ، وخلع عليه خِلعة من ثيابه ، فأعطاه بها أهلُ قُمَّ(١) ثلاثين ألفَ دِرهم ، فلم يَبِعها ، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : إنها إنما تراد لله عزّ وجل ، وهى محرَّمة عليكم ، فدَفعوا إليه ثلاثين ألف دِرهم ، فحلف ألاّ يبيعها أو يعطوه بعضَها ليكون فى كفَنه ، فأعطوه فَرْدكُمّ ، فكان فى أكفانه .

وكتب قصيدتَه : «مدارسُ آيات» فيما يقال على ثوب، وأحرَم فيه ، وأمر بأن يكون فى أكفانه . ولم يزَل مرهوبَ اللسان وخائفا من هجائه للخلفاء ، فهو دهرَه كلَّه هارب مُتوارٍ .

٣٠/١٨

حدثنى إبراهيم بن أيوبَ قال : حدثنا عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتَيبة قال :

رأيت دِعبلَ بنَ علىّ وسمعتُه يقول : أنا أحمل خشبتَى على كتفِى منذ خمسين سنة ، لست أجد أحدا يصلبنى عليها .

إبراهيم بن المهدى يحرض المأمون عليه

حدثنى عمى قال : حدثنا ميمونُ بن هرونَ قال : قال إبراهيمُ بن المهدى للمأمون قولا فى دِعبل يحرضه عليه ، فضحك المأمون ، وقال : إنما تحرضنى عليه لقوله فيك :

يا معشَر الأجناد لا تَقنطوا وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطَون حُنَيْنِيَّة(٢) يلتذها الأمرد والأشمط
والمَعْبَدِيّات(٣) لِقُوّادِكم لا تَدخلُ الكيس ولا تُربط
وهكذا يَرزق قُوّادَه خليفةٌ مصحفُه البَرْبَط(٤)

فقال له إبراهيم : فقد والله هجاكَ أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : دَعْ هذا عنك فقد

(١) قم : مدينة إسلامية مصرها طلحة بن الأحوص بينها وبين قاشان اثنا عشر فرسخا .
(٢) حنينية : يريد أغانى منسوبة إلى حنين المغنى .
(٣) المعبديات : يريد الأغانى المنسوبة إلى معبد .
(٤) البربط، كجعفر : العود.

عفَوتُ عنه فى هجائه إياى لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عبّاد ، فلما رآه المأمون من بُعْد قال لإبراهيم : دِعبلٌ يَجسُر على أبى عبّادٍ بالهجاء ويُحجم عن أحد ؟ فقال له : وكأنّ أبا عبّاد أبسط يدًا منك يا أمير المؤمنين ؟ قال لا ، ولكنه حديد جاهل لا يؤمنَ ، وأنا أحلُم وأصفَح . والله ما رأيت أبا عبّاد مقبلا إلا أضحكنى قول دعبل فيه :

أوْلَى الأمور بضَيعة وفساد ... أمرٌ يدبِّره أبو عبّـــاد

وكأنه من دَيرِ هِزْقلَ مُفلِتٌ[1] ... حَرِدٌ[2] يجرّ سلاسل الأقياد

ماقاله أبوه من الشعر

أخبرنى الحسن بن على الخَفّاف قال : حدثنى محمد بن القاسم بنِ مَهْرويه قال : حدثنى أبى قال : أخبرنى دِعبلُ بن علىّ قال : قال لى أبى علىُّ بنُ رَزِين : ما قلت شيئا من الشعر قَطّ إلا هذه الأبيات :

خليلَىّ ماذا أرتجى مِن غد امرئٍ ... طوى الكشحَ عنّى اليومَ وهْو مكين

وإن امرأ قد ضَنّ منه بمَنطِقٍ ... يُسَدّ به فقرُ امرئٍ لضنين

وبيتين آخرين وهما :

أقول لمّا رأيتُ الموتَ يطلبنى ... يا ليتنى دِرهم فى كِيس ميّاح

فياله درهما طالت صيانتـــه ... لا هالكٍ ضَيعةً يوما ولا ضاح

(١) دير هزقل : دير بداوردان ، وهزقل هو حزقل كزبرج ، أو حزقيل النبى . وفى س ، ب : «هرقل» ، تحريف وداوردان : قرية شرقى واسط بينهما فرسخ . وقع فيها الطاعون فخرج أهلها هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا . وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى فأوحى إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياما .

(٢) حرد : غضبان .

اسمه واشتقاق دعبل

أخبرنى علىُّ بنُ صالحِ بن الهَيثم الـكاتبُ قال: حدثنى أبو هَفّان قال: قال لى دِعبلٌ قال لى أبو زيد الأنصارىُّ :

مِمّ اشتُق دِعبل؟ قلت : لا أدرى ، قال : الدِّعبل : الناقة التى معها ولدُها .

أخبرنى محمدُ بنُ عِمران الصّيرفىُّ قال : حدثنى العَنَزى قال : حدثنى محمدُ بنُ أيوبَ قال :

دِعبلٌ اسمه محمد ، وكنيته أبو جعفر ، ودعبل : لَقَب لُقِّب به .

وحدّثنى بعض شيوخنا عن أبى عمرو الشيبانىِّ قال : الدِّعبل : البعير المُسِنّ .

أحد اثنين ختم بهما الشعر

أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدّثنى محمدُ بنُ القاسم بن مَهرُويه قال: سمعتُ حُذَيفة ابنَ محمد الطائىِّ يقول : الدِّعبِل : الشىء القديم . قال ابن مَهْرُويه : سمعت أبى يقول : خُتِم الشعر بدِعبل، قال : وقال أبى : كان أبو محلّم يقول : خُتِم الشعر بعُمارة بنِ عقيل .

٣١/١٨

رده على الكميت وضع قدره

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال : حدّثنا ابن مَهرُويه قال : سمعتُ أبى يقول: لم يزَل دِعبِل عند الناس جليل القدر حتى ردّ على الـكُمَيت بنِ زيد :

ألا حُيِّيت عنا يا مرينا

فـكان ذلك مما وضعه . قال: وقال فيه أبو سعد المخزومىّ :

وأعجبُ ما سمعنا أو رأينـا هجاءُ قالَه حىٌّ لميْتِ
وهـذا دِعبل كَلِفٌ مُعَنًّى بتسطير الأهاجى فى الـكُميت
وما يهجو الـكميت وقد طواه الر دى إلا ابن زانيـة بزيت (١)

من ظن أن كلمة دعبل شتم

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدّثنى محمدُ بن زَيد قال : حدّثنى دِعبل قال :

(١) زيادة من م ، ف ، مد .

كنتُ جالساً مع بعض أصحابنا ذاتَ يوم ، فلما قمت سأل رجل لم يَعرفنى — أصحابَنا عنّى ، فقالوا : هذا دعبل ، فقال : قولوا فى جليسِكم خيراً ، كأنه ظن اللقب شتما .

يصيح فى أذن مصرع : دعبل ، فيفيق

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ قال : حدّثنى محمدُ بن يزيدَ قال : حدّثنى دعبل قال :

صُرِع مجنون مرة فصِحت فى أذنه : دِعبلٌ ، ثلاث مرات ، فأفاق .

وأخبرنى بهذين الخبرين الحسنُ بنُ على عن ابن مَهْرُويَه عن محمد بنِ يزيدَ عن دِعبل — وزاد فيه : قال دعبل: وصُرِع مرة مجنون بحضرتى فصِحْت به : دعبل ، ثلاث مرات فأفاق من جنونه .

سبب خروجه من الكوفة

أخبرنى محمدُ بنُ عِمران الصَّيرفىُّ أبو[1] أحمدُ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزى قال: حدّثنى علىُّ بن عمرو بن شيبان قال : حدّثنى أبو خالد الخُزاعىُّ الأسلَمىُّ ، قال العنَزِىّ : وقد كتبتُ عن أبى خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر ، قال :

كان سبب خروج دِعبل بن علىّ من الكوفة أنه كان يَتَشطّر ويصحب الشُّطار ، فخرج هو ورجل من أشجعَ فيما بين العِشاء والعَتَمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كلَّ ليلة بِكِيسِه[2] إلى منزله ، فلما طلع مقبلا إليهما وثَبا إليه فجرَحاه، وأخذا ما فى كُمِّه ، فإذا هى ثلاث رُمانات فى خِرقة ، ولم يكن كيسُه ليلتئذ معه ، ومات الرجل مكانَه ، واستتر دعبل وصاحبُه ، وجَدّ أولياء الرجل فى طلبهما ، وجَدّ السلطان فى ذلك ، فطال على دعبل الاستتار ، فاضطُر إلى أن هرب من الكوفة . قال أبو خالد : فما دخلها حتى كتبتُ إليه[3] أعلمه أنه لم يَبق من أولياء الرجل أحد .

---

(١) زيادة فى س ، ب ، مد .
(٢) كذا فى م ، أ . س ، ب : «بكسبه» ، تحريف .
(٣) فى م ، أ : «كتبت إليه وكتب إليه أعلمه» .

يشرح أسباب هجائه الناس

أخبرنى محمدُ بن عِمرانَ قال: حدّثَـنِى أبو خالدا لُخزَاعىُّ الأَسْلىُّ قال:

قلت لدِعبل: ويحَك! قد هجَوْت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترتَ الناس جميعاً، فأنت دهركَ كلَّه شَرِيد طريد هارب خائف، فلو كففْتَ عن هذا وصرفْتَ هذا الشرَّ عن نفسك! فقال: ويحك؟ إنى تأملْتُ ما تقول، فوجدْتُ أكثرَ الناس لا يُنْتَفَع بهم إلا على الرهبة، ولا يبالىَ بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخَف شرُّه، ولَمَنْ يتقيك على عرضه أكثرُ ممن يرغب إليك فى تشريفه. وعيوبُ الناس أكثر من محاسنهم، وليس كلّ من شرّفتَه شرُف، ولا كلُّ منوصفتَه بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفَع بقولك، فإذا رآك قد أوجعْتَ عرض غيره وفضحتَه — اتقاك على نفسه وخاف من مثلِ ماجرى على الآخر. ويحك، يا أباخالد إن الهجاء المقذع [1] آخذُ بِضَبع الشاعر من المديح المضرِع. فضحكْتُ من قوله، وقلت: هـذا والله مقالُ مَن لا يموت حَتْفَ أنفه.

٣٢/١٨

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه قال: حدّثنى الحمدوىّ الشاعر قال:

سمعْت دِعبل بنَ علىّ يقول: أنا ابن قولى:

البيت الذى عرف به

لا تَعجبى ياسلم مِن رجل ضحك المَشيبُ برأسه فبكى

وسمعت أبا تمام يقول: أنا ابن قولى:

نَقّل فؤادكَ حيث شئتَمن الهوى ما الحبّ إلا للحبيب الأول

---

(١) كذا فى م، أ. س، ب: «المفرع»، تحريف.

قال الحمْدَوى : وأنا ابن قولى فى الطيْلَسان :

طال تَرْدادُه إلى الرَّفْو حتى   لو بعثناه وحده لتهدّى

قال الحَمْدَوىّ : معنى قولنا : أنا ابنُ قولى ، أى أنى به عُرِفت .

يسرق بيتاً ويتفوق فيه على صاحبه

أخبرنى علىُّ بنُ صالحٍ قال : حدّثنى أبو هَفّان قال : قال مسلم بن الوليد :

مستعبِرٌ يبكى على دِمنة   ورأسه يضحك فيه المَشيبْ

فسرَقه دعبل ، فقال :

لا تعجبى ياسلم من رَجل   ضحك المَشيب برأسه فبكى

فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحقَّ به منه .

قال أبو هَفّان : فأنشدت يوماً بعض البصريين الحَمْقى قول دِعبل .

ضحك المَشيب برأسه فبكى

فجاءنى بعد أيام ، فقال: قد قلتُ أحسن من البيت الذى قاله دعبل ، فقلت له : وأىُّ شىء قلت ؟ فتمنّع ساعة ، ثم قال : قلت :

قهقَهَ فى رأسك القَتيرُ[1]

أخبرنى بهذه الحكاية الحسنُ بنُ على عن ابن مَهْرُوَيَه عن أبى هفّان ، قال : ذكر نحوه ، وزاد فيه ابن مَهْرُوَيَهْ وحدّثنى الحَمْدَوِى قال : سمع رجل قول المأمون :

قبّلتُه من بَعيد   فاعتلّ من شفتيه

فقال :

رَقّ حتى تورّمَتْ شفتاه   إذ توهّمتُ أن أقبِّل فاه

(١) القتير : الشيب .

يرتاح لشعر له غنت جارية به

أخبرني عليّ بن الحسن[1] قال: حدثني ابن مَهْرُوَيه قال: حدثني أبو ناجية — وزعم أنه من وَلد زُهَير بن أبي سُلمى — قال:

كنتُ مع دِعبل في شَهْرَزُور[2]، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قَيْنة محسنة فغنّت الجارية بشعر دعبل:

أين الشباب وأيةً سلَكا؟ ... لا، أين يُطلب؟ ضلَّ، بل هلَكا

قال: فارتاح دعبل لهذا الشعر وقال: قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة.

نسبة هذا الصوت

صوت

أين الشبابُ وأيةً سلَكا؟ ... لا، أين يطلب؟ ضل، بل هلَكا
لا تعجَبي يا سَلْمِ من رجل ... ضحِك المشيبُ برأسه فبكى
ياليت شِعْرى كيف نَوْمُكما ... يا صاحبي إذا دَمِي سُفِكا[3]
لا تأخذوا بِظُلامتي أحدا ... قلبي وطرْفي في دَمي اشتركا

قال: والغناء لأحمدَ بنِ المكيِّ، ثقيل أولُ بالوُسطى مطلَق.

يسرق من شعر الحسين بن مطير

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا ابن مَهْرُويْه قال: حدثني أبو المثنّى أحمدُ بنُ يعقوبَ بنِ أختِ أبي بكرٍ الأصمِّ قال:

٣٣/١٨

كنا في مجلس الأصمعيّ، فأنشده رجل لدِعبل قوله:

لا تعجَبي يا سَلْم من رجل ... ضحِك المشيبُ برأسه فبكى

(١) م، ى: «أخبرني الحسن بن علي».
(٢) شهرزور: كورة بين إربل وهمذان، أحدثها زور بن الضحاك. ومعنى شهر بالفارسية: المدينة.
(٣) زيادة من م، ى، مد.

فاستحسناه ، فقال الأصمعى : إنما سرقه من قول الُحسَين بنِ مُطَير الأسَدىّ :

أين أهلُ القِباب بالدهناء ؟ أين جيراننا على الأحساء ؟[١]
فارقونا والأرضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ رَ الأقاحى تُجاد بالأنواء
كلّ يوم بأُقحُوان جـديدٍ تَضحك الأرضُ من بُكاء السماء

يهجو جماعة أكلوا ديكا له وقع لهم

أخبرنى أحمدُ بن العباسِ العسكرىُّ قال: حدثنى الحسنُ بن عُلَيل العَنَزىّ قال: حدثنى أحمدُ بنُ خالدٍ قال :

كنا يوماً بِدار صالحِ بنِ علىٍّ مِن عبد القيس ببغدادَ ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنينة[٢] فى سطحه — ديكٌ طار من دار دِعبل ، فلمارأيناه قلنا هذا صَيدُنا ، فأخذناه . فقال صالح : مانصنع به؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه ، وشويناه . وخرج دِعبل فسأل عن الديك فعَرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا ، فجحَدناه ، وشربنا يومنا . فلما كان من الغد خرج دِعبل فصلّى الغداة ، ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمعَ الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، وينتابهم الناس ، فجلس دعبل على المسجد وقال :

أسَرَ المؤذِّنَ صالحٌ وضيوفُه أسْرَ الكمىّ هفا خلال المـاقِط[٣]
بَعثوا عليه بَنيهمُ وبناتِهم من بين ناتفةٍ وآخرَ سامط
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا خاقان[٤] أو هزموا كتائب ناعط
نهشوه فانتُزعَت له أسـنانهم وتهشَمت أقفاؤهم بالحائط

(١) الأحساء : جمع حسى كظبى ، وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، وقيل غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر .
(٢) الكنينة : تصغير الكنة ، بالضم . ومن معانيها : الظلة .
(٣) الماقط : المضيق فى الحرب .
(٤) الخاقان : اسم لكل ملك خقنه الترك ، أى ملكوه عليهم .

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى وقد رجع إلى البيت : ويحكم ، ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دِعبل ؟ ثم أنْشَدنا الشعر ، وقال لى : لا تدَع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته ، وبعثْتَ به إلى دعبل ، وإلا وقعنا فى لسانه ، ففعلْت ذلك . قال وناعط قبيلة من هَمْدان(١) ومُجالد بنُ سعيد ناعطىٌّ قال : وأصله جَبَل نزلوا به ، فنُسبوا إليه .

يهجو غير معين ، ثم يذكر فيه اسم من يغضب عليه

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنى ابن مَهْرُويه قال : حدثنى أحمد بن أبى كامل قال : كان دعبل يُنشدنى كثيراً هجاء قاله ، فأقول له : فيمن هذا ؟ فيقول ما استَحقه أحدٌ بعَينه بعد ، وليس له صاحب ، فإذا وَجِد علىْ رجل جعل ذلك الشعر فيه ، وذكر اسمه فى الشعر .

وقد أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ عن ابنِ مَهْرُوَيه عن أحمدَ بنِ أبى كامل بهذا الخبر بعَينه ، وزاد فيه — فيما ذكر ابن أبى كامل — أنه كان عند صالح هذا فى يوم أخْذِه دِيكَ دعبل ، قال : وهو صالح بنُ بِشرِ بن صالحِ بنِ الجارودِ العَبْدِىُّ .

يهجو أبا نضير الطوسى لأنه لم يرضه فى مدحه

أخبرنى محمدُ بنُ عِمران قال حدثنى العَنَزِىّ قال حدثنى أحمدُ بنُ محمدِ بن أبى أيوبَ قال :

مدح دِعبلٌ أبا نَضير(٢) بنِ حُمَيدِ الطُّوسىَّ ، فقصّر فى أمره ولم يُرضه من نفسه ، فقال عند ذلك دِعبل فيه يهجوه :

أبا نَضير تَحلْحلْ عن مجالسِنا ... فإنّ فيك لمن جاراك منتقَصا
أنت الحمار حُرونا إن وقفْتَ به ... وإن قصدْتَ إلى معروفه قَمَصا

---

(١) كذا فى م ، أ . وفى س ، ب «همذان» ، تحريف .

(٢) م ، ى . «أبا نصر بن حميد» ، تحريف .

٣٤/١٨

إنى هززتُك لا آلوك مجتهداً لو كنتَ سيفاولكنى هززْت عصا

أبو تمام يهجوه ويتوعده

قال : فشكاه أبو نَضير إلى أبى تمام الطائىّ ، واستعان به عليه ، فقال أبو تمام يجيب دِعبلا عن قوله ، ويهجوه ويتوعده :

أدعبلُ إن تطاولَت الليالى عليك فإن شِعرى سمّ ساعَهْ
وما وَفد المشيب عليك إلا بأخلاق الدناءة والضّراعه[1]
ووجهُك إن رضيتَ به نَديما فأنت نَسيج وحدِك فى الرّقاعه
ولو بُدّلتَه وجها بوَجه لما صلّيتَ يوماً فى جماعه
ولكن قد رُزقْت به[2] سِلاحاً لو استعصَيتَ ما أعطيتَ[3] طاعه
مَناسِب طَيِّئٍ قُسمَت فدعها فليسَتْ مثلَ نِسبتك المُشاعه
وروّح مَنْكِبيك فقد أعيدا حُطاماً من زِحامك فى خُزاعه

قال العنَزِىّ : يقول إنك تزاحم خُزاعةَ ، تدّعى أنك منهم ولا يقبلونك .

يهجو الخاركى لأنه هجاه

أخبرنى محمدُ بنُ عِمران قال حدثنى العَنَزِىّ قال : حدثنى محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أيوبَ قال : تعرّض الخارَكىّ[4] النصرى — وهو رجل من الأزد — لدعبِل بن علىٍّ فهجاه ، وسبّه ، فقال فيه دعبل :

وشاعرٍ عرّض لى نفسَه لخارك آباؤه تَنْمِى
يَشتُم عرضى عند ذكرى وما أمسى ولا أصبح مِن همى

(١) وفى س ، ب : «الرضاعة» ، تحريف .
(٢) فى س ، ب : «له» .
(٣) فى الديوان : «ما أديت» .
(٤) نسبة إلى خارك : جزيرة بالخليج الفارسي . ضبطها اللباب بكسر الراء ، والقاموس ومعجم البلدان بفتحها .

فقلت لا بل حبذا أمه خيِّرةٍ طـاهرة عِلى
أكذبُ والله على أمه كـكِذبه كان[1] على أمى

يعده ابن المدبر أجسر الناس لهجائه المأمون

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال حدثنا ابن مَهْرُوَيه قال حدثنى إبراهيم بنُ المدبّر قال :

لقيتُ دِعبِلَ بنَ علىّ ، فقلت له : أنت أجسر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول :

إنى مِن القوم الذين سيوفُهم قتلَتْ أخاك وشرّفتك بمقعد[2]
رَفعوا محَلك بَعد طولِ خُموله واستنقذوك من الحَضيض الأوهد

فقال : يا أبا إسحقَ ، أنا أحمِل خشبتى منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصلبنى عليها .

يرثى ابن عم له

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدثنا محمدُ بن يزيدَ قال :

قال دِعبِل بنُ علىٍّ يرثى ابنَ عم له من خُزاعة نُعى إليه ، قال محمدُ بنُ يزيدَ : ولقد أحسن فيها ما شاء :

كانت خُزاعة مِلءِ الأرض ما اتسعَت فقَصَّ مَرُّ الليالى من حواشيها
هذا أبو القاسم الثـاوى بِبَلْقعة تَسفِى الرياحُ عليه من سوافيها
هبّت وقد علمَتْ أن لا هُبوب به وقد تـكون حَسِيرا إذ يباريها
أضحى قِرًى للمنايا إذ نَزلْن به وكان فى سالف الأيام يَقريها

حدثنى الحسن بنُ مَهْرُوَيه عن أبيه ، فذكر أن المَنعىّ إلى دِعبلٍ أبو القاسم

(١) فى س ، ب ، مد . « أيضا » .

(٢) يشير إلى ما فعله طاهر بن الحسين من قتل الأمين ، وعقد البيعة للمأمون وتوطيد الخلافة له . وكان طاهر خزاعيا بالولاء .

المطّلبُ بنُ عبدِ الله بنِ مالك ، وأنه نُعِىَ إلى دِعبل ، وكان هو بالجَبل ، فرثاه بهذه الأبيات .

أخبرنى الأخفش قال : حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ ، قال :

٣٥ / ١٨

يتوعده إسماعيل بن جعفر ، فيعيره بالهرب من زيد ابن موسى

بلغ إسماعيلَ بنَ جعفرِ بنِ سليمانَ أن دِعبلا هجاه ، فتوعده بالمكروه وشتمه ، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز ، فهرب من زيدِ بنِ موسى بنِ جعفر بنِ محمد لما ظهر وبيّض فى أيام أبى السرايا ، فقال دعبل بن على يعيّر إسماعيل بذلك :

لقد خلّف الاهوازَ من خاف ظَهره ... يريد[1] وراءالزاب[2] من أرض كَسْكَر[3]
يهوّل إسماعيلَ بالبيض والقنا ... وقد فرّ مِن زيد بن موسى بن جعفر
وعاينته فى يومَ خلّى حريمَه ... فيا قبحَها منه ويا حسنَ منظر

كان يتشطر بالكوفة وهرب منها بعد ما قتل صيرفيا

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال حدثنا ابن مَهْرُوَيه قال حدثنى ابنُ الأعرابىّ عن أبى خالدِ الأسلمىّ قال :

كان دِعبل بنُ علىٍّ الخُزاعىُّ بالكوفة يتشطر وهو شابّ ، وكانت له شَعْرة[4] جَعْدة ، وكان يَدْهُنها ويُرَجّلها حتى تكاد تَقطر دهنا ، وكان يُصلت[5] على الناس بالليل ، فقَتل رجلا صَيرفيا ، وظن أن كِيسَه معه ، فوجد فى كُمه رمّانا ، فهرب من الكوفة ، وكنتُ إذا رأيت دِعبلا يَمشى رأيت الشطارة فى مِشيَته وتبختُره .

أخبرنى الحسنُ قال : حدثنا ابنُ مَهْرَوَيه قال: حدثنى الحَسَنُ بنُ أبى السَّرِىّ قال :

---

(١) س ، ب : « يزيد » ، تحريف .
(٢) الزاب : اسم لعدة أنهر ، منها نهر بين سوراء وواسط ، وآخر بقربه .
(٣) كسكر : كورة تشمل البصرة ونواحيها .
(٤) الشعرة : واحدة الشعر ، وقد يكنى بها عنه .
(٥) أصلت السيف : جرده .

يتطير من عمير الكاتب فيهجوه

كان عُميرٌ الكاتب أقبحَ الناس وجها ، فلقى دِعبلا يوما بُكْرةً وقد خرج لحاجة له ، فلما رآه دعبل تَطيَّر من لقائه ، فقال فيه :

خَرجْتُ مبكرا من سُرَّ مَن را أُبادر حاجة فإذا عُمَيرُ
فلم أَثْنِ العِنان وقلت أمضى فوجهك[1] يا عميرُ خِراً وخَير

يهدد عبد الرحمن بن خاقان لأنه بعث إليه برذونا يظلع

أخبرنى الحسنُ قال حدثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال : حدثنى الحسنُ بن أبى السّرِىّ قال حدثنى دعبل قال :

مدحتُ عبد الرحمن ابنَ خاقان ، وطلَبْت منه بِرْذَونا ، فبعث إلىّ[2] بِبِرْذَونٍ غامز ، فكتبت إليه :

حملتَ على قارح[3] غامز[4] فلا لِلركوب ولا للثمنْ
حملتَ على زَمِنٍ ظالع فسوف تُكافا بشُكر[5] زَمِن

فبعث إلىّ ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه ، وألفَى درهم .

قال ابن مَهْرُوَيَه وحدثنى إسحاقُ بنُ إبراهيم العُكْبَرِىّ عن دِعبلٍ أنه مدح يحيى بنَ خاقان ، فبَعث إليه بهذا البِرْذَوْن .

يهجو خريجه الفضل بن العباس لأنه عابه

أخبرنى الحسنُ قال : حدثنا ابنُ مَهْرُوَيَه قال : قال الحُسَيْن بنُ دِعبل : كان أبى يختلف إلى الفضل بن العباسِ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعث ، وهو خرّجه وفهَّمه وأدّبه ، فظهر له منه جفاء ، وبلغه أنه يَعيبه ويذكره ، وينال منه ، فقال يهجوه :

(١) ب . م ، أ : « لأنك ياعمير » .
(٢) م ، أ . «فحمله إلى غامزا» . س ، ب : «غامرا» ، تحريف .
(٣) القارح : الذى شق نابه وطلع من ذى الحافر .
(٤) غامز : يغمز فى مشيه . م ، أ : «شاعرا» .
(٥) فى م ، أ : «بشعر» .

يا بؤسَ للفضل لو لم يأت ما عابه … يستفرغ(١) السم من صماء(٢) قرضابه(٣)

ما إن يزال وفيه العيب يجمعه … جهلا لأعراض أهل المجد(٤) عيّابه

إن عابنى لم يَعب إلا مؤدِّبَه … ونفسَه عاب لما عاب أدّابه

فكان كالكلب ضَرّاه مكلِّبُه … لِصيده فعدا فاصطاد كَلّابه

يهجو ابن أبى دواد لأنه كان يطعن عليه

أخبرنى الحسنُ قال : حدثنا ابنُ مَهْرُويه قال : حدثنى أبو جعفرٍ العِجلىُّ قال :

كان أحمدُ بنُ أبى دُوادٍ يَطعن على دِعبل بحَضرة المأمون والمعتصم ، ويسبه تقربا إليهما لهِجاء دِعبل إياهما ، وتزوج ابنُ أبى دُواد امرأتين من بنَى عِجل فى سنة واحدة ، فلما بَلغ ذلك دعبلا قال يهجوه :

٣٦/١٨

غَصبْتَ عِجلا على فَرجَين فى سنة … أفسدتَهمْ ثم ما أصلحْتَ من نَسبكْ

ولو خَطبْتَ إلى طَوق وأسرتِه … فزوجوك لما زادوك فى حسَبك

نِكْ مَن هويتَ ونَلْ ما شئتَ من نَشَب(٥) … أنت ابنُ زِرياب(٦) منسوبا إلى نَشَبك

إن كان قوم أراد الله خِزيهمُ … فزوجوك ارتغابا منك فى ذهبك

فذاك يوجب أن النبعَ(٧) تجمعه … إلى خلافك(٨) فى العيدان أو غَرَبك(٩)

---

(١) فى م ، ا : «يستنزر» ، يعطى شيئا ليرد عليه أكثر مما أعطى .

(٢) الصماء : الداهية .

(٣) القرضابة : الذى لا يدع شيئا إلا أكله .

(٤) فى م ، أ : «الأرض» .

(٥) كذا فى م ، أ . س ، ب : «نسب ، نسبك» ، وكل تحريف .

(٦) لعله على بن نافع المغنى مولى المهدى . وكان أسود اللون فصيح اللسان .

(٧) النبع : شجر للقسى والسهام ، ينبت فى قلة الجبل .

(٨) الخلاف : شجر يشبه الصفصاف .

(٩) الغرب : نوع من الشجر .

ولو سكتّ ولم تخطب إلى عرب لما نبشْتَ[1] الذى تطويه من سببك
عُدّ البيوتَ التى ترضى بخطبتها تجد فَزارةَ العكليّ من عرَبك

قال: فلقيه فَزارة العُكليّ، فقال له: يا أبا عليّ، ما حملك على ذكرى حتى فضحتنى، وأناصديقك؟ قال: يا أخى والله ما اعتمدتُك بمكروه، ولكن كذا جاءنى الشعر لبلاء صبه الله عز وجل عليك لم أعتمدك به.

يهجو جارية عبثت به في مجلس

أخبرنى جعفرُ بن قُدامة قال: حدثنى هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزياتِ قال: حدثنى أبو خالد الأسلميُّ الكوفيّ قال:

اجتمعْتُ مع دِعبل فى منزل بعض أصحابنا، وكانت عنده جارية مغنّية صفراء مليحة حسنة الغناء، فوقع لها العبَث بدِعبل والعنَت والأذى له، ونهيناها عنه، فما انتهت، فأقبل علينا فقال: اسمعوا ما قلت فى هذه الفاجرة، فقلنا: هات، فقد نهَيناها عنك، فلم تنته، فقال:

تخضِب كفّاً قُطعت من زَندها فتخضِب الحنّاء من مُسودّها
كأنها والكحل فى مِرْودها تَكحَل عينيها ببعض جلدها
* أشبهُ شىء آستُها بخدّها *

قال: فجلست الجارية تبكى، وصارت فضيحة، واشتهرت بالأبيات، فما انتفعت بنفسها بعد ذلك.

يحبسه العلاء بن منظور ويضربه في جناية بالكوفة فيخرج منها

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدثنى هارون قال: حدثنى أبى وخالدٌ قالا:

كان دِعبل قد جنَى جنايةً بالكوفة وهو غلام، فأخذه العَلاء بنُ منظورٍ الأسدىُّ، وكان على شُرْطة الكوفة من قِبَل موسى بن عيسى، فحبسه، فكلمه فيه عمُّه سليمان بن

(١) س، ب: «ونشبت»، تحريف.

رَزِين ، فقال : أضرِبه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطعَ يده ، فلعله أن يتأدب بضربى إياه ، ثم ضربه ثلثمائةِ سوط ، فخرج من الكوفة ، فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزاً .

كان يضرب فى الأرض فلا يؤذيه الشراة ولا الصعاليك

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيه قال : حدثنى أحمدُ ابنُ أبى كامل قال :

كان دِعبل يخرج فيغيب سنين ، يدور الدنيا كلّها ، ويرجع وقد أفاد وأثرى . وكانت الشُّراة والصعاليك يلقَوْنه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرّونه ، وكان إذالقيهم وضَع طعامَه وشرابه ، ودعاهم إليه ، ودعا بغلاميه ثَقيف وشعف ، وكانا مغنيين ، فأقعدهما يغنيان ، وسقاهم وشرب معهم ، وأنشدهم ، فكانوا قد عرفوه ، وألِفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . وأنشدنى دِعبل بنُ على لنفسه فى بُعْدِ أسفاره :

حلّتُ محَلا يقصُر البرق دونه ويعجِز عنه الطيفُ أن يتجشما

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويهْ قال :

٣٧ / ١٨

قال لى البحترىّ : دِعبِل بنُ علىّ أشعر عندى من مُسلمِ بنِ الوليدِ ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأن كلام دِعبلٍ أدخل[1] فى كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبُه أشبه بمذاهبهم . وكان يتعصب له .

يعده البحترى أشعر من مسلم بن الوليد

أخبرنى الحسنُ قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثنا الفضلُ بنُ الحسنِ بنِ موسى البصرىُّ قال :

يهجو صاحب بيت دب إليه رجل بات عنده

بات دِعبِل ليلةً عند صديق له من أهل الشأم ، وبات عندهم رجل من أهل بيت

(١) فى م ، أ : وآنقه .

لهيانى(١) يقال له حَوىّ بنُ عمرو السَّكْسَكىّ جميلُ الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين ، فقال فيه دعبل :

لولا حوًى لبيت لهيانى ما قام أبو العزب(٢) الفانى
له دواة فى سراويله يَليقها(٣) النازح والدانى

قال : وشاع هذان البيتان ، فهرب حوىّ من ذلك البلدِ ، وكان الشيخ إذا رأى دِعبلا سبّه ، وقال : فضحتَنى أخزاك الله .

يتمنى موت من تكون له منة عنده

أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدثنى ابنُ مَهْرُويه قال : حدثنى محمدُ بنُ الأشعث قال : سمعْتُ دِعبلا يقول :

ما كانت لأحد قطُّ عندى مِنّة إلا تمنيت موته .

يهجوه شاعر بالرى وهو هناك فيرتحل

أخبرنى الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُوَيه قال حدثنا محمدُ بن عُمر الجرجانىُّ قال : دخل دِعبلُ بنُ علىٍّ الرّىّ فى أيام الربيع ، فجاءهم ثَلْج لم يَرَوا مثله فى الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً ، وكتبه فى رقعة هو :

جاءنا دِعبل بِثلْج من الشعـــر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الرّىّ بعد ما سكن البر دُوقد أينعَتْ رياض المروج
فكسانا ببرده لا كساه اللـــه ثوباً من كُرْسُف(٤) محلوج

قال : فألقى الرقعة فى دِهليز دِعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرّىّ .

---

(١) س ، ب : « لميان » وفى معجم البلدان : بيت لهيان ، كذا يتلفظ به . والصحيح الإلاهة ، وهى قرية مشهورة بغوطة دمشق ، والنسبة إليها بتلهى .
(٢) فى أ . س : « الغراب » . ب : « الغرب » ، وكل تحريف .
(٣) لاق الدواة : أصلح مدادها ، أو جعل لها ليقة .
(٤) كرسف : قطن .

هجاؤه لصالح الأضجم لأنه قصد عن حاجته

أخبرنى محمدُ بنُ عِمران قال : حدثنا العَنَزِىّ قال : حدثنا أبو خالد الأسلمىُّ قال : عرضَتْ لدِعبل حاجةٌ إلى صالح بنِ عطية الأضجمِ ، فقصَّرَ عنها ، ولم يَبلغ ما أحبّه دعبل فيها ، فقال يهجوه :

أحسنُ مافى صالح وجهه قِسْ على الغائب بالشاهد
تأملَتْ عينى له خِلقة تدعو إلى تَزنية الوالد

فتحمل عليه صالحٌ بى وبجماعة من إخوانه حتى كف عنه ، وعَرض عليه قضاء الحاجة ، فأباها .

يهجو بنى مكلم الذئب من خزاعة لأنهم فخروا عليه

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال حدثنى محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُويَهْ قال حدثنى أبى قال :

نَخَرَ قوم من خُزاعة على دِعبِل بن علىٍّ يقال لهم : بنو مُكلِّم الذئب ، وكان جدّهم جاء إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — فحدّثه أن الذئب أخذ من غنمِه شاة فتبعه ، فلما غشِيه بالسيف قال له : مالى ولك تمنعنى رزقَ الله ؟ قال : فقلت : يا عَجَبًا لِذِئب يتكلم ! قال : أعجبُ منه أن محمداً نبى قد بُعث بين أظهُركم وأنتم لا تتبعونه ، فبَنُوه يفخرون بتكليم الذئبِ جدَّهم ، فقال دِعبِلُ بنُ علىّ يهجوهم :

تِهْتُمْ علينا بأنّ الذئب كلّمكمْ فقد لَعَمرى أبوكم كلّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليثَ المصورَ إذاً أفنَيتم[1] الناسَ مأكولا ومشروبا
هذا السُّنَيدى لا أصل ولا طُرَف[2] يكلّم الفيل تصـــعيداً وتصويبا

٣٨/١٨

يهجو محمد بن عبد الملك الزيات لأنه مدحه فلم يرضه

حدثنى الحسن بن علىٍّ قال حدثنى ابن مَهْرُويَهْ قال حدثنى أبى قال :

(١) كذا فى أ ، م ، مد . وفى س ، ب : «وأفنيتم» ، تحريف .

(٢) الطرف : جمع طرفة ، ويراد بها المستحدث من الكرم . أو هى طرف بالتحريك بمعنى الرجل الكريم .

كان دِعبل قد مدح محمد بن عبد الملكِ الزياتَ ، فأنشده ما قاله فيه ، وفي يده طُومارٌ (١) قد جعله على فِيهِ كالمتكئ عليه وهو جالس ، فلما فرغ أمر له بشيء لم يرضه ، فقال : يهجوه :

يا مَن يُقلِّب طُومارًا ويلثَمه ماذا بِقلبك من حُبِّ الطوامير

فيه مَشابِهِ من شيء تُسَرّ به طُولا بطول وتدويرًا بتدوير

لو كنْتَ تجمع أموالاً كجَمْعكها إذاً جمعْتَ بيوتًا من دنانير

ينزل بحمص فلم يبره رجلان من أهلها فيهجوهما

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا ابن مَهْرُويَه قال : حدثني أبي قال :

نزل دِعبلٌ بِحِمص على قوم من أهلها ، فبرّوه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما : أشعث وللآخر أبو الصَّناع (٢) ، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما :

إذا نَزل الغريب بأرض حِمص رأيتَ عليه عِزّ الإمتناع

سُموُّ (٣) المكرمات بآل عيسى أحَلّهمُ على شرف التّلاع (٤)

هناك الخزّ يلبَســـه المُغَالِي وعيسى منهمُ سَقَط المتاع

فَسدِّد لِاستِ أشعثَ أيرَ بَغل وآخرَ في حِرِاَمّ أبي الصناع

فليس بِصانع مَجداً ولكن أضاع المجدَ فهو أبو الضياع

شعره في الفضل ابن مروان

أخبرني الحسنُ قال : حدثنا محمدُ بن القاسمِ بن مَهْرُوَيَه عن الحسين بن دعبل قال :

(١) طومار : صحيفة .

(٢) كذا في مى . وفي ب ، س : «الصناع» سقط .

(٣) في ب : «سموا للمكرمات» ، تحريف .

(٤) التلاع : المرتفعات من الأرض ، جمع تلعة كجمرة .

قال أبى فى الفضل بنِ مروان :

نصحْتُ فأخلصْتُ النصيحة للفضل ... وقلت فسيَّرْتُ المقالة فى الفضل
ألا إنّ فى الفضل بن سهل لَعبرة ... إن اعتبر الفضلُ بنُ مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بنِ يحيى مواعظ ... إذا فكَّر الفضل بنُ مروان فى الفضل
فأبقِ جميلا من حديث تَفُزْ به ... ولا تدَع الإحسان والأخذَ بالفضل
فإنك قد أصبحت للمُلك قَيِّما ... وصرْتَ مكانَ الفضل والفضلِ والفضل
ولم أرَ أبياتاً من الشِّعر قبلها ... جميعُ قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عَيب إذا هى أُنشدَت ... سوى أن نصحى الفضل كان من الفضل

فبعث إليه الفضل بنُ مروانَ بدنانيرَ ، وقال له : قد قبلْتُ نصحك ، فاكفنى خيرَك وشرَّك .

ينقد شعر شاعر احتكم إليه فى شعره

حدثنى عمى قال : حدثنى ميمونُ بنُ هرونَ قال : حدثنى أبو الطيِّب الحرّانىُّ قال : أنشد رجل دِعبلَ بن علىّ شعراً له ، فجعل يعيبه وينبِّهه على خطئه فيه بيتا بيتا ، ويقول : أىَّ شىء صنعْتَ بنفسك ! ولِمَ تقول الشعر اذا لم تقدر إلا على مثلِ هذا منه ؟ إلى أن مرّ له بيت جيد ، فقال دِعبل : أحسنت ، أحسنت ما شئت . فقال له يا أبا علىّ : أتقول لى هذا بعد ما مضَى ؟ فقال له : يا حبيبى لو أن رجلا ضرَط سبعين ضَرطة ما كان بمنكر أن يكون فيها دَستنبويةٌ (١) واحدة .

لا يرى المأمون عجباً أن يهجوه

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا ابنُ مَهْرُويَه قال حدثنى محمدُ بن حاتم المؤدِّبُ قال :

٣٩ / ١٨

قيل للمأمون: إن دِعْبل بن عَلىّ قد هجاك ، فقال : وأىّ عجب فى ذاك ؟ هو يهجو

(١) دستنبوية : نوع من البطيخ الأصفر.

أبا عبّاد ولا يهجونى أنا ! ومن أقدَمَ على جُنون أبى[١] عباد أقدم على حِلمى ، ثم قال للجلساء : من كان منكم يحفظ شعره فى أبى عبّاد فلْيُنْشِدْنيه ، فأنشده بعضهم :

أولى الأمور بضَيعة وفساد أمرٌ يدبِّره أبو عبّـــاد
خَرِقٌ على جلسائه فكأنّهم حضروا لمَلْحَمَة ويوم جِلاد
يَسْطو[٢] على كُتابه بدواته فمُضَمَّخ[٣] بِدَم ونَضْح مداد
وكأنه من دَيْر هِزْقِلَ مُفلِت حَرِدٌ يَجر سلاسل الأقياد[٤]
فاشدد أميرَ المؤمنينَ وثاقه فأصَحّ منه بقيّةُ الحـداد

قال : وكان بَقِية هذا مجنونا فى المارَسْتان ، فضحك المأمون . وكان إذا نظر إلى أبى عبّاد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دِعبِل فى قوله .

حدثنى جَحْظةُ عن ميمونِ بنِ هارونَ فذكر مثله أو قريبا منه .

يزعم أن رجلا من الجن استنشده قصيدة مدارس آيات خلت

أخبرنى أحمدُ بنُ عُبيدالله بنِ عَمار ومحمدُ بنُ أحمدَ الحكيمُ قالا : حدثنا أنسُ ابنُ عبدِالله النَّبْهانىُّ قال : حدثنى علىُّ بنُ المنذرِ قال: حدثنى عبدُ الله بنُ سعيدٍ الأشقرىُّ قال : حدثنى دِعبِل بنُ علىّ قال :

لما هرَبْت من الخليفة بتّ ليلة بنَيسابورَ وحدى ، وعزمْتُ على أن أعمل قصيدة فى عبد الله بنِ طاهر فى تلك الليلةِ ، فإنى لفى ذلك إذ سمِعْتُ والباب مردود علىّ : السلام عليكم ورحمة الله ، أَنج يرحمُك الله ، فاقشعَرّ بدنى من ذلك ، ونالنى أمر عظيم ،

---

(١) فى س : « أبا » ، تحريف .
(٢) س : « بسطوا » ، تحريف .
(٣) س : « فمضخ » . تحريف .
(٤) راجع حواشى الصفحة ١٢٢ من هذا الجزء .

فقال لى : لا تُرَع عافاك الله ؛ فإنى رجل من إخوانك من الجن من ساكنى اليمن طرأ إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدَنا قصيدتك :

مدارس آياتٍ خلَت من تلاوة ومنزلُ وحى مقفرُ العرَصات

فأحببْت أن أسمَعَها منك ، قال فأنشدْتُه إياها ، فبكى حتى خرّ ، ثم قال : رحمك الله ! ألا أحدثك حديثا يَزيد فى نِيّتِك ويُعينك على التمسك بمذهَبك ؟ قلت : بلى قال : مكثْت حينا أسمع بِذِكر جعفرِ بنِ محمدٍ عليه السلام ، فصرْتُ إلى المدينة فسمعْتُه يقول : حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : علىٌّ وشيعتُه هم الفائزون ، ثم ودّعَنى لينصرف ، فقلت له : يرحمك الله ، إن رأيت أن تخبرنى باسمك فافعل ، قال : أنا ظَبْيانُ بنُ عامر .

يدعو إليه أعرابيا من كلاب فينشده فى كلابى هجاء له

أخبرنى الحسين بنُ القاسمِ الكوكبىُّ قال : حدثنى إسحاق بنُ محمدٍ النخَعىُّ وأخبرنى به الحَليمى عن يعقوبَ بنِ إسرائيلَ عن إسحاق النخَعىّ قال :

كنت جالسا مع دِعبِل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثقيف ، فمرّ به أعرابى يرفُل فى ثيابِ خَزّ ، فقال لغلامه : أُدع لى هذا الأعرابىّ ، فأومأ الغلام إليه ، فجاء ، فقال له دِعبِل: ممن الرجل ؟ قال : من بنى كِلاب . قال : من أىِّ ولَد كِلاب أنت ؟ قال : من ولد أبى بكر ، فقال دعبل : أتعرف القائل :

ونُبِّئْتُ كلبا من كلاب يسبنى ومحض كلاب يقطع الصلوات
فإن أنا لم أعلم كلابا بأنها كلاب وأنى باسل النَّقِمات
فكان إذاً من قيس عَيلان والدى وكانت إذا أمى من الحَبَطات[1]

---

(١) الحبطات : أولاد الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم ، وسمى بالحبط «كسبب» لأنه فى بعض ما يروى أكل شيئا فورم بطنه ، وأصابه منه مثل الحبط ، وهو وجع ببطن البعير من كلأ يستوبله أو يكثر منه فينتفخ بطنه ولا يخرج منه شىء .

يهرب من المعتصم ويهجوه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدثنا أبو ناجيةَ قال:

كان المعتصم يُبغض دِعبِلا لطول لسانه ، وبلغ دِعبلا أنه يريد اغتياله وقتلَه ، فهرب إلى الجبل ، وقال يهجوه :

بكى لِشتات الدِّين مكتئب صبّ ... وفاض بفَرْط الدمع من عينه غربُ(١)
وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دِين وليس له لبُّ
وما كانت الآباء(٢) تأتى بمثله ... يُملَّك يوما أو تَدينُ له العُرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا ... مِن السلَف الماضين إذ عظُم الخطب :
ملوك بنى العباس فى الكُتْب سبعة ... ولم تأتنا عن(٣) ثامن لهمُ كتب
كذلك أهلُ الكهف فى الكهف سبعة ... خيارٌ إذا عُدّوا وثامنهُم كلب
وإنى لأُعلِى كلبَهم عنك رفعةً ... لأنك ذو ذَنْب وليس له ذَنْب
لقد ضاع مُلكُ الناس إذ ساس مُلكَهم ... وَصِيف(٤) وأَشناسٌ وقد عظُم الكرب
وفضلُ بنُ مروانٍ يُثلِّم(٥) ثَلمةً ... يظل لها الإسلام ليس له شَعْب(٦)

يعارض محمد بن عبد الملك الزيات فى رثائه للمعتصم

أخبرنى عمى قال حدثنى ميمونُ بنُ هرونَ قال :

لما مات المعتصم قال محمدُ بنُ عبد الملك الزياتُ يرثيه :

قد قلْتُ إذ غيَّبوه وانصرفوا ... فى خَير قبرٍ لِخَير مدفون

(١) غرب : دلو عظيمة ، والمراد هنا ماء كثير .
(٢) كذا فى م ، أ . س ، ب : «الأنباء» .
(٣) كذا فى س ، ب . م ، أ : «فى» .
(٤) وصيف وأشناس من الموالى الأتراك الذين اختارهم المعتصم قوادا فى جيشه وحكاما فى ملكه ، فأفسدوا أمور الدولة وكانوا من عوامل القضاء عليها .
(٥) كذا فى أ ، مد . وفى س «يسلم» ، وهو تحريف .
(٦) شعب : إصلاح .

لن يَجبُر الله أُمةً فقدت ... مثلَك إلا بمثـــل هارون

قال دعبل يعارضه :

٤١/١٨

قد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا ... فى شرّ قبرٍ لشر مدفون

اذهب إلى النار والعذاب فما ... خِلْتُك إلا من الشيـاطين

ما زلتَ حتى عقدتَ بيعةَ مَن ... أضرّ بالمســـلمين والدين

يكتم نسبة رثاء محمد بن عبد الملك الزيات للمعتصم

قال عمى حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنى محمدُ بنُ عُمرَ الجُرجانىّ قال :

أنشد دِعبلُ بنُ علىّ يوما قول بعض الشعراء :

* قد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا *

وذكر البيتين والجوابَ ولم يُسمِّ قائل المرثيّةِ ولا نسبَه إلى محمدِ بنِ عبد الملك الزيات ولا غيره .

ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بنى العباس

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال :

سألت دِعبِلا عن هذه الأبيات :

* ملوكُ بنى العباس فى الكُتب سبعة *

فأنكر أن تكون له ، فقلتُ له : فمن قالها ؟ قال : من حشا الله قبرَه نارا ، إبراهيمُ ابن المهدىّ ، أراد أن يُغرِىَ بى المعتصمَ فيقتلنى لهجائى إياه .

يستعبد ابن المدبر أبياتا له فى هجاء ابن أبى دواد

أخبرنى عمى والحسنُ بن علىّ جميعا قالا : حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُويَهْ قال : حدثنى أبى قال : كنتُ عند أحمدَ بنِ المدبّر ليلة من الليالى ، فأنشدته لدعبل فى أحمد ابنِ أبى دُوادٍ قوله :

إنّ هذا الذى دُوادٌ أبوه ... وإياد قد أكثر الأنباء

ساحقَتْ أمّه ولاط أبوه ... ليت شِعرى عنه فمِن أين جاء !

جاء مِن بين صخرَتين صلودَيْـــنِ عَقامَين[١] يُنبتان الهَباء
لا سِفاحٌ ولا نِـكاح ولا ما يوجب الأمهاتِ والآباء

قال: فاستعادها أربعَ مرات، فظننت أنه يريد أن يحفظها، ثم قال لى: جئنى بدِعبِل حتى أوصلَه إلى المتوكل، فقلت له: دِعبل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع، وإنما غايتُه أن يُخمِلَ ذكره، فأمسك عنى، ثم لقيتُ دِعبِلا فحدثْتُه بالحديث، فقال: لو حضرْتُ أنا أحمدَ بنَ المدبِّر لما قدرْتُ أن أقولَ أكثر مما قلتَ.

يروى له بيت فى هجاء المتوكل

أخبرنى الحسن قال حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويَه قال حدثنى محمدُ بنُ جَرِير قال:

أنشدَنى عُبيد الله بنُ يعقوبَ هذا البيتَ وحده لدِعبِل يهجو به المتوكل، وما سمعت له غيره فيه:

ولست بقائل قَذْعا ولـكن لأمرٍ ما تعبَّدك العبيد

قال: يرميه فى هذا البيت بالأبنة.

أخبرنى الحسنُ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسِمِ بنِ مَهْرُويَه قال:

يهجو المعتصم والواثق حين علم نعى المعتصم

كنتُ مع دِعبِل بالصَّيْمَرة[٢] وقد جاء نَعى المعتصم وقيامُ الواثق، فقال لى دِعبِل: أمعَك شىء تـكتب فيه؟ فقلت: نعم، وأخرجتُ قِرْطاسا، فأملى علىّ بديها:

الحمدُ لله لاصبر ولا جَـلَدُ ولا عزاء إذا أهلُ البَلا رَقدوا
خليفةٌ مات لم يَحزن له أحد وآخرٌ قام لم يَفرح به أحد

يمزق قصيدة أحدهما فى مدح الحسن ابن وهب

حدّثنى عمى قال: حدثنا أحمدُ بنُ عبيَد الله بنِ ناصح قال:

---

(١) العقام: من لا يولد له. والمراد: مجدبة.

(٢) الصيمرة: بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان.

قلتُ لدِعبِل ، وقد عرض علىّ قصيدة له يمدح بها الحسنَ بنَ وَهْب ، أولها :

* أعاذِلَتى ليس الهوَى من هوائيا *

فقلت له :[1] ويحك ، أتقول فيه هذا بعد قولك :

أين مَحَــــلّ الحىّ ياحادى خبِّر سقاكَ الرائحُ الغــادى

٤٢ / ١٨

وبعد قولك :

قالت سلَامة أينُ المال قلت لها المال ويحكِ لاقى الحمدَ فاصطحبا[2]

وبعد قولك :

فعَلَى أيمانِنــا يجرى الندَى وعلى أسيافنا تجرى المُهجْ

والله إنى أراك لو أنشدْتَه إياها لأمر لك بصَفع قفاك ، فقال : صدقْتَ والله ، ولقد نبّهتَنى وحذَّرتَنى ، ثم مزقها .

يغضب على خريج له فيهجو أباه

أخبرنى عمّى قال : حدثنى العَنَزِىّ قال حدثنى الحُسَيْنَ بنُ أبى السّرِىّ قال : غضِب دِعبِل على أبى نصرِ بن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ — وكان دِعبِلٌ مؤدبَه قديمًا — لشىء بلغه عنه ، فقال يهجو أباه :

ما جعفرُ بنُ محمدِ بنِ الأشعث عندى بخيرٍ أبوّةً من عَثعثِ

عبثًا تُمَارِسُ[3] بى تُمَارسُ حية سوّارة إن هِجتَها لم تلبث

لم يَعلم المغرور ماذا حاز من خزى لوالده إذاً لم يعبث

قال : فلقيه عثعث ، فقال له : عليك لعنة الله ، أىُّ شىء كان بينى وبينك حتى

(١) م ، أ : « فقلت : يا أبا على ، أتقول » .
(٢) س ، ب : « فاصطحبا» ، تحريف .
(٣) م ، ا : « تمرس بى فارس حية » .

ضربْتَ بى المثل فى خِسة الآباء، فضحك، وقال: لا شىء والله، إتفاق اسمك واسمِ ابنِ الأشعث فى القافية. أولا ترضَى أن أجعلَ – أباك وهو أسود – خيرًا من آباء الأشعث ابنِ قيس!

يصف العيش الذى يرتضيه

أخبرنِى الحسنُ بنُ علىٍّ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيهْ قال: حدّثنى إبراهيمُ بنُ سهل القارى، وكان يلقب أرُزة [1] قال: حدّثنى دِعبِلُ بنُ علىٍّ الُخزاعِىّ قال:

كتبْتُ إلى أبِى نَهْشَلِ بنِ حُمَيد الطوسِىّ قوله:

إنما العَيش فى مُنادمةِ الإخـــوان لا فى الجلوس عند الـكَعَابِ
وبِصِرْفٍ كأنها ألسُن البرْ ق إذا استعرضَت رقيق السحاب
إنْ تـكونوا ترَكتمُ لذة العيــش حِذار العِقاب يومَ العقاب
فدَعُونى وما ألَذّ وأهوَى وادفعوا بى فى صدر يوم الحساب

ينشد على بن موسى الرضا: مدارس آيات خلت

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُوَيَه قال: حدّثنى موسى بنُ عيسى المَرْوَزِىّ – وكان منزله بالـكوفة فى رَحَبة طَيّئ – قال:

سمِعت دِعبِلَ بنَ علىّ وأنا صبى يتحدث فى مسجد المَرْوَزِية قال: دخلْتُ على علىّ ابن موسى الرضا – عليهما السلام – فقال لى: أنشدنى شيئًا مما أحدثت، فأنشدته:

مدارس آياتٍ خلَتْ من تلاوة ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصات

حتى انتهيت إلى قولى:

إذا وُتِروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفًّا عن الأوْتار منقبضات

قال: فبكى حتى أُغمِى عليه، وأومأ إلىّ خادم كان على رأسه: أن اسكت، فسكتّ

(١) ضبطه بالقلم فى أ: بفتح الهمزة وضم الراء.

ساعة ، ثم قال لي : أعِد ، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى هذا البيتِ أيضًا ، فأصابه مثلُ الذي أصابه في المرة الأولى ، وأومأ الخادم إليّ : أن اسكت ، فسكت ، فمكثْ ساعة أخرى ثم قال لي : أعِد ، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى آخرها ، فقال لي : أحسنت ، ثلاث مرات ، ثم أمَر لي بعشرة آلاف درهم مما ضُرب باسمه ، ولم تكن دُفعَت [1] إلى أحد بعدُ ، وأمَر لي مَن في منزله بحَلْي كثير أخرجه إليَّ الخادم ، فقدِمْتُ العراق ، فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم ، اشتراها مِني الشيعة ، فحصل لي مائةُ ألف دِرهم ، فكان أول مال اعتقدْتُه [2] .

٤٣ / ١٨

قال ابن مَهْرُويَه وحدَّثني حُذَيفةُ بنُ محمد :

يستوهب الرضا ثوبا لبسه ليجعله في أكفانه

أن دِعبلا قال له : إنه استوهَب من الرِّضا عليه السلام ثوبا قد لبِسه ليجعله في أكفانه فخلع جُبة كانت عليه ، فأعطاه إياها وبلغ أهلَ قمٍّ [3] خبرُها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألفَ درهم ، فلم يفعل ، فخرجوا عليه في طريقه ، فأخذوها منه غصبًا ، وقالوا له : إن شئتَ أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فأنت أعلم . فقال لهم : إني والله لا أُعطيكم إياها طَوعا ، ولا تنفعكم غصبًا ، وأشكوكم إلى الرِّضا عليه السلام . فصالحوه على أن أعطَوه الثلاثين الألفَ الدرهِم وفرْدَ كمٍّ من بطانتها فرضي بذلك .

يهجو إبراهيم بن المهدي حين خرج ببغداد

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيدٍ قال حدثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه قال :

بويع إبراهيمُ بنُ المهدي ببغدادَ ، وقد قلّ المال عنده ، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس ، فاحتبسَ عنهم العطاء ، فجعل إبراهيم يسوّفهم ولا يرَون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسولُه يوما وقد اجتمعوا وضجُّوا فصرّح

(١) س ، ب : « وقعت » .

(٢) اعتقدته : جمعته .

(٣) راجع الحاشية ٤ في الصفحة ١٢١ من هذا الجزء .

لهم بأنه لا مال عنده ، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد : أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنّى لأهل هذا الجانب ثلاثةَ أصوات ، ولأهل هذا الجانب ثلاثةَ أصوات ، فتكونَ عطاءً لهم ، فأنشدنى دِعبل بعد ذلك بأيام قوله :

يا معشرَ الأجناد لا تقنطوا وارضَوْا بما كان ولا تَسخطوا
فسوف تعطَون حُنَيْنيّة يلتـــذها الأمرد والأشمط
والمعبَـديّات لقـــوّادكم لا تدخل الـكِيس ولا تُربط
وهـــكذا يَرزق قوّاده خليفةٌ مُصحفُه البَرْبط

وزادنى فيها جعفر بن قدامة :

قد خُتم الصك بأرزاقكم وصحّح العزمَ[1] فلا تسخطوا
بَيعة إبراهيم مشـــئومة يُقتَل فيها الخلق أو يُقحَطُ

يقص قصة صديق له متخلف يقول شعراً

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال: حدثنا ابنُ مَهرُوَيه قال : حدثنى أبو علىٍّ يحيى بنُ محمد ابن ثَوابة الكاتبُ قال : حدثنى دِعبل قال :

كان لى صديق متخلّف يقول شعراً فاسداً مرذولا وأنا[2] أنهاه عنه إذا أنشدنى ، فأنشدنى يوماً :

إنّ ذا الحُبَّ شديدٌ ليس يُنجيه الفِرارُ
ونجا مَن كان لا يعشـــق من ذلّ المخازى

فقلت له : هذا لا يجوز ، البيت الأول على الراء ، والبيت الثانى على الزاى . فقال : لا تَنَقُطْه ، فقلت له : فالأول مرفوع ، والثانى مخفوض . فقال : أنا أقول له لا تَنقُطْه وهو يَشكُله .

---

(١) م : « العرض » .
(٢) ف م ، أ : « مرذولا وأنهاه » .

يستشهد لكلمة أنكرت عليه

أخبرنى الحسن قال : حدثنا ابن مَهْرُويَهْ قال : حدثنا محمدُ بنُ زكريا بنِ ميمونٍ الفَرْغانىّ قال :

سمعتُ دِعبلَ بنَ علىّ يقول فى كلام جرى : لَيْسَك ، فأنكرتُه عليه . فقال : دخل زيدُ الخيلِ على النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال له : يا زيدُ ما وُصف لى رجل إلا رأيته دون وصفِه ليسك — يريد غيرَك .

يحسد شاعراً على معنى أعجبه

أخبرنى الحسن قال: حدثنا ابن مَهْرُويَه قال : حدثنا علىُّ بنُ عبدِ الله بنِ سعدٍ قال : قال لى دِعبلٌ ، وقد أنشدته قصيدةَ بكرِ بنِ خارجة فى عيسى بنِ البَراء النصرانىّ الحربىّ :

٤٤ / ١٨

زُنّارُه فى خصره معقود كأنه من كَبِدى مقدود

فقال : والله ما أعلمُنى حسدْتُ أحداً على شعر كما حسدْتُ بَكراً على قوله : كأنه من كبدى مقدود .

يقول شعراً كل يوم خلال ستين سنة

أخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ الخزاعىُّ قال: سمعتُ الجاحظ يقول: سمعتُ دعبل بن علىّ يقول: مكثْتُ نحوَ ستين سنة ليس مِن يوم ذَرَّ شارقُه إلا وأنا أقول فيه شعراً .

يعود مفلوجا ويعجب لخفة روحه وهو على تلك الحال

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنى محمدُ بن القاسمِ بنِ مَهْرُويَه قال: حدثنى أبى قال : سمعتُ دِعبلَ بنَ علىّ يقول :

دخلْتُ على أبى الحارث جُمّيز[1] — وقد فُلج — لأعوده ، وكان صديقى ، فقلت : ما هذا يا أبا الحرث ؟ فقال : أخذْتُ من شَعرى ودخلت الحمام ، فغلِط بى الفالجُ ، وظن أنى قد احتجمْتُ . فقلت له : لو تركْتَ خِفة الرُّوح والمُجون[2] فى موضع لتركتهما فى هذا الموضع وعلى هذه الحال .

---

(١) س ، ب : «جمين» ، تحريف .

(٢) فى م ، أ : «النوادر» .

يسأل المأمون جلساءه أن ينشدوا من شعره

أخبرنى الحسينُ بنُ القاسم الكوكبيُّ قال: حدثنا أحمدُ بن صَدَقة قال: حدثنى أبى قال: حدثنى عمرُو بنُ مَسْعدة قال:

حضرْت أبا دُلَف عند المأمون، وقد قال له المأمون: أىَّ شىء تَروِى لأخى خُزاعة يا قاسم؟ فقال: وأىُّ أخى خُزاعةَ يا أمير المؤمنين؟ قال: ومَن تعرف فيهم شاعراً؟ قال: أما مِنْ أنفُسِهم فأبوا الشِّيص ودِعبل وابنُ أبى الشِّيص وداودُ بن أبى رَزِين، وأما مِن مواليهم فطاهرٌ وابنُه عبدُ الله. فقال: ومَن عسى فى هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دِعبل! هات أىَّ شىء عندك فيه. فقال وأىَّ شىء أقول فى رجل لم يَسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم، فقَرن إحسانَهم بالإساءة، وبَذْلَهم بالمنع، وجودَهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة! قال: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول فى المطّلب بنِ عبد الله بنِ مالك، وهو أصدق الناس له، وأقربهم منه، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه[(١)] العطايا الجزيلة، وولاه ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه:

اضرِب ندَى طلحةِ الطّلَحات متئدا ... بِلَوْم مطّلب[(٢)] فينا وكن حكما
تخرجْ خزاعة من لؤم ومن كرم ... فلا تُحسُّ لها لؤما ولا كرما

قال: فقال المأمون: قاتلَه الله! ما أغوصَه وألطفه وأدهاه! وجَعل يضحك، ثم دخل عبد الله بنُ طاهر، فقال له: أىَّ شىء تحفظ يا عبدَ الله لدِعبل؟ فقال: أحفظ أبياتاً له فى أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاتِها ويحك، فأنشده عبدُ الله قولَ دعبل:

سَقيا ورَعيا لأيام الصباباتِ ... أيام أرفُل فى أثواب لذاتى
أيام غصنى رَطيب من لَيانته ... أصبو إلى غير جارات وكَنّات

(١) زائدة فى م، أ.
(٢) ب، س: «محطلب»، تحريف.

دعْ عنك ذكرَ زمانٍ فات مطلبُه … واقذِف برِجلِك عن مَتن الجهالات
واقصِد بكلِّ مديحٍ أنت قائله … نحو الهُداة بنى بَيت الكرامات

فقال المأمون : إنه قد وَجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله فى وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن فى وصف سَفرٍ سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه :

وصفه لسفر طويل يعجب المأمون

ألمْ يأنِ للسَّفْر الذين تحملوا … إلى وطنٍ قبل الممات رجوع !
فقلتُ ولم أملِك سوابق عَبرة … نطقن بما ضُمت عليه ضلوع
تبيّنْ فكم دار تفرّق شَملُها … وشملٍ شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالى صرفُهنّ كما ترى … لكل أناس جَدْبةٌ وربيع

٤٥

١٨

ثم قال : ما سافرت قطّ إلا كانت هذه الأبيات نُصب عينى فى سفرى ، وهِجِّيرى[1] ومسلِّيتى حتى أعود .

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدثنى المبرِّد ومحمد بن الحسن بن الحرون[2] قالا : قال دِعبِل :

يقص قصة مكار أساء جوابه

خرجتُ إلى الجبل هارباً من المعتصِم ، فكنت أسير فى بعض طريق والمُكارى يسوق بى بغلا تحتى ، وقد أتعبنى تعباً شديداً ، فتغنّى المُكارى فى قولى :

لا تَعجبى يا سَلم من رجل … ضحِكَ المشيب برأسه فبكى

فقلت له ، وأنا أريد أن أتقرّبَ إليه وأُكفّ مايستعمله من الحثّ للبغل لئلا يتعبنى: تَعرِف لِمن هذا الشعرُ يافتى ؟ فقال : لِمن ناكَ أُمّه وغرِم درهمين ، فما أدرى أىّ أموره أعجب : من هذا الجوابِ أم من قلة الحزْم على عِظم الجناية !

(١) هجيرى : دأبى ، وعادتى . م ، أ : «فى سفرى ومسليتى» .
(٢) ساقطة فى م ، أ .

تغنت بشعره جارية

حدثنى عمى قال: حدثنى أحمدُ بن الطيب السرْخَسىّ قال:

حضرْت مجلسِ محمدِ بن علىٍّ بنِ طاهرٍ وحضَرتْه مغنّية يقال لها: شنين مشهورة، فغنّت:

لا تعجبى ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

ثم غنّت بعده:

* لقد عَجِبَتْ سلمى وذاكَ عجيب *

فقلت لها: ما أكثر تعجبَ سلمى هذه! فعلِمَت أنى أعبث بها لأسمع جوابها، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة:

فهُلكُ الفتى ألايَراح[1] إلى نَدًى وألا يَرى شيئًا عجيبًا فيعجبا

فعجبتُ والله من جوابها وحِدّته وسرعته، وقلت لمن حضر: والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرَفًا.

نسبة هذا الصوت

صـــوت

لقد عجِبَتْ سلمى وذاكَ عجيب رأت بِىَ شيباً عجّلته خُطوب
وما شيَّبتْنى كَبرةٌ غير أننى بِدَهر به رأسُ الفطيم يشيب

الغناء ليحيى المكىّ، ثقيل أول بالوُسطى من كتاب أبيه أحمدَ.

صديق له يصنع كل غناء بشعره

حدثنى جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدثنى محمدُ المرتجلُ بنُ أحمدَ بن يحيى المكىُّ قال: كان أبى صديقاً لدِعبل، كثيرَ العِشرة له، حافظاً لغَيبه، وكلّ شِعر يُغَنَّى فيه لدِعبل

(١) يرا: يرتاح.

فهو من صنعةِ أبى ، وغنائى من صنعة أبيه فى شعر دِعبل ، والطريقةُ فيه خفيف ثقيل فى مجرى البنصر :

صـــوت

سَرَى طيفُ ليلى حين آن هُبوب وقضّيتُ شوقاً حين كاد يذوب

فلم أرَ مطروقاً يُحَلّ برَحله ولا طارقاً يَقرى المنىٰ ويُثيب[1]

ينفى أنه صاحب أبيات فى هجاء بنى العباس

وأنشدنى عمى هذين البيتين عن أحمدَ بنِ يحيى بنِ أبى طاهرٍ وابنِ مَهْرُويَه جميعاً لدِعبل.

حدثنى حبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبىُّ قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : سألتُ دعبلا من الذى يقول :

* مُلوكُ بنى العباس فى الكتْبِ سبعة *

فقال : مَن أضرم الله قبرَه ناراً ، إبراهيم بنُ المهدىّ . قال ابن أبى سعد : وحدثنى عبدُ العزيز بنُ سهل أنه سأله عنها فاعترف بها .

٤٦ / ١٨

حدثنى عمى قال : أنشدنى ابنُ أخى دِعبل لعمه فى طاهرِ بنِ الحسين ، وكان قد نَقَم عليه أمراً أنكره منه :

يهجو طاهر بن الحسين

وذى يمينَين وعينٍ واحدهْ نُقصانُ عَين ويمينٌ زائدهْ

نَزْرُ العطيات قليل الفائدهْ أعضّه الله ببَظْر الوالدهْ

يهجو أخوين لم يرض ما فعلا

حدثنى جحظة قال : حدثنى ميمونُ بنُ هارون قال : كان دعبل قد[2] مدح دِينارَ ابنَ عبد الله وأخاه يحيى ، فلم يَرْض ما فعلاه ، فقال يهجوهما :

---

(١) س ، ب : «يثيب» ، تحريف .
(٢) م ، أ : «وكان دعبل مدح» .

ما زال عصياننا لله يُرذِلنا حتى دُفعنا إلى يحيى ودينارِ
وَغْدَين عِلْجَين لم تُقطَع ثمارهما قد طال ماسَجدا للشمس والنارِ

يهجو الأخوين والحسن بن سهل معهما

قال: وفيهما وفى الحسن بن سهل يقول أيضا دعبل يهجوهم ، والحسنِ بنِ رجاء وأبيه أيضًا :

ألا فاشتروا مِنى ملوكَ المخزمِ[1] أبِعْ حسَنا وابنَى رجاء بدرهمِ
وأعط رجاء فوق ذاك زيادة[2] وأسمحْ بدينار بغير تندُّمِ
فإن رُدَّ من عيب علىَّ جميعُهم فليس يَرُدُّ العيبَ يحيى بنُ أكثم

انحرافه عن الطاهرية وهجاؤه فيهم

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويَهْ قال : حدثنى أبو الطيب الحرانىُّ قال :

كان دعبل منحرفًا عن الطاهرية[3] مع ميلهم إليه وأياديهم عنده ، فأنشدنى لنفسه فيهم :

وأبقىْ طاهر فينا ثلاثا عجائبَ تُستَخَفّ لها الحلوم
ثلاثةَ أعبد لأب وأم تُمَيَّز عن ثلاثتِهم أروم
فبَعضٌ فى قريش منتَماه ولا غَيرٌ ومجهول قديم
وبعضهمُ يَهشّ لآل كسرى ويزعم أنه عِلْج لئيم
فقد كثرَتْ[4] مناسبهم علينا وكلُّهمُ عَلَى حال زنيم[5]

(١) ف و م ، أ : «المخرم» . مد «المحرم» .
(٢) س ، ب : «فوف» ، تحريف .
(٣) س ، ب : «آل طاهرية» ، تحريف .
(٤) س ، ب : «كسرت» ، تحريف .
(٥) زنيم : مستلحق فيمن ينتمى إليهم وليس منهم ولا حاجة بهم إليه .

يهجو رجلا لقبح وجهه

أخبرنى الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويَه قال: حدثنى أبى قال:

كان صالحُ بن عطيةَ الأضجم من أبناء الدعوة، وكان من أقبح الناس وَجها، وكان ينزل واسطا، فقال فيه دعبل:

أحسنُ ما فى صالحٍ وجهُهُ … فقِس على الغائب بالشاهدِ

تأملَتْ عيــــنِى له خِلقةً … تدعو إلى تزنيــــة الوالدِ

قال وقال فيه أيضا، وخاطب فيها المعتصم:

قل لِلإمام إمامِ آل محمد … قول امرئ حَدِبٍ عليكَ مُحامِ

أنكرْتُ أن تفترّ عنك صنيعةٌ … فى صالحِ بنِ عطيةَ الحجّام

ليس الصنائعُ عنده بِصنائعٍ … لكنهن طوائل الإسلامِ

اِضرِب به جيشَ العدوّ فوجهُه … جيشٌ من الطاعون والبِرسام(١)

يعرض شعره على مسلم بن الوليد أو يكتمه حتى ذن له فى إظهاره

أخبرنى محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال: أخبرنى إبراهيمُ بنُ محمدٍ الوراقُ قال: حدثنى الحسينُ بن أبى السَّرىّ قال: قال لى دعبل:

ما زلتُ أقول الشعر وأعرضُه على مُسلِم، فيقول لى: اُكتُمْ هذا حتى قلت:

أين الشباب وأيةً سَلكا … لا، أين يطلب ضَلّ؟ بل هلكا

٤٧ / ١٨

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئتَ لمن شئت(٢).

ينسبه أبو تمام إلى قصيدة من شعره

قال إبراهيم: وحدثنى الفتح غلامُ أبى تمام الطّائىّ، وكان أبو سعيد الثغرىّ اشتراه له بثلثمائةِ دينار لِيُنشد شعره، وكان غلاما أديبا فصيحا، وكان إنشاد أبى تمام

---

(١) البرسام: التهاب يعرض للحجاب الذى بين الكبد والقلب، وعلة يهذى فيها.

(٢) م، أ: «كيف شئت، قال».

قبيحا ، فكان يُنْشد شعره عنه ، قال : سألت مولاى أبا تمام عن نَسَب دِعبِل قال : هو دِعبِل بنُ على[1] الذى يقول :

* ضحك المشيب برأسه فبكى *

يهجو مسلم بن الوليد حين وفد عليه فجفاه

قال الفتح : وحدثنى مولاى أبو تمام قال : ما زال دِعبِل مائلا إلى مُسلِم بن الولَيد مُقِرًّا بأستاذيته حتى وَرَد عليه جُرجان فجفاه مسلم ، وكان فيه بخل ، فهجره دعبل وكتب إليه :

أبا مَخْلد كنا عقيدَى[2] مودة ... هوانا وقلبانا جميعا مَعًا مَعا
أحُوطك بالغيب الذى أنت حائطى ... وأيجع[3] إشفاقا لأن تتوجعا
فصيّرتَنى بعد انتكاسك[4] متّهما ... لنفسى ، عليها أرهب الخلق أجمعا
غششتَ الهوَى حتى تداعت أُصوله ... بنا وابتذلتَ الوصل حتى تقطعا
وأنزلتَ من بين الجوانح والحشا ... ذخيرة وُد طالما تَمنعا
فلا تعذلَنّى ليس لى فيك مطمع ... تخرقتَ حتى لم أجد لك مَرْقعا
فهبك يمينى استأ كَلَتْ فقطعتُها ... وجشّمت قلبى صبره متشجعا

ويُروى : وحملت قلبى فقدها . قال ثم تهاجرا ، فما التقيا بعد ذلك .

استمساك خزاعة بانتمائه إليهم

أخبرنى محمد بن خلف قال : حدثنى إبراهيمُ بنُ محمد قال : حدثنا الحسينُ بنُ علىّ قال : قلت لابن الكلبى :

إن دِعبِلا قُطَمِىّ[5] ، فلو أخبرتَ الناس أنه ليس من خُزاعةَ ، فقال لى : يا فاعل ،

(١) فى م ، أ : «دعبل ابن ضحك المشيب» الخ .
(٢) العقيد : المعاقد والمعاهد .
(٣) كذا فى م ، أ . أى آلم وأشكو الوجع . س ، ب : «أنجع» ، تحريف .
(٤) س ، ب : «انتحائك» .
(٥) قطمى : منسوب الى قطيمة ، بطن من زبيد ومن قيس عيلان . س ، ب : «قد قطعنا» ، تحريف .

مِثلُ دِعبلٍ تنفيه خُزاعة ! والله لو كان من غيرها لرغِبَت فيه حتى تدّعيَه . دِعبل والله يا أخى خُزاعةُ كلها .

يقص خبر رحلته إلى مصر يقصد المطلب فى ولايته

أخبرنى محمدُ بنُ المَرْزُبان قال : حدثنى إبراهيمُ بن محمدٍ الوراقُ عن الحسين بن أبى السرِىّ عن عبد الله بن أبى الشِّيص قال : حدثنى دِعبل قال :

حججْت أنا وأخى رَزين وأخذْنا كُتبا إلى المطّلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولّاها ، فصِرنا من مكة إلى مصر ، فصحِبَنا رجل يُعرف بأحمدَ بن فلانٍ السراجِ ، نَسِى عبدالله بنُ أبى الشِّيص اسم أبيه ، فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا ، ويتولى خدمَتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع . ورأيناه حسن الأدب ، وكان شاعرا ، ولم نعلم ، وكتمَنا نفسَه ، وقد عِلم ما قصدنا له فعرَضْنا عليه أن يقول فى المطّلب قصيدة نَنحَله إياها . فقال: إن شئتم ، وأرانا بذلك سرورا وتقبُّلا له ، فعملنا قصيدة ، وقلنا له : تُنشدها المطلب فإنك[1] تنتفع بها . فقال : نَعم . ووردْنا مصرَ به ، فدخلْنا إلى المطّلب ، وأوصلْنا إليه كتبا كانت معنا ، وأنشدناه . فسُرّ بموضعنا ، ووصفنا له أحمد السراجَ هذا ، وذكرنا له أمره ، فأذن له ، فدخل عليه ونحن نظن أنه سيُنشد القصيدة التى نحلناه إياها ، فلما مثَل بين يديه عدَل عنها[2] وأنشده :

لم آت مطّلبا إلا بمطّلبٍ ... وهمةٍ بلغَت بى غاية الرُّتب

أفردتُه برجاءٍ أن تشاركه ... فى الوسائل أو ألقاه فى الكتب

٤٨
١٨

قال: وأشار إلى كتبى التى أوصلتُها إليه وهى بين يديه ، فكان ذلك أشدّ من كل شىء مر بى منه[3] علىّ ، ثم أنشده :

(١) س ، ب : « وإنك » .

(٢) كذا فى مد . م ، أ : «فلما مثل بين يديه أنشده» . س ، ب : «عدل عنه» ، تحريف .

(٣) فى م ، أ : «فكان ذلك أشد شىء على مربى منه » .

رحلت عَنسى[1] إلى البيت الحرام على ... ما كان من وَصَب فيها ومن نَصَب
ألقى بها وبوجهى كلَّ هاجرة ... تكاد تقدح بين الجلد والعصَب[2]
حتى إذا ما قضتْ نُسْكى ثَنَيت لها ... عِطف الزّمام فأمّت سيدَ العرب
فيمّمتْك وقد ذابت مفاصلها ... من طول ما تعَبٍ لاقت ومن نَقَب[3]
إنى استجرْت بإستارين[4] مستلما ... رُكنَين: مطّلبا والبيتَ ذا الحُجُب
فذاك للآجـــل المأمول ألمَسه ... وأنت للعاجل المرجوّ والطلب
هذا ثنائى وهذى مصر سانحةً ... وأنت أنت وقد ناديتُ من كَثَب

قال: فصاح مطّلب: لبيك لبيك: ثم قام إليه فأخذ بيده، وأجلسه معه، وقال: ياغلمان، البِدَر، فأُحضِرت، ثم قال: الخِلَع، فنُشرت، ثم قال: الدواب، فقِيدت، فأمر له من ذلك بما ملأ عينَه وأعيننا وصدورَنا، حسدناه عليه، وكان حسدُنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر، وغيظُنا بكتمه إيانا نفسَه واحتياله علينا أكثرُ وأعظم، فخرج بما أمر له به، وخرجنا صِفْرا، فمكثنا أياما، ثم ولّى دِعبلَ بنَ علىّ أسوان، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظا منه، فقال: يوليه المطلب أسوان

تَعَلّق[5] مصرُ بك المخزِيات ... وتبصُق فى وجهك الموْصلُ
وعاديتَ قوما فمـــا ضَرّهم ... وشرّفتَ قوما فلم ينبُلوا
شِعارك عند الحروب النجاء[6] ... وصاحِبُك الأخور الأفشل

(١) كذا فى م، أ. والعنس: الناقة الصلبة. وفى س، ب: «عيسى».
(٢) هذا البيت ساقط فى م، أ.
(٣) نقب: حفا.
(٤) إستارين: مثنى إستار، وهو من العدد: أربعة.
(٥) س: «تلعقه»، تحريف.
(٦) س، ب: «النجا».

فأنت إذا ما التقوا آخرٌ   وأنت إذا انهزموا أول

وقال فيه :

اضرِبْ ندَى طلحة الطلحات متئدا   بِلؤم مطّلب فينا وكن حكَما
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم   فلا تعدُّ لها لؤما ولا كرما

من قصيدته فى مدح المطلب

قال : وكانت القصيدة التى مدح بها دعبل المطلبَ قصيدته المشهورة التى يقول فيها:

أبعْدَ مصرٍ وبعــد مطّلب   ترجو الغِنى إن ذا من العجب
إن كاثرونا جئنا بأسرته   أو واحدونا جئنا بمطّلب

يعزله المطلب عن أسوان حين بلغه هجاؤه له

قال وبلغ المطلبَ هجاؤه إياه بعد أن ولاه ، فعزله عن أسوان ، فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعدَ المِنبر يومَ الجمعة ، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة ، وأنزله عن المِنبر ، واصعد مكانه . فلما أن علا المنبرَ وتنحنحَ ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دِعبِل: دعنى أخطب ، فإذا نزلتُ قرأته . قال: لا ، قد أمرنى أن أمنعَك الخُطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولا .

قال : فحدّثنى عبد الله بنِ أبى الشِّيص قال : قال لى دعبل قال لى المطلب : ما تفكرت فى قولك قط :

إن كاثرونا جئنا بأسرته   أو واحدونا جئنا بمطلب

٤٩/١٨

إلا كنتَ أحبّ الناس إلىّ ، ولا تفكرْت والله فى قولك لى :

وعاديْتَ قوما فما ضرهم   وقدّمتَ قوما فلم ينبُلوا

إلا كنت أبغضَ الناس إلى .

معنى إستارين فى شعره

قال ابنُ المرْزبانِ حدّثنى مَن سأل الرّياشى عن قوله : إستارين ، قال : يجوز على معنى إستار كذا ، وَإستار كذا . وأنشدنا الرياشى :

سعى(1) عقالا(2) فلم يترك لنا سَبَدا ... فكيف لو قد سعَى عمرو عِقالَين
لَأصبَح القوم أوقاضا(3) فلم يجدوا ... يوم الترحل والهيجا جِمالين

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ قال: حدثني عبدُ العزيز بنُ سهل قال:

لما قصد دِعبل عبد المطلب بنَ عبد الله بنِ مالك إلى مصر ولم يرضَ ما كان منه إليه قال فيه:

هجاؤه المطلب

أمطّلبٌ أنت مستعذِب ... حُمَيّا الأفاعي ومستقبِلُ
فإن أشفِ منك تكن سُبّة ... وإن أعفُ عنك فما تعقل
ستأتيك إما وردتَ العراق ... صحائفُ يأثِرها دِعبل
منمّقةٌ بين أثنائها ... مَخازٍ تَحُطُّ فلا تَرحل
وضعتَ رجالا فما ضرّهم ... وشرّفت قوما فلم ينبُلوا
فأيُّهم الزّينُ وسْط الملا ... عطيةُ أم صالحُ الأحول؟
أم الباذِجانيّ أم عامر ... أمينُ الحمّام التي تَزْجُل
تُنوِّط مصرُ بك المخزيات ... وتبصق في وجهك الموصل
ويومَ السّراة تحسّيتَها ... يطيب لدى مثلِها الحنظل
توليتَ رَكْضاً وفتياننا ... صدورُ القنا فيهمُ تعمَل(4)

---

(1) سعى: باشر عمل الصدقات.

(2) العقال: زكاة عام من الإبل والغنم، ونصب على الظرفية.

(3) الأوقاض: الفقراء، مفردها وقض كسهل، أو وقض كجمل. وفي س، ب: «أوقاص»، تحريف.

(4) ب، مد: «تعسل».

إذا الحربُ كنت أميرا لها فحظهمُ منك أن يُقتَلوا

فمنك الرءوسُ غداةَ اللقاء ومِمّن يحاربك المُنْصُل

شعارك فى الحرب يومَ الوغى إذا انهزَموا : عجِّلوا عجِّلوا

هزائمُك الغُرُّ مشهورة يُقرطِس (١) فيهن من ينضُل (٢)

فأنتَ لأوّلهم آخرٌ وأنت لآخرهم أول

ومن هجائه المطلب

أخبرنى عمّى قال أنشدنا المبرِّدُ لدِعبِل يهجو المطّلبَ بنَ عبد الله ويُعيِّره بغلامَين : علىٍّ وعمرٍو ، وكان يُتّهم بهما :

فأَيرُ علىٍّ له آلة وفَقْحة (٣) عمرو له ربّه (٤)

فَطورا تصادفه جَعبةٌ وطورا تصادفه حربه

ومن مدحه إياه

وأنشدنى ابنُ عمار عن أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ أبى شيخ لدِعبل (٥) يمدح المطّلبَ بنَ عبدِ الله بنِ مالك ، وفيه غناء .

صوت

زَمَنِى بمطَّلب سُقيتَ زمانا ما كنتَ إلا روضة وجِنانا

٥٠ / ١٨

كُلُّ الندَى إلا نداكَ تكلُّف لم أرضَ بعدكَ كائنًا مَن كانا

أصلحتَنى بالبرّ بل أفسدتَنى فتركتَنى أتسخَّط الإحسانا

(١) يقرطس : يصيب الغرض .

(٢) ينضل : يسبق فى الرمى ، والمراد هنا : يرمى .

(٣) الفقحة : حلقة الدبر الواسعة .

(٤) له ربة : له صاحبة ، وتطلق الربة على كل صنم على صورة الأنثى .

(٥) زيادة فى م ، أ . مد .

سبب سخطه على المطلب

وقد أخبرنى بخبره الأولِ الطويل مع المطلب الحسنُ بن علىٍّ عن أحمدَ بنِ[1] محمد حدّان عن أحمدَ بنِ يحيى العدَوى أن سبب سخطه على المطلب أن رجلا من العلويّين كان قد تحرك بطنجة[2]، فكان يَبُثّ دعاته إلى مصر، وخافه المطلب، فوكّل بالأبواب مَن يمنع الغرباء دخولها.

فلما جاء دِعبِل مُنع فأغلظ للذى منعه، فقنّعه بالسوط وحبسه، فمضى رَزِين فأخبر المطلب، فأمر بإطلاقه، ودعا به فخلع عليه. فقال له: لا أرضى أو تقتلَ الموكّل بالباب فقال له: هذا لا يمكن لأنه قائد من قُوّاد السلطان، فغضب ثم أنشده الرجل[3] الأبيات المذكورة، فأجازه، وحكى أن اسمَه محمدُ بنُ الحجاج، لا أحمد بن السراج. وسائر الخبر مثلُه.

سبب مناقضته أبا سعد المخزومى

وكان سببَ مناقضته أبا سعد المخزومىَّ وما خرج إليه الأمر بينهما قولُ دِعبِل قصيدته التى هجا فيها قبائل نِزَار، فحمِى لذلك أبو سعد، فهجاهم، فأجابه أبو سعد، ولجَّ الهجاء بينهما.

ورُوى أنه نَزَل بقوم من بنى مخزوم، فلم يُضَيِّفوه، فهجاهم، فأجابه أبو سعد ولجّ الهجاء بينهما.

أخبرنى عمى والحسنُ بنُ على الخفّافُ قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويَه قال: حدثنى محمدُ بنُ الأشعثِ قال: حدثنى دعبل أنه ورَزِينا العَروضىَّ نزلا بقوم من بنى مخزوم، فلم يقْروهما، ولا أحسنوا ضيافتهما قال دعبل: فقلت فيهم:

---

(١) م، أ: «أحمد بن حدان».

(٢) كذا فى م، أ، مد. وهى بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وفى س، ب: «ظنبة»، تحريف.

(٣) يريد رفيق دعبل وأخيه فى الرحلة (راجع الصفحة ١٥٩ من هذا الجزء).

عِصابةٌ من بنى مخزومَ بِتُّ بهم بحيث لا تطمع المِسحاةُ[1] فى الطين

ثم قلت لرزين : أجز فقال :

فى مَضغ أعراضهم من خبزهم عِوَضٌ بنى[2] النفاق وأبناء الملاعين

قال ابن الأشعث : فكان هذا أولَ الأسباب فى مهاجاته لأبى سعد .

أخبرنى محمدُ بن عِمران الصَّيرفىُّ قال : حدثنى العَنَزىّ قال : حدثنى علىُّ بن عمرٍو الشيبانىُّ أن الذى هاج الهجاء بين أبى سعد ودِعبِل قصيدته القحطانية التى هجا فيها نِزَاراً ، فأجابه عنها أبو سعد ، ولجّ الهجاء بينهما .

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال : حدثنا محمدُ بن القاسم قال : حدثنى أحمد بنُ أبى كامل قال : كان سببَ وقوع الهجاء بين دعبل وأبى سعد قولُ دعبل فى قصيدة يفخر فيها بخُزاعة ، ويهجو نِزاراً ، وهى التى يقول فيها :

أتانا طالباً وَعْرا فأعقبناه بالوَعر

وتَرْناه فلم يَرض فأعقبناه بالوِتر

فغضب أبو سعد ، وقال قصيدته التى يقول فيها لدعبل ، وهى مشهورة :

وبالكرخ هوًى أبقى على الدهر من الدهر

هوًى والحمد لله كناأى كُلفة[3] العذر

قال : ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك .

من هجاء أبي سعد المخزومي له

أخبرنى الحسنُ بنُ على قال: حدثنا محمد بنُ القاسمِ بنُ مَهْرَويَه قال: حدثنى أحمدُ بنُ

(١) المسحاة : أداة من حديد كالمجرفة يسحى بها الطين أى يقشر .

(٢) م ، أ : « بنو » .

(٣) فى م ، أ : « طلب » .

٥١ / ١٨ هارونَ قال : دخلتُ على أبى سعدٍ المخزومىِّ يوماً وهو يقول : وأى شىء ينفعنى ؟ أجوّد الشعر فلا يُروى، ويُرذل فيُروَى ، ويفضحنى برديئه ، ولا أفضحه بجيّدى ، فقلتُ : مَن تَعنى يا أبا سعد ؟ فقال : مَن ترانى أعنى إلا مَن عليه لعنةُ الله دِعبِلا ! فقلت فيه :

لَيْسَ لُبس الطيالِس مِن لِباس الفوارسِ
لاولا حَوْمَةُ الوغىْ كصُـــدور المجالس
ضَرْبُ أوتار نَفْنفَ[1] غيرُ ضرب القوانس[2]
وظُهور الجِيـــاد غـــير ظهور الطنافس
ليس مَن ضارسَ[3] الحرو ب كمن لمْ يُضارس
بِأبى غرسُ فِتيـــةٍ مِن كرام المغارس
فِتيـــة من بنى المُغـــيرة شمّ المعـــاطس
يُطعِمون السديف[4] فى كل شهباء[5] دامس
فى جِفانٍ كأنهـــا من جفان العرائس
ثم يمشون فى السّنوْ[6] ر مشىَ العنابس[7]
ويخوضون باللـــوا ء دماء الأبالس
نحن خير الأنامِ عنـــد قيـــاس المُقايس

---

(١) نفنف : اسم غلام لدعبل ، وكان مغنيا له .
(٢) القوانس : جمع قونس ، وهى أعلى بيضة الحديد (الخوذة) .
(٣) ضارس : جرب .
(٤) السديف : شحم السنام .
(٥) شهباء : سنة مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر .
(٦) السنور : لبوس من قد كالدرع ، وجملة السلاح .
(٧) العنابس : جمع عنبس كجعفر ، وهو الأسد .

فو الله ما التفت إليها في مصرنا هذا إلا علماء الشعر : وقال هو فيّ :

يا أبا سعدٍ قَوْصَره(1) زانَي الأخت والمرَه
لو تراه مُحَنَّبًا(2) خلته عَقَدَ قنطره
أو ترى الأيرَ في أسته قلت ساقٌ بمِقطره(3)

قال : فوالله لقد رواه صبيان الكتّاب ومارة الطريق والسِّفَل ، فما أجتاز بموضع إلا سمعته من سِفْلة يَهْذِرُون به(4) ، فمنهم مَن يعرفني فيَعيبُني به ، ومنهم من لا يعرفني ، فأسمعه منه لسهولته على لسانه .

يذكر أن الخزمي دس في شعره ما لم يقله

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمي قالوا : حدثنا الحسنُ ابنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدثني عليُّ بن أبي عمرو الشيبانيُّ قال :

جاءني إسمعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ ضَمْرة الخُزاعيُّ ، فقال لي : إني سألت دِعبلا أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت :

أفيقي من مَلامك يا ظعينا كفاكِ اللومَ مرُّ الأربعينا

فقال لي إسمعيل : قال لي دعبل : يا أبا الحسن فيها أخبار وغَرِيب ، فليكن معك رجل يقرؤها عليّ وأنت معه ، فيكونَ أهونَ عليّ منك ، فقلت له : لقد اختَرْتُ صديقا لي يقال له : علي ، فقال : أمِن العرب هو ؟ قلت : نعم . قال : مِنْ أيّ العرب ؟ قلت : من بني شيبانَ . قال : شيبانُ كندة ؟ فقلت : بل شيبانُ ربيعة . فقال لي : ويحك ! أتأتيني برجل أسمعه ما يكره في قومه ؟ فقلت : له : إنه رجل يَحتمل ، ويحب أن يسمع ماله

(1) القوصرة : كناية عن المرأة ، وتطلق على المنبوذ في لغة أهل البصرة .
(2) محنبا : محنيا ، وفي بعض النسخ : « مجيبا » ، ولا معنى لها هنا .
(3) المقطرة : خشبة فيها خروق ، سعة كل خرق على قدر الساق ، يدخل فيها أرجل المحبوسين .
(4) في م ، أ : « يهذونه » أي يسرعون في قراءته .

وعليه . فقال : فى مثل هذا رغبة[1] ، فأتنى به ، فصرنا إليه ، فلما لقيه قال : قد أخبرنى عنك أبو الحسن بما سُرِرتُ به ؛ أنك كنت رجلا من العرب تُحب أن تَسمع ما لك وعليك لكيلا تَغبن ، فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا فى القصيدة إلى قوله :

٥٢/١٨

مِنَ اَى ثَنِيّة طلعت قريش وكانوا معشرا متنبّطينا

فقال دعبل : معاذ الله أن يكون هذا البيت لى ، ثم قال : لعنه الله وانتقم منه — يعنى أبا سعد المخزومىّ — دَسّه والله فى هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه[2] فجرّد البيت بحدها ثم قال لنا : أحدثكم[3] عنه بحديث طَريف :

يزوره المخزومى ويجالسه، ويرسل إليه حين انصرف هجاء فيه

جاءنى يوما ببغداد أشدّ ما كان بينى وبينه من الهجاء ، وبين يدىّ صحيفة ودواة ، وأنا أهجوه فيها ، إذ دخل علىّ غلام لى فقال : أبو سعد المخزومى بالباب . فقلتُ له : كذبتَ . فقال ، وهو عارف بأبى سعد : بلى والله يا مولاى ، فأمرته برفع الدواةِ والجلدِ الذى كان بين يدَى ، وأذنت له فى الدخول ، وجعلتُ أحمَد الله فى نفسى ، فأقول : الحمد لله الذى أصلح بينى وبينه من هَتْك الأعراض وذِكرِ القبيح ، وكان الابتداء منه . فقمْت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأبديتُ له مثلَ ذلك من السرور به ، ثم قلت : أصبحتُ والله حاسدا لك . قال : على ماذا يا أبا على ؟ فقلت : بسَبْقك إياى إلى الفضل .

فقال لى : أنا اليوم فى دعوى عندك ، فقلت : قل ما أحببتَ . فقال : إن كان عندك ما نأكله ، وإلا ففى منزلى شىء مُعَدّ . فسألت الغلمان فقالوا عندنا : قِدْر أمْسيّة[4] . فقال : غايةٌ واتفاق جيّد . فهل عندك شىٌ نشربُه ، وإلا وجهت إلى منزلى

(١) كذا فى أ ، م . س ، ب : «أريحية» .
(٢) كذا فى ب . وفى أ ، م : «معنا» .
(٣) فى أ ، م : «أحدثكم بحديث طريف» .
(٤) أمسية : مساء .

فيه شراب مُعَد؟ قلت له: عندنا ما نشرب، فطرح ثيابه وردّ دابته وقال: أحب ألا يكون معنا غيرُنا، فتغدينا وشربنا، فلما أن أخذ الشراب منا قال: مُرْ غلامَيك يغنياني، فأمرت الغلامَين فغنياه، فطرِب وفرِح، واستحسن الغناء حتى سرّني وأطربني معه، ثم قال: حاجتي إليك يا أبا علي أن تأمرَهما بأن يغنياني في هجائك لي — وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه مني في هجائي قد حفِظا منه أشياء ولحّناها — فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد قد طَفِئت النائرة[1]، وذهبت العداوة بيننا، وانقطع الشر. فما حاجتك إلى هذا؟ قال لي: سألتك بالله إلا فعلْت، فليس يَشُق ذلك عليّ. ولو كرِهتُه لما سألتُه. فقلت في نفسي: أترى أبا سعد يتماجن عليّ؟ يا غلمان، غنّوه بما يريد، فقال غنوه:

يا أبا سعد قَوْصَرَه زانيَ الأخت[2] والمره

فغنّوه، وهو يحرك رأسه وكتفيه، ويطرب ويصفق، فما زلنا يومنا مسرورَين. فلما ثمِل ودّعني وقام فانصرف، وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب، فإذا غلام منهم قد انصرف إليّ بقطعةِ قرطاس، وقال: دفعها إليّ أبو سعد المخزوميّ، وأمرني أن أدفعها إليك. قال: فقرأتها، فإذا فيها:

لِدِعبلٍ مِنّة يَمُنّ بها فلست حتى المات أنساها
أدخلَنا بيته فأكرمنا[3] ودسّ بامرأته[4] فنكناها

فقال: ويْلي على ابن الفاعلة، هاتوا جلدا ودَواة، قال فردّوهما عليّ، فعدتُ إلى هجائه، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة، فما سلّم عليّ، ولا سلمت عليه.

---

(١) النائرة هي الشحناء. وفي س، ب، مد: «الثائرة».
(٢) م، أ: «الأم».
(٣) م، أ: «فأطعمنا».
(٤) في س، ب: «امرأته»، تحريف.

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حَدَّثنا علىّ بن عبد الله ابن سعد، أنه سمع دِعبِلا يحدث بخبره هذا مع أبى سعد، فذكر نحو ما ذكره العَنَزِىّ.

٥٣ ١٨ أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ قال: حدثنى أحمدُ بنُ أبى كامل قال: رأيت دِعبِلا قد لقِىَ أبا سعد فى الرُّصافة، وعليهما السَّواد وسيفاهما على أكتافهما، فشدّ دِعبِل على أبى سعد فقنّعه، فركض أبو سعد بين يديه هاربا، وركض دِعبِل فى أثره وهو يهرُب منه حتى غاب، قال: وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بنى مخزوم فى دار المأمون، فتظلموا منه إلى المأمون، وذكروا أنهم لا يعرفون له فيهم نسبا، فأمرهم المأمون بنفيه، فانتفَوا منه، وكتبوا بذلك كتابا. فقال دِعبِل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة:

يشد على المخزومى فيقنعه بسيفه

يهجو المخزومى حين انتفى منه بنو مخزوم

غير أن الصيِّد منهمْ قنَعوه[1] بخَزايه
كتبوا الصّك عليه فَهو بين الناس آيه
فإذا أقبـــل يوما قيـل قد جاء النُّفَايه

وقال فيه أيضاً:

همُ كتبوا الصّك الذى قد علمْتَه عليك وشنّوا فوق هامتك القفدا[2]

قال: وكان إذا قيل له بعد ذلك شىء فى نسبهِ قال: أنا عبدُ ابنُ عبد. قال: ونظر دِعبل فرأى على أبى سعد قَباء مَرْوِيّا[3] مصبوغا بسواد، فقال: هذا دعىّ على دعىّ.

يرى دفتر شعر المخزومى فيملى هجاء له على حامله

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَهْ قال: حدثنى أحمدُ بنُ مروانَ مولى الهادى قال:

(١) س، ب: «قنفوه»، تحريف.
(٢) كذا فى م، أ. ومعناها الصفع. وفى س، ب «القفرا»، تحريف.
(٣) مروى: منسوب إلى مرو، قاعدة خراسان.

لقِيَنِي أبو سعد المخزوميُّ على ظهر الطريق فقال لي : يا أحمد أنا أدرس شِكايتَك إلى أبيك ، قال فقلت : ولِمَ أبقاك الله ؟ قال : فما فعل دفتر البزَاريات[(١)] ؟ قلتُ : هو ذا أجيئك به ، فلما صلّيتُ الظهر جئت بالدفتر أريده ، فمررْتُ بدِعبل فدققتُ بابه ، فسمعته يقول لجارية له : يادرام ، انظري مَن بالباب . فقالت له : أحمدُ بنُ مروان . فقال : افتحي له ، فلما دخلْتُ قلت له : أيشٍ هو دراهم من الأسماء ؟ قال : سميتم جواريكم دنانير ، فسمينا جوارينا بدراهم . ثم قال : ما هذا معك ؟ قلت : دفترٌ فيه شِعر أبي سعد في البزاريات ، فأخذه فنظر فيه وابنهُ عليٌّ بنُ دِعبل بنِ عليٍّ معه ، فلما بلغ من نظره إلى شِعره الذي يقول فيه :

مالت إلى قلبك أحزانه فهو مُجِمُّ الهم خزّانه[(٢)]

قال له بنه علي : فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره :

عادت إلى قلبك أحزانه ؟

فقال دِعبل : صدقتَ واللهِ يا بنيّ ، أنت والله أشعر منه ، قال : ثم إنه أملى[(٣)] عليَّ دِعبل إملاء :

ما كنتُ أحسب أنّ الدهر يُمهلني حتى أرى أحدا يهجوه لا أحدُ

إني لأعجب ممن في حقيبته من المنيِّ مُجورٌ كيف لا يلد ؟

فإن سمِعت به[(٤)] بعثُ القنا عبثا فقد أراد قنًا ليست له عُقَدُ

ثم صِرْت إلى أبي سعد ، فلما رآني من بعيد قال : يا أحمد ، مِن أين أقبلت ؟

(١) كذا في النسخ ، ولعلها المنسوبة إلى بزار ، بلدة على فرسخين من نيسابور .

(٢) الشطر الثاني زيادة من ى .

(٣) م ، أ : «أمل» ، وهي بمعنى أملى .

(٤) ى : «سمت له» .

قلت : من عند دِعبل . قال : وما دعبَلْت عنده ؟ فأنشدته شِعر دِعبل فيه ، وأخبرتُه بما قال ابنه فى شعره ، فقال : صدق والله ، فى أى سن هو ؟ قلت : قد بلغ . فدعا بدَواة وقرطاس وقال : اكتب فكتبت :

لا والذى خلق الصهباء من ذهب   والماء من فضة لا سادَ من بَخِلا
يقول لى دِعبِل فى بطنه حبل   ولو أصابت ثيابى دِعبِل حَبِلا
ودِعبِل رجل ما شئتَ من رجل   لو كان أسفلُه من خلفه رجُلا

٥٤/١٨ قال : ثم هجانى أبو سعد ، فقال :

عدُوٌّ راح فى ثوبَىْ صديق   شريك فى الصَّبوح وفى الغَبوق
له وجهان ظاهره ابنُ عمٍّ   وباطنه ابنُ زانية عتيق
يَسُرُّك معلِنا ويَسُوء[1] سرًّا   كذاك يكون أبناء الطريق

يخاف بنو مخزوم هجاءه فينفون المخزومى منهم

أخبرنى عمى والحسنُ بن علىّ قالا : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويَهْ قال : حدثنا أبو ناجية — شيخٌ من ولد زُهَير بن أبى سُلمىٰ — قال :

حضرتُ بنى مخزوم وهم[2] ببغدادَ ، وقد اجتمعوا على أبى سعد لمّا لجّ الهجاء بينه وبين دِعبل ، وقد خافوا لسان دعبل ، وأن يقطعهم ويهجوَهم هجاء يَعُمّهم جميعا ، فكتبوا عليه كتابا ، وأشهدوا أنه ليس منهم . فحدّثنى غيرُ واحد أنه أتى حينئذ بخاتمه النقاشَ ، فنقش عليه : أبو سعدٍ العبدُ ابنُ العبد برىء من بنى مخزوم تهاوُنًا بما فعلوه .

المخزومى يحرض المأمون عليه فلا يستجيب له

أخبرنى على بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدثنى محمدُ بنُ يزيدَ قال :

كان أبو سعد المخزومىُّ قد كان يستعلى على دِعبِل فى أول أمره ، وكان يدخل إلى

---

(١) ب ، س ، م : « ويسوءك بالتخفيف » .
(٢) أ ، م : « مخزوم ببغداد » .

المأمون فيُنشده هجاء دعبل له[١] وللخلفاء ، ويحرّضه عليه وينشده جوابه[٢] ، فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه . وكان يقول : الحقّ فى يدِك والباطل فى يد غيرك ، والقـول لك ممكن ، فقل ما يكذبه[٣] ، فأما القتل فإنى لستُ أستعمله فيمن عظُم ذنبه ، أفأستعمله فى شاعر[٤] ! فاعترض بينهما ابن أبى الشيص ، فقال يهجو أبا سعد :

يعترض ابن أبى الشيص بينهما ، ويهجو المخزومى

أنا بشّرتُ أبا سعـــد فأعطانى البشارَهْ
بِأبٍ صِيدَ له بالـ أمس فى دار الإماره
فَهْو يوما من تميم وهو يوما من فَزاره
كلّ يوم لأبى سعـــد على الأنساب غاره
خزَمتْ مخزوم فاه فادعاهـا بالإشاره

قال : وقال فيه ابن أبى الشيص أيضا :

أبا سعد بحق الخمـ س والمفروضِ من صومكْ
أقلْتَ الحق فى النسبـ ـة أم تحلمُ فى نومك ؟
أبِنْ لى أيّها المَعْرو[٥] ر مِمّن أنت فى قومك ؟
فولّى قائلا لو شئـــتَ قد أقصرْتَ من لومكْ
ودعنى أكُ مَن شئتُ إذا لم أكُ من قومك

(١) أ ، م « لنزار » .
(٢) زيادة من ى .
(٣) أ ، م : « ما تكذبه » .
(٤) فى س ، ب : « فاستعمله ساعة » ، تحريف .
(٥) المعرور : الأجرب ، والملطخ بالشر . س ، ب ، مد : « المغرور » .

من هجائه فى المخزومى

وقال فيه دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعرٌ   يُعرَف بالكُنية لا الوالدِ
يَنْشُد فى حىّ معدٍّ أبًا   ضلّ عن المنشود والناشد
فرحمةُ الله على مسلم   أرشد مفقوداً إلى فاقد

يغرى الصبيان أن يصيحوا بهجائه فى المخزومى

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا ابنُ مُهرُويَهْ قال : حدثنى أحمدُ بن عثمانَ الطبرىُّ قال :

سمعتُ دِعبِل بنَ علىّ يقول : لما هاجيت أبا سعد أخذت معى جَوْزا ودعَوت الصبيان فأعطيتهم منه ، وقلت لهم : صِيحوا به قائلين :

٥٥ / ١٨

يا أبا سعد قَوْصَره   زانىَ الأخت والمَرهْ

فصاحوا به ، فغلبْتُه .

تعريض آخر للمأمون عليه

أخبرنى الحسنُ بن علىّ ، قال حدثنى بن مَهْرُويَهْ ، قال : حدثنى أحمدُ بنُ مروانَ قال : حدثنى أبو سعد المخزومىُّ واسمه عيسى بنُ خالد[1] بنِ الوليد قال :

أنشدتُ المأمون قصيدتى الدالية التى رددت فيها على دعبل قوله :

ويسومنى المأمون خطةَ عاجز   أوَما رأى بالأمس رأس محمد !

وأول قصيدتى :

أخذ المشيبُ من الشباب الأغيد   والنائبات من الأنام[2] بمرصَد

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ، ائذن لى أن أجيئك برأسه . قال : لا ، هذا رجل تَفخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأمّا قتله بلا[3] حجة فلا .

(١) كذا فى غيرس . س : « عيسى بن الوليد » ، وفى معجم الشعراء : « عيسى بن خالد بن الوليد » .
(٢) م ، أ : «الرجال» .
(٣) م ، أ «فلا حجة فيه» .

يذكر هجاء المخزومي فيه وقد رأى وجهه في المرآة

أخبرنى عمّى والحسنُ بنُ علىٍّ عن أحمدَ بن أبى طاهر قال: حدثنى أبو السّرىّ عمرٌو الشيبانىُّ قال:

نظر دِعبِل يوماً فى المرآة، فجعل يضحك، وكانت فى عَنْفَقَته [١] سَلْعة [٢]، فقلتُ له: مِن أىّ شىء تضحك؟ قال: نظرت إلى وجهى فى المرآة، ورأيت هذه السّلْعَةَ التى فى عَنْفَقَتِى، فذكرْت قول الفاجر أبى سعد:

وسَلْعَة سَوْء به سَلْعَةٌ ظلمتُ أباه فلم ينتصر

ينشده منشد قصيدة المخزومي فيه

أخبرنى محمدُ بن عِمرانَ الصيرفىُّ قال: حدّثنا الحسَن بنُ عُلَيْل العَنَزِىّ قال: قال عبدُ الله بنُ الحسن بنِ أحمدَ مولى عمرَ بنِ عبد العزيز قال: حدّثنا محمدُ بنُ علىٍّ الطالبىُّ قال:

لقِيت دِعبِل بنَ علىّ، فحدّثنى أن أبا عمرو الشيبانىّ سأله: ما هو دعبل؟ فقلت له: لا أدرى، فقال: إنها الناقة المسِنّة. قال محمدُ بنُ علىٍّ الطالبىُّ: ثم تحدثنا ساعة، فقلتُ: أما ترى لأبى سعد يا أبا علىّ وانهماكه فى هجائك؟ فقال دِعبِل: لكنى لم أقُل فيه إلا أبياتاً سخيفة يلعب بها الصبيانُ والإماء، وأنشدنى قوله فيه:

يا أبا سعد قَوْصرَه زانىَ الأختِ والمره
لو تراه مجنّبـــاً خلته عقد قنطره
أوترى الأيرَ فى آسته قلتَ ساقٌ بمِقطرَه

قال محمد، فقلت لدِعبل: دع عنك ذا، فقد والله أوجعك الرجل، فإن أجبته

(١) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٢) السلعة: زيادة فى البدن كالغدة تتحرك إذا حركت، وتكون من حمصة إلى بطيخة.

بجواب مثله انتصفتَ ، وإلا فإن هذا اللغو الذى تَفرِّتَ به يَسقط وتُفْضَح آخرَ الدهر ،
قال : ثم أنشدته قول أبى سعد فيه [١] :

لم يبقَ لى لذةٌ [٢] من طِيَّةٍ [٣] بدَدٍ [٤] ولا المنازلِ من خَيْف [٥] ولا سَنَد [٦]
أبعد خمسين عادت جاهليته ياليت ما عاد منها اليومَ لم يَعُد
وما تُريد عيونُ العِين من رجل كَرَّ الجديدان فى أيامه الجُدُد
أبدى سرائرَه وَجْدا [٧] بغانية ولو أطاع مشيبَ الرأس لم يجد
واستمطرتْ عبراتِ العَين منزلةٌ لم يبقَ منها سوى الآرِىِّ [٨] والوتد
وما بكاؤك داراً لا أنيس بها إلا الخواضبُ [٩] من خيطانها [١٠] الرُّبُدُ [١١]
لِدعبل وطَرٌ فى كل فاحشة لَوْ بادَ لؤم بنى قحطانَ لم يَبِد ٥٦ / ١٨
ولى قوافٍ إذا أنزلتُها بلداً طارتْ بهن شياطينى إلى بلد

(١) م ، أ : «قول أبى سعد ، وفيه غناء» . « صوت » .
(٢) م ، أ : « جلد » .
(٣) كذا فى م ، أ . والطية : الحاجة والوطر . س ، ب : « طرية » ، تحريف .
(٤) بدد : متباعدة .
(٥) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ويضاف إلى أماكن متفرقة .
(٦) السند : ما قابلك من الجبل ، وعلا من السفح ، واسم ماء لبنى سعد .
(٧) م ، أ : «وجد» .
(٨) الآرى : عود فى حائط ، أو فى حبل يدفن طرفاه فى الأرض ويبرز طرف كالحلقة تشد فيها الدابة .
(٩) الخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم ، أى ذكر النعام أكل الربيع فاحمر ساقاه . م ، أ : «ظلمانها» .
(١٠) الخيطان : جمع خيط كسيف ، وهو الجماعة من النعام .
(١١) الربد : الغبر .

لم ينجُ من خيرِها أوشرِّها أحد   فاحذرشآبيبَها(١) إن كنتَ مِن أحد
إنّ الطِّرِمّاح نالته صواعقُها   فى ظلمة القبر بين الهام(٢) والصُّرَد(٣)
وأنت أولى بها إذ كنت وارثه   فابعُد وجهدُكَ أن تنجو على البعُد
تهجو نزاراً وترعى فى أرومتها(٤)   وتنتمى فى أناسٍ حاكةِ البُرُد
إنى إذا رجُل دبّت عقاربه   سقيتُه سم حيّاتى فلم يَعُدِ
زدنى أزدك هواناً أنت موضعه   ومَن يزيد إذا ما نحن لم نَزِد؟
لو كنتَ متئداً فيما تُلفقه   لكان حظك منه حظ متئد
أو كنتَ معتمِداً منه على ثقة   من المكارم قلنا : طَوْل(٥) معتمد
لقد تقلدْتَ أمراً لست نائله   بلا ولِيّ ولا مولى ولا عضُد
وقد رميتَ بياض الشمس تحسبه   بياض بطنِك من لُؤمٍ ومن نكَد
لاتُوعدنّى بقوم أنت ناصرهم   واقعد فإنك نَوْمَانٌ(٦) من القعَد(٧)
لله معتصم بالله ، طاعتُـــه   قضية من قضايا الواحد الصمد

قال ، فلما أنشدتها دِعبلا قال : أنا أشتُمه وهو يشتُمنى ، فما إدخال المعتصم بيننا ؟ وشق ذلك عليه وخافه ، ثم قال نقيض هذه القصيدة :

---

(١) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو حد كل شىء وشدة دفعه .
(٢) الهام : من طيور الليل ، جمع هامة .
(٣) الصرد : طائر ضخم الرأس يصطاد العصافير .
(٤) م ، أ : وإمارتها .
(٥) الطول : القدرة والسعة .
(٦) النومان : كثير النوم ، ولا يستعمل إلا منادى .
(٧) القعد : هم الذين قعدوا عن نصرة على ومقاتلته ، جمع قاعد .

* منازل الحىِّ من غُمدان[1] فالنَّضَدِ *

وهى طويلة مشهورة فى شعره ، هكذا قال العَنَزىّ فى الخبر ، ولم يأت بها .

يمر بأبى سعيد على جسر بغداد فيشتمه

حدثنا محمدٌ قال : حدَّثنا العَنَزِىّ قال : حدَّثنى عبدُ الله بنُ الحسينِ عن محمدِ بن علىٍّ الطالبىِّ قال :

عَبَرَ دِعبِلِ الجسر ببغداد ، وأبو سعد واقف على دابته عند الجسر ، وعليه ثوبُ صوفٍ مشبَّه بالخز مصبوغ ، فضرب دِعبِل بيده عَلَى فخذه ، وقال : دَعِىٌّ عَلَىٰ دَعِىّ .

حديث بين عبدالله ابن طاهر و الضبى عن نسبه

أخبرنى محمدُ بنُ جعفرٍ الصيدلانىُّ صهر المبرِّد قال : حدَّثنى محمدُ بنُ موسى الضبىُّ راوية العَتَّابىّ ، وكان نديمًا لعبدِ الله بن طاهر قال :

بينما هو ذاتَ ليلة يذاكرنا بالأدب وأهلِه وشعراء الجاهلية والإسلام إذ بلغ إلى ذِكر المحدَثين حتى انتهى إلى ذِكر دِعبِل ، فقال : ويحك ياضَبّىّ ! ، إنى أريد أن أحدثك بشىء عَلَى أن تستره طول حياتى ، فقلت له : أصلحك الله أنا عندك فى موضع ظِنة ؟ قال : لا ، ولكن أطيبُ لنفسى أن توثِق لى بالأيمان لأركن إليها ، ويسكنَ قلبى عندها ، فأحدِّثك حينئذ .

قال : قلت : إن كنتُ عند الأمير فى هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سره إلىّ ، واستعفيته مراراً فلم يُعفنى ، فاستحييت من مراجعته ، وقلت: فليرَ الأمير رأيه . فقال لى : ياضَبّىّ ، قُل : والله . قلت : والله ، فأمرّها علىّ غَموساً مؤكَّدة بالبَيعة والطلاق وكلِّ ما يَحلف به مسلم . ثم قال : أشعرْتَ أنّ دعبلا مدخول النسب ؟ وأمسك ، فقلت : أعز الله الأمير ، أفى هذا أخذْتَ العهود والمواثيق ومغلّظ الأيمان ؟ قال : إى والله ، فقلت:

(1) كذا فى م ، أ . وهو اسم قصر مشهور باليمن هدم فى زمن عثمان . وفى س، ب : «عمران» وهو تحريف . وبقية البيت كما فى معجم البلدان : فمأرب فظفار الملك فالجند *

ولم؟ قال : لأني رجل لي في نفسي حاجة ، ودِعبِل رجل قد حمل نفسه على المهالك ، وحمل جِذعه على عنقه ، فليس يجد من يصلبه عليه ، وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ ما يبقى عليّ عاره على الدهر ، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمَته اليمنُ — وما أراها تفعل ؛ لأنه اليوم لسانُها وشاعرُها والذابُّ عنها والحامي لها والرامي دونها — فأضربه[1] مائة سوط ، وأُثقِله حديداً ، وأصيّره في مُطْبِق[2] باب الشام . ٥٧/١٨

وليس في ذلك عِوض مما سار فيّ من الهجاء وفي عقِبي من بعدي . فقلت : ما أراه يفعل ويُقدِم عليك . فقال لي : يا عاجز ، أهوَنُ عليه مما لم يكن . أتراه أقدَم على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم عليّ ؟ فقلت : فإذا كان الأمر كذا فقد وُفق الأمير فيما أخذه عليّ .

قال : وكان دِعبل صديقاً لي ، فقلت : هذا شيء قد عرفتَه ، فمن أين ؟ قال الأمير : إنّه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة ، لا يتقدمهم غير بني أُهبانَ مكلِّمِ الذئب . فقال: أسمع أنه كان أيامَ ترعرع خاملا لا يُؤبه له ، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد ، لا يملكان غيره . ومسلمٌ أستاذه وهو غلامٌ أمردَ يخدمه ، ودعبل حينئذ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال :

بداية اشتهاره وطلب الرشيد أن يلازمه

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

وغنّى فيه بعض المغنين وشاع ، فغُنّيَ به بين يدي الرشيد ، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكي ، فطرب الرشيد ، وسأل عن قائل الشعر ، فقيل له : دِعبِل بن عليّ ، وهو غلام نشأ من خُزاعة . فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخِلعة من ثيابه ، فأُحضر ذلك ، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته ، وقال له : اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دِعبِل بنِ عليّ ، فإذا دُللتَ عليه فأعطه هذا ، وقل له : لِيحضرْ إن شاء ، وإن لم يجب

(1) كذا في النسخ ويبدو أنها : أن أضربه ؛ لتستقيم العبارة .

(2) المطبق : السجن تحت الأرض .

ذلك فدعه . وأمر للمغنى بجائزة ، فسار الغلام إلى دِعبِل ، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالسير إليه .

فلما دخل عليه وسلّم أمره بالجلوس فجلس ، واستنشده الشعر فأنشده إياه ، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقا سنيًّا ، فكان أولَ من حرضه عَلَى قول الشعر ، فو الله مابلغه أن الرشيد مات حتى كافأه عَلَى ما فعله : من العَطاء السنىِّ ، والغِنى بعد الفقرِ ، والرفعةِ بعد الخمولِ بأقبح مكافأة . وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام ، وهجا الرشيد :

يبلغه موت الرشيد فيهجوه

وليس حىّ من الأحياء نعلَمه ... من ذى يمانٍ ومن بَكرٍ ومن مُضر
إلا وهمْ شركاء فى دمائهم ... كما تشارَكَ أيسار[1] عَلَى جُزر
قَتلٌ وأسر وتحريق ومنْهَبة ... فعل الغُزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قَتلوا ... ولا أرى لبنى العباس من عذُر
اربع بطُوس[2] عَلَى القبر الزكى إذا ... ما كنت تربَع من دين[3] عَلَى[4] وطَر
قبران فى طُوسَ خيرُ الناس كلِّهمُ ... وقبرُ شرِّهم هذا من العِبَر
ما ينفع الرّجسَ من قُرب الزكىّ ولا ... عَلَى الزكىّ بقُرب الرجس مِن ضرر
هيهات كلّ امرئ رهن بما كسبت ... له يداه فخذ ما شئت أو فذَر

— يعنى قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام ، فهذه واحدة . وأما الثانية فإن المأمون لم يزَل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله :

دس إلى المأمون شعر له فيصفح عنه ويستقدمه

(١) أيسار : جمع يسر ، بالتحريك ، وهم المجتمعون على الميسر .
(٢) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ .
(٣) وفى س ، ب : « دير » تحريف .
(٤) س ، ب : والى

٥٨/١٨

عِلْم وتحكيمٌ وشَيبُ مَفارق   طمَّسْنَ رَيعان الشباب الرائق
وإمارة فى دولة ميمـــونة   كانت على اللذات أشغبَ عائق
أنّى يكون وليس ذاك بكائن[1]   يَرِث الخلافةَ فاسق عن فاسق
إن كان إبراهيم مضطلعا بها   فَلَتَصْلُحَنْ من بعده لمُخارق[2]

فلما قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صَفَحْتُ عن كلّ ما هجانا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخارقٍ فى الخلافة ، وولاه عهدَه .

وكتب إلى أبى أن يكاتبه بالأمان ، ويحمِل إليه مالا . وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصيرَ إلى حيث شاء فليفعل . فكتب إليه أبى بذلك ، وكان واثقا به ، فصار إليه ، فحمله وخلع عليه ، وأجازه وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد المأمون ففعَل . فلما دخل وسلَّم عليه تبسم فى وجهه ، ثم قال أنشدنى :

مدارسُ آيات خلَتْ من تلاوة   ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصات

فجزع ، فقال له : لك الأمان فلا تخف ، وقد روَيتُها ولكنى أحبّ سماعها من فيك ، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكى حتى أخضَل لِحيته بدمعِه ، فو الله ما شعرَنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمونَ بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أولَ داخل ، وآخر خارج مِن عنده .

أخبرنى محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال : حدثنى أبو بكرٍ العامرىُّ ، قال :

يستدعيه بعض بنى هاشم ثم لا يرضيه فيهجوه

استدعى بعضُ بنى هاشمٍ دِعبل وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحى الشام ، فقصده إليها ، فلم يقع منه بحيث[3] ظن وجفاه ، فكتب إليه دِعبل :

دَلَّيْتَنى بغُرور وعــــدك فى   متلاطمٍ من حَوْمة الغرقِ

(١) س ، مد : « أنى يكون ولا يكون ولم يكن » .
(٢) مخارق : هو أبو المهنأ المخارق بن يحيى من موالى الرشيد ، وكان مغنيا .
(٣) س ، ب : « بحسن » .

حتى إذا شِمتَ العدوَّ وقد ... شُهر انتقاصُك شهرةَ البَلَق
أنشأتَ تحلف أنّ وُدَّك لى ... صافٍ وحبلك غيرُ منحذق[1]
وحسبتَنى فَقْعاً[2] بقَرْقَرةٍ[3] ... فوطئتَنى وَطئا على حنَق
ونصبتَنى علَما على غَرَض ... تَرْمِينِىَ الأعداء بالحدق
وظننتَ أرض الله ضيِّقة ... عنى وأرضُ الله لم تضق
مِن غير ما جُرمٍ سوى ثقة ... منّى بوعدك حين قلتَ : ثِق
ومودةٍ تحنـــو عليك بها ... نفْسى بلا منٍّ ولا ملق
فمتى سألتك حاجةً أبدا ... فاشدُد بها قُفْلا على غَلَق[4]
وقفِ الإخاء على شَفَى جُرُف ... هارٍ[5] فبِعْه بيعة الخَلَق
وأعِدّلى قُفُـــلا وجامعة[6] ... فاشدد يدَىّ بها إلى عنق
أُعفيك ممـــا لا تحبُّ بها ... واسدُد[7] علىّ مذاهب الأفق
ما أطولَ الدنيا وأعرضها ... وأدلّنى بمسالك الطرق

يتهم بشتم صفية بنت عبد المطلب فيهرب وينكر التهمة

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال : حدثنى أبى قال : قدِم دِعبِل الدِّينورَ[8] ، فجرى بينه وبين رجل من ولَد الزّبَيَر بنِ العوام كلام

(١) منحذق : متقطع .
(٢) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة وجمعها فقعة كعنبة .
(٣) قرقرة : أرض مطمئنة لينة . وفى المثل : أذل من فقع بقرقرة ، لأن الفقع لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .
(٤) الغلق : المغلاق ، وهو ما يغلق به .
(٥) هار : منهار .
(٦) الجامعة : الغل .
(٧) س ، ب : « اشدد » .
(٨) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين .

٥٩ / ١٨

وعَرْبدة عَلَى النبيذ ، فاستعدى عليه عمرَو بن حميد القاضى ، وقال : هذا شتم صفيةَ بنتَ عبد المطلب ، واجتمع عليه الغوغاء ، فهرب دِعبل ، وبعث القاضى إلى دارِ دِعبل فوكّل بها وختم بابه ، فوجّه إليه برُقعة فيها : ما رأيتُ قطُّ أجهلَ منك إلا مَن ولاّك ، فإنه أجهل ، يقضِى فى العَرْبدَة عَلَى النبيذ ، ويحكم عَلَى خصم غائب ، ويقبَلُ عقلكُ أنى رافضىّ أشتُم صفيةَ بنتَ عبد المطلب . سخِنَتْ عينك ، أفمِن دِينِ الرافضة شتْمُ صفية ! قال أبى : فسألنى الزبيرىُّ القاضى عن هذا الحديث فحدثته ، فقال : صدَق والله دعبل فى قوله ، لو كنتُ مكانهَ لوصلته وبررْتُه .

يغرى متنسكا فيعود إلى الندماء يسمع الغناء ولا يشرب النبيذ

أخبرنى الحسنُ بنُ على قال : حدثنا ابنُ مَهْرَوَيهْ قال : حدثنى إبراهيم بن سهل القارىءُ قال : حدثنى دِعبل قال :

كتبتُ إلى أبى نَهشل بن حميد ، وقد كان نسك وترك شُرب النبيذ ، ولزِم دار الحرَم :

إنما العَيش فى منادمة الإخــــــوان لا فى الجلوس عند الكَعاب
وبِصِرْفٍ كأنها ألسُن البر ق إذا استعرَضَتْ رقيقَ السحاب
إن تكونوا تركتمُ لذة العيـــــش حِذارَ العِقاب يومَ العقاب
فدعُونى وما ألذُّ وأهـوَى وادفعوا بى فى نحر يوم الحساب

قال: فكان بعد ذلك يدعونى وسائر ندمائى ، فنشرب بين يديه ، ويستمع الغناء ، ويقتصر على الأنس والحديث .

يشترك فى نظم قصيدة نصفها له ونصفها الآخر

أخبرنى الحسنُ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويَهْ قال : حدثنا إبراهيم بنُ المدبِّر قال : كنتُ أنا وإبراهيمُ بنُ العباس رفيقَين نتكسّبُ بالشعر قال : وأنشدنى قصيدة دِعبل فى المطّلب بنِ عبد الله :

أمطّلبُ أنت مستعذِب سمامَ الأفاعى ومستقبِلُ

قال ، وقال لى دعبل : نِصفها لإبراهيمَ بنِ العباس ، كنتُ أقول مِصراعا فيجيزُه ، ويقول هو مِصراعا فأجيزه .

يهجو مالك بن طوق لأنه لم يرض ثوابه

قال ابنُ مَهْرُويَهْ : وحدثنى إبراهيم بنُ المدبر أن دِعبلا قصد مالكَ بنَ طوق ومدحه ، فلم يرضَ ثوابه ، فخرج عنه وقال فيه :

إنّ ابنَ طَوقٍ وبنى تغلبٍ لو قُتلوا أو جُرحوا قُصْره[1]
لم يأخذوا من دِية درهما يوما ولا من أرْشِهم[2] بَعره
دِماؤهم ليس لها طالب مَطْلولةٌ مثلُ دم العُذْره
وجوههم بيض وأحسابهم سود وفى آذانهم صُفره

يمدح عبد الله بن طاهر فيجيزه

حدثنا محمدُ بنُ عِمران الصيرفىُّ قال : حدّثنى العَنَزِىّ قال : حدثنا عبدُ الله بنُ الحسن قال : حدثنى عمرُ بنُ عبد الله أبو حفص النحوىُّ مؤدب آل طاهر قال :

دخل دِعبلُ بن علىٍّ على عبد الله بن طاهر ، فأنشده وهو ببغداد :

جئتُ بلا حُرمة ولا سببِ إليك إلا بحرمة الأدبِ
فاقض ذِمامى فإننى رجل غيرُ ملحّ عليك فى الطلب

قال فانتعل[3] عبد الله ، ودخل إلى الحُرَم ، ووجّه إليه بصُرّة فيها ألفُ درهم ، وكتب إليه :

أعجلتَنا فأتاك عاجلُ برّنا ولوانتظرْتَ كثيره لم يَقلِلِ
فخُذالقليل وكن كأنك لم تسلْ ونكونُ نحن كأننا لم نفعل

(١) قصرة : أراد أنهم يقصرون عن إدراك الثأر .
(٢) الأرش : دية الجراحات .
(٣) كذا فى م ، أ ، س ، ب : «فانتقل» .

٦٠/١٨ أخبرنى أحمدُ بن عاصمٍ الُحلْوانىُّ قال : حدثنا أبو بكر المدائنىُّ قال : حدثنا أبو طالب الجعفرىُّ ومحمدُ بنُ أُميّة الشاعرُ جميعا قالا :

يهجو مالك بن طوق فيطلبه فيهرب إلى البصرة

هجا دِعبلُ بنُ علىٍّ مالكَ بنَ طوق فقال :

سألتُ عنكمْ يا بنى مالكٍ فى نازح الأرضين والدّانيه (١)
طُرًّا فلم تُعرف لكم نِسبة حتى إذا قلتُ بنى الزانيه
قالوا فدَع دارا على يَمْنةٍ وتلك هادارُهمُ ثانيه
لا حدَّ أخشاه على من قال أمّك زانيه

وقال أيضا فيه :

يا زانىَ ابنَ الزانِ إبـــن الزانِ إبنَ الزانيه
أنتَ المردَّد فى الزنا ء على السنينَ الخاليه
ومردَّد فيـه على كرِّ السنينَ الباقيه

يقبض عليه والى البصرة فيعفيه من القتل ويشهره

وبلغَت الأبيات مالـكا ، فطلبه ، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاقُ بنُ العباس بنِ علىِّ بنِ عبدِ الله بنِ العباس بنِ عبدِ المطلب ، وكان بلغه هجاء دِعبِلٍ وابنِ أبى عُيَينة نِزارا .

فأما ابنُ أبى عُيَيْنَة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه . وأما دِعبِل فإنه حين دخل البصرة بَعث فقبض عليه ، ودعا بالنِّطْع والسيف ليضربَ عنقه ، فجحد القصيدة وحلف بالطلاق عَلَى جَحدها و بكلّ يمين تبرّىءُ من الدم أنه لم يقلها وأن عدواً له قالها ، إما أبو سعد المخزومى أو غيرُه ونسبها إليه ليُغرىَ بدمه ، وجعل يتضرع إليه ويقبّل الأرض ويبكى بين يديه ، فرقَّ له ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد من

(١) ف : نازح الأرض وفى الدانية .

أن أشهرك ، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سَلَح ، وأمر به فأُلقىَ عَلَى قفاه ، وفُتح فمُه فرُدّ سَلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه ، وهو يحلف ألا يكفّ عنه حتى يستوفيَه ويبلعَه أو يقتله . فما رُفِعت عنه حتى بَلِعَ سلحه كله ، ثم خلاه ، فهرب إلى الأهواز .

بعث مالك بن طوق رجلا فاغتاله بأرض السوس

وبعث مالك بنُ طَوق رجلا حَصيفًا مِقداما ، وأعطاه سمًّا وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه عَلَى ذلك عشرة آلاف درهم ، لم يَزل يطلبه حتى وجده فى قرية من نواحى السُّوس ، فاغتاله فى وقت من الأوقات بعد صلاة العتَمة ، فضَرب ظَهر قدمه بعُكاز لها زُجّ مسموم فمات من غد ، ودُفن بتلك القرية .

طلب والى البصرة أن ينقض شاعر هجاءه هو وابن أبى عيينة لنزار

وقيل بل حُمل إلى السوس ، فدفن فيها ، وأمر إسحاق بنُ العباس شاعراً يقال له : الحسنُ بنُ زيد ويُكنَى أبا الذّلفاء ، فنقَض قصيدتَى دِعبِل وابن أبى عيينة بقصيدة أولها :

أما تَنفك متبولا [1] حزينا ... تحبّ البيض تَعصِى العاذلينا

يهجو بها قبائل اليمن ، ويذكر مثالبهم ، وأمره بتفسير ما نظمه ، وذكرِ الأيام والأحوال ، ففعل ذلك وسماها الدامغة ، وهى إلى اليوم موجودة .

---

(١) متبولا : سقيما .

صــوت

أنهجر مَن تُحب بغير جرم   أسأتَ إذاً وأنت له ظلوم
تؤرقنى الهموم وأنت خِلْوٌ   لعمرُك ما تؤرقك الهموم

الشعر لجَعَيْفران الموسوِس ، أنشده نيه عمى عن عبدِ الله عثمانَ الكاتبِ عن أبيه عن جده[1] ، وأنشد[2] فيه جَحظةُ عن خالدٍ الكاتبِ له ، وأنشد نيه ابن الوشّاء عن بعض شيوخه عن سلَمة النحوىّ له . ووجدته فى بعض الكتب منسوبا إلى أم الضحاك المُحاربيةِ ، والقول الأول أصح . والغناء لابن أبى قَباحة ، ثانى ثقيل بالوُسطى فى مجرى البِنصر . وفى أبيات أخر من شعر جعيفران غناء ، فإن لم يصح هذا له فالغناء له فى أشعاره الأخر صحيح ، منها : ٦١/١٨

ما يفعلُ المرء فهو أهلُه   كلُّ امرىءٍ يشبهه فعلُهُ
ولا ترى أعجز من عاجز   سكّتنا عن ذمّه بذلُه

الشعر لجعيفران ، والغناء لمتيَّم ، وممّا وجدته من الشعر المنسوب إليه فى جامعه وفيه له غناء :

قلبى بِصاحبة الشُّنوف مُعَلَّقُ   وتنِرُّ صاحبة الشنوف وألحَق

(١) ف : « عن أبيه له »
(٢) : « وأنشدنية » .

أخبار جعيفران ونسبه

نسبه ونشأته

هو جعيفرانُ بن علىٍّ بن أصفرَ بنِ السرىِّ بنِ عبد الرحمن الأبناوىّ ، مِن ساكنى سُرَّ مَن رأى ، ومولده ومنشؤه ببغداد . وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية ، وكان يتشيّع ، ويُكثر لقاء أبى الحسن علىِّ بنِ موسى بنِ جعفر .

كان شاعرا مطبوعا ثم اختلط

أخبرنى بذلك أبو الحسن علىُّ بنُ العباس بنِ أبى طلحة الكاتبُ عن أبيه وأهلِه . وكان جعيفران أديبا شاعراً مطبوعا ، وغلبَت عليه المِرّة السوداء ، فاختَلط وبطل فى أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه ، فقال الشعر الجيد . وكان أهله يزعمون أنه من العجم ولد أذين .

خالف أباه إلى جارية له فطرده

فأخبرنى الحسنُ بنُ علىّ الخَفّاف قال : حدثنى محمدُ بنُ مَهْرُيَه قال : حدّثنى علىُّ ابنُ سليمانَ النّوفلىُّ قال : حدثنى صالحُ بن عطيةَ قال :

كان لجُعَيفران الموسوِس قبل ان يَختلِط عقله أب يقال له : علىُّ بنُ أصفر ، وكان دِهقان الكَرْخ ببغداد ، وكان يتشيّع ، فظهر على ابنِه جعيفران أنه خالفه إلى جارية له سرِّيّة ، فطرده عن داره .

يشكوه أبوه إلى موسى ابن جعفر فيأمره باخراجه من ميراثه

وحجّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفرٍ ، فقال له موسى : إن كنت صادقا عليه فليس يموت حتى يَفقدَ عقله ، وإن كنت قد تحققتَ ذلك عليه فلا تساكنه فى منزلك ، ولا تطعمْه شيئاً من مالِك فى حياتك ، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك .

فقدِم فطرده ، وأخرجه من منزله ، وسأل الفقهاء عن حيلة يُشهِد بها فى ماله حتى يخرجَه عن ميراثه ، فدلّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل . فلما مات الرجل حاز ميراثه ومَنع منه جعيفران ، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضى ، فأحضر الوصىّ ،

وسأل جعيفران البينة على نَسَبه وتركة أبيه ، فأقام على ذلك بينة عِدة ، وأحضر الوصيُّ بيّنة عُدولا على الوصية يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه .

فلم يَرَ أبو يوسف ذلك شيئاً ، وعزم على أن يورِّثه ، فدفعه الوصيّ عن ذلك مَرات بعِلَل . ثم عزم أبو يوسف على أن يُسجّل لجعيفران بالمال ، فقال له الوصيّ : أيها القاضى ، أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندى ، فأبى أبو يوسف أن يقبل منه ، وجعل جعيفران يُحَرّج عليه ، ويقول له : قد ثبت عندك أمرى ، فبأى شىءٍ تدافعنى ؟ وجعل الوصىّ يسأله أن يسمع منه منفردا ، فيأبى ، ويقول : لا أسمع منك إلا بحضرة خصمك . فقال له : أجّلنى إلى غد ، فأجّله ، فجاء إلى منزله وكتب رقعة خبّره فيها بحقيقة[1] ما أفتى به موسى بنُ جعفر ، ودفعها إلى صديق لأبى يوسف ، فدفعها إليه ، فلما قرأها دعا الوصىّ واستحلفه أنه قد صدَق فى ذلك . فحلف باليمين الغَموس . فقال له : اغْدُ علىّ غدا مع صاحبك ، فحضر وحضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسف للوصى . فلما أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلَط منذ يومئذ .

٦٢ / ١٨

وأخبرنى بجمل أخباره المذكورة فى هذا الكتاب علىُّ بن العباس بنِ أبى طلحة الكاتبُ ، عن شيوخ له أخذها عنهم وإجازات وجدتّها فى الكتب ، ولم أر أخباره عند أحد أكثر مما وجدتّها عنده إلا ما أذكره عن غيره فأنسبُه إليه .

يقف بالرصافة على رجل وينشده شعرا

قال علىّ بنُ العباس : وذَكر عبد الله بنُ عثمان الكاتبُ أن أباه عثمانَ بنَ محمد حدّثه قال :

كنتُ يوما برُصافة مدينة السلام جالسا إذ جاءنى جعيفران وهو مغضَب ، فوقف علىّ وقال :

* استوجَبَ العالَم مِنى القتــلا

---

(١) كذا فى أ ، م . س ، ب : « تحقيق » ، تحريف .

فقلت : ولِمَ يا أبا الفضل ؟ فنظر إلىّ نظرة منكَرة خِفْت منها ، وقال :

* لمّا شَعرت فرأونى لخلا *

ثم سكتَ هنيهة ، وقال :

قالوا علىّ كذِبا وبُطْلا إنّى مجنون فَقَدتُ العقلا
قالوا المحال كذِبا وجهلا أقبحْ بهذا الفعل منهم فعلا

ثم ذهب لينصرف ، فخِفْت أن يؤذيَه الصبيان ، فقلت : اصبر فدَيتك حتى أقوم معك ؛ فإنك مغضَب ، وأكره أن تخرج على هذه الحال . فرجع إلىّ ، وقال : سبحان الله ، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل ، وأستقبح فعلهم ، وتتخوّف منى مكافأتهم !

ثم إنه ولّى وهو يقول :

لستُ براضٍ من جَهول جهلا ولا مجازيه بفعل فِعلا
لكنْ أرى الصفح لِنفسى فضلا مَن يُرِد الخيرَ يجدْه سهلا

ثم مضى .

رئى وحده يدور فى دار طول ليلته وهو ينشده رجزا

وقال علىُّ بنُ العباس ، وقال عثمان بنُ محمد : قال أبى :

كنتُ أشرف مرة من سطح لِى على جُعَيفرانَ وهو فى دارٍ وحدَه وقد اعتلّ ، وتحرّكت عليه السوداء ، فهو يدور فى الدار طول ليلته ، ويقول :

طاف به طَيف من الوسواسِ نَفّر عنه لَذّةَ النُّعاسِ
فما يُرَى يأنس بالأُناس ولا يَلَذّ عِشْرة الجُلّاس

* فهو غريب بين هذا(1) الناس *

حتى أصبح وهو يرددها ، ثم سقط كأنه بَقْلة ذابلة .

يستجيب لنظم بيت بنصف درهم

قال على : وحدثنى علىُّ بن رستمَ النحوىّ ، قال : حدثنى سَلَمة بن محارب قال :

(١) م : « عبد الله بن عثمان بن محمد » .

(٢) س ، ب : « هذي » .

مررت ببغداد ، فرأيتُ قوماً مجتمعين على رجل ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : جعيفران المجنون ، فقلت : قُل بيتا بنصف درهم . قال : هاته ، فأعطيته ، فقال :

لَجَّ ذا الهمُّ واعتلَج[1] كلّ همّ إلى فـرج

ثم قال : زِد إن شئت حتى أزيدكَ .

يصيح الصبيان خلفه وهو عريان ، وينشد شعرا فى جناية الفقر عليه

قال علىّ : وحدثنى عبد الله بن عثمان ، عن أبيه قال :

غاب عنا جُعَيفران أياما ثم جاءنا والصبيان يَشُدون خلفه وهو عُريانٌ وهم يصيحون به : ياجعيفران ياخرا فى الدار . فلما بلغ إلىّ وقف ، وتفرّقوا عنه فقال : يا أبا عبد الله :

رأيتُ النـاس يدعونى بمجنـون على حالى
وما بى اليومَ من جِنٍّ ولا وِسواسٍ بَلبـال
ولـكنْ قولُهم هـذا لإفـلاسى وإقلالى
ولو كنت أخا وَفرٍ رَخيًّا ناعمَ البـال
رأونى حسن العقل أحُلّ المنزل العـالى
وما ذاك على خُـبرٍ ولـكن هيبـةُ المـال

٦٣
١٨

يدخله سيد داره فيطعمه ويسقيه

قال : فأدخلتُه منزلى ، فأ كل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلتُ له : تقدِر على أن تغيِّر تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال ببديهة غير مفـكر ولا متوقف :

رأيتُ الناس يرمونـ ـىَ أحيانًا بوِسواسِ
ومَن يَضبِطُ يا صاح مقالَ الناس فى الناس ؟
فدَعْ ما قاله النـاس ونازع صفوة الـكاس
فتى حُرًّا صحيح الوُدّ ذا برٍّ وإينـــــاس

(١) اعتلج : كثر والتطم .

فإن الخلْق مَغْرُور[1] بأمثالى وأجناسى
ولو كنتُ أخا مال أتَونى بين جُلاّسى
يُحِبونى ويَحْبونى على العينين والراس
ويدعونى عزيزاً غيـ ـر أنّ الذل إفلاسى

يضيق به بعض مجالسيه ويفطن لذلك فيقول شعرا

ثم قام يبول ، فقال بعض مَن حضر : أىُّ شىء معنى عشرتِنا هذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف إذا سَكِر ؟ وفَطِن جُعَيفران للمعنى ، فخرج إلينا وهو يقول :

ونداَمى أكلونى إذ تغيّبْتُ قليلا
زعموا أنِىَ مجنو نٌ أرى العُرْى جميلا
كيف لا أعرَى وماأبـ ـصر فى الناس مثيلا ؟
إن يكن قد ساءكم قُر بى فخلُّوا لى سبيلا
وأتمّوا يومكم سـ ـرّكم الله طويلا

قال : فرقَقنا له ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذّ إلا بِقُربك ، وأتيناه بثوب ، فلبسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

يحتكم إلى القاضى فيدفعه عن دعواه فيدعو عليه

أخبرنى جَحظةُ قال : حدثنى ميمونُ بن هارونَ قال :

تقدّم جُعَيفرانُ إلى أبى يوسفَ الأعور القاضى بِسُرَّ مَنْ رأى فى حكومة فى شىء كان فى يده من وَقفٍ له ، فدفعه عنه ، وقضى عليه . فقال له : أرانى اللهُ أيها القاضى عينَيك سواء ، فأمسَك عنه ، وأمر بردّه إلى داره .

(١) كذا فى النسخ ، ولا معنى لها هنا ، ولعلها مغرى ، بمعنى مولع ، ولعله غزى ، كرضى .

فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا به فقال له : ماذا أردتَ بدعائك؟ أردتَ أن يَرُد الله علىّ بصرى ماذهب؟ فقال له : والله لئن كنتَ وهبْتَ لى هذه الدراهم لأسخرَ منك ؛ لأنت المجنون لا أنا . أخبِرْنى كم من أعورَ رأيتَه عَمِى ؟ قال : كثيرا ، قال : فهل رأيتَ أعورَ صحّ قطُّ ؟ قال: لا. قال : فكيف توهمْتَ علىّ الغلط! فضحك وصرفه.

يمدح أبا دلف فيجزل له العطاء

أخبرنى محمدُ بنُ جعفرٍ النحوىُّ صِهرُ المبرِّد قال: حدثنى أحمدُ بنُ القاسِم البرتىّ قال: حدثنى على بن يوسف قال :

٦٤ / ١٨

كنتُ عند أبى دُلَف القاسِم بنِ عيسى العِجْلىّ فاستأذن عليه حاجبه لجُعَيفرانَ الموسوِس ، فقال له : أىَّ شىء أصنع بموَسْوِس ! قد قضَينا حقوق العقلاء ، وبقى علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جُعلت فداء الأمير موسوِسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء ، وإن له لسانا يُتَّقى وقولا مأثوراً يبقى ، فاللهَ اللهَ أن تحجبه ، فليس عليك منه أذى ولا ثِقَل ، فأذن له ، فلما مثَل بين يديه قال :

يا أكرمَ العالَم موجودا ويا أعزّ الناسِ[(1)] مفقودا
لما سألتُ الناسَ عن واحدٍ أصبح فى الأمة محمودا
قالوا جميعاً إنه قاسمٌ أشبهَ آباءً له صِيدا
لو عبدوا شيئاً سوى ربهم أصبحْتَ فى الأمة معبودا[(2)]
لازِلْتَ فى نُعْمى وفى غِبطةٍ مكرَّماً فى الناس معدودا

قال ، فأمر له بكُسوة وبألف درهم ، فلما جاء بالدراهم أخذ منها عشرة ، وقال : تأمر القَهْرمان أن يُعطيَنى الباقى مفرَّقاً كلما جئت ، لئلا يضيع منى ، فقال للقهرمان : أعطه

(1) م ، أ : « الخلق » .
(2) زيادة من ى ، م .

المال ، وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرّق الموت بيننا ، فبكى عند ذلك جُعَيفران، وتنفّس الصعداء ، وقال :

يموت هذا الذى أراه　　وكلُّ شىء له نفاد
لو غيرَ ذى العرش دام شىء　　لدام ذا المُفْضِلُ الجواد

يسأل عن أبى دلف ويرتجل فى مدحه شعرا

ثم خرج ، فقال أبو دُلَفٍ : أنتَ كنتَ أعلمَ به منى . قال : وغَبَرعنى مدة ، ثم لقينى وقال : يا أبا الحسن، ما فعل أميرُنا وسيّدُنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخيرٍ وعلى غاية الشّوق إليك . فقال : أنا والله يا أخى أشوقُ ، ولكنى أعرِف أهلَ العسكر وشرَهَهم وإلحاحَهم والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم ، ولا يتركه كرمُه أن يُخْلِيَهم من العطيّة حتى يخرجَ فقيراً . فقلت : دع هذا عنك وزُرْه ، فإن كثرة السؤال لا تضرّ بماله ، فقال : وَكيف ؟ أهو أيسرُ من الخليفة ؟ قلت : لا . قال : والله لو تبذّل لهم الخليفة كما يبذل أبو دُلَفٍ وأطمعهم فى ماله كما يُطمعهم لأفقروه فى يومَين ، ولكن اسمع ما قلته فى وقتى هذا ، فقلت : هاته يا أبا الفضل فأنشأ يقول :

أبا حسنٍ بلِّغَنْ قاسماً　　بأنِّىَ لم أجْفُه عن قِلى
ولا عن مَلال لإتيانه　　ولا عن صُدودٍ ولا عن غِنى (١)
ولكن تعفّفتُ عن ماله　　وأصفيتُه مِدْحتى والثنا
أبو دُلَف سيّدٌ ماجد　　سنىّ العطية رَحب الفِنا
كريمٌ إذا انتابه المعتفو　　نَ عمَّهمُ بجزيل الحِبا

(١) ف : « والحافهم » .
(١) س ، ب : « عنا » .

يلقى أبا دلف فينشده مدحا له

قال : فأبلغتُها أبا دُلَف ، وحدَّثته بالحديث الذى جرى ، فقال لى : قد لقيتُه منذ أيام ؛ فلما رأيته وقفتُ له ، وسلّمت عليه ، وتحفّيت به ، فقال لى : سِرْ أيها الأمير على بركة الله ، ثم قال لى :

يامُعدِىَ الجود على الأموالِ ويا كريمَ النفْس فى الفعالِ
قد صُنتَنى عن ذِلة السؤالِ بجُودك الموفى على الآمال
صانك ذو العزة والجلال مِن غِيَرِ الأيام والليالى

٦٥ / ١٨

قال : ولم يَزَلْ يختلف إلى أبى دُلَف ويَبَرّه حتى افترقا .

يرى وجهه فى حب فيهجو نفسه

سمعتُ عبدَ الله بنَ أحمدَ ، عمَّ أبى رحمه الله يحدّث فحفظت الخبر ، ولا أدرى أذَكر له إسنادًا فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد ، قال :

كان جعيفرانُ خبيثَ اللسان هَجّاء ، لا يسلم عليه أحد ، فاطّلع يومًا فى الحُب[1] ، فرأى وجهه قد تغيّر ، وعفا[2] شعره فقال :

ما جَعفرٌ لأبيه ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير فكلّهمْ يدعيه
هذا يقول بُنَيِّ وذا يخاصم فيه
والأمُّ تضحك منهم لِعلمها بأبيه

يسأل طعاما فيجاب له

حدثنى محمد بنُ الحسنِ الكِندىّ خطيب القادسية قال : حدثنى رجل من كتّاب الكوفة قال :

اجتاز بى جُعَيفرانُ مرة فقال : أنا جائع ، فأىَّ شىء عندك تُطعِمنى ؟ فقلت : سَلْق

(١) الحب : الجرة أو الضخمة منها وفى س : « الجب » ، تحريف .

(٢) عفا : كثر وطال .

بخَرْدَل . فقال : اشترَ لى معه بطِّيخاً ، فقلت : أفعلُ ، فادخُل ، وبعثْت بالجارية تجيئه به ، وقدّمتُ إليه الخبز والخَرْدل والسّاق ، فأكل منه حتى ضجِر ، وأبطأت الجاريةُ ، فأقبل علىّ وقد غضب فقال :

يهجو جارية مضيفة لتأخرها فى شراء بطيخ له

سَلَقَتْنا وخَرْدَلَتْ (١) ثم ولّت فأدبرَت
وأراها بواحد وافرِ الأيرِ قد خلَت

قال فخرجتُ — يشهد الله — أطلبها ، فوجدتُها خالية فى الدّهليز بسائس لى على ما وصف .

(١) خردلت : يريد اشتدت فى الايذاء بالقول .

صـــوت

ولها مَرْبَعٌ بِبُرْقَةَ (١) خاخٍ ومَصِيفٌ بالقصر قصرِ قُبَاء (٢)
كفِّنونى إن متّ فى دِرع أروَى واجعلوا لى مِنْ بئر عُروة مائى (٣)
سُخنةٌ فى الشتاء باردة الصيـ ـف سراجٌ فى الليلة الظلماء

الشعر للسَّرِىّ بنِ عبد الرحمن، والغناء لمعبد، ثقيل أول بالوُسطى عن الهِشامى: قال: وفيهما — يعنى الثالث والأول — رمَل مطلَق فى مجرَى الوسطى.

(١) برقة خاخ: موضع بين الحرمين، ويقال له: روضة خاخ.
(٢) مواضع قرب المدينة.
(٣) بئر عروة: بئر بعقيق المدينة، تنسب إلى عروة بن الزبير بن العوام. وفى ى: «واستقوا لى» بدل «واجعلوا لى».

أخبار السرى ونسبه

نسبه

السرىُّ بن عبد الرحمن بن عُتبة بن عُوَيم بنِ ساعدة الأنصارىّ ، ولجده عويم بن ساعدةَ صحبة بالنبى ، صلى الله عليه وسلم .

شعره وشخصه

والسرىّ شاعر من شعراء أهل المدينة، وليس بمُكثِرٍ ولا فَحلٍ ، إلا أنه كان أحدَ الغَزِلين وَالفتيانِ والنادمين على الشراب . كان هو وعُتَيَر بن سهل[1] بن عبدالرحمن بن عَوف ، وجُبَيرُ بنُ أيمنَ ، وخالدُ بن أبى أيوبَ الأنصارى يتنادمون . قال : وفيهم يقول :

إذا أنت نادمتَ العُتَيرَ وذا الندى جُبَيرا ونازعتَ[2] الزّجاجة خالدا
أمِنتَ بإذنِ الله أن تُقرع العصا وأن يُنْبِهوا من نومة السُّكْر راقدا

غناه الغَرِيض ثقيلا .

وكان السرىّ هذا هَجا الأحوصَ ، وهَجا نُصَيبا ؛ فلم يجيباه .

يهجو النصيب فيهجه لقومه ولله ورسوله

أخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العلاء قال : حدثنى الزبير بن بَكّار قال : حدثنى عمى ، وأخبرنى الحسين بن يحيى المِرْداسى قال حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبىّ قالا :

٦٦ / ١٨

حُبس النُّصيب فى مسجد النبى — صلى الله عليه وسلم فأنشَد، وكان إذا أنشد لوى حاجبَيه ، وأشار بيده ، فرآه السرىُّ بنُ عبدِ الرحمن الأنصارىُّ ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال :

فقدتُ الشعرَ حين أتى نُصيبا ألم تستَحِى من مَقْتِ الكرام
إذا رَفع ابنُ ثَوبَةَ حاجبَيه حسبت الكلبَ يُضربُ فى الكِعام[3]

---

(١) ف : « سهيل » .
(٢) ى ، مج : « وعاطيت » .
(٣) الكعام : الكمامة .

قال : فقال نصيب : مَن هذا ؟ فقالوا : هذا ابنُ عُوَيم الأنصاريُّ ، قال : قد وهبتُه لله عز وجل ولرسولِه — صلى الله عليه وسلم — ولعُوَيم بنِ ساعدةَ . قال : وكان لعُوَيم صحبةٌ ونصرةٌ .

يحب امرأة يقال لها زينب ويشبب بها

أخبرنى الحَرَمىُّ قال : حدثنا الزبيرُ قال : حدثنى عمى عن عبدِ الرحمنِ بن عبد الله العُمَرىِّ قال : كان السرىُّ قصيراً دميما أزرقَ ، وكان يهوى امرأة يقال لهـا زينب ويُشَبِّب بها ، فخرج إلى البادية ، فرآها فى نِسوةٍ ، فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابَه ، وأخذ منه جُبَّتَه وعصاه ، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النِّسوة فلم يحفِلن به ، وظنَنّ أنه أعرابىّ ، فأقبل يُقلِّب بعصاه الأرضَ وينظر إليهن فقلن له : أذهَب منك يا راعىَ الغنمِ شىء فأنتَ تَطلبُه ؟ فقال : نعم . قال : فضربتْ زينب بكُمها على وجهها وقالت : السرىّ والله ، أخزاه الله ! فأنشأ يقل :

صــوت

ما زل فينـا سقيمٌ يُستَطبّ له	من ريح زينبَ فينـا ليـلةَ الأحدِ
حُزْتِ الجَمالَ ونشراً طيِّبا أرِجًا	فمـا تُسمِّينَ إلا مِسكةَ البـلدِ
أمّا فؤادى فشىء قد ذهبتِ به	فما يضرُّكِ ألا تحرُبى[1] جسدى !

يستحسن المهدى شعرا له فى الغزل

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ قال : حدثنا أحمد بن أبى خَيْثمةَ قال : حدثنا مُصعبٌ الزُّبيْرىّ قال ، قال أبى : قال لى المهدىّ :

أنشدِنى شعراً غزلا ، فأنشدتُه قولَ السرىِّ بنِ عبد الرحمن :

ما زال فينـا سقيمٌ يُستَطبُّ له	من ريحِ زينبَ فينا ليـلةَ الأحدِ

فأعجبَتْه ، وما زال يَستعيدها مِرارا حتى حفِظها .

---

(١) تحربى : تسلبى .

كان وندماءه تقبل شهادتهم مع شربهم النبيذ

أخبرنى الحسنُ قال : حدثنى أحمدُ قال : حدثنى محمدُ بنُ سلاّم الجُمحىُّ قال : كان السرىُّ بنُ عبدِ الرحمن ينادم عُتيرَ بن سَهل بنِ عبد الرحمن بنِ عَوفٍ وجُبيرَ بنَ أيمنَ بنِ أمِّ أيمن مولى النبىِّ — صلى الله عليه وسلم — وخالدَ بنَ أبى أيوب الأنصارىِّ ، وكانوا يشربون النبيذَ ، وكلُّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ ، جليلَ القدرِ مستورا ، فقال السرىّ :

إذا أنتَ نادمتَ العُتَيْرَ وذا الندىٰ ... جُبَيرا ونازعتَ الزجاجةَ خالدا

أمِنتَ بإذنِ اللهِ أن تُقرَعَ العصا ... وأن يُنْبِهوا من نومة السُّكر راقدا

فقالوا : قبحَك الله ! ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعةِ لسرنا ؟ إنك لحقيق ألاّ تنادمَك . قال : والله ما أردتُ بكم سوءا ، ولكنه شِعر طفح فنفَثته[1] عن صدرى ، قال : وخالدُ بن أبى أيوب الأنصارىُّ الذى يقول :

صـوت

ألا سقِّنى كأسى ودع قولَ مَن لَحى ... ورَوِّ عظاما قَصْرُهن[2] إلى بِلىٰ

فإن بُطُوءَ[3] الكأسِ موْتٌ وحبسَها ... وإنَّ دِراكَ الكأسِ عندى هو الحيا

٦٧/١٨

الغناء فى هذين البيتين هو لِعبدِ الله بنِ العباس الرّبيعى ، خفيف رمل بالبِنْصر عن عَمْرو بن بانةَ

التمثل بشعره فى طلب الشراب

أخبرنى أبو الحسنِ الأسدىُّ قال : حدثنى سليمانُ بنُ أبى شيخٍ قال : حدثنى مصعبُ ابنُ عبدالله الزبيرىُّ قال : حدثنى مصعبُ بنُ عثمانَ قال: حدثنى عُبَيدُ الله بن عروةَ بنِ الزُّبيرِ قال :

---

(١) ب ، س : « فقثته » .
(٢) قصرهن : غايتهن .
(٣) فى محيط المحيط : البطاء والبطوء : ضد السرعة .

خرجتُ وأنا غلام أدُور فى السكك بالمدينة فانتهيتُ إلى فناء مَرشوش وشابٌّ جميلِ الوجهِ جالسٍ ، فلما رآنى دعانى ، ثم قال لى : مَن أنتَ يا غلامُ ؟ قلت عُبيدُ اللهِ ابنُ عروة بن الزبيرِ . فقال : اجلس ، فجلستُ ، فدعا بالغَداء فتغدَّينا جميعاً ، ثم قال : يا جاريةُ ؛ فأقبلَتْ جاريةٌ تتهادىٰ كأنها مَهاةٌ ، وفى يدها قِنينيةٌ فيها شرابٌ صاف وقلةُ ماء وكأسٌ ، فقال لها : اسقينى ؛ فصبّت فى الكأسِ وسَكَبتْ عليه ماء وناولته ، فشرب ثم قال : سقّيه ، فصبَّتْ فى الكأس وسكَبتْ عليه ماء وناولتنى . فلما وجدتُ رائحتَه بكيتُ ، فقال : ما يبكيك يا بنَ أخى ؟ فقلت : إنَّ أهلى إن وجدوا رائحةَ هذا منى ضربونى ، فأقبل على الجاريةِ بوجهه ، وقال لها يخاطبها :

ألا سقِّنى كأسى ودعْ عنكَ من أبىٰ ورَوِّ عظاماً قصْرُهن إلى بِلىٰ

فأخذتْه من يدى وأعطتْه ؛ فشربه ، وقمتُ فلما جاوزتُه سألت عنه فقيل لى : هذا خالد بن أبى أيوب الأنصارى الذى يقول فيه الشاعر :

إذا أنتَ نادمت العُتَيْر وذا الندىٰ جُبَيْرا ونازعتَ الزجاجة خالدا
أمِنتَ بإذن الله أن تَقرعَ العصا وأن يوقظُوا من سَكرةِ النوم راقدا
وصرتَ بحمدِ الله فى خير عُصبةٍ حسانِ النّدَامى لا تخاف العَرابدا (١)

يأبى ابن الماجشون دخول مجلس حتى يخرجه أصحابه فيخرجوه

أخبرنا وكيعٌ قال : حدثنا محمد بن علىِّ بنِ حمزةَ قال : حدثنى أبو غَسانَ عن محمدِ ابن يحيى بنِ عبد الحميد قال :

كان السرىُّ بن عبدِ الرحمن يختلف إلى فِتيةٍ ، فجاء ابن الماجشونِ فقال : لا أدخل حتى يخرج السرىّ ؛ فأخرجتْه فقال السرى :

---

(١) العرابد : جمع عربد كزبرج ، وهو من يؤذى نديمه فى سكر .

قَبّح اللهُ أهلَ بيتٍ بِسَلْعٍ[1] أخرجونى وأدخلوا الماجشونا
أدخلوا هِرةً تُلاعب قِردا ما تراهم يرَوْن ما يصنعونا

شعر له فى أمة وبنتها

أخبرنى الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنى مصعبٌ قال:

أنشدنى أبى لِلسّرىّ بنِ عبد الرحمن فى أَمَة الحميدِ بنتِ عبدِ الله بنِ عباس وفى ابنتها أمةِ الواحد:

أَمَةُ الحميدِ وبنتُها ظَبيانِ فى ظلِّ الأراك
يَتَتبّعان بَرِيرِه[2] وظلالَه فهما كذاك
حُذِىَ الجمالُ عليهما حَذْوَ الشِّراكِ على الشراك

يتمنى أن يكون مؤذنا ليرى من فى السطوح

أخبرنى محمد بن العباسِ اليزيدىُّ قال: حدثنى محمد بن الحسنِ بن مسعود الزُّرَقى قال: حدثنى يحيى بن عثمانَ بنِ أبى قَباحةَ الزُّهْرىّ قال: أنشدنى أبو غَسان صالح بن العباسِ بنِ محمدٍ — وهو إذ ذاك على المدينة — لِلسرىّ بن عبد الرحمن:

ليتَنى فى المؤذِّنين نَهارًا إنهم يبصرون مَن فى السطوح
فيشيرون أو يُشار إليهمْ حَبّذا كل ذات جِيدٍ مليح

٦٨ / ٨١

قال: فأمر صالحٌ بسَدِّ المنار، فلم يقدرْ أحدٌ على أن يُطْلعَ رأسَه حتى عُزل صالح.

يعمره عمر بن عمرو بن عثمان أرضا بقباء

أخبرنى حبيب بن نصرٍ المهلبىّ، قال: حدثنا عبد الله ين شبيب قال: حدثنى زبير ابن بكار عن عمّه:

أن السرىّ بنَ عبد الرحمن وقف على عمرَ بنِ عمرو بنِ عثمانَ، وهو جالسٌ على بابه والناس حولَه، فأنشأ يقول:

---

(١) سلع: موضع قرب المدينة، أو جبل بها.

(٢) بريره: ثمـره.

يا بن عثمانَ يا بنَ خيرِ قريشٍ   أبغِنى ما يَكْفينى بقُباء [١]
ربما بلّنى نداكَ وجلّى   عن جبينى [٢] عجاجةَ الغُرَماء

فأعمرَه أرضًا بقُباء ، وجعلها طُعْمةً له أيامَ حياته ، فلم تزَلْ فى يده حتى مات .

مثل من الولوع بالتغنى بشعره

[٣] أخبرنى وسواسة بن الموصلىّ ، قال : حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن عزيز ابن طلحة ، قال : قال معبد : خرجت من مكة أريد المدينة ، فلما كنت قريبًا من المنزل أُريت بيتًا فعدلت إليه ، فإذا فيه أسود عنده حُبّان من ماء وقد جَهدنى العطش ، فسلّمت عليه واستسقيت ، فقال : تأخر عافاك الله ، فقلت : يا هذا ، اسقنى بسرعة من الماء فقد كدت أموت عطشا ، فقال: والله لا تذوق منه جُرعة ولومت ، فرجعت القهقرى ، وأنخت راحلتى واستظللت بظلها من الشمس ، ثم اندفعت أغنى ليبتلّ لسانى :

كفّنونى إن متُّ فى درع أروى   واستقوا لى من بئر عروة مائى

فإذا أنا بالأسود قد خرج إلىّ ومعه قدح خيشانى [٣] فيه سَويق ملت [٤] بماء بارد ، فقال : هل لك فى هذا أرب ؟ قلت : قد منعتنى ما هو أقل منه : الماء . فقال : اشرب — عافاك الله — ودع عنك ما مضى ، فشربت ثم قال : أعد — فديتك — الصوت ، فأعدته ، فقال : هل لك — بأبى وأمى — أن أحمل لك قربة من ماء ، وأمشى بها معك إلى المنزل وتعيد على هذا الصوت حتى أتزود منه ، وكلما عطشت سقيتك ؟ قلت : افعل ، ففعل وسار معى ، فما زلت أغنيه إياه ، وكلما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء [٣] .

(١) قباء : موضع قرب المدينة .
(٢) كذا فى أ . س ، ب : « حبيبى » ، تحريف .
(٣) خيشانى : لعله منسوب إلى خيشان ، بلدة بخراسان .
(٤) كذا بالنسختين ، والمعروف : ملتوت .
(٣–٣) مابين الرقمين من ى ، مج .

صــوت

سَلَبَ الشبابُ رِداءه عنّى ويتبعه إزاره
ولقد تحلُّ علىَّ حلـــته ويعجبنى افتخاره
سائلْ شبابى هل مسكـ ـتُ بسَوْءةٍ أوذَلّ جاره[1]
ماإن ملكت المال إلا كـان لى وله خيـاره

ويروى : هل أسأت مسا كه .

الشعر لمسكينٍ الدارمىّ ، والغناء لِقَّاسة بن ناصح ، خفيف رملٍ بالبِنصر عن عمرو .

(١) قافية الأبيات بغير هاء فى س ، ب وما أثبتناه رواية ى ، مد ، م .

أخبار مسكين ونسبه

اسمه ونسبه

مسكينٌ لقبٌ غلَب عليه ، واسمُه ربيعةُ بنُ عامر بنِ أُنيفِ بن شريح بن عمرِو بنِ زيدِ بنِ عبد الله بنِ عُدُسٍ(١) بنِ دارِمِ بنِ مالكِ بن زيدِ مناةَ بنِ تميم . وقال أبو عمرو الشيبانيُّ : مسكينُ بن أُنيفِ بن شُريح بنِ عمرِو بنِ عُدُس بنِ زيدِ بنِ عبدِ الله بنِ دارِم بنِ مالكِ بنِ حنظلةَ بنِ مالكِ بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ . قال أبو عمرو : وإنما لُقب مسكينًا لقوله :

لماذا لقب مسكينا؟

أنا مسكينٌ لمن أنكرنى ... ولِمَن يَعرفنى جِدُّ نُطُق(٢)

لا أبيع الناسَ عِرضى إننى ... لو أبيع الناسَ عِرضى لَنَفَق

وقال أيضا :

سُمِّيتُ مسكينا وكانت لجاجةً ... وإنى لمسكين إلى الله راغبُ

وقال أيضا :

إنْ أُدعَ مسكينًا فلست بمنكَرٍ ... وهل يُنكَرَنَّ الشمسُ ذَرَّ(٣) شعاعُها

لَعَمرك ما الأسماء إلا علامةٌ ... منارٌ ومن خيرِ المنارِ ارتفاعُها

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافّه ، فكان الفرزدق بعد ذلك فى الشدائد التى أفلَت منها .

مهاجاته الفرزدق لأنه نقض رثاءه لزياد

حدثنى حبيبُ بنُ أوسِ بن نصر المهلبىُّ قال : حدثنا عُمر بن شَبّة عن أبى عبيدة قال :

(١) جعله فى الاشتقاق كزفر ، وفى القاموس وجمهرة الأنساب كعنق .
(٢) كذا بالنسخ ، وصف بالمصدر على معنى ناطق وحرك الطاء إتباعا .
(٣) ذر : ظهر .

كان زياد قد أرْعى مسكينا الدارمىَّ حِمًى له بناحية العُذَيب[1] فى عام قَحطٍ حتى أخصب الناسُ وأحْيَوا ، ثم كتب له بِبُرٍّ وتَمر وكَساه ، قال : فلما مات زيادٌ رثاه مسكين ، فقال :

رأيتُ زيادةَ الإسلام ولّت ... جِهاراً حين وَدّعَنا زيادُ

فعارضه الفرزدق ، وكان منحرفا عن زيادٍ لطلبه إياه وإخافته له ، فقال :

أمسكينُ أبكى اللهُ عينَك إنما ... جرَى فى ضلال دَمْعُها فتحدّرا

بكيتَ على عِلْجٍ بمَيسان[2] كافر ... ككسرى على عِدّانِه[3] أو كقيصرا

أقول له لما أتانى نعيُّه : به[4] ... لا بظَبى بالصريمة[5] أعفرا[6]

فقال مسكين يجيبه : ٦٩ / ١٨

ألا أيها المرء الذى لستُ قاعدا ... ولا قائما فى القوم إلا انبرى ليا

فجئنى بعمٍّ مثل عمىَ أو أبٍ ... كمثل أبى أو خالِ صدقٍ كخاليا

كعمرو بن عمرو أو زرارةَ ذى الندى ... أو البِشْر من كلٍّ فرعتُ الروابيا

قال : فأمسك الفرزدق عنه ، فلم يجبه ، وتكافّا .

أخبرنى ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلّام ، فذكر نحواً مما ذكره

---

(١) العذيب : ماء على أربعة أميال من القادسية .

(٢) ميسان : كورة بين البصرة وواسط . ورواية اللسان ومعجم البلدان : «أتبكى امرأ من آل ميسان كافرا» .

(٣) عدانه : زمانه وعهده .

(٤) به : الهلاك به لا بما يهمنى ، أو هو مثل يضرب عند الشماتة ، معناه : جعل الله ما أصابه لا زماله مؤثرا فيه ، ولا كان مثل الظبى فى سلامته .

(٥) الصريمة : موضع .

(٦) أعفر : أبيض ليس بالشديد البياض ، أو الذى يعلو بياضه حمرة .

أبو عُبيدة وزاد فيه ، قال : والبشر خال لمسكين من النَّمِر بن قاسِط ، وقد فخَرَ به ، فقال :

شُرَيحٌ فارس النعمان عمّى وخالى البِشرُ بشرُ بنى هلال

وقاتِلُ خالِهِ بأبيه منا سماعةُ لم يبع حسبا بمال

اتقى الفرزدق هجاءه واتقى هو هجاء الفرزدق

وأخبرنى عمى قال : حدثنا الحزَنبَل عن عمرو بن أبى عمرو ، عن أبيه بمثل هذه الحكاية ، وزاد فيها ، قال:

فتكافَّا واتقّاه الفرزدق أن يُعين عليه جريراً ، واتقّاه مسكين أن يعين عليه عبدَ الرحمن ابنَ حسان بن ثابت . ودخل شيوخ بنى عبد الله وبنى مُجاشع ، فتكافا .

مهاجاته الفرزدق من المحن التى أفلت منها الفرزدق

وأخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىُّ قال : حدثنا أبو غسانَ دَماذُ عن أبى عبيدة عن أبى عمرو قال : قال الفرزدق :

نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئا : نجوتُ من زياد حين طلبنى ، ونجوت من ابنَى رُمَيلة وقد نذَرا دمى وما فاتهما أحد طلباه قطُّ ، ونجوتُ من مهاجاة مِسكين الدارمىِّ ؛ لأنه لو هجانى اضطرنى أن أهدِم شَطر حسَبى وفخرى ، لأنه مِن بُحبوحَة نسبى وأشراف عشيرتى ، فكان جرير حينئذ ينتصف منى بيدى ولسانى .

شعره فى الغيرة أشعر ما قيل فيها

أخبرنى أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثنى محمود بن داودَ عن أبى عِكرمة عامِرِ بنِ عمرانَ عن مسعودِ بنِ بِشرٍ عن أبى عبيدة أنه سمعه يقول :

أشعرُ ما قيل فى الغَيْرة قول مسكين الدارمى :

ألا أيها الغائر المستشيـــــط فيم تغار إذا لم تُغَرْ ؟

فما خير عِرْس إذا خفتَها وما خير عِرس إذا لم تُزَرْ ؟

تغار على الناس أن ينظروا ... وهل يَفْتِن الصالحاتِ النظرْ ؟

وإنى سأخلى لها بيتها ... فتحفظُ لى نفسها أو تذر

إذا اللهُ لم يُعطنى حُبَّها ... فلن يُعطِىَ الحبَّ سوطٌ مُمَرْ (١)

يأبى معاوية أن يفرض له، ثم يعود فيجيبه إلى طلبه

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخزاعىُّ قال : حدثنى عبدُ الله بنُ عمرٍو بن أبى سعدٍ قال : حدثنى عبدُ الله بنُ مالك الخزاعى قال : حدثنى عبدُ الله بنُ بَشير قال : أخبرنى أيوب ابن أبى أيوب السعدىُّ قال :

لما قدِم مسكينٌ الدارمىّ على معاوية فسأله أن يَفرض له فأبى عليه ، وكان لا يفرض إلا لليمن ، فخرج مِن عنده مسكين وهو يقول :

أخاكَ أخاكَ إن مَن لا أخا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابنَ عم المرء فاعلم جَناحه ... وهل ينهض البازى بغير جَناح ؟

وما طالب الحاجات إلا مغرّر (٢) ... وما نال شيئا طالبٌ كنجاح (٣)

٧٠ / ١٨

قال السعدىّ : فلم يزل معاوية كذلك حتى غَزَت اليمنُ وكثرت ، وضعفت عدنانُ ، فبلغ معاويةَ أن رجلا من أهل اليمن قال يوما : لهممتُ (٤) ألا أدع بالشأم أحداً من مضَرَ ، بل هممتُ ألاَّ أحُل حبوتى حتى أخرج كل نِزارىّ بالشأم ، فبلغت معاويةَ ، ففرض من وقته لأربعة آلاف راجل من قيس سوى خِندف ، وقَدِمَ على تَفِيئة (٥) ذلك عُطارد بن حاجب عَلَى معاوية ، فقال له : ما فعل الفتى الدارمىُّ الصبيح الوجه الفصيح

(١) مر : مفتول فتلا شديدا .
(٢) فى خزانة الأدب ٣ : ٦٠ : « معذب » .
(٣) كذا فى المصدر السابق . وفى س ، ب : « وكجناح » .
(٤) وفى س : « لمت » ، تحريف .
(٥) على تفيئة : على أثر .

اللسان ؟ يعني مسكينا ، فقال : صالح : يا أمير المؤمنين ، فقال : أعلمْه أنى قد فرضت له في شرَف العطاء وهو في بلاده ؛ فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل ، فإنّ عطاءه سيأتيه ، وبشِّره أنى قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خِندِف ؛ قال : وكان معاوية بعد ذلك يُغزِى اليمنَ في البحر ، ويُغزى قيسا في البرّ ، فقال شاعر اليمن :

ألا أيها القوم الذين تجمعوا بعَكَّا أُناسٌ أنتمُ أم أباعر ؟
أتُترك قيسٌ آمنين بدارهم ونركب ظَهر البحر والبحر زاخر ؟
فوالله ما أدرى وإنى لسائل أهمدانُ يُحمى ضَيمها أم يُحابر ؟
أمِ الشرف الأعلى من أولاد حِمير بنو مالك إذ تَستمر[1] المرائر[2]
أأوصى أبوهم بينهم أن تواصَلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

قال ، ويقال : إن النجاشى قال هذه الأبيات .

أخبرنى بذلك عبد الله بن أحمدَ بنِ الحارثِ العدَوىّ عن محمدِ بنِ عائد عن الوليدِ ابنِ مسلمٍ عن إسماعيلَ بن عَياشٍ وغيرِه ، قالوا :

فلما بلغَت هذه الأبياتُ معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم ، وقال : ما أغزيتكمُ البحرَ إلا لأنى أتيمن بكم ، وأن في قيس نَكَداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر ، وأنا عارف بطاعتكم . ونُصحكم . فأما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عُقَبا[3] بينكم ، فرضُوا فِعل ذلك فيما بعد .

---

(١) تستمر : تستحكم .
(٢) المرائر : العزائم ، جمع مريرة .
(٣) عقب : جمع عقبة كغرفة ، وهي النوبة والبدل .

بشر بن مروان يتمثل بشعر له

حدّثنى الحسنُ بن علىّ قال : حدثنا أحمدُ بنُ زهَير بن حرب قال : حدثنى مصعبُ ابنُ عبد الله قال : وحدثنيه زُبيرٌ عن عمه قال :

كان أصاغر ولَد مروان فى حِجر ابنه عبد العزيز بن مروان ، فكتب عبد العزيز إلى بِشر كتاباً ، وهو يومئذ عَلَى العراق ، فورد عليه وهو ثَمِلٍ ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمَرَ بِشْر كاتبه فأجاب عبدَ العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورَد عليه عَلِم أنه كتبه وهو سكران ، لجفاه وقطع مكاتبته زماناً . وبلغ بشراً عَتْبه عليه ، فكتب إليه : لولا الهفوة لم أحتجْ إلى العذر ، ولم يكن لك فى قبوله منّى الفضل . ولو احتَمل الكتاب أكثر مما ضمّنته[1] لزدتُ فيه ، وبقيَّةُ[2] الأكابر عَلَى الأصاغر من شِيم الأكارم . ولقد أحسن مسكينٌ الدارِمىّ حين يقول :

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وإن ابنَ عمّ[3] المرء فاعلم جناحُه وهل ينهض البازى بغير جناحِ !

قال : فلما وصل كتابُه إلى عبد العزيز دَمَعت عينه ، وقال : إن أخى كان منتشياً ولولا ذلك لما جرَى منه ما جرى ، فسَلُوا عمن شهِد ذلك المجلس ، فسئل عنهم ، فأخبر بهم ، فقَبِل عذره ، وأقسم عليه ألا يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس ، ٧١/١٨
وأن يعزلَ كاتبه عن كتابته ، ففعل .

مهاجاته الفرزدق من المحن التى نجا الفرزدق منها

أخبرنى محمدُ بنُ الحسين الكِنْدىُّ خطيبُ القادسية قال : حدثنا عمر بن شَبَّة عن أبى عُبيدة عن أبى عمرو قال :

---

(١) م ، س ، ب : « ضمنته » ، تحريف .
(٢) بقية : إبقاء .
(٣) م ، أ : « ابن أم » .

كان الفرزدق يقول : نجوتُ من ثلاث أَرجو أَلاّ يصيبني بعدهن شر : نجوتُ من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ ، ونجوتُ من ضربة رئاب بن رُمَيلة أَبي البَذال فلم يقع[1] في رأسي ، ونجوتُ من مهاجاة مسكينٍ الدارمي . ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمِّي ، وقطع لساني عن الشعراء .

يخطب فتاة فتأباه، ويمر بها وهي مع زوجها ، فيقول في ذلك شعرا

أَخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان قال : حدثنا أَبو العيناء عن الأَصمعي قال : خطب مسكينٌ الدارميٌّ فتاةً من قومِه فكرِهَته لسواد لونه وقلة ماله ، وتزوجَتْ بعده رجلا من قومه ذا يسار ليس له مثلُ نسب مسكين ، فمرّ بهما مسكين ذات يوم ، وتلك المرأَة جالسة مع زوجها ، فقال :

أَنا مسكين لِمَن يعرفني ... لَونِيَ السُّمرة أَلوانُ العرَبْ
مَن رأى ظبياً عليه لؤلؤ ... واضحَ الخدين مقروناً بضب[2]
أَكسَبَتْه الورِقُ البيضُ أَباً ... ولقد كان وما يُدعَى لأَب
رُبَّ مهزولٍ سمينٌ بيتُه ... وسمينِ البيت مهزُول النسب
أَصبحتْ تُرزَق مِن شحم الذُّرا[3] ... وتخال اللؤم دُرًّا يُنتهَب
لا تَلُمها إنها من نِسوة ... صَخِباتٍ مِلْحُها فوق الرُّكَب[4]
كشَموسِ الخيلِ يبدو شَغْبُها ... كلما قيل لها هالٌ وَهَب[5]

(١) في م ، أ : « تقع » .
(٢) م ، أ : «واضح الخدين مقرون» .
(٣) الذرا : أعلى السنام .
(٤) ملحها فوق الركب : كثيرة الخصام ، كأن طول مجاثاتها ومصاكتها الركب قرح ركبتيها ، فهي تضع الملح عليهما تداويهما .
(٥) هال وهب : اسما زجر للخيل .

يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة فى أبيات وينشدها فى مجلس أبيه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال: حدثنى حماد بن إسحاق الموصلىّ قال: حدثنى أبى عن الهيثم بن عدىّ عن عبد الله بن عياش قال:

كان يزيد بن معاوية يُؤْثِر مسكيناً الدارمىّ، ويَصِله ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعةَ ليزيدَ تهيّب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس، لِحُسن البقيّة فيهم، وكثرة من يُرَشَّح للخلافة، وبلغه فى ذلك ذَرْء[1] وكلام كرهه من سعيدِ ابن العاص ومروانَ بنِ الحكم وعبدِ الله بن عامر، فأمَر يزيدُ مسكيناً أن يقول أبياتاً ويُنشدها معاويةَ فى مجلسه إذا كان حافلا وحضره وجوه بنى أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس فى مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول:

إن أُدْعَ مسكيناً فإنى ابن معشر ... مِن النـاسِ أَحمِى عنهمُ وأَذودُ
إليك أميرَ المؤمنين رَحَلْتُها ... تُثير القطا ليلا وهنّ هُجود
وهاجرةٍ ظلت كأن ظباءها ... إذا ما اتّقتْها بالقرون سجود

صـــوت

ألا ليت شعرى مايقول ابن عامر ... ومروانُ أم ماذا يقول سعيد؟
بَنِى خلفاء اللهِ مهلا فإنمـــا ... يُبوِّئُهـــا الرحمنُ حيث يريد
إذا المِنبر الغربىّ خلّاه ربه ... فإن أميرَ المؤمنين يزيد

٧٢/١٨ — الغناء لمَعبَد ثقيلٌ أولُ بالبِنصَر، عن عمرو بن بانة:

على الطائر الميمون والجدُّ صاعد ... لِـكلِّ أناس طائر وجُدود

---

(١) ذرء: شيء.

فلا زلتَ أعلى الناس كعباً[1] ولا تزل ... وفود تُساميها إليــــك وفود
ولا زال بَيت المُلك فوقَك عاليا ... تُشَيَّد أطنـــــاب له وعَمود
قُدُور ابنِ حرب كالجوابى[2] وتحتها ... أثافٍ كأمثال الرئال[3] رُكود

فقال له معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله . قال : ولَم يتكلم أحد من بنى أمية فى ذلك إلا بالإقرار والموافقة ، وذلك الذى أراده يزيد ليَعلم ما عندهم ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته .

يغير مغن الرشيد شطر بيت له ، فيعجب الرشيد تغييره

أخبرنى محمدُ بن خلَفٍ قال : حدثنا العَنَزِىّ قال : حدثنا أبو معاويةَ بنُ سعيدِ بنِ سالم قال : قال لى عَقيد :

غنيت الرشيد :

* إذا المِنبر الغربى خلّاه ربه *

ثم فطِنْت لخطابى ، ورأيت وجه الرشيد قد تغير ، قال : فتداركتها وقلت :

فإن أمير المحسنين عقيد

فطرِب ، وقال : أحسنت والله ، بحياتى قل :

فإن أمير المؤمنين عقيد

فوالله لأنت أحق بها مِن يزيدَ بن معاوية ، فتعاظمتُ ذلك ، لحلف لا أغنيه إلا كما أمر ، ففعلت ، وشرب عليه ثلاثة أرطال ، ووصلنى صلة سنية .

تمر به امرأة له وهو ينشد من شعره ، فتعقب عليه ، فيضربها

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى قال : حدثنى عمى قال :

(١) يريد كعب الرمح ، كناية عن الشرف .
(٢) الجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض يجرى فيه الماء للإبل .
(٣) الرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .

كانت لمسكينٍ الدارمىّ امرأة من مِنقر ، وكانت فاركا[١] كثيرةَ الخصومة والمُماظَّة[٢] ، فجازت به يوماً وهو ينشد قوله فى نادى قومه :

إن أُدْعَ[٣] مسكيناً فما قَصَرَتْ[٤] قِدْرى بيوتُ الحى والجُــدُرُ

فوقفتْ عليه تَسمع حتى إذا بلغ قوله :

نارى ونارُ الجار واحدة وإليه قَبلى تُنزَل القِدر

فقالت له : صدقت والله ، يجلس جارُكَ فيطبُخ قدره ، فتصطلى بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب ، فإذا شبع أطعمك ، أجَلْ والله ، إن القدر لتنزل إليه قبلك ، فأعرض عنها ، ومرّ فى قصيدته حتى بلغ قوله :

ما ضَرَّ جاراً لِى أجاوره ألا يكون لبيته ســتر

فقالت له : أجل ، إن كان له ستر هتكته ، فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما . (٥ وهذه القصيدة من جيد شعره ٥).

---

(١) فاركا : مبغضة لزوجها .
(٢) المماظة : المنازعة والمشادة .
(٣) كذا فى خزانة الأدب : ٣ : ٦٣ وأمالى المرتضى : ٣ : ١٢٠ وفيما سبق له فى ص٢١٢ . وفى النسخ : أك .
(٤) قصره ، كضرب : جعله قصيرا ، يريد أن قدرى بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان .
(٥ - ٥) زيادة من : مى ، مج .

صــوت

يا فرحتا إذ صَرَّفْنا أوجه الإبلِ   نحو الأحبة بالإزعاج والعجَلِ
نحثّهن وما يؤتَيْن من دأب   لـكنّ للشوق حَثا ليس للإبل

الشعر لأبى محمد اليزيدىّ ، والغنـــــاء لسليمان ، ثقيل أول بالبِنصَر عن عمرو ، والهشامى .

أخبار أبى محمد ونسبه

نسبه

أبو محمدٍ يحيى بنُ المبارَك ، أحَدُ بنى عدِىٍّ بنِ عبد شمسٍ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم .

سمِعْتُ أباعبدالله محمدَ بنَ العباس بنِ محمد بن أبى محمدٍ اليزيدىَّ يذكر ذلك ، ويقول: نحن مِن رَهْط ذىالرمة .

لم يقال له اليزيدى؟

وقيل : إنهم موالى بنى عدى ، وقيل لأبى محمدٍ : اليزيدىُّ لأنه كان فيمن خرج مع إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بنِ الحسن بالبصرة ، ثم توارى زمانا حتى استتَر أمرُه ، ثم اتصل بعد ذلك بيزيدَ بنِ منصورٍ خالِ المهدى ، فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه . وأدّب المأمونَ خاصةً من ولده ، ولم يزل أبو محمد وأولادُه منقطعين إليه وإلى ولده ، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد .

مكانته العلمية والأدبية وشيوخه

وكان أبو محمد عالما باللغة والنحو ، راويةً للشعر ، متصرفا فى علوم العرب . أخذ عن أبى عمرِو بنِ العلاء ويونُسَ بنِ حبيبٍ النحوىِّ وأكابرِ البصريين، وقرأ القرآن على أبى عمرِو بن العلاء ، وجوّد قراءته ورواها عنه ، وهى المعوّل عليها فى هذا الوقت . وكان بَنُوه جميعا فى مثلِ منزلتِه من العِلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرف فى علوم العرب . ولسائرِهم عِلمٌ جيد[1] .

من له شعر يتغنى به من أولاده

ونحن نَذكر بعدَ انقضاء أخباره أخبارَ مَن كان له شعر وفيه غناء من ولَده ، إذ كنا قد شرطنا ذِكر مافيه صنعة دون غيره .

فمنهم محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، وإبراهيم بن أبى محمد ، وإسمعيلُ بنُ أبى محمد . كلُّ هؤلاء ولَده لصلبه ، ولكلِّهم شعر جيد .

ومن ولَد ولَدِه أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبى محمد ، وهو أكبرُهم ، وكان شاعرا راوية عالما .

(١) [illegible] : « شعر جيد » .

ومنهم عُبَيد الله والفضلُ ابنا أحمد بن محمدٍ ، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة ، وحُمِل عنهما علم كثير . وآخِر مَن كان بقِي من علماء أهل هذا البيتِ أبو عبد الله محمدُ بنُ العباس بنِ محمدِ بنِ أبي محمد ، وكان فاضلا عالما ثقة فيما يرويه ، منقطع القرين في الصدق وشدة التوقّي فيما ينقله .

وقد حمَلْنا نحن عنه وكثيرٌ من طلبة العلم ورواته عِلْما كثيرا ، فسمعْنا منه سَماعا جمّا . فأما ما أذكر ها هنا من أخبارهم فإني أخذْته عن أبي عبد الله عن عمّيه عُبيد الله والفضل ، وأضفت إليه أشياء أخر يسيرة أخذتُها عن غيره ، فذكرْت ذلك في مواضعه ، ورويته عن أهله .

يقول في المأمون شعرا وقد ضرب عنق أسيرين فأبان رأسيهما

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ قال : حدثني عمي عُبَيد الله عن عمه إسمعيلَ ابنِ أبي محمد قال : حدثني أبي قال :

كان الرشيد جالسا في مجلسه فأُتِيَ بأسير من الروم ، فقال لِدُفَافةَ العبسيّ : قُم فاضرِب عنقه ، فضربه فنبا سيفه ، فقال لابن فُلَيح المدَنيّ : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه أيضا ، فقال : أصلح الله أميرَ المؤمنين ! تقدمَتْني ضربة عبسية ، فقال الرشيد للمأمون ، وهو يومئذ غلام : قم — فداك أبوك — فاضرب عنقه ، فقام فضرب العِلْج ، فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه ، ونظر إليّ المأمونُ نظر مستنطِق ، فقلت :

أبقى دُفافةُ عارا بعد ضربته ... عند الإمام لِعَبْس آخر الأبدِ
كذاك أسرتُه تنبو سيوفهمُ ... كسيف ورقاء[1] لم يقطع ولم يكَد
ما بال سيفك قد خانتك ضربتُه ... وقد ضربت بسيف غيرِ ذي أودَ
هلا كضَرْبةِ عبد الله إذ وقعت ... ففرّقت[2] بين رأس العلج والجسد

(١) هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ، وكان ضرب خالد بن جعفر بن كلاب بسيفه فلم يصنع شيئا ، لأنه قد ظاهر بين درعين (ابن الأثير : ١ : ٤١٣) .

(٢) كذا في غير س . وفي س . « فرقت » ، تحريف .

يحتكم فى فضله اثنان فيفضله الحكم على الكسائى فيقول فى ذلك شعرا

قال إسمعيل بن أبى محمد فى أخباره :

كان حَمّويه ابنُ أختِ الحسن الحاجب وسعيدٌ الجوهرىُّ واقفين ، فذكرا أبا محمد — يعنى أباه والكسائى — ففضّل حَمّويه الكسائى على أبى محمد ، وفضل سعيد الجوهرى أبا محمد على الكسائى .

٧٤/١٨

وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برَجل يحكم بينهما ، فتراهنا على أنّ مَن غَلب أخذ بِرْذَون صاحبه ، فجعلا الحَكَم بينهما أبا صفوان الأحوزىّ ، فلما دخل سألاه فقال لهما : لو ناصح الكسائىُّ نفسه لصار إلى أبى محمد ، وتعلم منه كلام العرب ، فما رأيت أحدا أعلم منه به ، فأخذ الجوهرىّ دابة حَمّويه . وبلغ أبا محمد اليزيدىّ هذا الخبر فقال :

يا حَمّويه اسمع ثَنًا(١) صادقا فيك وما الصادق كالكاذبِ
يا جالبَ الخزى على نفسه بُعْدا وسُحقًا لكَ من جالب
إنْ فخَر الناس بآبائهم آتيتَهم بالعجب العاجب
قلت وأدْغمتَ(٢) أبًا خاملا أنا ابنُ أخت الحسن الحاجب

يهجو سلم الخاسر

قال إسمعيل : وحدثنى أبى قال :

كنت ذاتَ يوم جالسا أكتب كتابا ، فنظر فيه سلمٌ الخاسر طويلا ، ثم قال :

أيْرُ يحيى أخط من كفّ يحيى إنّ يحيى بأيره لخَطُوطُ

فقال أبو محمد يحيى :

أمُّ سَلْمٍ بذاك أعلمُ شىء إنها تحت أيره لضَروطُ

(١) س ، ب : « ثناء » ، تحريف .
(٢) ب : « وألغيت » .

ولها تارةً إذا ما غــلاها أَزْمَلٌ(١) مِن وِداقِها(٢) وأطِيط(٣)
أمَّ سَلْم تُعلِّم الشِّعرَ سلما حبّــذا شِعر أمك المنقوط
ليت شعرى ما بالُ سلم بنِ عمرو كاسفَ البال حين يُذْكَر لوط
لا يصلِّى عليه فيمن يصلِّى بل له عند ذكره تَبْبِيط

فقال له سلم : ويحك ما لك خُبُثت ؟ أى شىء دعاك إلى هذا كله ؟ فقال أبو محمد : بدأْتَ ، فانتصرْتُ ، والبادى أظلم .

يطلب سلم الخاسر أن يهجوه على روى سماه ، فيفعل ، فيغضب سلم

قال أبو عبد الله محمدُ بنُ العباس اليزيدىّ حدثنى عُبَيد الله وعمى أبو القاسم عن أبى علىٍّ إسماعيل قال : قال لى أبى : قال سلم الخاسر يوما :

يا أبا محمد ، قل أبياتا على قول امرئْ القيس :

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَلٍ

ولا أبالى أن تهجونى فيها ، فقلت :

رُبَّ مغمــومٍ بعافية غَمَط النّعماء من أشَرِهْ
مُوردٌ أمراً يُسَرّ به فرأى المكروه فى صدَرِهْ
وامرئْ طالت سلامته فرماه الدهر من غِيَرِهْ
بِسِهام غيرِ مُشوِيَة(٤) نقضَتْ منه عُرا مِرَرِهْ
وكذاك الدهرُ مختلِف بالفتى حالَين من عُصُرِهْ
يخلِط العُسْرى بمَيسَرة ويَسارُ المرء فى عُسُرِهْ

(١) أزمل : صوت .
(٢) وداق ككتاب : شبق . وهو فى الأصل : ميل ذات الحافر الى الفحل .
(٣) أطيط : أنين .
(٤) غير مشوية : غير مخطئة .

عقّ سَلْم أمّـــه سفها   وأبا سلم على كِبَرِهْ
كلَّ يوم خلفَه رجل   رامح[١] يسعى على أثرِهْ
يُولج الغُرْمول[٢] سبّته[٣]   كَوُلُوج الضَّبِّ فى جُحُرِهْ

يطلب شاعر أن ينظم على قافية معينة فيهجوه فيما نظم

فانصرف سلم وهو يشتِمُه ويقول : ما يَحلّ لأحد أن يكلمك . قال : وقال لى يوما أبو حنش الشاعر :

يا أبا محمد ، قل أبياتا قافيتها على هاءين ، فقلت له : على أن أهجوك فيها ، فقال نعم ، فقلت :

٧٥/١٨

قلتُ ونفسى جَمٌّ تأوُّهها   تصبو إلى إلفها وأندَهُها[٤]
سقيا لصنعـاء لا أرى بلدا   أوطَنه[٥] المُوطنون يشبهها
حِصْنا وحُسنا ولا كبهجتها   أعذَى[٦] بلادٍ عذًا وأنزهها
يعرف صنعاء مَن أقام بها   أرغدُ أرض عيشا وأرفهها
أبلغْ حضيرا عنّى أبا حنَش   عائرةً[٧] نحوَه أوجِّهـها
تأتيه مثـــلَ السهام عامدة   عليه مشهورةً أدَهْدهها[٨]
كُنَيتُه طرحُ نون كنيتِهِ   إذا تهجيّتَها ستفقهـــــها

(١) الرامح فى الأصل : ذو الرمح .
(٢) الغرمول : الذكر .
(٣) سبته : استه .
(٤) اندهها : أزجرها .
(٥) أوطنه : استوطنه .
(٦) أعذى : أطيب هواء . والفعل عذا يعذو .
(٧) عائرة : سهاما لا يدرى راميها . والمراد قصيدة .
(٨) أدهدهها : أرسلها ، من دهده الحجر : دحرجه .

يريد إسقاط النون من أبى حنش حتى يكون أبا حش[1] .

يقول شعرا فى يونس بن الربيع وكان وسيما

قال أبو عبد الله : وحدثنى عمى قال : حدثنى الطَّلْحىّ — وكان له علم وأدب — قال :

اجتمعت مع أبى محمدٍ عند يونُسَ بنِ الربيع ، وكان قد دعانا ، فأقمنا عنده ، فاتفق مجلسى إلى جنب مجلس أبى محمد ، فقام يونُس لحاجته ، وكان جميلا وسيما ، فالتفتَ إلى اليزيدىّ فقال :

وفتى كالقناة فى الطَّرْف منه   إن تأملتَ طرفَه استرخاءُ
فإذا الرامح المُشيح[2] تلاه   وضع الرمح منه حيث يشاء

يهجو قتيبة الخراسانى لأنه كان يسأله كالمتعنت

قال : وحدثنى عمى عن عمه إسماعيل عن أبى محمد قال :

كان قُتَيبة الخُراسانىّ صاحبُ عيسى بن عمرَ يأتينى ، فيسألنى عن مسائل كالمتعنِّت ، فإذا أجبته عنها انصرف منكسرا ، وكان أفطس ، فقلت له يوما :

أَخْبِرِى أنت يا قتيبةُ عن   أنفِك أم أنت كاتمٌ خبرهْ ؟
بأى جُرم وأىّ ذنب تَرى   سوّت بخدَّيك أنفَك البقرهْ
فصيَّرتْه كفَيْشة[3] نبتَت   فى وجه قِردٍ مفضوضة[4] الكَمَرهْ
قد كان فى ذاك شاغل لك عن   تفتيش باب العرفان والنَّكِرهْ

وقلت فيه أيضا :

إذا عاقَ مَليك الناس عبدا   فلا عافاكَ ربّك يا قُتَيبهْ

(١) الحش : موضع قضاء الحاجة مثلثة .
(٢) المشيح : المقبل .
(٣) الفيشة : رأس الذكر .
(٤) ى : « مقطوعة » .

طلبتَ النحو مذ أن كنت طفلا إلى أن جلّلتك قبُحْتَ شيبه
فما تزداد إلا النقصَ فيه وأنت لدى الإياب بِشَرّ أوبة
وكنتَ كغائب قد غاب حينا فطال مُقامُه وأتى بخيبه

قال أبو محمد :

يلقن قتيبة غريبا فيه فحش ، فيعايي به عيسى بن عمر

كان عيسى بنُ عمر أعلمَ الناس بالغريب ، فأتانى قُتَيبةُ الخراسانىّ هذا ، فقال لى: أفِدْنى شيئا من الغريب أعايى[1] به عيسى بنَ عُمر ، فقلت له : أجوَدُ المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتْمَئِرّا[2] ، عُجَارِما[3] جَيِّدا ، وقد قال الشاعر :

إذا استكْتَ يوما بالأراك فلا يَكن سواكَك إلا المتمئرّ العُجارما

يعنى الأيْر . قال : فكتب قتيبة ما قلت له ، وكتب البيت ، ثم أتى عيسى بنَ عمرَ فى مجلسه ، فقال : يا أبا عُمرَ ، ما أجودُ المساويك عند العرب ؟ فقال : الأراك ، يرحمك الله . فقال له قتيبة : أفلا أهدى إليك منه شيئا مُتْمئرا عُجارِما ؟ فقال : أهدِه إلى نفسك . وغضب ، وضحك كل من كان فى مجلسه ، وبقى قتيبة متحيرا ، فعلم عيسى أنه قد وقع عليه بلاء ، فقال له : ويلك ! مَنْ فضَحَك وسخِر منك بهذه المسألة ؟ ومن أهلكك ودمّر عليك ؟ قال : أبو محمد اليزيدىّ ، فضحك عيسى حتى فحص برِجله ، وقال : هذه والله من مَزَحاته وبلاياه . أراه عنك منحرفا ، فقد فضحك . فقال قتيبة : لا أعاود مسألته عن شىء .

٧٦
١٨

الخليل يحبه ويجله

حدثنى عمى قال : حدثنى عُبَيد الله بنُ محمدِ اليزيدىّ قال : حدثنى أخى أبو جعفر

(١) كذا فى م ، أ . ومعناه : أعجزه عن فهمه . س ، ب : « أعانى » بمعنى أشاجر .
(٢) المتمئر : الذكر الصلب .
(٣) العجارم : الرجل الشديد ، ويكنى به عن الذكر .

قال : سمعتُ جدّى أبا محمد يقول : صِرْت يوما إلى الخليل بن أحمد ، والمجلس غاص بأهله ، فقال لى : ها هنا عندى ، فقلت : أضيِّق عليك ، فقال : إنّ الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضَين ، وإنّ شِبرا فى شِبر لا يضيق عن متحابَّين . قال : وكان الخليل لأبى محمد صافىَ الوُدّ .

يجمع بين الخليل وابن المقفع

حدثنا اليزيدىّ قال : حدثنى عمى عبيدُ الله قال : حدثنى أخى أحمدُ قال: سمعت جدى أبا محمد يقول :

كنت ألقَى الخليل بنَ أحمدَ ، فيقولُ لى : أُحبّ أن يُجمع بينى وبين عبدِ الله ابنِ المُقفّع ، وألقى ابنَ المُقفّع فيقول : أُحب أن يُجمعَ بينى وبين الخليلِ بنِ أحمدَ . فجمعتُ بينهما ، فمرّ لنا أحسنُ مجلس وأكثرُه علما ، ثم افترقنا ، فلقيتُ الخليل فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ قال : ما شئتُ من علم وأدب ، إلا أنى رأيت كلامَه أكثرَ من عِلمه ، ثم لقيت ابن المُقفّع فقلت : كيف رأيتَ صاحبَك ؟ فقال: ما شئتُ من عِلم وأدب ، إلا أنّ عقلَه أكثرُ من علمه[1] .

يناظر الكسائى فى مجلس المهدى فيغلبه

حدثنا اليزيدىّ قال حدثنى عمى عُبَيدالله قال : حدثنى أخى أحمدُ بنُ محمدٍ قال : حدثنى أبى محمدُ بنُ أبى محمدٍ قال : قال لى أبو محمد :

كنا مع المهدى بِبَلد فى شهر رمضان قبل أن يُستخلَف بأربعة أشهر ، وكان الكسائىّ معنا ، فذكر المهدىّ العربية وعنده شَيْبةُ بن الوليدِ العبسىُّ عمُّ دُفافة ، فقال المهدىّ : نَبعث إلى اليزيدىِّ والكِسائىِّ ، وأنا يومئذ مع يزيدَ بنِ المنصور خالِ المهدىّ ، والكسائى مع الحسن الحاجب ، فجاءنا الرسول ، فجئت أنا ، فإذا الكسائىُّ على الباب قد سبقنى . فقال : يا أبا محمد ، أعوذ باللهِ من شرّك ، فقلت : والله لا تُؤتَى من قِبَلى حتى أُوتَى من قِبلك .

(١) هد : « إلا أن عقله وعلمه أكثر من كلامه » .

فلما دخلنا عليه أقبل علىّ ، وقال : كيف نسبوا إلى البَحْرَين فقالوا : بَحْرانىٌّ ، ونسبوا إلى الحِصنَين (١) فقالوا : حِصنىّ ولم يقولوا حِصنانىّ . كما قالوا بَحرانى ؟ فقلت : أصلح الله الأمير ! لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا : بحرىّ لم يعرف أإلى البحرَين نسبوا أم إلى البحر ؟ فلما جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له : الحصن يُنسَب إليه غيرُهما (٢) فقالوا : حصنى .

قال أبو محمد ، سمعتُ الكسائى يقول لعمرَ بن بَزِيع — وكان حاضراً — لو سألنى الأمير لأخبرته فيها بعِلّة هى أحسن من هذه . قال أبو محمد : قلت : أصلح الله الأمير ، إن هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسنَ مما أجبْتُ به . قال: فقد سألتهُ . فقال الكسائىّ : لما نسبوا إلى الحصنَين كانت فيه نونان ، فقالوا : حِصنى اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى ، ولم يكن فى البحرَين إلا نون واحدة ، فقالوا : بَحرانى . فقلْتُ : أصلح الله الأمير ! فكيف تَنسب رجلا من بنى جنّان ؟ فإنه يلزمه على قياسه أن يقول : جِنّى . إن فى جنّان نونين ، فإن قال ذلك فقد سوّى بينه وبين المنسوب إلى الجنّ .

قال : فقال لى المهدى وله : تناظرا فى غير هذا حتى نسمع ، فتناظرْنا فى مسائل حفظ فيها قولى وقوله إلى أن قلت له : كيف تقول: إن من خير القوم أوخيرَهم نيةً زيد ؟ قال: ٧٧ / ١٨
فأطال الفكر لا يجيب . فقلت : لأن تجيب فتخطىء فتتعلم أحسن من هذه الإطالة . فقال : إن من خير القوم أو خيرُهم نيّةً زيدا . قال : فقلت : أصلح الله الأمير ، مارَضى أن يلحن حتى لحن وأحال . قال : وكيف ؟ قلت : لرفعه قبل أن يأتىَ باسم إنّ ، ونصبه بعد رفعه .

فقال شَيْبةُ بن الوليد : أراد بأوْ — بَلْ ، فرفع هذا معنى . فقال الكسائىّ : ما أردْتُ

(١) الحصنين موضع ، وقلعة بوادى ليه من نواحى الطائف .
(٢) ذكر ياقوت أن هناك مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم ، وما ذكر منها : ثنية بمكة فى موضع يقال له : المفجر .

غير ذلك. فقلت : قد أخطأا جميعاً أيها الأمير. لو أراد بأوْ — بلْ رفع زيداً ؛ لأنه لا يكون بل خيرُهم زيداً، فقال المهدىّ : يا كسائىّ ، لقد دخلتَ علىّ مع مَسْلَمة النحوىّ وغيره ، فما رأيت كما أصابك اليوم . قال : ثم قال : هذان عالمان ، ولا يقضى بينهما إلا أعرابىّ فصيح يُلقَى عليه المسائلُ التى اختلفا فيها فيجيب . قال : فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب . قال أبو محمد ، وأطرقت إلى أن يأتى الأعرابىّ ، وكان المهدىّ محبّاً لأخواله ، ومنصورُ بنُ يزيدَ بنِ منصورٍ حاضر ، فقلت : أصلح الله الأمير ! كيف ينشد هذا البيت الذى جاء فى هذه الأبيات :

يأيها السائلى لِأُخبره ... عمن بصنعاء من ذوى الحسبِ
حِمْيرُ ساداتُها تُقر لهـا ... بالفضل طرًّا جحاجح(١) العرب
وإنَّ من خيرهم وأكرمهمْ ... أو خيرَهم نية أبو كرب

قال : فقال لى المهدىّ : كيف تنشده أنت ؟ فقلت : أو خيرَهم نية أبو كرب على إعادة إنّ ، كأنه قال : أو إنَّ خيرَهم نية أبو كَرَب . فقال الكسائىّ : هو والله قالها الساعةَ . قال ، فتبسم المهدىّ ، وقال : إنك لتشهد له وما تدرى . قال: ثم طلع الأعرابىّ الذى بعث إليه فألقيت عليه المسائل ، فأجاب فيها كلِّها بقولى ، فاستفزّنى السرور حتى ضربتُ بِقَلَنسِيَتى الأرض ، وقلت : أنا أبو محمد . فقال لى شيبة : أتتَكَنّى باسم الأمير؟ فقال المهدىّ : والله ما أراد بذلك مكروهاً ، ولكنه فعل ما فعل للظَّفر ، وقد — لعمرى — ظفِر . فقلت : إن الله — عزّ وجل — أنطقك أيها الأمير بما أنت أهلُه ، وأنطق غيرك بما هو أهله . قال : فلما خرجنا قال لى شيبة : أتخطّئنى بين يدَى الأمير ؟ أمَا لتعلَمنّ ! قلت : قد سمعتُ ما قلت ، وأرجو أن تجد غِبّها ، ثم لم أُصبح حتى كتبتُ

يتهدده شيبة بن الوليد فيهجوه فى رقاع دسها فى الدواوين

---

(١) جحاجح : سادة ، جمع جحجح .

رِقاعاً عدة ، فلم أدع ديواناً إلا دسستُ إليه رُقعة فيها أبيات قلتُها فيه ، فأصبح الناس يتناشدونها ، وهى :

عِش بِجَدٍّ ولا يضرُّكَ نَوكٌ إنما عَيشُ من تَرى بالُجدودِ
عِش بِجَدّ وكن هَبنَّقة (١) القيـــسىّ نَوكا أو شيبَة بنَ الوليد
شيب يا شيب يا جُدَىّ بنى القعْـــقاع ما أنت بالحليم الرشيد (٢)
لا ولا فيك خَلَّةٌ من خلال الـــخير أحرزْتَها لحزم وجود
غيرَ ما أنك المجيد لتقطيـــع غناء وضربِ دُفٍّ وعود
فعلَى ذا وذاك يحتمِل الدهـــر مجيداً له وغيرَ مجيد

يهجو خلفا الأحمر

قال : وقال أبو محمد اليزيدىّ يهجو خَلَفا الأحمر أستاذ (٣) الكسائىّ ، أنشدنيه عمى الفضل :

زعم الأحمر المَقيت علىٌّ والذى أمّه تُقِرّ بمقته
أنه علَّم الكسائىّ نحوا فلئن كان ذا كذاك فباسته

٧٨
١٨

وبهذا الإسناد عن أبى محمد قال :

يأمر له الرشيد بمال ، ويستعين الغسانى على تعجيله فلا يعينه

أمر لى الرشيد بمال وحضر شخوصَه إلى السِّن (٤) ، فأتيت عاصما الغسانىّ — وكان

(١) هو يزيد بن ثروان ، ويكنى ذا الودعات ، لأنه جعل فى عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أضل ، فسرقها أخوه فى ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها فى عنقه ، فقال : أخى ، أنت أنا ، فمن أنا ؟ فضرب بحمقه المثل .

(٢) زيادة من ى ، مل ، هد ، م .

(٣) كذا بالنسخ ، ولم نعثر فى المراجع التى رجعنا إليها على خبر يدل على أن الكسائى أخذ عن خلف الأحمر . فلعل المراد على بن الحسن ، ويقال : ابن المبارك المعروف بالأحمر . وكان تلميذ الكسائى . وقد ذكر اليزيدى فى البيت الأول أن اسمه على . (بغية الوعاة ، نزهة الألبا ، مراتب النحويين) .

(٤) السن : مدينة على دجلة فوق تكريت ، يقال لها : سن بارما .

أثيراً عند يحيى بنِ خالد — فقلت له : إنْ أمير المؤمنين قد أمر لى بمال ، وقد حضر من شخوصه ما قد علمت ، فأحبُّ أن تذكِّر أبا على يحيى بن خالد أمرَه ليعجّله إلىّ . فقال : نعم ، ثم عدتُ بعد ذلك بيومين ، فقال لى يتفخّم فى لفظه : ما أصبتَ بحاجتك موضعاً . قال : قلت : فاجعلها منك — أكرمك الله — ببال .

فلما خرجتُ لحقنى بعض من كان فى المجلس ، فقال لى : يا أبا محمد ، إنى لأربأ بك أن تأتىَ هذا الكلبَ أو تسألَه حاجة . قلت : وكيف ؟ قال : سمعته يقول — وقد ولَّيْت — لو أن بيدى دجلةَ والفراتَ ماسقَيْتُ هذا منهما شَربة ، فقيل له : ولم ذاك — أصلحك الله — فإن له قَدرا وعلما ؟ قال : لأنه من مُضَرَ ، ما رأيت مُضريا قطّ يحب اليمانيَة .

قال : فأحببْت ألا أُعجَل ، فعُدت إليه من غد فقلت : هل كان منك — أكرمك الله — فى الحاجة شىء ؟ فقال : والله لكأنك تطلبنا بدَين فتحقّق عندى ما بلغنى عنه ، فقلت له : لا قضى اللهُ هذه الحاجةَ عَلَى يدك ، ولا قضى لى حاجة أبداً إن سألتكها ، والله لاسلّمت عليك مبتدئاً أبداً ، ولا رددتُ عليك السلام إن بدأتَنى به . ونفَضْت ثوبى وخرجْت .

يستعين بجعفر بن يحيى على تعجيل المال فيعينه

فإنى لأسير وأفكّر فى الحيلة لحاجتى إذا براكب يرْكُض حتّى لحقنى ، فقال : بعثنى إليك أبو على يحيى بن خالد لِتقفَ حتّى يلحقك ، فرجعْت مع رسوله إليه فلقيته ، وكان قريباً ، فسلّمْتُ عليه ثم سايرته ، فقال لى : إن أمير المؤمنين أمرنى أن آمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح ، فإنى أحدثك حديثاً حدثنى به أبى خالدُ بنُ برْمكَ : أنّ الحجاج بنَ يوسف أراد مؤدّباً لولده ، فقيل له : هاهنا رجل نصرانىّ عالم ، وها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصرانىّ ، قال : ادعوا لى المسلم .

فلما أتاه قال : ألا ترى ياهذا أنّا قد دُللنا عَلَى نصرانىّ قد ذكروا أنه أعلم منك ، غير أنى كرهْتُ أن أضمّ إلى ولدى مَن لا ينبّههم للصلاة عند وقتها ، ولا يدلّهم على شرائع الإسلام ومعالمه ؟ وأنت — إن كان لك عقل — قادر على أن تتعلم فى اليوم مايُعلمه أولادى فى جمعة ، وفى الجمعة ما يعلّمهم فى الشهر ، وفى الشهر ما يعلمهم فى سنة . ثم قال لى يحيى : فينبغى يا أبا محمد أن تُؤْثر الدّين على ماسواه ، فقلت له : قد أصبتُ من أرضاه ، وذكرت له الحسن بن المسوّر ، فضمه إليه ، ثم سألنى : من أين أقبلت ؟ فأخبرتُه بخبر عاصم وما كان منه ، فقلت له : قد حضر هذا المَسير ، ولست أدرى من أى وجه أتقاضاه ؟ فضحك وقال : ولِمَ لا تدرى ؟ القَ صديقك جعفراً ، يعنى ابنه ، حتى يكلم أميرَ المؤمنين أو يذكرَنى حاجتك ، فقد تركته على المضى الساعة ، فانثنيت إلى جعفر وقلت له فى طريقى :

يا سائلى عما أخبّرهُ عن جعفرٍ كرماً وعن شيمهْ
إن ابن يحيى جعفرا رجل سِيطَ[1] السماحُ بلحمه ودمه
فعليه « لا » أبداً محرمةٌ وكلامه وقف على نعَمه
وترى مُسابقَه ليدركه بمكان حَذْو النعل من قدمه

٧٩ / ١٨ فلما دخلت إليه أخبرته الخبر ، وأنشدته الأبيات ، وأعلمته ما أمرنى به أبوه ، فقال لى : قل بيتين تذكُره فيهما إلى أن أجدّد طُهرا وا كتبهما حتى يكونا معى ، فأذكرَ بهما حاجتك ، فقلت : نعم ياسيدى ، وأخذت الدواة وكتبت :

أحقُّ مَن أنجز موعودَه خليفةُ الله على خلقهِ
ومَن له إرث نبىّ الهدى بالحق لا يُدفَع عن حقه

(١) سيط : خلط ، وبابه قال .

يُنسب فى المَدْى إلى هَديِه   بِرّا وفى الصدق إلى صدقه
ومَن له الطاعة مفروضة   لائحة بالوحى فى رَقّه
والراتقُ الفتقِ العظيم الذى   لا يقدر الناس على رتْقه

قال: فأخذ الشعر ، ومضى إلى الرشيد فى حاجتى وأقرأه إياه ، فَصَكّ إلىّ بالمال عليه ، وقبضته بعد ذلك بيوم ، وأنشأت أقول فى الغسّانىّ :

يهجو الغسانى لأنه لم يعطه على تعجيل المال

ألا طَرقَتْ أسماء أم أنت حالم ؟   فأهلا بطيف زار والليل عاتمُ
إذا قيل أىُّ الناس أعظم جفوةً   وألأمُ قيل الجرمقانىُّ[(١)] عاصم
دَعِىّ أجاءته إلى اللؤم دعوة   ومغرِس سَوء لؤمه متقادم
شَهيدى على أن ليس حرًّا صَلِيبةً   صفيحةُ وجه ابنِ استِها[(٢)] واللهازم
صفيحة دَقّاق أبوه شبيهه   وجدّاه سَمّاك لئيم وحاجم
أعاصمُ خلِّ المكرمات لأهلها   وأغض عَلَى لؤم ووجهك سالم
فكيف تنال الدهر مجداً وسودَدا   وفى كل يوم كوكبٌ لك ناجم ؟
وأصلك مدخول وفسقك ظاهر   وعَجْبك مهموز وعَرْدك[(٣)] عارم
تُصانع غسانا لتلحق فيهم   ورُبّ دَعِىّ ألحقته الدراهم
فإن راب رَيب أو أصابتك شدة   رجعتَ إلى شَلْثَى وأنفك راغم
— قال : وكان اسم ابنه شلثى ، فصيره صِلْتا[(٤)] —
إذا عاصما يوما أتيتَ لحاجة   فلا تلقَه إلا وأيرك قائم

(١) الجرمقانى : واحد الجرامقة ، وهم من قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام .
(٢) تركيب يقال لمن يسب ويصغر من جهة أمه .
(٣) العرد : الذكر الصلب .
(٤) الصلت : اللص .

وعرِّض له من قبل ذاك بأمردٍ وضىءٍ وسيمٍ أثقلته المآكم
وإلاّ فلا تسألْه ماعشت حاجة ولا تبكه إن أعولته المـآتم

يستعينه النساق على رد ضيعة له قبضت فيعينه

قال : فلما حدَث ببنى بَرْمك ماحدث قُبضَت ضيعتُه فى المقبوض من ضِيَاع أسبابهم ، فصار إلىّ وكلّمنى فى أمرها ، وسألنى كلامَ الجوهرىّ فى ذلكَ ، فقمت له حتى رُدت الضيعة عليه ، فجاءنى يشكرنى ، ويعتذر مِمَّا جرَى مِن فِعله المتقدم ، فقلت له : تناس مَامضى ، فلستُ ممن يكافِىء عَلَى سوء أحداً .

يتهمه أبو عبيدة بذكر مساوىء الناس فى المسجد فيهجوه

قال أبو محمد : كان أبو عبيدةَ يجلس فى مسجد البصرة إلى سَارية ، وكُنت أنا وخَلَفٌ الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى ، وكان أبو عبيدة من أعْضهِ[1] الناس لِلناس وأذكرِهم لمثَالبهم ، فقال لأصحابه : أترون الأحمر واليزيدىّ إنمـا يجتمعان عَلَى الوقيعة لِلناس وذِكر مساويهم ؟ وبلغنى ذلك وأنه قد رمانا بمذهبه ، فقلت لِخَلفٍ : دعه ، فأنا أكفيكه . فلما كان من الأذان جئت أنا وخَلفٌ إلى المسجد ، فكتبت عَلَى الجصّ فى الموضع الذى كان يجلس فيه أبوعبيدة :

٨٠/١٨

صلى الإله عَلَى لوط وشيعتِه أبا عبيـدة قل بالله آمينا

قال : وأصبح الناس ، وَجاء أبو عبيدة ، فجلس وهو لايعلم ما فوق رأسه مكتوباً وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون ، ورفَع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه ، فخجل ، ولم يَزل منكّساً رأسه حتى انصرف الناس وأنا وخَلَفٌ ناحيةً ننظر إلى مابه ، ثم قمنا حتى وقفنا عليه ، فقلنا له : ما قال صاحب هذا البيت إلا حقّاً ، نعم فصَلى الله عَلَى لوط ، فأقبل عَلَىّ وقال : قد علمتُ مِن أين أُتيت ، ولن أُعاود التعرض لتلك الجهة ، ولم يعد لذكرنا بعد ذلك :

(١) أعضه : وصف من عضه : جاء بالإفك والبهتان .

يجفوه يزيد بن منصور فيعاتبه فيعتبه

وقالَ أبو محمد : اعتللتُ عِلّة من حمى رِبْعٍ[1] طالت عَلَيَّ أشهرا ، فجفانى يزيد بن منصور ، ولم يمر بى فى علتى ، ولم يتفقدنى كما ينبغى ؛ فكتبتُ رقعة إليه ضمنتها هذه الأبيات :

قل للأمير الذى يرجو نوافِلَه ... مَن جاء طالباً للخير منتابا[2]
إنى صحبتك دهرا كلَّ ذاك أرى ... مِنْ دون خَيرك حُجّاباً وأبواباً
وَكم ضريكٍ[3] أجاءته شقاوَتُه ... إليك إذا أنشبتْ ضراؤها نابا
فما فتحتَ له باباً لميسرة ... وَلا سددتَ له من فاقة بابا
كغائب شاهدٌ يخفى عليك كما ... من غاب عنك فوافى حظُّه غابا

فلما قرأها قال : جفَوْنا أبا محمد ؛ وأَحوجناه إلى استبطائنا . والله المستعان ، وبعث إليه بصلة .

يعبث به خلف الأحمر فى قصيدة نسبه فيها إلى اللواط

أخبرنى هاشم بنُ محمدٍ الخزاعىُّ أبو دُلَف قال : حدثنى محمدُ بنُ عبد الرحمن ابن الفهم ، وكان من أصحاب الأصمعى ، قال :

كان خلَف الأحمر يعبَث بأبى محمدٍ اليزيدىّ عبثا شديدا ، وربما جدّ فيه وأخرجه مخرج المزح ، فقال فيه ينسبه إلى اللِّواط :

إنى ومَن وَسَجَ[4] المَطِىُّ له ... حُدْبَ الذرى أذ قانها رُجُف[5]

(١) حمى الربع : هى الحمى التى تأتى فى اليوم الرابع ، بأن يحم يوما ، ويترك يومين لا يحم ، ويحم فى اليوم الرابع .
(٢) منتابا : وصف من انتاب الرجل القوم انتيابا ، إذا قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة .
(٣) الضريك : الفقير السيىء الحال .
(٤) وسج : الوسج ، والوسيج : ضرب من سير الابل سريع .
(٥) رجف : مضطربة .

يَطْرحن بالبِيد السِّحال[١] إذا حثَّ النجاء الركبُ وازدَهفوا[٢]
والمُحْرِمين لِصَوتهم زَجَل بِفنِاء كعبته إذا هتفوا
وإذا قطَعْن مسافَ مَهْمَهَة قَذَفٍ[٣] تعرّض دونها شَرَف
وافَتْ بهم خُوص[٤] مخزَّمة مثلُ القِسِىِّ ضوامرٌ شُسُف[٥]
مِنّى إليه غيرَ ذى كذِب ما إن رأى قوم ولا عرَفوا
فى غابر الناس الذين بقُوا والفُرَّطِ[٦] الماضين إذ سَلفوا
أحدا كيحيى فى الطعان إذا اف ترش[٧] القنا وتضعضع الحَجَف[٨]
فى مَعرك يُلقَى الكَمِىّ به للوجه منبطحا وينحرف
وإذا أكبّ القِرن يُتبِعه طعنا دُوَين صَلاه[٩] ينخسف
لله دَرُّك أىّ ذى نُزُل[١٠] فى الحرب إذ همّوا وإذ وقفوا
لا تخطئ الوجعاء[١١] ألّته[١٢] ولا تُصدّ إذا همُ زحفوا[١٣]

(١) السحال ، ككتاب : اللجام .
(٢) ازدهف : خف وعجل ، وازدهفه : استعجله .
(٣) قذف : بعيدة .
(٤) خوص : غائرات العيون فى الرءوس ، واحده أخوص وخوصاء .
(٥) شسف : يابسة من الضمر والهزال . شسف ، كنصر وكرم .
(٦) الفرط : السابقون .
(٧) افترش القنا : وقع بعضها على بعض عند الطعان .
(٨) الحجف : الترس ، وقيل من الجلود خاصة . وفى ى ، هد ، مل : « وتقعقع الحجف » .
(٩) الصلا : وسط الظهر .
(١٠) النزل : ما هيئ للضيف أن ينزل عليه . والمراد ما أعد لمن يقع عليهم .
(١١) الوجعاء : الدبر .
(١٢) الألة : الحربة العظيمة النصل .
(١٣) كذا فى جميع النسخ ، وفى التفعيلة الأولى من الشطر الثانى الوقص (حذف الثانى المتحرك) ، وهو صالح فى الكامل .

٨١/١٨

وله جِياد لا يُفرّطها[١] الـ ... إحلال والمضمار والعلف

جُرْد[٢] يهان لها السَّويق وألـ ... ـبان اللِّقاح[٣] كأنها نُزُف[٤]

مُرْد وأطفــال تخالهمُ ... دُرّا تَطابق فوقه الصَّدَف

فهمُ لديه يعكفُون به ... والمرء منه اللِّين واللطُف

ومتى يشا يُجنَبْ[٥] له جَذع[٦] ... نَهدٌ أسيل الخد مشترف[٧]

يمشى العِرَضْنَةَ[٨] تحت فارسه

عَبْلَ[٩] الشوَى[١٠] فى متنه قطف[١١]

رَبِذٌ[١٢] إذا عرِقت مَغابنه[١٣] ... ذَهبَ السكون وأقبل العنُف

فأعدّ ذاك لسرجه وله ... فى كل غادية لها عرُف

فى حَقوه[١٤] عَرْدٌ تقدّمه ... صلعـاء فى خرطومها قَلَف

---

(١) لا يفرطها : لا يثيرها للسبق .

(٢) جرد : جمع أجرد ، وهو الذى لا شعر عليه .

(٣) اللقاح : الإبل التى نتجت ، جمع لقوح .

(٤) نزف : جمع نزيف ، الذى يخرج منه دم كثير .

(٥) جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

(٦) الجذع : هو فى الأصل ولد الشاة فى الثانية ، وولد البقر فى الثالثة .

(٧) مشترف : مشرف .

(٨) العرضنة : مشية فيها بغى من النشاط .

(٩) عبل : ضخم .

(١٠) الشوى : اليدان ، والرجلان ، والرأس من الإنسان .

(١١) قطف : أثر .

(١٢) ربذ : سريع . وفى النسخ : « ربد » ، تحريف .

(١٣) المغابن : جمع مغبن ، كمنزل ، وهو الإبط ، وأصل الفخذ .

(١٤) حقوه : خصره .

جرداء تُشحَذ بالبزاق[١] إذا … دُعيَت نزال وهبّ مرتدِف[٢]
أوفى على قِيدِ[٣] الذراع شديـ … ـدُ الجَلْز[٤] فى يافوخه جوَف[٥]
خَاظٍ[٦] مُمَرّ متنُه ضَرِم … لا خانه خَوَر ولا قَضَف[٧]
عَرْدُ المَجس بمتنه عُجَر[٨] … فى جِذره عن فخْذه جنَف
فلوَ آن فيـــــاضا تأمله … نادى بجهد الويل يلتهف
وإذا تمسّحه لعِادته … ودنا الطعان فمِدْعَس[٩] ثقف
وإذا رأى نفقارَبَا ونزا … حتى يكاد لعابه يكف
لا ناشئا[١٠] يُبقِى ولا رجلا … فندًا[١١] وهـذا قلبـه كلِف
يا ليتنى أدرى أمُنجيتى … وجنـاء ناجيةٌ بهـا شدَف[١٢]
من أن تعلقَنى حبـائلُه … أو أن يوارى هامتِى لُجُف[١٣]
ولقد أقول حِذارَ سطوته … إيهًا إليك توَقّ يا خلَف

---

(١) البزاق : البصاق . وفى النسخ : « بالبراق » ، تحريف .
(٢) المرتدف : الذى يركب خلف الراكب .
(٣) قيد : مقدار .
(٤) الجلز : الطى والى والمد والنزع .
(٥) جوف : اتساع .
(٦) خاظ : مكتنز .
(٧) قضف : نحافة .
(٨) عجر : جمع عجرة بضم فسكون ، وهى العقدة .
(٩) مدعس : شديد الطعن .
(١٠) كذا فى أ . س ، ب : « ماشيا » ، تحريف .
(١١) فند : خـرف .
(١٢) الشدف : سرعة الوثب .
(١٣) لجف جمع لجاف ككتاب ، وهو ما أشرف على الغار من صخرة وغيرها ، ناتىء فى الجبل .

ولو آن بيتك فى ذُرا علَم   مِن دون قلة رأسه شَعَف[١]
زَلِقٍ أعاليه وأسفلُه   وعر التنائف[٢] بينَها قذف[٣]
لَخشيت عرْدَكَ[٤] أن يُبيِّتنى   أن لم يكن لىَ عنه منصرَف

أعرابى يعلق على بيت من هذه الفائية

قال الأصمعىّ : فحدثنى شيخ من آل أبى سفيان بنِ العلاء أخى أبى عمرو ابن العلاء قال :

أنشدْت قصيدة خلفٍ الفائيةَ هذه وأعرابى جالس يسمع ، فلما سمع قوله :

فإذا أكب القرنَ أتبعه   طعنا دُوَين صَلاه ينخسف

قال الأعرابى : وأبيك لقد أحب أن يضعه فى حاق[٥] مَقيل[٦] ضَرْطته .

يشغب فى مجلس ضم خلفا الأحمر ؛ فيهجوه خلف فيغضب

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد قال : حدثنى ابنُ الفهم قال : حدثنى الأصمعىّ قال :

كنتُ مع خلَفٍ جالسا ، فجرى كلام فى شىء من اللغة ، وتكلم فيه أبو محمدٍ اليزيدى وجعل يَشغَب ، فقال لى خلَفٌ : دَعْنى من هذا يا أبا محمد ، وأخبرنى من الذى يقول :

٨٢ / ١٨

فإذا انتشأتُ[٧] فإننى رب الخُوَيبة والرُّمَيحْ
وإذا صحوتُ فإننى رب الدُّوَيّة واللوَيح

يعرِّض به أنه معلم ، وأنه يلوط ، فغضب اليزيدى ، وقام فانصرف .

---

(١) الشعف : جمع شعفة ، وهى رأس الجبل .
(٢) التنائف : جمع تنوفة ، وهى الأرض الواسعة البعيدة الأطراف .
(٣) القذف بضمتين وبفتحتين : الفلاة البعيدة .
(٤) كذا فى غير س ، وفى س : « عرضك » ، تحريف .
(٥) حاق : وسط .
(٦) مقيل : موضع .
(٧) كذا بالنسخ . ولعلها محرفة عن انتشيت ، بدليل البيت الثانى .

يهجو مواليه بنى على لقعودهم عنه وقد استنهضهم

أخبرنى الحسنُ بن علىٍّ قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه قال : حدثنى طلحةُ الُخزاعِىّ قال : حدثنى أبو سعيد عثمانُ بنُ يوسفَ الحنفىُّ قال :

غاضب أبو محمد اليزيدىّ مواليَه بَنى عدِى رهَط ذى الرمة من بنى تميم لأمر استنهضهم فيه ، فقعدوا عنه ، فقال يهجوهم :

يأيها السائل عن قومنا لمّا رأى بِزّةَ أحبارهم[1]
وحُسنَ سَمْتٍ منهمُ ظاهرا إعلانُهم ليس كإسرارهم
سائلْ بهم أحمرَ أو غيرَه يُنبيك عن قومى وأخبارهم
[2]قوم كرام ما عدا أنهم صولتهم منهم على جيرانهم
أسد على الجيران أعداؤهم آمنة تخطر فى دارهم
لو جاءهم مقتبسا جارُهم ما قبسوه الدهر من نارهم
وقد وترناهمْ فلم نخش مَن ينهض فى سيره أو ثارهم
أحسنُ قوم لمواليهمُ إن أيسروا يوما لأيسارهم
شهادة الزور لهم عادة حقا بها قيمة أخبارهم
وما لهم مجد سوى مسجد به تعدَّوا فوق أطوارهم
لو هُدم المسجد لم يُعرفوا يوماً ولم يسمع بأخبارهم[2]

يهجو الرشيد ويمدح المأمون لتوفقه فى أول خطبة له

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال: أخبرنى عمى عُبَيدالله قال:حدثنى عمى إسماعيل وأخى أحمدُ قالا :

لما بلغ المأمونُ وصار فى حدّ الرجال أمرَنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم

---

(١) الأحبار : جمع حبر ، وهو العالم أو الصالح .

(٢-٢) زيادة من ى ، مل .

الجمعة ، فعملنا له خطبته المشهورة . وكان جَهير الصوت حسنَ اللهجة ، فلما خطب بها رَقّت قلوب الناس ، وأبكى من سمعه ، فقال أبو محمد اليزيدىّ :

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامةٌ ... عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ
بأن ولىّ العهد مأمونَ هاشم ... بدا فضله إذ قام وهو خطيبُ
ولما رماه الناس من كل جانب ... بأبصارهم والعُود منه صليب
رماهم بقول أنصتوا عجباً له ... وفى دونه للسامعين عجيب
ولما وعَت آذانُهم ما أتى به ... أنابَتْ ورقّت عند ذاك قلوب
فأبكى عيونَ الناس أبلغُ واعظ ... أغرُّ بِطاحىٌّ (١) النِّجار نجيب
مَهيب عليه للوقار سكينة ... جرىء جَنانٍ لا أكَعّ (٢) هيوب
ولا واجبٌ فوق المنابر قلبُه ... إذا ما اعترى قلبَ النجيب وجيب
إذا ما علا المأمونُ أعوادَ منبر ... فليس له فى العالمين ضريب
تَصدَّع عنه الناس وهو حديثهم ... تَحدَّث عنـــه نازح وقريب
شَبيه أمير المؤمنين حَزامةً ... إذا وردَتْ يوماً عليه خطوب
إذا طاب أصل فى عُروق مِشاجه (٣) ... فأغصانه من طِيبه ستطيب
فقل لأمير المؤمنين الذى به ... يقدَّم عبد الله فهو أديب
كأن لم تغب عن بلدة كان والياً ... عليها ولا التدبيرُ منك يغيب
تتبعَ ما يُرضيك فى كل أمره ... فسيرته شخص إليك حبيب

---

(١) بطاحى : من قريش البطاح ، وهم الذين ينزلون بين أخشبى مكة ، وهما جبلاها : أبوقبيس والأحمر .

(٢) أكع : جبان .

(٣) مشاجه : تكونه وحيث يلتقى آباؤه وأمهاته ، جمع مشج كسبب . وفى هد : «فى مشاج عروقه» .

ورِثتم بنى العباس إرثَ محمد فليس لحىٍّ فى التراث نصيب
وإنى لأرجو يابن عم محمد عطاياك والراجيك ليس يخيب
أثبنى على المأمون وابنِى محمداً نوالا فإياه بذاك تثيب
جناب أمير المؤمنين مُبارَك لنا ولكل المؤمنين خصيب ٨٣/١٨
لقد عَمَّهمْ جُود الإمام فكلهم له فى الذى حازت يداه نصيب

صـــوت

فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبى محمد بخمسين ألف درهم ، ولابنه محمدِ ابنِ أبى محمد بمثله .

أخبرنى عمى قال : حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيدىُّ قال : حدثنى أخى أحمد عن أبيه قال :

استأذن أبو محمد الرشيدَ وهو بالرَّقّة فى الحج ، فأذن له ، فلما عاد أنشدنا لنفسه :

يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل ... إلى الأحبة بالإزعاج والعَجَل
نَحثهن ولا يُؤْتَيْن[1] من دأب ... لكنَّ للشوق حثًا ليس للإبل
يا نائياً قرُبَتْ منـــه وساوسه ... أمسَى قرينَ الهوى والشوقِ والوجل
إن طال عهدك بالأحباب مغترباً ... فإن عهدك بالتسهيد لم يَطِل
أمَا اشتفَى الدهرُ من حرّانَ مُختبَلٍ ... صبٍّ الفؤاد إلى حرانَ مُخْتَبَلِ
عِش بالرجاء وأمِّل قرب دارهمُ ... لعل نفسك أن تبقى مع الأمل

(١) كذا فى م ، أ . س ، ب : « يونين » ، من أوناه بمعنى أتعبه وفتره .

أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد
أبى محمد اليزيدى وولد ولده

شعر له غنى فيه

فمنهم محمدُ بنُ أبى محمد، ومما يُغَنَّى فيه من شعره قوله :

صــوت

أتيتُك عائذاً بكَ منـــك لما ضاقت الحِيلُ
وصيَّرنى هواك وَبى لِحَينى يُضْرَبُ المثل
فان سلِمَتْ لـكم نفسى فما لاقيته جَلَل
وإن قَتَل الهوى رجلا فإنى ذلك الرجل

يمدح سليم بن سلام المغنى

الشعر لمحمدِ بنِ أبى محمدٍ اليزيدىِّ، يُكنَى أبا عبد الله، والغناء لسُلَيم بنِ سَلَام، ثقيل أول بالبِنصر، وله أيضاً فيه ماخورىٌّ . وكان سليم صديقَ محمدِ بنِ أبى محمدٍ اليزيدىِّ، كثيرَ العشرة له، وليس فى شىء من شعره صنعة إلا له . وله يقول محمد بنُ أبى محمد اليزيدىّ :

صــوت

بأبى أنتَ ياسُلَيم وأمى ضِقتُ ذَرعاً بهجر من لا أسمِّى
صدّ عنِّى أقرُّ مَن خلق اللـــه لعينى فاشتد غمى وهمى
ما احتيالى إن كان فى القدَر السا بق لِلحَين أن أموت بسُقمى ؟

الغناء لسُلَيم، خفيفُ رمل بالوُسطَى عن عمرو .

ينظر إليه أبو طبية العكلى فيعجب به

أخبرنى محمدُ بن العباس اليزيدىُّ قال: حدثنى عمى عُبَيد الله عن أخيه أبى جعفرٍ عن أبيه محمدِ بن أبى محمد قال:

قال لى أبى: نظر إليك أبو طبية العُكْلى — وقد جاءنى — فقال لى، وقد أقبلْتَ:

يَلِدِ الرجال بَنيهمُ أولادَهُمْ ... وولدْتَ أنت أباً من الأولاد

٨٤
١٨

قال أبو محمد: وكتب أبو طبية يوماً:

يجيب أبا طبية شعرا وقد كتب إليه شعرا

أيحيىٰ لقد زُرناكَ نلتمس الجَدَا ... وأنت امرؤٌ يرجَى جَداه ونائله

وما صَنع المعروفَ فى الناس صانع ... فيُحْمَدَ إلا أنت بالخير فاضله

تخيرك الناسَ الخليفةُ لابنـه ... وأحكمْتَ منه كل أمر يحاوله

فما ظنَّ ذو ظنٍّ من الناس علمَهُ ... كعلمك إلا مخطىء الظن فائله(١)

إليك تناهت غايةُ الناس كلِّهم ... إذا اشتبهَتْ عند البصير مسائله

قال أبو محمد: فكتب إليه:

أبا طبيةَ اسمع ما أقول نَخَبِّرُ ما ... يقال إذا ما قيل صُـدِّق قائله

إذا شئتَ فانهَدْ(٢) بى إلى من أردتَه ... وأمِّلْتَ جدواه فإنى منازله

فإن يك تقصيرٌ ولا يك عارفاً ... بحقك فاعذِر له فتكثرْ(٣) عواذله

يتمنى العباس بن الأحنف أن يكون سبقه إلى بيتين له

حدثنى أبو عبد الله محمد بنُ العباس اليزيدىّ قال: حدثنى عمى عُبَيد الله قال: حدثنى أخى أحمدُ عن أبى قال:

صِرْت إلى العباس بن الأحنف، فقال لى ما حاجتك؟ قلت: أمرنى أخوك وأبى

(١) م. س، ب: «قائله»، تحريف.

(٢) نهد: نهض ومضى على كل حال.

(٣) لعل راء فتكثر سكنت تخفيفا، لتتابع الحركات.

أن أصير إليك وأستفيدَ منك ، فقال لى : أتصير إلىّ ؟ وددْت أنى سبقتك إلى بيتين قلتَهما وأنى لم أقل من الشعر شيئاً غيرهما ، فدخلنى من السرور ما الله به عليم ، فقلت : وما هما ؟ فقال : قولك :

يا بَعيد الدار موصو ... لا بقلبى ولِسانى
رُبما باعدك الده ... ر وأدنتك الأمانى

لم يسرق من الشعر إلا معنيين لمسلم بن الوليد

حدثنى أحمد بن عُبَيد الله بنِ عمار قال : حدثنى محمدُ بنُ داودَ الجراحُ قال : حدثنى أبو القاسمِ عُبَيد الله بنُ محمد اليزيدىُّ قال : حدثنى أحمد بنُ محمد قال :

سمعت أبى يقول : ما سرقْتُ من الشعر شيئاً إلا معنيين : قال مُسلم بن الوليد :

ذاك ظبى تحيّر الحسنُ فى الأر ... كان منه وحلّ كل مكانِ
عَرَضَتْ دونه الحِجال فما يا ... قاك إلا فى النوم أو فى الأمانى

فقلت :

يا بعيد الدار موصو ... لا بقلبى ولسانى
ربما باعدك الده ... ر وأدنتك الأمانى

وقال مسلم أيضاً :

متى ما تسمعى بقتيل حُبٍّ ... أُصيب فإننى ذاكِ القتيلُ

فقلت أنا :

أتيتكِ عائذاً بكِ منـ ... ـكِ لما ضاقت الحِيلُ
وصيّرنى هواكِ وبى ... لَحينى يُضْرَب المثل
فإن سلمَتْ لكم نفسى ... فما لاقيته جَلل

وإن قتَل الهوى رجلا فإنى ذلك الرجل

يعتب على صديق له فيجيبه

٨٥ / ١٨

أخبرنى محمدُ بنُ العباس قال : حدثنى عمى عُبَيد الله عن أخيه أبى جعفر قال : عتَب أبى — يعنى محمدَ بن أبى محمد — على يونُس بنِ الربيع ، وكان صديقَه فكتب إليه :

سأبكيك حيّا لا بكيتك ميّتاً بأربعة تجرى عليك هُمولا
وأُعفيك من طول اللقاء وإننى أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلا
فكيف بصبرى عنك لا كيف بعدما حللْتَ محلا فى الفؤاد جليلا !

قال ، وكتب إليه يونس :

إلى كم قد بَليت وليس يَبلَى عتاب منك لى أبداً طويلُ ؟
إذا كثر التجنّى من خليل ولم تُذنبْ فقد ظَلَم[1] الخليل

يقول فى قنفذ شعرا اقترح عليه

أخبرنى عمى قال : حدثنى الحسنُ بن الفهم قال : قال لى أبو سمير عبد الله بن أيوبَ مولى بنى أمية :

بات عندى ليلةً محمدُ بنُ أبى محمد اليزيدىُّ ، فظهر لنا قُنفذ ، فقلت له : قل فيه شيئًا ، فأنشأ يقول :

وطارقِ ليل زارنا بعد هَجْعة من الليل إلا ما تحدث سامرُ
فقلْتُ لعبد الله ما طارقٌ أتى ؟ فقال امرؤ سبقَت إليه المقادر
قرَيناه صفو الزاد حين رأيته وقد جاء خفّاق الحشا وهو سادر
جميل المحيّا والرضا فإذا أبى حمَتْه من الضيم الرماح الشّواجر
ولستَ تراه واضعا لسلاحه مدى[2] الدهر موتوراً ولا هو واتر

(١) ف : « مل » .

يحجب عن المأمون ، فيرسل إليه شعرا ، فيأذن له ويجيزه

حدثنا اليزيدىّ قال : حدثنى عمى الفضل قال : حدثنى أبو صالح بن يزداد قال : حدثنى أبى قال: جاء محمدُ بنُ أبى محمد اليزيدىُّ إلى باب المأمون وأنا حاضر ، فاستأذن ، فقال الحاجب: قد أخذ دواء وأمرنى ألا آذن لأحد . قال: فأمرَكَ ألا توصل إليه رقعة؟ قال: لا ، فدَفع إليه رقعة فيها[1] :

هديّتىَ التحيةُ للإمام ... إمام العدل والملكِ الهمام
لأنى لو بذلْتُ له حياتى ... وما أهوى[2] لقلاّ للإمام
أراكَ من الدواء اللهُ نفعا ... وعافيةً تكون إلى تمام
وأعقبك السلامةَ منه ربٌّ ... يُريك سلامة فى كل عام
أتأذن فى السلام[3] بلا كلام ... سوى تقبيل كفكَ والسلام

قال : فأوصلها ، وخرج فأذن له ، فدخل وسلّم وحُمِلت معه ألفا دينار .

يستحسن المعتصم شعرا اقترحه عليه

حدثنى عمى قال : حدثنى الفضلُ اليزيدىُّ قال : حدثنى أخى أحمدُ عن أبى : قال : دخلْتُ إلى المعتصِم وهو ولى عهد وقد طلع القمر ، فتنفس ثم قال : يا محمد ، قل أبياتا فى معنى طلوع القمر ، فإنّ غاب مدة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع ، فإن كان كما أُحِب فلك بكل بيت مائة دينار ، فقلت :

صوت

هذا شبيه الحبيب قد طلعا ... غاب كما غاب ثم قد لمعا[4]
وما أرى غيرَه يشاكله ... فاسأله بالله عنه ما صنعا؟
فرّق بينى وبينه قدَر ... هو الذى كان بيننا جمَعا
فهل له عودة فأرقبَها ... كما رأينا شِبهه[5] رجعا

٨٦ / ١٨

(١) ف : « فدعا بدواة وقرطاس فكتب »
(٢) ف : « وما أحوى » .
(٣) هد ، ى ، مل : « فى الدخول » .
(٤) ف : « رجعا »
(٥) ف : « شبيهاله »

فقال : أحسنت وحياتى ، ثم قال لعَلّويه : غن فى هذه الأبيات — وكان حاضرا — فغنّى فيها ، وشرب عليها ليلته ، وأمر لى بأربعمائة دينار ولعلّوية بمثلها .

لَحْن علّوية فى هذه الأبيات رَمل .

المأمون يحكم له بثلاثة آلاف دينار من مال عبد الله ابن طاهر

حدثنى عمى قال : حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ قال : حدثنى أخى عن أبى قال :

شكوْت إلى المأمون دَينا علىّ ، فقال : إن عبدَ الله بنَ طاهر اليوم عندى ، وأريد الخلوة معه ، فإذا علمتَ بذلك فاستدعِ أن يكون دخولُك أو إخراَجه إليك ، فإنى سأحكم لك عليه بمال ، فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار ، وكتبت بهذين البيتين :

يا خيرَ ساداتٍ وأصحابِ هذا الطفَيلىُّ على البابِ
فصيِّروا لى معكمْ مجلسا أو أخرِجُوا لى بعض أصحابى

وبعثت بهما إليه ، فلما قرأهما قال : صدق . اكتبوا إليه وسلوه أن يختار ، فكُتِب إلىّ : أمّا وصولك فلا سبيل إليه ، ولكن من تختار لِنخرجَه إليك فتمضى معه . فكتبتُ : ما كنتُ لأختار على أبى العباس[1] أحدا . فقال له المأمون : قُم إلى صديقك . فقال : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفينى من ذلك . أتُخرجُنى عما شرفْتَنى به من منادمتك وتبدلُنى بها منادمة ابن اليزيدى ! قال : لا بدّ من ذلك أو ترضيه . قال : فليحتكِم . قال : أخاف أن يشتط أو تتصرّ أنت ، ولكنى أحكم فأعدِل . قال : قد رضيت . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجّلة . قال : قد فعلْت ، فأمَر صاحبَ بيت المال أن يحملَها معى ، وأمر عبدُ الله بِردها إلى بيت المال .

حدثنى الصولىُّ قال : حدثنى عونُ بنُ محمد قال :

يعشق جارية ويحرمها ، فيعوضه المأمون

كان محمدُ بنُ أبى أحمدَ اليزيدىُّ يعشق جارية لسحاب يقال لها عُليا[2] ، وكانت

---

(١) أبو العباس كنية عبد الله بن طاهر .

(٢) فى م ، ا ، هد : « علا » .

من أظرف النساء لسانا وأحسنهن وجها وغناء ، فأُعطى بها ثلاثة آلاف دينار فلم تُبع ، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار ، وذلك فى خلافة المأمون ، وكان علىُّ بنُ الهيثم جونقا[(١)] صديقا لمحمدِ بنِ أبى أحمدَ اليزيدىِّ ، فبلغ المأمونَ الخبرُ ، فدعا محمدا، وقال : ما قصتك مع عليا ؟ قال : قد قلتُ فى ذلك أبياتا ، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتها . قال : هاتها فأنشده ·

أشكو إلى الله حُبى للعَلّيينا ... وأننى فيهمُ ألقَى الأمرينا[(٢)]
حَسْبى عليًّا أمير المؤمنين فقد ... أصبحتُ حقًّا أرى حبّى له دِينا
وحبَّ خِلِّى وخُلصانى[(٣)] أبى حسن ... أعنى عليّا قريعَ التغلَبيينا
ورِقِّى[(٤)] لبُنَىٍّ لى أُصِبت به ... وَجْدِى به فوق وجد الآدميينا
ورابع قد رمىٰ قلبى بأسهمه ... فجُزْت فى حبه حدّ المحبينا
وبعض من لا أسمِّى قد تملَّكه ... فرُحْتُ عنه بما أعيا المداوينا
أتاه بالدين[(٥)] والدنيا تمكُّنُه ... فلم يدَع لىَ لا دُنيا ولا دِينا

قال : فقال المأمون : لولا أنه أبو إسحاق لانتزعتُها منه ، ولكن هذا ألف دينار نخذه عوضاً ، ولقِينى المعتصم فى الدار فقال لى : يا محمد ، قد علمتُ ما آل إليه أمرُ فلانةَ ، فلا تذكرنّها . فقلت : السمعُ والطاعة لأمرك ·

٨٧ / ١٨

ينظم شعرا اقترحه المأمون عليه

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدثنا أبو العباس محمدُ بنُ الحسنِ بن دينار مولى بنى هاشم قال : حدثنى جعفرُ بنُ محمد اليزيدىُّ عن أبيه محمدِ بنِ أبى محمد قال :

(١) كذا فى س ، ب . وفى أ ، م : « حونقا » .
(٢) لأمرينا : لعلها تثنية أمر ، وكسرت الراء للضرورة .
(٣) خلصانى : صفيى للواحد والجمع .
(٤) مل : « ورحمتى » .
(٥) فى س ، ب : « أتاه والدين بالدنيا » .

كنت عند المأمون فقال لى : يامحمد ، قل شعرا فى نحو هذين البيتين :

صحيح يودّ السُّم كيما تعُوده   وإن لم تَعُده عاد عنها رسولهُا
لِيعلم هل ترتاع عند شَكاته   كما قد يروع المُشفقات خليلها ؟

قال فقلت :

صحيحٌ وَدّ لو أمسى عليلا   لتكتبَ أو يرى منكم رسولا
رآكَ تسومُه الهجران حتى   إذا ما اعتلّ كنت له وَصولا
فودّ ضَنا الحياة بوصل يوم   يكون على هواكَ له دليلا
هما موتان موت هوى وهَجرٍ   وموت الهجر شرُّهما سبيلا

قال : فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ قال : حدّثنى أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبى محمد اليزيدىّ . عن أبيه قال : دخلت على المأمون وهو يشرب ، وعنده عَريب ومحمد بن الحارث بن بُسخُنَّر يغنّيانه ، فقال : أطعموا محمدا شيئا ، فقلت : قد بدأت بذلك فى دار أمير المؤمنين ، فقال : أمَا ترى كيف عَتَق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلا أقلّه ، ما أحسنُ ما قيل فى قديم الشراب ؟ فقلت : قول الحَكَمىّ :

عتقت حتى لو اتّصلتْ   بلسان ناطق وفمِ
لاحتبتْ فى القوم ماثلةً   ثم قصّت قصّة الأُممِ

فقال : هذا كان فى نفسى ، ثم قال : اسقُوا محمدا رطلين ، وأعطوه عشرين ألف درهم ، ثم نكت فى الأرض ورفع رأسَه ثم قال : يا محمّد :

إنّى وأنت رضيعا قهوةٍ لطفتْ   عن العِيانِ ودقّت عن مَدَى الفَهمِ
لم نرتضعْ غيرَ كأسٍ دَرُّها ذهبٌ   والكأسُ حُرْمتها أولى من الرّحمِ

قال : والشّعر له قاله فى ذلك الوقت .

وممّا فيه غناء من شعر محمد بن أبى محمد، أنشدناه محمّد بن العباس عن عمّه عبيدالله عن أخيه أحمد:

صـوت

أنت امرؤ متجــنٍّ ولسْت بالغضبـــان
أنت امرؤ لك شأنٌ فما أرى غير شَانِى
صرّحْ بما عنه أكْنِى أكفّ عنك لسانِى
حَسْبى(١) أسأتُ فهلا مَنَنْتَ بالغفـــران

ومنها :

صـوت

يا أحسنَ الأمّة فى عينى أمَا ترحمُنِى !
أمَا ترانى كامـــدًا موكَّلاً بالحــــزَنِ
أمَا ترى فيك مُـــدًا راتِى لأهْـــلِ الظِّنَنِ
أصرفُ طَرْفى عنك خَوْ فًا منه أن يَفضَحنَى
يرَانِيَ الله وما ألــــغَى وإنْ لَمْ تَرَنِى

وممن له شعر فيه صنعة من ولد أبى محمد اليزيدى لصلبه إبراهيم

صـوت

لاتلحَنى إن منحتُ عشقًا مَن كان للعشق مستحِقا
ولم يقدِّمْ علىّ خَلقا ولم أقدّم عليه خلقا
يملك رِقّى ولست أبغى من مِلكه ما حييت عتقا
لم أر فيمن هويت خلقا أعطفَ منه ولا أرقَّا

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيدىّ ، والغناء لأبى العبيس بن حمدون ، خفيف ثقيل مطلق . وفيه لعريب رمل مزموم .

---

(١) كذا فى الأصول ، ولعلها : « حسبى أسأت » .

أخبار إبراهيم

خبر له مع عريب وقد نظم شعرا اقترحته عليه

أخبرنى عمى قال : حدثنى الفضلُ بنُ محمد اليزيدىُّ قال : حدثنا أحمدُ عن عمه إبراهيمَ قال :

كنت مع المأمون فى بلد الروم ، فبينا أنا فى ليلة مظلمة شاتية ذاتِ غيمٍ وريح وإلى جانبى قُبة ، فبرقَت بَرْقةٌ وإذا فى القبّة عَريب . قالت : إبراهيمُ بنُ اليزيدىّ ؟ فقلت : لبيك ! فقالت : قل فى هذا البرق أبياتاً مِلاحاً لأغنّى فيها ، فقلت :

ماذا بقلبى من أليم الخفْقِ ... إذا رأيتُ لمعان البرْقِ
مِن قِبَل الأُرْدُنِّ أو دمشق ... لأنّ مَن أهوى بذاك الأفْق
فارقتُه وهو أعز الخلق ... علىّ والزُّور خلاف الحق
ذاك الذى يملك منى رقى ... ولست أبغى ماحييت عتقى

قال : فتنفسَت نفساً ظننته قد قطع حيازيمها ، فقلت : ويحك على من هذا ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن . فقلت : هيهات ! ليس هذا كلُّه للوطن ، فقالت : ويلك ! أفتراك ظننتَ أنك تستفزنى ؟ والله لقد نظرتُ نظرةً مُريبة فى مجلس ، فادعاها أكثرُ من ثلاثين رئيساً ، والله ما علِم أحد منهم لمن كانت إلى هذا اليوم (١) .

٨٨/١٨

يقيم أياما بسيحان مع صديق ، ويقول هناك شعرا

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدثنى الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيدىُّ قال : حدثنى أخى عن عمى إبراهيم بن أبى محمد :

أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو ، قال فكُتِب فى رُفقه (٢) فيها فتى من أهل البصرة ، ظريف أديب شاعر راوية ، فكان لى فيه أُنس ، وكنا لا نفترق حتى غزَونا

(١) ف : « الوقت »
(٢) س ، ب : « رقعة » ، تحريف .

وعدْنا ، فعاد إلى البصرة ، وكان له بستان حسن بسيحانَ ، فكان أكثرُ مُقامه به ، وعُزِم لى على الشخوص إلى البصرة لحاجة عَرضت لى ، فكان أكثرُ نشاطى لها من أجله ، فوردْتُها ، ونظرتُ فيما وردتُ له ، ثم سألتُ عنه ، ومضيت إليه ، فكاد أن يُستطار بى فرحاً ، وأقمت بسيحان معه أياماً ، وقلت فى بعضها وقد اصطبحنا فى بستانه :

يامسعدَىَّ بسيحانٍ فدَيتكما ... حُثّا المدامة فى أكناف سيحانا
نَهْرٌ كريم من الفِردوس مَخرجه ... بذاك خبّرنا من كان أنبانا
لا تحسدانى رَواحاً أو مباكرة ... طِيبَ المسير على سيحان أحيانا
بشَطِّ سيحان إنسان كلِفْت به ... نفسى تقى ذلك الإنسان إنسانا
ريّاه ريحاننا والكأسُ معملة[1] ... لا شىء أطيب من ريّاه ريحانا
حُثا شَرابكما حتى أرى بكما ... سُكراً فإنىَ قد أمسيت سكرانا
رَيّا الحبيب وكأسٌ من معتّقة ... يُهيّجان لنفس الصبّ أشجانا
سَقيا لسيحانَ من نهر ومن وطن ... وساكنيه من السكان مَن كانا
هُم الذين عقَدنا الودّ بينهمُ ... وبيننا وهُمُ فى دَير مُرّانا[2]

يدعو أخاه محمدا شعرا إلى مجلس شراب

أخبرنى محمدُ بنُ العباس قال: حدثنى عمى عُبَيد الله عن جماعة من أهلنا :

أن إبراهيمَ بنَ أبى محمدٍ اليزيدىَّ كان يعاشر أبا غسان ، مولى منيرة ؛ وكانت له جارية مغنية ؛ يقال لها جانى ؛ فدعاه يوما أبو غسان وجلسنا للشرب ، فقال له : لو دعوْت ابنَ أخيك — يعنى محمدَ بنَ أبى محمد — لنأنس به . فكتب إليه إبراهيم .

(١) هد : « معلمة » .

(٢) كفر مشرف على كفرطاب قرب المعرة ، ودير قرب دمشق على تلّ مشرف على مزارع ورياض حسنة .

يا أكرمَ الناس طُرًّا … وأكرم[1] الفتيــانِ
بادِرْ إلينــا لكيما … تُسْقَى[2] سُلافَ الدِّنانِ
على غِناء غــزال … مُهَفهَفٍ فتّــان
اشرَبْ على وجه جانٍ … شرابَك الخُسرَوانى[3]
فما لجِــانٍ نظير … وما لها من مُــدان
إلا الذى هو فَرْد … وماله من ثان
أعنِى الهــلال لِستٍّ … فى شهره وثمان
للناس بَدرٌ منــير … يُرى بكل مكان
وما لنا غــيرُ بدر … لدى أبى غسان
ذِكْراه فى كل وقت … موصــولة بلسانى
سبَيتَهُ وسبــانى … فحُبُّه قــد برانى
مِن ثَم لستَ تَرانِى … أصبــو إلى إنسان

89/18

يستصلحه بعض إخوانه بعد جفوة فيقول فى ذلك شعرا

أنشدنا أبو عُبيد الله[4] اليزيدىُّ عن عمه الفضلِ لإبراهيمَ بنِ أبى محمدٍ اليزيدىِّ فى بعض إخوانه ، وقد رأى منه جفوة ، ثم عاد واستصلحه ، فكتب إليه :

مَن تاه واحدة فتِهْ عَشْرا … كى لا يجوز بنفسه القدرا
وإذا زها أحد عليك فكن … أزهى عليه ولا تكن غُمْرا[5]
أرأيتَ مَن لم ترجُ منفعةً … منه ولم تحذر له ضَرا

(١) هد ، ى : « وأظرف » .
(٢) وفى أ ، م : نسقى .
(٣) الخسروانى : نوع من الشراب .
(٤) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « عبد الله » .
(٥) الغمر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور .

لم يُستذَلّ(١) وتُستذلّ له بل كن أشد إذا زها كِبرا

يعربد فى مجلس شراب مع المأمون، ثم يعتذر إليه

حدثنى عمى والحسنُ بنُ علىٍّ قالا : حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويه قال : حدثنى أبى عن جعفرِ بن المأمون قال :

دخل إبراهيم بنُ أبى محمدٍ اليزيدىُّ على أبى وهو يشرب ، فأمره بالجلوس فجلس ، وأمر له بشراب فشرب . وزاد فى الشرب فسكر وعَرْبد ، فأخذ علىُّ بنُ صالح صاحبُ المصلَّى بيده ، فأخرجه ، فلما أصبح كتب إلى أبى :

أنا المذنب الخطّاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لمَاَ عُرِف العفو
ثمِلت فأبدتْ منِّى الكاس بعض ما كرهتُ وما إن يستوى السكر والصحو
ولولا حُمَيا الكأس كان احتمال ما بَدَهتُ به لا شك فيه هو السَّرو(٢)
ولا سيما إذ كنتُ عند خليفة وفى مجلس ما إن يجوز به اللغو
تنصلت من ذنبى تنصُّل ضارع إلى من لديه يُغْفَرُ العمد والسهو
فإن تعف عنى تلف خطوىَ واسعا وإلاّ يكن عفو فقد قصر الخطو

يحجب عن هارون ابن المأمون ، فينظم فى ذلك شعرا

حدثنى عمى قال : حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيدىُّ قال : جاء عمى إبراهيمُ إلى هارونَ ابن المأمون ، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة . فلم يصل إليه وحُجب عنه ، فكتب إليه :

غلبَتْ عليكم هذه القَدَرِيَّهْ(٣) فعليكمُ منى السلام تحيهْ
آتيكمُ شوقا فلا ألقاكمُ وهمُ لديكم بُكرةً وعشيهْ
هرونُ قائدهم وقد حَفّتْ به أشياعه وكفى بتلك بليه
لكنّ قائدَنا الإمام ورأينا ما قد رآه فنحن مأمونيه

(١) كذا فى ب ، س . ا ، م : « يسترك » بمعنى يستضعف ، استركه : استضعفه .
(٢) السرو : المروءة فى شرف .
(٣) القدرية : جاحدة القدر .

يكتب شعرا إلى ابن له أحب غلاما وأحب الغلام غيره

أخبرنى عمى قال : حدثنى الفضلُ قال :

كان لعمى إبراهيمَ ابنٌ يقال له : إسحاق ، وكان يألف غلاما من أولاد الموالى . فلما خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه ، وخرج الغلام الذى يألفه فى العسكر ، وعرف إبراهيم أنه قد صحِب فتى من فتيان العسكر غير ابنه ، فكتب عمى إبراهيم إلى ابنه :

قل لأبى يعقوب إن الذى ... يعرفه قد فعل الحُوبا[1]
كان محبًّا لك فيما مضى ... فالآن قد صادف محبوبا
يركب هذا ذا وذا ذا فما ... ينفك تصعيداً وتصويبا
فرأس إسحاق فدَيناه قد ... أظهر شيئاً كان محجوبا
أرى قروناً قد تجلّلته ... منصوبةً شُعِّبن تشعيبا
أظنه يعجِز عن حملها ... إذ رُكِّبت فى الرأس تركيبا
يا رحمتا لابنى على ضعفه ... يحمل منهن أعاجيبا !

٩٠ / ١٨

يسأله ابن أخ له مزيدا من العناية به فيجيبه شعرا

حدثنى عمى قال : حدثنى فضلٌ اليزيدىُّ قال :

كتبتُ إلى عمى إبراهيمَ أستعين به فى حاجة لى ، وأستزيده من عنايته بأمورى ، وأطالبه أن يتوفر نصيبى لديه وفيما أبتغيه منه ، فكتب إلى :

فدَيتك لو لم تكن لى قريبا ... وكنت امرأ أجنبيًّا غريبا
مع البر منك وما يستجر[2] ... به مستخفا إليك اللبيبا
لَمَا إن جعلْت لخلق سوا ... ك مثلَ نصيبك منى نصيبا

(١) الحوب : الإثم .

(٢) يستجر : من استجر له بمعنى انقاد ، وفى ف : « تستجد » .

وكنتَ المقدّم ممن أودّ وازداد حقك عندى وُجوبا
تَلطّفْ لما قد تكلمت فيه فما زلتَ فى الحاج شهماً نجيبا
وراوض أبا حسن إن رأيـ ت واحتل برِفقك حتى يجيبا
فإن هو صار إلى ما تريد وإلا استعنتَ عليه الحبيبا
وما لا يخالف ما تشتهيه[1] لِتلفيَه غيرَ شك مجيبا
يودك خاقان وُدًّا عجيبا كذاك الأديب يحب[2] الأديبا
وأنت تكافيه بل قد تزيد[3] عليه وتجمع فيه ضروبا
تُثيب أخاك على الود منه وذو اللب يأنف ألا يثيبا
ولا سيما إذ بَراه الإلـــه كالبدر يدعو إليه القلوبا
يرى المتمنّيّ له رِدْفَه كثيباً وأعلاه يحكى القضيبا
وقد فاق فى العلم والفهم منه كما تم مِلْحاً[4] وحسناً وطيبا
ويبلغ فيما يقولون ليس يعاف إذا ناولوه القضيبا
ولكنه وافَق الزاهدين فخاب وقد ظن أن لن يخيبا
وإن ركِب المرء فيه هوا ه عاث فتطهيره أن يثوبا
إذا زارت الشاة ذئبا طبيبا فلا تأمَنَنّ على الشاة ذيبا
وعند الطبيب شفاء السقيم إذا اعتلّ يوما وجاء الطبيبا
ولستَ ترى فارسا فى الأنا م إلا وَثُوبا يجيد الركوبا

(١) ف : « ومن لا يخالف ما أشتهيه » .
(٢) ف « يود » .
(٣) ف : « بل لا تزيد » .
(٤) ملحا : ملاحة وحسناً .

شعره وقد زامل المأمون فى سفر يحيى بن أكثم ومخنثا

أخبرنى محمدُ بنُ العباس اليزيدىُّ قال : حدثنى عمى عُبَيد الله قال : وحدثنى أخى أحمد قال :

زامل المأمونُ فى بعض أسفاره بين يحيى بنِ أكثمَ وعبّادةَ المخنَّث ، فقال عمى إبراهيم فى ذلك :

وحاكمٍ زاملَ عبّاده ولم يزل تلك له عاده
لو جازلى حُكم لما جاز أن يحكم فى قيمةِ لُبّاده[1]
كم منِ غــلام عزّ فى أهله وافتْ قفاه منه سجاده

يرمى يحيى بن أكثم باللواط

٩١/١٨

وقال فى يحيى أيضا :

وكنا نرجّى أن نرى العدل ظاهرا فأعقبنا بعــــد الرجاء قُنوط
متى تصلحُ الدنيا ويصلحُ أهلها وقاضى قضاة المسلمين يلوط !

وأخبرنى عمى حدثنا أبو العيناء قال :

يتمثل المأمون ببيت من هجائه ليحيى بن أكثم

نظر المأمون إلى يحيى بنِ كثْمَ يلحظ خادما له ، فقال للخادم : تعرضْ له إذا قمت ؛ فإنى سأقوم للوضوء — وأمره ألا يبرح — وعُدْ إلىّ بما يقول لك ، وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس. فلما غمزه الخادم بعينه ، قال يحيى : (لو لا أنتم لـكنا مؤمنين[2]) فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره ، فقال له : عُدْ إليه فقل له : (أَنحنُ صَدَدْنا كم عن الهُدَى بعدَ إذ جاءكم بل كنتم مجرمين[2]) فخرج الخادم إليه ، فقال له ما أمره به المأمون ، فأطرق يحيى وكاد يموت جزعا ، وخرج المأمون وهو يقول :

متى تصلحُ الدنيا ويصلحُ أهلها وقاضى قضاة المسلمين يلوط !

(١) لبادة كرمانة : ما يلبس من اللبود للمطر .
(٢) سورة سبأ : ٣١ ، ٣٢ .

قم وانصرف ، واتق الله ، وأصلح نيتك[1] .

يرتجل فى مجلس المأمون بيتا ويزيد المأمون بيتا عليه

حدثنا اليزيدىّ قال : حدثنى ابن عمى إسحاق بن إبراهيم بنِ أبى محمد اليزيدىّ عن أبيه إبراهيم قال :

كنت عند المأمون يوما وبحضرته عَريبُ ، فقالت لى على سبيل الوَلَع بى : يا سلموس ، وكان جَوارى المأمون يلقبنَنى بذلك عبثا ، فقلت لها :

قُلْ لعريبٍ لا تكونى مسلعسه   وكونى كتتريفٍ وكونى كمونسه

فقال المأمون :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن   هنالك شك أنّ ذا منك وسوسة

قال : فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون .

(١) ف : « سريرتك »

وممن غُنّىَ فى شعره من ولد أبى محمد اليزيدى
أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبى محمد

فمن ذلك :

صــوت

شوق إليك على الأيام يزداد والقلب مُذغبْت للأحزان معتادُ
يا لهفَ نفسى على دهر فُجِعتُ به كأنّ أيامه فى الحسن أعياد

الشعر لأحمدَ بن محمدِ بنِ أبى محمد ، والغناء لِبَحر هزج ، وفيه ثانى ثقيل مطلق . ذكر الهِشامى أنه لإسحاق ، وما أراه أصاب ، ولا هو فى جامع إسحاق ، ولا يشبه صنعته .

طرف من أخباره

وكان أحمد راوية لعلم أهله ، فاضلا أديبا ، وكان أسنّ ولَد محمدِ بنِ أبى محمد ، وكان أخوته جميعا يأثُرون(١) علوم جدهم وعمومتِهم عنه ، وقد أدرك أبا محمد ، وأظن أنه قد رَوى عنه أيضا ، إلا أنى لم أذكر شيئا من ذلك وقت ذكرى إياه فأحكيه عنه .

يبيت عند ابن المأمون فيكتب إليه عمه شعرا

أخبرنى الحسنُ بنُ على قال : حدثنا الفضلُ بنُ محمدِ اليزيدىُّ قال : حدثنى أخى أبو جعفر قال :

كنت عند جعفرِ بنِ المأمون مقيما ، فلما أردت الانصراف منعنى ، فبتّ عنده ، وزارته لما أصبحنا عريبُ فى جواريها ؛ وبتّ فاحتبسها من غد ؛ فاستطبت المقام أيضاً فأقمت ، فكتب إلىّ عمى إبراهيم بن محمد اليزيدىُّ :

شردْتَ يا هـذا شُرود البعيرْ وطالت الغيبة عند الأميرْ
أقمتَ يومين وليليهمـا وثالثا تُحبَى ببرٍّ كثير

---

(١) يأثرون : يروون .

٩٢ / ١٨

يومُ عَريبٍ مع إحسانها ... إن طالت الأيامُ يوم قصير
لَهـا أغانٍ غيرُ مملولة ... منها ولا تخلُق عند الكرور
غيرُ مَلوم يا أبا جعفر ... أن تؤثر اللهو ويومَ السرور
فاجعل لنـا منك نصيبا فما ... إن كنتَ عن مجلسنا بالنفور
وصِر إلينـا غير ما صـاغر ... أصارك الرحمن خيرَ المصير
إن لم يكن عندى غِنـاء ولا ... عُودٌ فعندى القَمْرُ(١) بالنردشير(٢)
والذِّكر بالعلم الذى قد مضى ... بأهله حادثُ صَرْفِ الدهور
وهو جديد عندنا نهجه ... أعلامه تحويه منا الصدور
فالحمد لله على كل ما ... أولى وأبلى ولِيِّ الشُّكور

يقترح عليه المعتصم شعرا فى غلام وسيم

حدثنا محمدُ بنُ العباس اليزيدىُّ قال: حدثنى عمى الفضلُ قال: سمعتُ أخى أبا جعفر أحمدَ بنَ محمد يقول:

دخلتُ إلى المعتصم يوما وبين يديه خادم وضىء جميل وسيم، فطلعَتْ عليه الشمس، فما رأيت أحسن منها على وجهه، فقال لى: يا أحمد، قل فى هذا الخادم شيئا، وصفْ طلوع الشمس عليه وحسنها، فقلت:

قد طلعَتْ شمس على شمس ... وطاب لى الهوى مع الأنس
وكنت أَقلِي الشمس فيما مضى ... فصرتُ أشتاق إلى الشمس

من شعره فى الرد على اعتذار

حدثنى اليزيدىُّ قال: حدثنى عمى الفضل قال:

كتب إلى أخى بعض إخوانه ممن كان يألفه ويديم زيارته، ثم انقطع عنه — يعتذر إليه من تأخره عنه، فكتب إليه:

---

(١) قمره: كنصره، غلبه فى القمار.
(٢) هو النرد: ويقال له، النردشير باسم واضعه أردشير بن بابك.

إنى امرؤ أعذِر إخوانى … فى تركهم برّى وإتيانى

لأنه لا لهو عندى ولا … لى اليومَ جاهٌ عند سلطان

وأكثر الإخوان فى دهرنا … أصحاب تمييز ورُجحان

فمَن أتانى مُنْعِما مُفْضِلا … فشكرُه عندىَ شكرانِ

ومَن جفانى لم يكن لومُه … عندى ولا تعنيفُه شانى

أعفو عن السيّء من فِعلهم … وأتبع الحسَنى بإحسان

حسْبُ صديقى أنه واثق … منى بإسرارى وإعلانى

ينشد المأمون شعرا وهو لا يزال غلاما

حدثنى اليزيدىّ قال: حدثنى أبى عن عمى عن أبى جعفرٍ أحمدَ بنِ محمد قال: دخلتُ على المأمون وهو فى مجلسٍ غاصّ بأهله — وأنا يومئذ غلام — فاستأذنت فى الإنشاد، فأذن، فأنشدته مديحا لى مدحتُه به، وكان يستمع للشاعر ما دام فى تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبُك ترفقا، فأنشدته:

يا من شكوت إليه ما ألقاهُ … وبذلتُ من وَجدى له أقصاهُ

فأجابنى بخلاف ما أمّلتُه … ولربما مُنع الحريصُ مناه

أترى جميلا أن شكا ذو صَبْوة … فهجرتَه وغضبتَ من شكواه

يكفيك صُمت أو جواب مؤيس … إن كنت تَكره وصله وهواه

٩٣ / ١٨

موت المحب سعادة إن كان مَن … يهواه يزعم أن ذاك رضاه

فلما صرت إلى المديح قلت:

أبقى لنا الله الإمامَ وزاده … عزًّا إلى العز الذى أعطاه

فالله مكرمنا بأنا معشر … عُتقاء من نعم العباد سواه

فسرّ بذلك وضحك ، وقال : جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة ، ويحسن العمل .

ينشد المأمون شعرا وهو يريد الغزو

أخبرنا محمدُ بنُ العباس قال : حدثنى أبى عن أخيه أبى جعفر قال : دخلتُ يوماً على المأمون بقارا[1] ، وهو يريد الغزو فأنشدته شعرا مدحته فيه ؛ أوله:

يا قصرُ ذا النّخلات من بارا[2] إنى حللتُ إليك من قارا
أبصرتُ أشجاراً على نَهَر فذكرتُ أشجاراً وأنهارا
لله أيامٌ نعمتُ بها بالقُفْص[3] أحياناً وفى بارا
إذ لا أزال أزور غانية ألهو بها وأزور خمّارا
لا أستجيب لِمَن دعا لهُدًى وأجيب شطّارا ودُعّارا
أعصِى النصيحَ وكلَّ عاذلة وأُطيع أوتاراً ومزمارا

قال : فغضب المأمون ، وقال : أنا فى وجه عدو ، وأحض الناس على الغزو ، وأنت تذكِّرهم نزهة بغداد ؟ فقلت : الشيء بتمامه ، ثم قلت :

فصحوت بالمأمون عن سُكْرى ورأيت خير الأمر ما اختارا
ورأيت طاعته مؤدّيةً لِلفَرض إعلاناً وإسرارا
نخلعتُ ثوب الهزل عن عنقى ورضِيتُ دارَ الجِدّ لى دارا
وظللتُ معتصما بطاعته وجِوارِه وكَفَى به جارا
إن حَلّ أرضاً فهْى لى وطن وأسير عنها حيثما سارا

(١) كذا بالنسخ ، ولم أعثر على موضع بهذا الاسم .

(٢) فى معجم البلدان : بارى بكسر الراء : قرية من أعمال كلواذ من نواحى بغداد ، وكان بها بساتين ومتنزهات ، يقصدها أهل البطالة .

(٣) القفص ، بالضم ثم بالسكون : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا ، قريب من بغداد . وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح ، ينسب اليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة .

فقال له يحيى بنُ أكثم : ما أحسن ماقال يا أمير المؤمنين ! أخبرَ أنه كان فى سكر وخَسار ، فترك ذلك وارعوَى ، وآثر طاعة خليفته ، وعلم أن الرشد فيها ؛ فسكن وأمسك .

يجيز بيتا للمأمون فى غلام المعتصم

حدثنى الصولىُّ قال : حدثنى محمدُ بنُ يحيى بنِ أبى عباد قال : حدثنى هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزياتُ عن أبيه قال :

دعا المعتصمَ ذات يوم المأمونُ فجاءه ، فأجلسه فى بيت على سَقْفِه جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركى غلام المعتصم ، وكان المعتصم أوجدَ الناس به ، ولم يكن فى عصره مثله ، فصاح المأمون يا أحمدُ بنَ محمد اليزيدىّ — وكان حاضراً — فقال : انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركى ، أرأيت أحسن من هذا قط ؟ وقد قلت :

قد طلعت شمس على شمس وزالت الوحشة بالأنس

أجِزْ يا أحمد ، فقلت :

قد كنت أشنا الشمس فيما مضى فصرت أشتاق إلى الشمس

٩٤/١٨ قال : وفطِن المعتصم ، فعضّ على شفته لأحمد[1] ، فقال أحمد للمأمون : والله لئن لم يعلم الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعنّ معه فيما أكره ، فدعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم . فقال له المأمون : كثر الله فى غلمانك[2] مثله ، إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره .

يعدد المأمون الحقوق التى توجب عليه مراعاته له

حدثنى الصولىّ قال: حدثنى عونُ بن محمدٍ قال: حدثنى أحمدُ بن محمدٍ اليزيدىُّ قال: كنا بين يدى المأمون ، فأنشدتُه مدحاً ، فقال : لئن كانت حقوق أصحابى تجب علىّ لطاعتهم بأنفسهم فإن أحمد ممن تجب له المراعاة لنفسه وصُحبتِه ، ولأبيه وخدمته ، ولجَدِّه

(١) ف : «على أحمد» . (٢) ف : «فى غلمان غلمانك» .

وقديم خدمته وحرمته ، وإنه لَلعَرِيق فى خدمتنا ، فقلت : قد علمّتَنى يا أمير المؤمنين كيف أقول ، ثم تنحيتُ ورجعتُ إليه ، فأنشدته :

لى بالخليفة أعظم السببِ فيه أمنتُ بوائق العَطَب
ملِكٌ غذَتنى كفّه وأبى قَبلى وجدّى كان قبلَ أبى
قد خصّنى الرحمن منه بما أسمو به فى العجم والعرب

فضحك ، وقال : قد نظمت يا أحمد ما نثرناه .

هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التى فيها صنعة .

صــوت (١)

أفى كُلّ يوم أنت من غُبُرِ الهوى إلى الشُّمِّ من أعلام ميلاء ناظر
بعمشاء من طول البكاء كأنما بها خَزَرٌ أو طرفُها مُتخازرُ

عروضه من الطويل، والغُبْر: البقية من الشىء، يقال: فلان فى غبر من علته. وأكثر ما يستعمل فى هذا ونحوه، والشمّ: الطوال، والأعلام جمع علم وهو الجبل، قالت الخنساء:

وإن صخرا لتأتمّ الهداة به كأنه عَلَمَ فى رأسه نار

والخزَر: ضيق العين وصغرها، ومنه سمى الخزر بذلك لصغر أعينهم، قال الراجز:

إذا تخازرت وما بى من خَزَرْ ثم كسرت الطرف من غير عورْ

والشعر(٢) لرجل من قيس يقال: كعب، ويلقب بالمخبل. والغناء لإبراهيم، ثقيل أول بالوسطى. ومن الناس من يروى الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذى الرمة، ويجعل فيه مية مكان ميلاء، ويقال: إن اللحن لابن المكىّ، وقد نسب إلى غيرهما، والصحيح ما ذكرناه أولا.

(١) الصوت وما وليه من نسختى هد، مل، وقد ورد جزء منه فى م.
(٢) المراد بالشعر البيتان الواردان فى الصوت.

أخبار المخبل القيسى ونسبه[1]

حبه بنتى عم له

قال عبدُ الله بنُ أبى سعد الوراق — فيما أخبرنى به حبيبُ بنُ نصر المهلّبىّ، إجازة عنه — : حدثنى علىُّ بن الصباح بن الفرات، قال : أخبرنى علىُّ بنُ الحسن بن أيوب النبيل، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسدىّ، قال : كانت عند رجل من قيس يقال له : كعب — بنتُ عمٍّ له، وكانت أحبَّ الناسِ إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهى واضعة ثيابها، فقال : يا أم عمرو، هل تَرَين أن الله خلق أحسنَ منك؟ قالت : نعم، أختى مَيلاء، هى أحسن منى.

قال : فإنى أحب أن أنظر إليها، فقالت : إنْ علمَتْ بك لم تخرج إليك، ولكن كن من وراء السِّتر، ففعل، وأرسلَتْ إليها فجاءتها، فلما نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها، فاعترضها فشكا إليها حبَّها، فقالت : والله يا بنَ عمّ، ما وجدتَ من شىء إلا وقد وقع لك فى قلبى أكثرُ منه. وواعدَته مرة أخرى، فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان، فرأتهما جالسين، فمضت إلى إخوتها ـ وكانوا سبعة ـ فقالت : إما أن تزوجوا ميلاء كعباً، وإما أن تُكفُونى أمرها. وبلغهما الخبر، ووقف إخوتها على ذلك، فرمَى بنفسه نحو الشام حياء منهم، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز، فلم يدرِ أهلُه ولا بَنُو عمه أين ذهب، فقال كعب :

ينكشف حبه فيرحل ولا يدرى مكانه

شعره فى أرض الغربة

أَفِى كلِّ يومٍ أنتَ من لاعجِ الهوى ... إلى الشُّمِّ من أعلامِ ميلاء ناظرُ؟
بعَمْشاء من طولِ البكاء كأنما ... بها خَزَر أو طرفها متخازرُ
تَمَنَّى المُنى حتى إذا ملّت المنى ... جرَى واكِفٌ من دمعها متبادرُ
كما ارفضّ عنها بعد ما ضمّ ضمةً ... بخيط الفَتيل اللؤلؤُ المتناثرُ

---

(١) هذه الترجمة لم ترد فى طبعة بولاق، ووردت فى ملحق برنو، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

تدل رواية شعره على مكانه

قال : فرواه عنه رجل من أهل الشام ، ثم خرج بعد ذلك الشامىّ يريد مكة ، فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء ، وقد ضل الطريق ، فسلم عليهما ثم سألهما عن الطريق ، فقالت أم عمرو : ياميلاء[1]، صِفِى له الطريق ، فذَكر — لما نادت : ياميلاء — شعر كعب هذا ، فتمثل به ، فعرفَت أم عمرو الشعر ، فقالت : يا عبد الله ، من أين أنت ؟ قال : رجل من أهل الشام . قالت : مِن أين رويتَ هذا الشعر ؟ قال : رويته عن أعرابى بالشام ، قالت : أو تدرى ما اسمه ؟ فقال : سمعتُ أنه كعب ، فأقسمت عليه : لا تَبْرح حتى تعرّف إخوتنا بذلك فنحسن إليك نحن وهم ، وقد أنعمتَ علينا . قال : أفعل ، وإنى لأروى له شعراً آخر ، فما أدرى أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألك بالله إلا أسمعتنا ، قال : سمعته يقول :

شعر آخر له فى أرض الغربة

خليلىّ قد قِسْتُ الأمور ورُمتُها ... بِنَفْسى وبالفِتيان كلَّ زمانِ
فلم أُخفِ سُوءا للصديق ولم أجدْ ... خليّا ولاذا البَث يستويان
من الناس إنسانان دَينى عليهما ... مليئان[2] لو شاءا لقد قَضَيانى
خليلىّ أمّا أمُّ عمرو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تَسَلانى
بُلِينا بهجران ولم أرَ مثلَنا ... من الناس إنسانين يهتجران
أشدَّ مصافاةً وأبعدَ من قِلًى ... وأعْصَى لِواشٍ حين يكتنفيان
تحدَّث طرفانا بما فى صدورنا ... إذا استعجَمَت بالمنطق الشفتان
فوالله ماأدرىأَ كلُّ ذَوِىالهوى ... على مابنا أو نحن مبتَلَيان ؟
فلا تَعْجبا مما بىَ اليومَ من هوًى ... فَبِى كلَّ يوم مثلُ ما تريان
خليلىّ عن أىِّ الذى كان بيننا ... من الوصل أم ماضىالهوى تسلان؟
وكنا كَرِيمَى معشرٍ حُمَّ بيننا ... هوى لحَفِظناه بحسن صِيان

(١) فى س ، ب : « ملاء » ، وهو تحريف .
(٢) المليئان : مثنى الملىء ، وهو الغنى المقتدر ، والفعل : ملؤ .

سلاه بأم العَمْرِو مَن هى إذ بَدا ... به سقَم جَمٌّ وطول ضمان[1]

فما زادنا بُعدُ المدى نَقْضَ مِرَّةٍ[2] ... ولا رجَعا مِن عِلْمنا ببيان

خليلَىَّ لا والله ما لىَ بالذى ... تريدان مِن هجر الحبيبِ يدان

ولا لِىَ بالبين اعتلاء إذا نأت ... كما أنتما بالبين معتليان

يعود به ابن عمه من الشام ، ويموت غما

قال : ونزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتها ، فأخبراهم الخبر ، وكانوا مهتمين بكعب ، وكان كعب أظرفَهم وأشعرهم ، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلُّوه على الطريق ، وطلبوا كعبا فوجدوه بالشام ، فأقبلوا به ، حتى إذا كانوا فى ناحية ماء أهلِهم إذا الناسُ قد اجتمعوا عند البيوت ، وكان كعب تَرك بُنَيًّا له صغيراً ، فزجره غلام منهم فى ناحية الماء ، فقال له كعب : ويحك ياغلام ! من أبوك ؟ فقال : رجل يقال له : كعب ، قال : وعَلَى أىِّ شىء قد اجتمع الناس ؟ وأحسَّ قلبُه بالشرّ . قال : اجتمعوا على خالتى ميلاء . قال : وما قصّتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات منها مكانَه ، فدُفن حِذاء قبرها . قال : وقال كعب وهو بالشام :

من شعره فى الشام

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ماشيا ... بمرحابَ حتى يُحشَرَ الثقلان

ولا لاهِيًا يوماً إلى الليل كلِّه ... ببيضٍ لطيفات الخصور روانى[3]؟

يُمنِّيننا حتى تَرِيعَ[4] قلوبنا ... ويَخلِطن مَطْلا ظاهراً بِلَيان

فعينىَّ يا عينىَّ حتّام أنتما ... بهجران أُمِّ العمرو تختلجان ؟

أمَا أنتما إلا علىَّ طليعةٌ ... على قُرْب أعدائى كما تريان

(١) ضمان : مرض ملازم ، يشتد وقتا بعد وقت ، ضمن ، بفتح فكسر ، فهو ضمن كفرح .
(٢) المرة ، بكسر الميم وتشديد الراء : الفتل ، وهى أيضا القوة . أمر الحبل : شد فتله .
(٣) الروانى ، جمع الرانية : الطروب اللاهية مع شغل قلب وغلبة هوى .
(٤) تريع : تفزع .

فلو أنّ أمّ العمرو أضحَتْ مقيمةً   بمصر وجثمانى بِشحْرِ[1] عُمان
إذا لرجوتُ اللهَ يجمع شملَنا   فإنّا على ما كان ملتقيان[2]

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صــوت

اختلاف الرواة فى نسبة صوت من شعره

من الناس إنسانان دَيْنى عليهما   مليئان لو شاءا لقد قضيانى
خليـلىّ أما أمّ عمرو فمنهما   وأما عن الأخرى فلا تسلانى

عروضه من الطويل ، الشعر — على ما فى هذا الخبر — لِـكعب المذكورةِ قصته ، ورَوى المفضلُ بنُ سلَمة وأبو طالب بن أبى طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُّمينة الخثعمىّ . والغناء لإبراهيم الموصلى ، خفيف رمل بالوسطى ، ذكره أبو العُبَيس عنه ، وذكر ابن المكى أنه لعَلُّويه . والأبيات التى ذكرنا أن المفضلَ بنَ سلمة وابن أبى طاهر روياها لابن الدُّمينة مع البيتين اللذين فيهما الغناء هى :

مِن الناس إنسانان دَيْنى عليهما   مليئان لو شاءا لقد قضيانى
خليـلىّ أمّا أمّ عمرو فمنهما   وأما عن الأخرى فلا تسلانى
مَنُوعان ظَلّامان ما يُنْصفاننى   بِدَليهما والُحسنِ قد خَلَبانى
مِن البِيض نجلاء العيون غذاهما   نعيمٌ وعَيشٌ ضاربٌ بِجِران[3]
أفِى كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها   بعيَنْين إنسانا هما غَرِقان ؟

(١) الشحر ، بفتح أو كسر فسكون : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن . قال الأصمعى : هو بين عدن وعمان . (معجم ياقوت ، والقاموس) .

(٢) كذا فى هد . وفى ب ، س : « ملتفتان » .

(٣) الجران من البعير ، بوزن كتاب : مقدم عنقه ، وعيش ضارب بجران : مستقر ثابت .

إذا اغرَوْرقت عيناى قال صحابتى   لقد أُولِعتْ عيناكَ بالهَمَلَانِ

وقد رُوى أيضاً أن هذا البيت :

* أَفى كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها *

لعُروة بنِ حِزَام

ألا فاحملانى بارك الله فيكما   إلى حاضرِ الرَّوحاء(١) ثم ذرانى

أخبرنى محمدُ بنُ خلف وكيعٌ ، قال : حدثنى أبو سعيد القيسى ، قال : حدثنى سليمان بن عبد العزيز ، قال : حدثنى خارجة المالى قال : حدثنى مَن رأى عُروةَ بنَ حِزام يطاف به حول البيت ، قال : فقلت له : من أنت ؟ قال : أنا الذى أقول :

أفى كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها   بعَينَيْنِ إنساناهما غَرِقان ؟

ألا فاحمِلانى بارك اللهُ فيكما   إلى حاضرِ الرَّوحاء ثم ذرانى

فقلت : زدنى ، قال : لا ، ولا حَرْف .

التغنى بالصوت المنسوب إليه يهيج الواثق للإيقاع بشخصين

ويقال : إن الذى هاج الواثقَ على القبض على أحمدَ بنِ الخصيب وسليمان بن وهب أنه غنّى ـ هذا الصوت ـ أعنى :

* مِن الناس إنسانان دَيْنِى عليهما *

فدعا خادماً كان للمعتصم ، ثم قال له : أَصْدِقْنى وإلّا ضربت عنقك . قال : سل يا أمير المؤمنين عما شئت ، قال : سمعتُ أبى وقد نَظَر إليك يَتمثّل بهذين البيتين ، ويومىء إليك إيماء تعرفه ، فمن اللذان عنى ؟ قال ، قال لى : إنه وقف على إقطاع أحمد ابنِ الخصيب وسليمان بن وهب ألفَى دينار ، وأنه يريد الإيقاع بهما . فكان كلما رآنى

(١) الروحاء : موضع بين الحرمين ، على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

يتمثل بهذين البيتين . قال : صدقنى والله ، والله لا سبقانى بهما [1] كما سبقاه ، ثم أوقع بهما .

وأخبرنى محمدُ بن يحيى الصُّولىّ ، قال : حدثنى ميمونُ بنُ هارون ، قال : نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشى ، فتمثّل :

* مِن الناس إنسانان دَيْنى عليهما *

وذكر البيتين ، وأشار بقوله :

* خليلىّ أمّا أم عمرو فمنهما *

إلى أحمدَ بنِ الخصيب . فلما بلغ هذا سليمانَ بنِ وهب ، قال : إنا لله ! أحمدُ بن الخصيب والله أمُّ عمرو ، وأنا الأخرى . قال : ونكبهما بعد أيام . وقد قيل : إن محمد ابن عبد الملك الزيات كان السبب فى نكبتِهما .

رواية أخرى لسبب إيقاع الواثق بصاحبيه

أخبرنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا عونُ بنُ محمد الكندىّ ، قال : كانت الخلافة أيام الواثق تدور على إيتاخ ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس وكاتبه أحمدَ بنِ الخصيب ، فعمل الوزير محمدُ بنُ عبد الملك الزيات قصيدة ، وأوصلها إلى الواثق على أنها لِبَعض أهل العسكر ، وهى :

يا بنَ الخلائف والأملاكِ إن نُسبوا ... حُزْتَ الخلافة عن آبائك الأُوَلِ
أجُزْتَ أم رقَدتْ عيناك عن عَجب ... فيه البريّةُ مِن خوف ومن وَهَل
ولّيتَ أربعةً أمرَ العباد معاً ... وكلُّهمْ حاطبٌ فى حَبْل مُحتبِل [2]
هذا سليمان قد ملّكتَ راحتَه ... مشارقَ الأرضِ مِن سهل ومن جبل

(١) فى س : « بها » ، وهو تحريف .

(٢) المحتبل : آخذ الصيد بالحبالة .

مَلَّكته السندَ فالشِّحْرين من عَدنٍ … إلى الجزيرة فالأطراف من مَلَلِ [1]

خلافةٌ قد حواها وحده فمضت … أحكامُه فى دماء القوم والنَّفَلِ [2]

وابنُ الخصيب الذى ملَّكتَ راحته … خلافةَ الشأم والغَازين [3] والقفل [4]

فنيلَ مصرٍ فبحر الشأم قد جريا … بما أراد من الأموال والحُلل

كأنهم فى الذى قسَّمتَ بينهمُ … بنو الرشيد زمانَ القَسْم للدُّوَل

حوى سليمان ما كان الأمين حوى … من الخلافة والتبليغِ للأَمَل

وأحمدُ بنُ خصيب فى إمارته … كالقاسم بنِ الرشيد الجامع السبُل

أصبحتَ لا ناصحٌ يأتيك مستترا … ولا علانيةً خوفاً من الحِيَل

سَلْ بيتَ مالِكَ أين المال تعرفه … وسل خَرَاجَك عن أموالك الجُمَل [5]

كم فى حُبوسك ممن لا ذنوب لهم … أسرى التكذّب فى الأقياد [6] والكَبَل [7]

سُمِّيتَ باسم الرشيد المرتضَى فَبِه … قِسِ الأمورَ التى تُنجى من الزلل

عِثْ فيهمُ مثل ما عاثت يداه معاً … على البرامكِ بالتهديم للقُلَل

فلما قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه ، ونكب سليمانَ بنَ وهب وأحمد بن

---

(١) ملل : موضع فى طريق مكة بين الحرمين .

(٢) النفل ، بالتحريك : الغنيمة .

(٣) الغازين : لعل المراد بهما غاز الكنز ، وهو موضع بجبل أبى قبيس ، وغاز المعرة بأرض اليمامة ، لبنى جشم بن الحارث .

(٤) القفل : ثنية تطلع على قرن المنازل حيال الطائف .

(٥) الجمل : جمع جملة ، وهى جماعة الشىء .

(٦) الأقياد : جمع القيد ، لما يجعل فى رجل الدابة وغيرها ، فيمسكها .

(٧) الكبل ، كمهل : القيد أعظم ما يكون ، وحرك الباء إتباعا ، وجمعه كبول وأكبل .

الخصيب ، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفَ ألفِ دينار ، فجعلها فى بيت المال ، فقال أحمدُ بنُ أبى فَنَن :

نزلَتْ بالخائنين سَنَهْ(١) سَنَةٌ للناس ممتحِنهْ
سوَّغَت ذا النصح بغيته وأزالت دولةَ الخونه(٢)
فترَى أهلَ العفافِ بها وهمُ فى دولةٍ حسنه
وترى مَن جار هِمّتُه أن يُؤدِّى كل ما احتجنه(٣)

وقال إبراهيم بن العباس لابن الزيات :

إيهاً(٤) أبا جعفرٍ وللدهر كَرّ راتٌ وعما يريبُ متَّسَعُ
أرسلتَ ليثا على فرائسِه وأنت منها فانظرْ متى تَقَع
لكنّه قُوتُه وفيكَ له وقد تقضّتْ أقواتُه شِبع

وهى أبيات ، وقد كان أحمد بن أبى دواد(٥) حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيات ، وأمر على بنَ الجَهم فقال فيه :

لَعائنُ(٦) الله مُوقَراتِ مُصَبّحاتٍ ومهجّراتِ
عَلَى ابنِ عبد المَلِكِ الزّياتِ عرّضَ شَملَ المُلْك للشتَاتِ
يَرمِى الدواوين بتَوقيعاتِ معقّداتٍ غيرِ مفتوحاتِ
أشبه شىء بُرَقَى الحَياتِ كأنّها بالزيت مدهوناتِ

(١) السنة : الجدب . والمراد هنا المحنة .
(٢) هذا البيت زيادة من هد .
(٣) احتجنه : احتواه وضمه إلى نفسه .
(٤) إيها : كلمة استزادة واستنطاق .
(٥) فى ب س : « داود » ، وهو تحريف .
(٦) اللعائن : جمع اللعينة ، وهى الشدة يلعنها كل أحد .

بعد ركوب الطوف[1] فى الفراتِ وبَعد بَيع الزيت بالحباتِ
سبحان مَن جلّ عن الصفاتِ هارون يابن سيّد الساداتِ
أما ترى الأمور مهملاتِ[2] تشكو إليك عدمَ الكُفاةِ[3]

وهى أبيات ، فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيات ، وقال : لقد صدق قائل هذا الشعر ، ما بقى لنا كاتب . فطرَح نفسه على إسحاق بن إبراهيم ، وكانا مجتمعَين على عداوة بن أبى دواد ، فقال للواثق : أمِثلُ ابنِ الزيات — مع خدمته وكفايته — يُفعل به هذا ، وما جنى عليك وما خانك ، وإنما دَلّك على خوَنة أخذْتَ ما اختانوه ، فهذا ذنبه !

وبعد ، فلا ينبغى لك أن تَعزل أحداً أو تُعد مكانه جماعةً يقومون مقامه ، فَمن لك بمن يقوم مقامه ؟ فمحا ما كان فى نفسه عليه ورجع له .

وكان إيتاخ صديقاً لابن أبى دواد ، فكان يغشاه كثيراً ، فقال له بعض كتابه : إن هذا بينه وبين الوزير ما تعلم ، وهو يجيئك دائماً ، ولا تأمنُ أن يظن الوزير بك ممالأة عليه ؛ فعرّفه ذلك ، فلما دخل ابن أبى دواد إليه خاطبه فى هذا المعنى ، فقال : إنى والله ما أجيئك متعززاً بك من ذِلة ، ولا متكثّراً من قِلة ، ولكن أمير المؤمنين رتّبك رتبة أوجبت لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنه فلنفسك ، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه .

وفى هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ليس هذا موضعها ، وإنما ذكرنا ها هنا هذا القدر منها كما يذكر الشىء بقرائنه .

---

(١) الطوف : قرب ينفخ فيها ، ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح ، يركب عليها فى الماء ويحمل عليها .

(٢) فى س ، ب : «مهمولات» ، وهو تحريف .

(٣) الكفاة : جمع الكافى ، وهو الذى يكفى ويغنى عن غيره .

صوت

عِشْ بُحَبِّيكَ سريعاً قاتِلِي والضّنى إن لم تصلِيَ واصلِي
ظَفِرَ الشوقُ بقلبٍ دَنِف فيك والسُّقمُ بجسمٍ ناحلِ
فهُما بينَ اكتئابٍ وضَنًى تَرَكانِي كالقضيبِ الذابِلِ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء للمسدُودِ ، رمل مطلق فى مجرى الوسطى ، وذكر جَحْظَةَ أن هذا الرمل أُخِذَ عنه ، وأنه أول صوت سمعه فكتبه .

أخبار خالد الكاتب(١)

وطنه وأصله وسبب إصابته بالوسواس

هو خالدُ بنُ يزيدَ ، ويكنى أبا الهَيْثم ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد كتاب الجيْش . وَوَسْوسَ فى آخر عمره ، قيل إن السَّوْدَاء غلبت عليه ، وقال قوم : كان يهوَى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، وولاَّه محمدُ بنُ عبد الملك الإعْطاء فى الثغور ، فخرج فسمع فى طريقه منشداً ينشد، ومَغنِّية تغنّى :

مَن كان ذَا شجَنٍ بالشام يطلبه
فِفِى سِوى الشام أمسى الأهل والشجنُ

فبكى حتى سَقَط على وجهه مغشياً عليه ، ثم أفاق مختلِطاً . واتصل ذلك حتى وَسْوَس وبطل . وكان اتصل بعلىٍّ بنِ هشام (٢) وإبراهيم بن المهدى وكان سبب اتصاله بعلىّ بن هشام(٢) أنه صحبه فى وقت خروجه إلى قمّ ، فى جملة كـتَّابِ الإعطاء ، فبلغه وهو فى طريقه أن خالداً يقول الشعر ، فأنِس به وسُرّ به ، وأحضره (٣) فأنشده قوله :

كيف اتصل بعلى ابن هشام وإبراهيم ابن المهدى ؟

يا تاركَ الجِسْمِ بلا قلبِ   إنْ كنتُ أهواكَ فما ذَنبى ؟
يا مُفْرَداً بالحسنِ أفردتَنى   منك بطول الهَجرِ والعتْب
إن تَكُ عَيْنى أبصرتْ فِتْنَةً   فهلْ على قلبىَ من عتب(٤)
حَسِيبكَ اللهُ لمـا بى كما   أنك فى فِعلك بى حَسْبى

(١) هذه الترجمة لم ترد فى بولاق، وتوجد فى ملحق برنو، وموضعها هنا على حسب المخطوطات المعتمدة .
(٢-٢) زيادة من م ، هد ، يستقيم بها المعنى ، وفى المختار مكانها : « وذلك » .
(٣) فى المختار : « فأحضره فاستنشده » .
(٤) فى المختار : « ذنب » .

للسدود فى هذه الأبيات رمل طُنبورى مطلق من رواية الهشامى ، قال : فجمله على ابن هشام فى نُدَمائه إلى أن قُتل ، ثم صحِب الفضل بن مَرْوان ، فذكره للمعتصم وهو

كيف اتصل بالمعتصم؟

بالماحوزَة [1] قبل أن يَبْنى سُرَّ مَن رأى ، فقال خالد :

عزَم السرورُ على المُقا ... م بِسُرَّ مَنْ را للإمامِ
بَلَدُ المَسَرّة والفتــو ... حِ المستنيراتِ العظام
وتراه أشــبهَ منزلٍ ... فى الأرض بالبلد الحرام
فالله يعمُرُهُ بمَن ... أضْحَى به عزُّ الأنام

فاستحسنها الفضلُ بنُ مَرْوان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقالَ فى بناء سُرَّ مَن رأى شىء ، فكانت أول ما أُنشد فى هذا المعنى من الشعر ، فتبرَّكَ بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم .

وذكر ذلك كلَّه إسماعيل بن يحيى الكاتب ، وذكر اليوسفىّ صاحب الرسائل أن خالداً قال أيضاً فى ذلك :

بيَّنَ صفْوُ الزمان عن كَدرِهْ ... فى ضَحِكات الربيع عن زَهَرِهْ
يا سُرَّ مَن را بورِكْت مِن بَلدٍ ... بُورِكَ فى نَبْته وفى شجره
غَرسُ جُدود الإمام ينبته [2] ... بابَكُ والمازِيارُ من ثمره
فالفتح والنصر يَنزلان به ... والخِصب فى تُرْبه وفى شجره

فغنى مخارقٌ فى هذه الأبيات ، فسأله المعتصم : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لخالد يا أمير المؤمنين ، قال : الذى يقول :

(١) الماحوزة : موضع قرب سامرا .
(٢) كذا فى ف ، وفى س ،ب : نكبتها ، وهو تحريف .

كيفَ تُرْجَى لذاذةُ الإغتماضِ لمريضٍ من العيون المِراضِ !

فقال محمدُ بنُ عبدالملك : نعم يا أمير المؤمنين ، هُوَ له ، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات ، فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم ، وبلغ خالداً الخبرُ ، فقال لأحمد بن عبد الوهاب صاحب محمد بنِ عبد الملك — وقيل لأبى جعفر — أعزه الله : إذا بلغتُ المراد فى أربعة أبيات فالزيادة فضل .

يداخل الشعراء فى القصائد ، وكان أولا صاحب مقطعات

قال اليوسُفِىّ : ولمّا قال خالد فى صفة سُرّ مَن رأى قصيدته التى يقول فيها :

اسقِنِى فى جرائرٍ[1] وزِقاقِ لتُلاقى[2] السرور يوم التلاقِ
من سُلافٍ كأنَّ فى الكأس منه عبراتٍ من مقلَتَىْ مشتاقِ
فى رياضٍ بسُرَّ مَن را إلى الكرْ خ ودَعْنى من سائر الآفاق
بادِّكاراتِ كل فتح عظيم لإمام الهدى أبى إسحاق

وهى قصيدة[3]، لقيه دعبل فقال : يا أبا الهيثم ، كنتَ صاحبَ مُقَطعات فداخلْتَ الشعراء فى القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك ، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغلَب عليه . فقال له خالد : لو عرفتُ النُّصْحَ منك لِغيرى لأطعتك فى نفسى .

خلافه مع الحلبى الشاعر ثم هجاؤه إياه

قال اليوسفىّ : وحدثنى أبو الحسن الشهْرَزانىّ : أن خالداً وقع بينه وبين الحلبى الشاعر الذى يقول فيه البحترىّ :

* سل الحلبىّ[4] عن حلب *

---

(١) جرائر : جمع جرار ، وجرار : جمع جرة .
(٢) كذا فى ف ، وفى س : « لتلاقى » ، وهو تحريف .
(٣) ت ، س : « قصيرة » تحريف .
(٤) كذا فى الديوان ، وفى س ، ب : « الحلى » ، وهو تحريف ، وعجز البيت :
وعن تركانه حلبا

خلافٌ فى معنى شعر ، فقال له الحلبىّ : لا تعدُ طَورَكَ فأُخرسَكَ ! فقال له خالد : لستَ هناكَ ، ولا فيكَ موضع للهجاء ، ولكن ستعلم أنى أجعلك ضُحْكة مُرَّ مَن رأى. وكان الحلبىّ من أوسخ الناس ، فجعل يهجو جُبَّتَهُ وثيابه وطيلسانه ، فمن ذلك قوله :

وشاعرٍ ذى منطقٍ رائقٍ   فى جبَّةٍ كالعارض البارق
قطعاء شلّاء[1] رقاعِيَّة[2]   دَهْرِيَّة مرقوعة[3] العاتق
قدَّمها العُرْىُ على نفســه   لفضلها فى القَدَر السابق[4]

وقوله :

وشاعرٍ مُقْدِمٍ له قومُ   ليس عليهمْ فى نصرهِ لَومُ
قد ساعدوه فى الجوع كلُّهمُ   فقِرَى فكلٌّ غداؤُه الصومُ
يأتيكَ فى جُبَّة مُرَقَّعةٍ   أطولُ أعمار مثلِها يومُ
وطَيْلسانٍ كالآل يلبسُه   على قميص كأنه غَيْمُ
مِن حَلَب فى صميم سِفْلَتِها   غِناه فقرٌ وعزُّه ضَيم

قال : وقال فيه :

تاهَ على ربِّه فأفقرهُ   حتى رآه الغِنَى فأنكرهُ
فصارمن طول حِرفَة[5] علما   يقذفه الرزق حيث أبصرهُ
يا حلبيًا قضى الإلهُ لَهَ   بالتِّيه والفقر حين صوَّرهُ

(١) شلاء : وصف من الشلل ، وهو أن يصيب الثوب سواد ، ولا يذهب بغسله .
(٢) رقاعية : كثيرة الرقاع .
(٣) كذا فى ف ، هد . وفى ب ، س : « مفرقة » .
(٤) ورد هذا البيت زيادة من هد .
(٥) الحرفة ، بضم الحاء وكسرها : الحرمان ، وسوء الحظ .

لَوْخلطوهُ بالمسك[1] وسَخَه أو طرَحُوهُ فى البحر كدَّره

يستنشده إبراهيم ابن المهدى شعراً فيجيزه

حدثنى جَحْظَةُ ، قال : حدثنى خالد الكاتب ، قال : دخلتُ على إبراهيم بن المهدىّ فاستنشدنى ،فقلت: أيها الأمير ، أنا غلامٌ أقول فى شُجونِ نفسى ، لا أكاد أمدح ولا أهجو ، فقال : ذلك أشدّ لدواعى البَلاء ، فأنشدته :

صـوت

عاتبتُ نفسى فى هوا كَ فلم أجِدْها تَقبَلُ

وأطعتُ داعيَها إليـــكَ ولم أُطِعْ مَن يعذل

لا والذى جعل الوجو ه لحسن وجهك تمثُلُ

لا قلتُ إن الصبرَ عن لك من التصابى أجمل

لجحظة فى هذه الأبيات رَمَلٌ مطلق بالوسطى .

قال : فبكى إبراهيم وصاح : وَاْى[2] عليك يا إبراهيم ، ثم أنشدته أبياتى التى أقول فيها :

وبكى العاذلُ من رَحْمَتِى فبُكائى لِبُكا العاذلِ

وقال إبراهيم : يارشيق ، كم معك من العَيْن؟ قال : سِتّمائةٌ وخمسون ديناراً . قال: اقسِمْها بينى وبين الفَتى، واجعل الكَسْر له صحيحا ، فأعطانى ثلاثمائة وخمسين دينارا ، فاشتريت بها منزلى بساباطِ[3] الحسن والحسين ، فوارانى إلى يومى هذا :

(١) ب ، س : «الملك» تحريف .

(٢) كذا فى ف : زاد ألفا بعد الواو ، ورسم عليها سكونا ، كأنه يصور مد الصوت بالكلمة حين صاح بها إبراهيم . وفى المختار : «وى» ، ومعناها فى الموضعين : أعجب ، وفى س : «واتى» ، وهو تحريف .

(٣) فى المختار : «بساباط» . وفى معجم البلدان : ساباط كسرى بالمدائن : موضع معروف .

حدثنى جحظة ، قال : حدثنى خالد الكاتب قال : قال لى علىّ بن الجهم : هب لى[1] بيتك الذى تقول فيه : يستوهبه على بن الجهم بيتا من شعره

ليتَ ما أصبَحَ مِنْ رقّـ ـة خدَّيك بقَلْبِكْ

فقلت : يا جاهل ، هل رأيتَ أحداً يهب ولده .

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب : لقيت خالدا الكاتب ذاتَ يوم فسألته عن صديق له ، وكان قد باعَدَهُ ولم أعلم ، فأنشأ يقول : يتعاطى الهجاء

ظَعَنَ الغريبُ لغيبة الأَبَد حتى المخافة نائِىَ البلدِ
حيرانَ يُؤْنسه ويكلؤه يومٌ تَوَعَّدَهُ بشرٍّ غدِ
سنَحَ الغُرابُ له يأنكرِ ما تغدو النحوسُ به على أحدِ
وابتاع أشأمه بأيمنه[2] الـ ـجَدُّ العثورُ له يدًا بيد
حتى يُنيخ بأرضِ مَهْلكةٍ فى حيثُ لم يولد ولم يَلدِ
جزعتْ حليلتُهُ عليه فما تخلو من الزفرات والكمد
نَزَل الزمانُ بها فأهلكها منه وأهدى اليُتْمَ للولد
ظفرتْ به الأيامُ فانحسرت عنه بناقِرَةٍ[3] ولم تَكدِ
فتركْنَ منه بعد طِيَّتِهِ مثل الذى أبقَيْنَ من لُبَد[4]

قال ، فقلت له : يا أبا الهيثم مُذْ كَمْ دخلتَ فى قول الهجاء ؟ قال : مذ سالتُ فخوربت ، وصافيت فتوقفت .

(١) فى المختار : «بالله هب لى» .
(٢) كذا فى ف ، وفى ب ، س : «أيمنه بأشأمه» ، وهو تخليط .
(٣) الناقرة : الداهية .
(٤) لبد : آخر نسور لقمان . وكانت سبعة ، كلما هلك نسر خلفه نسر حتى هلكت كلها .

شعره فى غلام نافس أبا تمام فى حبه

وقال الرياشى . كان خالد مغرمًا بالغلمان المُرْد ، يُنفِق عليهم كلّ ما يُفيد ، فَهوِىَ غلامًا يقال له : عبد الله ، وكان أبو تمام الطائى يهواه ، فقال فيه خالد :

قضيبُ بانٍ جناه وردُ   تحمــــله وَجْنَةٌ وخَدُّ
لم أَثْنِ طَرْفى إليه إلا   مات عزاءٌ وعاش وجْدُ
مُلِّكَ طَوْعَ النفوسِ حتّى[(١)]   علّمه الزهوَ حين يبدُو
واجتَمعَ الصدُّ فيه حتّى   ليس لخَلْقٍ سِواه صدّ

فبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتا منها :

شِعْرُكَ هذا كلُّه مفرطٌ[(٢)]   فى بَرْدِهِ يا خالدُ البارِدُ

فعَلِمها[(٣)] الصبيانُ ، فلم يزالوا يصيحون به : يا خالد يا بارد حتى وَسْوَس ، قال : ومِن الناس من يزعُمُ أن هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبى تمام ، وليس الأمر

هجاؤه أبا تمام

كذلك ، [وكان خالد][(٤)] قد هجا أبا تمام فى هذه القصة فقال فيه :

يا معشرَ المُرْدِ إنى ناصح لكمُ   والمرء فى القولِ بَيْن الصدقِ والكذبِ
لا ينكِحَنّ حبيبًا منكمُ أحدٌ   فإنّ وجعاءه[(٥)] أعدَى من الجرَبِ
لا تأمنوا أن تحُولوا بعدَ ثالثةٍ   فتركبوا عُمُدًا ليستْ من الخشبِ

يستنشده إبراهيم ابن المهدى حين بويع ويستمع شعره

حدثنى محمد بن يحيى الصولى ، قال : حدثنى الحسن بن إسحاق قال : حدثنى خالد الكاتب ، قال : لما بويع إبراهيمُ بن المهدى بالخلافة طلبنى — وقد كان يعرفنى — وكنت

---

(١) فى المختار : « كيف » تحريف .
(٢) فى المختار : « مفرط كله » .
(٣) فى المختار ، هد : « فعلقها » .
(٤) ما بين العلامتين زيادة من المختار تصلح بها العبارة .
(٥) الوجعاء : الدبر .

متّصلا ببعض أسبابه ، فَأُدْخِلْتُ إليه فقال : أنشدنى يا خالد شيئا من شعرك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس شعرى من الشعر الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ من الشِّعر لَحِكما » ، وإنما أمزح وأهزِل ، فقال : لا تقل هذا ، فإنّ جِدَّ الأدب وهَزْلَه جِدّ ، هات أنشدنى ، فأنشدته :

عِش فَحُبِّيكَ سريعا قاتلى ... والضّنى إن لم تَصِلْنى واصلى
ظفِرَ الشوق بقَلْبٍ دَنِف[1] ... فيك والسُّقم بجسمٍ ناحل
فهُما بين اكتئاب وضَنًى ... تركانى كالقضيب الذابل

قال : فاستملح ذلك ووصلنى .

حدثنى حمزة بن أبى سلالة الشاعر الكوفىّ ، قال : دخلْتُ بغداد فى بعض السنين فبينا أنا[2] مارٌّ بجُنَيْنَة إذا أنا برجل عليه مبطنة نظيفة ، وعلى رأسه قُلَنْسية[3] سوداء ، وهو راكب قصبَة ، والصبيان خلفه يصيحون به : ياخالد يا بارد ، فإذا آذَوْهُ حمل عليهم بالقصبة ، فلم أزَل أطرُدهم عنه حتى تفرقوا ، وأدخلته بستانًا هناك ، فجلس واستراح ، واشتريت له رُطَبًا فأكل ، واستنشدته فأنشدنى : رئى راكبا قصبة والصبيان يصيحون به

قدْ حازَ قلبِى فصار يملِكُهُ ... فكيف أسْلو وكيف أتركُهُ !
رَطِيبُ جسمٍ كالماء تَحْسَبه ... يَخْطِر فى القلب مِنْه مسلَكُهُ
يكادُ يجرى من القميص من النـ ... ـعمة لولا القميص يُمسكُهُ

فاستزدتُه ، فقال : لا ، ولا حَرْف[4] .

(١) الدنف : الذى يلازمه المرض .
(٢) فى المختار : « أنا مار إذا » .
(٣) فى المختار : « قلنسوة » ، وهى بضم السين إذا فتحت القاف ، وبكسر السين إذا ضمت القاف .
(٤) فى المختار : « ولا حرفا » .

يخلع ثيابا أعطيها على غلام يحبه ، ويقول فيه شعرا

وذكر علىُّ بنُ الحسينِ بنِ أبى طلحة عن أبى الفضل الكاتب — أنه دعا خالداً ذات يوم فأقام عنده . وخلع عليه ، فما استقر به المجلس حتى خرج ، قال : فأتبعْتُهُ رسولا ليعرف خبره ، فإذا هو قد جاء إلى غلام[1] كان يحبه ، فسأل[2] عنه فوجده فى دار القمار ، فمضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبّله وعانقه وعاد إلينا ، فلما جاء خالد أعطيت[3] الغلامَ الذى وجّهنا[4] به دنانير ودعاه[5] فجاء به إلينا ، وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجمجم[6] ، فغمزنا الرسول فأخرجه علينا ، فلما رآه خالد بكى ودَهِش ، فقلنا له : لا تُرَعْ ، فإن من القصة كَيْتَ وكيت ، وإنما أردنا أن نعرفَ خبرَكَ لا أن نَسوءك ، فطابت نفسُهُ وأجلسَه إلى جنبه ، وقال : قد بُلِيتُ بحبِّه وبالخوف عليه مما قد بُلِيَ به من القمار ، ثم أنشد لنفسه فيه :

مُحِبٌّ شفَّه ألَمُهْ وخامَرَ جِسْمَهَ سَقَمُهْ
وباح بما يُجَمْجِمُهُ من الأسرار مكتتِمُهْ
أما تَرْثى لمكتئب يُحِبُّك لحمُه ودَمُهْ
يغار على قميصك حيـــنَ تَلْبَسه ويتّهِمُهْ

من شعره فى الشوق

وذكر على بن الحسين أيضاً أن محمدَ بنَ السرِىّ حدّثه أنه أطال الغَيبة عن بغداد وقد وَسْوَسَ خالد ، فمرّ به فى الرُّصافة والصبيان يصيحون به : ياغلام الشَّرَيطىّ ياخالد البارد ، ويرجع إليهم فيضربهم ويزيد ويرميهم ، قال: فقلت له : كيف أنت ياأبا الهيثم ؟

(١) فى المختار : « غلام أمرد » .
(٢) كذا فى المختار . وفى ب ، س : «فسئل عنه فوجده فى دار القمار» .
(٣) كذا فى المختار ، وفى س : « فلما جاز خالد أعطاه الغلام » ، وهو تحريف .
(٤) فى المختار : «عرفنا خبره» .
(٥) فى المختار : « ليجىء بالغلام » .
(٦) جمجم الكلام : لم يبينه .

قال : كما ترى ! فقلت له : فَمَنْ تُماشِر اليوم ؟ قال : مَنْ أحذرُه ، فعجبت من جوابه مع اختلاله ، فقلت له : ما قلتَ بعدى من الشعر ؟ قال : ما حفظه الناس وأُنْسِيتُه ، وعلى ذلك قولى :

كَبِدٌ شفها غليلُ التصابى ... بين عَتْبٍ وسَخْطَةٍ وعذاب[1]

كلَّ يومٍ تَدْمَى بجرحٍ من الشو ... قِ ونوعٍ مجدَّدٍ من عذاب

ياسقيمَ الجفون أسْقَمْتَ جسمى ... فاشفِنِى كيف شئت ، لا بِكَ مابى

إنْ أكنْ مذْنباً فكن حَسَنَ العفـ ... ـوِ أو اجعلْ سوى الصُّدُود عقابى

ثم قال : يا أبا جعفر ، جنت بعدك ، فقلت : ما جعلك الله مجنوناً ، وهذا كلامك لى ونظمك .

حدثنى محمدُ بن الطلاس أبو الطيب ، قال : حضرْتُ جنازة بعضِ جيرانى ، فلقيت خالداً فى المقبرة فقبضت عليه ، وقلت : أنشدْنى ، فذهب ليهرُب منى ، فغمزتُ على يده غمزة أوجعتْه ، فقال : خَلِّ عنى أُنْشِدْكَ ، فأرخيت يدى عن يده ، فأنشدنى :

لَمْ تَرَ عينٌ نَظَرَتْ ... أحسنَ من منظرِهِ

النورُ والنِّعمة والنَّـ ... ـعمة[2] فى مَخْبرِه

لا تَصِلُ الألسنُ بالـ ... ـوصف إلى أكثرِهِ

كَيْفَ بِمَنْ تَنْتَسبُ الشـ ... ـمس إلى جوهرِهِ !

ينشد شعرا لأبى تمام ، ثم ينشد شعرا عارضه به

حدثنى عمِّى — رحمه الله — قال : مَرَّ بنا خالد الكاتب ها هنا والصبيان خلفه يصيحون به ، فجلس إلىَّ فقال : فرِّق هؤلاء عنى ، ففعلتُ ، وألحَّتْ عليه جارية تصيح : يا خالد يا بارد ، فقال لها :

---

(١) فى المختار ، هد : « وعتاب » .

(٢) النعمة بفتح النون : اسم من التنعم ؛ وهو : الترفه .

مُرِّى يامنتنة الكُسّ ، ويامن كُسها دُس.(١) فقلت له : يا أبا الهيثم ، أىُّ شىء معنى «دس» هاهنا ؟ قال: تشتهى الأيرَ الصغير والكبير والوسط ، ولاتكره منها شيئاً . وأقبَل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد ، وهى ترميهم وتهرُبُ منهم حتى غابوا معها عنا ، فأقبل علىَّ خالدٌ متمثلا فقال :

وما أنا فى أمرى(٢) ولا فى خصومتى … بمهتضَم حَقِّى ولا قارعٍ سِنِّى(٣)

فاختَبَسْتُهُ عندى(٤) يومى ذلك. فلما شرب وطابت نفسه ، أنشدنا لأبى تمام :

أحْبابَه لِمَ تفعلونَ بِقلْبِه … ما ليس يَفْعَلُه به أعداؤُه؟
مَطَرٌ مِن العَبراتِ خَدِّى أرضُهُ … حتى الصباحِ ومُقْلَتاىَ سماؤُهُ
نفسى فداءُ محمـــــدٍ ووِقاؤُه … وكذبتُ ، مافى العالَمِينَ فداؤُه
أزعمتَ أنَّ البدرَ يحكى وجهه … والغصن حين يَميدُ فيه ماؤُه ؟
اسكت(٥) فأين بهاؤُه(٦) وكماله … وجمالُه(٧) وحياؤُه وضياؤُه؟
لا تقْرَ أسماءَ المَلاحة باطلا … فيمن سِواه فإنها أسماؤُه

---

(١) فى المختار : «ر س» ، ولم أعثر على التفسير الذى ذكره خالد للفظين فيما رجعت إليه من المعاجم، والعبارة مثبتة فى النسخ على نظام الشعر ، وليست منه ، ولا لها وزن من أوزانه المعروفة ، وهى فى المختار على هيئة النثر .
(٢) فى المختار : «حق» .
(٣) هد ، مل : «بمهتضم حق ولا سالم خصمى» .
(٤) فى المختار : «يومه عندى» .
(٥) فى المختار : «أقصر» .
(٦) فى المختار : «جماله» .
(٧) فى المختار : «بهاؤه» .

ثم قال : وقد عارضه أبو الهيثم — يعنى خالد نفسَه — فقال :

فديتُ محمداً من كل سوء [١] يحاذِر فى رَواح أو غُدوِّ
أيا قمرَ السماء سَفُلْتَ حتى كأنك قد ضَجِرْتَ من العلُوِّ
رأيتك من حبيبك [٢] ذا بِعادٍ وممّن لا يُحبك ذا دُنُوِّ
وحسبُك حسْرَةً لك من حبيب رأيتَ زمامه بيدَىْ [٣] عَدُوِّ

هكذا أخبرنى عمى عن خالد ، وهذه الأبيات أيضاً تُروَى لأبى تمام .

يبعث بشعر إلى صديق له عليل

وقال ابن أبى طلحة : حدثنى الهلالىّ ، قال : مررتُ بخالد وحوله جماعة يُنشدهم ، فقلت له : يا أبا الهيثم ، سلَوْتَ عن صديقك [٤] ، قال : لا والله . قلت : فإنه عليل وما عُدتَه ، فسكت ساعة ثم رفع رأسه إلىّ ، وقال :

زَعَمُوا أننى صحوتُ [٥] وكلاّ أُشهِدُ الله أننى لن أملّا
كيف صبرى يا من إذا ازداد تِيها أبداً زدتُه خضوعاً وذُلا ؟

ثم قال : احفظه وأبلغه عنى :

بجسمِىَ لا بجسمِك ياعليلُ ويكفينى من الألَمِ القليلُ
تعدَّاك السَّقام إلىّ إنى على مابى لعادِيه [٦] حَمولُ
إذا ما كنتَ يا أملى صحيحاً فخَالفنى [٧] وسالَكَ النحولُ

(١) كذا فى المختار ، وفى س : « سو » ، وهو تحريف .
(٢) فى المختار : « محبك » .
(٣) فى المختار : « بيد العدو » .
(٤) فى المختار ، هنا : « صديقك فلان » .
(٥) فى المختار : « مللت » .
(٦) كذا فى المختار ، ومن معانى العادى : المعتدى . وفى س : « لعادته » ، وهو تحريف .
(٧) فى س : « فخالفنى » ، وهو تحريف .

أَلستَ شقيقَ ما ضمّتْ ضُلوعى   عَلَى أنى لِعلّتِك العليلُ

من شعره فى غلام يحبه

قال : وحدثنى العباس بنُ يحيى أنهم كانوا عند علىّ بنِ المعتصم ، فغُنّىَ فى شعر لخالد ، فأمر باحضاره ، وطُلِبَ فلم يوجدْ ، فوجَّه إلىٰ غلام كان يتعشقه فأُحضِر ، وسأله عنه فدَلّ عليه ، وقال : كنّا نَشرب إلى السحَر ، وقد مضى إلى حمام فلان ، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعى ، ودكانه مألَفٌ للغلمان المُرْد والمغنين ، فبعث إليه فأُحضر ، فلما جاس أَخرج علىُّ بنُ المعتصم الغلام ؛ وقال : هذا دَلّنا عليك ؛ وهو يزعم أنك تعشقُه ، فقال له الغلام : نعم أيها الأمير ، لو لم يكن من فضيحته[1] إياى إلا أنه إذا لم يوجد أُحْضِرْتُ وسئلت[2] عنه ، فأقبل عليه خالد وقال :

يا تاركَ الجسمِ بلا قلبِ   إن كنتُ أهواك فما ذنبى ؟

يا مفرَدا بالحسن أفرَدْتنى   مِنْك بطولِ الشوق والُحبِّ

إنْ تَكُ عَينى أبصَرَتْ فتنة   فهلْ على قَلْبِىَ من عَتب ؟

حَسِيبُكَ اللهُ لِمَا بى كما   أنك فى فعلِك بى حَسبى

لجحظة فيه رمل ، فاستحْسَنَ عَلِىّ الشعرَ ، وأمر له بخمسين ديناراً .

يتنكر إلى غلام أعرض عنه

قال : حدثنى ابنأبى المدوّر أنه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب، وأنه دخل عليهم غلامٌ من أولاد الكتاب ، فلما رأى خالداً أعرضَ عنْه ، فقلت له : لِمَ أعرضْتَ عن أبى الهيثم ؟ فقال : والله لو علمتُ أنّه ها هنا مادخلت إليكم ، ما يبالى إذا شَرِب هذين القدَحين ما قال ولا مَنْ هَتَك ، فقال لى خالد : ألا تُعيننى على ظالمى ؟ فقلت : بلى والله أُعينُك ، فأقبل على الفتى وقال :

---

(١) فى س : فى نصيحته ، وهى بادية التحريف .

(٢) فى س : « سألت » ، وهو تحريف أيضا .

صوت

هَبْنِى أسأتُ فكان ذَنْبِى مثلَ ذنب أبى لَهَبْ
فأنا أتوبُ وكم أسأ تَ وكم أسأتَ ولم تَتُب

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفُه له حتّى أقبل عليه وكلّه وحادثه ، فطابت نفسه ، وسُرَّ بقيةَ يومه .

فى هذين البيتين لأبى العُبَيْس خفيف رَمَل بالسبابة فى مجرى الوسطى، ولرذاذ خفيف رمل مطلق .

شعره فى تفاحة معضوضة

وحدثنى عبد الله بن صالح الطوسى أن علىّ بن المعتصم دعا خالداً يوماً وهو يشْرَب ، وقد أخرجَتْ إليه وَصِيفَةٌ من وُصَفَاء حَظِيّتِه تفّاحة مَعْضوضة مُغلَّفة بعث بها إليه ستُّها ، فقال :

تفاحةٌ خرجتْ بالدُّر مِن فيها أشهى إلىَّ من الدنيا وما فيها
بيضاء فى حمرة عُلَّتْ بغالِيَةٍ كأنما قُطِفت من خَدِّ مُهْدِيها
جاءت بها قينةٌ من عند غانية رُوحى من السوء والمكروه تَفديها
لو كنتُ ميتاً ونادتنى بنغمتها إذاً لأسرعتُ من لحدى ألَبِّيها

فاستحسن علىٌّ بن المعتصم الأبيات ، وغُنِّى فيها ، وأمرَ لهُ بتخت[1] ثياب وخمسين ديناراً .

---

(١) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

أخبار المسدود[١]

اسمه وكنيته وموطنه

المسدود من أهل بغداد ، وكان منزلُه فى ناحية درب المفضّل ، فى الموضع المعروف بِخَراب المسدود ، منسوب إليه .

وأخبرنى جحظة أن اسمه الحسن ، وكنيته أبو علىّ ، وأن أباه كان قَصّابا ، وأنه كان مسدودَ فَرْدِ مَنْخِرٍ ومفتوحَ الآخر ، وكان يقول : لو كان مَنْخِرِى الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائى أهل[٢] الحُلُوم وذوى الألباب ، وشَغَلْتَ مَن سمعه[٣] عن أمر دِينه ودُنياه ومعاشه ومعاده .

أشجى الناس صوتا وأحضرهم بديهة

قال جحظة : وكان أشجَى الناسِ صوتا وأحضرهم[٤] نادرة ، ولم يكتسب أحد من المغنّين بطُنبور ما كَسَبه ، وكان مع يساره وقلة نفقته يُقرِض بالعِينة[٥] وكانت له صنعة عجيبة ، أكثرها الأهزاج . قال جحظة : قال لى مُخَارق غلامه : قال لى ، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعا هَزَج :

(١) هذه الترجمة لم ترد فى بولاق ، وهى فى ملحق برنو ، وموضعها هنا على حسب المخطوطات المعتمدة .

(٢) فى المختار : « ذوى الحلوم والآداب » : وفى هد : «لأذهلت بغنائى أهل الأرض وذوى الحلوم».

(٣) هد : «وشغلت من يسمعنى» .

(٤) ب : «وأحضره نادرة» .

(٥) كذا فى المختار . وفى س ، ف : « بالعنية » ، وهو تحريف . وفى هامش س : « قوله : بالعنية ، لعل الأصل : بالعينة ، وهى ضرب من الربا . قال ابن الأثير : وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة ، لأن العين هو المال الحاضر من النقد ، والمشترى إنما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل إليه معجلة . وقال فى لسان العرب : « والعين والعينة : الربا غير الناجز ، أخذ بالعينة وأعطى بها . والعينة : السلف » .

صـوت

مَن رأى العِيسَ عَلَيْها الرِّحالُ   إضَمٌ[١] قَصْدٌ لَهَا أم أثالُ[٢] ؟
لستُ أدرى حيث حلُّوا ولكن   حيثما حلُّوا فثَمَّ الجَمالُ

والآخـــر :

عُجْ بنا نَجْنِ بِطَرْفِ الــعَيْنِ   تُفّاحَ الخُدودْ
ونُسَــلِّ القلبَ عمّن   حَظُّنا منه الكُدودْ[٣]

ينفيه الواثق إلى عمان

ثم قال : والله لا تركتُ بعدى من يَهزِج . قال جحظة : والله ما كذب ! أخبرنى جحظة ، قال : كان الواثق قد أذِن لجلسائه ألا يرُدَّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه[٤] ، فغنى الواثق يوما :

نظرْتُ كأنى من وراء زُجاجةٍ   إلى الدارِ مِن ماءِ الصبابة أنظرُ

وقد كان النبيذ عمل فيه وفى الجلساء فانبعث[٥] إليه المسدود فقال : أنت تنظر أبدا مِن وراء زجاجة ، إن كان فى عينيك[٦] ماء صبابة أو لم يكن ، فغضب الواثق من ذلك وكان فى عينيه بياض ، ثم قال : خذوا بِرِجْل العاضِّ بَظْر[٧] أمه ، فسُحب من بين يديه . ثم قال : يُنْفَى إلى عُمان الساعة ، فنفى من وقته وحَدَر

(١) إضم ، كعنب : أسفل الوادى الذى به مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم .
(٢) أثال ، كغراب : اسم لبلدة ، وواد . ولغيرهما من المسميات .
(٣) هد : « الصدود » .
(٤) فى المختار والتجريد : « ولا عنه » .
(٥) فى المختار والتجريد : « فالتفت » .
(٦) كذا فى المختار ، وفى س : « عينك » ، وهو تحريف .
(٧) البظر : ما بين شفرى الفرج .

ومعه المُوَكَّلون[1] . فلما سلّموه إلى صاحب البصرة ، سأله أن يُقيم عنده يوما ويغنّيه ، ففعل .

يأبى الغناء لأمير البصرة فيرسله إلى عمان

فلما جلسوا للشراب ابتدأ فقال : احذرونى يا أهل البصرة على حُرَمكم ، فقد دخلتُ إلى بلدكم وأنا أزنَى خلق الله . قال : فقال له الجَمّاز : أما يعنى[2] أنه أزنى خلقِ الله أمًّا ، فغضب المسدود ، وضرب بطُنبوره الأرض وحلف ألا يغنّى ، فسأله الأمير أن يقيم عنده وأمر بإخراج الجماز وكلّ من حضر ، فأبى ولجّ فأحدره إلى عُمان .

يشتاقه الواثق فيكتب فى إحضاره

ومكث الواثق[3] لا يسأل عنه سنة ، ثم اشتاقه فكتب فى إحضاره ، فلما جاءه الرسولُ ووصل إلى الواثق قبّل الأرض بين يديه ، فاعتذر من هفوته وشكر التفضل عليه . فأمره بالجلوس ثم قال له : حدّثنى بما رأيت بَعدى . فقال : لى حديث ليس فى الأرض أظرف[4] منه ، وأعاد عليه حديثه بالبصرة . فقال له الواثق : قَبحك الله ما أجهلك ! ويلك ! فأنت سُوقةٌ وأنا ملك ، وكنتَ صاحيا وكنتُ مُنْتَشِيا وبدأتَ القوم فأجابوك ، فبلغ بك الغضب ما ذكرتَه وما بدأتك فتُجيبَنى ، وبدأتنى — من المزح — بما لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك ! لا تعاود بعدها ممازحةَ خليفة وإنْ أذِن لك فى ذلك ، فليس كل أحد يَحضره حلمُه كما حضرنى فيك .

يهجو الواثق فى رقعة ويقدمها إليه خطأ

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى ، قال : حدثنى عَون بنُ محمد ، قال : سمعت حمدون ابن إسماعيل يقول :

لم يكن فى الخلفاء أحد أحلمَ من الواثق ، ولا أصبرَ على أذى وخلاف . وكان

(١) كذا فى المختار ، وفى ب : «المؤكلون» ، وهو تحريف .

(٢) فى المختار : «إنه يعنى أنه ...» وفى التجريد : «إنما يعنى» .

(٣) زيادة من المختار يتضح بها الكلام .

(٤) فى المختار : «أطرف» .

يُعجبه غناء أبى حَشيشة الطُّنبوريّ ، فوجَد المسدود من ذلك ، فكان يَبْلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه[١] . وكان المسدود قد هجاه ببيتين ، فكانا معه فى رقعة ، وفى رقعة أُخرى حاجة له[٢] يريد أن يَرْفعها إليه ، فغلط بين الرقعتين ، فناوله رقعة الشِّعر وهو يَرى أنها رقعة الحاجة ، فقرأها وفيها :

مِنَ المسدودِ فى الأنفِ إلى المَسدود فى العَيْنِ
أنا طَبْـــلٌ له شِقٌّ فيا طبـــلا بشِقَّيْنِ

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه ، فقال للمسدود : خلطت[٣] فى الرقعتين ، فهات الأخرى وخذ هذه واحترز[٤] من مثل هذا ، والله ما زاده على هذا القول .

من أجوبته الموجعة

أخبرنى جحظة ، قال : تحدث المسدود فى مجلس المنتصر بحديث ، فقال له المنتصر : متى كان ذلك ؟ قال : ليلة لاناهٍ ولا زاجر ، يُعَرِّض له بلَيلةٍ قتل فيها المتوكل[٥] ، فأغضى[٦] المنتصر واحتمله .

قال : وقالت الذكورية يوما بين يدى المعتمد : غنِّ يامسدود ، قال : نعم يامفتوحة ! وقالت له امرأة : كيف آخذ إلى شجرة بابك ؟ قال : قُدّامك ، أطعمكِ[٧] اللهُ من ثمرها.

قال : وغنى بين يدى المتوكل ، فسكّته وقال لبكران الشيرى[٨] : تَغَنَّ أنت ، فقال المسدود : أنا[٩] أحتاج إلى مستمع ، فلم يفهم المتوكل ما قال .

---

(١) كذا فى المختار . وسقطت (عنه) فى س . وفى ف : «فيتجاوز» .
(٢) فى المختار والتجريد وف : «لامرأة تريد أن ترفعها » .
(٣) فى المختار والتجريد : «غلطت» .
(٤) فى المختار والتجريد وف وهد : «واحترس» .
(٥) فى التجريد : «المتوكل وأن ذلك كان بأمره» .
(٦) هد : « فأحفظ » . (٧) فى ف : «أطعمك من ثمرها» .
(٨) فى ف : « الشيزى» . وفى هد : «الشكران الشارى » .
(٩) كذا فى ف . وفى ب : «لغناء أحتاج» ، وهو تحريف .

وقَدّم إليه طبّاخُ المتوكل طبقا وعليه رغيفان ، ثم قال له : أىّ شىء تشتهى حتى أجيئك به ؟ قال : خبزا ، فبلغ ذلك المتوكل ، فأمر بالطباخ فضُرِب مائتى مِقرعة .

قال جحظة : وحدثنى بعض الجلساء أنه لما وَضع الطباخ الرغيفَين بين يديه قال له المسدود : هذا حرز فأين[1] النير ؟ قال ودعاه بعض الرؤساء[2] فأهدى له بِرْذَونا أشهب[3] ، فارتبطه ليلته ، فلما كان من غدٍ نفَق ، وبعث إليه يدعوه بعد ذلك ، فكتب : أنا لا أمضى إلى من يعرف آجال الدواب ، فيهب ما قرُب أجله منها .

قال : واستوهب مِن بعض الرؤساء وبرًا ، فأعطاه سمّورا قد قَرِع بعضُه ، فردّه وقال : ليس هذا سمورا ، هذا أشكر[4] .

(١) الحرز : العوذة . والنير : هدب الثوب ، والخيوط إذا اجتمعت ، وفى ف : « هذا جور ، فأين التين » ، ولا معنى له .

(٢) كذا فى ف . وفى ب ، س : «ودعاه بجار حداه أو غيره» ، وهو تحريف .

(٣) الأشهب : الأبيض يتخلل بياضه سواد .

(٤) أشكر : لعله وصف من شكر النخل : إذا نبت الشكير حول أصوله ، وهو فراخه ، والشكير أيضا : الصغير الشعر .

صــوت

أجِدَّكَ ما تَعْفُو كُلومُ مُصيبَةٍ على صاحِبٍ إلا فُجِعتُ بصاحبِ
تَقَطَّعُ أحشائى إذا ما ذكرتهمُ وتنهلّ عينى بالدموع السواكب

عروضه من الطويل ، الشعر لسلمة بن عياش ، والغناء لحكم ، وله فيه لحنان : رمل بالبنصر ، وهزج بالوسطى[1] .

(١) كذا فى هد ، مل . وهو الموافق للترجمة التالية ، وورد في ب ،س مكانه صوت فى ثلاثة أبيات ، هى :

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذ بدت ونجم الثريا والمزار بعيد
فكيف بكم ياجمل أهلا ودونكم بحور يقمصن السفين وبيد ؟
إذا قلت قد حان القفول يصدنا سليمان عن أهوائنا وسعيد

الشعر لمسعود بن خرشة المزنى ، والغناء لبحر . خفيف ، ثقيل بالوسطى ، عن الهشامى .

أخبار سلمة بن عياش

ولاؤه وعصره ومن انقطع لمدحه

سلمة بن عياش مولى بنى حِسْل بنِ عامر بن لؤى . شاعرٌ بصرىٌّ مِن مخضرَمِى الدولتين ، وكان يتديّن ويتصون [1] ، وانقطع إلى جعفر ومحمد ابنَىْ سليمانَ بنِ على بنِ عبد الله بن عباس ، ومدَحهما فأكثر وأجاد . ومما مدَحهما به وفيه غناء قوله :

صوت

من مدحه

أَرِقْتُ وطالت ليلتى بأبانِ[2] لِبرْقٍ سَرى بَعد الهدوء يَمانِ

يُضىء بأعلام المدينـة هُمَّـدا إلى أمجٍ[3] فالطلح[4] طلح قنان

غنى فى هذين البيتين دحمان ، ولَحْنه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، قال : وفيه لحن لعطرّد يقول فيها :

ورَدْتُ خَليجَى جعفرٍ ومحمدٍ وكلٌّ بَدِىء[5] من نَداه سقانى

وإنى لأرجو جعفراً ومحمداً لِأفضلِ ما يُرْجَى له مَلَكان

هُما ابْنا رسولِ الله وابنا ابنِ عمِّه فقد كَرُم الجدّان والأبوان

ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح قوله :

---

(١) فى المختار : « يتصوف ، وكان منقطعا إلى جعفر » .

(٢) أبان : جبل عنده نخل وماء .

(٣) أمج : موضع بعينه .

(٤) الطلح : موضع بين المدينة وبدر ، وآخر بين اليمامة ومكة .

(٥) البدىء : العجيب .

شعر يعزى إليه

صــوت

أنارٌ بدَتْ وَهْنًا(١) لعينك تُرْمِضُ(٢)
بيغداد أم سارٍ من البرق مُومِضُ ؟
يضِيء ســــناه مكفَهِرًّا كأنه
حناتِمُ(٣) سودٌ أو عِشار(٤) تمَخَّضُ

غنى فيهما عطرّد ثقيلا أول ؛ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها :

ولَوْلا انتظارى جعفرا ونَوالَه ... لَمَا كان فى بغداد ما أتبرّضُ(٥)

وقد وَجدتُ هـذا الشعر لابن المولى فى جامع شعره من قصـيدة له ، وأظن ذلك الصحيحَ ، لا ما ذكر محمدُ بنُ داود من أنها لسلمة بن عياش :

يرفد الفرزدق ببيت من الشعر حين أجبل فى قصيدة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنا عمر بن شبة وغـيره ، قال : قال سلمة بن عياش —وذكر محمدُ بن داود ، عن عسلِ بنِ ذكوان ، عن أبى حاتم ، عن الأصمعىّ ، عن سلمة بن عياش مولى بنى عامر بن لؤىّ — قال : دخلت على الفرزدق السجن ، وهو محبوس ، وقد قال قصيدته :

إنّ الذى سَمَكَ السماءَ بنَى لنا ... بَيْتًا دعائمُه أعزُّ وأطوَلُ

---

(١) الوهن من الليل : نحو منتصفه .

(٢) ترمض : تشتعل ، من أرمض الشىء : أى أحرقه .

(٣) الحناتم : جمع حنتم ، وهى الجرة الخضراء .

(٤) العشار : جمع عشراء ، بضم ففتح ، وهى : الناقة التى مضى لحملها عشرة أشهر ، أو ثمانية .

(٥) أتبرض : أتبلغ بالقليل ، والتبرض أيضا : أخذ الشىء قليلا قليلا .

وقد أُفْحِمَ وأجبل (١) ، فقلت له : ألا أرفدك (٢) ؟ فقال : وهل ذاك عندك ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت :

بَيْتٌ زُرارةُ مُحْتَبٍ بِفِنائه ومُجاشِعٌ وأبو الفوارس نَهْشَل

فاستجاد البيت وغاظه قولى له ، فقال لى : ممن أنت ؟ فقلت : من قريش ، فقال : كل أيْرِ حمار من قريش ! فمن أيِّها أنت ؟ قلت : من بنى عامر بن لؤى ، قال : لئام والله رَضَعة (٣) ، جاورتُهم بالمدينة فما أحمدتُهم (٤) ، فقلت : ألأمُ والله منهم قومُك وأرضع . جاء رسولُ مالك بنِ المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم ، فأخذ بأُذُنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد ، ولا نصرك ، فقال : قاتلك اللهُ ما أكرَمك (٥) ! وأخذ البيت ، فأدخله فى قصيدته .

يتغـزل فى بربر المغنية ، فتوهب له

أخبرنا وكيع ، قال : أخبرنى محمدُ بن سعد الكَرَانىّ ، قال : حدثنا سهل بنُ محمد ، قال : حدثنى العُتْبِىّ ، قال : سلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان ، وجارية تغنِّيهم وتَسقيهم يقال لها : بربر ، فقال سلمة :

إلى اللهِ أشكو ما أُلاقى من القِلَى لِأَهلى وما لاقيتُ من حُبِّ بَرْبرِ
على حينَ ودَّعتُ الصبابةَ والصبا وفارقتُ أَخْدانى وشمَّرتُ مِئْزَرى
نأى جعفرٌ عنَّا وكان لِمِثْلِها وأنتَ لنا فى النائباتِ كجعفر

قال : فقال محمد بن سليمان لسلمة : خذها ، هى لك ، فاستحيا وارتدع ، وقال :

---

(١) أجبل الشاعر : صعب القول عليه .
(٢) أرفدك ، رفده : أعطاه . والمراد : ألا أعينك وأمدك .؟
(٣) رضعة : لئام ، جمع راضع . وفى المختار ، « هد » : وضعة ، بالواو .
(٤) ما أحمدتهم : ما صادفت منهم ما يحمدون به .
(٥) هد : «ما أمكرك» .

لا أريدها فألحَّ عليه فى أخذها ، فقال : أَعتِق ما أملِكُ إن أخذتُها ، فقال له أبو سفيان : ياسخين العين ، أعتِق ما تملِكُ وخذها ، فهى خير من كلّ ما تملك ، فلما مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال :

يرثى صاحباً له

لَعَمْرُكَ لا[1] تعفو كُلُومُ مصيبةٍ ... على صاحبٍ إلا فُجِعتُ بصاحبِ
تَقَطَّعُ أحشائى إذا ما ذكرتُكم[2] ... وتَنْهلّ عينى بالدموع السواكبِ
وكنتُ امرأً جلداً على ماينُوبنى ... ومعترفاً بالصبر عند المصائبِ[3]
فهَدَّ أبو سفيانَ رُكنى ولم أكنْ ... جَزوعاً ولا مستنكِراً للنوائبِ[4]
غَنِينا مَعاً بِضْعاً وستين حِجّةً ... خَلِيلَىْ صفاءٍ وُدُّنا غيرُ كاذبِ
فأصبحتُ لمّا حالت الأرضُ دونَه ... على قُرْبِهِ مِنّى كَمَن لم أصاحبِ

وذَكر محمدُ بن داود عن عسل بن ذَكوان أن محمدَ بنَ سليمان قال له : اختر ما شئت غيرها ، لأن أبا أيوب قد وطئها .

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدثنى محمدُ بن يزيد النحوىّ ، قال : حُدِّثتُ من غير وجه عن سلمةَ بنِ عياش أنه قال : قلت لأبى حَيّة النميرى أهْزأُ به : ويحك يا أبا حية ! أتدرى ما يقول الناس ؟ قال : لا ، قلت : يزعمون أنى أشعر منك ، قال : إنا لله ! هلكَ والله الناس .

يهزأ بأبى حية النميرى فيخزيه

وفى بَرْبَر هذه يقول سلمة بن عياش ، وفيه غناء ، وَذكر عمر بن شبة أنه لمطيع ابن إياس :

من شعره فى بربر

---

(١) فى المختار : «ما تعفو» .
(٢) فى المختار : « ذكرتهم » .
(٣) فى المختار : « النوائب » .
(٤) فى المختار : « المصائب » .

صـــوت

أظنُّ الحبَّ من وجْدى سيقتُلُنى على بَرْبَرْ
وبَرْبرُ دُرَّةُ الغـوا صِ مَنْ يَملِكْها يُحْبَرْ
فخـــافِ اللهَ يا بَرْبَرْ فقد أفتَنْتِ⁽¹⁾ ذا العسكرْ
بحُسْنِ الدَّلِّ والشــكلِ وريحِ المسك والعَنْبرْ
ووجهٍ يُشْبه البدْرَ وعينَىْ جُؤْذُرٍ⁽²⁾ أحور

فيه لحكم ثلاثة ألحان: رَمَل مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وخفيف رمل عن هارون بن الزيات، وهزج عن أبى أيوب المدنى.

شعر مطيع بن إياس فى جارية لبربر بعد ما أعتقت

أخبرنى إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: بَرْبرُ جارية آلِ سليمان أُعتِقتْ، وكان لها جَوارٍ مغنيات، فيهن جارية اسمها جوهر، وكان فى البصرة فتى يُعرَف بالصحّاف، حسن الوجه، فبلغ مطيعَ بنَ إياس أنه بات مع جوهرَ جارية بربرَ، فغاظه ذلك، فقال:

ناكَ واللهِ جوهرَ الصحّافُ وعلَيها قَميصُها الأفوافُ⁽³⁾
شامَ⁽⁴⁾ فيها أيراً له ذا صُلاعٍ⁽⁵⁾ لم يَخُنْه تَقَصٌ ولا إخطافُ⁽⁶⁾
زعموها قالت وقد غاب فيها قائماً فى قيامـــه استِحْصافُ⁽⁷⁾

---

(١) أفتنت: ولهت.
(٢) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.
(٣) ثوب أفواف: رقيق.
(٤) شام السيف: أغمده.
(٥) كذا فى ف. وفى ب: «أيرا له أضلاع»، وهو تحريف.
(٦) الإخطاف: مصدر أخطفه: أى أخطأه.
(٧) استحصاف: شدة وانتصاب، من استحصف الحبل: أى شد فتله.

وهو فى جارة استها يتلظَّى   وبها شهوة له والتهاف[(١)]
بَعْضَ هذا مهلا ترفق قليلا   ما كذا يا فتى تُناكُ الظِّراف

قال : وقال فيها ، وقد وجِّهت بجواريها إلى عسكر المهدى :

خافِى[(٢)] اللهَ يابرْبرْ   فقد أفسدْتِ ذا العسكرْ
أفضْتِ الفِسقَ فى الناسِ   فصار الفِسْقُ لا يُنْكر
ومَنْ ذا يملِكُ الناس   إذا ما أقبلَتْ بَرْبرْ ؟
وأعطافُ جواريهـــا   كريحِ المسك والعنبرْ
وجوهرُ دُرّةُ الغوا   صِ مَنْ يَمْلِكها يُحبرْ
ألا يا جوهرَ القلْبِ   لقد زِدْتِ على الجوهر
وقد أكملكِ اللهُ   بحُسْنِ الدلِّ والمنظر
إذا غنّيتِ ياأحسَـــنَ خلقِ اللهِ بالمِزهر[(٣)]
فهـذا حزَنًا يَبْكى   وهـذا طرَبًا يكفُر
وهذا يَشربُ الكأسَ   وذا من فَرَحٍ ينعِرَ
ولا واللهِ ما المهدىَّ   أولَى منك بالمنـــبر
فما عِشْتِ ففى كفيـــك خَلْعُ ابن أبى جعفر

قال : فبلغ ذلك المهدى ، فضحك وأمر لمطيع بصلة ، وقال : أنفق هذا عليها ، وسلها ألا تخلعنا ما عاشت .

---

(١) زيادة من هد .
(٢) كذا فى جميع النسخ ، وفيه خرم ، وهو قبيح فى المزج .
(٣) المزهر : العود الذى يضرب عليه .

قال : وفى جوهر يقول مطيع :

جاريةٌ أَحسنُ مِن حَلْيِها وفيه فَضْلُ الدُّر والجوهرْ
وجِرمُها أطيب من طِيبها والطِّيب فيه المسكُ والعنبرْ
جاءت بها بربرُ مُمَـكُورةً[(1)] يا حبذا ما جلَبتْ بربرْ

قال : وقال فيها :

أَنتِ ياجوهرُ عِندِى جَوْهَرهْ فى بياض الدّرة المشتهره
وإذا غنَّت فنارٌ أُضْرِمَتْ قَدَحَتْ فى كلّ قلب شَرَرَه

(1) ممكورة : حسنة امتلاء الساقين .

صـوت

ياعمودَ الإسلام خير عمود   والذى صيغ من حياء وجُودِ
إن يومًا أراكَ فيـه ليوم   طلعت شَمسُهُ بسعد السعود(١)

الشعر لأبى العتاهية يمدح محمد الأمين ، والغناء لإسحاق ، ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانه وإسحاق .

(١) كذا فى هد ، ومل . وهو الموافق للترجمة التالية لأم جعفر أم محمد الأمين ، الذى قيل الصوت فى مدحه . وورد فى (ب) مكان هذا الصوت :

فأما الشنفرى فإنه رجل من الأزد ، ثم من بنى الأوس بن الحجر بن الهنو بن الأزد ، ومما يغنى فيه من شعره :

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت   وما ودعت جيرانها إذ تولتِ
فواندما بانت أمامة بعد ما   طمعت فيها نعمة قد تولت
وقد أعجبتنى لا سقوطا خمارها   إذا ما مشت ولا بذات تلفت

غنى فى هذه الأبيات إبراهيم ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة .

وفى (ب) : « ألا » ، مكان « أرى » ، « ونعمة العيش زلت » مكان « نعمة قد تولت » . وما أثبتناه من رواية القصيدة فى ترجمة الشاعر فى الأغانى : ٢١ : ٩٠ .

أخبار لأم جعفر(١)

تستنشد أبا العتاهية مدحه للأمين

أخبرنى محمدُ بنُ يحيى الصولىّ ، قال : حدثنا العلائىّ ، قال : حدثنى محمد بن أبى العتاهية ، قال : لما جَلس الأمينُ فى الخلافة أنشده أبو العتاهية :

يا بنَ عمِّ النبىِّ خيرِ البَرِيّهْ   إنّما أنتَ رحمَةٌ للرّعيّهْ
يا إمامَ الهدى الأمينَ المصَفَّى   بلُبَاب الخلافةِ الهاشميّهْ
لك نفسٌ أمّارة لك بالخيـ   ـر وكفٌّ بالمكرُمات نَدِيّهْ
إنّ نفسًا تحملَتْ منك ما حُمِّـ   ـلتَ للسلمين نفسٌ قَوِيه

قال: ثم خرج إلى دار أم جعفر ، فقالت له : أنشدْنى ما أنشدْتَ أميرالمؤمنين ، فأنشدها . فقالت : أين هذا من مدائحك فى المهدىّ والرشيد ؟ فغضب وقال : إنما أنشدتُ أمير المؤمنين ما يستملح ، وأنا القائل فيه :

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ   والّذى صِيغَ من حياء وَجُودِ
والذى فيه ما يُسَلِّى ذوى الأحـ   ـزان عن كلِّ هالكٍ مفقود
إنّ يوما أراكَ فيه لَيَوْمٌ   طلعَت شمسه بسعد السعود

فقالت له : الآن وفيت المديحَ حقه ، وأمرَت له بعشرة آلاف درهم .

يستنجز أبو العتاهية ما كانت تجريه عليه

أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى محمدُ بنُ موسى اليزيدىّ ، قال : حدثنى محمدُ ابنُ الفضل ، قال :

كان المأمون يوجِّه إلى أمّ جعفر زُبَيدةَ فى كل سنة بمائة ألف دينار جُدُد وألفِ ألفِ درهم ، فكانت تعطى أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم ، فأغفلتْه سنة ، فدَفع إلىّ رقعة وقال : ضَعْها بين يديها فوضعْتها ، وكان فيها :

(١) هذه الترجمة ، لم ترد فى بولاق ، ووردت فى ملحق برنو ، وموضعها هنا فى المخطوطات المعتمدة .

خبَّرُونِي أنَّ فى ضَرْبِ السَّنَهْ   جُدُدًا بيضًا وصُفْرا حَسَنهْ
سِكَكًا[1] قد أُحْدِثَتْ لم أرها   مثلَ ما كنت أرى كلَّ سَنَهْ

فقالت : إنا[2] لله ! أغفلناه . فوجّهت إليه بوظيفة على يَدِى .

تطلب أن ينظم أبو العتاهية أبياتا تعطف عليها المأمون

حدثنى محمد بن موسى ، قال ، حدثنا جعفرُ بنُ الفضل الكاتب ، قال : أحسّت زُبَيدة من المأمون بجفاء ، فوجهت إلى أبى العتاهية تُعْلمه بذلك ، وتأمره أن يعمل فيه أبياتا تَعْطِفه عليها ، فقال :

صوت

ألا إنّ ريبَ الدهْرِ يُدْنى ويبعدُ   ويؤنس بالالآف طورا ويفقدُ
أصابتْ لريْبِ الدهْرِ منى يَدِى يَدِى   فسلّمتُ للأقدارِ واللهَ أَحْمَدُ
وقلتُ لِرَيْبِ الدهر إنْ ذهبَت يَدٌ   فقد بقيت والحمـــدُ لله لى يَدُ
إذا بَقِىَ المأمونُ لى فالرشيدُ لِى   ولِى جعفرٌ لم يفقَـــدا ومحمدُ

الغناء لعلّويه .

قال : فحَسُن موقع الأبيات منه ، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كانلها عليه .

وجدت فى كتاب محمد بن الحسن الكاتب .

حدثنى هارونُ بنُ مُخارق ، قال :حدثنى أبى ، قال : ظهرَتْ لأم جعفر جَفْوَة من المأمون ، فبعثت إلىَّ بأبيات وأمرتنى أن أغنى فيها المأمون إذا رأيته نشيطا وأسْنَتْ لى الجائزة ، وكان كاتبها قال الأبيات ، ففعلْت ، فسألنى المأمون عن الخبر فعرّفته ، فبكى ورقّ لها ، وقام من وقتِه فدخل إليها فأكبَّ عليها ، وقبلَتْ يديه ، وقال لها :

(١) السكك : جمع سكة ، وهى حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم .

(٢) فى س : «إن» ، وهو تحريف .

يا أُمّه ، ما جفوتك تعمُّدا ، ولكن شُغِلْت عنك بما لا يمكن إغفاله ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إذا حَسُنَ رأيك لم يُوحشنى شُغلك ، وأَتمّ يومَه عندها ، والأبيات :

أَلَا إن ريبَ الدهرِ يُدْنى ويُبعدُ ويُؤنس بالأُلّاف طوراً ويُفْقِدُ

وذكر باقى الأبيات مثل ما فى الخبر الأول .

ينظم أبو العتاهية شعرا على لسانها للمأمون

أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحسن بن على الرازى ، قال : حدثنى أبو مَنْهل الرازق عن أبيه ، قال : عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زُبَيْدة بأمرِها لمّا قدم المأمون بغداد ، أولُه :

لخَيرِ إمامٍ قامَ من خيرِ عنصُرِ وأفضلِ راقٍ فوق أعواد مِنْبر

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتاب السلطان : أن المأمون لمّا قدم مدينة السلام واستقرّت به الدار ، وانتظمت له الأمور ، أمرَت أم جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات ، وبعثَتْ بها إلى عَلُّويَه ، وسألته أن يصنع فيها لحنًا ، ويغنى فيه المأمون ففعل ، وكان ذلك مما عطفه عليها ، وأمرت لعلويه بعشرين ألفَ درهم . وقد رُوى أن الأبيات التى أولها :

* يا عمودَ الإسلام خيرَ عمود *

لعيسى بن زينب المراكبى .

أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنى الحسين بن يحيى الكاتب ، قال : حدثنا علىُّ بن نجيح ، قال : حدثنى صالح بن الرشيد ، قال :

كنا عند المأمون يومًا وعقيد المغنى وعمرو بن بانَة يغنيان ، وعيسى بن زينب المراكبى حاضر ، وكان مشهورا بالأُبْنَةِ ، فتغنّى عقيد بشعر عيسى :

يا عمودَ الإسلامِ خير عمودِ والذى صيغ من حياء وجودِ
لك عندى فى كل يومٍ جَديدٍ طُرْفةٌ تستفاد يا بنَ الرشيد

فقال المأمون لعقيد : أنشد باقى هذا الشعر ، فقال : أصونُ سمعَ أميرِ المؤمنين عنه ، فقال : هاته ويحك ! فقال :

كنتُ فى مجلسٍ أنيق وريْحا ... نٍ وراحٍ ومُسْمِعاتٍ وَعُودِ
فتغنَّى عمرو بن بانةَ إذ ذا ... كَ وهْوَ[1] ممسكٌ بأيْر عقيد
ياعمودَ الإسلام خيرَ عمود ... والذى صيغ من حياء وَجُود
فتنفسْتُ ثم قلت كذا كلُّ ... محبٍّ صبٍّ الفؤاد عميد

فقال المأمون لعيسى بن زينب : والله لا فارقتك حتى تخبرنى عن تنفّسك عند قبض عمرو على أيْر عقيد : لِأَىّ شىء هو ؟ لَابُدّ من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه ، أو عَلَى أن تـكون مثله ، لعَنَ اللهُ تنفسَك هذا يا مُريب ! قال : وإنما سُمِّىَ المراكبىّ لتوليه[2] مراكب المنصور ، وأمه زينب بنت بشر صاحِب طَاقَاتِ بشر بباب الشام .

(١) تسكين واو «هو» لغة قيس وأسد ، وعليها يستقيم وزن البيت . انظر الهمع : ١ : ٦١ .
(٢) ف : «ولأنه ابن عبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب المنصور» .

صـوت

لقيتُ من الغانيات العُجَابا لو آدرك منى العذارَى الشبابا
علامَ يُكحِّلن حُورَ العيون ويُحْدِثن بَعد الخضابِ الخضابا
ويُبْرِقن[1] إلا لما تعلمون فلا تمنعُنَّ النساء الضرابا

الشعر لأيمنَ بنِ خُرَيم بنِ فاتك الأسدى ، والغناء لإبراهيم الموصلىّ ، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة فى مجرى الوسطى من رواية الهشامى .

(١) أبرقت المرأة ، وبرقت : تزينت .

أخبار أيمن بن خريم (١)

نسبه وتشيعه

وأيمنُ بنُ خُرَيم بنِ فاتك الأسدى لأبيه صُحبة برسول الله — صلى الله عليه وسلم — وروايةٌ عنه ، وينسب إلى فاتك ، وهو جد أبيه . وهو أيمنُ بنُ خُرَيم بن الأخرم بنِ عمرو بنِ فاتك بنِ القليب بنِ عمرو بنِ أسد بنِ خزيمة بن مدركة بن إلياس ابنِ مضر بنِ نزار . وكان أيمن يتشيع ، وكان أبوه أحدَ من اعتزل حربَ الجَمَل وصِفِّين وما بعدهما من الأحْداث ، فلم يحضرها .

يصف قوله لعبد الملك بن مروان ، فيحسده ويتغير عليه

أخبرنى الحسنُ بن علىٍّ ، قال : حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويَة ، قال : حدثنى النوشجانىّ عن العمرىّ عن الهيثم بن عدىٍّ ، عن عبد الله بن عياش ، عن مجالد ، قال : كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء ، فلما أسنَّ ضعُف عن الجماع وازداد غرامُه بهنّ ، فدخل إليه يوماً أيمنُ بنُ خُرَيم فقال له : كيف أنت ؟ فقال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قوّتُك ؟ قال : كما أُحب ، ولله الحمد ، إنّى لآكل الجَذَعةَ (٢) من الضأن بالصاع من البُرِّ ، وأشرب العُسَّ (٣) المَمْلوء (٤) ، وأرتحلُ البعيرَ الصعب وأُنْصِبُه (٥) ، وأركب المُهر الأرِنَ (٦) فأُذلُّه ، وأفترع العذراء ، ولا يُقْعِدُنى (٧) عنها الكِبَر ، ولا يمنعنى منها الحَصَر (٨) ، ولا يُرْوينى منها الغُمَر (٩) ولا ينقضى (١٠) منى الوَطَر . فغاظ

(١) هذه الترجمة لم ترد فى بولاق ، وذكرها برنو فى الملحق ، وموضعها هنا حسب نسخة فيض الله .
(٢) الجذعة من الضأن : الصغيرة منه .
(٣) العس : القدح العظيم .
(٤) فى المختار والتجريد : « المملوء أعبه عبا » .
(٥) فى المختار والتجريد : « فأنصبه » .
(٦) الأرن : النشيط ، والفعل أرن ، كفرح .
(٧) فى المختار والتجريد : « لا يقعدنى » .
(٨) الحصر : عدم اشتهاء النساء ، حصر كفرح . وفى المختار والتجريد : « إلا السحر » .
(٩) الغمر ، بضم ففتح : القدح الصغير .
(١٠) فى ب ، س : « ينقص » ، وهو تحريف .

تحتال له امرأته فيعود عبد الملك إلى بره

عبدَ الملك قولُه وحسَدَه ، فمنعه العطاء وحجبه ، وقصدَه بما كَرِه حتى أثَّر ذلك فى حاله ، فقالت له امرأته : ويحك! أصدِقْنى عن حالك؟ هل لك جُرْم؟ قال : لا والله ، قالت : فأىُّ شىء دارَ بينك وبين أمير المؤمنين آخرَ مالقيتَه؟ فأخبرها ، فقالت : إنا لله! مِن ها هنا أُتيت . أنا أحتال لك فى ذلك حتى أُزيل ماجرى عليك ، فقد حسَدَك الرجلُ على ماوصفتَ به نفسَك ، فتهيأتْ ولبستْ ثيابَها ودخلت على عاتكة زوجته ، فقالت : أسألكِ أن تستعْدِى لى أمير المؤمنين على زوجى ، قالت : وماله؟ [1] قالت : والله ما أدرى أنا مع رجلٍ أو حائطٍ؟ وإنّ له لسنين[2] ما يعرف فراشى ، فسليه أن يفرِّق بينى وبينه ، فخرجتْ عاتكة إلى عبد الملك فذكرَت[3] ذلك له ، وسألتْه فى أمرها ، فوجّه إلى أيمنَ بنِ خريم فحضر ، فسأله عما شكت منه فاعترف به ، فقال : أولم أسألكِ عاماً أوّلَ[4] عن حالك فوصفْتَ كَيْتَ وكيت؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجل ليتجمّل عند سلطانه ، ويتجلدُ عند[5] أعدائه بأكثر مما وصفتُ نفسى به ، وأنا القائل :

لَقيتُ من الغانياتِ العُجابا لو أدْرَكَ منى الغوانى الشبابا
ولكنّ جمعَ النساء الحسان عناء شديد إذا المرء شابا[6]
ولو كانت بالمدِّ للغانيات وضاعفْتَ فوق الثياب الثيابا

---

(١) فى المختار : « وما شأنه؟ » .
(٢) فى المختار : « ستين » .
(٣) فى المختار : «فأخبرته» .
(٤) فى المختار والتجريد : « عام أول » .
(٥) كذا فى المختار والتجريد ، وفى ب ، س : «على» ، وهو تحريف .
(٦) رواية ف ، والمختار :
ترى الشيب جمع النساء الحسا ن عيباً شديدا إذا المرء شابا
وفى التجريد : «عتبا» مكان «عيبا» ، وأراها تحريف «عتبا» ، وبقية البيت كما فى ف والمختار .

إذا لم تُنِلْهُنّ من ذاك ذاك   جحدنك[1] عند الأمير الكتابا
يَذُدْنَ بكل عصا ذائدٍ   ويصبحْن كلَّ غداة صِعابا
إذا لم يُخالَطْنَ كل الخِـــلا   ط أصبحن مُخرنطماتٍ غضابا[2]
علام يُكَحّلن حورَ العيون   ويُحدثْنَ بعد الخضاب الخضابا
ويَعرُكن بالمسكِ أجيادَهنّ   ويُدْنِين عند الحِجال العيابا[3]
ويُبرِقْن إلا لمـــا تعلمون   فلا تحرموا الغانيات الضرابا

قال : فجعل عبدُ الملك يضحك من قوله ، ثم قال : أولى[4] لك يابنَ خُرَيم ! لقد لقيتَ منهن ترَحا[5] ، فما ترى أن نصنع فما بينك وبين زوجتك ؟ قال : تستأجلها إلى أجل العِنِّين ، وأُداريها لعلى أستطيع إمساكها ، قال : أفعَل ذلك ، وردّها إليه ، وأمر له بما فات من عطائه ، وعاد إلى برّه وتقريبه .

يعتزل عمرو بن سعيد وعبد العزيز ابن مروان فى منازعة بينهم ويقول فى ذلك شعرا

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخزاعىّ أبو دلف ، قال : حدثنا الرياشىّ ، قال : ذكر العُتْبىّ أن منازعةً وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان ، فتعصّب لكل واحد منهما أخوالُه ، وتداعَوْا بالسلاح واقتتلوا ، وكان أيمنُ بنُ خريم حاضرا للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه ، يقال له : ابن كُوز ، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعًا على ذلك ، فقال :

---

(١) فى المختار والتجريد : « بغينك » وسيأتى البيت ، وفيه « الكذابا » مكان «الكتابا» ، وهى أشبه .

(٢) مخرنطمات : وصف من اخرنطم : إذا رفع أنفه واستكبر وغضب .

(٣) وفى ف : « الحجاب » .

(٤) أولى لك : دعاء عليه أن يناله مكروه ، أولى : أفعل من الولى ، بفتح فسكون ، وهو القرب . والمراد بالعبارة التعجب .

(٥) الترح : الحزن ، وفى المختار : « برحا » ، أى شدة وأذى .

أأُقتَلُ بينَ حجّاج بن عمرو وبين خصيمه عبـــد العزيز
أنُقتَلُ[1] ضِلّةً فى غير شىء ويَبقى بعدَنا أهلُ الكنوزِ
لعمر أبيك ما أُتيتُ رشدى ولا وُفِّقتُ للحِرْز الحريز
فإنى تاركٌ لهما جميعًا ومعتزلٌ كما اعتزل ابنُ كوز

يهجو يحيى بن الحكم

أخبرنى عمّى قال : حدثنى الكرانىّ ، عن العمرىّ ، عن الهيثم بن عدىّ ، قال : أصاب يحيى بن الحكم جاريةً فى غَزاة الصائفة[2] ، بها وضح[3] ، فقال : أعطوها أيمنَ ابنَ خريم ، وكان مُوضحًا ، فغضب وأنشأ يقول :

تركتُ بنى مروان تندى أكفُّهم وصاحبتُ يحيى ضلّة من ضلاليا
فإنك لو أشبهتَ مروان لم تقُل لقومىَ هُجراً أنْ أتَوك ولا ليا

وانصرف عنه ، فأتى عبد العزيز بن مروان ، وكان يحيى مُحَمّقًا .

يرى عبد الملك مدحه لبنى هاشم مثلا يحتذى

حدثنى محمد بن العباس اليزيدىّ ، قال : حدثنى عمى الفضل ، قال : حدثنى مُصعَب الزبيرىّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال : يا معشر الشعراء تُشَبِّهوننا مرة بالأسد الأبخر ، ومرة بالجبل الأوعَرِ ، ومرة بالبحر الأُجاج ، ألَا قلتم فينا كما قال أيمن بنُ خريم فى بنى هاشم :

نهارُكُمُ مكابدةٌ وصومٌ ولَيْلُكُمُ صلاة واقتراء[4]
وَلِيتم بالقُران وبالتزكّى فأسرعَ فيكمُ ذاك البلاء
بكى نجدٌ غداة غدٍ عليكم ومكّةُ والمدينةُ والجِواء[5]

(١) أنقتل ضلة : أنقتل عن ضلال وبغى .
(٢) غزاة الصائفة : غزاة الصيف .
(٣) الوضح : البرص ، والفعل : وضح ، بكسر الضاد .
(٤) اقتراء : قراءة .
(٥) الجواء : اليمامة ، واسم لمواضع أخرى .

وحقّ لكل أرض فارقوها   عليكم لا أبالكمُ البكاء
أأجعلكم وأقوامًا سواءً   وبينكمُ وبينهمُ الهواء
وهمْ أرض لأرْجُلكم وأنتم   لأرؤسهم وأعينهم سماء

شعره وقد أدى عبد الملك عنه دية قتل خطأ

أخبرني الحسن بن عليّ، عن أحمد بن زهير، عن أبي همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، قال: أصاب أيمنُ بنُ خُرَيم امرأةً له خطأً — يعني قتلها — فوداها عبد الملك بن مروان: أعطى ورثتها ديتها، وكفَّر عنه كفارة القتل، وأعطاه عِدّة جوار، ووهب له مالا، فقال أيمن:

رأيتُ الغوانيَ شيئًا عُجابا   لوَ انسَ مِنِّي الغواني الشبابا
ولكنّ جمعَ العذارى الحسانِ   عناءٌ شديد إذا المرء شابا
ولو كِلْتَ بالمُدّ للغانيات   وضاعفْتَ فوق الثياب ثيابا
إذا لم تُنِلْهن من ذاك ذاك   بَغَيْنَكَ عِنْد الأمير الكذابا
يَذُدن بكل عصًا ذائدٍ   ويُصبحن كل غداة صعابا
إذا لم يُخالطْنَ كلّ الخلاط   تراهنّ مُخرنطماتٍ غِضابا
علامَ يُكَحِّلن حُورَ العيون   ويُحْدِثْنَ بعد الخضاب الخضابا
ويَعرُكن بالمسك أجيادَهنّ   ويدنين عند الحِجال العِيابا
ويغمِزن إلا لما تعلمون   فلا تحرموا الغانيات الضِّرابا

يستجيد عبد الملك وصفه للنساء

قال: فبلغني أن عبد الملك أُنشد هذا الشعر، فقال: نعم الشفيع أيمَنُ لهنّ.

وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قال: قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر: ما وصفَ النساءَ أحدٌ مثلَ صفتك،

ولا عرّفهنّ أحد معرفتك . قال : فقال له : لئن كنتُ صدقتَ فى ذلك لقد صدق الذى يقول :

صــوت

فإن تسألونى بالنساء فإننى ... خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ ماله ... فليس له فِى وُدِّهنّ نصيب
يُرِدْنَ ثراء المال حيث علمنه ... وشَرْخُ الشباب عندهن عجيب

فقال له عبد الملك : قد لعمرى صَدَقْتما وأحسنتما ، الشعر لعَلْقَمَة بن عَبَدة ، والغناء لبَسْبَاسَة ، ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش . وهذه الأبيات يقولها علقمة ابن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق ابنه شأس[1] . وخبرهُ يُذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خُرَيم .

رجع الحديث إلى أخبار أيمن

يفضل عبد العزيز بن مروان شعر نصيب على شعره ، فيلحق ببشر بن مروان

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنا عمر بنُ شبّة ، قال : حدثنى المدائنىّ عن أبى بكر الهذلىّ ، قال : دخل نُصَيب يوما إلى[2] عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قصيدة له امتدحَه بها فأعجبته ، وأقبل على أيمن بن خريم فقال : كيف ترى شِعرَ مولاى هذا ؟ قال : هو أشعرُ أهل جِلْدَته[3] . فقال : هو أشعر والله منك . قال أمِنِّى أيها الأمير ؟

---

(١) فى هامش س : « قوله : ويسأله إطلاق ابنه شأس ، قال فى القاموس : إنه أخوه ، وتابعه على ذلك شارحه . وقال فى لسان العرب : إنه أخوه ، وقال ذلك أيضا العينى فى شرح الشواهد . وقال ابن الأنبارى فى المفضليات : إنه أخوه ، وقيل : ابن أخيه » .

(٢) فى المختار : « على » .

(٣) فى المختار : « جلدته فقط ، بل هو والله أشعر منك » .

قال : إى والله ، قال : لا والله ، ولـكنك طِرْفٌ(١) ملول ، فقال له : لو كنت كذلك ماصبرتُ على مؤا كلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك(٢) ، فقال : ائذن لى أيها الأمير فى الانصراف ، قال : ذلك إليك ، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان ، وقال فيه :

ركبتُ من المقطَّم فى جُمادى … إلى بشرِ بن مروان البَرِيدا
ولو أعطاكَ بشرٌ ألفَ ألفٍ … رأى حقّاً عليه أن يزيدا
أميرَ المؤمنين أقِمْ ببِشر … عمودَ الدين إنّ له عمودا
ودَعْ بشرًا يقوّمهم ويُحْدِثْ … لأهلِ الزيغ إسلاما جديدا
وإنّا قد وجـــدنا أمّ بشر … كأمّ الأُسْد مِذْكارًا وَلودا
كأنّ التاج تاجَ أبى هِرَقْلٍ … جَلَوْهُ لأعظمَ الأيام عيدا
يُحالِف لونُه ديبـــاجَ بشر … إذا الألوانُ حالفت الخدودا

— يُعرِّض بِنَمَشٍ كان بوجه عبد العزيز — فقبّله بشرُ بن مروان ووصله ، ولم يزَل أثيرا عنده —

من مدحه فى بشر ابن مروان

أخبرنى عمى ، قال : حدثنى الـكُرانىّ وأبو العيناء عن العُتْبى ، قال : لما أتى أيمنُ ابن خريم بشرَ بن مروان نظر الناسَ(٣) يدخلون عليه أفواجا ، فقال مَنْ يُؤْذِن(٤) لنا الأمير أو يستأذن(٥) لنا عليه ؟ فقيل له : ليسَ على الأمير حِجابٌ ولا سِتر ، فدخل وهو يقول :

يُرَى بارزا للناس بشرٌ كأنه … إذا لاح فى أثوابه قمرٌ بَدْرُ

(١) الطرف : الذى لا يثبت على صحبة أحد لملله .
(٢) فى المختار بعد كلمة «بك» : «وكان به وضح» .
(٣) ف : «نظر إلى الناس» .
(٤) فى المختار : «يؤذن بنا» .
(٥) فى المختار : «ويستأذن» .

ولو شاء بشرٌ أغلق البابَ دونه طماطمُ[1] سودٌ أو صقالبةٌ شُقْر
أبىَ ذا ولكن سهّل الإذنَ للتى يكون له فى غِبِّها الحمد والشكر

فضحك إليه بشر، وقال: إنا[2] قوم نَحْجُبُ الحُرَمَ، وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

يعير أهل العراق بقلة غنائهم فى حرب غزالة

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخزاعى أبو دُلَف، قال: حدثنى الرياشى، قال: حدثنا الأصمعى عن المعتمِد بن سليمان، قال:

لما طالت الحرب بين غزَالة وبين أهل العراق وهمْ لا يُغْنُونَ شيئا — قال أيمنُ بن خريم:

أتينا بِهمْ مائتى فارسٍ من السافِكِين الحرامَ العَبيطا[3]
وخمسون من مارقات النسا ء يَسْحَبْنَ لِلْمنديات[4] المُرُوطا[5]
وهُمْ مائتا ألفِ ذى قَوْنَسٍ[6] يَنِط[7] العراقان منهم أطيطا
رأيت غزالة إن طَرَّحَت[8] بمكّةَ هَودَجها والغَبيطا
سَمَتْ للعراقين فى جمعها فلاقى العراقان منها بطيطا[9]
ألاَ يستحِى اللهَ أهلُ العِرا قِ إن قَلّدُوا الغانيات السُّموطا ؟
وخيلُ غزالَةَ تسبِى النِّساء وتَحوى النِّهابَ[10] وتحوى النبيطا[11]
ولو أنَّ لُوطًا أميرٌ لكم لأسْلَمْتُمُ فى المُلِمّات لُوطا

(١) الطماطم: جمع طمطم، والرجل الطمطم: الذى فى لسانه عجمة.
(٢) فى المختار: «فضحك بشر إليه، وقال: يا قوم».
(٣) العبيط: الدم الخالص الطرى وفى س: «أتينا بهم مائتى فارس.»
(٤) المنديات: المخزيات يندى لها الجبين.
(٥) المروط: جمع مرط، بكسر فسكون، وهو كساء من صوف ونحوه يؤتزر به.
(٦) القونس فى الأصل: أعلى بيضة الحديد، والمراد البيضة.
(٧) ينط: يصوت.
(٨) ف: «وقد طرحت».
(٩) البطيط: شق الجرح.
(١٠) النهاب: جمع نهب، وهو الغنيمة.
(١١) النبيط: النبط، وهم جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين.

صــوت

تصابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينَبُ وكيف تَصَابِى المرء والرأسُ أشيب !
إذا قرُبتْ زادتك شوقا بِقُرْبِها وإن جانبت لم يُسلِ عنها التجنّب
فلا اليأسُ إن ألمتَ يبدو فترعَوِى ولا أنت مردود بما جئت تطلب
وفِى اليأسِ لو يبدُو لك اليأسُ راحةٌ وفى الأرض عمَّنْ لا يؤاتيك مذهب

الشعر لحُجَيَّةَ بن المضرب الكندىّ ، فيما ذكره إسحاق والكوفيون. وذكر الزبير بنُ بكّار أنه لإسماعيلَ بنِ يسار ، وذكر غيرُه أنه لأخيه أحمد بن يسار . والغناء ليونسَ الكاتب ، ولحنُهُ من الثقيل الثانى بإطلاق الوتر فى مجرى البِنصِر ، وفيه ثقيل أول بالبِنصِر . ذكر حَبَش أنه لمالك ، وذكر غيره أنه لمعبد .

أخبار حجية بن المضرب(١)

تجعله عائشة مثلا في بر صبية لأخيه مات عنهم

حدثني ابن عمار، قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق، عن سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني المحبر بن قحذم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

لما قدم القاسم بن محمد بن أبي بكر وأخته من مصر — وأخبرني بهذا الخبر محمد ابن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة، قال: كان القاسم بن محمد بن أبي بكر يحدث، قال:

لما قتل معاوية بن حديج الكندي وعمرو بن العاص أبي — يعني محمد بن أبي بكر بمصر — جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختا لي من مصر. وقد جمعت الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر، وخبره أتم قال.

فقدم بنا المدينة، فبعثت إلينا عائشة، فاحتملتنا من منزل عبدالرحمن إليها، فما رأيت والدة قط، ولا والدا أبر منها، فلم نزل في حجرها(٢) حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثيابا بيضاء، ثم أجلست كل واحد منا(٢) على فخذها، ثم بعثت إلى عمي عبدالرحمن، فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله — عز وجل — وأثنت عليه. فما رأيت متكلما ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها، ثم قالت:

يا أخي إني لم أزل أراك معرضا عني منذ قبضت هذين الصبيين منك، ووالله ما قبضتهما تطاولا عليك، ولا تهمة لك فيهما، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلا ذا نساء، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئا، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرن(٣) به من قبيح أمر الصبيان فكنت ألطف لذلك وأحق بولايته، فقد قويا

(١) لم ترد هذه الترجمة في طبعة بولاق، وجاءت في ملحق برنو وموضعها هنا في المخطوطات المعتمدة.

(٢-٢) زيادة من التجريد يتم بها الكلام.

(٣) في ف: «يتقذرنه»، وفي س: «يتقدرن»، وهو تحريف.

على أنفسهما وشبا ، وعرفا ما يأتيان ، فهاهما هذان فَضُمَّهما إليكَ ، وكن لهما كحجيّة بن المضرب أخي كندة ، فإنه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك أُصَيْبية(١) صغاراً فى حجر أخيه ، فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عَلَيْهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنه عرض له سفر لم يجد بداً من الخروج فيه ، فخرجَ وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمه ، وكان يقال لها : زينب ، فقال : اصنَعِى بِبَنِى أخى ما كنت أصنع بهم ، ثم مضى لوجهه فغاب أشهراً ، ثم رجع وقد ساءتْ حالُ الصبيان وتغيّرت ، فقال لامرأته : ويلك ! مالى أرى بنَى معدان مهازيل ، وأرى بَنىّ سِمَانا ؟ قالت : قد كنت أواسِى بينهم ، ولكنّهم كانوا يعبثون ويلعبون ، فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينبُ لكم ؟ قالوا : سيِّئَة ، ما كانت تعطينا من القوت إلا ملْء هذا القَدَح من لبن — وأرَوْهُ قدحاً صغيراً — فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها ، حتى إذا أراح(٢) عليه راعيا إبلِه قال لهما : اذهبا ، فأنتما وإبلكما لبنى معدان . فغضبت من ذلك زينبُ وهجرته ، وضربت بينه وبينها حجاباً ، فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غبوقاً أبداً ، وقال فى ذلك(٣) :

شعره فى امرأته حين عرف سوء معاملتها لصغار أخيه

لجِجْنَا وَلجّت هذه فى التغضّب ... ولطّ(٤) الحجابِ بيننا والتجنّبِ

وخطتْ بفردَىْ إثمدٍ جفنَ عينها ... لتقتلَنى وشدّ ما حُبُّ زينب

تلومُ على مالٍ شفانى مكانُه ... فَلُومِى حياتى ما بدالك واغضبى

(١) أصيبية تصغير أصبية ، جمع صبى . وفى التجريد : « صبية » .
(٢) أراح عليه إبله : ردها عليه رواحا .
(٣) الشعر فى شرح ديوان الحماسة بشرح ص ١١٧٦ .
(٤) اللط : الستر .

رحِمتَ بنى مَعْدانَ أنْ (١) قلَّ مالُهُمْ ... وحق لهم مِنى وربِّ المحصَّبِ (٢)

وكان (٣) اليتامى لا يَسُدُّ اختلالَهم (٤) ... هدايا لهم فى كل قَعْبٍ مشعَّبِ (٥)

فقلت لعبدَيْنا : أريحا عليهمُ ... سأجعل بَيْتى بيتَ آخرَ مُعْزِبِ (٦)

وقلتُ خذوها واعلموا أن عمَّكمْ ... هو اليومَ أولى منكمُ بالتكسبِ

عِيالِى (٧) أحقُّ أن ينالوا خصاصةً ... وأن يشربوا رَنْقاً إلى حين (٨) مكسبِ

أحابى بها من لو قصدتُ لمالِه ... حَرِيباً (٩) لآسانى على كل موكِبِ

أخِى والذى إن أدْعُه لعظيمة ... يُجِبْنى وإن أغضَبْ إلى السيف يَغْضَبِ

إلى ها هنا رواية ابن عمار .

تركته زوجته الى المدينة وأسلمت فراح يطلبها

وفى خبر إسحاق قال : فلما بلغ زينبَ هذا الشعرُ وما وهب زوجها خرجتْ حتى أتت المدينة فأسلَمت ، وذلك فى ولاية عمر بن الخطاب ، فقدِم حجية المدينة فطلب زينب أن تُرَدَّ عليه ، وكان نصرانياً ، فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته ، فقال له : إياك وأنْ يَبْلُغَ هذا عنك عمر فتلقَى منه أذى . وانتشر خبر حُجَيَة وفشا بالمدينة وعُلِم فيم كان مقدَمُه ، فبلغ ذلك عمر ، فقال للزبير : قد بلغنى قصة ضيفك ، ولقد هممت به لولا

(١) فى التجريد : «إذ» .
(٢) المحصب : موضع رمى الجمار .
(٣) فى الحماسة : «رأيت» .
(٤) فى الحماسة : « فقورهم» .
(٥) المشعب : المجبور فى مواضع منه .
(٦) المعزب : الخالى من الإبل ، من أعزبت الإبل : إذا بعدت عن أهلها فى المرعى .
(٧) فى الحماسة : « بنىَّ » .
(٨) فى الحماسة : « لدى كل مشرب » .
(٩) الحريب : المسلوب المال ، حرِب ، بفتح الراء يحرب ، بضمها .

يمدح الزبير بن العوام ويرحل كئيبا يائسا

تحرُّمه[1] بالنزول عليك ، فرجع الزبيرُ إلى حُجَيَّةَ فأعلمه قول عمر ، فقال حجية في ذلك :

إنَّ الزبيرَ بنَ عوّامٍ تداركنى
منه بسَيْبِ كريمٍ سَيْبُه عِصَمُ[2]
نفسى فداؤُك مأخوذاً بحُجْزتِها[3]
إذ شاط[4] لحمى وإذ زلّت بىَ القدم
إذ لا يَقومُ بها إلا فَتًى أُنُفٌ
عارى الأشاجع[5] فى عِرْنينه[6] شَمَمَ

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده ، آيساً من زينب كئيباً حزيناً ، فقال في ذلك :

* تصابيتَ أمْ هاجَتْ لك الشوقَ زينبُ *

الأبيات المذكور فيها الغناء .

(١) تحرمه : احتماؤه .
(٢) عصم : جمع عصمة ، وهى المنع والصيانة . وفى ش ، ب والتجريد : «عمم» ، وهو الكثير المجتمع .
(٣) الحجزة : معقد الإزار ، وموضع التكة من السراويل .
(٤) شاط لحمى : استبيح قتل ، من شاط دمه : إذا بطل وأهدر .
(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف . أو هى عروق ظاهر الكف .
(٦) العرنين : الأنف كله ، أو ما صلب من عظمه .

صـــوت

خليلى هُبّا نَصْطَبِح بسواد ونُروِ قُلوباً هامُهُنّ صوادِ
وقولا لساقينا زياد يُرِقُّها فقد هَزّ بعضَ القوم سقيُ زيادِ

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر .

خبر إسحاق مع غلامه زياد

وصف زياد غلام إسحاق

هذا الشعر[١] يقوله إسحاق فى غلام له مملوكٍ خِلاَسىٍّ[٢] ، يقال له : زياد . كان مولَّدًا من مولَّدى المدينة ، فصيحا ظريفا ، فجعله ساقيه ، وذكره هو وغيره فى شعره . فمِمَّن ذكره من الشعراء دِعبل ، وله يقول :

أخبرنى بذلك علىّ بن سليمان الأخفش ، عن أبى سعيد السُّكرىّ قال : كان زياد الذى يذكره إسحاق فى عدة مواضع ، منها قوله :

* وقولا لِسَاقينا زيادٍ يُرِقُّها *

— وكان نظيفَ السَّقْى لَبِقا ، فقال فيه دعبل :

يقول زيادٌ قِف بصحبِك مَرةً على الرَّبع ، مالى والوقوفَ على الربْعِ !

صــوت

أدِرْها علَى فَقْدِ الحبيب فربَّما شربتُ على نَأىِ الأحبة والفَجْعِ

فما بلغَتْنِى الكأسُ إلا شربتُها وإلا سَقيتُ الأرضَ كأسًا من الدمع

نسبة الصوت إلى غير إسحاق

غنى فى البيت الثانى والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس بن عبد الله بن طاهر لحنا من خفيف الثقيل الأول بالبِنصر .

قال أبو الحسن : وقد قيل : إن هذين البيتين — يعنى :

* خليلَىَّ هُبَّا نصطبِحْ بسواد *

(١) هذا الخبر مما لم يرد فى بولاق، وأوردها برنو فى الملحق وموضعه هنا فى المخطوطات المعتمدة .

(٢) الخلاسى : الولد من أبوين : أبيض وأسود .

— للأخطل .

زياد يراجع إسحاق وهو يغنى

أخبرنى علىُّ بن سليمان ، قال : حدثنى أبى ، قال :

قال لى جعفر بن معروف الكاتب — وكان قد جاوز مائةَ سنة : لقد شهِدتُ إسحاق يومًا فى مجلس أُنس وهو يتغنّى هذا الصوت :

* خليلىَّ هبّا نصطبح بسواد *

وغلامُه زياد جالسٌ على مِسْوَرة[1] يَسقى ، وهو يومئذ غلام أمرد أصفر ، رقيق البدن حلو الوجه . ثم أخذ يراجعه ولا[2] أحد يستطيع يقول له : زدنى ولا انقصنى .

يعتقه إسحاق ويزوجه

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم الأنبارىّ ، قال : حدثنى أحمد بن الهيثم ، يعنى جدَّ أبى — رحمه الله — قال :

كنت ذات يوم جالسا فى منزلى بِسُرَّ مَن رأى وعندى إخوان لى ، وكان طريقُ إسحاق فى مُضيِّه إلى دار الخليفة ورجوعِه منها على منزلى ، فجاءنى الغلام يوما وعندى أصدقاء لى فقال لى : إسحاق بن إبراهيم الموصلى بالباب ، فقلتُ له : قل له ، ويلك ! يدخلُ ، أوَفى الخلقِ أحد يُستأذَن عليه لإسحاق !

فذهب الغلام وبادرتُ أسعَى فى أثره حتى تلقيته ، فدخل وجلس منبسطا آنسا ، فعرضنا عليه ما عندنا ، فأجاب إلى الشُّربِ ، فأحضرناه نبيذا مشمَّسا فشرب منه ، ثم قال : أتحبون أن أغنّيكم ؟ قلنا : إى والله أطال الله بقاءك ، إنا نحب ذلك . قال : فلِمَ لم تسألونى ؟ قلنا : هِبنَاكَ والله ، قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بِعُود فأحضرْناه ، فاندفع فغنانا ، فشربنا وطربنا . فلما فرغ قال : أحسنتُ أم لا ؟ فقلنا : بلى والله ، جعلنا الله فداءك ، لقد أحسنتَ . قال : فما منعكم أن تقولوا لى : أحسنت !

---

(١) المسورة : المتكأ من الجلد ، ومثلها : المسور .

(٢) كذا فى نسخة بيروت ، وفى ب ، س : « وبما أحد » ، وهو تحريف .

قلنا : الهَيْبَةُ واللهِ لك ، قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون ، فإنّ المغنّيَ يُحب أن يقال له : غَنِّ ، ويحبّ أن يقال له إذا غنّى : أحسنت ، ثم غنانا صوتَه :

* خليليّ هُبّا نصطبحْ بسواد *

فقلنا له : يا أبا محمد ، مَن هو زياد الذى عنيتَه ؟ قال : هو غلامى الواقف بالباب ، ادْعُوه ياغلمان ، فأُدْخِلَ إلينا ، فإذا غلام خِلاسىّ ، قيمته عشرون دينارا أو نحوُها . فأمسكنا عنه ، فقال : أتسألونى عنه فأعرِّفكم إياه ويخرجُ كما دخل ، وقد سمعتم شعرى فيه وغنائى ؟ أُشْهِدكم أنه حرٌّ لوجه الله ، وأنّى زوّجته أَمَتى فلانة ، فأعينوه على أمره . قال : فلم يَخرج حتى أوصلْنا إليه عشرين ألفَ درهم ، أخرجْناها له من أموالنا .

إسحاق يرثيه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال : حدثنى أبى ، قال : توفى زياد غلام إسحاق الذى يقول فيه :

* وقولا لِساقينا زيادٍ يُرِقْها *

فقال إسحاق يرثيه :

فَقَدْنا زيادًا بعد طول صَحابة ... فلا زال يَسقِى الغيثُ قبرَ زياد

ستبكيك كأسٌ لم تجد من يُدِيرُها ... وظمآنُ يستبْطِى الزجاجةَ صادِ

يطلب الأمين إسحاق فيغنيه

أخبرنى عمى ، قال : حدثنى ابن المكى عن أبيه ، قال :

اصطبح محمد الأمين ذات يوم ، وأمر بالتوجيه إلى إسحاق ، فوُجِّه إليه عِدّةُ رسل ، كلهم لايصادفه ، حتى جاء أحدهم به ، فدخل منتشياً ومحمد مغضب . فقال له : أين كنت ويلك ! قال : أَصبحتُ يا أمير المؤمنين نشيطا ، فركبت إلى بعض المتنزهات ، فاستطبْت الموضع وأقمت فيه وسقانى زياد ، فذكرْتُ أبياتا للأخطل وهو يسقينى ، فدار لى فيها لَحْنٌ حسن فصنعته فيها ، وقد جئتك به . فتبسّم ، ثم قال : هات ، فما تزال تأتى بما يُرْضِى عنك عند السخط ، فغناه :

صـــوت

إذا ما زيادٌ علَّنى ثم علَّنى ثلاثَ زجاجات لهنّ هَدِيرُ
خرجْت أَجُرُّ الذيل زهوًا كأننى عليك أميرَ المؤمنين أمير

قال : بل على أبيك ، قَبَّح الله فِعلك ، فما يزال إحسانُك فى غنائك يمحو إساءتك فى فِعلك ، وأمر له بألف دينار .

الشعرُ فى هذين البيتين للأخطل ، والغناء لإسحاق ، رمل بالبنصر . ورواية شعر الأخطل :

* إذا ما نديمى عَلّنى ثم علّنى *

وإنما غيَّره إسحاق فقال : « إذا ما زياد » .

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان عن محمد بن يزيد النحوىّ :

أن عبدَ الملك بنَ مروان قال للأخطل : ما يدعوكَ إلى الخمر ؟ فو الله إن أولها لَمُرّ ، وإنّ آخرها لَسُكر ! قال : أجل ، ولكن بينهما حالة ، ما مُلْكُك عندها بشىء ، وقد قلت فى ذلك :

إذا ما نَدِيمى عَلَّنِى ثم عَلّنى ثلاثَ زجاجات لهنّ هَدِيرُ
خرجْتُ أجرُّ الذيل زهوًا كأننى عليكَ أميرَ المؤمنين أمير

قال : فجعل عبد الملك يضحك .

صـوت

أشارتْ بِطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها إشـــارةَ محزونٍ ولم تتكلمِ
فأيقنْت أن الطرف قد قال مَرْحَبًا وأهلا وسهلا بالحبيبِ المسلَّمِ
هنيئا لـكم حُبِّى وصَفوُ مَوَدّتى فقد سِيطَ مِن لَحمى هوَاكِ ومن دَمِى[١]

الشعر لعمرَ بن أبى ربيعة ، والغناء لابن عائشة ثانى ثقيل بالبنصر ، وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر . ويقال : إنه لابن سُرَيج ، وقيل : إن الثقيل الأول لابن عائشة ، والثقيل الثانى لابن سريج ، وفيه خفيف ثقيل أول ، ينسب إلى ابن سريج وإلى على ابن الجوارىّ .

(١) سيط : خلط .

خبر لحبابة مع ابن عائشة[١]

اشتياق حبابة إلى ابن عائشة فتحتال لتسمع غناءه

أخبرنى الحسن بن يحيى وابن أبى الأزهر، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن المدائنىّ، قال:

كانت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك مُعْجَبَةً بغناء ابن عائشة، وكان ابن عائشة حديث السن، فلما طال عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه، فلم تَدْر كيف تصنع، فاختلفت هى وسلّامةُ فى صوت لمعبَد، فأمر يزيد بإحضاره ووجّه فى ذلك رسولًا، فبعثَت حبابة إلى الرسول سرًّا فأمرَته أن يأتى ابنَ عائشة وأميرَ المدينة فى خفاء، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سرًّا، وقالت: قل لهما يَسْتُرَان ذلك عن أمير المؤمنين.

فلما قدِم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابة، فأمر ابن عائشه بالرحلة مع معبد، وقال لمعبد: انظر ما تأمرك به حبَابة فانتهِ إليه، فقال: نعم، فخرجا حتى قدما على يزيد، وبلغ الخبرُ حبَابة فلم تدر كيف تصنع فى أمر ابن عائشة. فلما حضر معبد حاكمت سَلّامَةَ إليه، فحكم لها، فاندفعت فغنت صوتًا لابن عائشة، وفيه لابن سُرَيج لحن، ولحنُ ابن عائشة أشهرهما، وهو:

* أشارت بِطَرْف العين خيفةَ أهلها *

فقال يزيد: ياحبيبتى، أنّى لكِ هذا ولم أسمعه منك، وهو على غاية الحسن؟ إنّ لهذا لَشأنًا، فقالت: يا أمير المؤمنين، هذا لحن كنت أخذتُه عن ابن عائشة، قال: ذلك الصبى! قالت: نعم، وهذا أستاذُه — وأشارت بيدها إلى معبد — فقال لمعبد: أهذا لحن ابن عائشة أوانتحلَه؟ فقال معبَد: هذا — أصلح الله الأمير — له، فقال يزيد: لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه، فقال معبد: هو والله مَعِى لايفارقنى، فقال يزيد:

(١) هذا الخبر مما لم يرد فى بولاق، وورد فى ملحق برنو، وموضعه هنا.

ويلك يامعبد ! احتملنا الساعة أمرك ، فزدتنا ما كرهنا ، ثم قال لحبابة : هذا والله عملك ، قالت : أجل ياسيدى ، قال لها : هذه الشامُ ، ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة . قالت : ياسيدى أنا والله أحب أن أسمعَ من ابن عائشة ، فأُحْضِرَ ، فلما دخل قال له : هات صوتاً غنته حبابة :

* أشارت بطرف العين خيفة أهلها *

فغنّاه ، فقال : هو والله ياحبابة مِنه أحسنُ منه منك ، قالت : أجل ياسيدى ، ثم قال يزيد : هات يا محمد ما عندك ، فغنى :

صوت

قِف بالمنازلِ قبل أن نتفرقا واستنطق الربعَ المُحيل المخلقا
عن عِلْمِ ما فعلَ الخليط لعله بجواب رجْعِ حديثهم أن ينطقا
فيبَين مِنْ أخبارهم لِمُتيَّم أمسى وأصبح بالرسوم معلّقا
كلفاً بها أبداً تَسُحُّ دموعُهُ وَسْطَ الديارِ مسائلاً مستنطقا
ذَرَفَتْ له عين يُرى إنسانُهَا فى لُجَّةٍ من مائها مغرورقا
تُرِى محاجرُهَا الدموعَ كأنَّهَا دُرٌّ وَهَى من سلكه مستوسقاً[1]

الغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى ، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق فى مجرى الوسطى ، ويقال : إن فيه لابن جندب وحُنين لحنين ، قال : فقال له يزيد : أهلا وسهلا بك يا بن عائشةُ ، فأنت والله الحسنُ الوجه ، الحسن الغناء ، وأحسنَ إليه ووصله .

ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس ، وبعث إليه حبابة بِبِرّ وألطاف واتّبعتْها سلامة فى ذلك .

(١) مستوسقاً : مجتمعا .

صــوت (١)

لما سمعتُ الديك صاح بسُحْرة ... وتوسط النسران بَطْنَ العَقْرَبِ
وبدا سُهَيل فى السماء كأنه ... نور وعارضه هِجان الرَّبرَب
نبّهتُ نَدمانى وقلت له اصطبح ... يابن الكرام من الشراب الطيب
صفراء تبرُق فى الزجاج كأنها ... حدق الجرادة أو لُعَاب الجندب

الشعر لأبى الهندىّ ، والغناء لإبراهيم الموصلىّ ، ثانى ثقيل بالبنصر عن عَمْرو .

(١) الصوت من مج ، مل .

أخبار أبى الهندى ونسبه[١]

اسمه ونسبه وشعره

اسمه غالب بنُ عبد القُدُّوس ، بنِ شَبَث بنِ رِبْعِىٍّ . وكان شاعراً مطبوعاً ، وقد أدرك الدولتين : دولة بنى أمية ، وأول دولة ولد العباس . وكان جَزْل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعانى . وإنما أخمله وأمات ذِكرَه بُعْدُه من بلاد العرب ، ومُقامه بِسِجِسْتان وبخراسان ، وشغفه بالشراب ومعاقرته إياه ، وفِسقه وما كان يتهم به من فساد الدين . واستفرغ شِعرَه بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وَكْدَه وَقَصْدَه ، ومن مشهور قوله فيها ومختاره :

هو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام

سقَيتُ أبَا المُطرَّح[٢] إذ أتانى ... وذو الرَّعثات[٣] منتَصِبٌ يصيحُ

شرابا يهرُب الذِّبّان منه ... ويَلثَغ حين يشربه الفصيحُ

أبو نواس يأخذ من معانيه فى الخمر

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال حدّثنى فضل اليزيدى أنه سمع إسحاق الموصلى يوماً يقول ، وأنشد شعراً لأبى الهندىّ فى صفة الخمر ، فاستحسنهُ وقرّظه ، فذُكر عنده أبو نواس ، فقال : ومِن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة ؟ وأنا أُوجدكم سَنْخَه هذه المعانى كلّها فى شعره ، فجعل ينشد بيتا من شعر أبى الهندىّ ؛ ثم يَستخرج المعنى والموضع الذى سَرقه الحسن فيه حتى أتى عَلَى الأبيات كلها واستخرجها من شعره .

أخبرنى الحسن بنُ علىّ ؛ قال : حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال :

---

(١) هذه الترجمة لم ترد فى بولاق ، ووردت فى ملحق برنو ، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة .

(٢) فى ف والتجريد : « المطوح » ، وفى المختار : « المطوع » .

(٣) ذو الرعثات : الديك ، والرعثات : جمع رعثة ، وهى عثنون الديك ، والعثنون فى الأصل : اللحية . ويراد بها هنا اللحمة التى تحت رأس الديك .

شعر مأخوذ من شعره

حدثنى عبد الله بن أبى سعد . قال : حدثنى شيخ من أهل البصرة ، قال : كنا عند أبى عُبيدة ، فأنشد منشد شعراً فى صفة الخمر — أُنسِيه الشيخ — فضحك ثم قال : هذا أخذه من قول أبى الهندىّ :

سَيُغنى أبا الهندى عن وَطْبِ[1] سالم ... أبَاريقُ لم يَعْلَق بها وَضَرُ[2] الزُّبْدِ
مُفَدَّمةٌ[3] قُزًّا[4] كأن رِقابَهَا ... رِقابُ بنات الماء تَفْزَعُ للرعد
جَلَتْهَا الجوالى حين طَاب مِزاجها ... وَطَيَّبْنَهَا بالمسك والعنبر والوَرْد
تَمجّ سُلافا فى الأباريق خالصاً ... وفى كلّ كأس من مَهَاحسن القَدّ
تَضَمّنها زِق أزَبّ[5] كأنه ... صريعٌ من السودانِ ذو شعَر جَعْدِ

ثلاثة أيام يسكر فيها كلما أفاق

نسخت من كتاب ابن النطّاح ، حدّثنى بعض أصحابنا :

أن أبا الهندىّ اشتهى الصّبوح فى الحانة ذات يوم ، فأَتى خَماراً بِسِجستَان فى محلّة يقال لهَا : كوه زيان — وتفسيره : جبل الخُسران — يباع فيهَا الخمر وَالفَاحشة ، وَيأْوى إليها كل خارِبٍ[6] وَزانٍ ومغنّية[7] ، فدخل إلى الخمار فقال له : اسقنى ، وَأعطاه دينَاراً ، فـكال له ، وَجعل يشرب حتى سكر ، وَجاء قوم يسألون عنه فصادفوه عَلَى تلك الحَال . فقَالوا للخمّار : ألحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، فانتبه فسأل عنهم ، فعرّفه الخمّار خبرهم ،

(١) الوطب : سقاء اللبن .
(٢) الوضر : وسخ الدسم .
(٣) مفدمة : وصف من فدم الإناء : إذا جعل عليه الفدام ، وهو مصفاة صغيرة ، أو خرقة تجعل على فم الإبريق ليصفى بها ما فيه .
(٤) القز ، بالضم : التباعد من الدنس ، وكل ما يستقذر ، يريد أنها قدمت صيانة لها ، ومحافظة على ما فيها .
(٥) أزب ، هو فى الأصل : كثير شعر الوجه والأذنين ، والمراد أنه ذو شعر .
(٦) الخارب : اللص .
(٧) كذا فى ف ، وفى ب ، س : « بغيّة » ، ولا وجه لإلحاق التاء ببغى .

فقال له : هذا الآن وقت السكر ، الآن طاب ، ألحقنى بهم ، فجعل يشرب حتى سكر ، وانتبهوا فقالوا للخمار : ويحك ! هذا نائم بعد ! فقال : لا ، ولقد انتبه ، فلما عرَف خبركم شرب حتى سكر ، فقالوا : ألحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، وانتبه فسأل عن خبرهم ، فعرّفه فقال : والله لألحقنّ بهم ، فشرب حتى سكر ، ولم يزل ذلك دَأْبَه ودأْبَهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم فى موضع واحد ، ثم تركوا هُم الشرب عمدا حتى أفاق ، فلقُوه .

وهذا الخبر بعينه يُحكى لوالبة بن الحُبَاب مع أبى نواس ، وقد ذُكر فى أخبار والبة ، والصحيح أنه لأبى الهندىّ ، وفى ذلك يقول :

نَدَامَى بعْدَ ثالثةٍ تلاقَوْا ... يَضمُّهمُ بِكُوه زيَانَ راحُ
وقد باكرتُها فترُكت منها ... قتيلا ما أصابتنى جِراح
وقالوا أيّها الخمارُ مَنْ ذا ؟ ... فقال أخ تَخوّنه اصطباحُ
فقالوا هاتِ راحَك ألْحِقْنا ... به وتَعلَّلوا ثم استراحوا
فما إنْ لَبّثتْهم أن رَمتْهمْ ... بَحدٍّ سلاحِها ولها سلاح
وحان تَنبُّهى فسألتُ عنهمْ ... فقال أناحَهُمْ قَدَر مُتَاحِ
رأوك مُجَدَّلا فاستخبرونى ... فحرّكهم إلى الشرب ارتياح
فقلْتُ بِهِمْ فألحقنى فهبّوا ... فقالوا هل تَنَبَّه حين راحوا ؟
فقال نعم فقـــالوا ألحِقَنْا ... بِهِ قد لاح للرائى صباح
فما إن زال ذاك الدأب منّا ... ثلاثا يُستغبُّ(١) ويستباح
نَبيتُ معًا وليسَ لنـــا لقـــاء ... بيبت ما لنا فيه براحُ(٢)

---

(١) كذا فى الأصل ، كأنه استفعال من الغب ، والمراد التناوب . وفى المختار : «يستهب» ، وفى التجريد : «يستحل» .

(٢) هذا البيت زيادة من المختار والتجريد .

يموت مختنقا

أخبرنى عمى الحسنُ بنُ أحمد ، قال : حدثنى الحسن بن عُلَيل العنَزِىّ ، قال : قال صدقةُ بن إبراهيم البكرىّ :

كان أبو الهندىّ يشرب معنا بمَرْو ، وكان إذا سكر يتقلب تقلّبا قبيحا فى نومه ، فكنا كثيرا ما نَشدُّ رِجله لئلا يسقط من السطح ، فسكر ليلة وشددنا رجله بحبل ، وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه ، فتقلَّب وسقط من السطح ، وأمسكه الحبل فبقىَ منكَّسا وتخنَّق بما فى جوفه من الشراب ، فأصبحنا فوجدناه ميتا .

يشرب الفتيان عند قبره ويصبون عليه كأسه

قال صدقة : فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوبا :

اجعلوا إن متُّ يومًا كفَنِى ... ورَقَ الكرْم وقبرى[1] مَعْصَرهْ

إنَّنى أرجو من الله غدًا ... بَعْدَ شربِ الراح حُسنَ المغفره

قال : فكان الفِتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره ، ويشربون ويصبّون القدَح إذا انتهى إليه على قبره .

قال حماد بن إسحاق عن أبيه فى وفاة أبى الهندىّ : إنه خرج وهو سكران فى ليلة باردة من حانة خمّار وهو ريان ، فأصابه[2] ثلج فقتله ، فوُجد من غدٍ ميتا على الطريق .

شعره وقد كف عن الشراب مدة

ورَوى حماد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : حج نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهندىّ ، فلما حضَرَت أيام الموسم قال له : يا أبا الهندىّ ، إنّا بحيث تَرى ، وَفْدُ الله وزُوّار بيته ، فهب لى النبيذ فى هذه الأيام واحتكم علىّ ، فلولا ما ترى ، ما منعتُك ، فضَمِن له ذلك وغلّظ عليه الاحتكام ، ووكّل به نصر بن سيار ، فلما انقضى الأجل مضى فى السحَر قبل أن يلقَى نصرا ، فجلس فى أكمة يشرف منها على فضاء واسع ، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة ، وأقبل يشرب ويبكى ، ويقول :

(١) فى المختار : « وقشر المعصرة » .

(٢) فى المختار : « فأصابه الثلج » .

أدِيرا علىّ الكأس إنى فقدتُها ... كما فقد المَفطومُ درّ المَراضِعِ

حليف مُدامٍ فارق الراحُ روحَه ... فظل عليها مستهِلّ المَدامع

قال: وعاتب قوم أبا الهندىّ على فسقه ومعاقرته الشراب، فقال:

إذا صلّيتُ خمسا كلّ يومٍ ... فإنّ الله يغفر لى فُسُوق

ولَم أُشركْ بِرَبّ الناسِ شيئا ... فقد أُمسكت بالدِّين[1] الوثيق

وجاهدتُ العَدُوّ ونِلْتُ مالاً ... يبَلِّغُنى إلى البيت العتيق

فهذا الدين ليس به خفاء ... دَعُونى من بُنَيّات الطريق[2]

شعره وقد امتنع من أجر فسقه

قال إسحاق: وشرب يوما أبو الهندى بكوه زيان عند خمارة هناك، وكان عندها نِسْوةٌ عواهِر، ففجر بهنّ ولم يعطهنّ شيئاً، فجعلن يطالبنه بجُعْل فلم ينفعهن، فقال فى ذلك:

آلى يميناً أبو الهندِىِّ كاذبةً ... لَيُعْطِينّ زوانِى لستَ ماشينا[3]

وغرّهُنّ فلمّا أن قضى وطَراً ... قال ارتَحِلْن فأخزى الله ذادينا

يخطب امرأة فيرد أهلها خطبته

أخبرنى عمى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، عن أبى محلم، قال:

خطب أبو الهندىّ غالبُ بنُ عبد القدوس بن شَبَث بن رِبعىّ إلى رجل من بنى تميم، فقال: لو كنتَ مثلَ أبيك لزَوّجتك، فقال له غالب: لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت إليك.

أمثلة من سرعة جوابه

قال أبو محلم: ومرّ نَصر بن سيّار بأبى الهندىّ، وهو سكران يتمايل، فوقف عليه فعذَله وسبّه، وقال: ضيّعت شرفك، وفضحتَ أسلافك. فلما طال عتابه التفَت

(١) فى المختار: «الحبل».

(٢) بنيات الطريق: الطرق الصغيرة المنشعبة من الجادة.

(٣) لست: موضع بعينه.

إليه فقال : لولا أنى ضيّعتُ شرَفى لم تكن أنت على خراسان ، فانصرف نصر خَجِلا .

قال أبو مجلز : وَكان بسِجِسْتان رجل يقال له : برزين ناسكا ، وكان أبوه صُلِب فى خِرابة[1] فجلس إليه أبو الهندىّ — فطفِقَ يعذله ويُعرّض له بالشراب . فقال له أبو الهندىّ : أحَدُكم يرى القَذاة[2] فى عين أخيه ، ولا يرى الخشبة فى است أبيه ! فأخجله .

قال أبو مجلز : وكان أسرع الناس جواباً .

(١) الخرابة : سرقة الإبل .
(٢) القذاة : ما يقع فى العين أو الشراب من تبنة ونحوها .

صــوت

لقد قُلتُ حين قُرِّ   بتِ العيسُ يانوارُ
قِفُوا فاربعوا قليلا   فَلم يربعوا وسارُوا
فنفسى لهـا حنين   وقلبى له انكسارُ
وصدرى به غليل   ودمعى له انحدارُ(١)

الشعر لسعيد بن وهب ، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشامىّ ، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية .

(١) هذا الصوت والترجمة بعده من مج ، هد ، مل ، ولم يرد فى بولاق .

أخبار سعيد بن وهب

نسبه ومنشؤه

سعيدُ بنُ وهب أبو عثمان مولى بنى سلمة بن لؤىّ بن نصر ، مولده ومنشؤه[١] بالبصرة ، ثم سار إلى بغداد فأقام بها ، وكانت الكتابة صناعتَه ، فتصرّف مع البرامكة فاصطنعوه ، وتقدم عندهم .

أكثر شعره فى الغزل

وكان شاعراً مطبوعا ، ومات فى أيام المأمون ، وأكثرُ شعْرِه فى الغزل والتشبيب[٢] بالمذكّر ، وكان مشْغُوفا بالغلمان والشراب .

ثم تنسك[٣] وتاب ، وحــج راجلا على قدمَيْه ، ومات على توبة وإقلاع ومذهب[٤] جميل .

ومات وأبو العتاهية حَىّ ، وَكان صديقه فرثاه .

أبو العتاهية يرثيه

فأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش . عن محمد بن مزيد . قال :

حُدِّثت عن بعض أصحاب أبى العتاهية . قال : جاء رجل إلى أبى العتاهية — ونحن عنده — فسارّه فى شىء فبكى أبو العتاهية ، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك ؟ فقال ، وهو يحدثنا لايريد أن يقول شعراً :

قالَ لى ماتَ سعيدُ بن وهب ... رحم الله سعيدَ بنَ وهبِ
يا أبا عثمانَ أبكيتَ عَيْنى ... يا أبا عثمان أوجَعتَ قلبى

قال : فعجبنا من طبعه وأنّه تحدّث ، فكان حديثه شعراً موزونا .

---

(١) هذه الترجمة مما لم يرد فى طبعة بولاق ، وهو فى ملحق برنو وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة .

(٢) فى المختار : « كان أكثر شعره فى الغزل والشراب والتشبيب ... » ، وفى التجريد : « وكان أكثر شعره فى الغزل والشراب » .

(٣) فى المختار والتجريد : « نسك » .

(٤) فى المختار : « وملعب » .

وأخبرنى الحسن بن علىّ الخفاف . قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى سيبويه أبو محمد ، قال :

يتوب ويتزهد

كان سعيد بنُ وهب الشاعر البصرىّ مولى بنى سامة قد تابَ وتزهّد ، وَترك قول الشعر . وكان له عشرةٌ من البنين وعشرُ من البنات ، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه .

وكان امرأ صدقٍ ، كثيرَ الصلاة ، يزكّى فى كل سنة عن جميع ماعنده ، حتى إنه ليَزَكّى عن فضة كانت على امرأته .

أخبرنى عمى ، قال : حدثنى علىّ بن الحسين بن عبد الأعلى ، قال : حدثنى أبو عثمان الليثى ، قال :

شعره وقد توعده غلام كان يعشقه

كان سعيد بن وهب يتعشق غلاما يتشطر[1]، يقال له : سعيد ، فبلغه أنه توعده أن يَجْرَحَه ، فقال فيه :

مَنْ عذيرى مِن سميٍّ[2] مَنْ عذيرى من سعيد ؟
أنا باللحم أجاه ويجانى بالحديد[3]

حدثنى جحظة ، قال : حدثنى ميمون بن هارون ، قال :

شعره حين رأى كتاباً فى أحوال جميلة

نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كُتَّابِ السلطان فى أحوال جميلة ، فأنشأ يقول :

مَن كانَ فى الدنيا له شارةٌ فنحنُ مِن نظّارَةِ الدُّنْيا
نَرْمُقها من كَثَبٍ حَسْرةً كأنّنا لفظٌ بلا مَعْنى
يَعْلُو بها الناسُ وأيامُنا تذهب فى الأرذَلِ والأدْنى

شعره فى غلام وسيم حين رآه

أخبرنى عمى ، قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله

(١) يتشطر : يتعاطى أعمال الشطار ، جمع شاطر ، وهو الذى أعيا أهله خبثا .
(٢) ف « سمى » ، وهو تحريف .
(٣) أجاه أجؤه : أضربه بالسكين .

ابن يعقوب بن داود ، قال : حدثنى عبد الله بن أبى العلاء المغنى ، قال :

نَظَرَ إلىَّ سعيدُ بن وهب ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين اخضَرَّ شارِبِى ، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، فسلّمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد ، وقال : مَن هذا الغلام ؟ فتبسَّم ، وقال : هذا ابن صديق لى ، فأقبل علىَّ وقال :

لا تخرجَنَّ مع الغزىِّ لمغنم[1] إن الغزىَّ يراكَ أفضلَ مغنمِ
فى مثل وجهك يستحلُّ ذَوو التقى والدين والعلماء كل محرّم
ما أنت إلاغادةٌ ممكورة لولا شواربُك الْمُطِلَّةُ[2] بالفم

يستميل غلاما بالشعر

أخبرنى محمدُ بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثنى أحمد بن أبى طاهر ، عن أبى دعامة ، قال : مَرَّ سعيد بن وهب والكسائىّ ، فلقيا غلامًا جميل الوجه ، فاستحسنه الكسائىّ وأراد أن يستميله[3] ، فأخذ يذاكره بالنحو ويتكلم به ، فلم يملْ إليه ، وأخذ سعيد بن وهب فى الشعر ينشده ، فمال إليه الغلامُ ، فبعث به إلى منزله ، وبعث معه بالكسائىّ ، وقال له : حدّثه وآنِسْه إلى أن أجِىء وتشاغل بحاجة له ، فمضى به الكسائىّ ، فما زال يداريه حتى قضى حاجته وأَرَبَه ، ثم قال له : انصرف ، وجاء سعيد فلم يره ، فقال :

شعره وقد نال الكسائى من الغلام الذى استماله

أبُو حَسَنٍ لا يَفِى فمَن ذا يَفِى بَعْدَهُ ؟
أثَرْتُ لهُ شادِنًا فصايَدَهُ وحْدهُ
وأظهر لى غَدْرَةً وأخلفنى وعْدَهُ
سأطلبُ ما ساءه كما ساءنى جُهْدَهُ

(١) الغزىّ : الغزاة .

(٢) هد : « المطيقة بالفم » والممكورة : ذات الساق الغليظة .

(٣) فى المختار : « يستميله بالنحو » .

يرثى ابنا له

أخبرنى جعفر بن قدامة ، قال : حدثنى حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : كان سعيد بن وهب لى صديقا ، وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطاب ، من أ كيَسِ الصبيان وأحسنِهم وجها وأدبا ، فكان لا يكاد يفارقه فى كل حال ، لشدة شغفه به ، ورقته عليه . فمات وله عشرُ سنين ، فجزِعَ عليه جزعا شديدا ، وانقطع عن لذاته . فدخلْتُ إليه يوما لأعاتبه على ذلك ، وأستعطفهُ ، فحينَ رأى ذلك فى وجهى فاضتْ دموعه ، ثم انتحب حتى رحمتُه ، وأنشدنى :

عَينُ جُودى علَى أبى الخَطّابِ إذ تَوَلَّى غَضًّا بماء الشبابِ
لم يُقارِفْ ذَنبًا ولم يَبْلُغ الحنْـ ـث مُرَجًّى[1] مُطهَّرَ الأثوابِ
فَقَدتْه عَينى إذا ما سعى أتْـ رابه مِنْ جماعة الأتْرابِ
إنْ غدَا مُوحِشا لِدارِى فقد أصْـ ـبح أُنْسَ الثَّرَى وزينَ التُّرابِ
أحمدُ اللّهَ يا حَبيبى فإنّى بِكَ راجٍ منه عظيمَ الثوابِ

ثم ناشدنى ألاّ أذَكِّرَه بشىء مما جئتُ إليه ، فقمتُ ولم أُخاطبه بحرف .

وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق فى بعض دفاتره ، يقول فيه : أنشدَنى سعيد بن وهب لنفسه يَرْثى ابنا له صغيرًا ، وهىَ على ما ذَكره جعفرُ بنُ قدامة عن حماد سواء .

كان مألفة للغلمان والظرفاء والقيان

أخبرنى عيسى بنُ الحسين الورّاق ، قال : حدثنى أبو هِفَّانَ ، قال : حدثنى أبودعامة ، قال : كان سعيد بن وهب مَألَفةً لكل غلام أمْرَدَ ، وفتًى ظريف ، وقَيْنة مُحْسنة ، فحدثنى رجل كان يعاشره ، قال : دخل إليه يومًا وأنا عندَهُ غلامَانِ أمردَان ، فقالا له : قدْ تمَا كنا إليك : أيُّنا أجمل وجها ، وأحسن جسما ؟ وجعَلْنا لك

(١) فى س : « مزجى » ، وهو تحريف .

أجِزْ حُكمكَ أن تختار أيَّنا حكَمْتَ له ، فتقضى حاجتكَ منه . فحكم لأحدهما ، وقام فقضى حاجته واحتبسهما[1] فشربا عنده نبيذا ، ثم مال على الآخر أيضا ، وقمتُ معه . فداخلتهما حتى فعلتُ كفعلِه ، فقال لى سعيد : هذا يومُ الغاراتِ فى الحارات[2] ، ثم قال :

شعره فى غلامين احتكما إليه أيهما أجمل

رِئْمَانِ جاءا فحكّمانى ... لا حُكْمَ قاضٍ ولا أميرِ
هذا كشمسِ الضحَى جمالا ... وذَا كبَدْرِ الدُّجَى المُنِيرِ
وفضْلُ هذا كذا علَى ذا ... فضلُ خَمِيسٍ على عَشِير
قالا أشِرْ بَينَنَا برأيٍ ... ونجعلُ الفضل للمشير
تباذلا ثم قمت حتى ... أخذْتُ فضلى من الكبير
وكان عيبًا بأنْ أرانى ... أُحْرَمُ حَظِّى من الصغير
فكان مِنِّى ومِنْ قرِينى ... إليهما وثْبَةُ المُغِير
فمَنْ رأى حا كما كحُكْمِى ... أعظمَ جورًا بلا نكير !

وقال : وشاعتْ الأبيات حتى بلغت الرشيدَ ، فدَعا به فاستنشده إياها ، فتلكأ ، فقال له : أنشدْ ولا بأس عليك ، فأنشدَ ، فقال له : ويلك ! اخترْتَ الكبير سنا أو قدرًا ؟ قال : بل الكبيرَ قدرًا . قال : لو قلت غير هذا سقطتَ عندى واستخْففتُ بك . ووصله .

أخبرنى جعفر بن قدامة ، قال : حدثنى أبو العيناء ، قال :

يمدح الفضل بن يحيى ببيتين فيطرب لهما

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى فى يوم قد جلَسَ فيه للشعراء ، فجعلوا ينشدونه ويأمرُ لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد ، فالتفت إلى سعيدِ بن وهب كالمستنطق ، فقال له :

(١) فى المختار : « فحبسهما عنده وشربا » .
(٢) فى النسخ : « الخسارات » ، وأحسبها محرفة .

أيها الوزير ، إنى ما كنت استعددْتُ لهذه الحال ، ولا تقدّمت لها ، عندى مقدِّمة فأعرفها ، ولكن قد حضرنى بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما فرُبَّ قليلٍ أبلغَ من الكثير ، فقال سعيد :

مَدحَ الفضلُ نفسَه بالفَعالِ[1] ... فعَلَا عن مَديحنا بالمقالِ

أمرُونى بمدحِه قلتُ كلا ... كبُر الفضل عن مديح الرجالِ

قال : فطرب الفضل ، وقال له : أحسنتَ والله وأجدْت ! ولئن قلّ القولُ ونزَر لقد اتسع المعنى وكثر .

ثم أمر له بمثل ما أعطاه[2] كلَّ مَنْ أنشده مديحاً يومئذ ، وقال : لا خير فيما يجىء بعد بيتيك[3] ؛ وقام من المجلس وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سِواهما .

كان نديم الفضل ابن يحيى وأنيسه

حدثنى عمّى قال : حدثنى ميمونُ بن هارون ، قال : حُدّثت عن الخريمى ، قال : كان الفضل بنُ يحيى ينافسُ أخاه جعفراً ، وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبى شيخ خاصاً بجعفر ، ينادمُه ويأنس به فى خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل .

فدخلت يوماً إلى جعفر ، ودخل إليه سعيد بن وهب ، فحدّثه وأنشدَه وتنادر له ، وحكى عن المتنادرين ، وأتى بكل ما يَسُرُّ ويُطْرب ويُضْحك ، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك .

فلما خرج سعيد من عنده تجاهلْتُ عليه ، وقلت له : مَن هذا الرجل الكثير الهذيان ؟ قال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أخى

---

(١) مل ، مج : «بالمعالى» .

(٢) فى المختار : «أعطى» .

(٣) فى س : « بيتك » ، وهو تحريف .

أبى العباس وَخُلْصَانه وعشيقه ، قلت : وأىّ شىء رأى فيه ؟ قال : لا شىء والله إلا القَذَرُ والبرْد والغثاثة .

ثم دَخَلْتُ بعد ذلك إلى الفضل ، ودخل أنس بنُ أبى شيخ فحدّث وندّر، وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة ، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد ، فقلت له بعد أن خرج من حضرته : من هذا المُبَرَّد ؟ قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا أنس بن أبى شيخ صديق أخى أبى الفضل وعشيقه وخاصته . قلت: وأىّ شىء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدرى والله ، إلا القَذَر والبرْد وسوء الاختيار .

قال : وأنا والله أعرَف بسعيد وأَنِس من الناس جميعاً ، ولكنى تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما .

يفى للفضل بن الربيع فى نكبته فيعظم قدره

حدثنى عمّى ، قال : حدثنى ميمون بن هارون ، قال : قال إبراهيم بن العباس : قال لى الفضل بن الربيع ذات يوم : عرّفَتْنا أيامُ النَّكبة(١) مَن كنا نجهله من الناس ، وذلك أنا احتجنا إلى أن نُودع أموالنا ، وكان(٢) أمرُها كثيراً مفرِطًا ، فكنا نُلقيها على الناس إلقاء ، ونُودعها الثقة وغير الثقة ، فكان ممن أودَعته سعيدُ ابن وُهب ، وكان رجلاصعلوكا لامالَ له ، إنما صَحِبنا عَلَى البطالة(٣): فظننت أن ماأودعته ذاهب ، ثم طلبته منه بعدَ حين ، فجاءنى والله بخَوَاتيمه .

وأودعتُ علىّ بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة ، وكان عندى أوثق مَنْ أودعته ،

(١) فى المختار : « البلية » .
(٢) فى المختار : « وكانت كثيرة مفرطة » .
(٣) فى المختار : « البطالة والضحك » .

فلما أَمِنْتُ طالبته بالوديعة ، فجحدنيها وبهتنى[1] وحلف على ذلك ، فصار سعيد عندى فى السماء ، و بلغتُ به كل مبلغ ، وسقط علىّ بن الهيثم ، فما يصل إلىّ ولا يلقانى .

يحاجى جارية رجل من البرامكة

أخبرنى جعفر بن قدامه ، قال : حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه ، حدثنى عمرو بن بانة ، قال :

كان فى جوارى رجلٌ من البرامكة ، وَ كانت له جارية شاعرة ظريفة ، يقال لها : حسناء ، يَدْخل إليها الشعراء ويَسألونها عن المعانى ، فتأتى بكل مستحسنٍ من الجواب ، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً ، وجلَس إليها فحادثها طويلا ، ثم قال لها بعد ذلك :

حاجَيْتك[2] يا حَسْنا[3] ء فى جِنْسٍ من الشِّعر
وفيما طُولُه شِبرٌ وَقد يُوفى على الشِّبر
له فى رأسِه شَقٌ نَطُوفٌ[4] بالنَّدَى يجرى
إذا ما جَفّ لم يَجْرِ لَدَى بَرٍّ ولا بَحْرِ
وإنْ بُلَّ أتَى بالعـ جب العاجب والسِّحْرِ
أجيبى لم أُرِدْ فُحْشاً وربِّ الشفع والوتر
ولـكن صُغْتُ أبياتاً لها حظ من الزجر[5]

قال : فغضب مولاها وتغيرّ لونُه ، وقال أتُفْحِشُ على جاريتى وتخاطبها بالخنا ! فقالت له : خَفِّض[6] عليك ، فما ذهب إلى ما ظننت ، وإنما يعنى القلم ، فسُرِّىَ عنه ، وضحك سعيد وقال : هى أعلم منك بما سَمِعتْ .

(١) بهتنى : افترى على الكذب . (٢) حاجيتك : ألقيت عليك أحجية وفى البيت خرم .
(٣) سقطت الهمزة من أول عجز البيت فى ت .
(٤) نطوف : سيال .
(٥) فى المختار بعد الأبيات : «يريد القلم» ، فقالت له : عند أمك من خبر هذا المسئول عنه عجائب، فاسألها عنه تخبرك» .
(٦) خفض عليك : هون عليك .

صـــوت

دايَنْتُ أرْوَى والديون تقضى ... فمطَلَتْ بعضًا وأدَّتْ بعضا
يا ليتَ أرْوى إذ لَوَتْكَ القَرْضا ... جادت بقرض فشكَرْتَ القَرضا

الشعر لرؤبة بن العجاج ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى .

أخبار رؤبة ونسبه(١)

نسبه واسم أبيه

هو رؤبة بن العجّاج ، واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن حنيفة ، وهو أبو جُذَيْمٌ بن مالك بن قُدامة بنِ أُسامة بنِ الحارث بنِ عوف بن مالك بن سعد ابن زيد مناة بن تميم . من رُجّاز الإسلام وفصحائهم ، والمذكورين المقدّمين منهم ، [بدوىّ](٢) نزل البصرة ، وهو من مُخَضْرَمى الدولتين .

عصره والاحتجاج بشعره

مدح بنى أمية وبنى العباس ، ومات فى أيام المنصور ، وقد أخذ عنه وُجوهُ أهل اللغة ، وكانوا يقتدون به ، ويحتجون بشعره ، ويجعلونه إماما ؛ ويكنى أبا الجحّاف وأبا العجّاج .

يراه يونس بن حبيب أفصح من معد بن عدنان

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وأحمد بن عمار — واللفظ له — قال : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثنا خلاد بن يزيد ، قال : حدثنى يونس بن حبيب ، قال :

كنت جالسا مع أبى عمرو بن العلاء إذمرّ بنا شُبَيْلُ بن عَزْرَة الضُّبَعِىّ — قال أبو يزيد : وكان علاّمة — فقال : يا أبا عمرو ، أشعرتَ أنى سألت رؤبة عن اسمه فلم يدر ماهو ومامعناه ؟ قال يونس : فقلت له : والله لَرُؤْبَةُ أفصح من معدٍّ بن عدنان ، وأنا غلام رؤبة ، أفتعْرِف أنت رُوبة ورُوبة ورُوبة وروبة ورؤبة ؟ قال : فضَرَب بغلَته وذهب فما تكلم بشىء : قال يونس : فقال لى أبو عمرو : ما يسرنى أنك نَقَصْتَنى(٣) منها .

قال ابن عمار فى خبره : والروبة : اللبن الخاثر ، والروبة : ماء الفحل ، والروبة :

(١) هذه الترجمة وردت فى ملحق برنو : وموضعها هنا على حسب المخطوطات المعتمدة ، ووردت بعض أخبار رؤبة فى التراجم السابقة .

(٢) زيادة من المختار والتجريد .

(٣) فى المختار : وأنك تنقصنى منها .

الساعة تمضى من الليل ، والروبة : الحاجة ، والرؤبة : شعَب القَدَح ، قال : وأنشدنى بعد ذلك .

فأما تميمٌ تميمُ بن مرٍّ فألفاهم القومُ رَوْبَى[1] نياما

حدثنى ابن عمَّار ، قال : حدثنى عبد الله بنُ أبى سعد ، قال : حدثنى يحيى ابنُ محمد بنِ أعْينَ المَرْوَزِىُّ ، قال : حدثنى أبو عبيدة ، قال : شهدت شُبَيْلاً الضُّبَعِىّ وأبا عمرو ، فذكر نحوه .

أخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىَّ عَنْ محمدِ بن سَلّام ، قال : قلت ليونس : هل رأيت عربيا قطُّ أفصحَ من رؤبة ؟ قال : لا ، ما كان معدٌّ بن عدنان أفصح منه .

قال يونس : قال لى رؤبة : حتى متى أزَخْرِف لك كلام الشيطان ؟ أما ترى الشيب قد بلغ فى لحيتك !

يروى هو وأبوه الحديث

وقد رَوَى رؤبة بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه أبوه أيضا .

ينشد أبا هريرة فيشهد له بالإيمان

أخبرنى عبد الله بن أبِى داودَ السجستانىّ ، قال : حدثنا عبد الله بنُ محمد ابنِ خلَّاد ، قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهْرى ، قال : حدثنا محمد بن إبراهيم ، عن يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجاج ، عن أبيه قال : أنشدت أبا هريرة :

الحمدُ لله الذى تعَلّتِ[2] بأمره السماء واستقلّتِ
بإذنه الأرضُ وما تعيّتِ[3] أرسَى عليها بالجبال الثبّتِ
* الباعثِ الناسَ لِيوم الموّقت *

(١) الروبى : الذين أثخنهم السير ، فاستثقلوا نعاسا ، جمع رائب أو روبان .
(٢) تعلت : علت شيئا فشيئا .
(٣) فى الديوان واللسان « عنا تعنّت أى وما عصت . ويقال عيّا الراية أى نصبها » .

قال أبو هريرة : أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب .

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرىّ ، عن ابنِ شبّة ، عن أبى حرب البابىّ — من آل الحجاج بن باب — قال : حدثنا يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجاج ، عن أبى الشعثاء ، عن أبى هريرة ، قال :

كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وحَادٍ يَحْدُو :

طافَ الخيالأنِ فهاجَا سَقَمَا ... خيالُ لُبنَى وخيالُ تَكتُمَا
قامت تريك خشيةً أن تصرِمَا ... ساقًا بَخَنْداةً[1] وكعبا أدْرَمَا[2]

والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثنا عبد الله بنُ عمرو ، عن محمد بن إسحاق السهمىّ ، عن أبى عبيدة الحداد ، قال : حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبيه ، قال : سمعت أبا عبيدة يقول : السِّواكُ يُذْهِبُ وضَر[3] الطعام .

ينشد أبا مسلم الخراسانى فيجيزه

أخبرنى عمّى ، قال : حدثنا محمدُ بن سعد الكُرّانىُّ ، قال : حدثنا أبو حاتم والأشْنَانْدَانِىُّ أبو عثمان ، عن أبى عبيدة ، عن رؤبة بن العجاج ، قال :

بعث إلىَّ أبومسلم لما أفضت الخلافة إلى بنى هاشم ، فلما دخلْتُ عليه رأى مِنِّى جزَعا ، فقال : اسكن فلا بأس عليك ، ما هذا الجزَعُ الذى ظهرمنك ؟ قلت : أخافُك ، قال : ولِمَ ؟ قلتُ : لأنه بلغنى أنك تقتل الناسَ ، قال : إنما أقتل من يقاتلنى ويريد قتلى ، أفأنت منهم ؟ قلت : لا ، قال : فهل ترى بأسا ؟ قلت : لا ، فأقبَل على جلسائه ضاحكا ، ثم قال : أما ابن العجّاج فقد رخّص لنا ، ثم قال : أنشدنى قولك :

(١) الساق البخنداة : الممتلئة ، والبخنداة فى الأصل : المرأة التامة القصب .
(٢) الأدرم : المستوى .
(٣) الوضر : وسخ الدسم .

* وقاتِمِ الأعماقِ[1] خاوِى المختَرَقْ[2] *

قلت : أو أُنشِدُكَ — أصلحك الله أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته :

قلتُ وقولِى[3] مستجِدٌّ حَوْكا لبّيك إذ دعَوْتنى لَبّيْكا
* أحمدُ ربًّا ساقنى إليكا *

قال : هات كلمتَكَ الأولى ، قلت : أو أنشدك أحسن منها ؟ قال : هات ، فأنشدته :

ما زال يَبْنِى خَنْدَقًا ويهدمُهْ ويَستجيشُ عسكرا ويَهزِمُهْ
ومَغنما يَجْمَعه ويقسِمه مَرْوانُ لما أن تَهاوتْ أنجُمُهْ
* وخانه فى حكمه مُنَجِّمُهْ *

قال : دع هذا وأنشدنى : وقاتم الأعماق ، قلت : أو أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته :

رفعتَ بيتًا وخفضتَ بَيْتَا وشِدْتَ رُكن الدين إذ بنيتا
* فى الأكرمين من قريش بيتا *

قال : هات ما سألتك عنه ، فأنشدته :

ما زال يأتى الأمْرَ من أقطارِهِ على اليمين وعلى يسارِهِ
مشمِّرًا لا يُصطَلَى بنارِهِ حتى أقرَّ الملكَ فى قَرارِهِ
* وفَرَّ مروانُ على حمارِهِ *

قال : ويحك ! هات ما دعوتُك له وأمرتك بإنشاده ، ولا تنشد شيئا غيره ، فأنشدته :

---

(١) الأعماق : جمع عمق ، ويراد به هنا البعيد من أطراف المفاوز ، مستعار من عمق البئر .
(٢) المخترق : موضع الاختراق ، ويراد هنا ، موضع قطع المفاوز .
(٣) ف « ونسجى » .

* وقاتِمِ الأعماقِ خاوى المخترَق *

فلما صرت إلى قولى :

* يَرمِى الجلاميد بجُلمُودٍ مِدَق *

قال : قاتلك الله ! لَشَدّ ما استصلَبْتَ الحافر ! ثم قال : حسبك ، أنا ذلك الجُلْمُود المدقّ .

قال : وجىء بمنديل فيه مال فوضع بين يدىّ ، فقال أبو مسلم : يا رؤبة ، إنك أتيتنا والأموال مشفوهة[1] ، وإن لك لعودةً إلينا وعلينا مُعوَّلاً ، والدهر أطرقُ[2] مُسْتَتِبٌّ ، فلا تجعل بجَنْبَيْكَ الأَسدة[3] .

قال رُؤْبة : فأخذت المِنديل منه ، وتالله ما رأيت أعجميًّا أفصحَ منه ، وما ظننت أن أحداً يَعْرِف هذا الكلام غيرِى ، وغيرُ أبى .

قال الكَرَّانى : قال أبو عثمان الأشنانداني خاصة : يقال : اشتفَّ ما فى الإناء ، وَشَفَهُ : إذا أتى عليه ، وأنشد :

وكادَ المَالُ يَشفَهه عِيَالى ومَاذُو عَيْلَتى مَنْ لا أعُول[4]

يأكل الفأر ويفضله على الدواجن

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنى : محمد بن يزيد ، وأخبرنى إبراهيم

(١) مشفوهة : اشتد طلبها حتى نفدت .

(٢) فى ف : « أطرق مستلت » ، كأن (أطرق) وصف من طرق ، بكسر الراء : إذا اعوج . وكأن مستتب تحريف مستلت ، ومستلت وصف من استلت . يقال : استلت القصعة : إذا مسحها بإصبعه . فيكون المعنى أن الدهر لا يستقيم على حال ، يعطى ويستلب . وفى المختار : « الطريق مستتب » ، ومستتب : واضح . ولا يبدو لها هنا وجه .

(٣) لا تجعل بجنبيك الأسدة : لا يضيقن صدرك ، كأنما يوصيه بالاحتيال وحسن المحاولة . وفى المختار ، مج ، مل : « فلا تجعل بيننا وبينك الأسدة » وفى ف : « فلا تجعل بيننا وبينك الأسرة » ، والأسرة تحريف .

(٤) ف : « وصادف عيلى من لا أعول » .

ابن أيوب ، قال : حدثنى ابن قتيبة ، قال :

كان رؤبة يأكل الفأر ، فقيل له فى ذلك وعوتب ، فقال : هو والله أنظفُ من دَواجنكمْ ودَجاجكم اللواتى يأكلن القذَر[١]، وهل يأكل الفأرُ إلا نقىّ البرّ ولُباب الطعام ؟

يرحل هو وأبوه ليلقيا الوليد بن عبد الملك

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيْد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبى عبيدة ، عن رؤبة ، قال : لما ولِّىَ الوَليدُ بنُ عبد الملك الخلافة بَعث بى الحجاجُ مع أبى لنلقاه ، فاستقبلنا الشّمال حتى صرنا بباب الفراديس[٢] .

قال : وكان خروجنا فى عامٍ مُخْصِب ، وكنت أُصَلِّى الغداة ، وأجتنى من الكَمْأَة[٣] ماشئت ، ثم لا أُجاوز إلا قليلا حتى أرى خيراً منها ، فأرمى بها وآخذ الأُخَر ، حتى نزَلنا بعض المياه ، فأهدىَ لنا حَمَل مُخْرفَج[٤] ووَطْب[٥] لبنِ غليظٍ وزبدةٌ كأنها رأس نعجة حُوشِية[٦]، فقطّعنا الحمَلَ آرابا[٧]، وكررْنا عَلَيهِ اللبن والزبدة ، حتى إذا بلغ إناه[٨] انتشلنا اللحم بغير خبز .

ثم شرِبتُ من مَرَقه شَرْبة لم تزَل لها ذِفْرَياى[٩] ترشحان ؛ حتى رَجعنا إلى حَجْر[١٠].

فكان أول من لَقينا من الشعراء جريراً ، فاستَهْدَنا ألا نُعين عليه . فكان أولَ

---

(١) فى المختار : «يأكلن العذرة» .
(٢) باب الفراديس : أحد أبواب دمشق ، أضيف إلى موضع قريب منها .
(٣) الكمأة : ضرب من النبات ، واحده كم‍ء .
(٤) حمل مخرفج : سمين .
(٥) الوطب : سقاء اللبن .
(٦) حوشية : منسوبة إلى الحوش : بلاد الجن فى زعمهم ، تنسب إليها الإبل وغيرها .
(٧) الآراب : جمع إرب ، بكسر فسكون ، وهو العضو .
(٨) إناه : الإنى : مصدر أنى الطعام ، كرمى ، أى أدرك . وبلغ إناه : حان إدراكه .
(٩) ذفرياى : مثنى ذفرى ، بكسر فسكون ففتح ، وهو العظم الشاخص خلف الأذن .
(١٠) حجر : اسم لغير بلدة وموضع .

من أذن له من الشعراء أَبِى ثم أنا ، فأَقبلَ الوليد على جرير فقال له : وَيلك ! أَلا تكون مثل هذين ؟ عَفَدا الشِّفاه عن أَعراض الناس ، فقال : إنى أُظْلَمُ فلا أصبر(١) .

ثم لقِيَنا بعد ذلك جرير فقال : يابْنَى أُمِّ العجّاج ، واللهِ لئن وضعتُ كَلْكَلى عليكما ما أغنت عنكما مقطَّعاتكما ، فقلنا : لا والله ما بَلَغَه عنا شىء ، ولكنه حَسدنا لما أُذِنَ لنا قبله ، واستُنشِدنا قبله .

يتوعد جرير أباه فيعتذر إليه

وقد أخبرنى ببعض هذا الخبر الحسن بنُ علىّ ، قال: حدثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرويه قال : حدثنى أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ ، قال : قال روح بن فلان الكلبىّ :

كنت عند عبد الملك بن بشر بن مروان فدخَل جرير ، فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له : والله لئن سَهِرْتُ لك ليلة ليقلّن عنك نفعُ مقطعاتك هذه ، فقال العجاج : يا أباحَزْرة ، والله ما فعلت ما بَلَغَك ، وجعل يعتذر ويحلف ويخضَع ؛ فلما خرج قال له رجل : لشَدّ ما اعتذرت إلى جرير ، قال : والله لو علمتُ أنه لا ينفعنى إلا السِّلاح لسَلَحْتُ .

ليس فى شعره ولا شعر أبيه حرف مدغم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، عن أحمد بن معاوية عن الأَصمعىّ ، عن سليمان بن أخضر ، عن ابن عون ، قال : ما شَبّهتُ لهجة الحسن البصرىّ إلا بلهجة رؤبة ، وَلم يوجد له ولا لأبيه فى شعرهما حرفٌ مُدْغمٌ قطّ .

هو وأبوه أشعر الناس عند يونس ابن حبيب

أخبرنى محمد بن الحسن بنِ دُرَيد ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ عن عمه ، قال : قيل ليونُس : مَن أشعر الناس ، قال : العجاج ورؤبة ، فقيل له لم(٢)

(١) ف : « إنى أظلم فأنتصر ولا أصبر » .

(٢) فى المختار : فقيل له : « لم نعن الرجاز » .

ولم نَعنِ الرُّجاز ؟ فقال : هما(١) أشعر من أهل القصيد(٢) ، إنما الشعر كلام : فأجوده أشعَره ، قد قال العجاج :

* قد جَبرَ الدِّينَ الإلهُ فجبر *

وهى نحو من مائتى بيت موقوفة القوافى ولو أطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما .

يقعد اللغويون إليه يوم الجمعة

أخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ عن محمد بن سلّام : عن أبى زيد الأنصارىّ والحكم بن قنبر : قالا :

كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة فى رَحبة بنى تميم : فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ، ومرّت بنا عجوزٌ فلم تقدر عَلَى أن تجوزَ فى طريقها ، فقال رؤبة بن العجاج :

تَنَحَّ للعجُوزِ عن طَرِيقِها إذ أقبلَتْ رائحةً من سُوقِها

* دَعْها فما النحوىُّ من صديقِها *

يعبث به الصبيان فيستعين الوالى عليهم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وأحمد بن عبيد الله بن عمار ، قالا : حدثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدثنا أبو زيد سعيدُ بنُ أوس الأنصارىّ النحوىّ ، قال :

دخل رؤبة بن العجاج السوق وعليه بَرْنَكانٌ(٣) أخضر، فجعل الصبيان يعبثون به ، ويغرزون شَوكَ النخل فى بَرْنَكانِه ويصيحون به : يا مَرْزُوم يا مرزوم ! فجاء إلى الوالى فقال : أرسل معى الوَزَعَة(٤) ، فإن الصبيان قدْ حَالوا بينى وبين دخول السوق ، فأرسل معه أعوانا فشدّ على الصبيان ، وهو يقول :

(١) كذا فى المختار ، وفى الأصل : « هم » ، وهو تحريف .
(٢) فى المختار : «القصيدة» .
(٣) البرنكان ، كزعفران : الكساء .
(٤) الوزعة : جمع الوازع ، وصف من وزع : أى كف ومنع .

أنحى على أمّك بالرذُومْ   أعورُ جعْدٌ مِن بَنى تميمْ

* شرّابُ ألبانِ خلايَا[1] الكُومِ[2] *

ففروا من بين يديه فدخلوا دارًا فى الصيارفة ، فقال له الشُّرَطُ : أينَ هُم ؟ قال : دخلوا دار الظالمين ، فسمِّيَت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤبة ، وهى فى صيارفة سوق البصرة .

بينه وبين راجز من أهل المدينة

وذكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنىّ ، قال : قدم البصرة راجزٌ من أهل المدينة ، فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجَزُ العرب ، أنا الذى أقول :

مَرْوانُ يُعْطِى وسعيدٌ يمنعُ   مروانُ نَبْعٌ[3] وسعيدٌ خِرْوعُ

وَدِدتُ أنى راميت مَن أحِبُّ فى الرجز يدًا بيد ، والله لأنا أرجز من العجاج ، فلَيْتَ البصرة جمعت بينى وبينه ، قال : والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه ، فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنصفَكَ الرجل ، فأقبَلَ عليه العجاج وقال : هأنذا العجاجُ ، فهلم ! وزحف إليه ، فقال : وأىُّ العجّاجين أنت ؟ قال : ما خِلتُكَ تعنى غيرى ، أنا عبد الله الطويل — وكان يُكْنَى بذلك — فقال له المَدَنِىُّ : ماعَنَيتك ولا أردتك ، فقال : وكيف وقد هتفْتَ بى ؟ قال : وما فى الدنيا عجاجٌ سواك ؟ قال : ماعلِمتُ ، قال : لكنى أعلم ، وإياه عَنَيْتُ . قال : فهذا ابنى رؤبة ، فقال : اللهم غفرًا ، ما بينى وبينكما عَمَلٌ : وإنما مرادى غيرُكما ، فضحك أهل الحلقة منه ، وكفّا عنه .

بينه وبين زائرين

أخبرنى أبو خليفة فى كتابه ، عن محمد بن سلّام : عن يُونُس ، قال :

(١) الخلايا : جمع خلية ، وهى من الإبل : المخلاة للحلب .
(٢) الكوم : جمع كوماء ، وهى : الناقة العظيمة السنام ، والفعل كوم ، كفرح .
(٣) النبع : شجر تتخذ منه القسى والسهام لصلابته ، ينبت فى قنة الجبل .

غَدَوْت يوما أنا وإبراهيم بن محمد العُطَارِدِىُّ على رؤبة : فخرج إلينا كأنه نَسْرٌ ، فقال له ابن نوح : أصبحتَ والله كقولك :

كالـكُرَّزِ(١) المشدودِ بين الأوتادْ ساقَطَ عنه الريشَ كَرُّ الإبراد(٢)

فقال له رؤبة : والله يابن نوح مازلتُ لك ماقِتًا ، فقلت : بل أصبحت يا أبا الجَحّاف كما قال الآخر :

فأبقينَ منهُ وأبْـقَى الطرا دُ بَطْنًا خميصًا وصُلْبًا سمينا

فضحك : وقال : هات حاجتَك .

من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له

قال ابن سلّام : ووقف رؤبة على باب سليمان بن علىّ يستأذنُ : فقيل له : قد أخذ الإذْرِيطُوسَ(٣) فقال رؤبة :

يا مُنْزِلَ الوحى على إدريسِ ومُنْزِلَ اللعنِ على إبليسِ
وخالقَ الإثنَيْن والخميس بارِكْ له فى شُرْبِ إذْرِيطوس

يخطئه سلم بن قتيبة

أخبرنى الحسن بن يحيىَ قال : قال حماد : أخبرنى أبى عن الأصمعى قال : أنشد رؤبة سَلْم بن قتيبة فى صفة خيل :

* يَهْوِينَ شتَّى ويقعْنَ وُقَّفَا *

فقال له : أخطأت يا أبا الجَحّاف : جعلته مقيداً فقال : أَدْنِنِي أيها الأمير ذَنَبَ البعير أصِفْه لك كما يجب .

من رجزه وقد قدم الطعام وهو يلعب بالنرد

أخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ ، عن محمد بن سلّام ، عن عبد الرحمن بن محمد ،

(١) الكرز : الصقر ، والبازى أيضا .
(٢) أبرده : فتره .
(٣) الإذريطوس : دواء ، والكلمة رومية معربة ، وفى ف : « قد أخذ الأذريطوس » ، وهو اسم دواء.

عن علقمة الضَّبِّي ، قال :

خرج شاهين بنُ عبد الله الثقفي برؤبة إلى أرضه ، فقعدوا يَلعَبُون بالنَّردِ فلما أتَوْا بالخوان قال رؤبة :

يا إخوتي جاء الخِوانُ فارفعوا حنّانةً كِعابُها تُقَعقِع

* لم أدْرِ ما ثلاثُها والأربَع *

قال : فضحكنا ورفعناها ، وقُدِّم الطعام .

يشيد الخليل بفضله وقد عاد من جنازته

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود ، قال :

لقيتُ الخليل بن أحمدَ يوما بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله دفَنَّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم ، فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا حين انصرفتُ من جنازة رؤبة .

صــوت

لعَمرى لقد صاح الغراب ببينهم فأوجعَ قلبى بالحديث الذى يُبدى

فقلت له أفصحتَ لا طرِت بعدها بريش فهل للبين ويحك من ردّ؟

الشعر لقيس بن ذَريح ، وقد تقدمت أخباره والغناء لعمرو بن أبى الكَنّات ، ثقيل أول بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى .

أخبار عمرو بن أبي الـكنات

١٢٦/١٨

اسمه وولاؤه وكنيته

هو عمرُو بنُ عثمانَ بنُ أبي الـكنّـات ، مولى بَني جُمَح ، مكى مغن(١) ، محسن موصوف بطيب الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابِه ، وفيه يقول الشاعر :

أحسنُ النـــاس فاعلموه غِناء رُجل من بنى أبي الـكنّات

وله فى هذا الشعر غناء مع أبيات قبله لَحنٌ ابتداؤه :

صـــوت

عفَتِ الدار بالمضـــاب اللواتى بِسَـوارٍ(٢) ؛ فملتقى عرفاتِ
فالحرّيان(٣) أوحشا بعد أنس فديارٌ بالرّبع ذى السّلِمات(٤)
إنّ بالبين(٥) مربعاً من سليمى فإلى محضرين(٦) ؛ فالنخـلات

وبعده البيت الأول المذكور .

الغناء فى هذا الشعر لعمرو بنِ أبى الـكنـات ، وطريقته من الرمَل بالوسطى . وقيل : إنه لابن سُرَيج ، وقيل : بل لحن ابن سُريج غيرُ هذا اللحن ، وليس فيه البيت الرابع الذى فيه بنُ أبى الـكنّـات .

---

(١) كذا فى ف . وفى س ، ب : « يكنى بمن » ، تحريف .
(٢) سوار : من قرى البحرين لبنى عبد القيس العامريين . ورواية نهاية الأرب ، هد :

عفت الدار فالمضاب اللواتى بين ثور فملتقى عرفات

وثور : جبل بمكة ، به الغار اللى اختفى الرسول فيه .
(٣) فى ف : « الجريان » .
(٤) السلمات : الحجارة ، جمع سلمة بفتح فكسر .
(٥) البين : اسم لعدة مواضع ، منها موضع قريب بجران ، وآخر قرب الحيرة .
(٦) فى معجم ياقوت : محضر : قرية بأجأ لطيء .

ويكنى عمرُو بنُ أبى الكنَّـات أبا عثمان ، وذكر بنُ خرداذبه أنه كان يكنى أبا معاذ ؛ وكان له ابن يغنى أيضاً يقال له : درّاج ؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء .

يؤثره الرشيد على جمع من المغنين

فذكر هارون بنُ محمدِ بنُ عبد الملك الزياتُ فى الخبر الذى حكاه[1] عنه من أخباره أن محمد بن عبد الله المخزُومىّ حدثه قال : حدثنى محمدُ بن عبد الله بن فزوة قال :

قُلت لابن جامع[2] يوما : هل غَلبك أحد من المغنين قط ؛ قال : نعم ؛ كنتُ ليلة ببغدادَ إذجاءنى رسول الرشيد[3] ؛ يأمرنى بالركوب؛ فركبتُ حتى إذا صِرتُ إلى الدار ، فإذا أنا بفضلِ بنِ الربيع معه زَلْزَلٌ العَواد وبَرْصوما ؛ فسلمتُ وجلست قَليلا ، ثم طَلع خادم فقال للفضل : هل جاء؟ فقال : لا، قال : فابعث إليه ؛ ولم يزَل المغنون يدخلون وَاحدا بعد وَاحد حتى كنا ستة أو سبعة .

ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : قُم[4] ؛ فابعث فى طلبه ؛ فقام فغاب غير طويل ؛ فإذا هو قد جاء بِعَمْرو بن أبى الكنَّـات ؛ فسلم ؛ وجلس إلى جنبى فقال لى : من هؤلاء ؟ قلتُ مغنون ؛ وَهذا زَلْزَل ، وَهذا بَرْصوما . فقال : والله لأغنينك غناء يخرق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً . قال : ثم طلع الخصىّ فدعا بكراسىّ ؛ وخرجت الجوارى . فلما جلسن قال الخادم للمغنين : شدوا ، فشدُّوا عيدانهم[5] ، ثم قال : نعم يا بنَ جامع ؛ فغنيت سبعة أو ثمانية أصوات . ثم قالَ : اسكت ولْيُغنِّ إبراهيم الموصلى ؛ فغنى مثل ذلك أو دونه . ثم سكت ؛ فلم يزل يمرّ القوم واحداً واحداً حتى فرغوا .

---

(١) فى ف : «رواه» .
(٢) ف : «إسماعيل بن جامع» .
(٣) فى ف : «أمير المؤمنين» .
(٤) كذا فى ف . وفى س ، ب : «نعم» ، تحريف .
(٥) هد ، ف : «قال الخادم للمغنين : سووا ، فسووا عيدانهم» .

ثم قال : لابن أبى الكَنَّات : غنِّ ، فقال لِزَلْزَل : شد طبقتك[1] ، فشد . ثم أخذ العود من يده فجسّه حتى وقف عَلَى الموضع الذى يريده ؛ ثم قال : على هذا وابتدأ بصوت أوله : ألالا ؛ فوالله لقد خُيِّل لى أن الحيطان تجاوبه ، ثمّ رجّع النغم فيه . فطلع الخصىّ فقال له : اسكت ، لا تم الصوت ، فسكت .

ثم قال : يُحبس عمرُو بن أبى الكنَّات ، وينصرف باقى المغنين ، فقمنا بأ كسف حال وأسوإ بال ، لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يَرْويه من الغناء الذى أوله : ألالا ، طمعاً فى أن يعرفه أو يوافق غناءه ، فما عرفه منا أحد ، وَبات عمرو ليلته عند الرشيد ، وانصرف مِن عنده بجوائز وصِلات وَطرف سنية . ١٢٧ / ١٨

قال هارون : وأخبرنى محمدُ بنُ عبد الله عن موسى بنِ أبى المهاجر قال :

يغنى وقد دفع من عرفة فيزحم الناس الطريق

خرج ابنُ جامعٍ وابنُ أبى الكنّات حين[2] دُفعا من عرفة حتى إذا كانا بين المأزمين[3] جلس عمرو على طرفَ الجبل : ثم اندفع يغنى ، فوقف القِطارات ، وركب الناس بعضهم بعضا حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا ، اللهَ اللهَ . اسكت عنا يَجُز الناس ، فضبط إسماعيل بنُ جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مُزْدلفة . قال هارون : وحدثنى عبدُ الرحمن بنُ سليمانَ عن علىِّ بن أبى الجهم قال : حدثنى من أثق به قال :

يغنى على جسر بغداد فتمتلىء الجسور بالناس

واقفتُ ابنَ أبى الكنّات المدينى[4] على جَسر بغداد أيام الرشيد ، فحدّثته بحديث اتصل بى عن ابن عائشة أنه فعله أيام هشام ، وهو أن بعض أصحابنا حدثنى قال : وقف

(١) فى ف : «طبقك» .
(٢) فى نهاية الأرب : «حين دفع الإمام من عرفة» .
(٣) المأزمان : اسم لعدة مواضع ، منها موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة .
(٤) فى ف ، ونهاية الأرب : « واقفت ابن أبى الكنات على جسر » .

ابنُ عائشة فى المَوسم فمرّ به بعض أصحابه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال : إنى لأعرف رجلا لو تكلم لحبَس الناسَ ، فلم يذهب أحد ولم يجئْ . فقلت له : ومَن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، ثم اندفع يغنى :

صــوت

جَرتْ سُنُحًا فقلت[1] لها أجيزى نوى مشمولة فمــتى اللقاء ؟
بنفسى مَن تذكُّره سَقام أعالجه ومطلبــه عَنــاء

قال : فحبَس الناس ، واضطربت المحامل[2] ، وَمدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة تقع ، فأُتى به هشام فقال : يا عدو الله أردتَ أن تفتن الناس ؟ فأمسك عنه وكان تياها ، فقال له هشام : آرفُق بتِيهك[3] . فقال ابن عائشة : حقٌّ لمِن كانت هذه قدرتَه على القلوب أن يكون تيّاها ، فضحك وأطلقه قال فبَرق[4] ابن أبى الكنات ، وكان معجَبا بنفسه ، وقال : أنا أفعل كما فعل ، وقدرتى على القلوب أكثر من قدرته كانت ، ثم اندفع فغنى فى هذا الصوت ونحن على جَسر بغداد .

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة ، فانقطعت الطرق ، وامتلأت الجسور بالناس ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتّى خيف عليها أن تنقطع لثقل من عليها من الناس . فأُخذ فأُتى به الرشيد ، فقال : يا عدو الله أردتَ أن تفتن الناس ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكنه بلغنى أن ابن عائشة فعل مثل هذا فى أيام هشام ، فأحببت أن يكون فى أيامك مثلهُ فأُعجب[5] من قوله ذلك ، وأمر له بمال ، وأمره

(١) سقطت هذه الكلمة من س .
(٢) المحامل : جمع محمل كمجلس ، وهو شقان على البعير ، يحمل فيهما العديلان .
(٣) فى س : « بتهيك » ، تحريف .
(٤) فى هد ، مل . نزق وفى ب ، س مرق ، كفرح .
(٥) فى ف ، ونهاية الأرب : « فأعجبه ذلك » .

أن يغنى ، فسمع شيئا لم يسمع مثله فاحتبسه عنده شهرا [1] يستزيده فى كل يوم استأذنه فيه فى الانصراف — يوما آخر حتى تم له شهر [1] قال هذا الخبر عنه : وكان ابن أبى الكنّات كثير الغِشيان لى : فلما أبطأ توهمتُه قد قُتل فصار إلىّ بعد شهر بأموال جسيمة ، وحدثنى بما جرى بينه وبين الرشيد .

يسمع غناؤه على ثلاثة أميال

قال هارونُ : وأخبرنى محمدُ بنُ عبد الله المخزومىُّ عن عثمان بنِ موسى مولانا قال :

كنا يوما باللاحجة ومعنا عمرو بن أبى الكنّات ، ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَن تحبون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصورٌ الحجَبىّ . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذى ينحدر فيه إلى سوق البقر ، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغنى :

أحسنُ الناس فاعلموه غناء رجل من بنى أبى الكنّات
عفت الدار بالمضاب اللواتى بسَوار فملتـقى عرفات

١٢٨/١٨

فلم نلبث أن رأينا منصورا من بُعد قد أقبل يركُض دابته محونا ، فلما جلس إلينا قلنا له : من أين علمتَ بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو يغنى كذا وكذا وأنا فى سوق البقر ، فخرجتُ أركضُ دابتى حتى صِرتُ إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

قال هارون ، وأخبرنى محمد بن عبد الله ، قال : أخبرنى يحيى بنُ يَعلَى بنِ سعيد قال :

بينا أنا ليلة فى منزلى فى الرمضة أسفل مكة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبى الكنّات كأنه معى ، فأمرتُ الغلام فأسرج لى دابتى ، وخرجتُ أريده ، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدتُه جالسا على الكثيب العارض ببطن عُرَنة [2] يغنى :

(١—١) زيادة من هد ، ف .
(٢) بطن عرنة : واد بحذاء عرفات .

صــوت

خذى العفو منى تستديمى مودّتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضبُ
ولا تنقرينى نقرة الدُّف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيَّب
فإنى وجدتُ الحب فى الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحبّ يذهب

عروضه من الطويل ، ولحنه من الثقيل الثانى بالوسطى من رواية إسحاق . والشعر لأسماء بنِ خارجة الفزارىّ ، وقد قيل : إنه لأبى الاسود الدّؤلى ، وليس ذلك بصحيح . والغناء لإبراهيم الموصلى ، وفيه لحن قديم للغريض من رواية حماد عن أبيه .

أسماء بن خارجة وابنته هند

وصيته لبنته ليلة زفافها

أخبرنى اليزيدىّ عن أحمدَ بنِ زُهيرٍ عن الزُّبير بن بكار قال :

زَوّج أسماء بنُ خارجة الفزارىُّ بنته هندا من الحجاج بن يوسف ، فلما كانت ليلة أرادالبناء بها قال لها أسماء بن خارجة : يا بنيّة ، إنّ الأمهات يؤدبن البنات ، وإنّ أمّك هلكَت وأنت صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحُسن الكحل . وإياكِ وكثرةَ المعاتبة ، فإنها قطيعة للوُدّ ، وإياكِ والغَيرة فإنها مفتاح الطلاق . وكونى لزوجك أمَةً يكن لك عبدا ، واعلمى أنى القائل لأمّك :

* خذى العفو منى تستديمى مودّتى *

وذكر الأبيات . قال : وكانت هند امرأة مجرِّبة قد تزوجها جماعة من أمراء العراق ، فقبلَت من أبيها وصيته . وكان الحجاج يصفها فى مجلسه بكلّ خير ، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها :

شعر لبعض الشعراء فيها

جزاكَ الله يا أسماء خيرا كما أرضيت فَيْشلة الأمير
بِصدغ قد يفوح المسك منه عليه مثل كِركرة[1] البعير
إذا أخذ الأمير بِشَعبيها سمعتَ لها أزيزا كالصرير
إذا لقحت بأرواح تراها تجيد الرّهز من فوق السرير[2]

قال مؤلف هذا الكتاب : الشعر لعُقَيبة الأسدىّ . أخبرنى الجوهرىُّ وحبيبُ المهلبىُّ عن ابن شبة قال :

(١) الكركرة : جزء من زور البعير ، ناتئ عن جسمه كالقرص ، إذا برك أصاب الأرض .

(٢) الرهز : التحرك عندالمباشرة ، وفى ف : « إذا لقحت بأزواج » ، وفى هد : « إذا لهجت بأرواح ».

يعير معير بتزويج الحجاج فيحتال حتى يزوجه المعير أيضاً

لما قدم الحجاج الكوفة أشار عليه محمدُ بنُ عُمير بنِ عُطاردٍ أن يخطب إلى أسماء ابنته هند، فخطبها فزوجه أسماءُ ابنته، فأقبل عليه محمد متمثّلا يقول:

أمِنْ حَذَرِ الهُزَال نكحتَ عبدا فصهر العبد أدنى للهزال!

فاحتملها عليه أسماءُ وسكت عن جوابه، ثم أقبل على الحجاج يوما وهند جالسة، فقال: ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنتَه فإنّ من[1] شأنها كيتَ وكيتَ.

١٢٩ / ١٨

فقال: أتقول هذا وهند تسمع؟ فقال: موافقتك أحبّ إلىّ من رضا هند، فخطبها إلى محمد بنِ عمير، فزوجه إيّاها، فقال أسماءُ لمحمدِ بنِ عُمَير، وضرب بيده على منكبه:

دونك ما أسديته يا بن حاجب سواء كعَين[2] الديك أوقُذّة[3] النسرِ
بقولك للحجاج إن كنت ناكحا فلا تعدُ هندا من نساء بنى بدر
فإن أباها لا يرى أنّ خاطبا كفاء له إلا المتوجَ من فِهر
فزوجتُها الحجاج لامتكارها ولا راغبا[4] عنه ونعم أخو الصهر
أردتَ ضِرارى فاعتمدتَ مسرتى وقد يُحسن الإنسان من حيث لا يدرى
فإن ترها عارا فقد جئتَ مثلها وإن ترها فخرا فهل لك من شكر؟

أحبت هند عبيدالله ابن زياد حباً شديدا

قال المدائنى حدثنى الحرمازى عن الوليد بن هشام القحذمى وكان كاتبَ خالدا القسرىَّ ويوسفَ بنَ عمر[5] أن هنـدا بنت أسماء كانت تحت[6] عُبيدِ الله بنِ زيادٍ، وكان أباعذرها، فلما قتلَ ــ وكانت معه ــ لبِسَتْ قَباء، وتقلّدت سيفا، وركبت فرسا

(١) فى ف: «فإن من أمرها وشأنها».
(٢) يضرب المثل بعين الديك فى الصفاء.
(٣) قذة النسر: ريشه، كأنها فى مقابلة عين الديك كناية عن المشارة والمعاداة.
(٤) كذا فى ف. وفى س، ب: «باغيا»، تحريف.
(٥) كذا فى ب، ف. س: «وابن عمران»، تحريف.
(٦) كذا فى ف. وفى س، ب: «تحب».

لعُبيد الله كان يقال لها : الكامل ، وخرجت حتى دخلَت الكوفة ليس معها دليل ، ثم كانت بعد ذلك أشدَّ خلق الله جزعا عليه ، ولقد قالت يوما : إنى لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عُبيدِ الله بنِ زياد .

بشر بن مروان يتزوجها

فلما قدِم بشرُ بنُ مروان الكوفة دُلّ عليها ، فخطبها ، فزوَّجها ، فولدَت له عبدَ الملك بنَ بشر ، وكان ينال من الشراب ويكتّم ذلك ، وكان إذا صلى العصر خلا فى ناحية من داره ليس معه أحد إلا أعينُ مولاه صاحبُ حمام أعينَ بالكوفة ، وأخذ فى شأنه . فلم تزَل هند تتجسّس خبره حتى عرفته ، فبعثَت مولى لها ، فأحضرها أطيب شراب وأحدّه وأشده وأرقه وأصفاه ، وأحضرَت[1] له طعاما علمت أنه يشتهيه ، وأرسلَت إلى أخويها : مالك وعيينة ، فأتياها وبعثَت إلى بشر واعتلّت عليه بعلة ، فجاءها فوضعَت بين يديه ما أعدّته ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحدّثه ، وهند تريه وجهها . فلم يزَل فى ذلك حتى أمسى ، فقال : هل عندكم من هذا شىء نعود عليه غدا ؟ فقالت : هذا دائم لك ما أردتَه ، فلزمها وبقِى أعينُ يتبع الديار بوجهه ولا يرى بشرا ، إلا أن يبحث عن أمره فعرفه ، وعلم أنه ليس فيه حظ بعدها . قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه ، فقال الفرزدق فى ذلك :

فان تك[2] لا هند بكته فقد بكت عليه الثريا فى كواكبها الزُّهر

الحجاج يخلف بشرا فى تزوجها

ثم خلَف عليها الحجاجُ ، وكان السبب فى ذلك فيما ذكره المدائنىّ عن الحِرمازىّ عن القحذمىّ ، وأخبرنى به من هاهنا أحمدُ بنُ عبد العزيز عن ابنِ شبة عن عثمانَ بنِ عبدِ الوهاب عن عبدِ الحميد الثقفىِّ قالا :

كان السبب فى ذلك أنه بعث أبا بُردةَ بنَ أبى موسى الأشعرى — وهو قاضيه —

(١) فى ف : « أصلحت » .

(٢) فى ف : « فالاتكن » .

إلى أسماء يقول له : إن قبيحا بى مع بلاء أمير المؤمنين عندى أن أقيم بموضع فيه ابنا ابنا أخيه بِشر لا أضمهما إلىّ ، وأتولّى منهما مثلَ ما أتولى من ولَدى . فاسأل هندا أن تطيب نفسا عنهما .

وقال عمر بن شبة فى خبره : وأعلِمْها أنه لابد من التفرقة بينها وبينهما حتى أُؤدبهما ،
١٣٠ / ١٨ قال أبو بُردة : فاستأذنت فأذن لى وهو يأ كل وهند معه ، فما رأيت وجها[1] ولا كفا ولا ذراعا أحسن من وجهها وكفها وذراعها ، وجعلَت تُتحفنى وتضع بين يدَىّ .

قال أبو زيد فى خبره : فدعانى إلى الطعام ، فلم أفعل ، وجعلَت تعبث بى وتضحك ، فقلت : أما والله لو علمتِ ما جئتُ له لبكيتِ ، فأمسكت يدها عن الطعام فقال : أسماء : قد منعتَها الأ كل : فقل : ماجئت له . فلما بُلِّغَت أسماء ما أُرسلتُ به بكت ، فلم أر والله دموعا قطّ سائلة من محاجرَ أحسنَ من دموعها على[2] محاجرها . ثم قالت : نعم أرسل بهما إليه ، فلا أحد أحقّ بتأديبهما منه .

وقال أسماء : إنما عبـد الملك ثمرة قلوبنا — يعنى عبد الملك بنَ بشر — وقد أنِسنا به ، ولكن أمرَ الامير طاعة ، فأتيت الحجاج ، فأعلمته جوابها وهيئتها . فقال : ارجع فاخطبها علىّ فرجعتُ وهما على حالهما . فلما دخلتُ قلت : إنى جئتكَ بغير الرسالة الأولى . قال : اذكر ما أحببتَ . قلت : قدجئت خاطبا . قال: أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة ؟ قلت : لا ، على مَن هو خير لها منى ، وأعلمتُه ما أمرنى به الحجاج ، فقال : ها هى تسمع ما أدّيت ، فسكَتَتْ ، فقال أسماء : قد رضيَتْ ، وقد زوجتها إياه .

فقال أبو زيد فى حديثه : فلما زَوجها أبوها قامت مبادِرة وعليها مُطْرَف[3] ، ولم تستقل قائمة مِن ثقل عجيزتها حتى انثنت ومالت لأحد شقيها مِن شَحمها ، فانصرفتُ بذلك إلى الحجاج ، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختا مِنْ ثياب وقال : يا أبابردة ،

---

(١) ف : « فما وجدت وجها قط » .

(٢) فى ف : « من » . (٣) فى ف : « مطرف خز أسود » .

إنى أحب أن تسلمها إليها ، ففعلتُ ذلك ، وأرسلَت إلىّ من المال بعشرين ألفاً ، ومن الثياب تختين . فقلت : ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأى الأمير . ثم انصرفتُ إليه فأعلمتهُ ، فأمرنى بقبضة ووصلنى بمثله[1] .

وقال : أبوزيد فى حَديثه : فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرةُ آلاف درهم، وثلاثين جارية مع كل جارية تختٌ من ثياب ، وأمر لى بثلاثين ألفاً وثيابا لم يَذكر عددَها . فلما وصل ذلك إلى هند أمرت بمثل ما أمر لى به الحجاج ، فأبيتُ قبوله ، وقلت : ليس الحجاج ممن يتعرّض له بمثل هذا . وأتيت الحجاج فأخبرته . فقال : قد أحسنتَ وأضعفَ الله لك ذلك ، وأمر له بستين ألفا ، وبضعف تلك الثياب ، وكان أولَ ما أصبته مع الحجاج . وأرســلَ إليها : إنى أكره أن أبيت خلواً[2] ، ولى زوجة . فقالت : وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها[3] كرامته وصداقها ، فأصلحت من شأنها ، وأتته ليلا .

قال : المدائنى : فسمعت أن ابن كناسة ذكر أن رجلا من أهل العلم حدثه عن امرأة من أهله قالت : كنتُ فيمَن زفّها . فدَخلنا عليه وهو فى بيتٍ عظيم فى أقصاه ستارة ، وهو دون الستارة عَلَى فرشه ، فلما أن دخلَت سلّمتْ ، فأوَمأ إليها بقضيب كان فى يده . فجلسَت عند رجليه ، ومكثت ساعة وهو لا يتكلم ونحن وقوف ، فضَربت بيدها على فخذه ، ثم قالت : ألم تَبعد من سوء الخلق ؟ قال : فتبسم ، وأقبل عليها ، واستوى جالساً . فدعونا له وَخرجنا وَأُرخيت الستور .

---

(١) زيادة فى ف .
(٢) خلوا : لا زوجة معى .
(٣) كذا فى ف . وفى ب ، س : « انتهى » ، تحريف .

سبب تطليق الحجاج لها

قال : ثم قدم الحجاج البصرة ، فحملها معه . فلما بنى قصره الذى دون المحدَثة[١] الذى يقال له : قصر الحجاج اليوم قال لها : هل رأيتِ قط أحسن من هذا القصر ؟ قالت[٢] : ما أحسنه ! قال : أصدقينى ، قالت : أمّا إذ أبيتَ فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر . وكان فيه عُبيد الله بنُ زياد ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر . فطلق هندا غضباً بما قالته ، وبعث إلى القصر فهدمه ، وبناه بلبن . ثم تعهده صالح بنُ عبد الرحمن فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجرّ ، ثم هُدم بعد ذلك فأُدخل فى المسجد الجامع .

١٣١ / ١٨

حنين الحجاج إلى مراجعتها

قال : القحذمىّ عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ :

خرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر ، فسلّمنا عليه وعُدناه معه . ثم خرجنا وتخلف الحجاج ، فوقفنا ننتظره ، فلما خرج التفتّ فرآنى ، فقال : يا محمد وَيحك ! رأيتُ هندا الساعة فما رأيتها[٣] ، قط أجمل ولا أشبّ منها حين رأيتها ، وما أنا بمُسٍ حتى أراجعها : فقلت : أصلح الله الأمير ، امرأة طلّقتها على عتب[٤] يرى الناس أن نفسك تتبعها ، وتكون لها الحجة عليك . قال : صدقت ، الصبر أحجى .

قال : محمد : والله ما كان منى ما كان نظراً ولا نصيحة ، ولكنى أنِفت لرجل من قريش أن[٥] تداس أمّه فى كل وقت .

---

(١) المحدثة : قرية بواسط .

(٢) س ، ب : « قال لها : هل رأيت قط أحسن من هذا القصر ؟ فقالت : هذا القصر » .

(٣) ب ، س : « فما رأيت » ، والمثبت من ف

(٤) كذا فى ف وفى ب ، س : « على عنت » .

(٥) كذا فى ف ؛ وفى ب ، س : «أنفت لرجل أن ترأس أمه » ، وفيها سقط وتحريف .

خبر طريف يروى عن أسماء

أخبرنى الحسين بنُ يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنى عن جويرية بن أسماء عن عمه قال :

حججتُ ، فإنى لفى رُفقة من قومى إذ نزلنا منزلا ومعنا امرأة ، فنامت وانتبهت[1] وحية مطوية عليها ، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها ، فهالنا ذلك وارتحلنا[2]. فلم تزل منطوية عليها لاتضيرها حتى دخلنا الحرَم فانسابت ، فدخلنا مكة وقضينا نُسكنا ، فرآها الغريض فقال : أىْ شقيّة ، ما فعلَت حيتك ؟ فقالت : فى النار . قال : ستعلمين مَن أهل النار ؟ ولم أفهم ما أراد ، وظننتُ أنه مازحها ، واشتقتُ إلى غنائه ، ولم يكن بينى وبينه ما يوجب ذلك ، فأتيت بعض أهله ، فسألتُه ذلك ، فقال : نعم ، فوجَّه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا ، وقال لى : اركب بنا ، فركبنا حتى سِرْنا قدرَ مِيل ، فإذا الغريض هناك ، فنزلنا ، فإذا طعام مُعَدّ ، وموضع حسن . فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا أبا يزيد ، هات بعض طرائفك فاندفع يغنى ، ويوقع بقضيب :

مرضتُ فلم تحفل علىّ جنوب ... وأدنفتُ والمَشى إلىّ قريب
فلا يُبعد الله الشباب وقولَنا ... إذا ما صبونا صبوة سنتوب

فلقد سمعنا شيئا ظننت أن الجبال التى حولى تنطق معه : شَجَا صوت ، وحُسْن غناء . وقال لى : أتحب أن يَزيدك[3]؟ فقلت : إى والله . فقال : هذا ضيفك وضيفنا ، وقد رغب إليك وإلينا ، فأسمِعْه بما يريد . فاندفع يغنّى بشعر مجنون بنى عامر :

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها ... إذا وَليت حكما علىّ تجور
أأترك ليلى ليس بينى وبينها ... سوى ليلة ؟ إنى إذًا لصبور !

(١) كذا فى ف . ب ، س : «وانتبهت ومعها حية» .
(٢) كذا فى ب ، س . : « ارتحلنا » ، تحريف .
(٣) فى ف : « تزيدك » .

فما عقَلت لِما غنى من حسنه إلا بقول صاحبى : نجور عليك يا أبا يزيد . فقلت : وما معناك فى ذلك ؟ فقال : إن أبا يزيد عرّض بأنى لما وليت الحكم عليه جُرت فى سُؤالى إياه أكثر من صوت واحد . فقلت له — بعدَ ساعة — سرًّا : جُعلتُ فداءك ، إنى أريد المضى وأصحابى يريدون الرحلة ، وقد أبطأتُ عليهم ، فإن رأيت أن تسأله — حاطه الله من السوء والمكروه — أن يزوّدنى لحنا واحدا . فقال لى : يا أبا يزيد ، أتعلم ما أنْهى إلينا ضيفُنا ؟ قال : نعم ، أرادك أن تكلمنى فى أن أغنيه قلت : هو والله ذلك ، فاندفع يغنى :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولاتنطقى فى سَورتى حين أغضب
فإنى رأيت الحب فى الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهب

١٣٢
١٨

نسبة وصية أسماء لابنتها إلى أبى الأسود

فقال : قد أخذنا العفو منك ، واستدَمْنا مودتك ، ثم أقبل علينا فقال : ألا أحدثكم بحديث حسن ؟ فقلنا : بلى . قال : قال شيخ العلم وفقيه الناس وصاحب علىٍّ — صلوات الله عليه — وخليفة عبد الله بنِ العباس على البصرة أبو الأسود الدؤلى لابنته ليلة البناء[1] : أىْ بُنَيّة ، النساء[2] كنّ بوصيتك وتأديبك أحقَّ منى ، ولكن لابد مما لابد منه . يا بنيّة ، إن أطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الدهن ، وأحلى الحلاوة الكحل . يا بنية ، لا تكثرى مباشرة زوجك فيملَّك ، ولا تباعدى عنه فيجفوَك ويعتلَّ عليك ، وكونى كما قلت لأمّك :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولاتنطقى فى سَورتى حين أغضب

---

(١) ف : « ليلة بها » .
(٢) ف : « إن النساء » .

فقلت : له فدَتك نفسى ، ما أدرى أيّهما أحسن : أحديثك أم غناؤك ؟ والسلام عليكم . ونهضتُ فركبتُ وتخلّف الغريض وصاحبه فى موضعهما ، وأتيت أصحابى وقد أبطأتُ ، فرحَلنا منصرفين حتى إذا كنا فى المكان الذى رأيت فيه الحية منطوية على صدر المرأة ونحن ذاهبون — رأيت المرأة والحيةُ منطوية عليها ، فلم ألبث أن صفَرت الحية ، فإذا الوادى يسيل علينا حيات فنهشتها حتى بقيت عظاما . فطال تعجبنا من ذلك ، ورأينا ما لم نر مثله قط . فقلت لجارية كانت معها : ويحك ! أخبرينا عن هذه المرأة ، قالت : نعم أثكلَت[1] ثلاث مرات ، كلّ مرة تلد ولدا : فإذا وضعته سجَرت التنور ثم ألقته : فذكرتُ قول الغريض حين سألها عن الحية ، فقالت : فى النار . [2]فقال : ستعلمين من فى النار[2] .

نسبة ما فى هذه الأصوات من الغناء

فمنها :

صـوت

مرِضتُ فلم تحفل على جَنوبُ وأُدنفتُ والمَمشَى إلىّ قريبُ

فلا يُبعد الله الشباب وقولَنا إذا ما صبونا صبوة سنتوب

عروضه من الطويل . الشعر لحُميدِ بنِ ثَورٍ الهلالىِّ ، والغناء للغريض من رواية حماد عن أبيه ، وفيه لِعَلُّويَه ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو ابن بانة ومنها :

(١) ف ، هد : « بغت ثلاث مرات » .

(٢-٢) زيادة من ف ، هد .

صـوت

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكما علىّ تجور
أأترك ليلىَ ليس بينى وبينها سوى ليلة إنى إذا لصبور !

عروضه من الطويل ، والشعر — يقال — لأبى دَهبلٍ الجُمَحىّ ، ويقال : إنه لمجنون بنى عامر ، ويقال : إنه لعمرَ بنِ أبى ربيعةَ . والغناء لابن سُرَيج ، خفيف رمَل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة ، وفيه للغريض ثانى ثقيل بالوسطى ، وفى الثانى والأول خفيف ثقيل أول بالبنصر مجهول .

أخبرنى الحرَمىّ عن الزبير عن محمدِ بن الضحاك عن أبيه قال : قال أبو دهبل :

أأترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلة إنى إذا لصبورُ
هبونى امرأ منكم أضلّ[1] بعيرَه له ذمة إن الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يَضلّ بعير ١٣٣/١٨

قال الزبير وقال عمى : هذه الأبيات لمجنون بنى عامر .

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخرازُ عن المدائنىّ عن أبى محمدٍ الشيبانى قال : قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبى ربيعة : أنت القائل :

أأترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلة إنى إذا لصبور !

قال : نعم . قال فبئس المحبّ أنت : تركتها وبينها وبينك غُدوة . قال : يا أمير المؤمنين ، إنها من غُدوات سليمانَ ، غدوُّها شهر ، ورواحها شهر .

أخبرنى اليزيدىّ عن أحمدَ بن يحيى وابنِ زهيرٍ قال حدثنى عمرُ بنُ القاسم بنِ المعتمر الزهرىّ قال : قلت لأبى السائب المخزومىّ : أما أحسنَ الذى يقول :

---

(١) أضل بعيره : ذهب البعير عنه .

أأترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلة إنى إذا لصبور !
هبونى امرأ منكم أضل بعيره له ذمة إن الزمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حُرمة على صاحب من أن يضلّ بعير ؟

فقال : بأبى أنت ، كنتُ والله أجنّبك[1] وتثقل علىّ ، فأنا الآن أحبك[2] وتخفّ علىّ ، حيث تعرف هذا .

(١) س ، ب : « أحبك » .
(٢) زيادة فى ف .

صــوت

مِن الخفِرات لم تفضح أخاها ولم تَرفع لوالدها شَنَـــارا
كأنّ مَجامع الأرداف منهــــا نقًا دَرجت[1] عليه الريح هـارا
يعاف وصالَ ذات البَذل قلبى ويتَّبع المنَّعة النَّــوارا

[2]الخفِرة : الحيية ، والخفَر : الحياء . والشَّنار : العار . والنقا : الـكثيب من الرمل . درجت عليه الريح : مرت . هار : تهافت وتداعى . قال الله تبارك وتعالى : (على شفاَ جُرُف هارٍ)[3] ويعاف : يكره . والنوار : الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء[2] .

عروضه من الوافر . الشعر للسُّلَيك بنِ السُّلَكة ، والغناء لابن سريج ، رمل بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن الهِرْبِذ لحن من رواية بذل ، ولم يذكر طريقته . وفيه لابن طنبورة لحن ذكره إبراهيم فى كتابه ولم يجنّسه .

---

(١) كذا فى ف . ب ، س : «نقادر» ، تحريف .
(٢-٢) زيادة فى ب .
(٣) سورة التوبة : ١٠٩ .

أخبار السليك بن السلكة ونسبه

نسبه

هو السُّلَيكُ بنُ عمرو ، وقيل : بنُ عميرِ بنِ يثربيّ - أحدُ بنى مُقاعس ، وهو الحارثُ بنُ عمرِو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ زَيد مناةَ بن تميم · والسُّلَكة : أمّه ، وهى أَمة سوداء .

من صعاليك العرب العدائين

وهو أحد صعاليك العرب العدّائين الذين كانوا لايُلحَقون ، ولا تعلَق بهم الخيل إذا عدَوا - وهم : السُّلَيك بنُ السُّلَكة ، والشَّنفَرَى ، وتأبط شرا ، وعمرو بن برّاق ، ونفيل بن براقة . وأخبارهم تذكر على تواليها ها هنا إن شاء الله تعالى فى أشعار لهم يُغَنَّى فيها ؛ لتتصل أحاديثهم ·

فأمّا السُّلَيك[1] فأخبرنى بخبره الأخفشُ عن السكرى عن ابن حبيبٍ عن ابن الأعرابى ، قال : وقرئ لى خبره وشعره على محمدِ بنِ الحسنِ الأحول عن الأثرم عن عبيدة . أخبرنى ببعضه اليزيدىّ عن عمه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابى عن المفضَّل ، وقد جمعتُ رواياتهم ، فإذا اختلفت نسبتُ كل مروىٍّ إلى راويه .

يستودع بيض النعام ماء فى الشتاء ليشربه فى الصيف

١٣٤ / ١٨

قال أبو عبيدة : حدثنى المنتجعُ بنُ نَبهان قال :

كان السُّلَيك بنُ عميرٍ السعدىُّ إذا كان الشتاء استَودع بِبَيض النعام ماء السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعَت إغاره الخيل أغار . وكان أدلّ من قطاة — يجىء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مضر ، وإنما يغير على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة ·

صفاته

وقال المفضل فى روايته :

وكان السلَيك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم ، وكانت العرب تدعوه

(١) ب ، س : « أخبرنى » .

سلَيك المقانب(١) وكان أدلّ الناس بالأرض ، وأعلمهم بمسالكها ، وأشدّهم عَدْوا على رجليه لا تعلَق به الخيل ، وكان يقول : اللهم إنك تهيء ما شئت لما شئت إذا شئت . اللهم إنى لو كنت ضعيفا كنت عبدا ، ولو كنت امرأة كنت أمة . اللهم إنى أعوذ بك من الخيبة ، فأما الهَيبةُ فلا هيبةَ .

من أنباء غاراته

فذكروا أنه أملقَ حتى لم يَبق له شىء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض من يَمر به فيذهبَ بإبله ، حتى أمسى فى ليلة من ليالى الشتاء باردةٍ ، مُقْمرةٍ فاشتمل الصماء ، ثم نام — واشتمال الصماء : أن يَرُدّ فَضلة ثوبه على عضده اليمنى ، ثم ينام عليها —

فبينا هو نائم إذ جثَم رَجل(٢) فقعد على جنبه فقال : استأسر ، فرفع السليك إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مقمر . فأرسلَها مثلا ، فجعل الرجل يَلْهَزه(٣) ويقول : ياخبيث استأسر. فلما آذاه بذلك أخرج السليك يده ، فضم الرجل إليه ضَمة ضرَط منها وهو فوقه ، فقال السليك : أضرَطا وأنت الأعلى ؟ فأرسلها مثلا ، ثم قال : مَن أنت ؟ فقال : أنا رجل افتقرتُ ، فقلت : لأخرجَنّ فلا أرجعُ إلى أهلى حتى أستغنىَ ، فآتيَهم وأنا غنىّ قال : انطلق معى ، فانطلقا ، فوجدا رجلا قصتُه مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعا حتى أتوا الجوفَ : جوف مراد .

فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَم قد ملأ كل شىء من كثرته ، فهابوا أن يُغيروا فيَطردوا بعضها ، فيَلحقَهم الطلب . فقال لهما سُلَيك : كُونا قريبا منى حتى آتى الرِّعاء فأعلمَ لكما علِمَ الحى ، أقَريب أم بعيد . فإن كانوا قريبا رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولا أومىء(٤) إليكما به فأغيرا . فانطلق حتى أتى الرِّعاء ، فلم يزل

(١) المقانب : جمع مقنب . وهو من الخيل من الثلاثين إلى الأربعين .
(٢) ف ، هد ، م : « جثم عليه رجل » .
(٣) يلهزه : يضربه بجمع يده فى صدره أو رقبته .
(٤) أومىء : أوحى إليكما به .

يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى ، فإذا هم بعيد ، إن طُلبوا لم يُدركوا . فقال السُّلَيك للرِّعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى غنّنا ، فرفع صوته وغنىّ :

يا صاحبىّ ألا لاحىّ بالوادى سوى عَبيد وآمٍ(١) بين أذواد
أتنظران قريبا رَيْثَ غفلتِهِمْ أم تغدوان فإن الربح(٢) للغادى ؟

فلما سمعا ذلك أتيا السليك ، فأطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصَّرِيخُ الحى حتى فاتوهم بالإبل .

نبأ آخر من أنباء غاراته

قال المفضل : وزعموا أن سلَيكا خرج ومعه رجلان من بنى الحارث بنِ امرىء القيسِ بنِ زيدِ مناةَ بن تميم يقال لهما : عمرو وعاصم وهو يريد الغارة ، فمر على حى بنى شيبان فى ربيع والناس مخصبون فى عشية فيها ضباب ومطر ، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى ، فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا حتى آتىَ أهل هذا البيت ، فلعلى(٣) أن أصيب لكم خيرا ، أوآتيكم بطعام . قالوا : افعل ، فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل ، فإذا البيت بيت رُوَيم ، وهو جد حَوْشبِ بنِ يزيدِ بن رُوَيم ، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت .

فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله ، فلم يلبث أن راح ابنه بإبله ، فلما أراحها غضب الشيخ ، وقال لابنه : هلاّ عشيّتَها ساعة من الليل . فقال له ابنه : إنها أبت العَشاء . فقال : العاشية(٤) تَهيج الآبية ، فأرسلَها مثلا . ثم غضب الشيخ ، ونفَض ثوبه فى وجهها ، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة ، فرتعَت ، وجلس الشيخ عندها لتتعشى ، وغطى وجهه بثوبه من البرد ، وتبعه سليك .

١٣٥ / ١٨

(١) الآم : جمع أمة .
(٢) الربح : الغلبة والظفر .
(٣) ب ، س : « فعلى » .
(٤) العاشية : الراعية ليلا من الإبل .

فلما وجد الشيخ مغترا[1] ختَله[2] من ورائه ، فضربه فأطار رأسه ، وصاح بالإبل فطردها ، فلم يشعر صاحباه — وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه — حتى إذا هما بالسلَيك يطردها فطرداها معه ، وقال سلَيك فى ذلك :

وعاشيةٍ راحت بِطانا ذعَرتُها بسوط[3] قتيل وسْطها يُتسيف[4]
كأنّ عليه لونَ بُرد محبَّر[5] إذا ما أتاه صارخ[6] يتلهف
فبات لها[7] أهل خلاءٍ فناؤهم ومرّت بهمْ طير فلم يتعيفوا[8]
وباتوا يظنون الظنون وصُحبتى إذا ماعلَوا نشزا[9] أهلوّا وأوجفوا[10]
وما نلتُها حتى تصعلكتُ حِقبة وكدِتُ لأسباب المنية أعرِف[11]
وحتى رأيتُ الجوعَ بالصيف ضرّنى إذا قمت تغشانى ظلال فأسدِف[12]

وقال الأثرم فى روايته عن أبى عبيدة :

من حيله للغارة

خرج سُلَيك فى الشهر الحرام حتى أتى عُـكاظ ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه ،

(١) كذا فى ف ، أى غافلا . وفى ب ، س : «مفترا» ، أى ساكنا مستقرا ، من فتر الشىء تفتيرا : سكنه .
(٢) كذا فى ف . وفى ب ، س : « استله من ردائه » .
(٣) فى مجمع الأمثال للميدانى : « بصوت » .
(٤) كذا فى أ ، ب ، جـ ، أى يضرب بالسيف . وفى ف : « يتشرف» مبنيا للمعلوم ، من تشرف عليه بمعنى أشرف . وفى س : «ويتسيف» ، تحريف .
(٥) محبر : موشى ، يريد أن الدم بدتَ له عليه طرائق .
(٦) كذا فى أ ، ف ، أى باك متحزن . وفى ب ، س : «صارم» ، تحريف .
(٧) كذا فى ف . وفى ب ، س : « له » .
(٨) لم يتعيفوا : لم يزجروها .
(٩) نشزا : مرتفعا من الأرض .
(١٠) أوجفوا : حملوها على الوجيف ، وهو ضرب من السير .
(١١) أعرف : أصبر .
(١٢) أسدف : أظلمت عيناه من الجوع . وخص الصيف بالذكر ، لكثرة اللبن فيه .

ثم خرج متفضّلا مترجلا ، فجعل يطوف الناس ويقول : مَن يصف لى منازل قومه ، وأصف له منازل قومى ؟ فلقيه قيسُ بنُ مكشوحٍ المرادىُّ ، فقال : أنا أصف لك منازل قومى ، وَصِف لى منازل قومك ، فتوافقا ، وتعاهدا ألا يتكاذبا .

فقال قيسُ بن المكشوح : خذ بين مهَبِّ الجنوب والصَّبا ، ثم سِرْ حتى لاتدرى أين ظل الشجرة ؟ فإذا انقطعَت المياه فسِر أربعا حتّى تبدو لك رملةٌ وقفٌ بينها[1] الطريق ، فإنك ترد على قومى مراد وخثعم .

فقال السُّلَيك : خُذ بين مطلع سهيل ويدِ الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء ، فثَمّ منازل قومى بنى سعدِ بن زيدِ مناة .

فانطلق قيسٌ إلى قومه فأخبرهم الخبر ، فقال أبوه المكشوح : ثكلتْك أمك . هل تدرى من لقيت ؟ قال : لقيت رجلا فُضُلا[2] كأنما خرج من أهله ، فقال : هو والله سلَيك بن سعد .

فاستعلق واستعوى[3] السلَيك قومه فخرج أحماس[4] من بنى سعد وبنى عبدشمس — وكان فى الربيع يعمِد إلى بَيض النعام فيملوُه من الماء ويدفنه فى طريق اليمن فى المفاوز . قال : فإذا غزا فى الصيف مرّ به فاستثاره[5] — فمرّ بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سلَيك أهلكتنا ويحك ! قال : قد بلغتُم الماء ، ما أقربكم منه ! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذى خبأ الماء فيه طلبه فلم يجده ، وجعل يتردد فى طلبه . فقال بعض أصحابه لبعض : أين يقودكم هذا العبد ؟ قد والله هلكتُم ، وسمع ذلك . ثم أصاب الماء[6] بعد ماساء ظنهم ، فهمّ السلَيك بقتل بعضهم ، ثمّ أمسك .

(١) فى ف : «رملة وقف بينهما الطريق» . والقف : ما ارتفع من الأرض .
(٢) فضل : فى ثوب واحد .
(٣) ساقطة من ب ، س .
(٤) أحماس : شجعان وفى هد ، م : «فخرج فى أخماس من بنى سعد وبنى عبد شمس» .
(٥) ب ، س : «استأثره» ، تحريف .
(٦) زيادة فى ف .

فانصرفَت عنه بنو عبد شمس فى طوائف من بنى سعد. قال: ومضى السلَيك فى بنى مقاعس ومعه رجل مِن بنى حرام يقال له: صُرَد. فلمَّا رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السُّلَيك، حتى إذا دنَوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقة صُرَد فى جوف الليل، فخرج فى طلبها، فأصابه أناس حين أصبح، فإذا هم مراد وخثعم، فأسروه، ولحقه[1] السلَيك فاقتتلوا قتالا شديدا.

١٣٦/١٨ وكان أولَ مَنْ لقيه قيسُ بن مكشوح، فأسره السلَيك بعد أن ضربه ضربة أشرفَت على نفسه، وأصاب من نَعَمهم ما عجز عنه هو وأصحابه، وأصاب أمّ الحارث[2] بنتَ عوف بنِ يربوعٍ الخثعمية يومئذ، واستنقذ صُرَد من أيدى خثعم، ثم انصرف مسرعا، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحى، وهم أكثر من الذين شهدوا معه، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا. وقال السليك فى ذلك:

بكى صُرَدٌ لما رأى الحيَّ أعرضَت ... مهامهُ رملٍ دونهمْ وسُهوبُ
وخوّفه ريبَ الزمان وفقرَه ... بلادُ عدوّ حاضر وجَدوب
ونأىٌ بعَيد عن بلاد مقاعس ... وأن مخاريق الأمور تَريب
فقلت له لا تبك عينك إنها ... قضية ما يُمضَى لها فتثوب[3]
سيكفيك فقدَ[4] الحى لحمٌ مغرَّض[5] ... وماء قُدور فى الجِفان مشوب
ألم تر أن الدهر لونان لونهُ ... وطَوران[6] بِشْر مرة وكَذوب

(١) كذا فى ف. وفى ب، س: «لحقوا».
(٢) فى س: «حرف».
(٣) فى أ: «يقضى لنا فنثوب».
(٤) الفقد: شراب من زبيب، أو عسل، أو كشوث بضمتين أو فتح وضم، وهو نبت يعلق بالأغصان ولا عرق له فى الأرض. وفى م: «بصر».
(٥) مغرض: أخذ طريا.
(٦) فى ب، س: «طوان»، تحريف وفى ف: «وتاران بشر تارة». والتار: التارة.

فما خير[١] من لا يرتجى خير أوبة   ويُخشى عليه مِرية[٢] وحروب
رددتُ عليــــه نفسه فكأنما   تلاقى عليه منسِر[٣] وسَرُوب
فما ذرّ قرن الشمس حتى أريته[٤]   قُصار[٥] المنايا والغبار يثوب[٦]
وضاربتُ عنه القوم حتى كأنما   يصعّد فى آثارهم ويصُوب[٧]
وقلت له خذ هَجْمة[٨] حِميريّةٍ[٩]   وأهلا ولا يبعُد عليك شَروب[١٠]
وليلةَ جابانٍ[١١] كررتُ عليهمُ   على ساعة[١٢] فيها الإياب حبيب
عشيةَ كرّت[١٣] بالحرامىّ ناقة   بِحَىٍّ هلاً تُدعى به فتُجيب
فضاربتُ أُولى الخيل حتى كأنما   أُميل عليها أيدَع وصبيب

الأيدع : دم الأخوين ، والصبيب : الحِناء .

من أنباء قدرته على الاحتمال

قال أبو عبيدة : وبلغنى أن السّلَيك بنَ السُّلَكة رأته طلائع جيش لبَكرِ ابن وائل ، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بنى تميم ولا يعلم بهم أحد ، فقالوا :

---

(١) فى ب ، س : « فيا خير » ، تحريف .
(٢) فى ف : « سرية » . وهى كفرقة : جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين .
(٣) المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير والسروب : جماعات الخيل .
(٤) كذا فى ف . وفى ب ، س : « رأيته » .
(٥) كذا فى ف . والقصار : الغاية . وفى ب ، س : « مصاده » ، وقد يكون محرفا عن مصاد كسحاب . ويراد به الغاية أيضا ، وهو فى الأصل : أعلى الجبل .
(٦) فى ف : « والفؤاد يذوب » .
(٧) يصوب : ينحدر .
(٨) الهجمة : جماعة من الإبل أولها أربعون .
(٩) كذا فى أ ، ف ، م . وفى ب ، س : «جبرية» ، تحريف .
(١٠) شروب : شراب .
(١١) جابان : مخلاف باليمن .
(١٢) كذا فى أ ، ف ، م . وفى ب ، س : « ساحة » .
(١٣) كذا فى ا ، م . وفى ب ، س : « كدت » :

إن علِم السّليك بنا أنذر قومه، فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلمّا هايجاه خرج يمحَص(١) كأنه ظبى، وطارداه سحابة يومه، ثم قالا: إذا كان الليل أعيا، ثم سقط أو قصَر عن العدْو، فنأخذه.

فلما أصبحا وجدا (٢) أثره قد عثر بأصل شجرة فنزعها(٣)، فندرت قوسه فانحطمت، فوجدا(٢) قِصْدة(٤) منها قد ارتزّتْ(٥) بالأرض، فقالا: ما له، أخزاه الله؟ ما أشدّه! وهمّا بالرجوع، ثم قالا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاج(٦) قد بال(٧) فرَغا فى الأرض وخدّها(٧) فقالا: ما له قاتله الله؟ ما أشد متنَه! والله لا نتبعه أبدا، فانصرفا. ونمى(٨) إلى قومه وأنذرهم، فكذبوه لبعد الغاية، فأنشأ يقول:

يكذّبنى العَمْران عمرُو بن جندب وعمرو بن سعد والمكذِّب أكذب
لعمرُك ما ساعيتُ من سعى عاجز ولا أنا بالوانى ففيم أكذَّب(٩)؟
ثكلتكما(١٠) إن لم أكن قد رأيتها كراديس(١١) يهديها إلى الحى موكِب

(١) يمحص: يعدو.
(٢–٢) زيادة فى ف على ما فى س، ب.
(٣) وردت هذه الكلمة محرفة فى جميع النسخ.
(٤) القصدة: القطعة مما يكسر.
(٥) كذا فى ج، ف. ومعناها: ثبتت. وفى ب، س: «ارتزنت»، تحريف.
(٦) متفاج: متباعد ما بين رجليه وفى ج، «مفج»، من أفج بمعنى تفاج، الذى منه متفاج.
(٧–٧) زيادة فى ج، ف. وفى ب، س: «قد بال فى الأرض وجد، فقالا»، سقط وتحريف.
(٨) كذا فى ف، أى حدث قومه بما كان. وفى ب، س: «وتم»، تحريف.
(٩) هذا البيت زيادة من ف، هد.
(١٠) كذا فى أ، ب. وفى ف: «ثكلتهما». وفى س: «ثكتاه»، تحريف.
(١١) كراديس: جمع كردوسة، وهى القطعة العظيمة من الخيل.

كراديس فيها الحَوْفَزان وقومه   فوارس هَمّام متى يَدْعُ يركبوا[١]

— يعنى الحَوْفَزان بن شريك الشيبانى — .

[٢]تفاقدتمُ هل أنكرنّ مغيرة   مع الصبح يهديهن أشقر مغرب[٣] ؟

تفاقدتم : يدعو عليهم بالتفاقد[٢] .

١٣٧ / ١٨

قال ، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم . قال : وكان يقال للسّلَيك : سلَيك المقانب ، وقد قال فى ذلك فرار الأَسدىّ — وكان قد وجد قوما يتحدثون إلى امرأته من بنى عمها فعقرها بالسيف ، فطلبه بنو عمها فهرب ولم يقدروا عليه — فقال فى ذلك :

كان يقال له : سليك المقانب

لَزُوار ليلَى منكم آل برثُن   على الهول أمضى من سُلَيك المقانب

يزورونها ولا أزور نساءهم   ألهفْ لأولاد الإماء الحواطب

يلجأ إلى امرأة فتنقذه فيقول فيها شعرا

وقال أبو عبيدة : أغار السلَيك على بنى عوّار[٤] بطن من بنى مالك بن ضُبَيعة ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته .

فقال شيخ منهم : إنه إذا عدا لم يُتعلق به ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب وثقُل لم يستطع العَدْو ، وظفرتم به . فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ، ثم بادروه ، فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم[٥] وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولجَ على امرأة منهم يقال لها : فُكَيهة ، فاستجار بها ، فمنعته ، وجعلته تحت دِرعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ، فكاثروها فكشفَت خِمارها عن شعرها ، وصاحت بإخوتها فجاءوها ، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل ، فقال السّليك فى ذلك :

(١) كذا فى أ ، ف ، م . وفى ب ، جـ ، س : « يركب » تحريف .
(٢–٢) زيادة فى أ .
(٣) المغرب : الذى يأتى الغرب ، والذى يجرى فرسه إلى أن يموت .
(٤) ف : « عوارة » .
(٥) كذا فى ا ، ف . وفى ب ، س : « جاملهم » .

لعمرُ أبيك والأنبـــاء تنمى ... لنعم الجار أخت بنى عُوارا[1]
من الخفِرات لم تفضح أباها[2] ... ولم ترفع لإخـــوتها شَنارا
كأن مجامع الأرادف منها ... نَقًا درَجت عليه الريح هارا
يعاف وِصال ذاتِ البَذل قلبى ... ويتّبع الممنَّعـــة النَّوارا
وما عجزت فُكَيهة يوم قامت ... بنصل السيف واستلبوا الخِمارا

يأخذ رجلا من كنانة ثم يطلقه فيجزلون له العطاء

أخبرنى الأخفشُ عن السكّرىّ عن أبى حاتمٍ عن الأصمعىّ أن السلَيك أخذ رجلا من بنى كنانَة بنِ تَيمِ بن أُسامةَ بن مالكِ بنِ بكرِ بنِ حبيبِ بنِ غَنْمِ بن تغلبَ يقال له : النعمانُ بنُ عُقْفانَ ، ثم أطلقه وقال :

سمتُ بجمعهم فرضختُ[3] فيهم ... بنُعمانَ بن عُقْفانَ بنِ عمرو
فإن تكفر فإنى لا أبالى ... وإن تشكر فإنى لست أدرى

قال: ثم قدِم بعد ذلك على بنى كنانة وهو شيخ كبير، وهُم بماء لهم يقال له : قُباقِبٌ ، خلف البِشْر ، فأتاه نعمان بابنيه الحكَمِ وعثمانَ — وهما سيدا بنى كنانة — ونائلةَ ابنته ، فقال : هذان وهذه لك ، وما أملك غيرهم ، فقالوا : صدق ، فقال : قد شكرتُ لك وقد رددتُهم عليك .

يسبق فى العدو جمعا من الشباب وهو شيخ

فجمعَتْ له بنو كنانة إبلا عظيمة فدفعوها إليه ، ثم قالوا له : إن رأيت أن ترينا بعض ما بقى من إحضارك[4] . قال : نعم ، وأبغونى أربعين شابا ، وأبغونى درعا ثقيلة ، فأتوه بذلك ، فلبس الدرع ، وقال للشبان : الحقوا بى إن شئتم . وعَدا ، فلاث العدْو

(1) كذا بالنسخ ، والبيت فى الاشتقاق (٣٥٧) وفيه : « العوار » .
(2) فى ف : أخاها .
(3) كذا فى ب ، جـ ، س . وأصل الرضخ : إعطاء ما ليس بكثير . والمراد أنه أطلقه لهم ، ومنّ به عليهم . وفى ا ، م : « فصرخت » .
(4) الإحضار : العدو .

لَوثا ، وعدَوا جَنَبَته[١] فلم يلحقوه إلا قليلا ، ثم غاب عنهم وكرّ حتى عاد إلى الحى هو وحده يُحضِر والدرع فى عنقه تَضْرب[٢] كأنها خِرقة من شدة إحضاره .

[٣] أخبرَ به هاشم بن محمد الخزاعى عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعى ، عن عمه فذكر فيه نحو ما تقدم[٣] .

خبر مقتله

وقال السكّرى فى خبر مَقتله : إنه لقِى رجلا من خَثْعم فى أرض يقال لها : نخة ، بين أرض عُثَيل وسعد تميم ، وكان يقال للرجل : مالكُ بنُ عمير بنِ أبى ذراع بنِ جُشَمَ ابنِ عوف ، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها : النَّوار ، فقال له الخثعمى : أنا أفدى نفسى منك ، فقال له : السلَيك : ذلك لك ، على ألا تَخيس بى ، ولا تطلع علىّ أحدا من خَثعم ، فحالفه على ذلك ، ورجع إلى قومه ، وخلّف امرأته رهينة معه ، فنكحها السلَيك ، وجعلَت تقول : احذر خثعم ؛ فإنى أخافهم عليك ، فأنشأ يقول :

تحذّرنى كى أحذَرَ العام خثعما ... وقد علمَت أنى امرؤ غير مُسلَم
وما خثعم إلا لئــــام أذلّة ... إلى الذل والإسحاق[٤] تنمى وتنتمى

قال : وبلغ ذلك شبلَ بنَ قلادةَ بنِ عمرَ بنِ سعد ، وأنسَ بنِ مدرك الخثعميّين ، فحالفا إلى السليك ، فلم يشعر إلا وقد طرقاه فى الخيل ، فأنشأ يقول :

* مَن مبلغ جِذمى بأنِى مقتولْ ؟ *
* يا رُب نَهب قد حويتُ عُثكولْ[٥] *
* ورُبّ قِرن قد تركت مجدولْ *

(١) وفى ف ، م : « فى جنبتيه » .
(٢) م ، هد : « تضطرب » .
(٣-٣) زيادة من هد ، ف .
(٤) الإسحاق : الإبعاد ، وأسحقهم الله سحقا : باعدهم من رحمته .
(٥) أصل العثكول : العذق . والمراد نهب متنوع ذو شعب .

* وربَّ زوج قد نكحت عُطبول[١] *

* وربَّ عانٍ قد فككتُ مكبول *

* ورب واد قد قطعت مسبول *

قال أنس للشبل : إن شئت كفيتك القوم وا كفنى الرجل ، وإن شئت ا كفنى القوم أ كفك الرجل . قال : بل أ كفيك القوم ، فشد أنس على السلَيك فقتله ، وقَتل شبل وأصحابُه من كان معه .

وكاد الشرّ يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك[٢] ، لأنه كان أجاره حتى وَداه أُنس لمّا خاف أن يخرج الأمر من يده ، وقال :

كم مِن أخ لى كريمٍ قد فُجعتُ به ... ثم بقيتُ كأنى بعــده حَجَرُ
لا أستكين على ريب الزمان ولا ... أغضى على الأمر يأتى دونه القدر
مِرْدَى حُروب أُديرِ الأمر حابلَه ... إذ بعضُهم لأمور تعترى جَزَر
قد أطعن الطعنة النجلاء أُتْبِعها ... طَرْفا شديدا إذا مايَشخَص البصر
ويوم حمضة مطلوب دلفتُ له ... بذات وَدْقين لمــا يُعفها المطر

وذكر باقى الأبيات التى تتلو هذه :

* إنى وقتلى سُلَيكا ثم أعقِلَه *

كما ذكره مَن روينا عنه ذلك .

أخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ عن عبد الرحمن بنِ أخى الأصمعىّ عن عمه فذكر ما تقدم .

(١) عطبول : فتية جميلة ممتلئة طويلة العنق .
(٢) هو عبد الملك بن مويلك الخثعمى ، وسيأتى فى الخبر التالى .

يجعل لعبد الملك ابن مويلك إتاوة ليجيره

١٣٨ / ١٨

قال أبو عبيدة وحدثني المنتجِعُ بنُ نَبهان قال : كان السُّلَيك يعطى عبدَ الملك بنَ مُوَيلكٍ الخثعميَّ إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوزَ بلاد خثعم إلى مَن وراءهم من أهل اليمن ، فيُغِـيرَ عليهم . فمرّ قافلا من غزوة فاذا بَيت من خثعم أهلُه خُلوف[1] وفيه امرأة شابة بَضّة ، فسألها عن الحي فأخبرته ، فتسنمها ، أى علاها ، ثم جلس حَجْرَةً[2] ، ثم التقم المَحجّة ،[3] فبادَرتْ إلى الماء فأخبَرتْ القوم ، فركب أنس[4] بنُ مُدركٍ الخثعمى فى طلبه فلحقه ، فقتله . فقال عبدالملك : والله لأقتلَنّ قاتله أو ليَدِينّه ، فقال أنس : والله لا أدِيه ولا كرامة ، ولو طلب فى ديته عِقالا لما أعطيته . وقال فى ذلك :

إنى وقتلِي سُلَيكا ثم أعقِلَه كالثور يُضرب لما عافت البقر
عضبتُ للمرء إذ نيكت حليلتُه وإذ يُشَدّ على وَجعائها[5] الثَّفَر[6]
إنى لتاركُ هامات بمجزَرة لايزدهينى[7] سواد الليل والقمرُ
أغشى الحروب وسِربالى مضاعَفة تغشى البنانَ وسيفى صارم ذكر

الغناء بشعره أفسد مجلس لهو

أخبرنى ابنُ أبى الأزهر عن حمادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن فُلَيح بن أبى العوراء قال :

كان لى صديق بمكة ، وكنا لا نفترق ولا يكتم أحد صاحبه سرًّا ، فقال لى ذات يوم : يافُلَيح ، إنى أهوى ابنة عم لى ولم أقدر عليها قط ، وقد زارتنى اليوم فأحبّ أن تَسُرّنى بنفسك ، فإنى لا أحتشمك . فقلت : أفعل ، وصرت إليهما ، وأحضر

(١) خلوف : ذهبوا من الحى .
(٢) زيادة فى ف ، ومعناها : جلس ناحية .
(٣) التقم المحجة : استقبلها ، وراح يطويها كأنه يلتقمها .
(٤) كذا فى ا ، ف ، م . وفى ب ، س : «أسد» .
(٥) الوجعاء : الدبر .
(٦) الثفر : السير فى مؤخر السراج ، وكنى بذلك عن اعتلائه إياها .
(٧) لا يزدهينى : لا يستخفنى .

الطعام فأكلنا ، ووُضع النبيذ فشربنا أقداحا ، فسألنى أن أغنيَهما ، فكأن الله — عز وجل — أنسانى الغناء كلّه إلا هذا الصوت :

من الخفِرات لم تفضح أباها ولم تُلحق[1] بإخوتها شَنارا

فلما سمِعَته الجارية قالت أحسنت يا أخى ، أعِد ، فأعدتُه . فوثبَتْ وقالت : أنا إلى الله تائبة ، والله ما كنت لأفضح أبى ولا لأرفعَ لإخوتى شنارا . فجَهَد الفتى فى رجوعها فأبَت وخرجَت ، فقال لى : ويحك ما حملك على ما صنعتَ ؟ فقلت : والله ما هو شىء اعتمدتُه ، ولكنه أُلقِى على لسانى لأمر أُريدَ بك وبها . هكذا فى الخبر المذكور .

وقد رواه غير من ذكرتُه عن فُلَيح بن أبى العوراء ، فأخبرنى اليزيدىّ عن عمه عبيد الله قال : كان إبراهيم بن سَعدان يؤدب ولد علىّ بن هشام ، وكان يغنّى بالعود تأدبا ولعبا ، قال : فوجّه إلىّ يوما علىُّ بنُ هشام يدعونى ، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنَّرْد ، فرجعت عجِلا ، فصاح بى : ادخل ، فدخلْت ، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه ، فقال : خذ عودا وغنّ لنا ، ففعلت ، ثم غنيت فى وَسَط غنائى :

مِن الخفِرات لم تَفضح أباها ولم ترفع لإخوتها شَنارا

فوثبت من بين يديه ، وغطت رأسها ، وقالت : إنى أُشهد الله أنى تائبة إليه ، ولا أفضح أبى ولا أرفع لإخوتى شنارا . فقَتَر علىّ بن هشام ولم ينطق وخرجَتْ من حضرته ، فقال لى : ويلك ، مِن أين صَبّك الله علىّ ؟ هذه مغنية بغداد ، وأنا فى طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلا اليوم ، فجئتنى بهذا الصوت حتى هربَت . فقلت : والله ما اعتمدتُ مَساءتك ، ولكنه شىء خطر على غير تعمد .

(١) ف ، هد . «ولم ترفع» .

صـوت

أمَسلَمَ إنِى يا بنَ كلّ خليفة ويا جبَل الدنيا ويا ملِكَ الأرضِ
شكرتُك إن الشكر حظ من التقى وما كلّ من أوليتَه نعمة يَقضى ١٣٩ / ١٨

الشعر لأبى نُخَيلة الحِمانى ، والغناء لابن سُرَيج ، ثقيل بالوسُطى عن يحيى المكى .

أخبار أبى نخيلة ونسبه

اسمه وكنيته ونسبه

أبو نُخَيلَة اسمه لا كنيته ، ويكنى أبا الجُنيد ، ذكر الأصمعى ذلك وأبو عمرو الشيبانى وابن حبيب ، لا يعرف له اسم[1] غيره ، وله كنيتان : أبو الجُنيد وأبو العِرماس ، وهو ابن حزن[2] بنِ زائدةَ بنِ لقيط بن هَرِمِ بنِ يَثْرِبِىّ ، وقيل : بن أثربى ابنِ ظالِم بنِ مُجاسِر بنِ حمّاد بنِ عبد العزّى بنِ كعبِ بنِ لُؤَى بن سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم .

نفاه أبوه عن نفسه لعقوقه

وكان عاقا بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقى مشكوكا فى نسبه ، مطعونا عليه . وكان الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد ليس بالكبير[3] .

مسلمة بن عبدالملك يصطنعه

ولما خرج إلى الشأم اتصل بمَسْلمةَ بنِ عبد الملك ، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحدا بعد واحد ، واستماحهم له فأغنوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بنى هاشم ، ولقّب نفسه شاعر بنى هاشم ، فمدح الخلفاء من بنى العباس ، وهجا بنى أمية فأكثر .

يغرى المنصور بعيسى بن موسى فيبعث من يقتله

وكان طامعا[4] ، فحمله ذلك على أن قال فى المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى ابن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدى ، فوصله المنصور بألفى درهم ، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل ، فطلبه عيسى فهرب منه ؛ وبعث فى طلبه مولى له ، فأدركه فى طريق خراسان ، فذبحه وسلخ جلده[5] .

---

(١) فى الشعراء : اسمه يعمر .
(٢) ب ، س « حدن » .
(٣) فى ا ، م : « بالكثير » .
(٤) فى ا ، جـ ، ف ، م : « طامعا نطفا » ، أى مريبا ملطخا بعيب .
(٥) فى هد ، ف : « وسلخ وجهه » .

سأل فمطل فهجا ثم أجيب فمدح

أخبرنى هاشمٌ الخزاعى عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه قال : رأى أبو نُخيلة على شَبيب حلة[1] فأعجبَته ، فسأله إياها ، فوعده ومطله ، فقال فيه :

يا قومِ لاتُسوِّدوا شبيبا الخائنَ[2] ابن الخائن الكذوبا

* هل تلد الذِّيبة إلا الذيبا ؟ *

قال : فبلغه ذلك ، فبعث إليه بها فقال :

إذا غدتْ سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

مِن مطلع الشمس إلى مغيبها عجبتَ من كثرتها وطيبها

لايهجو خالد بن صفوان خشية لسانه

حدثنى حبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبىُّ عن عمر بن شبَة ، قال : حدثنى الرِّعل بن الخطاب قال :

بنى أبو نُخيلة داره ، فمرّ به خالد بن صفوان[3] وكان بينهما مداعبة قديمة ، ومودة وكيدة ، فوقف عليه[3] .

فقال أبو نخيلة : يابن صفوان ، كيف ترى دارى ؟ قال : رأيتك سألتَ فيها إلحافا ، وأنفقتَ ماجمعت إسرافا . جعلتَ إحدى يديك سَطحا ، وملأتَ الأخرى سَلحا ، فقلتَ : مَن وضع فى سَطحى وإلا ملأتُه بسَلْحى ، ثم ولّى وتركه .

فقيل له : ألا تهجوه ؟ فقال : إذن والله يركب بغلته ، ويطوف فى مجالس البصرة ، ويصف أبنيتى[4] بما يعيبها . وما عسى أن يضرّ الإنسان صفةُ أبنيته بما يَعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة .

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى ا ، ف ، م : «جبة» .

(٢) فى ا ، جـ ، ف ، م : « المذان الخائن الكذوبا » . والمذان ، بالتحريك : المتصنع الذى لاتصح مودته .

(٣-٣) زيادة فى ف .

(٤) هد ، م : « أرنبتى » .

تأديب فى البادية حتى شعر

أخبرنى الحسنُ بنُ على الخفّاف عن ابن مَهْرُويه عن أبى مسلم المستملى عن الحِرْمازى عن يحيى بن نجيم قال :

١٤٠ / ١٨

لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه ، فتأدب بالبادية حتى شعر[1] وقال رجزا كثيرا وقصيدا صالحا وشهر بهما ، وسار شعره فى البدو والحضر ، ورواه الناس . ثم وفد إلى مَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك[2] فرفع منه ، وأعطاه ، وشفع له ، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك[2] ، فمدحه ، ولم يزل به حتى أغناه ، قال يحيى بن نجيم : فحدثنى أبو نخيلة قال : وردت على مَسلَمة بن عبد الملك فمدحته ، وقلت له :

مدح مسلمة بن عبد الملك

أمَسْلَمَ إنى يابنَ كلِّ خليفة ويافارس الهيجا وياجبل الأرضِ
شكرتُك إنّ الشكر حبل من التقى وما كل من أوليتَه[3] نعمة يَقضى
وألقيت لما أن أتيتكَ زائرا علىّ لحافا سابغ الطول والعرض[4]
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا ولكنّ بعض الذكر أنبهُ من بعض

يستنشده مسلمة فينتحل أرجوزة لرؤبة

قال : فقال لى مسلمة : ممن أنت ؟ فقلت : من بنى سعد . فقال : مالكم يابنى سعد والقصيد وإنما حظكم فى الرجز ؟ قال : فقلت له : أنا والله أرجز العرب ، قال : فأنشدنى من رجزك ، فكأنى والله لما قال ذلك لم أقل رجزا قط ، أنسانيه الله كلَّه ، فما ذكرتُ منه ولا من غيره شيئا إلا أرجوزة لرؤبة كان قالها فى تلك السنة ، فظننتُ أنها لم تَبلغ مَسْلَمة ، فأنشدته إياها ، فنكس رأسه وتَعَتعت ، فرفع رأسه إلىّ وقال : لاتُتعب نفسك ، فأنا أروَى لها منك ، قال : فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزام عند

(١) فى ا ، م : «استوى» .
(٢ – ٢) زيادة فى ا ، ف ، م .
(٣) فى ا : أقرضته .
(٤) زيادة من ف ، هد .

نفسى حتى تلطفت[1] بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفنى وقرّبنى . وما رأيت ذلك أثر فيه ، يرحمه الله ولا قرّعنى به حتّى افترقنا .

من مدحه لمسلمة

وحدثنى أبو نخيلة قال : لما انصرف مَسْلَمة من حرب يزيدَ بنِ المهلب تلقيته ، فلما عاينته صحت به :

مَسْلَمَ يامَسْلَمَةَ الحروبِ أنت المصفّى من أذى العيوبِ
مُصاصةٌ من كَرم وطيب لولا ثقاف[2] ليس بالتدبيب[3]
تفرى به عن حُجُب القلوب لأمست الأمّة شاء الذيب

فضحك وضمّنى إليه ، وأجزل صلتى .

يسأل رجلا من عشيرته أن يوصله إلى الخليفة هشام فيفعل

حدثنى هاشمُ بنُ محمد الخزاعىّ قال : حدثنا عبدُ الرحمن ابنُ أخى الأصمعى عن عمه ، وأخبرنى بهذا الخبر أحمد بنُ عُبيد الله بن عمّار قال : حدثنى علىُّ بنُ محمد النّوفلى عن أبيه — وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعى ، قال : قال أبو نخيلة :

وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات ، وكنت بأخلاق هشام غِرّا وأنا غريب ، فسألت عن أخص الناس به ، فذُكر لى رجلان : أحدهما من قيس ، والآخر من اليمن ، فعدلتُ إلى القيسى بالتؤدة[4] فقلت : هو أقربهما إلىّ ، وأجدرهما بما أُحب ، فجلست إليه ، ثم وضعت يدى على ذراعه وقلت له : إنى مَسِستك[5] لتمسّنى رحِمك[6].

(١) فى ب ، س : « استضلعت » .
(٢) الثقاف : ما تسوى به الرماح .
(٣) ا التذنيب
(٤) فى جـ : « بالنوارية » . وفى ا ، م: « بالمزارية » ، ولم أعثر على موضع بهذه الألفاظ فى المظان التى رجعت إليها .
(٥) كذا فى ا ، م . وفى ب ، س : « مستثنيك » ، تحريف .
(٦) فى ف : « لتمسّنى رحمك ، رحمك الله » .

أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك، وأنا غـير عارف بأخلاق هذا الخليفة، وأحببت أن ترشدنى إلى ما أعمل فينفعُنى عنده، وعلى أن تشفع لى وتوصلنى إليه، قال: ذلك كلُّه لك علىّ. وفى الرجل شِدة، ليس كَمَن عهدت من أهله، وإذا سئل وخُلط مدحه بطلب حَرم الطالب، فأخلص له المدح، فإنه[١] أجدَر أن ينفعَك، واغد إليه غدا فإنى منتظرك بالباب حتى أوصلك، والله يعينك. فصرتُ من غد إلى باب هشام، فإذا بالرجل منتظر لى، فأدخلنى معه، وإذا بأبى النجم قد سبقنى فبدأ فأنشده قوله: ١٤١/١٨

إلى هشام وإلى مروانِ بيتان ما مثلهما بيتانِ
كفَّاكَ بالجود تَباريان كما تبارى فرسا رِهان
مال علىّ حدَثُ[٢] الزمان وبيعَ ما يغلو من الغلمان
بالثمن الوَكْس من الأثمان والمُهر بعد المُهر والحصان

قال: فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام، وتبينتُ الكراهة فى وجهه، ثم استأذنتُ فأذن لى، فأنشدته: يمدح هشاما فيجيزه

لما أتتنى بغيةٌ كالشَّهد والعسل الممزوج بعد الرقد[٣]
يا بَرْدَها لمُشْتَفٍ بالبَرْد رفعتُ[٤] من أطمار مستعِدّ
وقلت لِلعِيس اعتلى وجِدى فهْى تخدّى[٥] أبرح[٦] التخدى

(١) كذا فى ا، ف، م. وفى ب، س: «فإذا» تحريف.
(٢) كذا فى ا، م. وفى ب، س: «حدب»، تحريف.
(٣) الرقد: الرقاد.
(٤) فى ب، س: «رحت من الجبال مسمغد» تحريف، والمسمغد: الممتلئ غضبا.
(٥) تخدى: تسرع، وترج بقوائمها.
(٦) كذا فى ب، س، وفى ف وخزانة الأدب: «أحسن».

كم قد تعسّفتُ(١) بها من نجد ... ومُجْرَهِدٍّ(٢) بعد مُجْرَهِدّ

قد ادّرَعْن فى مَسير سَمْدُ(٣) ... ليلاً كلَون الطيلسان الجَرْدِ(٤)

إلى أمير المؤمنين المُجدى ... رَبِّ مَعَدّ وســـوى معدّ

ممن دعا مِن أصيدٍ وعبد(٥) ... ذى المجد والتشريف بعد المجد

فى وجهه بدر بدا بالسّعد ... أنت الهُمام القَرْمُ(٦) عند(٧) الجِد

طُوِّقتَها بمجتمِع الأشُـــد ... فانهلّ لما قمتَ صوبُ الرعد

قال : حتى أتيتِ عليها وهممت أن اسأله ، ثم عزفتْ نفسى وقلت : قد استنصحتُ رجلا ، وأخشى أن أخالفه فأخطئ ، وحانت منى التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقا . فلما فرغتُ أقبل على جلسائه فقال : الغلام السّعدىّ أشعر من الشيخ العِجْلى ، وخرجت . فلما كان بعدَ أيام أتتنى جائزته ، ثم دخلتُ عليه بعد ذلك ، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إياها فألقى علىّ جُبّةَ خَز من جِبابه مبطنةً بِسَمّور ، ثم دخلت عليه يوما يسأله كسوة فيجيبه آخر ، فكسانى دُوّاجا(٨) كان عليه من خَز أحمر مبطنٍ بسَمّور ، ثم دخلت عليه يوما ثالثا فلم يأمر لى بشئ ، فحملتنى نفسى على أن قلت له :

---

(١) فى ف : « تعسفن بنا » .

(٢) مجرهد : مكان لا نبات فيه .

(٣) سمد : مستمر فى السير .

(٤) الجرد : الخلق .

(٥) كذا فى ا ، ف ، م. وفى ب ، س : «نجد» ، والنجد : صاحب النجدة .

(٦) القرم : السيد ، وأصله الفحل المكرم لا يركب ولا يرحل .

(٧) فى ب ، س : « عقد » تحريف .

(٨) الدواج ، ويخفف : الثوب الواسع الذى يغطى الجسد كله ، وهو فى س ، ب : «دراج» ، تحريف .

كسوتنيها فهى كالتّجفاف(١) من خزك المصونة الكثاف
كأننى فيها وفى اللّحاف من عبد شمس أو بنى مناف
* والخزّ مشتاق إلى الأفواف(٢) *

قال ، فضحك — وكانت عليه جبة أفواف — وأدخل يده فيها ونزعها ورمَى بها إلىّ ، وقال : خذها ، فلا بارك الله لك فيها .

يغير داليته ويجعلها فى السفاح

قال محمدُ بنُ هشام فى خبره خاصة : فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيّرها وجعلها فيه — يعنى الأرجوزة الدالية — فهى الآن تنسب فى شعره إلى السفاح .

يشفع للفرزدق عند ابن هبيرة

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدثنى أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثنى أبو عمر الخصاف عن العتبى قال :

١٤٢/١٨

لما حبَس عمرُ بن هُبَيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يشفَّع فيه أحدا ، فدخل عليه أبو نُخَيلة فى يوم فِطر ، فوقف بين يديه وأنشأ يقول :

أطلقتَ بالأمس أسير بَكر فهل ، فَداكَ نَفَرى وَوفْرى
مِن سببٍ أو حُجة أو عذر يُنْجى التميمىَّ القليلَ الشكر
من حَلَق القيد الثِّقال السُّمر ما زال مجنونا على آست(٣) الدهر

(١) التجفاف : آلة تلبس فى الحرب للوقاية .
(٢) الأفواف : البرود اليمنية والثياب الرقيقة ، جمع فوف .
(٣) فى ا ، جـ : « مجنوبا عمر الدهر » . والمجنوب : المقود إلى جنب غيره .

ذا حسب ينمو[1] وعقل يحرى[2] هبه لأخوالك يوم الفطر

قال : فأمر بإطلاقه ، وكان قد أطلق قبله رجلا من عِجل جىء به من عين التمر[3] قد أفسد ، فشفعتْ فيه بكرُ بن وائل فأطلقه . وإياه عنى أبو نُخَيلة . فلما أُخرج الفرزدق سأل عمن شفع له فأُخبر ، فرجع إلى الحبس وقال : لا أريمه ولومت . انطلق[4] قَبلى بكرى وأخرجتُ[5] بشفاعة دَعِىّ ، والله لا أخرج هكذا ولو من النار . فأخبر ابنُ هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه ، وقال : وهبتك لنفسك . وكان هجاه فحبسه لذلك ، فلما عُزل ابن هُبَيرة وحُبس مدحه الفرزدق ، فقال : ما رأيت أكرم منه ، هجانى أميرا ومدحنى أسيرا .

يعود الفرزدق إلى السجن حين علم أن شفيعه أبو نخيلة

رواية أخرى لخبر هذه الشفاعة

وجدت هذا الخبَر بخط القاسم بنِ يوسف ، فذكر أن أبا القاسم الحضرَمىّ حدّثه أن هذه القصة كانت لأبى نُخَيلة مع يزيدَ بن عُمرَ بنِ هُبَيرة ، وأنه أُتى بأسيرين من الشُّراه أُخذا بعين التمر : أحدهما أبو القاسم بنُ بِسطامِ بن ضِرار بن القعقاع بن معبَد ابن زُرارة ، والآخر رجل من بكر بن وائل . فتكلم فى البكرى قومُه فأطلقه ، ولم يتكلم فى التميمىّ أحد ، فدخل عليه أبو نخيلة فقال :

الحمــد لله ولىِّ الأمرِ هو الذى أخرج كلّ غمْرِ[6]
وكلّ عُوّارٍ[7] وكلّ وَغْرِ[8] من كلّ ذى قلب نقىّ الصدر

---

(١) وفى ا ، ف ، م : «يعلى» .
(٢) كذا فى س . ويحرى : ينقص . وفى سائر النسخ : «يزرى» .
(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة .
(٤) كذا فى ب ، س ، ف . وفى ا ، م : «أيطلق قبلى» .
(٥) وفى ف : «وأطلق» .
(٦) غمر : حقد .
(٧) العوار فى الأصل : اللحم ينزع من العين . والمراد الفساد والشر .
(٨) وغر : ضغينة .

لما أتتْ من نحو عين التمْ ـرِ سِتٌ أثاف ، لا أثافى القِدرِ
فظلّت القضبان فيهم تجرى هَبْرا[1] هو الهبر وفوق الهبرِ
إنى لمهـــدٍ للإمام الغَمْر[2] شعرى ونُصحَ الحب[3] بعد الشعر

ثم ذكر باقى الأبيات كما ذُكرت فى الخبر المتقدم .

إذا نزل به ضيف هجاه

أخبرنى أبو الحسن الأسدىُّ أحمدُ بنُ محمد قال : حدثنى محمد بن صالح بن النّطاح قال :

ذكر عن العتبي أن أبا نُخَيلة حج ومعه جَريب من سَوِيق قد حلاّه بِقَنْد[4] ، فنزل منزلا فى طريقه ، فأتاه أعرابى من بنى تميم وهو يقلب ذلك السّويق ، واستحيا منه فعرض عليه ، فتناول ما أعطاه فأتى عليه ، ثم قال : زدنى يا بن أخ ، فقال أبو نُخَيلة :

لَمّا نزلنـــا منزلا ممقوتا نُريد أن نَرحلَ أو نبيتا
جئتَ ولم نَدْرِ من أين جيتا إذا سقيتَ المُزبد السّحتيتا[5]

* قلت ألا زدنى وقد رويتا *

فقام الأعرابىّ وهو يسبّه .

وحدثنى بهذا الخبر هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعىّ قال : حدثنا أبو غسان دماذ عن أبى عبيدة قال :

---

(١) الضرب الهبر : الذى يقطع من اللحم .
(٢) الغمر : الكريم الخلق .
(٣) فى ا ، ف ، م : «الجيب» .
(٤) القند : عسل قصب السكر إذا جمد ، معرب .
(٥) السحتيت : السويق القليل الدسم .

كان أبو نُخَيلة إذا نزل به ضيف هجاه ، فنزل به يوما رجل من عشيرته ، فسقاه سويقا قد حلاّه ، فقال له : زدنى ، فزاده . فلما رحل هجاه وذكر الأبيات بعينها ، ١٤٣/١٨ وقال فى الخبر قال أبو عبيدة : السِّحتيت : السويق الدُّقاق .

يعتذر إلى السفاح من مدحه بنى مروان

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال : حدثنا محمد بن زكريا الغَلابىّ قال : حدثنى ابن عائشة قال :

دخل أبو نُخَيلة على أبى العباس السفاح فسلّم ، واستأذن فى الإنشاد ، فقال له أبو العباس : لا حاجة لنا فى شعرك ، إنما تنشدنا فضلات بنى مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين :

كنا أناسا نرهب الأملاكا   إذ ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتَجَينا زمنًا أباكا   ثم ارتجينا بعده أخاكا
ثم ارتجينا بعده إياكا(١)   وكان ما قلتُ لِمَن سواكا
* زُورا فقد كفّر هذا ذاكا *

فضحك أبو العباس ، وأجازه جائزة سنية ، وقال : أجل ، إن التوبة لتكفر ما قبلها ، وقد كفّر هذا ذاك .

وأخبرنا أبو الفياض سَوّار بن أبى شراعة قال : حدثنى أبى عن عبد الصمد ابن المعذَّل عن أبيه قال :

دخل أبو نُخَيلة على أبى العباس ، قال وكان لا يجترىء(٢) عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مَسْلمة إياه ، وكثرة مديحه لبنى مروان حتى علم أنه قد عفا عن أكبر(٣) محَلاً

(١) فى هد ، ف : «ثم ارتجيناك لها إياكا» .
(٢) ف : «وكاد لا يجترىء» .
(٣) كذا فى ب . وفى سائر النسخ : « أكثر» .

من القوم وأعظم جرما منه ، فلما وقف بين يديه سلّم عليه ، ودعا له وأثنى ، ثم استأذنه فى الإنشاد ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : عبدك يا أميرَ المؤمنين أبو نُخَيلة الحِمّانىّ . قال : لا حيّاكَ الله ، ولا قرّب دارك يا نِضْو السوء . ألست القائل فى مَسْلَمةَ ابنِ عبد الملك بالأمس :

أَمَسْلَمَ يا من ساد كلّ خليفةٍ[1] ويافارسَ الهيجا ويا قمرَ الأرض ؟

والله لولا أنى قد أمّنت نظراءك لما ارتدّ إليك طرفك حتى أخضِبَك بدمك . فقال أبو نخيلة :

* كنّا أناسا نرهب الأملاكا *

وذكر الأبيات المتقدمة كلّها مثل ما مضى من ذكرها ، فتبسم أبو العباس ، ثم قال له : أنت شاعر وطالب خير[2] . وما زال الناس يمدحون الملوك فى دولهم ، والتوبة تكفر[3] الخطيئة ، والظّفر يزيل الحقد . وقد عفَونا عنك ، واستأنفنا الصنيعة لك . وأنت الآن شاعرنا فاتَّسِم بذلك فيزولَ عنك مِيسم بنى مروان ، فقد كفّر هذا ذاك . كما قلت . ثم التفت إلى أبى الخصيب فقال : يا مرزوق ، أدخله دار الرقيق فخيّره جارية يأخذها لنفسه ، ففعل واختار جارية وطفاء[4] كثيرة اللحم فلم يحمدها ، فلما كان من غد دخل على أبى العباس وعلى رأسه وصيفة حسناء[5] تذبّ عنه ، فقال له : قد عرفتُ خبر الجارية التى أخذتَها بالأمس وهى كذا وكذا فاحتفظ بها ، فأنشأ يقول :

يعفو السفاح عنه ويخوله اختيار جارية فلا يحمدها

(١) ف ، هد ، م : «أسلم إنى يابن كل خليفة» .
(٢) فى ف : «خبز» .
(٣) فى ف : «تمحو» .
(٤) كذا فى ف . والوطفاء : الكثيرة شعر الحاجبين والعينين . وفى سائر النسخ : «وطباء» ، تحريف .
(٥) زيادة فى ا ، ف ، م .

إني وجدت الكذناذنوكا[1] غيرَ منيك فابغني مُنَيِّكا
* حتى إذا حركتُه تحرّكا[2] *

فضحك أبو العباس، وقال: خذ هذه الوصيفة، فإنك إذا خلوتَ بها تَحرّكْ من غير أن تحركه.

رجزه وقد هرب من دين طولب به

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عُبيدة قال: ادّان أبو نخيلة من بقّال له يقال له: ماعزٌ الكلابيُّ باليمامة، وكان يأخذ منه أولا أولا[3]، حتى كثر ما عليه وثقل، فطالبه ماعز فمطَلَه، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة، فارتحل يريد الموصل، وخرج عن اليمامة ليلا، فلم يعلم به ماعز إلا بعد ثلاث. وقد نجا أبو نُخَيلة وقال في ذلك:

١٤٤/١٨

يا ماعزَ الكُرّاث قد خزيتا[4] لقد خدعت[5] ولقد هجيتا
كِدتَ[6] تَخصينا فقد خُصيتا وكنت ذا حظ فقد مُحيتا
ويحكَ لم تعلم بمن صُليتا ولا بأيّ حَجَر رُميتا
إذا رأيت المُزبدَ المَبوتا[7] يركب شِدْقا شَدْقَما[8] هَريتا[9]

(١) كذا في ف: «الكذنا ذنوكا». وفي ب س: «الأنذبان الكوذكا»، اسم الجارية.
(٢) في ا، م. «تحريكا» تحريف.
(٣) زيادة في ا، ف، م.
(٤) كذا في ف. وفي سائر الأصول: «خريتا».
(٥) كذا في ا، ف، م. وفي ب، س: «خربت».
(٦) كذا في الأصول، وفي وزنه شذوذ عروضي.
(٧) كذا في ف، م. والمبوت: القاهر من هبته بمعنى ضربه، وطأطأه وحطه. وفي ب، س، ا: «المبهوتا»، تحريف.
(٨) كذا في ا، ف، م. ومعناه الواسع العظيم وفي ب، س: «شدقا» بفتح فكسر.
(٩) هريتا: واسعا.

طِرْ بجناحيك فقــد أتيتا   حَرّان[١] حرّان فهيتا[٢] هِيتا
والموصلَ الموصلَ أو تــكْريتا[٣]   حيث تبيع النبَطُ البيوتا

* ويأكلون العدَسَ المَريتا[٤] *

وقال أيضا لماعز هذا :

يا ماعزَ القَمل وبَيتَ الذّلّ   بِتّناوبات البغل فى الإصطبل
وبات شيطان القوافى يُمْلى   على امرئ فَحْلٍ وغير فحل
لا خير فى عِلمى ولا فى جهلى   لو كان أودَى ماعز بنخلى[٥]
ما زال يَقلِينى وعَيْمى[٦] يغلى   حتّى إذا العَيم رمَى بالجفل[٧]

* طبّقت تطبيق الجُراز النصل *

يقرن مدح الممدوح بمدح سائسه

نسخت من كتاب اليوسفىّ . حدثنى المنمقُ بن جمّاع عن أبيه قال :

كان أبو نُخَيلة نَذلا يرضيه القليل ، ويسخطه ، وكان الربيع يُنْزله عنده ، ويأمر سائسا يتفقد فرسه ، فمدح الربيع بأرجوزة ، ومدح فيها معه سائسه فقال :

لولا أبو الفضل ولولا فضلهُ   ما اسْطِيع باب لا يُسنّى[٨] قُفْلُهُ

(١) حران : قصبة ديار مضر بين الرها والرقة ، واسم لمواضع أخرى .
(٢) هيت : بلد بالعراق على الفرات .
(٣) تكريت : من بلاد الجزيرة على دجلة .
(٤) المريت : المجروش .
(٥) كذا فى غير ف . وفى ف : « لو كان يدرى ماعز محلى » .
(٦) كذا بالأصول . ومعناه العطش ، وشهوة اللبن . ولعله محرف عن الغيم ، وهو الغيظ .
(٧) أصل الجفل : الجرف والقشر . وجفل الفيل : راث ، وروثه الجفل أيضا . ورمى بالجفل ، يريد أن الغضب جعله يزبد ويقذف بالمخزيات من المقابح .
(٨) يسنى : يفتح .

ومن صلاح راشد إصطبلُه   نعم الفتى وخيرُ فعل فعله

* يَسْمَنُ منه طِرفه وبغله[1] *

فضحك الربيع، وقال: يا أبا نُخَيلة أترضى أن تَقرِن بى[2] السائس فى مديح! كأنك لو لم تمدحه معى كان يضيع فرسك.

يمدح خبازا مضيفه

قال: ونزل أبو نُخَيلة بسليمان بنِ صعصعةَ، فأمر غلامه بتعهده، وكان يغاديه ويراوحه فى كل يوم بالخبز واللحم، فقال أبو نخيلة يمدح خبّاز سليمانَ بنِ صعصعة:

بارَكَ ربِّى فيك من خباز   ما زلت إذ كنتَ على أوفاز[3]

* تنصبّ باللحم انصباب الباز *

شعره وقد رأى اجتهاد العمال فى أرض له

أخبرنى هاشم بنُ محمّدٍ الخزاعىُّ قال: حدثنا عيسى بن إسمعيلَ تِينةُ قال: حدثنا أحمدُ بنُ المعذَّل عن علىّ بن أبى نُخَيلة الحِمانىّ قال:

دخلتُ مع أبى إلى أرض له وقد قدم من مكة، فرآها وقد أضرّ بها جفاء القيِّم عليها وتهاونه بها، وكلما رآه الذين يسقونها زادوا فى العمل والعِمارة حتى سمعتُ نقيضَ الليف، فقلت: الساعةَ يقول فى هذا شعرا، فلم ألبث أن التفت إلىّ وقال:

شاهد مالاً رَبُّ مالٍ فساسَهُ   سياسة شهم حازم وابن حازم

١٤٥/١٨

أقام بها العصْرين حيناً[4] ولم يكن   كمن ضنّ عن عُمرانها بالدراهم

كأنّ نقيض الليف عن سعفاته   نقيضُ رحال المَيْس[5] فوق العياهم[6]

(١) الطرف: الكريم من الخيل.

(٢) كذا فى ب، س، ف. وفى ا، م: «تقرن بينى وبين السائس».

(٣) على أوفاز: معجل، جمع وفز بفتح فكسر. والوفز أيضا: المكان المرتفع.

(٤) كذا فى ف، وفى باقى الأصول: «أقام به العمران حين».

(٥) نقيض الرحال: صوتها، والميس: التبختر.

(٦) العياهم: جمع عيهم، وهو الشديد، والناقة السريعة.

وأضحت تغالى[1] بالنبات كأنها على متن شيخ من شيوخ الأعاجم
وما الأصل ما روّيتَ مضرب[2] عِرقه من الماء عن إصلاح فرع بنائم

أخبرنى بهذا الخبر محمدُ بنُ مزيد عن أبى الأزهر البُوشَنجىّ قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق الموصلىّ عن النضر بن حديد عن أبى محضة عن الأزرق بن الخميس بن أرطاة — وهو ابن أخت أبى نخيلة — فذكر قريبا مما ذُكر فى الخبر الذى قبله .

يسأل فلا يعطى فيهجو ثم يعطى فيمدح

وأخبرنى عيسى بن الحسن الورّاق المَرْوَزىّ قال: حدثنا علىّ بنُ محمد النَّوفَلىّ قال: حدثنى أبى قال:

ابتاع أبو نُخَيلة دارا فى بنى حِمّان ليصحح بها نسبَه، وسأل فى بنائها، فأعطاه الناس اتقاء للسانه وشرّه، فسأل شبيب بن شيبة[3] فلم يعطه شيئا واعتذر إليه، فقال:

يا قومِ لا تسوّدوا شبيبا المَذَانَ[4] الخائن الكذوبا
* هل تلد الذِّيبةُ إلا الذيبا *

فقال شبيب: ما كنت لأعطيه على هـذا القول شيئا، فإنه قد جعل إحدى يديه سطحا، وملأ الأخرى سلحا، وقال: مَن وضع شيئا فى سطحى وإلا ملأته بسلحى، من أجل دار يريد أن يصحح نسبه بها، فسفر بينهما مشايخ الحىّ حتى يعطيَه، فأبى شبيبٌ أن يعطيه شيئا، وحلف أبو نُخَيلة ألا يكفّ عن عِرضه أو يأخذَ منه شيئا يستعين به . فلما رأى شبيب ذلك خافه، فبعث إليه بما سأل، وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس فى مجلِسه مع قومه، فوقف عليهم، ثم أنشأ يقول:

(١) وهو من غالى بالسهم إذا رفع به يديه لأقصى الغاية . وفى ف : تعالى .
(٢) كذا فى ا، م . وفى ب، س : « مضروب » . وفى ف : « ضرب عروقه » .
(٣) فى معظم الأصول « شبة » ، تحريف .
(٤) المذان : المتصنع الذى لا تصح مودته .

إذا غدَتْ سعد على شبيبها | على فتاها وعلى خطيبها
مِن مطلع الشمس إلى مغيبها | عجبْت من كثرتها وطيبها

أخبرنى محمدُ بنُ الحسنِ بن دُرَيد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبى عُبيدة قال:

ينتحل أرجوزة لرؤبة وينشدها فيفجؤه رؤبة من مرقده فيعتذر

دخل أبو نُخَيلة على عُمرَ بنِ هُبَيْرةَ ، وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر ، فأنشد أبو نخيلة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة : يا أبا نخيلة ، أىَّ شىء أحدثتَ بعدنا ؟ فاندفع يُنشده أرجوزة لرؤبة ، فلما توسطها كشف رؤبة الستر ، وأخرج رأسه من تحته ، فقال له : كيف أنت يا أبا نُخَيلة ؟ فقطع إنشاده وقال : بخير أبا العجاج ، فمعذرة إليك ماعلمت بمكانك ، فقال له رؤبة : ألم نهك أن تعرض لشعرى إذا كنتُ حاضرا ، فإذا ما غبتُ فشأنك به ! فضحك أبو نخيلة ، وقال : هل أنا إلا حسنة من حسناتك ، وتابعٌ لك ، وحامل عنك ؟ فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع ، ولم يراجعه حرفا . والله أعلم .

أخبرنى هاشم بنُ محمد قال : حدثنا دَماذُ عن أبى عبيدة :

يمدح ثم لايرضى الجائزة فيهجو ، ثم يزاد فيمدح

أن أبا نُخَيلة قدم على المهاجر بن عبد الله الكلابى — وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجها وجِسما وقامة ، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر — فدخل عليه فأنشده قوله فيه :

يا دارَ أمِّ مالك ألا اسلمى | على التنائى من مُقام وانعَمى
كيف أنا إن أنت لم تـكلّمى | بالوحْى أو كيف بأن تجمجمى[(١)]
تقول لى بنتى ملامَ اللُّوَّم | يا أبتا إنك يوما مؤتِمى[(٢)]
فقلت كلاّ فاعلمى ثم اعلمى | أنى لميقات كتاب محكَم
لو كنتُ فى ظلمة شِعب مظلم | أو فى السماء أرتقى بسلَّم

١٤٦ / ١٨

(١) الجمجمة : ألا يبين الكلام . وفى ب ، س : « بأن تحمحمى » ، تحريف .
(٢) مؤتمى : جاعلى يتيمة .

لانصبَّ مقدارى إلى مُجْرَنثَمى[(١)] إلى وربِّ الراقصات[(٢)] الرسَّم
وربِّ حوض زمزم وزمزم لَأَستبين[(٣)] الخير عند مَقدَمى
وعند تَرحالىَ عن[(٤)] مُخَيَّمى علَى ابنِ عبدالله قَرْمِ الأقوم
فإننى بالعِـلم ذو ترسُّم لم أدر أَما مهاجرُ التكرم
حتى تبينت[(٥)] قضايا القسّم[(٦)] مُهاجرُ يا ذا النوال الخِضرِم[(٧)]
أنت إذا انتُجعتَ خيرُ مُنعِم مُشترَكُ النائل جمُّ الأنعُم
ولِتَميمٍ منك خير[(٨)] مُقْسَم إذا التقوا شتى[(٩)] معا كالهُيَّم
قد علِم الشأم وكلّ موسم أنك تحلو لى كحلو[(١٠)] المعجَم
* طورا وطورا أنت مثل العلقم *

قال ، فأمر له المهاجر بناقة ، فتركها ومضى مغضبا ، وقال يهجوه :

إن الكلابىّ اللئيم الأثرما أعطى على المِدْحَةِ نابا عِرْزِما[(١١)]
* ما جبر العظم ولكن تمّما *

(١) كذا فى ف ، ومعناه : مستقرى ، من اجرنثم ، أى سقط من علو إلى أسفل . وفى سائر الأصول : «مجرثمى» ، تحريف .
(٢) الراقصات هنا : الإبل .
(٣) كذا فى ف ، م . وفى سائر الأصول : «لأوثنين» ، تحريف .
(٤) فى ا ، م : «من» .
(٥) فى ب ، س : «تبششت» .
(٦) فى ا ، م : «القسم» .
(٧) الخضرم : الكثير .
(٨) كذا فى ا ، ف . وفى سائر الأصول : «غير» .
(٩) كذا فى ف . وفى سائر : الأصول : «ستا» تحريف .
(١٠) فى ب ، س : «لحلو» .
(١١) ناب عرزم : هزلها الكبر ، وأصل العرزم : الحية القديمة .

فبلغ ذلك المهاجر ، فبعث فترضّاه ، وقام فى أمره بما يحب ، ووصله ، فقال له أبو نُخَيلة : هذه صلة المديح ، فأين صلة الشَّبَه ؟ فإن التشابه فى الناس نسب ، فوصله حتى أرضاه ، فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات ، ورثاه بعد وفاته فقال :

خليلَىّ مالى باليمـــامة مقعدٌ ولا قُرَّةٌ للعين بعد المهاجرِ
مضى مامضى من صالح العيش فاربعا على ابنِ سبيل مزمِع البين عابر
فإن تك فى مَلحودة يا بن وائل فقد كنتَ زين الوفد زين المنابر
وقد كنتَ لولا سَلُّك السيف لم يَنَم مقيم ولم تأمن سبيلُ المسافر
لعزّ[١] على الحيّين قيسٍ وخِندفٍ تبـكّى[٢] علىٌّ والوليد[٣] وجابر
هوى قمر من بينهم فـكأنما هوى البدر من بين النجوم الزواهر

يهجو أخته لأنها خاصمته فى مال لها

أخبرنى هاشم بنُ محمد الخزاعىّ قال : حدثنا دَماذُ عن أبى عبيدة قال :

تزوّجت أخت أبى نخيلة برجل يقال له ميار[٤] ، وكان أبو نخيلة يقوم بمالها مع مالِه ، ويرعى سَوامها مع سَوامه ، ويستبدّ عليها بأكثرِ منافعها ، فخاصمته يوما من وراء خدرها فى ذلك ، فأنشأ يقول :

أظلُّ أرعى وتَرَا هزينا[٥] مُلَملَمًا[٦] ترى له غضونا

---

(١) فى ا ، ف ، م : « يعز » .
(٢) ب ، س : « بمبكى » ، تحريف .
(٣) فى ف : « والحسين » .
(٤) فى ف : « سيار » .
(٥) كذا فى ب ، س . وفى ا ، ف ، م : « هرينا » ، ولم أعثر لها فى الروايتين ولا فيما يقاربها من الكلمات على معنى مناسب .
(٦) ململما : مجتمعا مدورا مضمونا .

ذا أُبَنٍ(١) مقوما(٢) عُثْنونا   يطعن طعنا يقضب(٣) الوتينا(٤)

ويهتك الأعفاج(٥) والرُّبينا(٦)   يذهب ميّــــار وتقعدينا

وتفسدين أو تُبَذِّرينا   وتمنحين استك آخرينــــا ١٤٧ / ١٨

• أير الحمار فى است هذا دينا •

يطلق امرأته لأنها ولدت بنتا ، ثم يراجعها ويرق للبنت

أخبرنى هاشم بنُ محمد الخزاعىُّ قال : حدثنا دَماذ عن أبى عبيدة قال :

تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتا ، فغمه ذلك ، فطلقها تطليقة ثم ندم ، وعاتبه قومه(٧) فراجعها . فبينما هو فى بيته يوما إذ سمع صوت ابنته وأمّها تلاعبها ، فحرّكه ذلك ورق لها ، فقام إليها فأخذها ، وجعل ينزيها ويقول :

يا بنتَ مَن لم يك يهــوَى بنتا   ما كنتِ إلا خمســــة أو ستا

حتى حللتِ(٨) فى الحشى وحــتى   فتَتِّ(٩) قلبى مِنْ جوًى فانفتّا

لأنت خيرٌ من غلام أنْتا(١٠)   يُصبح مخموراً ويمسى سَــبتا(١١)

---

(١) الأبن : العقد فى العود ، جمع أبنة كغرفة .

(٢) فى ف : « مفلما » ، من فدم الإبريق : جعل عليه مصفاة .

(٣) فى ف : « يقصف » .

(٤) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٥) الأعفاج : جمع عفج بالتحريك ، وهو ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة .

(٦) الربين : جمع ربة ، وهى الجوف .

(٧) وعاتبه قومه : زيادة فى ا ، ف ، م .

(٨) فى ب ، س : « هلكت» ، تحريف .

(٩) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « فتت فى القلب جوى » .

(١٠) لعله مخفف أنتأ بمعنى متنفخ كبرا وتعاليا .

(١١) السبت : الكثير النوم ، والغلام العارم الجرىء .

يسأل المهدى زائرا أى النساء أحب إليه فيفضل التى وصفها أبو نخيلة

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدثنى هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبدالملك الزياتُ قال: حدثنا أبو هِفان قال: حدثنى أصحابنا الأهتميون قالوا:

دخل عِقال بنُ شَبة المجاشعىّ على المهدىّ فقال له: يا أبا الشَّيظم، مَا بقى من حبك بناتِ آدم؟ وما يعجبك منهن[١]؟ التى عُصِبت[٢] عَصْب الجانّ[٣]، وجُدِلَت جَدْل العنان، واهتزتِ اهتزاز البان، أم التى بَدُنت فعظمت وكَلَت[٤] فتمت؟ فقال: يا أمير المؤمنين أحبُّهما إلىَّ التى وصفها أبو نخيلة، فإنه كانت له جارية صغيرة وهبَها له عَمُّك أبو العباس السفاح، فكان إذا غشيها صغرت عنه، وقلت تحته، فقال:

إنى وجدتُ الكذناذَنُوكا[٥] غير منيك فابغنى منيكا

* شيئًا إذا حرّكته تحركا *

قال، فوهب له المهدىّ جارية كاملة فائقة متأدبة رَبعة[٦]، فلما أصبح عِقال غدا على المهدىّ متشكراً، فخرج المهدىّ وفى يده مُشط يُسرّح به لحيته وهو يضحك، فدعَا له عِقال وقال له: يا أمير المؤمنين مِمَّ تضحك؟ أدام الله سرورك. قال: يا أبا الشيظم، إنى اغتسلت آنفًا من شىء إذا حركته تحرك، وذكرت قولك الآن لما رأيتك، فضحكت.

يرثى ممدوحا له كان يكثر بره

أخبرنى محمدُ بنُ جعفرٍ النحوىُّ صهرُ المبرّد قال: حدثنى أحمدُ بنُ القاسم

(١) كذا فى ف. وفى سائر الأصول: «ما بقى من حبك؟ قال: بنات آدم. قال: وما يعجبك» الخ.
(٢) المراد: اكتنزت، وأصل العصب: الشد وضم المتفرق.
(٣) الجان: ضرب من الحيات لا يؤذى.
(٤) فى ف: «وعبلت».
(٥) راجع الصفحة ٤٠١ من هذا الجزء: الحاشية الأولى.
(٦) فى ف: «بارعة». وفى ب، س: «بديعة».

العجلى البرتىّ قال : حدثنى أبو هفان قال : حدثتنى رقيــــةُ بنت حَمَل عَن أبيهـا قال :

كان أبو نخيلة مدّاحاً للجنيدِ بن عبد الرحمن المرىّ ، وكان الجنيد له محبًّا، يكثر رفده ويقرّب مجلسه ، ويحسن(١) ، إليه فلما مات الجنيد قال أبو نخيلة يرثيه :

لعمرى لئن رَكبُ الجنيد تحملوا (٢) إلى الشأم من مرٍّ وراحَت(٣) ركائبه(٤)
لقد غادر الركب الشآمون خلفهم فتى غطفــــانيا يُعلل جانبه(٥)
فتى كان يسرى للعـــــدو كأنما سُروب(٦) القطا فى كلّ يوم كتائبه
وكان كأن البــــدر تحت لوائه إذا راح فى جيش وراحت عصائبه

تلومه امرأة له على شدة حبه لابنه فيمدحها فتسكت عنه

أخبرنا محمدُ بنُ جعفرٍ قال : حدثنى أحمدُ بنُ القاسم قال : حدثنى أبو هِفانَ عن عبدِ الله بنِ داودَ عن علىٍّ بن أبى نخيلة(٧) ، قال :

١٤٨ / ١٨

كان أبى شديد الرقة علىّ معجباً بى ، فكان إذا أكل(٨) خصنى بأطيب الطعام ، وإذا نام أضجعنى إلى جنبه ، فغاظ ذلك امرأته أمّ حماد الحنفيةَ ، فجعلت تعذُله وتؤنبه ، وتقول : قد أفنتَ فى منزلك ، وعكفتَ على هذا الصبىّ ، وتركت الطلب لولدك وعيالك . فقال أبى فى ذلك :

(١) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : « يحن » ، تحريف .
(٢) فى ب ، س : « تحملت » .
(٣) فى ف : « وسارت » .
(٤) فى غير ب ، س . « كتائبه » .
(٥) كذا فى ا ، م . وفى باقى الأصول « تعلل جادبه » .
(٦) فى ب ، س : « عجاج » .
(٧) فى ب ، س : « عن على عن أبى نخيلة » .
(٨) كذا فى غير ا ، م . وفيهما : « إذا أكل شيئا » .

ولولا شهوتى شَفَتَىْ علىٍّ ... رَبعتُ على الصحابة والركاب[1]
ولكنّ الوسائل من علىٍّ[2] ... خلَصن إلى الفؤاد من الحجاب

قال ، فازدادت غضباً ، فقال لها :

وليس كأمّ حمّاد خليلٌ ... إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب
منعمةً أرى فتقرّ عينى ... وتكفينى خلائقُها[3] عتابى

فرضيت وأمسكت عنا .

يمدح ببيت على مثال بيت تمناه الممدوح

حدثنى عمى قال : حدثنى هارونُ بنُ محمدِ بن عبد الملك قال حدثنى سهلُ بنُ زكريا قال : حدثنى عبدُ الله بنُ أحمدَ الباهلىُّ قال :

قال أبان بنُ عبدِ الله النميرىُّ يوماً لجلسائه — وفيهم أبو نخيلة — : والله لوددت أنه قيل فىّ ما قيل فى جرير بن عبد الله :

لولا جرير هَلَكَتْ بجيله ... نعم[4] الفتى وبئست القبيله

وأنى أثبت على ذلك مالى كله ، فقال له أبو نُخَيلة : هَلُمّ الثواب ، فقد حضرنى مِن ذلك ما تريد ، فأمر له بدراهم ، فقال : اسمع يا طالب ما يجزيه :

لولا أبانٌ هلكت نُمَيرُ ... نعم الفتى وليس فيهم خَيرُ

يستأذن على أبى جعفر فلا يصل ، ويقول فى ذلك شعرا

أخبرنى محمدُ بنُ عِمران الصيرفىُّ قال : حدثنا الحسنُ بنَ عُليل العنَزىُّ قال : حدثنا سَلَمَةُ بنُ خالدِ المازنىُّ عن أبى عبيدة قال :

(١) فى ا ، م : « وما أمتاح منها من رضاب » .
(٢) فى ا ، م : « وأخلاق ملاح معجبات » .
(٣) كذا فى ا ، ف ، م . وفى ب ، س : « خلابتها » .
(٤) هذا الشطر زيادة فى ا ، م .

وقف أبو نخيلة على باب أبى جعفر واستأذن ، فلم يصل ، وجعلت الخراسانية تَدخل وتخرج ، فتهزأ به ، فيرون شيخاً أعرابيًّا جِلفا فيعبثون به ، فقال له رجل عرفه : كيف أنت أبا نخيلة ؟ فأنشأ يقول :

أصبحتُ لا يملك بعض بعضى   أشكو العُروق الآبضات[1] أبضا
كما تَشكى الأرحبىُّ[2] الغرضا[3]   كأنما كان شبابى قَرْضا

فقال له الرجل : وكيف ترى ما أنت فيه فى هذه الدولة ؟ قال :

أكثرُ خلق الله من لا يُدرَى   مِن أىّ خلق الله حين يُلقَى[4]
وحُلةٌ تُنشر ثم تُطوَى   وطيلسانٌ يُشترَى فيُغلَى
لِعبد عبدٍ أو لمولى مولى[5]   يا ويحَ بيتِ المال ماذا يَلقى !

يسأل عن ممدوح له فيعدد هباته له

وبهذا الإسناد عن أبى عبيدة أن أبا نخيلة قدم عَلَى أبانِ بنِ الوليد فامتدحه ، فكساه ووهب له جارية جميلة ، فخرج يوماً من عنده ، فلقيَه رجل من قومه ، فقيل له : كيف وجدتَ أبانَ بن الوليد يا أبا نخيلة ؟ فقال :

أكثرَ واللهِ أبانٌ مَيْرى   ومِن أبانِ الخيرِ كلُّ خيرى

* ثوبٌ لِجِلدى وحِرٌ لأيرى *

يصاب بتخمة

نسخت من كتاب اليوسفىّ حدثنى خالدُ بنِ حميدٍ عن أبى عمروٍ الشيبانىّ قال :

(١) الآبضات : المتقبضة .
(٢) كذا فى ا ، ف ، م . ومعناه : النجيب ، نسبة إلى أرحب : قبيلة ، أو فحل . وفى ب ، س : « الأزجى » ، تحريف .
(٣) كذا فى ا ، ف ، م . وهو حزام الرحل . وفى ب ، س : « الفرض » ، تحريف .
(٤) كذا فى ب ، س : وفى ا ، م : « يكنى » . وفى ف : « يلغى » .
(٥) كذا فى غير ف . وفى ف : « لعبد عبد الله أو لمولى » .

أقحمت السَّنة أبا نُخَيلة فأتى القعقاع بن ضِرار – وهو يومئذ على شُرطة ١٤٩/١٨
الكوفة – فمدحه ، وأنزله القعقاعُ بن ضِرار وابنَيه وعبدَيه وركابَهم فى دار ، وأقام لهم الأنزال ، ولركابهم العُلوفَة .

وكان طباخ القعقاع يجيئهم فى كلّ يوم بأربع قصاع ، فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم ، ويأتيهم بتمر وزُبد ، فقال له يوماً القعقاع : كيف منزلك أبا نخيلة ؟ فقال :

مَا زال عنّا قَصَعاتٌ أربعُ ... شَهرين دأْبا دُوّد ورجع[1]

عَبداى وابناى وشيخ يرفع[2] ... كما يقوم الجَمَــل المطبَّع[3]

قال : وكان أبو نخيلة يكثر الأكل فأصابته تخَمَة ، فدخل على القعقاع فسأله : كيف أصبحت أبا نخيلة ؟ فقال : أَصبحتُ والله بشما أمرتَ خبازك فأتانى بهذا الرّقاق الذى كأنه الثياب المبلولة ، قد غمسه فى الشحم غمساً ، وأتبعه بزبد[4] ، كرأس النعجةِ الخُرْسية[5] ، وتمرٍ كأنه عَنز رابضة . إذا أخذتُ التمرة من موضعها تبعها من الرُّبِّ كالسلوك الممدودة ، فأمعنت فى ذلك ، وأعجبنى حتى بَشِمتُ ، فهل من أقداح جياد ؟ وبين يدى القعقاع حجّام واقف وسُفرة[6] موضوعة فيها المواسى ، فإذا أُتى بِشُرّاب النبيذ حلق رءوسهم ولحاهم . فقال له القعقاع : أتطلب منى النَّبيذ وأنت ترى ما أصنع بِشرّابه ؟ عليك بالعسل والماء البارد ، فوثب ثم قال :

قــــد علم المظَلّ والمبيت ... أنى مِن القعقاع فيما شِــــيت

(١) فى ا ، م : « شهرين داماقبواد رجع » . وفى ف : « شهرين دأبا فبواد رجع » .
(٢) كذا فى ا ، م . وفى غيرهما : « يركع » .
(٣) المطبع : المثقل بالحمل .
(٤) فى ا ، م : « ثريدة » .
(٥) كذا فى ب ، س . ومعناه : المنسوبة إلى خراسان . وفى ا ، م : « الخراسانية » . وفى ف « العلسية » بضم العين : ضرب من الغنم .
(٦) فى ب ، : « صفرة » ، تحريف .

إذا أنتْ مائـدة أُتيت بِبِدَع لست بها غُذِيت
وُلِّيتَ فاستشفعتُ واستُعدِيتُ كأننى كنت الذى وُلِّيتُ
ولو تمنَّيتُ الذى أعطيت ما ازددتُ شيئاً فوق ما لقيتُ
أيا بن بيتٍ دونه البيوت أَقصرْ فقد فوق القِرى قُرِيتُ
ما بين[1] شرابى عسلٌ منعوت ولا فُرات صرِد[2] بيّوت[3]
لـكننى فى النوم[4] قد أُريت رطلَ نبيذ مُخفِس[5] سُقيت
* صلباً[6] إذا جاذبته رويت *

فغمزه علَى إسماعيل ابن أخيه ، وأومأ إلى إسمعيل ، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فسقاه حتى صلح .

يمدح السفاح ويغضب فى مدحه بعض أهل المجلس فيحرض عليه السفاح

أخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعىُّ قال : حدثنا قَعنبُ بنُ المُحرزِ وأبو عمرٍو الباهلىُّ قالا : حدثنا الأصمعى قال :

دخل أبو نُخَيلة على أبى العباس السفاح ، وعنده أبو صفوانَ إسحاق بنُ مسلمٍ العُقَيلىُّ ، فأنشده قوله :

صادتْك يومَ الرملتين شَغْفَرُ[7] وقد يصيد القانصَ المزعفَرُ
يا صورةً حسّنها المصـوّر لِلرِّيم منها جيدُها والمَحجَرُ

---

(١) فى ب ، س : « عن » ، تحريف .
(٢) صرد : خالص .
(٣) بيوت : بارد .
(٤) فى ب ، س : « القوم » ، تحريف .
(٥) مخفس : سريع الإسكار .
(٦) فى ا ، م : « صلب » .
(٧) شغفر : اسم امرأة .

يقول فيها فى مدح أبى العباس :

حتى إذا ما الأوصياء عسكروا   وقام مِن تِبر[١] النبىّ الجوهرُ
ومِن بنى العباس نَبع أصفر[٢]   ينميه فرعٌ طيّب وعنصر
أقبل بالناس الهوى المستبهِر[٣]   وصاح فى الليل نهار أنور
أنا الذى لو قيل إنى أشعرُ   جلّى الضبابَ الرجز الخَبِرّ[٤]
لمّا مضت لى أشهر وأشهر   قلت لنفس تُزدَهَى فتصبر
لا يستخفنَّك ركب يَصدر   لا مُنجد يَمضى ولا مُغوِّر ١٥٠/١٨
وخالِفى الأنباء فهى المحشر   أو يسمعَ الخليفة المطهَّر
مِنّى فإنى كلٌّ جنح أحضر   وإن بالأنبار غيثا يهمُر
والغيث يُرجَى والديار تنضُر   ما كان إلا أن أتاها العسكر
حتى زهاها مسـجد ومنبر   لم يبقَ من مروانَ عين تنظر
لا غائبٌ ولا أناس حُضّر   هيهات أودى النعم[٥] المعفّر
وأمست الأنبار دارا تُعمَر   وخرِبتْ من الشآم أدوُر
حِمصٌ وبابُ التّبن[٦] والموقّر[٧]   ودمّرت بعد امتناع[٨] تدمر

(١) فى ا ، م : « آل » .
(٢) فى ب ، س . « أصفر » .
(٣) فى ب ، س : « المشهير » تحريف .
(٤) فى ا ، م : « المحبر » .
(٥) فى ف : « النعم المغفر » .
(٦) باب التبن : محلة كبيرة كانت ببغداد ، وفى الأصول : « التين » ، تحريف .
(٧) الموقر : موضع بنواحى البلقاء من نواحى دمشق ، كان يزيد بن عبد الملك ينزله .
(٨) كذا فى ب ، س ، ف . وفى ا ، م : « اتساع » .

وواسط لم يبق إلا القرقر[١] منها وإلا الدير بان[٢] الأخضر

(ومنهـــا)

[٣]أين أبو الورد وأين الكوثر

أبو الورد بن هذيل بن زفر ، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان[٣] .

وأين مروان وأين الأشقر وأين فَلٌّ لم يَفُتْ[٤] مُحيِّر[٥]

وأين هاديكم المُجَمْهَر[٦] وعامر وعامر وأعصُر ؟

— قال : يعنى عامرَ بنَ صعصعةَ ، وعامرَ بنَ ربيعةَ ، وأعصُرَ باهلةَ وغنىٍّ — قال : فغضب إسحاق بن مسلم ، وقال : هؤلاء كلهم فى حِرِ أمك أبا نخيلة ، فأنكر الخليفة عليه ذلك ، فقال : إنى والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شَرًّا من هذا فى مجالس بنى مروان . وما لَه عهد ، وما هو بوفىٍّ ولا كريم . فبان ذلك فى وجه أبى العباس ، وقال له قولا ضعيفا : إن التوبة تغسل الحَوْبة ، والحسناتِ يذهبن السيئات ، وهذا شاعر بنى هاشم . وقام فدخل ، وانصرف الناس ، ولم يعط أبا نخيلة شيئا .

يدعو فى رجزله إلى تولية المهدى العهد فيجيزه المنصور

وأخبرنى أحمد بنُ عُبيد الله بنِ عمار الثقفىُّ حدثنا علىُّ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ النوفلىُّ قال : حدثنى أبى عن عبد الله بن أبى سُلَيم مولى عبد الله بنِ الحارث قال :

بينا أنا أسير مع أبى الفضل يَعنى — سليمانَ بنَ عبدالله — وحدى بين الحِيرة والكوفة —

(١) القرقر ، فى معجم البلدان : جانبٍ من القرية ، وأظن القرية بين الفلج ونجران والقرية ، مشددة الراء والياء .

(٢) الديربان : لعله دير أبان ، من قرى غوطه دمشق ، منسوب إلى أبان بن عثمان بن حرب بن عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية .

(٣—٣) ما بين الرقمين زيادة فى ا ، ف ، م . إلا أن م تورد الكلام عن البيت بعد جمله الأبيات .

(٤) كذا فى ب ، س وفى ا ، ف ، م : « لم يقف » .

(٥) كذا فى ف وفى ا ، ب ، س ، م : « محير » .

(٦) المجمهر : المجموع .

وهو يريد المنصور ، وقدمّ بتولية المهدى العهدَ وخلعِ عيسى بن موسى ، وهو يَرُوض ذلك — إذا هو بأبى نُخَيلة الشاعرِ ، ومعه ابنان له وعبد ، وهم يحملون متاعه . فقال له : يا أبا نُخَيلة ، ما هذا الذى أرى ؟ قال : كنت نازلا على القعقاع بنِ معبَد أحدِ ولَد معبَد ابن زُرارة ، فقلت شعرا فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهدىّ العهدَ ونزعِ عيسى ابنِ موسى ، فسألنى التحول عنه ، لئلا ينالَه مكروه من عيسى إذ كان صنيعته ، فقال سليمان : يا عبد الله ، اذهب بأبى نُخَيلة فأنزله منزلا[1] وأحسِنْ نُزُله وبِرّه[2] ، ففعلت . ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر ، فلما كان يوم البَيعة جاء بأبى نُخَيلة فأدخله على المنصور ، فقام فأنشد الشعر على رءوس الناس ، وهى قصيدته التى يقول فيها :

بل يا أمين الواحد الموحَّدِ إنّ الذى ولاك ربُّ المسجدِ[3]
ليس ولىّ عهدنا[4] بالأسعَد عيسى فزحلفها[5] إلى محمد
من عند[6] عيسى معهدا عن[7] معهد حتى تُؤدّى من يد إلى يد

قال : فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم ، قال : وبايع لمحمد بالعهد ، فانصرف
١٥١/١٨ عيسى بن موسى إلى منزله ، قال : فحدثنى داودُ بنُ عيسى بنِ موسى قال : جمَعنا أبى فقال : يا بَنىّ ، قد رأيتم ماجرى ، فأيّما أحبُّ إليكم : أن يقال لكم : يابَنى المخلوع ، أو يقال لكم : يا بنى المفقود ؟ فقلنا : لا ، بل يابَنى المخلوع . فقال : وُفّقتم بَنىّ . وأول هذه الأرجوزة التى هذه الأبيات منها :

(١) فى ا ، م : «منزلنا» .
(٢) فى ب ، س ، ف : « ورده » .
(٣) هذا البيت ، زيادة فى ا ، م .
(٤) كذا فى ب ، س ، ف . وفى ا ، م : « عهدها » .
(٥) كذا فى ب ، س ومعناه : قدمها ، أوادفعها . وفى ف : « زحلقها » . وفى ا ، م : « فرحلها » .
(٦) فى ف : « من عهد » .
(٧) فى ا ، م : « من » .

لم يُنسنى يا بنةَ آل معبَدِ ذكراكِ تكرارُ الليالى العُوّدِ
ولا ذواتُ العَصَبِ[1] المورّد ولو طَلَبْن الوُدّ بالتودّد
ورُحن فى الدُّر وفى الزبرجد هيهات منهن وإن لم تَعهدى
نَجديةٌ ذاتُ مَعانٍ[2] منجد كأنّ رِيّاها بُعَيد المَرقَد
ريّا الخُزامى فى ثَرًى جَعْدٍ[3] ندى كيفَ التصابى فِعلَ من لم يهتد
وقد علَتْنى دِرةٌ[4] بادى[5] بَدِى وَرَثْيةٌ[6] تنهض فى تشددى[7]
* بعد انتهاضى[8] فى الشباب الأملد *

يقول فيها:

إلى أمير المؤمنين فاعمِد إلى الذى يُندى[9] ولا يَندَى ندى
سيرى إلى بحر البحار المزْبد إلى الذى إن نفِدت لم ينفَد
* أو ثمدّت[10] أشراعها[11] لم يَثمِد *

(١) العصب: نوع من البرود.
(٢) معان: منزل ومباءة.
(٣) الجعد: الندى. وفى ب، س: ثرى «جعندد».
(٤) كذا فى ا، ف، م. والمراد بالدرة هنا: الشيب. وهى فى الأصل: سيلان اللبن. وفى ب، س: «ذرأة»، تحريف ويرويه الشنتمرى: «وقد علتنى ذرأة بادى بدى»: ورثية إلخ. (سيبوية: ٢: حاشية الصفحة: ٥٤) والذرأة: الشيب أول ابتدائه. والرثية: وجع المفاصل واليدين والرجلين، والضعف.
(٥) بادى بدى: أولا.
(٦) فى ب، س: «رثينة»، تحريف.
(٧) فى ا، ف، م: «تجلدى».
(٨) ف: انتهاض.
(٩) أندى: كثر عطاؤه.
(١٠) كذا فى ا، ف، م. ومعناه: نزفت. وفى ب، س: «إذ أثمدت»، تحريف.
(١١) أشراعها: مواردها.

ويقول فى ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التى مضت فى صدر الخبر :

قد رضينا بالغلام الأمرد وقد فَرَغنا غير أن لم نشهدِ
وغيرَ أنّ العَقد[1] لم يؤكد فلو سمعنا قولك امدُدِ امدُد
كانت لنا كزعقة[2] الوِرد[3] الصدى فنادِ للبيعة جمعا نَحشُد
فى يومنا الحاضر هذا أوغد واصنع كما شئت ورُدّ يُردَد[4]
وَردٌ منك رداء يرتد فهو رِداء السابق المقلَّد
وكان يَروِى أنها كأن قد عادت ولو قد نقِلَت[5] لم تُردد
أقول فى كرى[6] أحاديث الغد لله دَرى من أخ ومنشد
* لونلتُ حظّ الحبشىِّ الأسود[7] *

(١) فى ف : « العهد » .
(٢) فى ف : «ككرعة» . وفى ب ، س : «كدعكة» ، تحريف .
(٣) الورد : القوم يردون الماء .
(٤) فى ف : «وزده يزدد» .
(٥) فى ف : « فعلت » .
(٦) فى ف : « ذكرى » .
(٧) الأبيات التالية لبيت : كانت لنا كزعقة الورد الصدى – تروى فى ا ، م : هكذا :
وفيها يذكر مقتل أبى مسلم :–

لما استثار الله للعبد الردى
خر على الخدين لم يوسد
فاصنع كما شئت وزده تزدد
أقول فى ردى أحاديث الغد
لله درى من أخ ومنشد
لو نلت حظ الحبشى الأسود
فبادر البيعة جمعا وانشد
فى يومنا الحاضر هذا أوغد
ورده منك رداء يرتد

— يعنى أبا دُلامة .

خبر آخر عن أرجوزة المهدى

فأخبرنى عبدُ الله بنُ محمدٍ الرازىُّ قال : حدثنا أحمدُ بنُ الحارثِ قال : حدثنا المدائنىُّ — أنّ أبا نُخَيلة أظهر هذه القصيدة التى رواها الخدم والخاصة ، وتناشدتها العامة ، فبلغت المنصور فدعا به ، وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه ، فأنشده إياها ، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها . قال أبو نخيلة : فجعلتُ أرى فيه السرور ، ثم قال لعيسى ابن موسى : ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررتَ عمك[1] ، وبلغتَ من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السارّ . فقال عيسى : لقد ضلَلتُ إذًا وما أنا من المهتدين . قال : أبو نخيلة : فلما خرجتُ لحِقَنى عِقالُ بنُ شبة فقال : أمّا أنت فقد سررتَ أمير المؤمنين ، ولئن تم الأمر فلعمرى لتصيبنّ خيرا ، ولئن لم يتم فابتغ نَفَقا فى الأرض ، أو سُلَّمًا فى السماء . فقلت له :

عَلِقت معالقَها وصرّ الجندُب[2]

خبر ثالث عن هذه الأرجوزة

قال المدائنى : وحدثنى بعض موالى المنصور قال :

١٥١ / ١٨

لما أراد المنصور أن يعقِد للمهدىّ أحبّ أن تقول الشعراء فى ذلك ، فحدثنى عبدُ الجبار ابنُ عُبيد الله الحِمانىُّ قال :

حدثنى أبو نخيلة قال : قدمتُ على أبى جعفر ، فأقمت ببابه شهرا لا أصل إليه ، فقال لى عبدُ الله بنُ الربيع الحارثى : يا أبا نُخَيلة ، إن أمير المؤمنين يريد أن يقدّم المهدىّ بين يدَى عيسى بنِ موسى ، فلو قلتَ شيئا تحثه على ما يريد . فقلت :

---

(١) كذا فى ف . وفى : ب ، س : « لئن كان هذا عن رأيك فلقد » .

(٢) مثل معناه : قد وجب الأمر ونشب ، فجزع الضعيف من القوم . وأصله أن رجلا انتهى إلى بئر وعلق رشاء برشائها ، ثم صار إلى صاحب البئر فادعى جواره . فقال له : وما سبب ذلك ؟ فقال : علقت رشائى برشائك ، فأبى صاحب البئر وأمره بالرحيل . فقال : علقت معالقها الخ . والضمير فى علقت الدلو أو الأرشية والمعالق جمع معلق ، وهو موضع العلوق . صر : صوت . والجندب : ضرب من الجراد .

ماذا على شَحْط النوى عنا كا[١] أم ما مرَى[٢] دمعَك من ذكرا كا ؟

* وقد تبكّيتَ فما أبكا كا *

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها :

خليفـةَ الله وأنت ذا كا أسنِدْ إلى محمدٍ عصا كا
فأحفَظُ الناس لها أدنا كا وابنُك ما استكفيتَه كفا كا
وكلُّنا منتظـر لذا كا لو قلتَ هاتوا قلتُ هاكَ ها كا

المنصور يحذره عيسى بن موسى وعيسى يوكل به من يقتله

قال : فأنشدته إياها ، فوصلنى بألفى درهم ، وقال لى : احذر عيسى بنَ موسى ، فإنى أخافه عليك أن يغتالك . قال المدائنىّ : وخلَع أبو جعفر عيسى بنَ موسى ، فبعث عيسى فى طلب أبى نُخَيلة ، فهرب منه ، وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبرُه ، فجرّد خلفَه مولى له يقال له : قَطَرِىّ ، معه عِدّة من مواليه ، وقال له : نَفْسَك نفسك أن يفوتك أبو نُخَيلة ، فخرج فى طلبه مُغِذًّا للسير ، فلحقه فى طريقه إلى خراسان ، فقتله وسلخ وجهه .

ونسخت من كتاب القاسمِ بنِ يوسفَ عن خالدِ بنِ حَمَل أنّ علىّ بن أبى نخيلة حدّثه أنّ المنصور أمر أبا نخيلة أن يهرُب إلى خراسان ، فأخذه قَطَرىّ وكتَفه فأضجعه ، فلما وضع السكين على أوداجه قال : إيه يا بن اللخناء ، ألست القائل :

* علِقَت معالَقها وصر الجندب *

الآن صَرّ جندُبُك . فقال : لعن الله ذاك جندُبا ، ما كان أشأم ذكره ! ثم ذبحه ،

---

(١) كذا فى ف ، وفى ب ، س : « غشاكا » ، تحريف .

(٢) كذا فى ف ، ومعناه أسال وفى ب ، س : «جرى» ، تحريف .

قَطَرِى ، وَسلخ وجهه ، وألقى جسمه إلى النّسور ، وأقسم لا يريم مكانَه حتى تمزّق السباع والطيور لحمه ، فأقام حتى لم يبق منه إلا عظامه ، ثم انصرف .

أبو الأبرش يشمت به لمهاجات كانت بينهما

أخبرنا جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدثنا أبو حاتم السجِستانىُّ قال : حدثنى الأصمَعى عن سعيد بنِ سَلْم عن أبيه قال :

قلت لأبى الأبرش : مات أبو نُخَيلة ، قال : حتفَ أنفه ؟ قلت : لا ، بل اغتيل فقتل . فقال : الحمد لله الذى قطع قلبَه ، وقبض روحه ، وسفك دمه ، وأراحنى منه ، وأحيانى بعده .

وكان أبو نخيلة يهاجى الأبرش ، فغلبه أبو نُخَيلة .

صــوت

ولقد دخلتُ على الفتـا ة الخِدر فى اليوم المطيرِ
فدفعتُها فتـــــدافعت مشىَ القطاة على الغدير
فلثمتُهـــا فتنفسَت كتنفس الظبى البهيرِ(١)

الشعر للمنخّل اليشكرى ، والغناء لإبراهيم ، ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرٍو وأحمد المكىّ .

تم الجزء العشرون من كتاب الأغانى
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الحادى والعشرين
وأوله : أخبار المنخّل ونسبه

---

(١) البهير : المنقطع النفس .

فهارس

الجزء العشرين

من

كتاب الاغانى

تراجم هذا الجزء

فهرس الموضوعات

اخبار التيمي ونسبه

اخبار ابي نواس وجنان خاصة

نسب ابن أبى عيينة وأخباره

اخبار دعبل بن على ونسبه

أخبار جعيفران ونسبه

أخبار السرى ونسبه

صفحة

أخبار المسدود

أخبار سلمة بن عياش

أخبار لأم جعفر

أخبار أيمن بن خريم

أخبار حجية بن المضرب

خبر اسحاق مع غلامه زياد

خبر لحبابة مع ابن عائشة

أخبار ابى الهندى ونسبه

أخبار سعيد بن وهب

اخبار رؤبة ونسبه

اخبار عمرو بن أبى الكنات

أسماء بن خارجة وابنته هند

أخبار السليك بن السلكة ونسبه

أخبار أبى نخيلة ونسبه

فهرس الشعراء

فهرس رجال السند

(ج)

(ح)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهرس الأعلام

(ب)

(د)

(غ)

(و)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(غ)

(ف)

(ق)

فهرس أسماء الأماكن

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
شهدت	النظاره	خفيف	٥: ٦٣
ما لدنيا	ومكرُ	»	١٦: ٩٤
يا أبا سعد	والمرّه	مجزوءالخفيف	٢:١٦٧، ١٠:١٦٩، ٩:١٧٤، ١٤:١٧٥
لقد	يا نوارُ	مضارع	٢:٣٣٥
حاجيتك	الشعرِ	مجتث	٨:٣٤٣
وسلعة	ينتصرْ	متقارب	٦:١٧٥
ألاأيها	لم تغرْ	»	١٨:٢٠٧
هنيئا	البصرْ	»	١٤:١٠١

(ز)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
أأقتل	عبد العزيزِ	وافــر	١:٣١٠
بارك	أوفازِ	رجــز	٧:٤٠٣

(س)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
قل	كونسه	طويل	٦:٥٦
فإن	وسوسه	»	٨:٢٥٦
أودى	الياسا	بسيط	٦: ٤٥
رأيت	بوسواسِ	هزج	١٦:١٩١
قل	بالجلس	رجــز	١٠: ٧
طاف	النعاسِ	»	١٦:١٩٠
يا منزل	إبليسِ	»	١٠:٣٥٤
من	قرطاسِ	سريع	١١: ٣١
دجلة	الناسِ	»	٤: ٣٧، ٩: ٤٠
قد	الأنسِ	»	١٥:٢٥٨، ١١:٢٦١
قد	الشمسِ	»	١٣:٢٦١
ليس	الفوارسِ	مجزوءالخفيف	٤:١٦٦

(ص)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
أبا نضير	منتقصا	بسيط	١٧:١٢٩

(ض)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
أنار	مومضُ	طويــل	٢:٢٩٥
ولولا	أتبرضُ	»	٨:٢٩٥
أمسلم	الأرضِ	»	٢:٣٨٩، ٨:٣٩٢، ٥:٤٠٠
داينت	بعضا	رجــز	٢:٣٤٤
أصبحت	أبضا	»	٤:٤١٢
كيف	المراضِ	»	١:١٧٦

(ط)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
وكنا	قنوطُ	طــويل	٩:٢٥٥
متى	يلوطُ	»	١٨:٢٥٥
بنيّ	اللغط	مجزوءالوافر	٦: ٩٩
أسر	الماقط	كامل	١٣:١٢٨
يا حفص	نشاطِه	مجزوءالكامل المرفل	١:١١٢ و١٠
وإذا	طاطِه	» » »	٣:١١٢
يا معشر	تسخطوا	سريع	١٣:١٢١، ٤:١٥٠
قد ختم	تسخطوا	»	٩:١٥٠
أير	لخطوطُ	خفيف	١٦:٢١٨
أم سلم	لضروطُ	»	١٨:٢١٨
أتينا	العبيطا	متقارب	٨:٣١٤

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
إن التي	رسولُ	مجزوء الكامل المرفل	١٧:٦٥
رأيت	حالي	هزج	٨:١٩١
استوجب	فحلاَ	رجز	٢٠:١٨٩، ٢:١٩٠
قالوا	العقلا	»	٤:١٩٠
لست	فعلاَ	»	١٠:١٩٠
لولا	القبيله	»	١١:٤١١
لولا	قفلُه	»	١٣:٤٠٢
يا معدي	الفعالِ	»	٤:١٩٥
يا ماعز	الإصطبلِ	»	٥:٤٠٢
عش	واصلِي	رمل	٢:٢٧٣، ٥:٢٨١
بأبي	كليلاَ	مجزوء الرمل	٢: ١٣
ليس	خليلاَ	» »	١٠:٢٦
وندامي	قليلاَ	» »	٨:١٩٢
كم	الطويلُ	» »	١: ١٠
من	مقتولْ	سريع	١٥:٣٨٥
ما يفعل	فعلُه	»	١٠:١٨٧
يابن	المفضلِ	»	١٧: ٦
أما ترى	فاعتدلا	منسرح	٥: ٩٣
زعموا	أملاَ	خفيف	١٠:٢٨٥
هل	سبيلُ	»	٥: ٥٢، ٥: ٥٨
عجب	بلالِ	»	٢: ٣
مدح	بالمقالِ	»	٤:٣٤١
راعه	العذلْ	مجزوء الخفيف	٣: ٣٣
ألا	منهلّه	متقارب	٩:١٠٩
تعلق	الموصلُ	»	١٤:١٦٠

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
وعاديت	ينبلوا	متقارب	١٧:١٦١
أمطلب	ومستقبلُ	»	٧:١٦٢، ١:١٨٤
شربت	والقنقلِ	»	٨: ٤٤
	(م)		
حلات	يتجشما	طويل	١١:١٣٦
إذا	العجارما	»	٩:٢٢٢
ألا	عاتمُ	»	٦:٢٢٩
إذا	قائمُ	»	١٧:٢٢٩
لعمري	النواعمِ	»	٥:١٠٣
ألا	بدرهمِ	»	٥:١٥٦
أشارت	تتكلمِ	»	٢:٣٢٥
تحذرني	مسلمِ	»	١١:٣٨٥
شاهد	حازمِ	»	١٤:٤٠٣
عتقت	وفمِ	مديد	١٥:٢٤٧
اضرب	حكماَ	بسيط	١٢:١٥٢، ٣:١٦١
إن	عصمُ	»	٣:٣١٩
إني	الفهمِ	»	١٩:٢٤٧
إن أبا	هاميِ	مخلع البسيط	٦: ٣٨
وأبي	الحلومُ	وافر	١٢:١٥٦
أتهجر	ظلومُ	»	٢:١٨٧
فقدت	الكرامِ	»	١٨:١٩٨
هديتي	الهامِ	»	٥:٢٤٤
محب	سقمه	مجزوء الوافر	١٠:٢٨٢
انظر	تقامُ	كامل	٢٩ :٩و٢٢
قل	محامِ	»	٧:١٥٧
يا سائلي	شيمه	»	١١:٢٢٨

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس أنصاف الأبيات

(مرتبة بحسب أوائل كلماتها)

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهرس الكتب الواردة فى المتن

فهرس مراجع التحقيق

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	٥	خلع	خليع
٤	(هامش جانبي)	ابنة	ابنه
٥	»	»	»
٥	»	ينافسة	ينافسه
١٤	١٦	عينيه	عينه
١٨	١٦	فأنوِ	فانوِ
٢٢	١٧	الاغماد	الأغماد
٢٥	١٣	إلى خراسان	والى خراسان
٣٢	١٨	»	»
٣٢	١٨، ١٩	الخزيمى	الخريمى
٣٤	١	ومتّعة	ومتّعه
٣٧	٦	حدثنى بن	حدثنى ابن
٣٧	١٧	مَهْرُوَيَهْ	مَهْرُويَهْ(١)
٤٠	٦	يمدح حميد	يمدح حميداً
٥٢	٩	أبى العافية	أبى العالية
٥٤	٦	عنده	وعنده

(١) وكذلك فى صفحة ٣٩ س ٦ ، ١٤ و٦٩ س ١٠ و١٢٦ س ١٤ ، ١٥ ، ١٤٤ س ١ و ١٧٤ س ٥ و ١٨٣ س ٨

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٦	٤	مُصْفَرَّة	مُصْفَرَّة
٧٧	٨	غَيْلان	غَيْلان
٨٠	١٦	حازاه	حاذاه
٨١	١٥	العُقَيَ	العُقَيْبَى
٨٢	٤	دموعَهِ	دموعَهُ
٨٢	٩	ومحمدُ بنِ	ومحمدُ بنُ
٨٧	(هامش جانبي)	من شعرة	من شعره
٩٠	١٣	تحكَى	تحكِي
١١٠	١	الرِّحلَهْ	الرِّحلَهْ
١١١	٩	كالِحًا	كالِحًا
١١٣	٤	الرؤس	الرءوس
١١٤	٢	فِراساً	فِراشاً
١٢٢	٤	لا يؤمنَ	لا يؤمنُ
١٢٣	٥	هجاه	هجاءِ
١٢٥	٩	آخذُ	آخذٌ
١٢٧	٥	هَلَكها	هَلَكا
١٢٧	١٩	شهر زرو	شهر زور
١٣٢	٨	إسماعيلَ	إسماعيلُ
١٣٧	٣	أبو العزب	أبِر العزب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	(هامش جانبى)	قصدعن حاجته	قصّرعن حاجته
١٣٩	١٧	صحيقه	صحيفة
١٤٢	٥	بمذهبَك	بمذهبِك
١٤٣	١٦	خنففافس	خنافس
١٤٦	٢٠	الصميرة	الصيمرة
١٤٧	٨	الُمهخ	الُمهجْ
١٤٧	١١	الحسينَ	الحسينُ
١٥١	٣	بن عليٍّ	بنَ عليٍّ
١٥٦	١	للهَ	للهِ
١٥٧	(هامش جانبى)	ذن	أذن
١٦٠	٦	المأمول	المأمول
١٦١	١٤	الموَصلُ	الموْصِلُ
١٦٢	٥	عبد المطلب	المطلبَ
١٦٣	١٤	تـكلَّف	تـكلُّفٌ
١٦٦	١	أجوَد	أجوِّد
١٧١	١٠	بنه	ابنه
١٧٢	(هامش جانبى)	الجزومى	المخزومى
١٧٢	١٨	قد كان يستعلى	يستعلى
١٧٤	١١	حدثنى بن	حدثنى ابن
١٧٦	٨	الرُّبدُ	الرُّبدِ
١٧٩	١٣	أمردَ	أمردُ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨٣	٤	ويقبَل عقالكُ	ويقْبلُ عقالكَ
١٨٣	٥	راقصّ.. شتَمُ	رافِضِيٌّ... شتْمُ
١٨٣	٧	مكانهَ	مكانهُ
١٨٥	١٨	بتضرع	يتضرع
١٨٧	٢	أنهجر	أتهجر
١٩٣	٩	كثيرِ	كثيرِ
١٩٦	١٢	مازل	مازال
٢٠٠	١٣	الـكأسى	الـكأسِ
٢٠١	٦	سقيه ... ماء	اسقيه ... ماء
٢٠١	١٧	الرجمن	الرحمن
٢١٣	(رأس الصفحة)	أخبار أبى محمد ونسبه	أخبار مسكين ونسبه
٢٣٦	٣	رهَط	رهْطَ
٢٣٧	٧	آذنُهم	آذانُهم
٢٤٤	١٠	وحُمَلت	وحُمِلَت
٢٤٨	١٣	يفَضَحَنى	يَفْضَحَنِي
٢٥٠	(هامش جانبى)	أخاه	ابن أخيه
٢٥٢	١٢	تليف	تُلُفِ
٢٥٤	١٠	المتَمنِّى	الُمتَمنِّى
٢٥٥	١٢	يحيي بن كثمَ	يحيى بنِ أكثمَ
٢٧٠	١٠	ذَنوب	ذُنوب

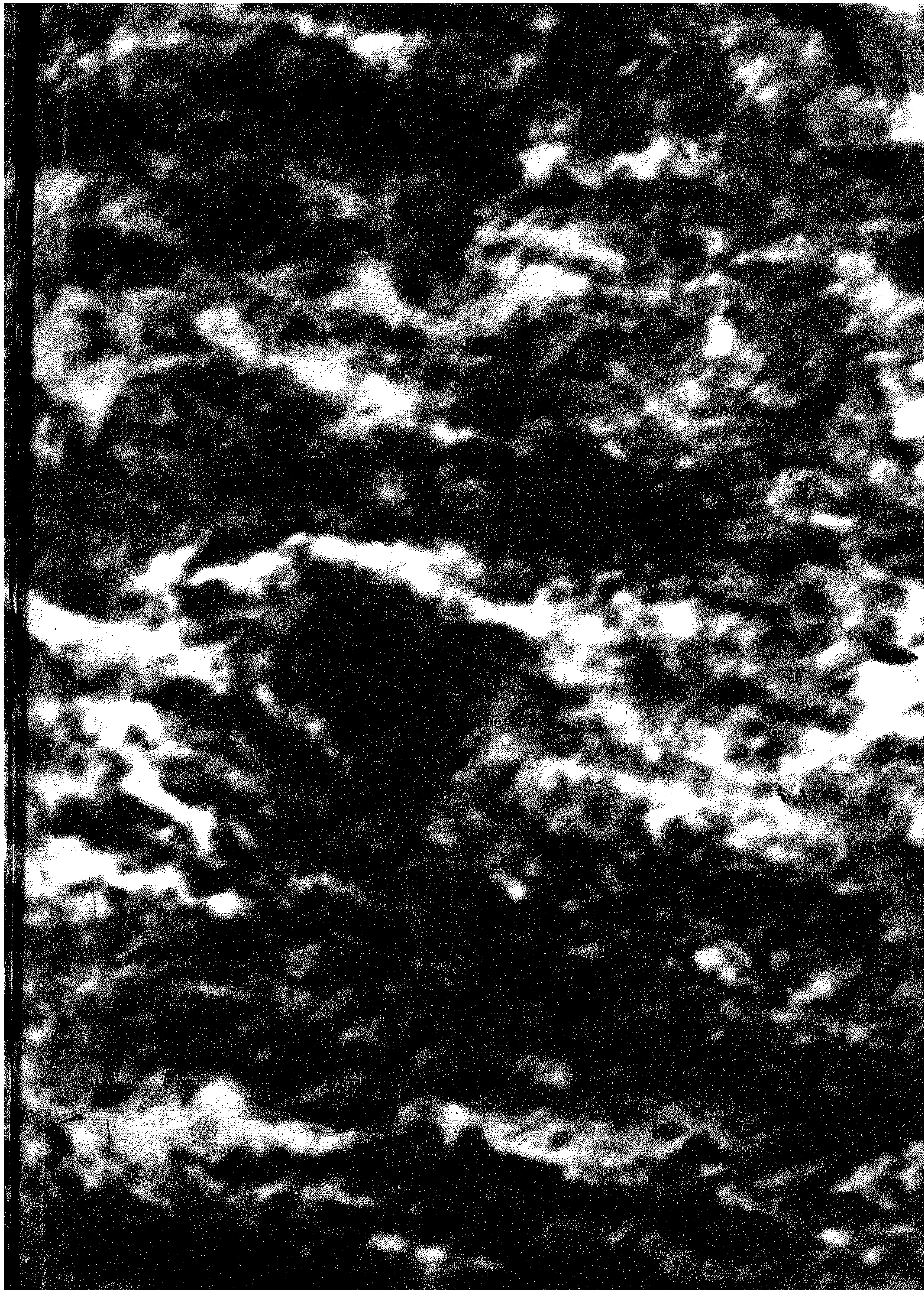
صفحة	سطر	خطأ	صـواب
٢٧٦	١٢	الشعراءُ	الشعراء
٢٧٧	١٥	حيت	حيث
٢٧٩	٧	بشرٌ	بشرٌ
٢٨٣	١	حوابه	جوابه
٢٨٥	١	خالد	خالداً
٢٨٨	١٠	الأهراج	الأهزاج
٢٩٦	١١	قال : سلمة	قال: كان سلمة
٢٩٧	(هامش جانبي)	يرثى واهب بربر له	يرثى صديقه أبا سفيان
٣٠٧	(هامش جانبي)	قوله	قوته
٣١٣	١٠	لأعظمَ	لأعظمِ
٣١٧	(هامش جانبي)	لصغارا	لِصِغَارِ
٣١٩	٨	شممَ	شَمَمُ
٣٢٧	١١	أحبارهم	أخبارهم
٣٢٧	١٧	عائشةُ	عائشةَ
٣٣٠	٥	قُزًّا	قُزٌّ
٣٣٠	٧	خالصاَ	خالصاً

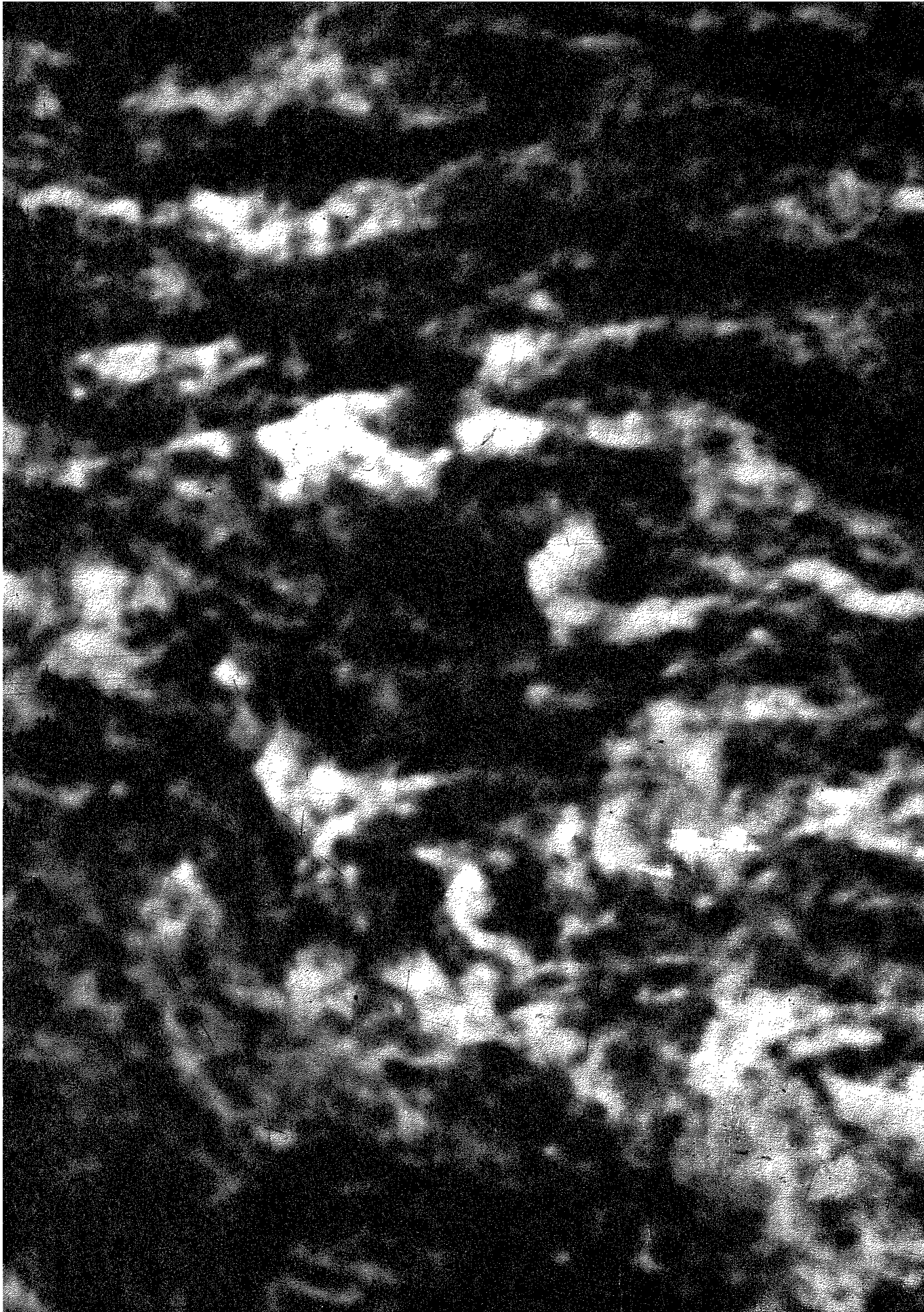
صفحة	سطر	خطأ	صـواب
٣٥٧	١٣	فيه بن	فيه ابن
٣٦٦	٢	ابنا ابنا	ابنا
٣٦٧	١٤	فأوَمأ	فأوْمأ
٣٦٨	١	تطيق	تطليق
٣٦٨	٨	المخزَومىّ	المخزومىّ
٣٧٥	١١	عبيدة	أبى عبيدة
٣٧٥	١٥	إغاره	إغارة
٣٧٦	١٤	أتوا َلجوفَ	أتوا الجوفَ
٣٨٤	٤	النَّورا	النَّوَارَا
٣٨٥	١٣	وأنسَ بنِ	وأنسَ بنَ
٣٩٧	١١	الشُّراه	الشُّرَاة
٣٩٧	١٥	نَقَّ	نقٍّ
٣٩٩	١٨	عن أ كبَرَ	عَمَّنْ هوأ كبُر
٤٠٧	٢١	مضمونا	مضموما
٤١٢	٤	بعض بعضى	بعضى بعضاً
٤١٨	١١	ثمدّت	ثَمَدَتْ
٤٢٣	٨٦٧	الجزءالعشرين	الجزء العشرون

أنواع الفهارس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٩٦٤/١٩٧٢






Bibliotheca Alexandrina
0488337